

المدخل إلى العهد القديم

بقلم

الدكتور القس صموئيل يوسف

المدخل إلى العهد القديم

(الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل



دار الثقافة

طبعة ثانية

الكتـاب : **المدخل إلى العهد القديم**
المؤلف : **د.ق. صموئيل يوسف**
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل
جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة لدار الثقافة
١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

« يَبِسَ العُشْبُ ذَبُلَ الزَّهْرُ

وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثبتُ إِلَى الأَبَدِ »

(إشعياء ٤٠ : ٨)

« تُرْسٌ ومِجَنٌّ حَقُّهُ »

(مزمور ٩١: ٤ب)

شكر وإهداء

أشكر إلهي أولاً وأخيراً لأجل محبته ونعمته المتفاضلة في المسيح يسوع التي غمرني وأحاطني بها منذ وجودي إلى هذا اليوم. وخلال رحلة كتابة هذا الكتاب التي دامت ما يزيد على أحد عشر عاما. بالإضافة إلى سنة التفرغ للدراسة والكتابة بكلية اللاهوت المشيخية في لويفيل بالولايات المتحدة، Louisville Presbyterian Theological Seminary.

وإذ أهدي هذا الكتاب إلى:

– طلاب كلية اللاهوت – زملاء الخدمة المجيدة – (بدءاً من دفعة ١٩٧٨) الذين كان لهم الفضل الأول في إثراء الفكر بالسؤال والتعليق وإثارة الكثير من المسائل اللاهوتية الحافزة على البحث والاستقصاء.

– وإلى الدكتور القس صموئيل حبيب لدوره المتميز بالتشجيع على الكتابة والتأليف والنشر لبناء الإنسان المسيحي فكرياً وروحياً لمجد الرب في الكنيسة.

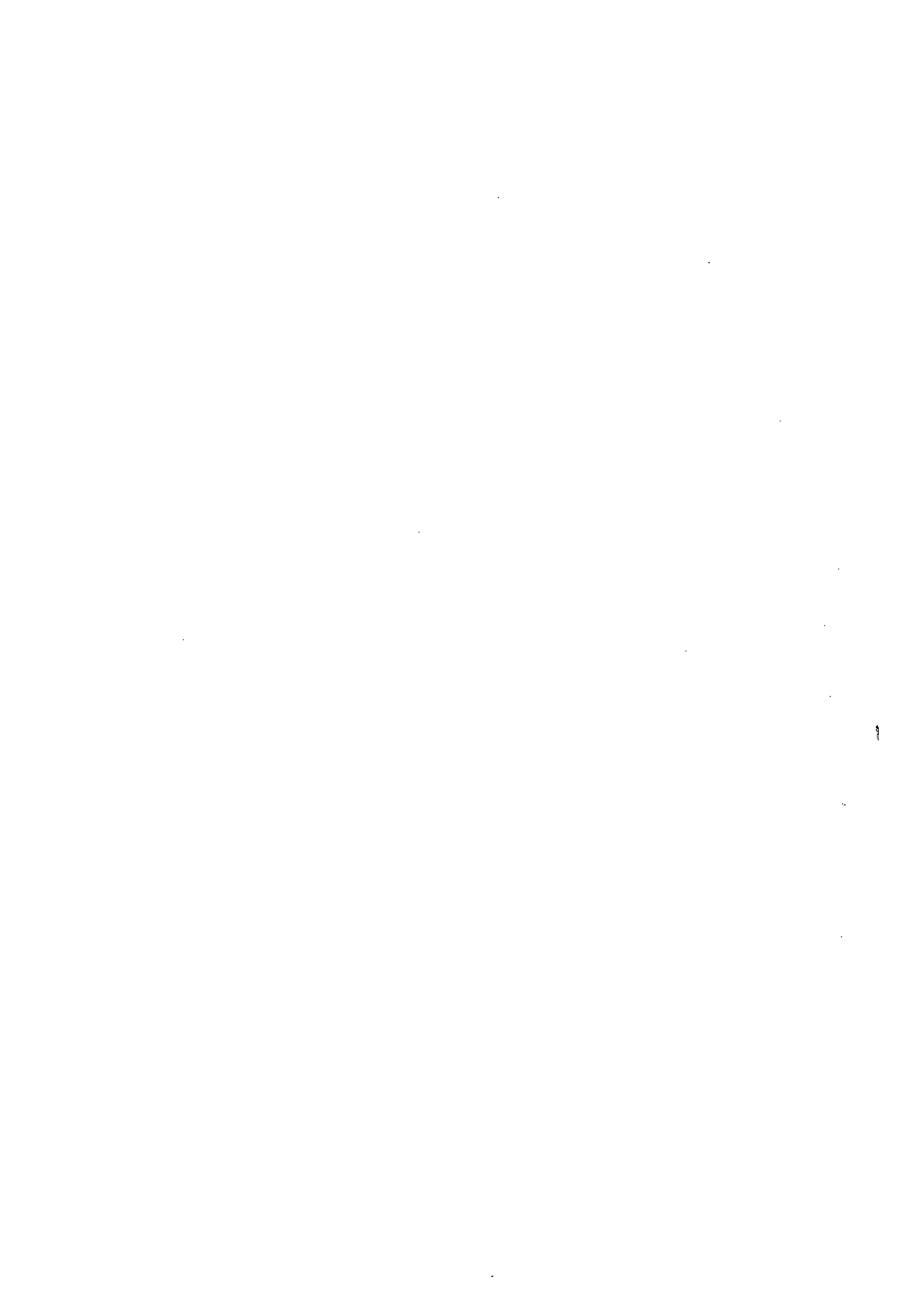
– وإلى قادة الفكر ورجال المنبر المسيحي.

– وأخيراً أهديه إلى أسرتي المحبوبة التي توازرني دائماً بالصلاة والمحبة المثمرة بغير حدود. وإلى كل من يحب الرب يسوع المسيح الذي جاء إتماماً لنبوات العهد القديم (الكتب المقدسة).

مصلياً أن يستخدم الله لمجده وامتداد ملكوته، هذا المجهود المتواضع أمام بركات نعمته في الكلمة الحية المقدسة التي لا يُعبَّر عنها.

له المجد والعظمة والقدرة والسلطان من الأزل وإلى الأبد. آمين.

المؤلف



مقدمة الدار

هذا الكتاب هو أول كتاب يقدم لقارئ العربية دراسة شاملة لأسفار العهد القديم.

فيشرح مفهوم كل سفر ويذكر كاتبه وزمن كتابته وأهم ما ورد به من أحداث، مما يساعد الدارس المتخصص أو غير المتخصص على التعمق في دراسة كلمة الله.

لقد بذل الكاتب جهداً كبيراً على مدى اثنتي عشرة سنة ليقدم لنا هذه الدراسة الجديدة التي كانت تنقص – ولاشك – مكتبتنا العربية.

ونثق أنه سيكون سبب بركة للدارسين.

دار الثقافة

محتويات الكتاب



ترتيب الأسفار المقدسة
بحسب اللغة الأصلية (العبرية)

תורה
توراة موسى

التكوين	בראשית
الخروج	שמות
اللاويين	ויקרא
العدد	במדבר
التثنية	דברים

נביאים ראשונים
أنبياء أولون

يشوع	יהושע
القضاة	שופטים
صموئيل الأول	שמואל א'
صموئيل الثاني	שמואל ב'
الملوك الأول	מלכים א'
الملوك الثاني	מלכים ב'

נביאים אחרונים

أنبياء آخرون

إشعياء	ישעיה
إرميا	ירמיה
حزقيال	יחזקאל
هوشع	הושע
يوئيل	יואל
عاموس	עמוס
عوبديا	ע ובדיה
يونان	יונה
ميخا	מיכה
ناحوم	נחום
حبقوق	חבקוק
صفنيا	צפניה
حجي	חגי
زكريا	זכריה
ملاخي	מלאכי

כתובים

الكتوبيم (الكتابات المقدسة)

المزامير	תהלים
الأمثال	משלי
أيوب	איוב
نشيد الأنشاد	שיר השירים
راعوث	רות
مراثي إرميا	איכה
الجامعة	קהלת
أستير	אסתר
دانيآل	דניאל
عزرا	עזרא
نحميا	נחמיה
أخبار الأيام	דברי הימים

مقدمة عامة

العنوان: « الكتب المقدسة»

يُعد بولس الرسول أول من أطلق هذه التسمية بالروح القدس على الأسفار المعروفة بالعهد القديم وذلك في رسالته الثانية إلى تلميذه تيموثاوس، مخاطبا إياه: «وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع» (٢تي ٣ : ١٥). لأن أسفار العهد الجديد لم تكن قد اكتملت بعد ، كما سنرى بالتفصيل .

والمعروف لدى الباحثين أن ميليتس Melito أسقف ساردس، هو أول من أطلق تسمية العهد القديم على هذه الأسفار المقدسة وذلك عام ١٨٠ م.

أما التسمية في الأصل العبري لهذه الأسفار المقدسة فجاءت في ثلاث كلمات:

توراة .

أنبياء .

وكتوبيم (كتب أو / مزامير) .

وقد أقرّ رب المجد هذا التقسيم؛ الذي ظهر في حديثه مع تلميذي عمواس (لوقا ٢٤ : ٢٧) وباقي الرسل (لوقا ٢٤ : ٤٤).

موضوعات الكتاب : يضم هذا الكتاب :

١- دراسة موسعة عن قانونية الكتب المقدسة وأسلوب الكتابة والمخطوطات القديمة والعديدة، والتراجم، والترجمات الأولية بلغات مختلفة .

٢- مقدمة لكل سفر عن الكاتب وزمن الكتابة، وبعض الدراسات النقدية والفكر التحرري وموقف علماء الكتاب المقدس والرد عليها، وموقف علماء الآثار والحفريات . ثم الموضوعات الأساسية للسفر ورسالته التعليمية .

الكتب المقدسة (العهد القديم) كتاب الكنيسة

كما هو واضح لدى الباحثين فقد استغرقت كتابة هذه الأسفار المقدسة ما يقرب من ألف عام . بدءاً من موسى النبي في القرن الثالث عشر ق.م تقريبا، إلى زمن كتابة الجزء الأخير من سفر زكريا (٨ - ١٤) أو سفر ملاخي ، في أواخر القرن الرابع ق.م تقريبا.

وقد تأسست الكنيسة الأولى على هذه الأسفار المقدسة ولعدة قرون، حتى ظهور العهد الجديد وإمكانية تداوله بين شعب الكنيسة. والذي استغرقت كتابته ما يقرب من نصف قرن من الزمان. أي ما بين عام ٦٠ م زمن كتابة إنجيل مرقس - ١٠٠ م . زمن كتابة سفر الرؤيا.

ويشير وليم بركلي[1] بأن أول قائمة لأسفار العهد الجديد كما هي بين أيدينا، ظهرت في رسالة القيامة «التاسعة والثلاثين» لأثناسيوس عام ٣٦٧ م. بمعنى أن العهد الجديد استغرق ما يزيد عن ثلاثة قرون حتى يظهر في صورته الحالية .

---

(1) William Barclay, the Making of th Bible, bible Guides, Edited by W.Barclay and F.F.Bruce. (London: Lutterworth, 1967).

ولفترة طويلة لم تكن لدى الكنيسة أية أسفار مقدسة غير ما أطلق عليه بواسطة ميليتس «العهد القديم».

وأكتفت الكنيسة بهذه الأسفار ولم تشعر بحاجة ماسة أو ضرورية إلى أية أسفار أخرى .

ويشير الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس قائلا «إلى أن أجيء أعكف على القراءة والوعظ والتعليم» (١تي ٤ : ١٣) . كما جاء الوعد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها» (رؤيا ١ : ٣). إنها دعوة وحث على قراءة الكتب المقدسة والتعليم بها .

ويتساءل كثيرون لماذا كان التأخير في ظهور العهد الجديد على ما هو عليه الآن ولاستخدامه بواسطة العامة من الشعب في القرون الأولى ؟ ويجيب علماء العهد الجديد وفي مقدمتهم وليم باركلي W. Barclay وميتسجر B. Metzger وآخرون.

١- بأن الكنيسة الأولى شعرت بكفايتها في الكتب المقدسة (العهد القديم) ... ألم تتضمن كل النبوات والتعليم عن الرجاء والإيمان في الرب؟ ألم يتجسد هذا في شخص يسوع المسيح ؟!! لقد تحقق فيه كل رجاء منتظر . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى، الإمكانيات المتواضعة التي كانت لشعب الكنيسة الأولى في القرون الأولى والنفقات الكبيرة لكتابة الأناجيل .

٢- كان الأسلوب المتبع في فلسطين في ذلك الوقت ، هو نقل المعرفة شفاها وحفاظها غيبا بدلاً من تداولها كتابة.

٣- كانت الغالبية الساحقة من المسيحيين الأوائل تنتمي إلى أوساط غير متعلمة . وهذا وضح في كتابات بولس الرسول « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد . ليس كثيرون أقوياء. ليس كثيرون شرفاء» (١كو ١:٢٦). بالإضافة إلى رسل المسيح يسوع الذين كانوا بمثابة أسفار أو كتب Living Books .

إذ كان الرسل هم شهود العيان ، فلا حاجة إلى السجلات المكتوبة. ويروي أحدهم قائلا « كان الله يكتب الإنجيل على قلوب المعتمدين للإيمان . وكانت الرسالة تتناقل عن طريق الأشخاص أكثر سرعة من الصفحات المطبوعة على ورق».

٤--من الأمور التي أسهمت في تأخير كتابة أسفار العهد الجديد وعطلت تداوله بين الناس، هو الاعتقاد السائد بين المسيحيين بقرب مجيء المسيح ثانية . وقد توقع المسيحيين مجيء الرب ثانية في أية لحظة . كما وضح هذا الاعتقاد عند بولس الرسول نفسه كما يرى أحد علماء العهد الجديد . والذي ظهر في كتابات الرسول بصورة جلية «فأقول هذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مُقصّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم... والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧:٢٩-٣١). واعتقد الناس بأنهم يعيشون في عالم غير مستقر. وربما لا يدوم أكثر من بضعة أيام أو ساعات.

وفي وقت كهذا تصبح الكتب فيه بلا جدوى وبلا منفعة ومن يعيش حتى يقرأ ؟!!

إن الاعتقاد بقرب مجيء الرب ثانية جعل الناس ينصرفون عن الاهتمام بالكتابة ونشر الكتب التي هي لا شيء، وبلا قيمة أو وزن عندهم.

تلك هي الظروف والمواقف كما يلخصها لنا علماء العهد الجديد، التي أعاقت وأجّلتْ تداول الكتابات المسيحية المقدسة بعد كتابتها من الأصول .

لكن بمرور الزمن بدت الكتابات المسيحية (العهد الجديد) هامة جداً وللغاية .

إدراك الكنيسة المسيحية الحاجة الماسة لأسفار العهد الجديد

شعرت الكنيسة الأولى بعد قرنين من الزمان، بحاجتها إلى الأناجيل والرسائل، للدفاع عن إيمانها أمام اليهود. ومن دراسة سفر أعمال الرسل، يدرك المرء إن الكنيسة تأسست على القيامة. وحقيقة القيامة تعد الكوكب المنير والمتلألأ في فلك المسيحية.

القيامة التي كان الصليب سابقاً عليها. والحاجة هنا تكمن في معرفة قصة الصليب وما تم فيه. وقد ضمت الأناجيل الأصحاحات المطوّلة التي تحكي قصة الصليب وما تم في الصليب.

والصليب والقيامة هما أساس الديانة المسيحية القويم والمتين . أما بالنسبة لليهود فالاعتقاد بمسيح مصلوب يعد أمراً مرفوضاً ولا يمكن القبول به « لأن المعلق على خشبة، ملعون من الله » (تث ٢١:٢٣، غلاطية ١٣:٣).

وحتى يدافع المسيحي عن نفسه أمام اليهودي، يجب أن يكون لديه الإنجيل المكتوب الذي يتحدث شاهداً عن قصة يسوع المسيح المصلوب والمقام من الأموات من البداية إلى النهاية . الإنجيل الذي هو بمثابة التاريخ الموثق بشهود العيان والخاص بقصة الفداء بيسوع المسيح. كما أنه أيضاً إتمام للنبوات. لذلك صارت الحاجة ملحة إلى أنجيل مكتوب يستخدمه العامة من الشعب كحجة ودفاع عن الإيمان المسيحي أمام جماعة اليهود. لأن يسوع المسيح هو مثالهم والنموذج الحي لحياتهم في مواجهة مشاكل ومصاعب الحياة . الذي سبق وأعلنهم قائلاً «في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم». «وفيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين».

فلماذا يدعو يسوع إنساناً إلى إحتمال الألم ، إن كان لم يتألم ؟ وعندما تشتد الحياة على الإنسان ، عليه أن يتذكر هذه الحقيقة و كيف واجهها يسوع ؟

والإنجيل المكتوب كنز ثمين وعون وقت الشدة. وبصفة خاصة وقت أن كانت الكنيسة ترزح تحت نير الاضطهاد . حيث صار الإنجيل عاضداً ومشدداً، ومقوياً للإنسان المسيحي في مواجهة تحديات الرومان واليونانيين وقد وضحت أهمية وضرورة دراسة الإنجيل في البيت والعمل، حيث يجد فيه المرء نبع سعادته وبهجته، ورجاءً في مواجهة تجارب الحياة والإنتصار عليها . لذلك ظهرت الحاجة الماسة في القرون الأولى لكتابة ونشر الإنجيل بين المسيحيين الأولين **بجانب الكتب المقدسة التي تأسست عليها الكنيسة الأولى؛ أسفار العهد القديم القادرة أن تُحكّم الإنسان للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع (قارن أيضا ٢تي ١٥:٣).**

محبة الله لإسرائيل.. ومن هو إسرائيل الكتب المقدسة ؟

إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الذي قطع معه الله عهداً، قائلاً: **«وتتبارك في نسلك جميع قبائل الأرض»** (تك ١٧:١-٨). وجدد الله هذا العهد في ابنه إسحق (قارن تك ٢٦:١-٦). كما جدد الله عهده مع يعقوب ابنه (تك ٢٨: ١٠-١٥)، لأجل إبراهيم وإسحق أبيه. وغيّر الله اسمه من يعقوب إلى إسرائيل (تك ٣٢: ٢٨). وصار إسرائيل شعباً وباركهم الله لأجل إبراهيم وإسحق ويعقوب. وأقام الرب معهم عهداً في سيناء بعد أن أخرجهم من أرض مصر أرض العبودية والقهر. حيث نادى الرب موسى من الجبل قائلاً : «هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل. أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ . **فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض . وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة »** (خروج ١٩ : ٤ - ٦) .

لقد أحب الله إسرائيل كشعب وقطع معهم عهداً مشروطاً **«إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي»**. إن هدف الرب من خلاصه لشعبه إسرائيل أن تكون مملكة كهنة، وأمة مقدسة، خاصة له. حتى تشهد إسرائيل لإلهها بأن الرب الذي

خلصها ودعاها لتكون بركة لأمم الأرض من أقصاها إلى أقاصيها. فتأتي بهذه الشعوب الوثنية إلى الرب الإله خالق السموات والأرض وتتعبد شعوب الأرض للإله الحي «أنتم شهودي يقول الرب ... أنا أنا الرب وليس غيري مخلص ... أنا الرب قدوسكم ... الجاعل في البحر طريقاً وفي المياه القوية مسلكاً» (أش ٤٣: ١٠-١٦)، «فأنتم شهودي. هل يوجد إله غيري ... مَنْ صوّر إلهاً وسبك صنما لغير نفع ... يَخُرُّ له ويسجد ويصلي إليه ويقول نجني لأنك أنت إلهي» (قارن إش ٤٤: ٨-٢٠، ٢٤).

ما أجلّ هذه الرسالة وما أمجدها ، أن يكون شعب الرب بركة عظمى لبقية الشعوب البعيدة عن الرب الإله الحي الحقيقي وحده ، خالق السموات وما فيها والأرض وما عليها .

محبة الله هي لكل الأمم وممالك الأرض

لم تقتصر محبة الله على إسرائيل وحدها . فقد أحبها واختارها لتكون له شعبا أخص ، لتشهد لاسمه القدوس كما سلفت الإشارة .بل **شملت محبة الله كل الشعوب**. كيف لا وهي صنعة يديه . لأن طبيعته هي المحبة . المحبة المقدسة والعادلة . المحبة التي لا تعرف الظلم ولا تحابي الوجوه (أع ١٠ : ٣٤ - ٣٥) .

منذ الأزل وإلى الأبد هو إله المحبة والإحسان والمراحم (قارن تك ٣ : ٢١ ، ٤ : ١١ - ١٥) .

ولم تكن إسرائيل أول أمة أحبها الرب واختارها لخدمته .فقد سبقتها شعوب وقادة خدموا الرب بأمانة، تجاوباً مع محبة الله ورحمته .

وفي هذا المقام نذكر **ملكي صادق** الذي كان ملكاً وكاهناً لله العلي . ملك شاليم ، المدينة المجاورة لشكيم ، وكما يرجح البعض أيضاً ، بأنها المدينة التي صارت أورشليم فيما بعد . كما كان ملكي صادق «الذي يَعني اسمه في العبرية ملك البر » كاهناً لله العلي ، بلا أب أو أم في الكهنوت لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة . إذ لا يُعرف متى وُلد كما لا يُعرف متى انتهت حياته من هذا العالم (تك ١٤ : ١٩ - ٢٠ ، عب ٥ : ٦ - ١١ ، ٧ : ١ - ٣).

أظهر الله لطفه وإحسانه إلى أبيمالك حيث جاءه في حلم الليل وحذّره من الزواج بسارة زوجة إبراهيم . ومنعه الله عن ارتكاب الخطيئة . لأنه بسلامة قلب أخذ سارة ليتزوج بها (تك ٢٠ : ١ - ٧) .

ويثرون كاهن مديان . كان يعبد الرب مع شعبه ويكهن لهم . إنه يثرون الذي تهلل بخلاص الرب لشعبه إسرائيل من أرض الذل والعبودية . وبارك الله وقدم ذبائح . وأقام وليمة فاخرة لموسى . « وجاء هرون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاما مع حمى موسى أمام الله » (خروج ١٨ : ٩ - ١٢) .

بالإيمان **راحاب** الزانية أيضاً لم تهلك مع العصاة إذ قبلت الجاسوسين بسلام (عب ١١ : ٣١) . لقد تبررت بإيمانها في الرب وهي الأممية ، الأجنبية عن رعوية إسرائيل . لقد آمنت بالرب الذي يبّس مياه بحر سوف قدام إسرائيل عند خروجه من مصر ، دون أن ترى شيئا مما سمعت . وأعلنت إيمانها أمام المستكشفين بأن الرب هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت . فقد صارت بإيمانها ضمن رعوية شعب الله (قارن يع ٢: ٢٥ ، يش ٢ : ٩ - ١٢) .

وماذا عن **راعوث التي أتت من موآب** وصارت ضمن شعب الله بإيمانها فيه . وقد تجلى هذا الإيمان في حديثها مع حماتها نُعمى قائلة لها « لا تُلحي عليَّ أن أتركك وأرجع عنك لأنه حيثما ذهبتِ أذهب وحيثما بتِ أبيت . شعبك شعبي وإلهك إلهي . حيثما متِ أموت وهناك أندفن ... إنما الموت يفصل بيني وبينك » (راعوث ١ : ١٦ - ١٧) وقد قبلها الرب وباركها (قارن راعوث ٤:١٣ - ١٤ ، ١٧ ، ٢٢ ، قارن إنجيل متى ١ : ٥ - ٦) .

يتضح مما سبق أن محبة الله منذ القديم ، تضم كل الشعوب والممالك . وكل من يقبل إليه ويُؤمن به يتمتع بهذه

المحبة الغافرة الغامرة .

أليس هو إله **نعمان السرياني** (السوري) الذي آمن بالرب وتحقق له الشفاء التام من خلال كرازة أليشع نبي الله (٢مل ٥: ١٥-١٧).

وقد ظهرت محبة الله **لشعب نينوي** (عاصمة أشور) عند رجوعهم عن طريقهم الردئية لأنهم تابوا بمناداة يونان. فأظهر لهم الله لطفاً ورحمة بدلاً من العقاب والدمار. (يونان ٣: ١٠) «إنه إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر» (يونان ٤: ٢ ب) .

قارن أيضاً ما جاء عن داريوس الملك المادي ، الذي كان واثقاً في خلاص الرب لدانيآل صديقه الحبيب. الأمر الذي دفعه بأن يختم الجب بخاتمه وخاتم عظمائه. لئلا يتغير القصد في دانيآل بأن يُرجم بالحجارة مثلا ، ويُقتل من المفترين عليه (راجع دانيآل ٦: ١٦، ٢٠، ٢٥، ٢٧).

من هذا يدرك المرء أن الإسرائيلي الذي كان يحفظ شريعة الرب ويعيش حياته بأمانة مع إلهه ، كان بمثابة طريق نجاة وبركة لغيره من ملوك وشعوب الأرض حتى تؤمن بالإله الحي إله إسرائيل خالق السموات والأرض.

ويخاطب الرب شعبه قائلاً « ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب . ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير » (عاموس ٩ : ٧ ، قارن أيضاً إش ٢٩ : ٢٤ - ٢٥) .

إنه الإله البار المخلص الذي يوجه دعوته لكل الشعوب على فم نبيه إشعياء «**التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر**» (إش ٤٥ : ٢١ - ٢٢). «إنه لي تجثوا كل ركبة، يحلف (يسجد / يتعبد) كل لسان » (٤٥: ٢٣).

ويتحدث الرب وبوضوح كامل عن أبناء الغريب الذين ليسوا من إسرائيل « هكذا قال الرب احفظوا الحق وأجروا العدل » ... ولا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلاً « لقد أبعدني الرب من شعبه » لإنه هكذا قال الرب «عن أبناء الغريب الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي . إني أعطيهم يقول الرب في بيتي وأسواري نُصُباً واسماً أفضل من البنين والبنات . **أعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع ... وتكون ذبائحهم مقبولة على مذبحي ، لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب** » (إش ٥٦ : ٣-٧). الأمر الذي أكده الرب يسوع المسيح بأن امتدح إيمان المرأة الكنعانية (مت ١٥: ٢٨) وإيمان قائد المئة (مت ٨ : ٨- ١٣، قارن أيضاً مت ٢١: ٤٣).

لقد كانت رسالة إسرائيل من الرب كما يرى علماء الكتاب المحافظين **هي أن تعلن وتخبر بمجد الرب بين الأمم، لأن لهم إخوة بين هذه الشعوب** (إش ٦٦: ٢١). «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم. وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم. قال رب الجنود» (ملاخي ١: ١١).

والكتب المقدسة (العهد القديم) هو كتاب الكنيسة المسيحية. وكما يرى أرنولد ب. رودس Arnold B. Rhodes إنه كتاب الله لشعب الله في كل زمان ومكان. حتى يتقي الإنسان إلهه ويخشاه من القلب. عاملاً كل ما هو حق وجليل وعادل. لمجد الله الآب بيسوع المسيح الذي اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.

الباب الأول



الفصل الأول

هل من تعاليم عن النعمة في العهد القديم؟
وتساؤلات عديدة....

يردد الكثيرون القول: نشكر الله لأننا في عهد النعمة، لسنا بعد تحت الناموس، نحن في العهد الجديد لا في العهد القديم، العهد البائد. ويحاولون تطويع الآيات والكلمات لإثبات إتجاههم الفكري هذا. وربما تستخدم هذه العبارات أحياناً في العمل الفردي وأسلوب تقديم الرب يسوع إلى الخطاة حتى يُقبلوا إلى التوبة ويدخلوا إلى ملكوت السموات هنا والآن .

وأي ناموس يقصدون ؟ هل هو الناموس الطبيعي؟ أم الناموس الطقسي؟ أم الناموس الروحي؟ أم الناموس الإجتماعي الذي ينظم العلاقات الإنسانية؟ وتصعب الإجابة المحددة هنا. وهل تعامل الله مع الإنسان بالناموس في زمن معين ؟ ومتى؟ وهل تبرر موسى نفسه كليم الله بإتمام الناموس حتى أنه صار مستحقاً أن يظهر مع رب المجد على جبل التجلي؟ ومن في العهد القديم تقدم إلى الرب ونال رضاه وقبولاً لديه ببر الناموس؟ ومن أين لنا هذا التعليم الذي انتشر بصورة واضحة وجلية؟

في هذه الدراسة نحاول أن نلقي بعض الضوء على بعض هذه التساؤلات والمعضلات، وسنحاول قبل ذلك أن نستعرض بإيجاز الخلفية التاريخية لهذه الأفكار.

ففي عام ١٤٠م خلال القرن الثاني الميلادي ظهر إنسان يدعى مارسيون Marcion وبدأ يعلم بأن إله العهد القديم يختلف عن إله العهد الجديد . لأن إله العهد القديم في نظره إله الغضب والنار، إله مخيف مرعب. وألقى مارسيون بالعهد القديم جانباً وكتب الكثير في هذا المجال الهادم، وطُرِد من الكنيسة في روما عام ١٤٤م. وتأثر بفكر مارسيون نفر قليل، وبدأوا في نشر أفكاره، وبصفة خاصة أدولف هارنك Adolph Harnack الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر. وأضاف الكثير إلى أفكار أستاذه مارسيون Marcion . وأخذت الأفكار في الهبوط والصعود مختلطة بأفكار فلاسفة تلك الفترة أمثال هيجل. وبدأ صوت كارل بارت Karl Barth وآخرين يُسمع في كل أوربا ، وصارت حالة الكنيسة أفضل مما كانت عليه أيام مارسيون.

وفي الوقت الذي يدّعي فيه مارسيون أنه لا علاقة بين العهد القديم والعهد الجديد، يؤكد بولتمان Bultman بأنه توجد علاقة كبيرة، وهي أن العهد القديم يساعدنا على فهم وإدراك نعمة الله في العهد الجديد. وحتى يمكنني فهم العهد الجديد ينبغي أن أدرس العهد القديم. كما أن العهد الجديد في نصوص عديدة منه يعد تفسيراً للعهد القديم.

تسمية العهد القديم

تطلق هذه التسمية «العهد القديم» على الأسفار التسعة والثلاثين من تكوين إلى ملاخي. وأول من أطلق هذه التسمية هو ميليتس أسقف ساردس عام ١٧٠ ميلادية في أواخر القرن الثاني. أما عن التسمية «العهد الجديد» فقد أطلقها ترتليان عام ٢٠٠ ميلادية على الأناجيل والرسائل متضمناً أعمال الرسل وسفر الرؤيا.

إلا أن التسمية في الأصل العبري للأسفار من تكوين إلى ملاخي هي: توراة - أنبياء - كتب (كتوبيم) . وهذه

التسمية وهذا التقسيم أقره رب المجد يسوع وأكده (قارن لوقا ٢٤:٢٧، ٤٤، ٤٥). أما القديس بولس فقد أطلق على هذه الأسفار بالروح القدس «الكتب المقدسة» (٢تي ٣:١٥، ١٦) إذ يخاطب تلميذه تيموثاوس قائلاً : «وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة (أسفار العهد القديم) القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان في المسيح يسوع». وفي عدده ١٦ «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر». والهدف في عدد ١٧ «لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح». وأي كتب مقدسة يشير إليها بولس الرسول ؟ وأي كتاب يقصد بالقول: كل الكتاب هو موحى به من الله؟ إذا سلمنا بأن هذه الرسالة كتبت ما بين عام ٦٢ - ٦٤ ميلادية نخلص من ذلك أن العهد الجديد لم يكن قد ظهر بعد ، وهذه الكتب المقدسة (أسفار العهد القديم) . كما يشير الرسول بولس «هي القادرة أن تحكم للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع». وفي (٢تي ١:٥) يخاطبه بالقول أيضاً «إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً».

وكما ذُكِر سلفا، إننا نحاول هنا إستعراض بعض المعضلات التي يثيرها الكثيرون اليوم كما في الأمس للتفرقة بين العهد القديم والعهد الجديد. محاولين الرد عليها بالدراسة والتحليل الكتابي.

أولى هذه المعضلات أن الله في العهد القديم يختلف عن العهد الجديد، إذ جاء في سفر التكوين أن الله نظر إلى هابيل وقربانه لأنه قدم من أبكار غنمه ومن سمانها، أما إلى قايين وقربانه الذي قدمه من ثمار الأرض فلم ينظر . فاغتاظ قايين وحمي غضبه وامتلأ حقداً وكراهية وقام وهمَّ بقتل أخيه هابيل انتقاماً منه. وهنا يأتي السؤال : لماذا نظر الله إلى هابيل وقربانه وإلى قايين لم ينظر؟ هل لأنه قدم من ثمار الأرض ولم يقدم ذبيحة كما يعتقد البعض ؟ ومن أين له الذبيحة إن لم يكن راعياً؟ وهل كان الرب في حاجة إلى أن يُروى ظمأه بقطرات دم ذبيحة من هابيل ؟

إن الله لا ينظر إلى العينين بل ينظر إلى القلب (١صم ١٦:٧) ولا يفرق بين إنسان وإنسان بحسب تقدماته له . بل نجد الإجابة الواضحة في الرسالة إلى العبرانيين، وهي أن الله قبلَ ذبيحة هابيل ولم ينظر إلى قايين وقربانه لأن هابيل قدمها بإيمان «بالإيمان قدم هابيل ذبيحة أفضل من قايين فبه (بالإيمان) شُهِدَ له أنه بار إذ شهد الله لقرابينه وبه (بالإيمان) وإن مات يتكلم بعد» (عب ١١:٤). وهنا تتضح الأفضلية في التقديم «وبدون إيمان لا يمكن إرضاء الله» (عب ١١:٦) .

والجدير بالإشارة أن العهد القديم (الكتب المقدسة) لا يُعَلِّم بالذبائح والتقدمات أو المحرقات كما يحسب قوم ذلك . إذ لنا في العهد القديم نصوصاً لا تشجع على الإقتراب إلى الرب بالذبائح والمحرقات (قارن ١صم ١٥) . وفي المزامير يردد الرب قوله على فم المرنم «إن جعت فلا أقول لك لأن لي المسكونة وملأها . هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس!» . ثم يشير على الإنسان أن يتقدم بحالة أفضل فيقول «اذبح لله حمداً وأوف العلي نذورك (عهودك)» . ويكمل قائلاً للإنسان « وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مزمور ٥٠:١٢-١٥).

ويتساءل المرنم مؤكداً ذات الحقيقة «لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها بمحرقة لا ترضى» . وعن الذبائح المقبولة لدى الله يقول «ذبائح الله هي روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق يا لله لا تحتقره » . ويُعلِّم بأن ذبيحة البر في ذاتها تعد محرقة وتقدمة غير ناقصة في شيء بل هي تامة وكاملة (مزمور ٥١:١٦-١٩). ومسرة الرب هي بذبائح البر الذي يتحقق للإنسان بالإيمان والقلب المنكسر والروح المنسحق. عندئذ يحق للإنسان بعد ذلك أن يُصعد على مذبح الرب عجولاً (العدد ١٩).

معضلة ثانية : وردت في سفر الخروج، هذه الكلمات عن الله؛ بأنه مفتقد إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع (خروج ٣٤:٧) الأمر الذي يعد مختلفاً كثيراً عن الله في العهد الجديد وأنه إله المراحم والإحسان

وكل رأفة. ويجيب علماء الكتاب مؤكدين أن الله في العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد إله الرحمة والرأفة وطول الأناة الممتليء محبة نحو الإنسان. وبالرجوع إلى الأعداد السابقة لهذا العدد (خروج ٣٤:٦ب -٧) نقرأ هذه الكلمات : «الرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف» . أما عن الجزء الثاني من العدد السابع والذي يشكل معضلة في فهمه (مُفتقد إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء ...) وما ذنب الأبناء؟! وبالدراسة المتعمقة لكلمة الرب نجد أن لا ذنب على الأبناء ولا أبناء الأبناء من جراء أفعال والديهم أو أجدادهم، ولا يجب أن نبني عقيدة على كلمات من الأجدر أن نفهم معناها في سياق النصوص الكتابية الأخرى.

جاء في سفر التثنية (ضمن أسفار التوراة) الكلمات «لا يُقْتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يُقتل» (تث ٢٤:١٦، أيضاً قارن ٢مل ١٤:٦، ٢أخ ٢٥:٤، حزقيال ١٨:٤، ٢٠). وكيف التوفيق بين هذين النصين وكاتبهما شخص واحد؟ وهل هناك تناقض بين كلمات موسى في هذين السفرين؟

يجيب ڤون راد G. Von Rad العالم والباحث المدقق وآخرون معه بأن الله يفتقد إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء في هذه الحياة الأرضية فقط. فالإنسان الشرير لا يورّث أولاده إلا كل عوز وفقر ومرض. كما يخبرنا الأطباء المتخصصون عن العديد من الأمراض التي يولد بها الأطفال أحياناً ثمرة انحراف والديهم قبلاً.

وفي هذا الصدد يتكلم الرب على فم النبي حزقيال في أرض السبي «كل النفوس هي لي نفس الأب كنفس الابن كلاهما لي. النفس التي تخطئ هي تموت» (حز ١٨:٤). وفي هذا يقول والتر إيكرودت W. Eichrodt رغم أنه في استطاعة الله ومن سلطانه أن ينتزع الحياة من الإنسان كما منحه إياها وأن يضع الابن عوضاً عن أبيه في المحاكمة، إلا أنه لا يفعل ذلك لأن من طبيعته العدل والبر.

ويدخل الرب في حوار مع الإنسان لكي يريحه من كل جانب ويطمئن قلبه ولا يجعله يقلق من جهة هذا الاعتقاد الذي كان سائداً في تلك الفترة بين شعوب الديانات الوثنية والحضارات القديمة قبل إسرائيل. وحتى يمكن للإنسان أن يواجه الحياة بتفاؤل وإشراقة أمل تكلم الرب على فم حزقيال لينادي بهذه الكلمات «لا يقولون فيما بعد هذا المثل: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست». ثم يدخل الرب في حوار هاديء مع الإنسان فيقول «وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب. أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً وحفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياة يحيا. النفس التي تخطيء هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون. فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا، لا يموت. كل معاصيه التي فعلها لا تُذكر عليه».

ويتساءل الرب مؤكداً إحسانه ولطفه نحو الإنسان الشرير حتى يرجع إليه قائلاً : «هل مسرة أُسَرُّ بموت الشرير يقول السيد الرب؟ ألا برجوعه عن طرقه فيحيا»!

نعم إن الرب لا يسر بموت الشرير (حزقيال ١٨:١-٤ ؛ ١٩-٢٤).

هذه الحقيقة نفسها أوضحها رب المجد يسوع المسيح في مَثل الابن الذي ترك بيت أبيه لعله يحقق ذاته وطموحاته (لوقا ١٥:١١-٣٢). وتظهر فرحة الأب برجوع هذا الابن العاق إلى البيت ثانية . « ألا برجوعه عن طرقه أُسَرُّ فيحيا يقول الرب».

معضلة ثالثة: يثيرها الكثيرون بأن الله في العهد القديم أحب إسرائيل وحدها دون بقية شعوب الأرض كلها، لكن الله في العهد الجديد أحب العالم كله. وهذا غير وارد في الكتب المقدسة (العهد القديم)كما يؤكده لنا علماء الكتاب المتخصصون. إذ لم يحدث في عصر من العصور أن أحب الله شعباً دون آخر. ولماذا يفعل ذلك؟ هل عند الله محاباة؟ أليست شعوب الأرض كلها صنعة يديه؟ وكيف لخالق أن يبغض مخلوقاته؟ وانتشر الاعتقاد بأن الله أحب إسرائيل

دون سائر الشعوب، رغم وجود سفرين كاملين في العهد القديم يؤكدان عكس هذا الاعتقاد تماماً .

السفر الأول: سفر راعوث المرآبية التي تزوجت من بوعز. وبوعز ولَدَ عوبيد وعوبيد ولَدَ يسى، ويسى ولد داود ، ومن نسل داود جاء رب المجد في الجسد. وراعوث هذه لم تكن من إسرائيل بل أممية من موآب (وموآب هو ابن لوط) غير أن راعوث صارت إسرائيلية عندما اعترفت وأعلنت إيمانها أمام حماتها نعمي، التي ألحت عليها بأن تعود إلى أهلها بعد أن فقدت زوجها وابنيها. أجابت راعوث حماتها بهذه الكلمات : «لا تلحي عليّ أن أتركك وأرجع عنك ، لأنه حيثما ذهبت أذهبْ وحيثما بت أبيت. شعبكِ شعبي وإلهكِ إلهي حيثما مت أموت وهناك أندفن هكذا يفعل الرب (يهوه) بي وهكذا يزيد» . لقد آمنت راعوث التي أتت من موآب بإله إسرائيل (يهوه) الذي أعلن عن نفسه لموسى في العليقة في صورة ملاك بلهيب نار. والذي خلص إسرائيل من العبودية بآيات وعجائب ، وسار بهم على اليابسة وسط اللجج . الإله الذي كان يتقدمهم في عمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً . وهو يهوه (الرب) الذي عالهم أربعين سنة في البرية ودخل بهم أرض كنعان أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً .

فاختيار الله لإسرائيل كان لهدف محدد وهو إعلان هذا الإسم (أهيه/يهوه) لجميع الشعوب ، بواسطتهم ومن خلال حياتهم المقدسة . وأن يكونوا نوراً للأمم وشهوداً له (إشعياء ٤٩:١-٧ قارنه مع رومية ١٠ : ١٤ - ١٦ ، مع إش ٤٢ ،٤٣:١٢) . فيأتي الجميع إلى الرب ويعبدوه بأمانة ، بدلاً من عبادة البعل والعشتاروث والأصنام التي لها عيون ولا ترى ولها آذان ولا تسمع ولها أيدي ولا تعمل .

لكن إسرائيل تمردت وعصت الرب واعتقدت أن الرب (يهوه) اختارها لنفسه وأحبها دون سائر الشعوب ، لا لشيء إلا أنها تستحق هذه المحبة وهذه العناية. وعن إسرائيل يقول إشعياء النبي عن فم الرب : « طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم» (رومية ١٠:٢١ مع إشعياء ٦٥:٢).

السفر الثاني: الذي يؤكد محبة الله لجميع الشعوب وليس إسرائيل فقط هو سفر يونان. والذي فيه نجد نبياً إسرائيلياً يريد الهرب من وجه الرب حتى لا يقدم كلمة الله لشعب نينوى عاصمة المملكة الأشورية التي ظلت إسرائيل في أرضها سبعين سنة في السبي. ويذهب يونان إلى نينوى بطريقة معجزية تفوق إدراك البشر، ثم ينادي عليها وهو على مضض. ويستجيب شعب نينوى لكلمة الرب ويصفون إلى الله الحي في ندم وتوبة صادقة، ويقبل الرب توبتهم.

وهنا يحزن يونان النبي ويكتئب جداً حتى أنه طلب الموت لنفسه لأنه كان يتوق إلى اليوم الذي فيه يبيد الرب هذا الشعب بجملته . والرب يعلمه درساً عظيماً (راجع سفر يونان) ثم يجاوب يونان الرب قائلاً : « علمت (من دراستي للتوراة وخاصة خروج ٣٤ : ٦ - ٧أ) أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر » (لأجل هذا السبب) خذ يارب نفسي مني . الآن موتي خير من حياتي . هنا نلاحظ أن يونان يغتاظ جداً من رحمة الله ومحبته وإحسانه لأناس أشرار وليسوا من نسل إسرائيل تلك تعاليم هي من صلب العهد القديم.

وإذ ليس عند الله محاباة بين شعب وشعب، ومحبته لكل الشعوب، فمن أين التعليم أن الرب أحب إسرائيل وحدها في العهد القديم وأحب شعوب العالم كله في العهد الجديد. لقد أحب الرب شعب أشور مثلما أحب إسرائيل. أشور التي استخدمها الرب كعصا تأديب لإسرائيل المعاند والمقاوم. الأمر الذي جعل يونان يطلب الموت لنفسه .

إن الله في العهد القديم هو نفسه الله في العهد الجديد، وليس عنده تغيير ولا ظل دوران.

حقاً نحن في عهد النعمة. منذ البدء ونعمة الله هي منذ الأزل قبل كون العالم.

ويُشَبِّه أحد علماء الكتاب العلاقة بين العهد القديم (الكتب المقدسة) والعهد الجديد بالعلاقة بين الدستور والمحامي .

فالعهد الجديد يدافع عن قضية الخلاص مجاناً بالإيمان بالرب يسوع المسيح، مستنداً على ماورد في الكتب المقدسة (العهد القديم) بالقول : «لكي يتم المكتوب... لأنه مكتوب... ولكي يتم ما قيل بالنبي القائل ...» . ولا يخلو سفر في العهد الجديد من هذا التعبير. تلك لغة المحامي الذي يكسب قضاياه استناداً إلى المكتوب والمسطر في الدستور الذي يعمل به ، حتى تكون للتعليم سلطان وقوة.

كما تذكر أيضاً هزيمة إبليس أمام يسوع المسيح الذي هزمه بالمكتوب بالكتب المقدسة. المكتوب الذي هو أمضى من كل سيف ذي حدين (قارن مت ٤:٤، ٧، ١٠، مع تث ٣:٨، ١٦:٦، ١٣:٦).

الفصل الثاني
قانونية الأسفار المقدسة

بعد أثناسيوس (من آباء الكنيسة في القرن الرابع) أول من استخدم اللفظ «قانونية»- وهي الترجمة من الكلمة اليونانية من أصل بابلي قديم وتعني عصا طويلة ومستقيمة أيضاً للقياس. والتعبير «أسفار قانونية» يقصد به الأسفار الموحى بها من الروح القدس، والتي تعد نافعة للتعليم والبناء والتقويم.

والعهد القديم تسمية مسيحية للكتب المقدسة (٢تي ٣ : ١٥ - ١٦) وأول من استخدم التعبير «عهد قديم» هو ميليتس Melito أسقف ساردس عام ١٨٠م . وأول من استخدم تعبير العهد الجديد هو ترتليان عام ٢٠٠م . والمرجع الكتابي لهذه التسميات (إرميا ٣١ : ٣١ - ٤٣ ، لوقا ٢٢ : ٢٠ ، ١كو ١١ : ٢٥ ، عبرانيين ٨ : ١٠).

وأطلق اليهود على الكتب المقدسة : توراة ، أنبياء ، وكتوبيم (الكتب) ١- كتب التوراة : تكوين - خروج - لاويين - عدد - تثنية .

٢- أسفار الأنبياء : أ- أنبياء أولون ب- أنبياء متأخرون (آخِرون).

أ- الأنبياء الأولون : يشوع ، قضاة ، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، ملوك الأول، ملوك الثاني.

ب- الأنبياء الآخِرون : إشعياء ، إرميا ، حزقيال ثم الأنبياء الاثنا عشر (هوشع - ملاخي).

٣- الكتب (الكتوبيم) : مزامير ، أمثال ، أيوب ، نشيد الأناشيد (الأنشاد) ، راعوث ، مراثي إرميا ، جامعة، أستير ، دانيآل ، عزرا ، نحميا ، أخبار الأيام الأول ، أخبار الأيام الثاني.

والقانونية في اليهودية ٢٤ سفراً . هذا إذا دمجنا ١صم مع ٢صم ، ١مل مع ٢مل ، ١أخ مع ٢أخ ، وعزرا مع نحميا . واعتبرنا الأسفار الاثنى عشر (سفراً واحداً). غير أن مجموع الأسفار عند يوسيفوس هو ٢٢ سفراً إذ دَمَجَ راعوث بسفر القضاة ومراثي إرميا بسفر إرميا.

أما الترتيب المسيحي للكتب المقدسة فهو يتبع الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم) كما هو واضح في الكتاب المقدس الذي في متناول أيدينا. فالأسفار اليهودية (الكتب المقدسة أو العهد القديم) والأسفار في الترجمة السبعينية تختلف في الترتيب والعناوين فقط.

أما القانونية عند الكاثوليك والأرثوذوكس فهي تتضمن أسفاراً عرفت بالأبوكريفا عند البروتستانت ، وحسبها الكاثوليك والأرثوذوكس أسفاراً قانونية ثانية.

وترتيب السبعينية ناجم عن موضوعات الأسفار وأسلوب الكتابة (شعراً أو نثراً مثلاً) بالإضافة إلى حجم السفر ، فبعض الأسفار المسماة بأسفار تاريخية في السبعينية أطلق عليها اليهود أسفار الأنبياء الأول مثل يشوع وقضاة وصموئيل الأول والثاني، وملوك الأول والثاني، والتي تعد امتداداً لقصة التوراة من موت موسى إلى السبي البابلي (فترة تزيد عن ستة قرون) من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس ق.م.

واستخدام الاسم (أنبياء أولون) لهذه الأسفار يرجع إما لكاتبيها بوصفهم أنبياء أوائل، أو لأنها تتضمن تاريخاً عن حياة بعض أنبياء إسرائيل في وقت مبكر. وسفر راعوث يأتي بعد القضاة دليلاً على أن القصة حدثت زمن القضاة (١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م). وأسفار ١أخ و ٢أخ وعزرا ونحميا وأستير تعد امتداداً للتاريخ الإسرائيلي أيام

الحكم الفارسي (٥٣٩ - ٣٣٣ ق.م) .

وعناوين الأسفار في الكتب المقدسة العبرية عبارة عن كلمة أو كلمات إفتتاحية للسفر مثل « في البدء » لسفر التكوين، «هذه أسماء» لسفر الخروج .... إلخ. أما العناوين المسيحية فهي حسب الترجمة السبعينية لتصف مضمون السفر، الكاتب أو الشخصية الرئيسية التي يتحدث عنها السفر.

القانونية ولماذا هذه الأسفار بالذات

كما سلفت الإشارة أن القانونية العبرية هي مجموعة الأسفار المقدسة التي لها السلطان الإلهي للتعليم والتقويم . وجاء في قرارات مجمع الفاتيكان الثاني للكنيسة الكاثوليكية أن سلطان الكتاب المقدس ينبع أساساً من حقيقة أن الله هو كاتبه بالروح القدس بواسطة عبيده الأنبياء كما يُعَلِم بذلك الوحي المقدس (قارن عب ١ : ١) .

المراحل التي مرت بها قانونية الأسفار المقدسة

كما هو معروف لدى الباحثين أن كتابة الأسفار المقدسة (العهد القديم) استغرقت ما يزيد عن ألف عام، وكتابة أسفار العهد الجديد قد استغرقت ما يزيد على نصف قرن.

ويتساءل المرء هل كتابة الأسفار المقدسة التي بين أيدينا هي من الوحي الإلهي، أي بالروح القدس ؟ ويجيب الرسول بطرس على هذا قائلاً : «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم . عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بط١:١٩-٢١، قارن ٢صم ٢٣:٢، لوقا١:٧٠،أع١:١٦، ٣:١٨، ٢تي ٣:١٦).

وشهادة الرب يسوع عن الكتب المقدسة حيث أقرّ التقسيم العبري، بكلماته البينة في (لوقا ٢٤ : ٢٦) حيث كان يحادث تلميذي عمواس قائلاً لهما «أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده». ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب. وفي حديث الرب له المجد مع تلاميذه بعد قيامته قائلاً لهم: «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم إنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير (الكتوبيم) ».

كما أن علوم الآثار والإكتشافات العديدة القديمة والخاصة بشعب الرب القديم، تؤكد الأمور الواردة في الكتب المقدسة. كما أن معرفتنا يجب أن تنبع من المصادر التاريخية لهذه العصور. ومن مادة الأسفار التي وردت بها ، شهادة للأسفار الأخرى.

ومن هذه الإكتشافات لعلماء الآثار تلك المخطوطات التي عثر عليها عام ١٩٤٧م بوادي قمران (البحر الميت) والتي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد وإلى جماعة الأسينيين التي كانت تقيم إلى الشمال الغربي من شاطئ البحر الميت. وكان لهذه الجماعة نشاطها في إعادة كتابة الأسفار المقدسة والحفاظ عليها، والمداومة على دراستها. كما عُثِر على مقاعدهم والمنضدة التي استخدموها وأقلامهم ومحابرهم وجدت ومعها العديد من المخطوطات التي تضم أسفاراً وبعض أجزاء من الأسفار المقدسة. فقد عُثِر على سفر إشعياء بجملته الذي يُعد قيمة عظمى في حد ذاته وتأكيداً وتثبيتاً لصحة ما بين أيدينا. وأجزاء من سفر الجامعة يرجع تاريخ كتابته إلى عام ١٥٠ ق.م أي إلى عصر مبكر قديم. وأجزاء من سفري صموئيل يرجع إلى عام ٢٠٠ ق.م وجزء من اللاويين يرجع تاريخ كتابته إلى عام ٤٠٠ ق.م . كما عُثِر أيضاً على نسخ من أسفار التثنية والمزامير.

هذه المخطوطات جميعها تعد برهاناً على محبة وتقدير هذه الجماعة للكلمة المقدسة والاهتمام بها وهي الموحاة من

روح الله القدوس. ولهذه المخطوطات (قمران البحر الميت) قيمة تاريخية عظمى حيث أنها تشير إلى ما أوصى به الله عبده موسى وعبيده الأنبياء من تعاليم وشرائع وأحكام بروحه القدوس الساكن فيهم. لتكون دستوراً لحياتهم ولحياة شعبه المختار الذي أفرزه الرب لذاته ليكون بدوره بركة للشعوب الأخرى المحيطة حتى يتعرفوا عليه ويدركوا أنه الإله الحقيقي وحده خالق السموات والأرض وفاديهم الوحيد من كل الشرور.

مبدأ تقرير القانونية

يتساءل المرء ما هو أصل أو أساس قانونية الأسفار المقدسة (ع.ق)؟

والإجابة على هذا السؤال لا نجدها خارج الكتب المقدسة كما يرى الباحث والعالم ل. هاريس R.Laird . Harris

إن بداءة القانونية كما يرى ، تمتد إلى زمن موسى والسبعين شيخاً المعاونين له. إنه موسى الذي تحدث إليه الرب وجهاً لوجه، كما يُكلم الرجل صاحبه (قارن عدد ١١:٨، تث ٣٤:١٠). فلم يكن أساس وأصل القانونية قراراً مجمعياً، بل كان حديث الله إلى فرد هو موسى النبي كليم الرب. وهذا هو المفتاح للجواب الصحيح. والتوراة توضح بأن موسى كتب سفراً كما أمره الرب. ليكون سفر تذكار بالحروب وأسباب هذه الحروب وجاء به عهد الرب مع شعبه. كما جاء بالسفر الكلمات العشر والوصايا والأحكام الخاصة بالأعياد المختلفة ومعاملة الشعوب الأجنبية (خروج ١٧:١٤، ٣٤:٢٧، خروج ٢٤:٤-٧، ٣٤:٢٨) كما كتب موسى مخارج الشعب برحلاتهم حسب قول الرب (عدد٣٣:٢).

وجاء في سفر التثنية ما هو أثبت وأكثر وضوحاً. «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلاً : «حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم ... لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة» (تث ٣١:٩-١٣).

وعندما أكمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : «خذوا كتاب التوراة هذه وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون شاهداً عليكم» (أعداد ٢٢ - ٢٦)، لأن موسى كان يعلم تمرد الشعب وصلابة رقبته إذ وهو بعد حي كانوا يقاومون الرب، فكم بالحري بعد موته (قارن تث ٣١ : ٢٧ - ٣٠). لقد كتب موسى التوراة لتكون شاهداً عليهم حتى تُقْرأ وتُحْفظ ويكون لهم خير طوال الأيام.

ويرى ل . هاريس Harris أن موسى كتب سفره الأول (التكوين) كتاريخ والأسفار الأربعة الباقية : خروج، ولاويين، والعدد والتثنية كتبها موسى كأحداث تاريخية معاصرة، تمت في زمانه. وقد سميت جميعها بتوراة موسى أو ناموس موسى ، تعبيراً عن العلاقة المتميزة التي كانت له مع الرب إلهه. وفي هذا يتحدث يشوع عن أمر الرب له قائلاً : « إنما كن متشدداً وتشجع جداً لكي تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي، لا تمل عنها يميناً ولا شمالاً لكي تفلح حيثما تذهب. لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك » (يش ١ : ٧ - ٨). كما أن يشوع كتب على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل (يش ٨ :٣١ -٣٢، قارن ٢٣:٦). مشيراً بأن على إسرائيل أن تلتزم بسفر الشريعة هذا، وبكل الوصايا (يش ٣:٤).

وتاريخ الملوك جاء به الكثير من الإشارات عن أهمية الشريعة (شريعة الرب) والعمل بها. فداود الملك يوصي ابنه سليمان ملك إسرائيل أن يحفظ شريعة الله كما هي مكتوبة في سفر شريعة موسى (١مل ٢:٣). وأمصيا سلك كما هو مكتوب في سفر شريعة موسى (٢مل ١٤:٦). كما حفظ حزقيا ملك يهوذا الوصايا التي أمر بها الرب موسى (٢مل ١٨:٦)، تلك الوصايا التي لم يمتثل لها منسى ابنه الشرير (٢مل ٢٦:٨). وقام يوشيا الملك زعيم الإصلاح

الديني بثورة عارمة ضد عبادة البعل والتماثيل، وكل ما لا يتفق وعبادة الإله الحي، بعد عثوره على سفر شريعة الرب في الهيكل (سفر شريعة موسى). وأقام يوشيا الملك فصحاً عظيماً لم يكن مثله. ووقف الملك على المنبر ، وقطع عهداً أمام الرب للذهاب وراء الرب ولحفظ وصاياه وشهاداته وفرائضه بكل القلب وكل النفس ، لإقامة كلام هذا العهد المكتوب في هذا السفر . ووقف جميع الشعب عند العهد (٢مل ٢٣:٢٥).

ويقدم سفر الأخبار الشيء نفسه عن الملوك المشار عنهم سابقاً ، الذين أطاعوا شريعة الرب . والذين لم يذعنوا لتعاليمه وأحكامه (قارن٢أخ ١٧ : ٩). يهوياداع (٢أخ ٢٣ : ١٨) . أمصيا (٢أخ ٢٥ : ٤). حزقيا (٢أخ٣٠:١٦)، منسى (٢أخ ٣٣ : ٨) ، يوشيا (قارن ٢أخ ٣٤ : ١٤، ٣٥:١٢).

كما أن عزرا الكاهن كان كاتباً ماهراً في شريعة الرب التي أعطاه الرب إله إسرائيل (عزرا ٧ : ٦) . والذي هيأ قلبه لطلب (أي دراسة) شريعة الرب والعمل بها حتى يُعلِّم إسرائيل فريضة وقضاءً (٧ : ١٠ ، قارن عدد ١١) . ويوضح المرنم بأن الله عرَّف موسى طرقه وبني إسرائيل أفعاله (مزمور ١٠٣:٧)، ويتبعه بكلمات من سفر الخروج (٣٤ : ٦ - ٧).

ويدعو النبي إشعياء شعبه إلى الالتزام بوصايا الرب وأحكامه قائلاً: «إلى الشريعة وإلى الشهادة » (إش ٨ : ٢٠). ومرة يشكو النبي بأنهم لا يسمعون لشريعة الرب (إش ٣٠:٩) وذات الشكوى يقدمها النبي إرميا (٨:٨، ١٨ : ١٨) وحزقيال النبي (٧ : ٢٦) ودانيآل أيضاً (٩:١١، ١٣). ويشير النبي هوشع إلى شريعة الرب المكتوبة (٨ : ١٢، ٤:٦، ١١:١، ٨، ١٢:٣-٤، ١٢-١٣، قارن خروج ٢٠:١، وتث ٣٢:٣٩-٤٠).

ويوجه النبي صفنيا اتهامه مثل النبي إرميا ضد الكهنة لأنهم ارتكبوا شراً ضد الشريعة (صفنيا ٣:٤). وحجي النبي يسأل الكهنة عن الشريعة ويثير أمراً خاصاً وهاماً بشرائع التطهير (٢:١٢-١٣). وزكريا النبي يوضح بأن الشعب رفض أن يسمع الشريعة «جعلوا قلبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود » (زكريا ٧ :١٢).

يتحدث أيضاً ملاخي النبي عن الكهنة بني لاوي الذين لم يقدسوا شريعة الله (٢ : ٥ - ٨) . ويختتم سفره بالدعوة قائلاً : « أذكروا شريعة موسى عبدي الذي أمرته بها في حوريب » (ملاخي ٤ : ٤).

هذه الإشارات الواردة في أسفار إرميا وحزقيال وصفنيا وملاخي توضح بأن حراس ومعلمي الشريعة هم كهنة إسرائيل ، الأمر الذي يتفق وتعاليم وتوصية موسى (تث ٣١ : ٩ - ١٣؛ مع عدد ٢٦) بالإضافة إلى ما قام به عزرا الكاهن والكاتب العظيم .

إن شريعة الله تحكم كلاً من الملك والكاهن والتي يجب أن تكون مركز حياة الشعب.

وسفر شريعة الرب «التوراة» تُعد قانونية لأنها معطاة من الرب نفسه، تكلم بها الرب إلى الشعب بواسطة موسى عبده وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه . موسى الكاتب الإنسان كليم الرب الضامن لكتابتها .

وقد أعلن موسى قبل موته وهو الذي فاق كل أنبياء إسرائيل القديم «إن نبياً مثله سيقوم وله يسمع الشعب» (تث ١٨:١٥- ١٩) . كما حذرهم من الأنبياء الكذبة معطياً إياهم تحذيراً وتوجيهاً لتمييز هؤلاء الكذبة (تث ١٨ :١٠-٢٢، قارن تث ١٣:١-٥).

ويعتقد علماء الكتاب من المسيحيين واليهود على السواء أن النبوة الواردة في (تث ١٨ : ١٥) إنما تشير إلى المسيا (يوحنا ١:٢١، أع ٣:٢٣) يسوع المسيح المخلص الأعظم والمتمم لمشيئة الله. إذ هو النبي والكاهن والملك.

وقد كان هناك أنبياء كذبة كثيرون في إسرائيل. ففي بلاط أخآب ملك إسرائيل كان يوجد ثماني مئة وخمسون

نبياً للبعل والسواري، أمام نبي واحد للرب وهو إيليا (١مل ١٨ : ١٩). ووجود أنبياء كذبة لا يقلل من قيمة الرسالة الحقة لنبي الرب حتى وإن كان بمفرده (قارن ١مل ١٨) لأن العملة المزيفة يمكن إكتشافها بسهولة، بمقارنتها بالعملة الحقيقية الصحيحة .

والرائي مرادف للنبي إشارة إلى رؤيا النبي، وسواء برؤى أو أحلام كانوا يتلقون إعلان الله (عدد ١٢:٦- ٨).

لكن الأسلوب المعروف في غالبية رسائل الأنبياء وإعلانات الرب لهم للشعب، هو أن الله كان يتحدث إليهم وبواسطتهم . وتوضيحاً لذلك (قارن خروج ٧:١) عندما كان موسى يجادل مع الله الرحيم والرؤوف، وبأنه ليس صاحب كلام، قدم له الله هرون أخاه متحدثاً عنه ووصف العلاقة بينه وبين هرون كعلاقة النبي والله . فموسى يعطي أمره عن الرب لهرون ، وهرون بدوره ينقله لفرعون ملك مصر. ولم يرد في الكتاب المقدس أن هرون تحدث على الإطلاق أمام فرعون رغم أن موسى وهرون كانا معاً . إلا أن مخاطبة فرعون نسبت إلى موسى، ومن المرجح أنها تمت عن طريق هرون وعلى هذا القياس فإن كلام الأنبياء وكتاباتهم أطلق عليها بكلمة الرب لأنهم كانوا يتكلمون بكلام الرب وباسم الرب قائلين هكذا قال الرب ... اسمعوا كلمة الرب ...

وعمل النبي كما جاء (في التثنية ١٣، ١٨) هو أن يتحدث النبي بما يأمره به الله . والنبي الكاذب يتحدث من عندياته وباسم آلهة أخرى بمعنى أن يتنبأ بالكذب (قارن تث ١٨:١٢) علامة واضحة عن النبي الكاذب .

والأمثلة عديدة للمقارنة بين أنبياء الرب لإسرائيل والأنبياء الكذبة. غير أن ما ورد في (١مل ٢٢:١٣-٣٧) هو أوضح وأجلي مثل على ذلك .

فقد حاول أخآب ملك إسرائيل أن يقنع يهوشافاط ملك يهوذا بالذهاب معه إلى راموت جلعاد ليستردها من يد ملك أرام . وحصل أخآب ملك إسرائيل على موافقة أنبيائه الأربعمائة بالذهاب . وتنبأوا بإسم إلههم وليس باسم يهوه، إذ كانوا عبدة بعل. واستخدموا اسماً جماداً لإلههم ، الأمر الذي لم يشبع قلب يهوشافاط ملك يهوذا ، ولم يقبله . وطلب مشورة نبي الرب، وأجابه أخآب قائلاً : يوجد نبي واحد للرب هو ميخا بن يملة الذي كان يكن له أخآب عداوة شديدة . لأنه لم يتنبأ لأخآب خيراً بل شراً. واستمع أخآب لنبوة أنبيائه الكذبة وذهب للحرب متنكراً حتى يتفادى كل خطر تنبأ به ميخا نبي الرب . إلا أن أخآب مات في اليوم التالي متأثرا بجراحه حسب قول الرب على فم نبيه ميخا بن يملة. (قارن أعداد ٣٢-٣٧، ١مل ١٩:٢١ مع ٣٨:٢٢-٤٠) ثم راجع (١مل ٢٦:٢٢ - ٢٨).

وتعريف النبي الحق - الصادق - يتمثل في هذه الكلمات ، بكل ما يتحدث به الرب إياه أتكلم ... «هكذا قال الرب» . وهكذا تحدث إرميا النبي إلى شعبه . الأمر الذي رُفض من السلطات وشرعوا في قتله (إرميا ٨:٢٦ - ١٥). معلناً أنه بار من كل خطأ قائلاً : «الرب أرسلني لأتنبأ على هذا البيت وعلى هذه المدينة بكل الكلام الذي سمعتموه».

وجاء في (إرميا ٢٨) أن حننيا تنبأ باندثار الخراب والقتام خلال سنتين من الزمان بسقوط نبوخذ نصر. وفكر إرميا النبي في نفسه قائلاً : «ألعل الله ندم عن الشر المزمع أن يصنعه بالشعب». ورجا ذلك من الرب قائلاً «آمين». وفي تلك الليلة تلقى إرميا إعلان الله، بتأكيد ما تنبأ به قبلاً. وفي اليوم التالي واجه النبي إرميا حننيا بكذبه. وأضاف إرميا على النبوة الرهيبة، بأن النبي الذي يخبر بالكذب ويجعل الشعب يعلق رجاءه ويتكل على الكذب يموت ذلك النبي هذه السنة. وفي مدة شهرين من الزمان مات حننيا. وحلّ خراب أورشليم وانتهى الأسر البابلي بعد سبعين عاماً.

إن عمل النبي كما يرى أحد العلماء في أساسه هو الإرشاد والتعليم والتقويم وليس مجرد التنبوء بأحداث مستقبلية . وتأكيد ذلك واضح من أسفار الأنبياء التي احتوت في مضمونها تعاليم ومواعظ، وتواريخ أكثر من

كونها تكهنات مستقبلية فقط. ومن أمثلة النبوات المستقبلية إعلان الرب لإبراهيم (تك ١٥ : ٣)، وموسى (عدد١٤:٣٣)، وصموئيل (١صم ٢٨:١٥) ، وداود (٢صم ١٢:٧-١٤)، وسليمان (١مل ٣ : ١٣- ١٤)، وإشعياء (٧ :٨، ٤٤:٢٨)، وإرميا (١١:٢٣، ٢٢ : - ٣٠)، وحزقيال (٢٦: ٣- ١٤)، ودانيال (١٩:٨-٢٦). وفي كثير من أسفار الأنبياء الاثنى عشر. وهذا قليل من كثير جداً من النبوات وإعلانات الرب لعبيده الأنبياء (قارن إشعياء ٤٠ -٥٢، إرميا١:٢، ٢١:١٥).

كان موسى النبي نموذجاً لكل الأنبياء الذين قاموا بكتابة كلماتهم وجاء في (إرميا ٣٦) أن الرب طلب إلى إرميا أن يكتب في درج سفره قائلاً له: «خذ لنفسك درج سفر واكتب فيه كل الكلام الذي كلمتك به على إسرائيل، وعلى يهوذا وعلى كل الشعوب . من اليوم الذي كلمتك فيه من أيام يوشيا إلى هذا اليوم». وقام إرميا وأملي على باروخ كتابة السفر بتمامه (أعداد ٢ – ٤). فدعا إرميا باروخ بن نيريا ، فكتب باروخ عن فم إرميا كل كلام الرب الذي كلمه به في درج السفر ، كما استعان بولس الرسول بترتيوس ككاتب له (رومية ١٦ : ٢٢).

وقرأ باروخ الدرج أمام الشعب وأخيراً قرأه يهودي أمام الملك يهوياقيم الذي ثقبه بمبراة وألقاه في النار في الكانون . وأعاد إرميا النبي كتابة السفر بأمر الرب وأضاف عليه الكثير من فم الرب .

وأسفار الأنبياء الاثنى عشر منسوبة إلى أسماء كاتبيها. والجدير بالإشارة هنا أن عاموس لا ينكر على نفسه موهبة النبوة عندما يقول «لست أنا نبياً ولا ابن نبي» (٧ : ١٤)، في حديثه لأمصيا الذي أشار عليه أن يذهب بعيدا عن بيت إسرائيل ويتنبأ ويأكل خبزاً. بل أن يوضح أن الرب هو الذي دعاه من وراء الضان إذ كان «راعيا وجاني جميز» قائلاً له «اذهب تنبأ».

وحزقيال النبي يأمره بكتابة مواصفات وأنظمة الهيكل (حزقيال٤٣:١١) والتي وردت في أصحاحاته الأخيرة من السفر .

لقد قام جميع الأنبياء الذين خدموا في إسرائيل بكتابة ما أمرهم به الرب . (قارن يش ٢٤ : ٢٦ ، ١صم ١٠ : ٢٥). وتعددت الإشارات في سفري الملوك عما كُتب في سفري الأخبار الذي ورد به تسلسل الأنبياء الكاتبين في إسرائيل (قارن ١أخ ٢٩ : ٢٩ ، ٢أخ ٩ : ٢٩ – ٣٠ ، ٢أخ ١٢ : ١٥ ، ٢٠ : ٣٤، ٣٢ : ٣٢ ، ٣٣ : ١٩ ، ٣٥ : ٢٧) . هذه القائمة بأسماء الأنبياء الكاتبين تغطي الفترة الزمنية من قبل أيام داود ملك إسرائيل إلى نهاية مملكة يهوذا .

وواضح أن كتابات هؤلاء الأنبياء لها المصداقية التي كان يعتمد عليها ، ولها سلطان الوحي الإلهي . وما جاء في (إرميا ٣٦) برهان على ذلك . وجاء في سفر دانيآل ما يوضح بأنه درس ما كتبه النبي إرميا وغيره من الأنبياء (قارن دانيال ٩ : ٢ ، إرميا ٢٥ : ١١ – ١٢ ، ٢٨ : ٨ – ٩ ، ١٢ : ١٦).

إنه موسى الكاتب للتوراة (تث ٣١ : ٢٦) عدا الجزء الوارد في (تث ٣٤ : ١ – ١٢) والخاص بموته كما هوالحال مع يشوع (يش ٢٤ : ٢٦) إذ لا يمكن الاعتقاد بأنه الكاتب للخمسة أعداد الأخيرة من سفره ، والخاصة بموته وما جاء بها من أحداث .

وراعوث مرتبطة بزمن القضاة وينتهي سفر راعوث بتسلسل نسب داود ، الأمر الذي يرجح بأن هذا الجزء كُتب بعد اعتلاء داود العرش. كما أن أسفار صموئيل والملوك تمثل وحدة واحدة تتحدث عن تاريخ إسرائيل إلى زمن السبي البابلي. غير أن الأربعة أعداد الأخيرة ربما تكون قد أضيفت بعد السبي البابلي بفترة كافية (قارن ٢مل ٢٥ مع إرميا ٥٢ ، والأصحاحات ٣٩-٤١).

إن هذه الإضافات المشار عنها سابقاً في كتب الأنبياء تمت كما يرى علماء الكتاب بواسطة أنبياء أتوا بعدهم بالوحي المقدس، وقبلها جميعهم واحداً بعد الآخر بالروح القدس . وبالانتهاء من كتابة هذه الأسفار بالوحي المقدس اكتملت القانونية العبرية ، والتي أقرّها رب المجد يسوع المسيح (لوقا ٢٤ : ٢٧ : ٤٤).

ناموس موسى : التوراة (الأسفار الخمسة)

إن كلمة توراة تعني تعليم في العبرية .

ويطلق على التوراة أو ناموس موسى بالشريعة (يش ١:٨، ٣٤:٨، ٢مل ٢٢: ٨، نحميا ٣:٨)، وسفر موسى (عزرا ١٨:٦، ٢أخ ١٢:٣٥)، وشريعة الرب (عزرا ٧ : ١٠، ١أخ ٤٠:١٦، ٢أخ ٣:٣١، ١٢:٣٥)، وسفر شريعة الله (يش ٢٦:٢٤، نحميا ١٨:٨)، وسفر شريعة الرب (٢أخ ٢٩:١٧، ٣٤، ١٤). من هذه الشواهد كما يرى أحد العلماء أن الكاتب للتوراة هو موسى من الرب الإله . وفي العهد الجديد أطلق على الأسفار الخمسة كتاب الناموس (غلاطية ٣: ١٠)، وكتاب موسى (مرقس ٢٦:١٢)، والتواره (مت ٥:١٢، لوقا ١٦:١٦، يوحنا ١٩:٧)، وشريعة موسى (لوقا ٢ : ٢٢ ، يوحنا ٧ : ٢٣)، وناموس الرب (لوقا ٢ : ٢٣-٢٤).

كاتب التوراة

يرى العلماء المحافظون أن موسى هو الكاتب لأسفار التوراة (أي الأسفار الخمسة). ويعتمدون في هذا على شهادة الأسفار نفسها وشهادة الأسفار المقدسة الأخرى وأسفار العهد الجديد.

أولا: إن النصوص العديدة الواردة في أسفار التوراة تؤكد كتابة موسى لهذه الأسفار ومن هذه النصوص (قارن خروج ١٤:١٧، خروج ٢٤ :٤ - ٨، وأصحاحي ١٩-٢٠، وكتاب العهد ٢١ :٢ - ٣٣:٣).

ثانيا: أ- أمرُ الرب لموسى بالكتابة (خروج ٢٧:٣٤، قارن خروج ٣٤: ١٠-٢٦).

ب- كتب موسى رحلات بني إسرائيل من مصر حتى وصول الشعب أرض موآب (عدد ٣٣: ١-٢).

جـ- عندما أكمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة إلى تمامها. أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : « خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب ليكون هناك شاهداً عليكم» (تث ٣١ : ٢٤ - ٢٦ ، قارن تث ٣١ : ١٩ ، ٢٤ مع تث ٣٢ : ٤٤ - ٤٧).

د- إنه موسى الذي كانت له العلاقة الشخصية المباشرة مع الرب بالإضافة إلى التعاليم الخاصة ببناء خيمة الإجتماع حيث حلول الرب في وسطهم (خروج ٢٥-٣١) والعبارة التي ترددت كثيراً «كما أمر الرب موسى » ، « كما تكلم الرب إلى موسى».

ثالثا : شهادة أسفار الأنبياء والكتوبيم (الكتب)

بعد أن عهد الرب ليشوع مهمة قيادة الشعب إلى أرض كنعان (تث ١٤:٣١-١٥) أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً، كانت وصية الرب ليشوع أن يتمسك بالشريعة التي أمر بها موسى عبده ، حتى يتحقق له الصلاح والفلاح في كل طرقه (يش ٧:١ -٩، راجع يش ١٥:١١، ٢٠، ٢:١٤، ٢:٢١).

إنها شريعة الرب إلى موسى وللشعب ليتمسكوا بها فيكون لهم خير طوال الأيام (قض ٣ : ٤ ، ١مل ٢ : ٣ ، ٢مل ١٤ : ٦ ، ٢١ : ٨ ، عزرا ٦: ١٨ ، نح ١٣ : ١ ، قارن أيضاً ١مل ٨ : ٩ ، ٥٣ - ٥٦ ، ٢مل ٢٣ : ٢٥ ، مع ٢أخ ٣٤ : ١٤ ، ٢أخ ٢٣ : ١٨ ، ٢٥ : ٤ ، ٣٥ : ١٢ ، عزرا ٣ : ٢ ، نحميا ٨: ١ - ٨).

ويوصي الرب على فم عبده ملاخي النبي قائلاً : «اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب»

(ملاخي ٤:٤).

شهادة العهد الجديد لموسى بأنه كاتب التوراة

تتضمن أسفار العهد الجديد شهادة واضحة لموسى بأنه كاتب الأسفار الخمسة.

أ- شهادة الرب :

(مت ٨ : ٤ ، مرقس ١ : ٤٤ ، ٧ : ١٠ ، ١٢ : ٢٦ ، لوقا ٥ : ١٤ ، ٢٠ : ٣٧ ، ١٦ : ٣١ ، لوقا ٢٤ : ٢٧ ، ٤٤ ، يوحنا ٥ : ٤٦ - ٤٧ ، ٧ : ١٩).

ب- شهادة الرسل :

(أع ٣ : ٢٢ ، ١٣ : ٣٩ ، ١٥ : ٥ - ٢١ ، ٢٦ : ٢٢ ، ٢٨ : ٢٣ ، رومية ١٠ : ٥ ، ١٩ ، ١كو ٩ : ٩ ، ٢كو ٣ : ١٥ ، رؤيا ١٥: ٣).

يرى بعض علماء الكتاب المقدس أمثال أ.يونج Young، أستروك Astruc ، أن الاعتقاد بأن موسى هو الذي كتب التوراة ، لا يقصد به أن موسى كتب كل كلمة وردت بالأسفار الخمسة. فمثلاً كان حمورابي كاتباً لقوانينه المشهورة ، إلا أنه لم يحفرها بنفسه على المسلة التي عثر عليها.

وشهادة الكتب المقدسة تقودنا للاعتقاد بأن موسى كان كاتباً للتوراة. وفي صياغتها ربما يكون قد استعان بمصادر أخرى لكتابة سفر التكوين مثلاً وذلك بالوحي المقدس. وربما أضيفت بعض الأجزاء البسيطة أو أعيدت كتابتها جزئياً أو كلياً وهي في جوهرها وأساسها من كتابات موسى.

وقد عبر أحد العلماء (ولسون Wilson) بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة وربما أعيدت كتابتها بواسطة كاتب آخر مثل عزرا . غير أن كل إضافة تمت بواسطة أناس مسوقين من روح الله القدوس.

أسفار الأنبياء والقانونية

طبقاً للتقليد اليهودي فإن أسفار التوراة صارت قانونية ، أيام عزرا ونحميا. قبل النزاع الذي حدث بين السامريين واليهود الذي أدى إلى الانفصال كما يعتقد الكثيرون عام ٤٣٥ ق.م تقريباً (قارن نحميا ١٣: ١٨ - ٢٨ ، عزرا ٤ : ٢ - ٣) . والمعروف أن السامريين أخذوا بقانونية أسفار موسى الخمسة فقط كأسفار قانونية لهم.

أما عن أسفار الأنبياء فقد تم جمعها وترتيبها زمن السبي البابلي، وصارت هذه الأسفار قوتاً هاماً للشعب ، يستمد منها كل رجاء وتعزية في مواجهة آلام السبي . كما وجد الشعب في هذه الأسفار عوناً وتعضيداً ، وصارت أسفاراً محببة إلى قلوبهم . لكن لم تكن قد ظهرت في القانونية المفهومة حالياً .

ويعتقد بعض العلماء أن قانونية أسفار الأنبياء ظهرت قبل عام ٢٠٠ ق.م وحجتهم علي ذلك ما ورد على لسان حفيد يشوع بن سيراخ الذي ترجم أعمال جده الى اللغة اليونانية حيث كتب يقول بأن جده يشوع بن سيراخ كرَّس نفسه لدراسة الناموس والأنبياء والكتابات الخاصة بالآباء. وهذا برهان واضح علي أن أسفار الناموس والأنبياء أخذ بقانونيتهما قبل ذلك بزمن بعيد ، والمعروف أن سفر يشوع بن سيراخ كتب عام ١٨٠ ق.م.

الكتوبيم/ الكتابات المقدسة

صارت أسفار الكتوبيم (المكتوبات) الجزء الثالث من القانونية العبرية للأسفار المقدسة ضمن القانونية ومعترفاً بها من الجميع قبل عام ٧٥ق.م وذلك طبقاً للتلمود اليهودي الذي ورد به بأن سيمون بن شيتاخ Si-

mon Ben Shetach اقتبس عام ٧٥ ق.م من سفر الجامعة (٧ : ١٠) وأمثال (٢٣ : ٢٥) بكلمات «مكتوب» أو «يقول الكتاب» . وفي عام ٤٠م نجد بأن فيلو اليهودي Philo يقتبس من غالبية مجموعة أسفار (تكوين - ملاخي) عدا أسفار حزقيال ودانيآل وراعوث وأستير والمراثي وجامعة . وهذا برهان كما يرى بعض العلماء على أن أسفار الكتوبيم (الجزء الثالث من الكتب المقدسة) صارت ضمن الأسفار القانونية في وقت مبكر.

من هذا الوقت بدأت القانونية العبرية تأخذ مكانة جديدة هامة في الكنيسة المسيحية . غير أن المسيحيين المقيمين خارج فلسطين تبعوا جيرانهم من اليهود في استخدام الأسفار المقدسة والاهتمام بدراستها بجانب أسفار أخرى غير مقننة، أي بمعنى أبوكريفية على خلاف المسيحيين المقيمين في فلسطين الذين لم يعترفوا بهذه الكتابات.

مجمع جامينا عام ٩٠ ميلادية

كان هذا المحفل عبارة عن اجتماع أكاديمي للفريسيين قام بتحديد القانونية العبرية المقدسة بمجموعة أسفار (تكوين - ملاخي)، وإبعاد مجموعة كتابات (طوبيا- مكابيين) ومجموعة كتابات أخنوخ، وأقوال العرافات . غير أن الصدوقيين لم يذعنوا للقانونية اليهودية هذه . واستمرت مناقشاتهم زماناً طويلاً. وبحلول عام ١٥٠م تحددت لهم وبوضوح كامل القانونية المقدسة للأسفار، بمجموعة أسفار (تكوين - ملاخي) ورفض أية أسفار أخرى مثل كتابات (طوبيا - مكابيين) .

وفي عام ١٧٠ ميلادية ذهب الأسقف **ميليتس** أسقف ساردس في رحلة إلي الشرق لجمع المعلومات الدقيقة في هذا الشأن . وتُعرف مجموعته الخاصة بالأسفار المقدسة بإسمه ، كما أن ترتيب الأسفار عنده يختلف عن ترتيبها في العبرية ، وهي أقرب منها إلي اليسوعية ، كما أن ميليتس حذف سفر أستير من القانونية.

ويقدم **أوريجانس** Origen (١٨٥-٢٥٤م) قائمة بالكتب المقدسة المعترف بها من اليهود باثنين وعشرين سفراً . (وذلك بضم راعوث إلى سفر القضاة ، وسفري ١صم و٢صم كسفر واحد) وكذلك سفري الملوك والأخبار. وسفري إرميا ومراثي كسفر واحد ، وأسفار الأنبياء الاثنى عشر كسفر واحد.

أما **أثناسيوس** فجاءت قائمته للأسفار في إحدى رسائله أيام الأعياد لعام ٣٦٥م شبيهة بالقائمة اليونانية التي تضم الكتابات الخاصة بطوبيا ويهوديت ويشوع بن سيراخ وحكمة سليمان.

وعن **جيروم** العالم والباحث الكبير الشهير (٣٢٩ - ٤٢٠م) فقد فصل بين الأسفار القانونية المقدسة وهي مجموعة أسفار (التكوين - ملاخي)، وبين أسفار (طوبيا - مكابيين) غير القانونية. وفي ترجمته للكتب المقدسة (الفولجاتا) وضع مجموعة كتب (طوبيا - مكابيين) في قائمة مستقلة بعيدة عن القانونية العبرية . واحتسبها صالحة لتعليم الأخلاق ، لكنها لا تصلح لتكوين عقيدة . أي أنها غير موحاة بالروح القدس وتشبه في قيمتها العلوم الإنسانية.

مجمع هيبو وقرطاجة Council of Hippo and Carthage

في مجمع هيبو تم أول تعريف أو تحديد كنسي للقانونية التي ضمت كتب (طوبيا - مكابيين) داخل أبروشية القديس أوغسطينس أسقف هيبو Hippo، عملا على توحيد صفوف الشعب ووضع نهاية لكل جدل حول هذه الأسفار عام ٣٩٣م. وتحددت قانونية الأسفار (تكوين - ملاخي) ومجموعة أسفار(طوبيا- مكابيين) وقُبل ذلك من مجمعي قرطاجة Carthage عام ٣٩٧م ، وعام ٤١٩م.

مجمع ترنت ١٥٤٦م Council of Trent

لم تبق قانونية الأسفار موضوع جدل أو مناقشة طوال أكثر من ألف عام. لكن عندما قامت حركة الإصلاح

(البروتستانتية) عملت على فحص ودراسة كاملة وشاملة لكل ما يختص بالتعليم المسيحي داخل الكنيسة. وكان للوثر رأيه الخاص في الأسفار الهامة والاختلافات البينة فيها. ورغم ذلك لم يتعرض لمضمون قانونية الأسفار.

كما أن قانون أوجسبرج Augsburg للإيمان عام ١٥٣٠م لم يتعرض لمضمون القانونية، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر أقر زونجلي وكالفن في الحركة البروتستانتية قانونية الأسفار المقدسة. كما أقرها اليهود، وقرروا أنها هي التي تضم الأسفار من تكوين الى ملاخي (تسعة وثلاثون سفراً) ومن أجل ذلك عملت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على مواجهة هذا التحدي بدعوة مجمع ترنت للانعقاد عام ١٥٤٥ - ١٥٦٣م، بهدف إعادة الإصلاح والعمل على صياغة العقائد من جديد، وتصحيح الأخطاء التي وقعت فيها. وفي دورة انعقاد المجمع عام ١٥٤٦م أقر قانونية الأسفار التي صدرت في انعقاد مجمع هيبو Hippo وقرطاجة Carthage واعتبار أن أسفار (تكوين - ملاخي) أسفاراً قانونية أولية، وأسفار (طوبيا - مكابيين) أسفاراً قانونية ثانية. واستمر هذا إلى وقتنا الحاضر كما هو الحال في الكنيسة الأرثوذكسية.

المقالات التسعة والثلاثين لعام ١٥٦٤م:

بعد تأسيس الكنيسة الأسقفية (الإنجيليكانية) في إنجلترا، وفي عام ١٥٥٩م تحت رعاية الملكة إليزابيث ، وضعت صياغة جديدة كأساس للعقيدة السليمة لهذه الكنيسة في تسع وثلاثين مقالة وذلك في عام ١٥٦٣م . وجاءت في المقالة السادسة قائمتان للأسفار :

القائمة الأولى

وتضم الأسفار المقدسة من (تكوين - ملاخي) (٣٩ سفراً) عرفت بقانونية الأسفار المقدسة (العهد القديم).

القائمة الثانية

وتضم مجموعة للكتابات (طوبيا - مكابيين) مضافاً إليها عزدراس الأول والثاني، وصلاة منسى . كنموذج للحياة وتعليم الأخلاق وليس لتكوين عقيدة. ويشار إلى هذه الأسفار بأسفار الأبوكريفا.

قانون الإيمان الويستمنستري لعام ١٦٤٧م

كان هذا القانون ثمرة محاولات تشارلس الأول ملك إنجلترا لجمع وصياغة التعاليم الكتابية، والتي انتهت بانتصار خصومه الشيخيين .

ودعا البرلمان الذي يمثل الغالبية الساحقة من البيوريتان إلى محفل عام، تكّون من مئة وواحد وعشرين من رجال الدين ، وثلاثين من العلمانيين وذلك في كنيسة ويستمنستر آبي.

وأعد هذا المحفل قانون الإيمان الويستمنستري والذي تبناه المحفل العام المنعقد في اسكتلندة (عام ١٦٤٧م) والذي صار قانوناً للإيمان للكنيسة المشيخية في بريطانيا والولايات المتحدة . وجاء فيه تحديد قانونية الأسفار المقدسة بأسفار (تكوين - ملاخي) أما أسفار (طوبيا - مكابيين)، فهي ليست ضمن القانونية الموحى بها من الله . وليس لها السلطان الروحي على كنيسة المسيح ، ولا تزيد عن كونها كتابات إنسانية . وتبعت الكنائس البروتستانتية قانون الإيمان الويستمنستري الخاص بالكتب المقدسة .

إعلان سافوي عام ١٦٥٨م Savoy declaration

وفيه أعيدت صياغة القانون الويستمنستري مع بعض التعديلات. كما تُعد المقالات الدينية لكنيسة الإصلاح (نهضة القداسة) عام ١٧٨٤م تبسيطاً للمقالات التسع والثلاثين لعام ١٥٦٣م . بمعنى أنها تتبع قانون الإيمان

الويستمنستري في موضوع القانونية بمجموعة أسفار (تكوين - ملاخي) (تسعة وثلاثون سفراً) ولم يرد شيء عن كتابات (طوبيا - مكابيين) .

الفصل الثالث
لغة وكتابة العهد القديم

مقدمة عامة

تعد اللغة العبرية هي اللغة الأصلية لأسفار العهد القديم (الكتب المقدسة). ما عدا بعض النصوص في سفر دانيآل وعزرا ونحميا التي كتبت بالأرامية . أما مجموعة كتابات (طوبيا - المكابيين) فكتبت باليونانية. إلا أن معظمها تُرجِم إلى العبرية . واللغة العبرية والأرامية تشبان الواحدة الأخرى لأنهما من اللغات السامية.

والكتابة الخطية الأصلية للعهد القديم، زمن ما قبل السبي، أي ما قبل ٥٩٧ ق.م تختلف عن الكتابة الخطية للعبرية المستخدمة اليوم، فكانت تشبه الفينيقية المكتوبة على قطع فخارية وقد كتبت بحروف عُرفت زمن إرميا بأحرف لخيش، وكانت تشبه الكتابة الأثرية في سلوام (٧٠١ ق.م) والتي على حجر موآب (٨٥٠ ق.م).

أما عن موسى الذي قام بكتابة التوراة وهو الذي تربي كابن ابنة فرعون (خروج ٢ : ١٠) . فلا يُعْرف بالتحديد الأسلوب أو الطريقة التي استخدمها في كتابته . وعما إذا كانت هي الكتابة المصرية . وهل كانت تشبه اللغة السينائية الأولية التي اكتشفت في سيرابيط الخادم Serabite El-Khadim بشبه جزيرة سيناء والتي يُرجِع العالم والباحث الكبير ألبرايت W.F. Albright تاريخها إلى عام ١٥٠٠ ق.م . وهنا يرى بعض العلماء أن النبي موسى استخدم هذه اللغة السينائية وهذا غير مؤكد.

وكان للأرامية تأثير كبير في أسلوب الكتابة بالحروف المربعة العبرية (Square Script) المعروفة . وظهرت أول طبعة للأسفار المقدسة بالأحرف المربعة عام ١٤٧٧م . ومازالت المخطوطات اليهودية الخاصة بالمجامع مكتوبة بخط اليد وبدون تشكيل.

وفيما يلي بيان بأشكال الخطوط بالحروف العبرية القديمة من القرن الثالث عشر ق.م إلى وقتنا الحالي، والكلمات مأخوذة من (خروج ٣ : ١٢) «وقال (الله) لموسى تعبدون الله على هذا الجبل».

١- [illegible]

ما قبل القرن الثالث عشر إلى القرن العاشر ق.م.

٢- [illegible]

من القرن العاشر حتى أواخر القرن السادس ق.م.

٣- [illegible]

الخط العبري المقابل لمخطوطات لاخيش عام ٥٨٨ ق.م.

٤- אמר אל משה תעבדון את האלהים על ההר הזה

شكل الكتابة (الخط المربع) المطابقة لمخطوطات قمران البحر الميت ما بين القرن الثالث إلى القرن الثاني ق.م.

٥- אָמַר אֶל־מֹשֶׁה תַּעַבְדוּן אֶת־הָאֱלֹהִים עַל הָהָר הַזֶּה

شكل الكتابة للمازورا (بالخط المربع وبالتشكيل) من عام ١٠٠٠م إلى الوقت الحالي .

قبل أن تكتشف الطباعة ظهرت الأسفار المقدسة مكتوبة باليد، وتكلفت الكثير من المجهودات. وكان ورق البردي في ذلك الوقت هو المادة الأساسية للكتابة. وكانت مصر هي المصدر الرئيسي له، حيث كان ينمو على شاطيء نهر النيل. ولم يكن ممكناً حفظه لأجيال عديدة، إلا في مناخ جاف أسفل الرمال. حيث كانت تُدفن أوراق البردي تحت رمال مصر الجافة غير الممطرة.

ولأن أوراق البردي كانت تتعرض للتفحم أو التكرين ، فكان لابد من إعادة كتابة الأسفار المقدسة من جيل لآخر . وكانت الأحجار واللوحات الفخارية والشقف والجلود الرقيقة وسيلة للكتابة . والكتابة على الحجر كانت أكثر الوسائل ملاءمة لكتابة سجلات الفتوحات الانتصارية لفرعون. غير أن الأحجار لم تكن مناسبة للكتابات العادية أو للشعب العادي. واستخدمت اللوحات الفخارية بصورة أوسع وأشمل في بابل وأشور وفلسطين الشمالية. كما استخدمت الأدوات المعدنية والخشبية لأعمال النقش والكتابة في اللوحات الفخارية اللينة. وعند الانتهاء من كتابتها كانت تُوضع هذه اللوحات في نار الفرن فتصير كالأحجار الجيدة تماما . وقد اغتبط العلماء المعاصرون بما عثروا عليه من قطع الشقف الفخارية التي كانت تستخدم لكتابة الملاحظات وبعض النصوص الهامة المتعلقة بحياتهم اليومية وذلك لسهولة حملها ورخص أثمانها.

والجلود الرقيقة تعد أكثر ثباتاً واحتفاظاً بمواد الكتابة المستعملة في فلسطين. وهذه الجلود عالية الجودة ، مأخوذة من جلد الكباش . وأطلق على هذا النوع الرقوق Vellum وهو أغلى أنواع الجلود للكتابة ولم يستخدم إلا في كتابة الأسفار والكتب ذات القيمة العالية . وقد عثر على المخطوطة الفاتيكانية مصنوعة منه أيضاً ،كما أن مخطوطة سفر إشعياء المكتشفة في وادي قمران على البحر الميت عام ١٩٤٧م، والتي يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وجدت مكتوبة على جلد جيد (رق جيد Vellum) ومحفوظة في جرة فخارية موضوعة في كهف في منطقة جافة. وكان الجلد مكلفاً. ويذكر أحدهم بأن جلد ثلاثين خروفاً كان يكفي بالكاد لتدوين أسفار التوراة الخمسة فقط. وكان من الضروري إعادة كتابتها ثانية عبر الأجيال المتعاقبة بدقة ومهارة شديدين. ولا شك أن مهنة الرعي التي كان يحترفها اليهود ساعدت كثيراً في ذلك.

ويرى أحد الباحثين أن أسلوب الكتابة المتبع في ذلك الوقت هو أسلوب الإملاء على فصل أو مجموعة مكونة من إثنى عشر شخصاً (إشارة إلى الأسباط الاثني عشر) حتى تتوفر الدقة في الكتابة . ثم تبلى النسخ القديمة وتبقى النسخ الخطية الجديدة المأخوذة منها.

وسيلة الكتابة

استخدمت وسائل عديدة لكتابة الأسفار المقدسة (العهد القديم). فقد تمنى أيوب لو أنه كتب كلماته في الصخر بقلم حديد وبرصاص (أيوب ١٩: ٢٤). وقد عثر عام ١٨٨٠م على نقش في الصخر في سلوام يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الثامن ق.م وفي خروج (٣٤: ١) نقرأ عن وصايا الله مكتوبة على لوحي حجر. وفي سفر التثنية (الأصحاح ٢٧) يُوصي النبي موسى وشيوخ إسرائيل الشعب بالقول «يوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها بالشِّيد (حجارة كلسية) وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس حين تعبر، لكي تدخل الأرض التي يعطيك الرب إلهك» (تث ٢٧: ٢-٣)، وتُكَلِّسها بالكلس (عدد ٤) وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً (عدد ٨، قارن أيضاً إشعياء ٨: ١، ٣٠: ٨، حبقوق ٢: ٢).

الكتابة على البردي والجلود

تعد الكتابة على ورق البردي وجلد الكباش أنسب الوسائل قديماً لكتابة الأسفار كما وردت الإشارات العديدة في ذلك (إرميا ٣٦ :٢-٤، حزقيال٢: ٩، ٣: ١-٣، زكريا ٥: ١-٢، مزامير ٤٠: ٧).

وكان البردي معروفاً في مصر في الألف الثالثة قبل الميلاد. وفي قصة الرحلة الشهيرة لونْ أمون Wen Amon عام ١٠٩٠ ق.م، يذكر أن البردي كان يُصدَّر من مصر الى فينيقية ويقايضه بالخشب. بل كانت مصر تمد عالم البحر المتوسط كله بالبردي. وقد كان من الممكن لصق عدة لوحات من البردي بالصمغ لتُكوِّن درجاً كبيراً حسبما اتفق . وكتب الإسرائيليون على أدراج من البردي في شكل أعمدة من اليمين إلى اليسار وكُتبت النصوص من الداخل، غير أن بعض الأدراج كُتبت على الوجهين (حزقيال ٢ : ١٠).

ويري بعض الباحثين أن درج السفر الذي لإرميا والذي أحرقه الملك في نار الكانون (إرميا٣٦) ربما كان مكتوبا علي ورق البردي، بينما يري آخرون أنه كان مكتوباً علي رقوق من الجلد. لأن يهوياقيم ملك يهوذا احتاج لمبراة ليشق درج السفر ويلقيه في النار . وعلي كل الأحوال فقد انتشر استخدام البردي في فلسطين وبكثرة وعُثر على أجزاء عديدة من البردي لأسفار الملوك ودانيآل في كهوف قمران ومنطقة وادي المربعات Wadi Morabba'at حيث الطقس الجاف المناسب لحفظها.

والكتابة على الجلود كانت وسيلة هامة وجيدة للكتابة في فلسطين، كما في أماكن كثيرة من الشرق الأدنى . وللجلد قيمة أفضل من البردي لعدم تمزقه بسهولة. ولأنه أفضل في الكتابة ، ولبقائه زماناً أطول. وكان من القواعد اليهودية أن تكتب التوراة على جلد حيوان للاستخدام في العبادة. وقد جاء في التلمود الأورشليمي، أن موسى تلقى في سيناء أمر الرب بأن يكتب الشريعة على جلد وبحبر ويسطره بمسطرة.

وجاء في رسالة أرستياس The letter of Aristeas في نهاية القرن الثاني ق.م مشيراً إلى درج التوراة مكتوباً بكتابة ذهبية على جلد . ودرج النبي إشعياء يقدم نموذجاً حياً - كما يرى أحدهم - للدرج الكتابي المكتوب على الجلد.

ويحتوي درج إشعياء على سبعة عشر لوحاً (صحيفة من الجلد الجيد). وترجع كتابة مخطوطة سفر إشعياء والتي عثر عليها عام ١٩٤٧م في وادي قمران إلى القرن الثاني قبل الميلاد (١٤٠ ق.م تقريباً). وقد خيطت أجزاء هذه المخطوطة من الجلد، في درج طوله سبعة أمتار وأربعة وثلاثين سنتيمتراً. وستة وعشرين سنتيمتراً عرضاً . وتضم ستة وستين أصحاحاً في ٥٤ عموداً بمتوسط ثلاثين سطراً لكل عمود.

هذا الدرج لسفر إشعياء وغيره من أجزاء الأسفار المقدسة الأخرى التي عثر عليها ، وجدت ملفوفة ومحفوظة في جرار فخارية بحسب الطريقة التي ورد عنها في (إرميا ٣٢ : ١٤)، والتي كانت معروفة وذائعة في مصر. وكان الإقبال على الرقوق شديداً - كما يؤكد أحد الباحثين - كمادة رائعة للكتابة عليها من الوجهين. ويمكن استخدامها للعديد من المرات بمحو الكتابة وإعادة الكتابة عليها.

وعن استخدام القلم في الكتابة (قارن إش ٨ :١، إرميا ٨:٨، ١٧:١، مزمور ٤٥ :٢، وأيوب ١٩ :٢٤). كما استخدم الحبر للكتابة على الجلد والبردي. والإشارة الوحيدة عن استخدام الحبر في الكتب المقدسة هي التي وردت في (إرميا ٣٦ :١٨)، ويرجع تاريخها إلى عام ٦٠٥ق.م . «وقال باروخ للشعب كان إرميا يقرأ بفمه لي كل هذا الكلام. وأنا كنت أكتب في السفر بالحبر». وكان الحبر المعدني هو المستخدم في ذلك الوقت. وإنتشر إستخدامه رغم أن التلمود اليهودي نهي عن استخدامه، ربما لاعتقادهم بأن الحبر المعدني يتسبب في تلف الجلد والبردي المستخدم في كتابة الأسفار الإلهية المقدسة. ويذكر العلماء أن الحبر المستخدم في كتابة مخطوطات قمران (البحر الميت) لم يكن حبراً معدنياً Metalic Ink بل حبراً نباتياً خضرياً أو كربونياً. وبهذا أدرك العلماء أن العالم القديم أمكن أن ينتج حبراً رائعاً وجيداً وأطول بقاءً من الحبر المعدني.

الفصل الرابع
المازورا والمخطوطات العديدة للكتب المقدسة
(العهد القديم)

تُعد مخطوطة أسفار الأنبياء الأولين والمتأخرين – والتي يطلق عليها مخطوطة القاهرة – من أقدم المخطوطات. وقد كتبها موسي بن أشير علم ٨٩٥م. وكان ذلك قبيل الكشف العظيم لمخطوطات وادي قمران على البحر الميت عام ١٩٤٧م كما سنري فيما بعد.

وكان قد عُثر أيضاً على العديد من أجزاء أسفار الكتب المقدسة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. ويرجع تاريخ كتابتها من القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي. وقد عثر عليها في المعبد اليهودي بمصر القديمة وقد أكتشفت هذه الأجزاء الأثرية في جنيزا Geniza وهي عبارة عن حجرة (أو مخزن) تُحفظ فيه المخطوطات التي بها أعطاب حتى يمكن التخلص منها رسمياً. والكلمة جنيزا من الكلمة الأرامية جنيز (גנז) والتي تعني يُخْفي، لتجنب استخدام أو إتلاف مخطوطة تحتوي على اسم الله المقدس. وكانت العادة أن تدفن محتويات هذه الجنيزا في الأرض بعد إقامة حفل ديني خاص. غير أن هذه المخطوطات لم يتم فيها هذا الأمر ونُسيت تماماً في فترة من الزمان.

كما عُثر أيضاً على مخطوطات عديدة من الأسفار المقدسة ، يرجع تاريخ كتابتها إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد ، في مغارات مختلفة في الصحراء اليهودية خاصة منطقة الأسينيين، في خربة قمران على الشاطئ الغربي للبحر الميت . وعلى بعد ١٥ كم من أريحا ، وبقيت في هذا المكان قرابة ألفي عام حتى عام ١٩٤٧م.

من بين هذه المخطوطات :

- سفر إشعياء بجملته.
- والأصحاحين الأولين من سفر النبي حبقوق.
- وأجزاء عديدة من الأسفار الأخرى عدا سفر أستير.

ورغم أهمية هذا الكشف الأثري العظيم . نجد أن العلماء يعتمدون كلية على مخطوطات القرن العاشر الميلادي وما بعد ذلك. ويرجع ذلك إلى أن القواعد اليهودية كانت تتطلب إعدام المخطوطات والنسخ التي بها قدم أو أعطاب والإبقاء على النسخ الجيدة (أي التي أعيد كتابتها بدقة ومهارة تامة من النسخ الأصلية عبر الأجيال) .

وعندما اكتملت المازورا (النص المازوري) للكتب المقدسة خلال القرن العاشر الميلادي تخلصوا من كل المخطوطات القديمة . واعتبروها غير جيدة للاستعمال، لقدمها فقد صارت بالية . واختفت مع مرور الزمن.

بالإضافة إلى ذلك فإن المخطوطات القديمة كما يرى علماء الكتاب والآثار، كان قد تم إعدامها خلال إضطهاد اليهود في حروبهم بواسطة مضايقيهم وأحياناً كثيرة بواسطة اليهود أنفسهم حتى لا تقع أسفارهم المقدسة في أيدي أناس منجسين.

مخطوطات جنيزا القاهرة Cairo Geniza

توجد بالمكتبة الروسية العامة في ليننجراد مجموعة مخطوطات نادرة، ذات قيمة عظمى أودعت هناك في عام

١٨٦٣م وعام ١٨٧٦م بواسطة العالم الروسي ك. أبراهام فيركوفتش Karaite Abraham Firkowitsch والذي عاش ما بين عام (١٧٨٥ - ١٨٧٤م) وقد أظهر غيرة واهتماماً شديدين، في جمع هذه المخطوطات وحفظها والعناية بها . من بين هذه المخطوطات ألف ومائتي جزء أثري حصل عليها من جنيزا القاهرة التي سلفت الإشارة إليها بمعاونة الأرشمندريت أنطونين Antonin الروسي والذي كان يعيش في أورشليم.

وتبلغ مخطوطات جنيزا في مجموعها إلى مائتي ألف قطعة بجانب النصوص الكتابية في العبرية والأرامية ، والترجمات العربية. كما حوت هذه المخطوطات أجزاء من المدراش والمشنا والتلمود ، وتعاليم خاصة بنظم العبادة ونسخة كاملة عن يشوع بن سيراخ مترجمة إلى العبرية من اليونانية، يرجع تاريخها إلى ما بين القرن الثاني والأول قبل الميلاد . أما أقدم النصوص الكتابية المقدسة في هذه المجموعة فيرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي ، وهي تلقي ضوءاً هاماً على دقة واهتمام الحكماء والفهماء، بعمل مازورة طبريا العظيمة خلال القرن التاسع الميلادي .

ومعظم هذه الأجزاء الأثرية لجنيزا القاهرة موجودة الآن في مكتبة جامعة كمبردج ومكتبة بودلين Bodleian في أكسفورد.

مخطوطة بردي ناش

كانت بردي ناش The Nash Papyrus أقدم مخطوطة معروفة لدي علماء العهد القديم حتي أكتشفت مخطوطات قمران. ويرجع وليم ف. البرايت W.F.Albright تاريخ كتابتها إلى عصر المكابيين أي إلى القرن الثاني ق.م.

وقد تم العصور عليها في مصر في عام ١٩٠٢ بواسطة العالم والباحث و.ل.ناش W.L.Nash ثم أهديت إلى مكتبة جامعة كمبردج. وهي نسخة قديمة متهالكة وتحوي بردي ناش الوصايا العشر وتطابق النص الوارد في سفر (الخروج ٢٠: ٢-١٧، تث٥: ٦-٢١) كما تضم هذه المخطوطة أيضاً (تث٦: ٤-٦) وهي بعنوان «واسمع» The Shema التي تعني في العبرية שמע التي تشدد على ضرورة الإنصات، وهي الكلمة الأولي في (تث٦: ٤). وقد امتدت هذه الوصية لتشمل الكلمات إلي العدد السادس (قارن تث١١: ١٣-٢١ ،مع عدد ١٥: ٧٣-١٤). ويرى أحد العلماء أن الكلمة الآمرة «اسمع» من الرب للإنسان وما تلاها: الرب الهك إله واحد (في النصوص الثلاثة السابقة) فيها تأكيد علي عقيدة الوحدانية، أي عبارة الإله الواحد، الإله الحي خالق السموات والأرض. ورفض كل عبادات الشعوب الوثنية.

مخطوطات قمران البحر الميت

يُعد اكتشاف مخطوطات قمران (على البحر الميت) والخاصة بالعهد القديم من أهم أحداث التاريخ الحديث، فقد بدأ العثور عليها في عام ١٩٤٧م، وتوالى بعد ذلك. وترجع كتابة هذه المخطوطات إلى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.

وقد كان لاكتشاف هذه المخطوطات الأثر البالغ في تأكيد الحقيقة المعروفة عن دقة حفظ الأسفار المقدسة بعناية فائقة. هذه الحقيقة التي ظهرت في نسخ وإعادة نسخ هذه الأسفار الإلهية.

كما وضحت هذه المخطوطات أن النص المازوري كان له من العناية البالغة والدقيقة حظاً وافراً. ونال اهتماماً فائقاً من المتخصصين من العلماء والحكماء بهذه الأسفار المقدسة (العهد القديم).

كما اكتُشفت نصوص أخرى عديدة بواسطة البدو وعلماء الآثار وفي مقدمتهم ل. هاردنج، ر. دي فو L. Harding and R.De Vaux في عشرة كهوف أخرى ما بين عام ١٩٥٢م وعام ١٩٥٦م وخاصة كهف (٤) الذي عثر فيه

على ٣٨٠ مخطوطة ، والكهف (١١) الذي عثر فيه على مخطوطات شبيهة بالكهف الأول ، ونصوصاً سليمة تماماً. وترجع تاريخ هذه المخطوطات إلى عام ١٦٧ ق.م - ٢٣٣ م . ويرى العلماء أن هذه المخطوطات ربما تم إخفاؤها زمن حرب اليهود (ما بين عام ٦٦ - ٧٠م) ولا شك أنها كتبت قبل ذلك بكثير .

كما تم اكتشاف أربعة عشر درجاً من النصوص المقدسة من عصر ما قبل ٧٣م في الصحراء اليهودية عام ١٩٦٣ - ١٩٦٥م .

وقد تم توزيع مخطوطات الكهف الأول المكتشفة عام ١٩٤٧م بين الجامعة العبرية في أورشليم ودير سان مارك في أورشليم أيضاً. إلا أن مخطوطات دير سان مارك كانت قد حُملت إلى الولايات المتحدة زمن الحرب ، ما بين العرب وإسرائيل. فيما تكلفت الجامعة العبرية مبلغ ثلاثمائة ألف دولار مقابل الإبقاء على ما لديها من هذه المخطوطات عام ١٩٥٢م .

أما بقية المخطوطات الأخرى فهي مملوكة للأردن ومحفوظة في متحف فلسطين للآثار في أورشليم ، حيث تم طبعها بواسطة فريق دولي . أما مخطوطات الكهوف (٢ - ١١) فتعد في رأي العلماء إضافة تاريخية وأثرية هامة لما عُثر عليه من مخطوطات الكهف الأول عام ١٩٤٧م .

مخطوطات ابن أشير

على امتداد ستة أجيال، من منتصف القرن الثامن إلى منتصف القرن العاشر الميلاديين،كان لأسرة بن أشير دور هام وأساسي في عمل نسخة الكتب المقدسة المعروفة بمازوية طبريا . وهناك سجل أثري هام لإنجازاتهم في مخطوطات منسوبة لآخر اثنين من أفراد هذه العائلة .

مخطوطة القاهرة Codex Cairensis

وتضم هذه المخطوطة أسفار الأنبياء الأولين والآخرين ، مكتوبة بالتشكيل بواسطة موسى بن أشير عام ٨٩٥م، حيث وردت بالمخطوطة إشارة عن نفسه ككاتب لها . وقد سُلمت لجماعة العهد Karaite Community في مدينة أورشليم . وسلبها الغزاة من غير اليهود ضمن الغنائم ، ثم استردت وصارت ملكاً لجماعة العهد من اليهود في القاهرة، ولازالت أجزاء منها إلى اليوم.

وجاء بالمخطوطة ما يلي:

موسى بن أشير كتب هذه المخطوطة للأسفار المقدسة حسب يد الله الصالحة عليّ (نحميا ٢ : ٨) .

كتبها بوضوح كامل (تث ٢٥ : ٨) في مدينة طبريا المدينة الشهيرة (حزقيال ٢٦ : ١٧) بعد هدم الهيكل الثاني (٨٩٥ م).

كل من يحذف كلمة من هذه المازورا ، أو هذه الكتابة ، أو يكشط حرفاً واحداً ، أو يقطع ورقة واحدة منها ، ليقع عليه العقاب، ولا غفران حتى لا يرى الرب (مزمور ٢٧ : ٤)، ولا يرى خيراً من المحفوظ للذين يخافونه (إرميا ٢٩ : ٣٢). ويصير كامرأة مُنجسة وكرجل أبرص سجيناً حتى تبلى أضلاعه وتُكسر قوة كبريائه سريعاً . لحمه يبلى سريعاً عن العيان وتنبري عظامه فلا تُرى (أيوب ٣٣ : ٢١) .

كل من يقرأ يسمع وكل من يسمع يفهم . وكل من يرى يحفظ: سلام[1].

---

(1) P.Kahle, Cairo Geniza, p96.

مخطوطة حلب The Alppo Codex

وتضم هذه المخطوطة كل أسفار العهد القديم ، وتاريخها يرجع إلى النصف الأول من القرن العاشر . وجاء بالمخطوطة أن هرون بن موسى بن أشير لم يكتب المخطوطة بل كان مسئولاً عن التشكيل، الذي تم بعناية فائقة . وكانت تستخدم في أعياد الفصح وعيد المظال والأعياد الأخرى. وكانت في الأصل في أورشليم ثم القاهرة وأخيراً في حلب والآن توجد في أورشليم .

مخطوطة لينتجراد Godex Leningradensis

كتبت هذه المخطوطة في القاهرة عام ١٠٠٨ م وهي تضم كل الكتب المقدسة وبالتشكيل . وتعد شهادة لهرون بن موسى بن أشير في الكتابة والتشكيل حيث جاء على هامش المخطوطة عن آخر أسرة بن أشير ما يلي : «صموئيل بن يعقوب كتب بالتشكيل وأمدّ بالمازورا هذه المخطوطة للكتب المقدسة وذلك من الأسفار الصحيحة والحواشي التفسيرية المعدة بواسطة هرون بن موسى بن أشير المعلم ، ليمكث في جنة عدن» . وقد ثبت مؤخراً بالأبحاث العلمية صحة اعتماد هذه المخطوطة على النسخة الأصلية لهرون بن موسى بن أشير .

مخطوطة بيترزبرج للأنبياء Petersburg Godex of Prophets

وتضم هذه المخطوطة أسفار الأنبياء الآخرين : إشعياء وإرميا وحزقيال والأنبياء الاثنى عشر . ويعد فيركوفتش Firkowitsche هو مكتشف هذه المخطوطة عام ١٨٣٩ م في معبد Chufutkaleh في شبه جزيرة القرم Crimea ويعود تاريخ كتابتها إلى عام ٩١٦ م .

مخطوطة سيفيرس Codex Severi

وموجودة الآن في باريس وبراج Progue وتضم اثنين وثلاثين نصاً من أسفار التوراة الخمسة . وكانت في معبد سيفيرس بروما حيث كانت ضمن الغنائم التي حُملت إلى روما عام ٧٠ ميلادية ، وكان الإمبراطور سيفيرس -Sever us (٢٢٢ - ٢٣٥م) قد أودعها بالمعبد الذي شيده باسمه .

مخطوطة هلليل Codex Hillel

ويُعتقد بأن الحاخام هلليل بن موسى بن هلليل هو كاتب هذه المخطوطة عام ٦٠٠ ميلادية . وذكر أيضاً بأن هذه المخطوطة امتازت بدقتها، واستخدمت كمرجع ونسخة أصلية في كتابة المخطوطات العديدة الأخرى .

الفصل الخامس
الأسفار الخمسة (التوراة) عند السامريين

يأخذ السامريون بالتوراة (الأسفار الموسوية الخمسة) فقط كأسفار مقدسة . ولا يعتقدون ببقية الأسفار الإلهية الأخرى . ومن الناحية الأخرى يرى بعض الباحثين أن النص السامري لهذه الأسفار يُعد مخطوطة قديمة للأسفار في اللغة العبرية ، بجانب مخطوطات وادي قمران (البحر الميت) وغيرها من الوثائق الهامة القديمة .

وتمتد أصول السامريين عند مفكري اليهود ، إلى نسل ما بين النهرين الذين أتى بهم سرجون ومن تلاه إلى السامرة عاصمة المملكة الشمالية. والتي كانت تضم عشرة أسباط بعد انقسام المملكة المتحدة أيام رحبعام بن سليمان . وتكونت مملكة يهوذا (المملكة الجنوبية وعاصمتها أورشليم) من السبطين الآخرين (يهوذا وبنيامين) . ومن الكلمة يهوذا أتت كلمة يهود كما هو معروف.

والواقع أن اختلاط الجماعات الأشورية بسكان السامرة يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد في أيام سرجون (٢مل١٧:٢٤). وأيضاً إلى القرن السابع ق.م أيام أسرحدون وأشور بانيبال (عزرا ٤ :٢، ١٠).

أما السامريون فلديهم نظرية أخرى عن أصلهم ومن أين أتوا. فهم يُرجعون أنفسهم إلى تلك الجماعة الإسرائيلية التي ظلت موالية لإلهها عند حفظ تابوت عهد الرب في شيلوه (يش ١٨:١). وفي رأيهم أن عزرا أخطأ فهم النص المقدس ببنائه الهيكل المقدس في اليهودية، بواسطة المسبيين العائدين إلى أرض الآباء أيام نحميا.

أما الشواهد الكتابية الخاصة بالخلفية التاريخية للسامريين فتؤيدها الوثائق الأشورية التاريخية (قارن ٢مل ١٥: ١٩، ٢أخ ٩:٣٤)[1]. حيث لم يبق من سكان الأرض عند سقوط السامرة عاصمتهم، غير القرويين والفقراء البائسين. ويبدو أن سكان ما بين النهرين (أشور) النازحين إلى إسرائيل اختلطوا معهم بالزواج. وبالتدريج حملوا التسمية سامريين. وبهذا يدرك المرء أن العداوة بين اليهود والسامريين قديمة جداً .

أما عن تمسكهم بجبل جرزيم كمكان للهيكل، فيرجع إلى عهد موسى النبي (تث ١١ : ٢٩ ، ٢٧ : ١٣ ، يش ٨ : ٣٣ - ٣٥) . مؤكدين بأن موسى تحدث عن جبل جرزيم كمكان لتكريس العبرانيين ، وليس مدينة أورشليم التي كانت حصناً يبوسياً إلى وقت داود ملك إسرائيل (٢صم ٥ : ٦ - ٩) .

لقد حاول السامريون تقديم المساعدة في إعادة بناء الهيكل في أورشليم زمن ما بعد السبي (عزرا٤:٢). غير أنهم قُوبلوا بالرفض بواسطة زربابل، وإزدادت الحدة والتوتر بينهما أيام عزرا ونحميا . ووصل الأمر إلى ذروته عندما طرد نحميا حفيد رئيس الكهنة، لأنه تزوج ابنة سنبلط (نحميا١٣:٢٨-٣٠).

ويرى يوسيفوس أن سنبلط هو المسئول عن بناء الهيكل للسامريين في جبل جرزيم والذي كان أحد المعارضين الرئيسيين لنحميا. وطبقا لبردي اليفنتين Papyri Elephantine كان سنبلط حاكما للسامرة عام ٤٠٧ ق.م . ويؤرخ يوسيفوس بناء هيكل السامريين بعام ٣٣٠ ق.م، الأمر الذي يؤكده كثير من العلماء والباحثين .

وللسامريين نسختهم الخاصة بالأسفار الخمسة الموسوية (التوراة) وهي الأسفار القانونية الوحيدة عندهم . كما أن لهم تعاليمهم الخاصة بهم دون سواهم. وربما كانت التعاليم المتخالفة تعود إلى تعاليم الكاهن المرسل إليهم من قبل ملك أشور عند قتل السباع لهم (٢مل ١٧:٢٦-٢٧) كما يعتقد علماء اليهود.

(1) D.D.Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vo12. Sec.55

ويزعم السامريون أن أقدم مخطوطة لأسفارهم القانونية المقدسة (التوراة) تعود إلى أبيشوع بن فينحاس حفيد هرون (١أخ ٦ : ٣ - ٤)، وهذا مبالغ فيه كما هو واضح لدى العلماء. وقد أجرى السامريون تعديلات كثيرة في أسفار التوراة (الخمسة)، لتناسب اهتماماتهم التاريخية والعقائدية. ولا يُعرف بالضبط من هو المسئول عن إجراء هذه التعديلات، والذي بناء عليه اعتقدوا بأن العبادة وبناء الهيكل يجب أن يكونا في جرزيم.

ويرى كاهل Kahle بأن ما يقرب من ستة آلاف كلمة أو عبارة عُدلت في أسفار السامريين، وتختلف عن ما جاء في النص المازوري. كما أضافوا تفسيراً مطولاً بعد (خروج ٢٠:١٧، وتث ٥:٢١)؛ تضم في الأساس مادة من (تث ١١:١٩--٣٠)، وفي (تث ٢٧ : ٢ - ٧) صار فيها جبل جرزيم بديلاً لجبل عيبال . كما غيَّر السامريون أيضا التعبير «مقابل الجلجال» في (تث ١١ : ٣٠) إلى «مقابل شكيم». متجاهلين الاعتبارات الجغرافية بسبب عقائدي أيضاً. غير أن مخطوطة السامريين للأسفار الخمسة (التوراة) بعيداً عن التبديل والخوف والتعديل ، تُعد شهادة للأسفارة الموسوية القديمة . حيث يمتد تاريخ مخطوطتهم إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وربما يمتد إلى زمن أبعد من ذلك كما يرى بعض الباحثين ؛ أي إلى عصر المملكة المتحدة قبل الانقسام .

الفصل السادس:
الترجمات

الترجمة السبعينية Septuagint

تعد الترجمة السبعينية (ترجمة الأسفار المقدسة «العهد القديم» من العبرية إلى اليونانية) شهادة قوية لنصوص العهد القديم. واستطاع العالم اليوناني أن يتعرف ولأول مرة على الأسفار المقدسة ، عن طريق هذه الترجمة. وقبلتها الكنيسة الأولى كصورة للكتب المقدسة .

كما زعم أوغسطينس أن جيروم استخدم السبعينية في ترجمته إلى اللاتينية كأساس لترجمته.

وجاء في رسالة أرستياس Aristeas الذي كان معاصراً وقت إعداد الترجمة بأن ديمتريوس فاليرون Demetrius of Phaleron مدير مكتبة الإسكندرية الشهيرة، أخبر سيده الحاكم بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م) بأن الشريعة اليهودية، تستحق أن يكون لها مكان في المكتبة الملكية. فقط يجب ترجمتها إلى اللغة اليونانية. وفكَّر الملك جدياً في هذا الأمر. وتم إرسال ممثلين، ومعهم أرستياس إلى أليعازر رئيس الكهنة في أورشليم . يطلب إليه أن يمدهم بمترجمين أكفاء مقتدرين، لعمل هذه الترجمة. واستجاب أليعازر رئيس الكهنة بأن أرسل اثنين وسبعين شيخاً إلى الأسكندرية، ستة أفراد عن كل سبط من الأسباط الاثنى عشر، ومعهم درج التوراة. وبعد استقبال حافل وجليل أمدوا الملك بنماذج من الحكمة اليهودية في سلسلة أقوال مأثورة. وأخذوا بعد ذلك إلى جزيرة فاروس Pharos المتاخمة للإسكندرية[1]. وفي هدوء وعزلة تامة ترجموا الناموس في إثنين وسبعين يوماً. وتم قراءة الترجمة كاملة أمام جماعة اليهود في الإسكندرية. وسعدوا بها وأقروا وأعلنوا أنها رائعة ودقيقة ويجب النظر إليها بأنها مقدسة، وأن اللعنة تقع على أي شخص يضيف إليها أو يحذف منها. وبعد أن تسلم الملك اعتماد الجماعة اليهودية، أوصى بطبعها ، وأرسل المترجمين إلى بيوتهم مُحملين بأفضل الهدايا.

ذلك هو مضمون رسالة أرستياس التي حفظها يوسيفوس بدقة (٣٧-١٠٠م). ويعلق فيلو Philo أو أفلوطين السكندري (٢٥ ق.م - ٤٠م) قائلاً؛ إن الترجمة عمل من الوحي الإلهي، ويصف المترجمين بأنهم أنبياء. ورغم أنهم عملوا منفصلين عن بعضهم كما يقول، إلا أنهم أجمعوا على نص واحد مطابق للآخر تماماً. وتبعه في ذلك آباء الكنيسة. وشملت هذه المقولة بقية أسفار العهد القديم. ويذكر ب . جستن الذي عاش خلال القرن الثالث بأنه رأى بقايا المواد التي استخدمها جماعة المترجمين في عزلتهم التامة.

ويعلق إرنست ڤيرتڤين E.Wurthwein بقوله بأن هذه المزاعم لا تزيد عن كونها خرافة تقوية ، توضح مدى دقة وروعة الترجمة السبعينية التي أمتعت وأثْرت الكنيسة المسيحية. كما يرى أن الترجمة السبعينية تمت بعد عصر بطليموس فيلادلفوس بقرن من الزمان، وأن الناموس اليهودي لم يترجم إشباعاً لرغبة الثقافة الملكية . بل لأن اليهود المصريين لم يعودوا يفهمون العبرية، وكانوا في مسيس الحاجة إلى ترجمة يونانية. وأخيراً فإن المترجمين لم يكونوا من يهود فلسطين، بل من يهود الإسكندرية. حيث كانت اللغة اليونانية لغة التخاطب. وقد ذاعت الصفة الخرافية التي تضمنتها رسالة أرستياس كما يقول ڤيرتڤين، ورددها الجميع. وكان لها التأثير الفعال إلى هذا اليوم . كما أنها تمثل الترجمة الفريدة لكل العهد القديم (الكتب المقدسة).

---

(١) أسس الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية بتوصيل جزيرة فاروس بقرية راقورة عام ٣٣١ ق.م

السبعينية والترجمات اليونانية الأخرى

الملاحظ أن رسالة أرستياس تضع أصل ترجمة الأسفار الخمسة في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد . وربما كان هذا صائباً . كما أن الترجمة السبعينية ترتبط بيهود الإسكندرية، التي كان لها اهتمامها الخاص بالجالية اليهودية ، التي كانت في حاجة ملحة لهذه الترجمة اليونانية. كما كانت الحاجة ماسة إلى الترجمة الآرامية ليهود فلسطين .

وكانت أسفار التوراة تمثل الجزء الهام الأولي في الترجمة وتبعته بعد ذلك ترجمة الأسفار المقدسة الأخرى التي استغرقت زمناً أطول . أما عن الاختلاف بين السبعينية والنص المازوري للكتب المقدسة فيرجع إلى خبرة المترجم ودرايته باللغة العبرية .

لقد أتاحت السبعينية ليهود الشتات الناطقين باليونانية، أن يدرسوا الكتب المقدسة بلغتهم، كما أتاحت لغير اليهود فرصة دراستها أيضا (قارن أع ٨ : ٢٦ – ٢٧). وكان هذا هاماً للكنيسة الأولى، حتى يتعرفوا على المسيحية في أصولها. وبهذا صارت السبعينية، الكتاب المقدس لمسيحيي القرون الأولى.

وبعد مرور السنين، شعر جماعة اليهود الناطقين باليونانية ، بحاجتهم إلى ترجمة حديثة بدلاً من السبعينية . ومن هذه المحاولات ظهرت ترجمة حديثة باسم ترجمة أكيلا Aquila ، وترجمة أخرى باسم ثيودوثون Theodotion، وترجمة ثالثة بواسطة سيماخوس Symmachus .

(أ) ترجمة أكيلا Aquila

وظهرت عام ١٣٠ م قريبة جداً من النص المازوري . والمترجم هِلّيني صار يهودياً واقتُبست ترجمته بواسطة كثيرين من معلمي اليهود. ونالت ترجمة أكيلا تقديرها العظيم من أوريجانس وجيروم . وأكيلا هذا غير أكيلا المذكور في (أعمال الرسل ١٨:٢). وقد ظهرت أجزاء من هذه الترجمة في جنيزا القاهرة (بمصر القديمة) . ويرجع تاريخ هذه الرقوق إلى القرن السادس الميلادي.

(ب) ترجمة ثيودوثن Theodotion

وظهرت هذه الترجمة في نهاية القرن الثاني طبقاً لتقليد الكنيسة ، كما يرى أحد الباحثين بأن ثيودوثن يشبه إلى حد كبير يوناثان بن عزئيل Ben Uzziel الذي عاش في النصف الأول من القرن الأول الميلادي وربما كان سلفاً لأكيلا . ولم تكن ترجمته جديدة بل تنقيحاً لترجمة يونانية كائنة في ضوء النص العبري الأصلي .

(جـ) ترجمة سيماخوس Symmachus

وظهرت عام ١٧٠م أو بداية القرن الثالث الميلادي بواسطة سيماخوس. وهي ترجمة يونانية دقيقة . ويرى يوسابيوس وجيروم أن سيماخوس كان إبيونياً (من طائفة الإبيونيين) Ebionite، أما أبيفانيوس فيرى أنه كان سامرياً وصار يهودياً . واستعان في ترجمته بالترجمات اليونانية السابقة له. وابتعد كما يفعل كثير من معلمي اليهود عن العبارات التجسيدية لشخص الله. ومما يُذكر بأن ترجمة سيماخوس ظهرت أفضل من ترجمة أكيلا وثيودوثن من حيث اللغة والأسلوب.

هذه الترجمات اليونانية العديدة لهي برهان على الاحتياج لمزيد من الفهم العميق للكلمة المقدسة . ومن اكتشافات كهوف وادي المربعات Wadi Murabbaat عُثر على درج من الجلد يتضمن أجزاء من أسفار الأنبياء

الاثني عشر (يونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وزكريا) ويؤرخها د. بارتلميD.Barthelemy بنهاية القرن الأول والثاني الميلادي . وتُعد تنقيحاً للسبعينية التي ظهرت قبل المسيحية، وهي شبيهة بتلك الترجمات التي تمت بواسطة أكيلا وثيودوثن وسيماخوس . بمعنى أن هذه الترجمات كانت مقبولة من اليهود والمسيحيين على السواء .

هكسابلا - أوريجانس Origan Hexapla

لقد كانت الترجمات العديدة المختلفة بالإضافة إلى النص الأصلي للكتب المقدسة، أمراً مثيراً للمناقشات بين اليهود والمسيحيين. الأمر الذي شجع أوريجانس اللاهوتي السكندري على القيام بعمل الإنجاز العظيم؛ الهكسابلا ما بين عام ٢٣٠ - ٢٤٠ م . ليعين المسيحيين في دراستهم للأسفار المقدسة وحوارهم مع اليهود في تلك الفترة . ويُقصد بالهكسابلا بأنه المجلد الذي يضم ستة أعمدة متوازية لنصوص الكتب المقدسة فيما يلي :

١- النص العبري .

٢ - النص العبري مكتوباً بأحرف يونانية .

٣ - ترجمة أكيلا Aquila .

٤ - ترجمة سيماخوس Symmachus .

٥ - ا لترجمة السبعينية Septuagent .

٦ - ترجمة ثيودوثن Theodotion .

وكان لترجمة أكيلا تقدير واهتمام خاصين بوصفها أفضل ترجمة دقيقة لقربها من النص العبري الأصلي.

كما كان اهتمام أوريجانوس أن يربط السبعينية بالنص العبري الأصلي في ضوء الترجمات الأخرى اليونانية.

وقد تعرضت الترجمة السبعينية لدراسة نقدية على مر الأجيال في الدراسات اللاهوتية النقدية. أما خلال القرن التاسع عشر فقد فضلها العلماء على النص المازوري للكتاب المقدس واعتقدوا بأن أصولها تمتد إلى زمن ما قبل الميلاد أي ما قبل النص المازوري. غير أن العلماء المتخصصين هذه الأيام أدركوا عدم إمكانية ذلك، أو التسليم به، لمجرد أن الترجمة السبعينية أقدم تاريخياً (راجع ما جاء عن المازورا وجنيزا القاهرة سابقاً) بل يجب توخي الدقة عند الرجوع إلى السبعينية، لأنها تختلف من سفر إلى سفر كما يرى العلماء. وفي مقدمتهم Wurthwein فيرتفين[1] وحتى الذين يختلفون مع العالم ب. كاهل Kahl يتفقون معه في الرأي، بأنه لا يوجد نص أصلي للسبعينية يمكن مقارنته بالنص المازوري للكتب المقدسة الذي يضم الأسفار بجملتها.

المخطوطات الخاصة بالترجمة السبعينية

يصل عدد المخطوطات الخاصة بالسبعينية والتي قام بجمعها هولمز وبارسنز Holms and Parsons إلى ثلاثمائة وإحدى عشر مخطوطة بردية . بل إن عدد القطع الأثرية حتى القرن السادس عشر ، وصل إلى ألف وخمسمائة قطعة أثرية كما يذكر أ. رالفز A . Rahfs.

ومن أهم هذه المخطوطات:

أ- مخطوطة بردية باللغة اليونانية بمكتبة جون ريلاندز في مانشستر

وتضم (تث ٢٣:٢٤-٢٤:٣، ٢٥:١-٣، ٢٦:١٢، ١٧-١٩، ٢٨:٣١-٣٣). ويعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. وهي تُعد أقدم مخطوطة للأسفار باليونانية. بالإضافة لما عُثر عليه من مخطوطة يونانية في الكهف الرابع بمنطقة قمران (البحر الميت) عام ١٩٥٢م.

(1) Emast Wurthwein, The Text of the O.T.: An Introduction to Biblia Hebraica, Translated by Errol F.Rhodes, (Grond Rapids: Eerdmans, 1985), pp.63-67

ب- بردي شيستر بيتي The Chester Beaty

وترجع أهمية هذه المخطوطة لحجمها وقدمها، فهي تحتوي على بقايا إحدى عشر مخطوطة، وتضم أجزاء من تسعة أسفار من الكتب المقدسة (العهد القديم)؛ من أسفار التكوين والعدد والتثنية، وإشعياء وإرميا وأجزاء من حزقيال ودانيآل وأستير وأجزاء من يشوع بن سيراخ. وخمسة عشر سفراً من العهد الجديد، وعظة تعليمية بواسطة ميليتس أسقف ساردس أحد آباء الكنيسة في القرن الثاني. ويعود تاريخ هذه المخطوطة إلى ما بين القرن الثاني والرابع الميلادي. وربما كانت من بقايا المكتبة المسيحية في الفيوم وحصل عليها العلامة الإنجليزي شيستر بيتي عام ١٩٢٩م من السكان المحليين الذين عثروا عليها، كما حصلت جامعة ميتشجان والأمريكي جون شيدي Scheide John H. على أجزاء منها، وتوجد أجزاء أخرى منها في ڤينا وإيطاليا أيضاً.

جـ- مخطوطات برلين Berlin

وتضم مخطوطة لسفر التكوين (١ :١٦-٣٥:٨)، وأسفار الأنبياء الاثنى عشر المكتشفة عام ١٩٢٧م، ومزامير (١٧-١١٨). وتعود إلى القرن الثالث الميلادي. وسفر الأمثال من القرن الرابع، وسفرٌ بردي كان بالمتحف البريطاني منذ عام ١٨٣٦م (تحت رقم بردي ٣٧) ويضم اثنين وثلاثين ورقة من مخطوطة المزامير (٢:١٠-٦:١٨، ٢٠ :١٤-٦:٣٤) تمثل ما يُطلق عليه بنص مصر العليا.

مخطوطات أشير عنها في النص الأصلي العبري Biblia Hebraica

وفيما يلي قائمة المخطوطات التي أشير عنها في النص الأصلي العبري للأسفار المقدسة مرتبة تاريخياً:

المخطوطة الفاتيكانية Codex Vaticanus (B)

وهي بمكتبة الفاتيكان وترجع إلى القرن الرابع. وتضم العهد القديم كله بالإضافة إلى مخطوطة (تك١- ٤٦ : ٢٨، مزمور ١٠٥ : ٢٧ - ١٤٦ : ٦) من القرن الخامس عشر وينسبها Rahlfs لمنطقة مصر السفلى.

المخطوطة السينائية Codex Sinaiticus (S)

وتعود إلى القرن الرابع ، واكتشفت بواسطة تشندورف Tischendorf في دير سانت كاترين ، عام ١٨٤٤م وعام ١٨٥٩م . والجزء الأكبر منها موجود حالياً بالمتحف البريطاني بلندن منذ عام ١٩٣٣م . وكانت قبلاً في ليننجراد، وجزء صغير موجود الآن في ليبزج Leipzig ، وكانت أصلاً في فلسطين. وتضم هذه المخطوطة (تك ٢٣ : ١٩ - ٢٤ : ٤٦ ، عدد ٥ : ٢٦ - ٧ : ٢٠ ، ١أخ ٩ : ٢٧ - ١٩ : ١٧ ، وعزرا ونحميا وأستير وطوبيا ويهوديت والمكابيين الأول والرابع وأسفار إشعياء وإرميا وسفر المراثي ٢ : ١- ٢ : ٢٠ ، وأسفار يوئيل إلى ملاخي وسفر المزامير والأمثال وجامعة ونشيد الأنشاد وكتاب يشوع بن سيراخ وسفر أيوب) .

مخطوطة الإسكندرية Codex Alexandrinus (A)

وهي موجودة بالمتحف البريطاني الآن ، وترجع إلى القرن الخامس إذ أعطيت هدية لملك بريطانيا تشارلز الأول عام ١٦٢٧م، وكانت قبلاً في المكتبة البطريركية بالإسكندرية، وهي تضم أسفار العهد القديم، عدا (١صم ١٢ : ١٧ - ٩:١٤، مزمور ٤٩:٢٠-٧٩:١١).

مخطوطة سارفيان Codex Colberto Sarravianus (G)

وتعود هذه المخطوطة إلى القرن الرابع والخامس ومعظمها في ليدن Leyden وجزء صغير منها في باريس ، وورقة

واحدة في لينجراد . وتضم هذه المخطوطة (تك ٣١ : ٥ - قض ٢١ : ١٢) .

مخطوطة أمبروز Codex Ambrosianus (F)

موجودة في ميلان Biblioteca Ambrosiana وتشتمل على (تك ٣١ : ١٥ - يش ١٢ : ١٢) .

مخطوطة فرير Codex Freer (q)

وترجع إلى القرن الخامس ، وقد حصل عليها فرير Freer من الجيزة (مصر) عام ١٩٠٦م وهي موجودة حالياً في معهد سميثسونيان Smith sonian في واشنطن العاصمة. وتشتمل على (سفر التثنية عدا ٥ : ١٦ - ١٦ : ١٨، وسفر يشوع عدا ٣ : ٣ - ٤ : ١٠) .

مخطوطة أفرايم سايرس Codex Ephraemi Syrirescriptus (C)

وهي موجودة في المكتبة الوطنية Bibliotheque Nationale بباريس وهي من الرقوق الجيد . وتحتوي على نسخة من أعمال أفرايم Ephraem Syrus وتعود إلى القرن ١٢. هذه هي الكتابة العلوية الظاهرة. أما الكتابة السفلية الأقدم[1] من المخطوطة فتعود كتابتها إلى القرن الخامس وتضم نصوصاً من سفر أيوب والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد وحكمة سيراخ والعهد الجديد .

مخطوطة كوتنيان Codex Cottonianus (D)

وتعود إلى القرن الخامس والسادس، وهي بالمتحف البريطاني. وكانت النيران قد التهمت مئة وخمسين جزءاً من المخطوطة عام ١٧٣١م في بيت آشبرنهام Ashburnham House، ولم يبق إلا سفر التكوين فقط .

مخطوطة مارشليان Codex Marchalianus (Q)

وهي بمكتبة الفاتيكان، وتعود إلى القرن السادس. وتضم أسفار إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيآل والأنبياء الاثنى عشر (هوشع - ملاخي).

مخطوطة كويسلنيان Codex Coislinianus (M)

وهي في مكتبة باريس الوطنية Bibliotheque Nationale وتضم (سفر التكوين - ١مل ٨ : ٤٠) . تعود هذه المخطوطة إلى القرن السابع .

مخطوطة ليبزج Codex Lipsiensis (R)

وتعود إلى القرن السابع والثامن، وهي بمكتبة جامعة ليبزج Leipzig. وكانت قبلاً في دير القديس سابا St. Saba Monastery بأورشليم، وحصل عليها تشندورف عام ١٨٤٤م. بأعلى المخطوطة كتابة باللغة العربية تعود إلى عام ٨٨٥م. والكتابة التحتية تضم أجزاء من سفر العدد والقضاة . وجزء من المخطوطة موجود في لينجراد ويضم ستة أوراق من أسفار العدد - قضاة.

مخطوطة بودليان Codex Bodleianus (E)

توجد جزازات منها في مكتبة بودليان Bodleian بأكسفورد . وترجع هذه المخطوطة إلى القرن التاسع والعاشر، وتضم (تكوين ١-١٨:٤٢ وأجزاء من تكوين ١٨:٤٢-١مل ٢٨:١٦)، كما توجد أجزاء أخري في كمبردج ولينجراد ولندن. وكان تشندورف Tischendorf هو مكتشف هذه المخطوطة في الدير الكائن بجبل سيناء.

(١) كانت الرقوق غالية الثمن، فكانت الكتابة القديمة تمحى من على سطحها ثم يستخدم نفس الرق في الكتابة من جديد.

مخطوطة أثينا Codex Athenianus (W)

وموجودة حالياً في المكتبة العامة بأثينا. ويعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر. وتضم سفر أستير وكتابات أخرى خاصة بيهوديت وطوبيا.

التراجم الأرامية

لم تعد اللغة العبرية لغة التخاطب زمن ما بعد السبي ، بل صارت الأرامية هي اللغة الرسمية للإمبراطورية الغربية الفارسية. أما اللغة العبرية فكانت مفهومة ومستخدمة بين الدينيين ، ومراكز الثقافة الدينية كالمعابد اليهودية. وصارت الحاجة ماسة للربط بين حاجة العامة من الشعب وأهمية إدراكهم للغة العبادة في المجامع أو المعابد اليهودية. وهنا ظهرت التراجم للنصوص العبرية للأسفار، بمعنى الترجمة أو الترجمات الأرامية. وكان يُطلق على المترجم «تُرجمان Turgeman». ويمتد تاريخ الاحتياج إلى الترجمة أو التراجم كما جاء في التقليد اليهودي إلى وقت عزرا الكاتب لشريعة إله السماء (راجع نحميا٨: ٨).

وكما يرى بعض الباحثين، كانت الترجمة الشفهية تستخدم في الخدمة الدينية، ولا تُقرأ من درج مكتوب . وذلك للتفرقة بينها وبين النصوص العبرية المقدسة. وظهرت الترجمة مكتوبة في فجر المسيحية . وذُكر عن غمالائيل معلم بولس الرسول، أنه عندما جيء إليه بسفر أيوب مترجماً في الأرامية، لم يلتفت إليه بل أخفاه في حائط . ومرجع ذلك كما يرى أحدهم، إلى الاعتقاد بأن سلطان الوحي هو في الأسفار المكتوبة بالعبرية ، وهي الأسفار المقدسة ، وليست المترجمة. كما تختلف التراجم بين الواحد والآخر. ولا يوجد ترجوم واحد (بمعنى ترجمة واحدة أرامية) ، يمكن أن يطلق عليه بالترجوم (الترجمة) القانوني أو الرسمي بل هي مجموعة تراجم (ترجمات) أرامية لا تُغْني عن الرجوع إلى النصوص الأصلية العبرية.

أنواع التراجم

يوجد نوعان أساسيان من التراجم وهما :

١- التراجم الفلسطينية التي ظهرت في وقت مبكر.

٢- التراجم البابلية التي تم تنقيح أصولها في بابل وهي تنقسم حسب أسماء من ترجموها إلى: أ- ترجوم أونكيلوس Onkelos ، للأسفار الموسوية الخمسة (التوراة)، ب- ترجوم يوناثان لأسفار الأنبياء .

ومعظم التراجم الحالية تعود مادتها إلى مختلف العصور .

١ - الترجوم الفلسطيني

لم يظهر الترجوم الفلسطيني بصورة رسمية، حيث لم يكن ممكناً الاعتماد عليه في أي من النصوص. بالإضافة إلى أن مخطوطات هذا الترجوم تختلف عن بعضها الآخر في النص الواحد كما يرى الباحثون . وبفضل الإكتشافات الحديثة ، أمكن العثور على بعض هذه التراجم الفلسطينية . وقام ب . كاهل P.Kahle بجمع وكتابة بقايا الترجوم القديم للأسفار الخمسة (التوراة)، التي بقيت من سبع مخطوطات عُثر عليها في جنيزا[1] القاهرة يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرن السابع إلى التاسع. كما تضمنت شروحات وتفاسير وعظية . لكن الاختلافات بينها ظلت كبيرة. كما اكتشفت بعض المخطوطات الأخرى لهذا الترجوم عام ١٩٥٧م بواسطة ديز ماخو A. Diez Macho. وأعيدت كتابة مخطوطة كاملة للترجوم الفلسطيني في إيطاليا خلال القرن السادس عشر.

وواضح بأن بداءة كتابة هذا الترجوم ، تعود إلى عصر ما قبل المسيحية . وهو هام جداً لفهم اليهودية في فجر المسيحية . كما أن دراسة التراجم يُعد مادة ذات قيمة لدراسة الأرامية لغة التخاطب في فلسطين أيام يسوع المسيح.

(١) أصبح اسم جنيزا (القاهرة) اسماً مألوفاً ويقصد به خزانة المعبد اليهودي بمصر القديمة (القاهرة) والتي عثر بها على عدد ضخم من الوثائق القديمة - يقال إن عددها أكثر من ٢٠٠ ألف.

٢ - الترجوم البابلي

أ- ترجوم أونكليوس Onkelos لأسفار التوراة .

ب- ترجوم يوناثان Jonathan لأسفار الأنبياء .

ويعد الترجوم البابلي أفضل التراجم المعروفة كما يعّد مرجعاً وافياً له قيمته لدراسة اليهودية.وقد تمت كتابة هذا الترجوم في بابل بعد زمن طويل من الدراسة والتنقيح لأصوله الفلسطينية القديمة .

ومن الصعب كما يرى ڤيرتڤين E. Wurthwein أن يكون الترجوم البابلي بجزئيه ، نتاج عمل فردي واحد . بل ثمرة عمل جماعة متخصصة قامت به ليكون مرجعاً رسمياً دقيقاً في ضوء النص العبري الأصلي. وصار للترجوم (ترجمة أونكليوس للأسفار الخمسة الموسوية)، السلطان الرسمي التعليمي ، مثل النص الأصلي العبري . وطبع النص عام ١٨٨٤ - ١٨٨٦م كمازورا للأسفار. وذلك وفقاً لطبعة قديمة سابقة عام ١٥٥٧م .

وعن ترجوم يوناثان لأسفار الأنبياء والذي تضمن مادة تاريخية نبوية، يعود في بعض أجزائه إلى ما قبل عصر المسيحية، وطُبع هذا الترجوم بواسطة بولس دي لاجارد Paulus De Lagarde عام ١٨٧٢م.

كما ظهر ترجوم خاص بالكتوبيم ١٨٧٣م . بالإضافة إلى تراجم أخرى ظهرت خلال القرن السادس عشر والسابع عشر مثل تراجم يعقوب بن خاييم Jacob Ben Chayyim عام ١٥٢٤م.

الترجمة السريانية : البشيتا
(البسيطة)

تعد الترجمة السريانية (البشيتا أو البسيطة) من أقدم وأهم الترجمات للأسفار المقدسة بعد الترجمة السبعينية. وانتشر استخدام هذه الترجمة من القرن التاسع الميلادي . وجاء في التقليد أن الترجمة السريانية تعود إلى زمن حكم سليمان. بينما ينسبها البعض إلى العصر المسيحي، وبالتحديد إلي القرن الأول عندما دخلت الأسرةُ المالكة وقادةُ إديابين Adiabene (إديابين إمارة سورية تقع شرق دجلة) الديانة اليهودية واحتاجوا لترجمة التوراة إلي لغتهم السريانية. وتعد هذه إشارة إلى بداءة الترجمة السريانية، في منتصف القرن الأول الميلادي .

ويرى البعض الآخر أن الترجمة البسيطة (البشيتا) ، تشبه الترجمة السبعينية في أنها ثمرة عمل أيدي كثيرين، وأن بعض الأسفار المقدسة ظهرت في هذه الترجمة قبل المسيحية أيضاً، الأمر الذي يرفضه كثيرون من الباحثين، ويرون أنها ترجمة مسيحية في الأصل. ولا يُعرف بالتحديد متى ترجمت أو من هو المترجم. ويمتد الجهل بهذا الأمر إلى عصر ثيودور الموبسيستي The odore Mopsuestia الذي توفي عام ٤٢٨م ، والذي يرى أن الذي قام بترجمة بعض الأسفار، جماعة من الكنيسة السريانية ، أتوا من خلفية يهودية . ويرى ب.كاهل Kahle[1] أن الترجمة السريانية كانت من أجل الأسرة المالكة في اديابين Adiabene (الإمارة السورية الكائنة شرق دجله) في منتصف القرن الأول المسيحي .

وبالبحث في المخطوطات كما يرى بارنز Barnes، وُجد أن الترجمة السريانية البسيطة للأسفار الموسوية الخمسة ، ظهرت في وقت مبكر في مجلدين منقحين. المجلد الأول عبارة عن ترجمة حرفية دقيقة، والآخر يشبه الترجوم إلى حد كبير . وكما يرى بارنز Barnes بأن المجلد الذي هو ترجمة حرفية دقيقة ظهر في وقت سابق للمجلد الآخر ، وقد نُقح الأخير خلال القرن الثاني الميلادي، حتى يكون مطابقاً للنص العبري القديم.

ويجدر بنا أن نذكر هنا الإقتباسات الكتابية لآباء الكنيسة السريانية مثل أفرايم Ephraem الذي مات عام ٣٧٣م وأفرآت Aphraates الذي عاش عصر ما قبل انقسام الكنيسة السريانية في القرن الخامس إلى نسطورية ويعقوبية (الكنيسة السريانية الشرقية وهي النسطورية، والكنيسة السريانية الغربية وهي اليعقوبية).

كما توجد مجموعة من مخطوطات البشيتا في المتحف البريطاني Ms. Add. 14, 425 ويعود تاريخها إلى عام ٤٦٤م. وتضم أسفار التكوين والخروج والعدد والتثنية . وأهم هذه المخطوطات جميعها هي مخطوطة الكنيسة السريانية الغربية (اليعقوبية) في ميلان حالياً Codex Ambro Sianus in Milan وترجع هذه المخطوطة إلى القرن السادس أو السابع ، وتضم كل الأسفار المقدسة . وقام أ.م سرياني A.M. Ceriani بطبعها تصويرياً عام ١٨٧٤م .

اللاتينية القديمة

رغم أن اللغة اليونانية سادت روما كلغة الدين والسياسة حتي القرن الثالث المسيحي، إلا أن اللغة اللاتينية انتشرت في نفس الوقت كلغة تخاطب وتعامل في جنوب فرنسا وشمال أفريقيا، بل إنها تأصلت في تلك المناطق حتي أنه عثر فيها علي بعض النصوص الكتابية التي تعود إلي عام ١٥٠ ميلادية.

والواضح كما يرى أحد العلماء أن ترتليان (١٦٠ - ٢٣٠م) الذي وُلد في قرطاجة Carthage، استخدم نسخة أخرى من اللاتينية غير نسخته الشخصية، لأن أول الترجمات اللاتينية السبعينية ظهرت كما يذكر ر.ك. هاريسون Harrison في النصف الثاني من القرن الثاني. وأن اللاتينية القديمة تمتد جذورها إلى عصر البابا ڤيكتور عام ١٩٠م. كما توجد إشارات كتابية لاتينية من كبريانوس Cypriane الذي مات عام ٢٥٨م، والذي كان معتمداً على اللاتينية القديمة.

وقد ظهرت الترجمة اللاتينية كباقي الترجمات الأخرى لدراسة الكلمة المقدسة والعبادة العامة والتكريس الشخصي. ويري بعض الباحثين أن النصوص الكتابية اليونانية كانت تقرأ أولاً ثم تترجم شفاهاً لمن لا يعرف اليونانية، وذلك أثناء الخدمة الدينية في العصور القديمة. ثم كُتِبتْ هذه الترجمات لتضم كل الأسفار المقدسة.

ومن كتابات الآباء يرجع العلماء أن الترجمة اللاتينية القديمة المعروفة باسم أفرا Afra ظهرت في شمال أفريقيا. بينما ظهرت ترجمة إتالا Itala في وقت لاحق في إيطاليا بالإضافة إلى مخطوطة ليون اللاتينية، والتي تضم الأسفار الخمسة للتوراة. والتي تم طبعها في ثلاث مجلدات عام ١٨٨١م. ولا يعرف بالتحديد إن كانت ترجمة Lu-ons اللاتينية ترجمة مستقلة أم مجرد تنقيح لترجمة أفرا Afra اللاتينية الأفريقية القديمة المأخوذة من السبعينية.
وكان كبريانوس يمثل النص الأفريقي، وإيريناوس ترجمة ليون، وأوغسطينس يمثل ترجمة إتالا Itala التي تمت في إيطاليا.

الڤولجاتا Vulagte

رأينا مما سبق أن الكتب المقدسة انتشرت في صور عديدة من الترجمات اللاتينية. وكانت الحاجة ماسة إلى ترجمة دقيقة للعبادة والدراسة اللاهوتية. وهنا كلف البابا داماسس Damasus (٣٦٦ - ٣٨٤م) جيروم إيرونيموس Hieronymus العالم والباحث المدقق والمقتدر في اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية ليأتي بترجمة دقيقة.

لمحة قصيرة عن جيروم

ولد جيروم عام ٣٤٢م تقريباً وعاش حتى عام ٤٢٠م. وأمضى ما يقرب من خمس سنوات كناسك في الصحراء السورية ، حيث تعلم العبرية على يد رجل مسيحي أتى من خلفية يهودية ودرس ككاهن تحت إشراف أبوليناريوس من لاودكية Apollinarius of Laodicia وجريجوري النازيانزي Gregory Nazianzus. ثم دُعي إلى روما عام ٣٨٢م حتى عام ٣٨٥م ، وكان سكرتيراً للبابا داماسس الذي طلب إليه أن يترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية . وبدأ جيروم عمله في الترجمة في روما واستمر في ذلك حيث عُين رئيساً لدير بالقرب من بيت لحم من خريف عام ٣٨٦م .

مراحل الترجمة

قام جيروم أولاً بإعادة تنقيح ترجمة سفر المزامير في ضوء الترجمة السبعينية. وتستخدم هذه الترجمة المنقحة في العبادة إلى اليوم. وهي في روما بمكتبة كنيسة القديس بطرس. ثم أعاد جيروم تنقيح السفر مرة ثانية في قيصرية فلسطين في ضوء هكسابلا أوريجانس Hexapla of Origen. وقد استخدم سفر المزامير في ترجمته المنقحة هذه في فرنسا Gaul، وصار فيما بعد ضمن الطبعة الرسمية للڤولجاتا في روما . وقام جيروم أيضاً بتنقيح ترجمة باقي الأسفار المقدسة التي لم يبق منها غير بعض النصوص ، من أسفار أيوب والأمثال ونشيد الأناشيد (الأنشاد) والجامعة .

لكن الإنجاز الرائع والعظيم الذي قام به جيروم ، وكان متفرداً فيه، ويُعد قيمة عظمى في تاريخ الثقافة الدينية الغربية كما يرى أحد العلماء، هو ترجمته للعهد القديم من النص العبري الأصلي، والذي أتمه في الفترة ما بين عام ٣٩٠ - ٤٠٥م. وهو وحده بين المسيحيين في الغرب الذي كان مقتدراً للقيام بعمل هذه الترجمة من النصوص الأصلية العبرية إلى اللاتينية (الڤولجاتا : لغة العامة من الشعب) لدرايته الواسعة بالعبرية.

إلا أن جيروم واجه سيلاً من الانتقادات، والهجوم ضده لقيامه بعمل هذه الترجمة الڤولجاتا . والقديس أوغسطينس نفسه يقول: لم يكن لجيروم أن يطرح جانباً الترجمة السبعينية ويعود إلى النصوص العبرية التي لا يفهمها أحد في الكنيسة غيره. وخشي أوغسطينس على الكنيسة من الانقسام، بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية. وهذا الاختلاف بين جيروم وأوغسطينس يعكس تقديراً للسبعينية التي يعتبرها أوغسطينس بأنها موحاة، وجيروم الذي يناقش ويستقصي حقيقة ذلك.

والدراسات الحديثة تنسب إلى جيروم معرفة وإدراكاً متسعاً للغة العبرية وفهما عميقا للنصوص الأصلية.(1)

وحيث أنه لم تكن هناك قواميس أو كتب لقواعد اللغة في أيامه، كانت الترجمات اليونانية الأخرى خير معين

(1) B.Keder-Kopfstein, The Vulgate as a Translation, 1968, pp.50-52

له، مثل الترجمة السبعينية وترجمة أكيلا وسيماخوس وثيودوثن Aquila, Symmachus, Theodotion وكل ما أمكنه العثور عليه من الجانب اليهودي وثقافتهم وتعاليمهم. مما جعله قريباً لفكرهم وطرق تفكيرهم. والقاريء للڤولجاتا كما يذكر أحد الباحثين يلمس ذلك جيداً. كما أن انعدام ثقة غالبية معاصري جيروم به، جعلته يدقق ويهتم كثيراً بترجمته اللاتينية هذه. لذلك فإننا نجده مثلاً يستخدم اللغة الكلاسيكية في كثير من النصوص .

الڤولجاتا وردود الفعل المختلفة

كما سلفت الإشارة أن الكلمة الڤولجاتا تعني «البسيطة» أي الترجمة المفهومة للشعب. وقد ذاع استخدام هذه الكلمة ڤولجاتا Vulgate وارتبطت بترجمة جيروم اللاتينية منذ القرن السادس عشر. كما أنها استغرقت قروناً عديدة حتى يُعترف بها من قادة وعلماء الكنيسة .

وكانت الڤولجاتا حتى بداية القرن السابع ، موضوعة على الرف مع الترجمة اللاتينية القديمة . وفي القرن الثامن والتاسع احتلت مكانتها في الدراسة والتعليم مع اللاتينية القديمة . ثم ظهرت بعد ذلك ، ترجمات منقحة لترجمة جيروم مثل ترجمة الكوين Alcuin عام ٧٣٥-٨٤٠م، وانتشر إستخدامها في باريس بعد قرون من الصراعات والتقلبات . وفي عام ١١٠٠م تقريباً قام أ.س هاردنج Abot S. Harding بعمل طبعة دراسية هامة لأديرة البندكت Cistercian Monastries. وفي نهاية القرون الوسطى ظهرت طبعة منقحة باسم الكتاب المقدس لباريس (أو كتاب باريس المقدس)، وصار له دوره الواسع وتأثيره الفعال.

وفي ٨ أبريل عام ١٥٤٦م قرر مجمع ترنت Trent ما يلي: أن الڤولجاتا (الترجمة اللاتينية البسيطة للكتاب المقدس) في مقابل الترجمات العديدة الجديدة ، هي الكتاب المقدس للكنيسة الكاثوليكية المعصوم للإيمان والأعمال، دون ما رفض أو منع للترجمة السبعينية أو اللغات الأصلية للكتاب المقدس العبرية منها للعهد القديم واليونانية للعهد الجديد.

كما ظهرت طبعات أخرى منقحة، بعد قرابة نصف قرن من قرار مجمع ترنت (أي عام ١٥٨٩م) بواسطة سكستس الخامس Sixtus V1 وأعقبتها طبعة كليمندس الثامن Clement VIII عام ١٥٩٢م. ثم الطبعتان الثانية والثالثة في عامي ١٥٩٣م، ١٥٩٨م مع بعض التعديلات . وأخيراً ظهرت الڤولجاتا الحديثة في عام ١٩٧٩م.

الترجمات القبطية

تعد اللغة القبطية هي لغة المصريين المسيحيين الوطنيين. وتكتب بأحرف مستمدة أساساً من اللغة اليونانية التي كانت منتشرة في مصر، بالإضافة إلى بعض الحروف المصرية القديمة، كوسيلة للتخاطب بين المثقفين وسكان المدن الكبيرة.

وعند انتشار المسيحية في مصر في وقت مبكر ، كان عليهم أن يستخدموا اللغة القبطية لغة العامة المليئة بالمصطلحات اليونانية . وظهرت ترجمات قبطية للأسفار المقدسة . وكانت الترجمة الصعيدية و هي أولاها. مأخوذة من اليونانية ، وذلك في منتصف القرن الثالث الميلادي تقريباً . ويرى كاهْل P. Kahle أن الصعيدية كانت اللهجة الرسمية لسكان مصر الوطنيين،كما كانت اللغة الرسمية للأسكندرية قبل انتشار المسيحية بوقت طويل . وتبعتها بعد ذلك الترجمة الإخميمية التي تأسست على الترجمة الصعيدية . وفي أواخر القرن الرابع ظهرت الترجمة البحيرية ، والتي ترجمت من اليونانية مباشرة ، مستقلة عن الترجمة الصعيدية . ولهذه الترجمات قيمتها العظمى في الدراسة النقدية وخاصة الترجمة السبعينية . كما توجد مخطوطات عديدة يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الخامس . وقليل من هذه المخطوطات ، يعود تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث والرابع الميلادي .

ويرى ب.كاهْل P. Kahle أن الترجمة السبعينية التي وضعها أوريجانس في العمود الخامس من الهكسابلا كانت أساس الترجمة الصعيدية .

الترجمة الحبشية

انتشرت المسيحية في الحبشة طبقاً للتقليد في عصر قسطنطين العظيم (٣٢٤ - ٣٣٧م) وفي عام ٣٤٠م صار إيزانا Ezana ملك أكسوم (العاصمة الدينية والسياسية للحبشة) مسيحياً، وصارت المسيحية ديانة المملكة. في الوقت الذي يرى فيه آخرون أن المسيحية دخلت الحبشة على يد الخصي الحبشي والذي كان وزيراً لكنداكة ملكة الحبشة (أع ٨:٢٦-٣٥). ويرى البعض أن فرومنتيوس Frumentius الذي سيم أسقفاً للحبشة بواسطة القديس أثناسيوس بطريرك الأسكندرية قبل عام ٣٧٠م، هو الذي قام بترجمة الأسفار المقدسة إلى اللغة الحبشية أو تحت إشرافه شخصياً، مأخوذة من السبعينية. وفي القرن الرابع عشر نقحت الترجمة الحبشية في ضوء اللغات السريانية والعبرية واليونانية.

الترجمة الأرمينية

استخدمت الكنيسة الأرمينية حتى بداية القرن الخامس اللغات اليونانية والسريانية. في العبادة ودراسة الآداب أيضاً. وقام الكاهن الأرميني ميسروب Mesrob (٣٦١-٤٣٩م) باختراع الأحرف الأرمينية، ووضع أساس الأدب الأرميني. كما أنه ترجم الكتاب المقدس إلى الأرمينية وذلك عام ٤١٤م، على أساس الترجمة السريانية البشيتا أو البسيطة. ثم أعيد تنقيحها بعد ذلك بوقت قصير ، في ضوء الترجمة السبعينية.

الترجمة الإنجليزية

لم تظهر الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس بجملته قبل عام ١٣٨٣م بواسطة أتباع جون ويكلف J.Wyclif الذي لُقب بأب الأدب الإنجليزي وكوكب صبح الإصلاح، وزهرة الباحثين في أكسفورد. وبنيت هذه الترجمة الإنجليزية على الترجمة اللاتينية. أما عن الاهتمام بالرجوع إلى الأصل العبري واليوناني فلم يبدأ إلا مع عصر الإصلاح .

ومع اختراع الطباعة وتطور اللغة الإنجليزية في صور أنسب للتعبير، ظهرت ترجمة الكتب المقدسة في القرن السادس عشر التي بدأها وليم تندل عام ١٥٢٩م بترجمته المعروفة باسمه Tyndale Bible والتي تُعد أول ترجمة مأخوذة من الأصل العبري (العهد القديم) والأصل اليوناني (العهد الجديد) اللغات الأصلية للأسفار المقدسة . وتبعتها ثماني ترجمات أخرى آخرها ترجمة King James (الملك جيمس) عام ١٦١١م. ومن بين هذه الترجمات الثمانية :

The Coverdale's Bible عام ١٥٣٥م.
The Matthew's Bible عام ١٥٣٧م.
The Great Bible عام ١٥٣٩م.
The Geneva Bible عام ١٥٦٠ م.

في الوقت نفسه قام لاهوتيون من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في دواي وريمس Douai& Rheims ، وفرنسا بترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية للناطقين بالإنجليزية من الكاثوليك . وأطلق على هذه الترجمة نسخة دواي وريمس Rheims-Douai Version وذلك عام ١٦١٠م .

ترجمة الملك جيمس King James Version

في عام ١٦٠٤م تكونت لجنة من العلماء والباحثين في العلوم اللاهوتية، وصل عددهم إلى سبعة وأربعين عالماً ، وذلك بناء على طلب الملك جيمس ملك بريطانيا ، لعمل ترجمة للكتاب المقدس كله ، من اللغات الأصلية العبرية واليونانية وذلك لاستخدامها في كنائس كل إنجلترا للخدمة الدينية .

وبعد سبع سنين من العمل المتواصل ظهرت الترجمة عام ١٦١١م . ولم تأخذ هذه الترجمة مكانتها إلا بعد نصف قرن من الزمان، حيث تفوقت هذه الترجمة على ترجمة جنيف Geneva Bible في الاستخدام الشعبي. بل أنه لم تظهر ترجمة إنجليزية قبل K.J.V أو بعدها وصلت إلى ذيوع وشهرة هذه الترجمة ولفترة طويلة، كعمل عظيم لغة وأسلوباً. حتى أن سير ف.كنيون Sir F.Kenyon كتب عنها قائلاً : إن الترجمة الرسمية للكتاب المقدس تفوق اللغة اليونانية في رأيه . وأنه من حسن طالع الشعب الإنجليزي أن يظهر كتابه المقدس في وقت وصلت فيه اللغة الإنجليزية إلى أعلى ذروتها ، دون ما تأثير على ما تضمنه النص من تعاليم إلهية مقدسة.

وخلال ثلاثة قرون ونصف أعيد تنقيحها :

عام ١٨٨٥م English Revised Version

عام ١٩٠١م American Standard Version

عام ١٩٥١م Revised Standard Version

عام ١٩٧١م New American Standard Version

كما شهد القرن العشرين أيضاً ترجمات كثيرة قامت بها لجان وأفراد منها :

الترجمة اليهودية للكتاب المقدس في الانجليزية عام ١٨٨٤م، وعام ١٩١٧م ، والكتاب المقدس حسب النص المازوري وترجمات أخرى يهودية للتوراة عام ١٩٦٣م ، وأسفار المجلوث الخمسة وسفر يونان عام ١٩٦٩م، وسفر المزامير وإشعياء عام ١٩٧٣م ، وسفر إرميا ١٩٧٤م ، وترجمة رونالد نوكس Ronald Knox عام ١٩٥٠م مبنية على اللغة اللاتينية .

واحتلت ترجمة R.S.V مكانتها في الكنائس والمعاهد اللاهوتية الرسمية ، وسط أربعين طائفة في الولايات المتحدة الإمريكية بالإضافة إلى مراكز البحث الدينية في العالم .

كما ظهرت ترجمة Jerusalem Bible عام ١٩٦٦م بواسطة علماء كاثوليك فرنسيين. وفي عام ١٩٧٠م ظهرت ترجمة New English Bible من طوائف مختلفة في إنجلترا وأسكتلندة. وترجمة Anchor Bible التي ظهرت في خمسين مجلداً وقد قام بالترجمة علماء بروتستانت وكاثوليك ويهود من أقطار عديدة.

الترجمات العربية

تتباين الآراء حول بداية الشروع في ترجمة عربية للأسفار المقدسة. ويعتقد غالبية الباحثين أن الترجمة العربية بدأت بعد دخول الإسلام، وانتشار اللغة العربية في دول الشرق العربي. وقد أضحت العربية اللغة اليومية لليهود والمسيحيين على السواء بدءاً من النصف الأول من القرن السابع الميلادي.

وفي عام ٧٢٤م ظهرت ترجمة للأسفار المقدسة في أسبانيا بواسطة يوحنا أسقف أشبيلية John Bishop of Seville لتعين المسيحيين واليهود الناطقين باللغة العربية على دراسة الكلمة الإلهية المقدسة . ويذكر بدرجوان دي ماريانا Padre Juna de Mariana (١٥٣٧-١٦٢٤م) أن نسخاً من هذه الترجمة حفظت إلى يومه وشوهدت في أجزاء من أسبانيا .

وتتضمن المخطوطات العربية القديمة للكتاب المقدس ، العديد من الترجمات المأخوذة من العبرية واليونانية والسريانية ، وأيضاً اللغة القبطية واللاتينية .

وأول وأهم هذه الترجمات المأخوذة من اللغة العبرية هي التي قام بها سعاديا الجاوون Sa'adyia the Gaon وهو رجل يهودي متعلم ومثقف جداً. كان رئيسا للمدرسة اليهودية في سورا Sura في بابل ومات عام ٩٤٢م .

وفي عام ٩٤٦م قام إسحق بن فيلا سكويز Isaak Of Vela Squez وهو مسيحي أسباني قرطبي ، بترجمة الأناجيل من اللاتينية الڤولجاتا واللاتينية القديمة إلى العربية .

وخلال القرن الثالث عشر ، ظهرت ترجمتان للأناجيل في اللغة العربية. قام بتنقيح إحداها هبة الله بن العسال عام ١٢٥٠م مأخوذة من اليونانية والسريانية . وانتشرت هذه الترجمة في نهاية القرن ١٣ وعرفت بما يطلق عليه في اللغة الحديثة « ڤولجاتا الإسكندرية » .

الترجمات العربية ما بين القرن ١٦ إلى القرن ٢٠ الميلادي

ظهرت الترجمات العربية العديدة الأخرى خلال تلك الفترة ، وأهمها الطبعة الكاثوليكية للأناجيل باللغة العربية . وتمت في روما عام ١٥٩٢م . ثم تلتها طبعة كاملة للعهد الجديد بأكمله في هولندا عام ١٦١٦م . وطبعة عربية أخرى ضمن لغات عديدة تمت ما بين عام ١٦٢٩ - ١٦٥٧م . وأعقبتها طبعة روما ١٦٧١م .

وقد ظهرت أول نسخة عربية للأناجيل في الشرق الأوسط في مدينة حلب عام ١٧٢٧م . وفي عام ١٨١٨م ظهر العهد الجديد بأكمله باللغة العربية في مطبعة الشوير بجبال لبنان . ثم ترجمة هنري مارتن في كلكتا عام ١٨١٩م . وفي عام ١٨٥٧م صدرت ترجمة فارس الشدياق عن جمعية الكتاب المقدس[1]. وظهر ضعف ترجمة الشدياق هذه بظهور ترجمة «البستاني -سميث- ڤانديك» عام ١٨٦٠م للعهد الجديد ، وعام ١٨٦٥م للعهد القديم ، مأخوذة من اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية وبعض اللغات الحديثة . وذلك بمساعدة بطرس البستاني مؤلف محيط المحيط ودائرة المعارف (ستة أجزاء) وناصيف اليازجي أشهر المؤلفين في عصره[2].

الترجمة اليسوعية

وقام بها اليسوعيون تجاوباً مع نجاح وسرعة انتشار ترجمة «سميث - ڤانديك». وظهرت الترجمة اليسوعية

(١) كنث أ. بيلي، «الكتب المقدسة العربية المطبوعة من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين»، (بيروت: مجلة كلية اللاهوت للشرق الأدنى، ١٩٨٢م) ص ١٤٧-١٥١ .

(٢) چون طمسون «ترجمة سميث-ڤانديك»، المرشد إلى الكتاب المقدس، (بيروت: مكتبة المشعل الإنجيلية ١٩٥٨م) ص٥٨-٦٠ .

للعهد الجديد عام ١٨٧٨م، وللعهد القديم عام ١٨٨٠م . وفي عام ١٩٦٩م ظهرت الترجمة اليسوعية الجديدة . ثم تلتها ترجمة أخرى عام ١٩٨٩م.

وفي عام ١٩٧٣م اكتملت وطبعت ترجمة منقحة لترجمة «سميث - فانديك» للعهد الجديد بإشراف الدكتور بطرس عبد الملك ، والدكتور جون طمسون . ولم تكتمل هذه الترجمة المنقحة لباقي الأسفار المقدسة .

وفي عام ١٩٧٩م ظهرت ترجمة دار الكتاب المقدس للعهد الجديد وقام بها فريق من الباحثين والدارسين من لبنان، وممثلين لكنائس مصر القبطية الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية .

وفي عام ١٩٨٨م ظهرت ترجمة تفسيرية للكتاب المقدس بأكمله (كتاب الحياة) بهدف تبسيط بعض العبارات والكلمات عسرة الفهم وتحديث اللغة، وذلك في ضوء النصوص الأصلية للكلمة المقدسة.

الباب الثاني
أسفار التوراة



أسفار التوراة
والنظريات المختلفة حول كتابتها

يعني بالكلمة توراة في العبرية: «تعليم أو تقويم أو تهذيب». وتتكون التوراة من خمسة أسفار (تكوين - خروج - لاويين - عدد - تثنية).

أطلق على الأسفار عدة تعريفات وردت في الكتابات التاريخية الخاصة باليهود منها: «**الشريعة** (عزرا ١٠:٣، نحميا ٨:٢، ٧، ١٤، ١٠:٣٤، ١٢:٣٦، ٣:١٣، ٤٤:١٣، ٢أخ١٤:٤، ٣١:٢١، ٣٣:٨). **سفر شريعة موسى** (نحميا ٨:١)، **سفر موسى** (نحميا ١٣:١، ٤:١٥، ٣٥:١٢)، **شريعة الرب** (عزرا ٧:١٠، ١أخ ١٦:٤٠، ٢أخ ٣١:٣، ٣٥:٢٦). **شريعة الله** (نحميا ١٠:٢٨، ٢٩)، **سفر شريعة الله** (نحميا ٨:١٨). **سفر شريعة الرب** (٢أخ ١٧:٩، ٣٤:١٤)، **سفر شريعة الرب إلههم** (نحميا ٩:٣) **شريعة موسى عبد الله** (دانيال ٩:١١، قارن ملاخي ٤:٤). ولا يعرف بالتأكيد إذا كانت هذه الإشارات يقصد بها الأسفار الخمسة أو أجزاء منها، بمعنى الشرائع والأحكام الموسوية مثل : **سفر التوراة** (يش ١:٨، يش ٣٤:٨، ٢مل ٢٢:٨). سفر توراة موسى (يش ٣١:٨، ٢٣:٦، ٢مل ١٤:٦)، سفر شريعة الله (يش ٢٤:٢٦).

والعهد الجديد يستخدم تعريفات مشابهة مثل: **كتاب الناموس** (غلاطية ٣:١٠)، **كتاب موسى** (مرقس ١٢:٢٦)، **التوراة** (متى ١٢:٥، لوقا ١٦:١٦، يوحنا ٧:١٩)، **شريعة موسى** (لوقا ٢:٢٢، يوحنا ٧:٢٣)، **ناموس الرب** (لوقا ٢:٢٣، ٢٤) وكل الإشارات السابقة في الكتب المقدسة (عهد قديم وعهد جديد) تؤكد سلطان الله الكامل في كتابة التوراة بواسطة أناس اختارهم لهذا الهدف.

ولعدة قرون آمن اليهود والمسيحيون أن موسى كتب التوراة (الأسفار الخمسة). ويرى فيلو ويوسيفوس، كما جاء في التلمود أيضاً، أن موسى كتب الأسفار الخمسة، ماعدا الجزء الأخير من تثنية (٣٤). ويؤكد فيلو ويوسيفوس أن موسى كتب عن موته، بينما ينسب التلمود كتابة الثمانية أعداد الأخيرة إلى يشوع النبي.

الآراء المختلفة

اعتقد آباء الكنيسة الأولى ومنهم إيرينايوس وترتليان وكليمندس السكندري وجيروم بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة (التوراة). وذهبوا إلى الاعتقاد أيضاً أن هذه الأسفار أحرقها نبوخذنصر وقت محاصرته أورشليم. فأعاد عزرا كتابتها من جديد بإرشاد الروح القدس (سفر عزدراس الثاني ١٤:٢١، ٢٢). وفي العصر الوسيط ذهب ابن عزرا Ibn Ezra عام ١١٦٧م إلى القول متأثراً بما قاله إسحق بن ياسوس Ben Jasos أن الأصحاح (٣٦) من التكوين لم يكتب قبل حكم الملك يهوشافاط، وذلك للإشارة الواردة في العدد (٣٥) عن هداد ملك أدم (راجع ١مل ١١:١٤)، بالإضافة إلى العبارات المبهمة في (تكوين ٢٢:١٤، تثنية ١:١، ٣:١١).

ويرى توماس هوبس Thomas Hobbes (عام ١٦٥١م) أن الأسفار لم تكتب كلها بواسطة موسى وخاصة النص المتعلق بموت موسى (تث ٣٤:٥-١٢). أما سبينوزا Benedict Spinoza (عام ١٦٧٠م) الذي تبنى أفكار ابن عزرا، فقد أضاف بأن عزرا هو الكاتب لسفر التثنية، وقام بصياغة باقي الأسفار من مخطوطات عديدة. بعض هذه المخطوطات موسوية، واتفق معه في ذلك كثيرون من العلماء.

وفي الفترة ما بين عام (١٧٠٠-١٩٠٠م)، ظهر جان استروك Jean Astruc الطبيب الفرنسي الذي يرى أن

موسى صاغ سفر التكوين من مصدرين رئيسين هما المصدر (E) والمصدر (J). وبهذا ظهرت نظرية المصادر. وأسهب فيها بعد ذلك إيكهورن J.C.Eichorn (عام ١٧٨٠م) وآخرون مثل Alexander Geddes الكاهن الإسكتلندي الكاثوليكي ما بين عام (١٧٩٢-١٨٠٠م)، وراحوا يعتقدون أن الأسفار الخمسة كتبت بواسطة كاتب غير معروف استعان في كتابته لها بالمصادر العديدة وأهمها المصدر (E) والمصدر (J).

أما عن هـ.إيوالد H.Ewald (عام ١٨٣٠م) فيرى أن المصدر (E) يعد أهم المصادر حيث تضمن قصة الخليقة إلى سفر يشوع، والمصدر (J) مدعماً له. وظهر بعد ذلك هـ.هوبفلد H.Hupfeld (عام ١٨٥٣م) بوثيقة جديدة مثل Il-gen (نظرية الوثيقة الجديدة لسفر التكوين) وهي بالترتيب في الأهمية من اليسار J، E2، E1. وبعد عام واحد تقريباً (عام ١٨٥٤م) نادى ريم E.Riehm بفكرة المصدر (D) الخاصة بسفر التثنية، وبذلك يصبح ترتيب المصادر الأربعة الرئيسية تاريخياً كالآتي .D، J (Y)، E2، E1 وفي عام ١٨٦٦م أكد جراف K.H.Graf أن المصدر (E) الذي أطلق عليه فيما بعد بالمصدر (P) بواسطة العلماء المعاصرين، هو آخر المصادر بدلاً من أن يكون أول المصادر، فيكون ترتيب المصادر هو E2 (E), J,D,P (E)1 والأصوب في الترتيب تاريخياً هو J, E, D, P.

وعندئذ ظهر النجم الساطع في مسرحية الدراسة النقدية للأسفار الخمسة الموسوية وهو ڤيلهوزن J.Welhausen. وظهرت أهم كتابات ڤيلهوزن ما بين عام (١٨٧٦-١٨٨٤م)، ووصلت بها نظرية المصادر هذه إلى حد قمتها، وكان لتأثير هذه النظرية على دراسة الكتاب المقدس، ذات الأثر الذي أحدثته نظرية دارون في العلوم الطبيعية.

المصدر (J) أو (Y): The Yahwist Narrative

يرجع تاريخ المصدر (J) أو (Y) إلى عصر الحكم الملكي (٩٥٠-٨٥٠ ق.م) ويتحدث عن الأرض الممتدة والتوسع فيها (تك ١٥:١٨، ١٧: ٤٠) وعن نسل يهوذا (تك ٤٩:٨-١٢) إلى عصر سليمان. وورد بالمصدر (J) الحديث الخاص بقصة الله ومعاملاته مع الإنسان منذ الخليقة إلى وقت دخول إسرائيل أرض كنعان. وانفرد هذا المصدر بالإضافة لاستخدامه اللفظ يهوه (الرب) باستخدامه كلمات عديدة مثل «مربية» بدلاً من «أمة» والكلمة «سيناء» بدلاً من «حوريب» وكلمات أخرى عديدة (قارن تكوين ٣:٢٠، ٩:١١، ٢٥: ٣٠، ٢٧:٣٢). وتحدث المصدر (J) عن الآباء بإفاضة وتمييز. كما ورد به عن خلع الصفات البشرية على الله وعزو الصفات الإنسانية إلى غير العاقل. فهذا الإله العظيم المتسامي المجد يأخذ صورة إنسان يمشي ويتكلم مع الناس ويأكل معهم (قارن تك ٨:١٨). وكل ما يتعلق بالآباء وتسلسل أنسابهم يعد أسمى ما ورد عنهم في المصدر (J) أو يطلق عليه أحياناً بالمصدر (Y).

المصدر (E): The Elohist Narrative

ويعتقد أنه يرجع إلى ما بعد المصدر (J) بمائة عام تقريباً (٨٥٠-٧٥٠ ق.م). ويبدأ حديثه عن إبراهيم كنبي (تك ٧:٢٠) بوصفه رجل صلاة. ويكتفي المصدر (E) بأن يقدم لنا معاملة الله واستجابته لإيليا النبي من خلال إرسال النار من السماء وليس عن طريق التجسد البشري كما تمت في مواضع عديدة تمت تاريخياً وردت بالمصدر (J) كما سلفت الإشارة.

ويقدم المصدر (E) صورة حية لعبادة الوثن في مملكة الشمال (الأسباط العشرة) التي سبق أن رفضها وأمر بنزعها قديماً يعقوب أبو الأسباط (تك ٢:٣٥). واهتم هذا المصدر بتقديم الآباء بصورة أكثر قبولاً ويتلمس الأعذار لضعفاتهم (قارن ما ورد في المصدر (E) في (تكوين ٢٠)، وما ورد في المصدر (J) في (تكوين ٦:٢٦-١١). وموضوع عهد الله مع إسرائيل يعد من أهم الموضوعات التي تناولها هذا المصدر.

ويرى بعض الآخذين بنظرية المصادر أن المصدر (E) قام بكتابته شخص أو مجموعة أشخاص أتوا من الشمال وعاشوا في هذه المنطقة ولهم دراية بنظم العبادة التي انتشرت فيها (العبادة الكنعانية الوثنية). (راجع ما ورد عن

بيت إيل وشكيم في تك ٢٨:١٧، ٣١:١٣، ٣٣:١٩-٢٠، وعن يوسف بن يعقوب الذي يلعب دوراً هاماً وأساسياً، أصل مملكة الشمال «أفرايم ومنسى») وينفرد المصدر (E) كما يُعتقد بتقديم صورة حية تاريخية لمحبة الله والطاعة الكاملة له (قصة إبراهيم وتقديم ابنه إسحق على المذبح في تكوين ٢٢:١-١٤).

المصدر (D): The Deuteronomist Document

يتعلق هذا المصدر في غالبيته بسفر التثنية. والملحوظة الهامة هنا هي أن سفر الشريعة الذي عثر عليه أيام يوشيا يمثل الجزء الأكبر من سفر التثنية (٢مل ٢٢:٣-٢٣:٢٥) وذلك للتشابه الكبير بين مصطلحات يوشيا والكلمات الواردة في التثنية (٢مل ٢٣:٤-٦، تث ١٢:١-٧) والخاصة بمركز العبادة ليهوه في مدينة أورشليم والوصية بعدم السعي وراء آلهة أخرى غريبة وعبادتها (٢مل ٢٣:٤-١١، ٢٤، تث ١٦:٢١، ٢٢، ١٧:٣، ١٨:١٠، ١١) كما يُولي هذا المصدر اهتماماً خاصاً بمحبة الله لإسرائيل وضرورة أن تُظهر إسرائيل صدى هذه المحبة في حياتها، ووعود الله بالبركة لمن يسلك بأمانة وخوف قدامه، والعقاب باللعنة على من يتنكر لمحبة الله ولا يستجيب. وأن يصنع إنسان الله الحق ويجري العدل في الأرض تحت لواء هذا العهد. ويرى بعض من يأخذون بهذه النظرية أن المصدر (D) يمثل مجموعة من العظات أكثر من كونه أحداثاً تاريخية وظهرت زمن ما قبل يوشيا الملك أي في عهد أبيه منسى ملك يهوذا في أوائل القرن السابع ق.م (٦٩٥ ق.م) وظهرت في صورة مجموعة من التحذيرات لمواجهة الحاجة الملحة في زمن حكم منسى.

المصدر (P): The Priestly Document

يقدم المصدر (P) مجموعة شرائع وأحكام خاصة بمراحل مختلفة لتاريخ إسرائيل. كما يقدم صورة حية لليهودية زمن ما بعد السبي. ويهتم المصدر (P) بصفة خاصة بتسلسل الأنساب وأصل الآباء والعبادة الطقسية وممارستها. ويشكل المصدر (P) الجزء الأخير من سفر الخروج (٢٥، ٣١، ٣٥، ٤٠) وسفر اللاويين بكاملة، والجزء الأكبر من سفر العدد، مع ما ورد عن العبادة الطقسية في سفر القضاة، وسفر صموئيل الأول، كما تضمن المصدر مواداً تاريخية قديمة تتعلق بالأجيال العشرة الواردة في سفر التكوين والعهد مع آدم ثم نوح وإبراهيم وموسى، والتي تنسب جميعها إلى المصدر (P)، غير أن الصياغة النهائية للمصدر كما يعتقد هؤلاء العلماء ظهرت وقت السبي.

أما عن الأزمة التي واجهت إسرائيل زمن السبي والتي كادت أن تؤدي بإيمانها فهي تعد خلفية تاريخية للمصدر (P)، لأن الرب (يهوه) قدوس إسرائيل هو الذي أخرجها من أرض العبودية من مصر بذراع رفيعة ويد ممدودة ودعاها لتعبد، والتي تمثلت في العبارة: «أطلق شعبي ليعبدوني» (خروج ٤:٢٢، ٢٣) ولأن هذا الإله قدوس وجب على إسرائيل أيضاً أن تتطلع بشوق إلى عبادة يهوه وممارسة أحكامه وفرائضه في هيكل الرب في المدينة العظيمة أورشليم.

ويرجع تاريخ هذا المصدر ما بين عام (٥٠٠-٤٥٠ق.م) ومن ثم يعد المصدر (P) تاريخاً مفصلاً لعبادة شعب إسرائيل الطقسية، وأهمية هذه العبادة وقيمتها في تقريب هذا الشعب إلى الله، ولإزالة الفجوة بينه وبين يهوه القدوس. «كونوا قديسين كما أني أنا قدوس أيضاً» (لا ١٩:٢).

ومع بداية القرن ٢٠ ظهر رودلف سميند Rudolf Smend (١٩١٢م) الذي قسم المصدر (J)، (Y) إلى قسمين J1, J2 وهي ذات الفكرة التي كانت عند ك.بوديه Karl Budde عام ١٨٨٣م، وما أطلق عليه J.Smend بالمصدر (J) ودعاه أوتو أيشفيلد O.Eissfeldt بالمصدر (L) Lay Source مصدراً عادياً وذلك لتعارضه مع مواد المصدر (P) الخاص بالشرائع والأحكام والعبادة الطقسية الكهنوتية. وقسم العالم اللاهوتي الألماني جيرهارد ڤون راد Gerhard Von Rad المصدر (P) إلى P1 ,P2 وذلك عام ١٩٣٤م.

موقف العلماء المحافظين من نظرية ڤيلهوزن

كان لنظرية ڤيلهوزن ردود فعل كثيرة لدى العلماء الكتابيين المحافظين كالتي أحدثتها نظرية دارون في العلوم الطبيعية. غير أن نظرية ڤيلهوزن هذه لا تزيد عن كونها أفكار مجردة تفتقر إلى الأدلة الكافية سواء العلمية أو الكتابية (علماً بأنه لا يؤمن بوجود إبراهيم كشخصية تاريخية). ومن هؤلاء العلماء المحافظين: هجستنبرج، جرين، كايل، وألليس E.W.Hegstenberg, W.H. Green 1890, C.F. Keil, O.T.Allis 1943.

أولاً: إن تباين وتعدد استخدام الاسم الإلهي (يهوه = رب) الذي يرمز إليه بـ (Y) أو (J) والاسم (إلوهيم= الله) الذي يرمز إليه بالرمز (E) هو أساس نظرية المصادر المتعددة في كتابة الأسفار الخمسة الموسوية (التوراة) ويرى ر.د. ولسن R.D.Wilson أن استخدام الاسم إلوهيم «الله» الذي هو أساس نظرية المصدر (E) في (تك ١:١-٣:٢، ٦:٩-٢٢، ٢:١٧-١٤، ٢٠...إلخ)، وكذلك استخدام الاسم يهوه «رب» الذي هو أساس نظرية المصدر Y (J) في (تكوين ٤، ٧:١-٥، ١:١١-٩، ١٥، ١:١٨-٢٨:١٩ وغيرها)، هو نوع من أسلوب الكتابة الذي كان شائعاً ومنتشراً في الكتابات الأدبية القديمة في يوجارت Ugarit ومصر واليونان. كما أن أسلوب الكتابة هذا يعكس محاولة الكاتب أن يؤكد أفكاره المرتبطة والمتعلقة بهذا الاسم.

ثانياً: إن التكرار المشار عنه سابقاً والذي بنى عليه ڤيلهوزن نظرية تعدد المصادر (التكرار الوارد مثلاً في تك ١:١-٤:٢، ٤:٢-٥، ١:٦-٨، ٩-١٣، ١٢:١٠-٢٠، تكوين ٢٠، ٦:٢٦-١١) كما يرى العلماء المحافظون، يعكس صورة حية لأسلوب الكتابة في اللغات السامية الذي يتسم بالتكرار من وقت لآخر حتى يتسنى للقارىء من فهم الفكرة الأساسية.

ثالثاً: الأمر الذي يشكل صعوبة ومعضلة لنظرية ڤيلهوزن هو استخدام الاسم الإلهي (يهوه=رب) الذي هو أساس نظرية المصدر (J) Y والاسم (إلوهيم = الله) الذي هو أساس نظرية المصدر (E)، وذلك في نفس الآية الواحدة الأمر الذي تكرر مرات عديدة «الرب الإله» في (تك ٤:٢-٢٤:٣، قارن أيضاً خروج ٩:٣٠)، إذن ما هو تفسير ڤيلهوزن لهذا الأمر؟ وكيف يمكن استخدام مصدرين في آية واحدة؟

ما تزال نظرية ڤيلهوزن إلى اليوم مثار جدل ورفض من العلماء المحافظين. ويرى بعض العلماء أن النبي موسى هو الكاتب لأجزاء كثيرة من أسفار التوراة، وقام غيره بكتابة أجزاء أخرى قام موسى بجمعها واستعان بها في كتابته عن أصل الخليقة وسلسلة أنساب آدم والآباء. بالإضافة إلى أن آخرين من بعده قاموا بكتابة أجزاء أخرى وردت في أسفار التوراة. وكل هذا تم تحت قيادة الروح القدس. من هذه النصوص التي يُعتقد أنها كتبت بعد موسى كما يرى ألدرز Aalders هي :(تك ١٤:١٤، ٣٦:٤١، خر ٣:١١، ٢٥:١٦، عدد ٣:١٢، ١٤:٢١، ١٥، ٣٤:٣٢-٣٦، تث ١٢:٢، ١:٣٤-١٢). والحقيقة كما يراها ألدرز Aalders أن كلاً من العهد القديم (الكتب المقدسة) والعهد الجديد لا ينسب أسفار التوراة بجملتها إلى موسى ككاتب لها، بل ينسب أجزاء منها فقط. بمعنى أن الشرائع العظمى والأحكام تنسب إلى موسى (خروج ٢:٢٠-٢٣، ٣٣، ١١:٣٤-٢٦، تثنية ٥-٢٦، قارن تث ٩:٣١-٢٤). ومن الأجزاء التي لا يمكن الاعتقاد أن موسى كتبها هي الإشارة عن حروب الرب (عدد ١٤:٢١، قارن يش ٢:١-١٤). ومن الصعب تحديد كتابة أسفار التوراة بصورتها النهائية ويرى ألدرز أنه ربما تكون قد ظهرت في صورتها النهائية خلال حكم شاول وداود تقريباً وذلك بقيادة الروح القدس أيضاً.

رسالة التوراة (الأسفار الخمسة الموسوية)

أطلق بعض العلماء على الأسفار الخمسة بأسفار الإعلان الإلهي، التي تساعد إسرائيل على فهم حقيقة ذاتها. والاستجابة لهذا الإعلان أو بالحري استجابة الإنسان أياً كان، وليس إسرائيل وحدها. والأسفار تشهد لأعمال الله

الخلاصية التي أجراها الله لعبيده الذين اختارهم وقطع معهم العهد. وأول من قطع الله معهم العهد هم:

١- آدم (تكوين ١:٢٦-٢:٤أ).

٢- نوح (تكوين ٩:٨-١٧) «عهد غير مشروط».

٣- إبراهيم (تكوين ١٧).

٤- عهد سيناء بين الله وشعبه (خروج ١٩:١-٥).

لم يرد بالتوراة أي شيء عن سر اختيار الله لإبراهيم ليكون أداة تحقيق خطته السماوية. فقصة اختيار إبراهيم لم تزد عن كونها اختيار إلهي خالص (تك ١٢:١-١٢). ورثة إبراهيم هم إسحق ويعقوب ثم الأسباط الأثنى عشر. وكانت دعوة الله لهم مصاحبة لاختيارهم (عن العهود قارن تك ٢١:٢٢-٣٣، اصم ٢٣:١٨).

ويعد حدث الخروج من مصر أرض العبودية وعبور البحر وسط اللجج على اليابسة، أهم حدث في كل الأسفار الخمسة، وربما في كل العهد القديم. إنه الحدث الذي أجراه الله لهم وهم في كامل الوعي وكامل الإحساس بأنه إله الخلاص ورب الطبيعة والتاريخ. وبهذا قادهم الله إلى حقيقة أنه الخالق العظيم والمتسلط على الكون.

ويرى أحد العلماء أن الله أراد أن يظهر لإسرائيل من خلال خلاصه لهم بعبور البحر الأحمر بأنه الخالق إله كل نعمة فربما يقودهم إلى فهم طبيعته كإله للكون بجملته. وقد ظهرت قدرة الله وقوته على الطبيعة في الضربات وعبور البحر، ثم إعالته لهم في البرية سنين طويلة (مدة أربعين سنة).

لم تظهر نعمة الله فقط في خلاص الشعب وقيادته لهم، بل أيضاً في تقديم الشريعة (الناموس) لهم وقطعه معهم العهد، وذلك لإنارة الطريق الذي يؤدي إلى الشركة والحياة الدائمة مع يهوه فاديهم ومنقذهم. واستجابة إسرائيل لله بالطاعة والولاء له وبالمحبة الكاملة هو في حد ذاته نعمة وعطية من الله. لأن الله هو الذي صاغ العهد مع الشعب ورتب خدمة الذبائح، معلناً بذلك إزالة كل ما يعيق التقرب إليه، والاعتراف بنعمة الله تتطلب اعترافاً كاملاً بربوبيته وطاعة كاملة له، واضحة في كل مجالات الحياة، فمن الخير لإسرائيل أن تطيع وتستجيب لله.

كان اختيار ثم وعد، فعهد ثم ناموس. إنه تسلسل نعمة الله لشعب اختاره لذاته. مما يجعل هذه الأسفار وحدة متماسكة حتى وإن تنوعت وإختلفت الآراء حول أصل كتابتها. إنها سجل ضم بين صفحاته مواداً هامة وثمينة ومتماسكة. إنه إعلان الله في التاريخ، الذي يشهد لإستجابة إسرائيل له وفشلها أيضاً في الإستجابة لإعلانات الله وأحكامه. كما يشهد هذا السجل عن قداسة الله التي تجعله يختلف عن كل بشر، ويجذب الإنسان إلى شخصه المبارك بمحبة ونعمة تفوقان كل إدراك بشري.

ولم يكن إختيار الله لإسرائيل هو غاية الله القصوى، بل هو إتمام للوعد والعهد الذي قطعه مع إبراهيم أبي الآباء.

إن دخول إسرائيل أرض كنعان لم يكن تحقيقاً في ذاته لقصد الله من وعده لإبراهيم. وفي رأي أحد العلماء أن سفر يشوع يعد خاتمة لكتابات الأسفار الخمسة. والتاريخ اللاحق لما تم في سفر يشوع لم يبرهن أيضاً على إتمام الوعد لإبراهيم في حياة إسرائيل. بل بقيت أسفار التوراة مفتوحة إلى أن جاء المسيح رب المجد يقول: «ماجئت لأنقض بل لأكمل (أتمم)» (مت ٥:١٧). «لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن» (رومية ١٠:٤، قارن رؤيا ٢١:٦، ٢٢:١٣).

التكوين

جاء عنوان السفر في الأصل العبري « في البدء» تبعاً للكلمة الأولى في السفر. وفي التلمود اليهودي أطلق على السفر « سفر خلق العالم» . والعنوان «تكوين» حسب الترجمة السبعينية مبني على الإشارات العديدة في (تك ٤:٢) «هذه مبادئ السموات والأرض». وأولى الكلمات الواردة في (٥: ١، ٦ : ٩ ، ١٠ : ١ ، ١١ : ١٠ و٢٧ ، ٢٥ : ١٢ و١٩ ، ١:٣٦ و٩ ، ٢:٣٧) «هذه مواليد».

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : ما قبل التاريخ : الخليقة (١ : ١ - ٢ : ٣) .

ثانياً : قصة الإنسان (٢ : ٤ - ١١ : ٢٦) .

١- خلق الإنسان (٢ : ٤ - ٢٥) .

٢- التجربة والسقوط (٣ : ١ - ٢٤) .

٣- قايين وهابيل (٤ : ١ - ٢٦) .

٤- شيث ونسله (٥ : ١ - ٢٢) .

٥- الخطية والطوفان (٦ : ١ - ٨ : ٢٢) .

٦- نوح وأيامه الأخيرة ونسله (٩ : ١ - ١٠ : ٣٢) .

أ- نوح وعهد الرب معه (٩ : ١ - ١٩) .

ب - أيام نوح الأخيرة (٩ : ٢٠ - ٢٩) .

جـ- نسل نوح (١٠ : ١ - ٣٢) .

ثالثاً : الآباء (١٢ : ١ - ٥٠ : ٢٦) .

١- إبراهيم (١٢ : ١ - ٢٥ : ١١) .

أ- دعوة إبراهيم (١٢:١-٨).

ب- إبراهيم في مصر (١٢ : ٩ - ١٣ : ١) .

جـ- إبراهيم ولوط (١٣ : ٢ - ١٨) .

د- حرب الملوك (١٤ : ١ - ٢٤) .

هـ- العهد مع إبراهيم (١٥ : ١ - ٢١) .

و- إبراهيم وهاجر (١٦ : ١ - ١٦) .

ز- عهد الختان (١٧ : ١ - ٢٧) .

ح- افتقاد الرب لحبرون وضيافة إبراهيم للرجال الثلاثة السماويين (١٨ : ١ - ٣٣) .

ط- تدمير سدوم وعمورة (١٩ : ١ - ٢٩) .

ي- أصل موآب وعمون (١٩ : ٣٠ - ٣٨) .

ك- إبراهيم وإسحق (٢٠ : ١ - ٢١ : ٧) .

ل- هاجر وإسمعيل (٢١ : ٨ - ٢١) .

م- إبراهيم وأبيمالك (٢١ : ٢٢ - ٣٤) .

ن- امتحان إبراهيم (٢٢ : ١ - ١٩) .

ش- أنساب ناحور (٢٢ : ٢٠ - ٢٤) .

ع- دفن سارة (٢٣ : ١ - ٢٠) .

ف- اختيار زوجة لإسحق (٢٤ : ١ - ٦٧) .

ص- أبناء قطورة (٢٥ : ١ - ٦) .

ق- موت إبراهيم (٢٥ : ٧ - ١١) .

٢- نسل إسمعيل (٢٥ : ١٢ - ١٨) .

٣- يعقوب وعيسو والبكورية (٢٥ : ١٩ - ٣٤) .

٤- إسحق وأبيمالك (٢٦ : ١ - ٣٣) .

٥- يعقوب وعيسو (٢٦ : ٣٤ - ٢٨ : ٩) .

أ- زيجات عيسو (٢٦ : ٣٤ - ٣٥) .

ب- طلب يعقوب البركة من أبيه (٢٧ : ١ - ٤٠) .

جـ- كراهية عيسو ليعقوب (٢٧ : ٤١ - ٤٥) .

د- يعقوب يتوجه إلى فدان أرام (٢٧ : ٤٦ - ٢٨ : ٥) .

هـ- زواج عيسو للمرة الثالثة (٢٨ : ٦ - ٩) .

٦- يعقوب في بيت إيل (٢٨ : ١٠ - ٢٢) .

٧- يعقوب في فدان أرام : زواجه وامتداد أسرته (٢٩:١-٣٠:٤٣).

٨- قرار يعقوب بالعودة إلى بيت أبيه (٣١ : ١ - ٥٥) .

٩- يعقوب وعيسو يتقابلان معاً (٣٢ : ١ - ٣٣ : ١٦) .

أ- استعداد يعقوب لمقابلة أخيه (٣٢ : ١ - ٢٣) .

ب- مصارعة يعقوب في مخاضة يبوق (٣٢ : ٢٤ - ٣٢) .

جـ- لقاء الأخوين (٣٣ : ١ - ١٦) .

١٠- يعقوب وأسرته (٣٣ : ١٧ - ٣٥ : ٢٦) .

١١- موت إسحق (٣٥ : ٢٧ - ٢٩) .

١٢- أنساب عيسو (٣٦ : ١ - ٤٣) .

١٣- يوسف ينزل إلى مصر كعبد (٣٧ : ١ - ٣٦) .

١٤- يهوذا وثامار (٣٨ : ١ - ٣٠) .

١٥- يوسف في مصر (٣٩ : ١ - ٤١ : ٥٧) .

أ- يوسف في السجن (٣٩ : ١ - ٤٣) .

ب- يوسف يفسر الأحلام (٤٠ : ١ - ٢٣) .

جـ- يوسف حاكماً في مصر (٤١ : ١ - ٥٧) .

١٦- يوسف وإخوته في مصر (٤٦ : ١ - ٤٨ : ٢٢) .

١٧- يعقوب يبارك أولاده ويموت (٤٩ : ١ - ٣٣) .

١٨- دفن يعقوب (٥٠ : ١ - ٢١) .

١٩- موت يوسف بن يعقوب (٥٠ : ٢٢ - ٢٦) .

الكاتب وزمن الكتابة

تعددت الآراء حول كتابة سفر التكوين ومن هو الكاتب، وهي كما يلي :

أولا : يرى ڤيلهوزن وجراف : Julius Wellhausen and K.H.Graf تبعاً لنظرية المصادر أن سفر التكوين كتب بواسطة شخص غير معروف بأن أخذ مواد السفر من المصادر J, E, P. كما يرى ذلك أيضاً بعض العلماء الآخذين بنظرية المصادر ، وفيما يلي تقسيم السفر حسب نظرية المصادر :

١- من المصدر (P):

(١) خلق العالم والإنسان (١ : ١ - ٢ : ٤أ) .

(٢) مواليد آدم إلى نوح (٥ : ١ - ٣٢) .

(٣) العهد مع نوح (٩ : ١ - ١٧) .

(٤) يعقوب يتوجه إلى فدان أرام (٢٧ : ٥٦ - ٢٨ : ٩) .

٢- من المصدر (J):

(١) خلق آدم وحواء (٢ : ٤ ب - ٢٥) .

(٢) السقوط (٣ : ١ - ٢٤) .

(٣) قاين وهابيل (٤ : ١ - ٢٦) .

(٤) أبناء نوح (٩ : ١٨ - ٢٧) .

(٥) برج بابل (١١ : ١ - ٩) .

(٦) إبراهيم وسارة في مصر (١٢ : ١٠ - ٢٠) .

(٧) مصارعة يعقوب مع الملاك (٣٢ : ٢٣ - ٣٣) .

(٨) يهوذا وثامار (٣٨ : ١ - ٣٠) .

(٩) تجربة يوسف (٣٩ : ١ - ٢٣) .

(١٠) يهوذا يدافع عن بنيامين (٤٤ : ١ - ٣٤) .

(١١) بركة يعقوب لأولاده (٤٩ : ١ - ٣٣) .

٣- من المصدر (J) والمصدر (P) معاً :

(١) مقدمة عن الطوفان (٦ : ١ - ٢٢) .

(٢) الطوفان (٧ : ١ - ٨ : ٢٢) .

(٣) تكاثر الناس في الأرض (١٠ : ١ - ٣٢) .

(٤) خاتمة الأنساب (١١ : ١٠ - ٣٢) .

(٥) دعوة أبرام (١٢ : ١ - ٩) .

(٦) انفصال إبراهيم عن لوط (١٣ : ١ - ١٨) .

(٧) نسل إبراهيم (٢٥ : ١ - ١٨) .

(٨) ولادة عيسو ويعقوب (٢٥ : ١٩ - ٣٦ : ٤٣) .

(٩) إسحق في جرار وبئر سبع (٢٦ : ١ - ٣٥) .

(١٠) العبرانيون في مصر (٤٧ : ١ - ٣١) .

٤- من المصدر (E) :

(١) إبراهيم وسارة في جرار (٢٠ : ١ - ١٨) .

(٢) إبراهيم وأبيمالك (٢١ : ٢٢ - ٣٤) .

(٣) يوسف يفسر أحلام السجناء (٤٠ : ١ - ٢٣) .

٥- من المصدر (E) والمصدر (P) معاً :

(١) تجديد الوعود (تك ١٥ : ١ - ٢٢) .

(٢) ذبيحة إسحق (٢٢ : ١ - ٢٤) .

(٣) رؤيا بيت إيل (٢٨ : ١٠ - ٢٢) .

(٤) زواج يعقوب (٢٩ : ١ - ٣٠) .

(٥) أبناء يعقوب (٢٩ : ٣١ - ٣٠ : ٢٤) .

(٦) تفوق يعقوب على لابان (٣٠ : ٢٥ - ٤٣) .

(٧) يعقوب يغادر أرض خاله لابان (٣١ : ٤٣ - ٣٢ : ٣) .

(٨) مطاردة لابان (٣١ : ٢٢ - ٤٢) .

(٩) العهد بين يعقوب ولابان (٣١ : ٤٣ - ٣٢ : ٣) .

(١٠) الإعداد لمقابلة عيسو (٣٢ : ٤ - ٢٢) .

(١١) يعقوب يتقابل مع عيسو (٣٣ : ١ - ٢٠) .

(١٢) دينة وتجربتها (٣٤ : ١ - ٣١) .

(١٣) يوسف يباع إلى مصر (٣٧ : ١ - ٣٦) .

(١٤) يوسف يفسر أحلام فرعون (٤١ : ١ - ٥٧) .

(١٥) يوسف يتقابل مع إخوته لأول مرة (٤٢ : ١ - ٣٨) .

(١٦) الرحلة الثانية إلى مصر (٤٣ : ١ - ٣٤) .

(١٧) تعرف إخوة يوسف عليه (٤٥ : ١ - ٢٨) .

(١٨) يعقوب في بيت إيل (٣٥ : ١ - ٢٩) .

٦- نصوص لم تنسب لأي مصدر :

أبرام والأربع ملوك (١٤ : ١ - ٢٤) ، نسل عيسو (٣٦ :١ - ٤٣).

٧- من المصدر (J) والمصدر (E) والمصدر (P) معاً :

(١) رحلة يعقوب إلى مصر (٤٦ : ١ - ٣٤) .

(٢) يعقوب يتبنى ابني يوسف (٤٨ : ١ - ٢٢) .

(٣) دفن يعقوب وأعمال يوسف الختامية (٥٠ : ١ - ٢٦) .

ثانيا : يرى أحدهم أن كاتب سفر التكوين استقى بعض مواد السفر وتعاليمه التي حُفظت من جيل إلى جيل بأسلوب حفظ التقاليد والمعتقدات التي ترددت شفاهاً في المجالات المختلفة في أعياد الفصح والأعياد الأخرى في المناسبات الدينية والخدمات الروحية .

وفي كلا الرأيين سواء نظرية المصادر ، أو حفظ التعاليم والمعتقدات وترديدها شفوياً عبر الأجيال المتعاقبة ، يرى بعض العلماء أنه ليس هناك مدعاة أو مبرر لإنكار تاريخية المواد الواردة بالسفر، بمعنى أنها تمت في التاريخ .

ثالثاً :الرأي الثالث الخاص بأصل كتابة السفر، وينادي به هاريسون R.K. Harrison وهو مبني على الكلمة العبرية « مبادئ » أو « مواليد » إذ أن أسلوب الكتابة على ألواح فخارية صغيرة (حتى لا يسهل كسرها) كان منتشراً في الشرق الأدنى القديم من رسائل وعقود أراضي وأملاك وتعاقدات تجارية وقوائم مواليد أيضاً .

والكلمة «مبادئ» أو «مواليد» في العبرية תולדות والواردة بالسفر هي إشارة لما سبق هذه الكلمة وليس لما ورد بعدها (قارن تك ٢ : ٤). هذه مبادئ السموات والأرض حين خُلقت ، فخلق السموات والأرض حدث سابق لهذه الكلمة (هذه مبادئ السموات).

ويرى هاريسون R.K.Harrison بأنه لو انتبه العلماء إلى هذه الفكرة المهمة لحصلوا على مفتاح أصل وكتابة السفر . فالاسم الوارد في اللوحة ربما يكون إشارة على أنه هو كاتب اللوحة . ففي (تك ٦ : ٩) وردت العبارة «هذه مواليد نوح»، ويتساءل هاريسون : أليس من الضروري أن تكون هذه اللوحة خاصة بنوح ويكون هو كاتبها ؟! (قارن أيضاً تك ١٠:١) «هذه مواليد بني نوح» عبارة ربما تعني أن السجل السابق للأسرة كان في حوزتهم .

من الدراسة السابقة يمكن القول إن الكلمة العبرية «مبادئ» أو «مواليد» ربما تكون إشارة عن اسم الناسخ لهذه المخطوطة التي ورد في نهايتها (وليس في بدء المخطوطة) ، ولم يكن مصادفة أن يتبع كاتب السفر هذا الأسلوب في الكتابة. ويرى هاريسون ووايزمان Wisemann, Harrison أن سفر التكوين تضمن ٣٦ أصحاحاً في إحدى عشر لوحة (مخطوطة) تمثل جميعها تاريخاً رائعاً ومجيداً عن الآباء الأول، فتناول حياتهم مكتوبة ومسجلة بدقة في بيئة وثقافة ما بين النهرين .

هذه اللوحات (المخطوطات) الإحدى عشرة هي بمثابة مصادر دقيقة لسفر التكوين (٣٦ أصحاح الأول) وهي كالآتي :

اللوحة :

(١) أصل الكون (تك ١ : ١ - ٢ : ٤) .
(٢) أصل البشرية (تك ٢ : ٥ - ٥ : ١) .
(٣) تواريخ نوح (تك ٥ : ٣ - ٦ : ٩ أ) .
(٤) تواريخ أبناء نوح (تك ٦ : ٩ ب - ١٠ : ١) .
(٥) تواريخ سام (تك ١٠ : ٢ - ١١ : ١٠ أ) .
(٦) تواريخ تارح (تك ١١ : ١٠ ب - ١١ : ٢٧ أ) .
(٧) تواريخ إسمعيل (١١ : ٢٧ ب - ٢٥ : ١٢) .
(٨) تواريخ إسحق (تك ٢٥ : ١٣ - ٢٥ : ١٩ أ) .
(٩) تواريخ عيسو (آدوم) (٢٥ : ١٩ ب - ٣٦ : ١) .
(١٠) تواريخ عيسو في جبل سعير (تك ٣٦ :٢ - ٣٦ : ٩) .
(١١) تواريخ يعقوب (تك ٣٦ : ١٠ - ٣٧ : ٢) .

هذه المخطوطات تعد مواداً هامة للست والثلاثين أصحاحاً الأول من سفر التكوين .

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه هو : من الذي قام بجمع مواد هذه اللوحات؟ يجيب العلماء كما يبدو ، مؤكدين بأنه موسى هو الذي قام بجمع وترتيب هذه المواد وصاغها من جديد في صورتها الحالية .

أما بقية أصحاحات سفر التكوين (قصة يوسف) حياة يوسف وقصته مع إخوته وحياته في مصر (تك ٣٧ : ٢ ب

- ٥٠ : ٢٦) فيرجح العلماء وعلى رأسهم هاريسون أن هذه القصة ظلت تتردد شفوياً من جيل إلى جيل إلى عصر موسى . ويُرجح أيضاً أن موسى هو الذي قام بكتابتها وصاغها بإرشاد الروح القدس في هذا القالب الأدبي الرائع والجميل في اللغة العبرية . وفي مواضع عديدة من الأسفار الخمسة وردت الإشارات الخاصة بأمر الرب لموسى أن يكتب ما يريده (يهوه) على ألواح حجرية (خروج ٣٤ : ٢٨) .

ومما لا شك فيه أن موسى استعان بخبرات المصريين في الكتابة على ورق البردي . وهناك إشارة تؤكد أنه كان يكتب على الجلود (راجع سفر العدد ٥ : ٢٣ - ٢٤) .

ويُعتقد أن الجزء الأكبر من سفر التكوين أعيدت كتابته على نمط كتابة الألواح الأشورية (على ألواح فخارية صغيرة). ويمكن للإنسان أن يتصور مراحل تطور أسلوب الكتابة من جيل إلى آخر ، من ألواح فخارية إلى جلود الكباش ثم ورق البردي . واهتمام المختصين والموهوبين بكتابة السفر المقدس . ويُعد موسى في نظر العلماء أنسب شخصية لقيامه بجمع مواد السفر وكتابتها على هذه الصورة الأدبية الرائعة ، كسجل ثابت وكمرجع تاريخي هام عن أصل الخليقة وذلك على ألواح جلدية أو علي ورق البردي.

رابعاً : يرى علماء الكتاب المحافظون أن موسى النبي هو كاتب السفر ، لايوجد الدليل العلمي الذي ينفي ذلك :

أوَ ليس هو النبي الذي ميَّزه الله عن سائر أنبيائه ؟ والذي ظهر بصورة واضحة وجلية في كلام الرب إلى هرون ومريم «إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكلمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين» (عدد ١٢ : ٦ - ٨) . إنه الرب الذي كتب له لوحي الشهادة (الكلمات العشر) «لوحي حجر مكتوبين بأصبع الله» (خروج ٣١ : ١٨)، «واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله» (خروج ١٦:٣٢).

وقد واجه سفر التكوين وخاصة الأصحاحات الأحد عشر الأولى منه نقداً واعتراضاً شديدين من العلماء والنقاد ، لكن موسى نبي الرب وكاتب السفر ،قاده الله وأحاطه بروحه القدوس في الكتابة عن أصل الخليقة وأصل البشر والسقوط والطوفان وبرج بابل بكل تفصيلات أحداثها التاريخية الدقيقة .

بل ذهب فيلو Philo (٢٠ ق.م - ٥٠ م) ومعه يوسيفوس Josephus (٣٧ - ١٠٠) المؤرخ اليهودي الشهير إلى أبعد من ذلك . بأن موسى نبي الله لم يكتب فقط سفر التكوين بمهارة ودقة فائقة بإرشاد روح الله القدوس ، بل كتب أيضاً الأعداد الأخيرة من سفر التثنية والخاصة بموته . (الأمر الذي لم يقبله كثير من علماء اليهود أنفسهم ويرون بأن يشوع بن نون هو الكاتب عن موت موسى).

يرى النقديون بأنه لا يمكن أن يكون موسى كاتباً لسفر التكوين لما ورد بالسفر نفسه .

فقد جاء في (تكوين ٢٣ : ١٩) عن مَمْرَا بأنها حبرون في أرض كنعان . وفي (تك ٣٥ : ٦) وردت الكلمات « فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان وهي بيت إيل » . بالإضافة إلى ما جاء في (تك ٢١ : ٣٤) عن تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين . والمعروف تاريخياً أن الفلسطينيين لم يستوطنوا في فلسطين زمن موسى بل زمن ما بعد موسى . لذلك يرى بعض العلماء بأن كاتب السفر لابد وأنه عاش في فلسطين أرض كنعان ، وكتب سفره في وقت متأخر حيث عُرفت مَمْرَا بحبرون ومدينة لوز بيت إيل . وبعد أن استقر الفلسطينيون في فلسطين .

في هذا يرى علماء الكتاب المحافظين أن الإشارات السابقة لا تزيد عن كونها إضافة توضيحية عند نسخ السفر ثانية عبر المراحل الزمنية المتعاقبة بواسطة الناسخ نفسه ، وبالوحي المقدس . وبهذا يظل موسى كاتباً لسفر التكوين .

غاية السفر

تتمثل الغاية من السفر في تقديم تاريخ مختصر للإعلان الإلهي والكشف عن ذاته في الخليقة إلى زمن خروج بني إسرائيل من أرض مصر ليكون له شعباً خاصاً . ويتحدث السفر عن خلق العالم والإنسان ، وعهد الله مع الإنسان ، وسقوط الإنسان في الخطية ، وعهد النعمة وتاريخ شامل لحياة الآباء ودعوتهم العليا .

بمعنى أن سفر التكوين تضمن جزئين هامين :

الجزء الأول : (تك ١ - ١٢) وهي الفترة الزمنية من بدء الخليقة إلى دعوة إبراهيم .

الجزء الثاني : (تك ١٣ - ٥٠) يتحدث عن دعوة الآباء وإعدادهم للعمل المجيد العظيم .

وفي الجزء الأول (تك ١ - ١٢) . نجد الله وهو يقطع عهداً مع آدم (تك ٢ : ١٦ - ١٧) ، وبعد الطوفان يقطع الله عهداً مع نوح (تك ٩ : ٨ - ١٠) ، وهذان العهدان عموميان في ذاتهما ولم يتمكن الشعب من حفظهما. الأمر الذي جعل الله يقطع عهداً خاصاً محدوداً أقامه الله مع إبراهيم رأس الجنس المختار . ولأن الإنسان كسر العهدين العموميين ، أراد الله أن يبارك شعبه المختار في إبراهيم عن بقية الشعوب الأخرى ليحيوا حياة طاهرة نقية تتصدى لكل قوى الشر .

بمعنى أن كسر آدم ونوح للعهد أدى في النهاية إلى إقامة عهد جديد صنعه الله مع إبراهيم الذي باركه الله قائلاً : «وفي نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض».

مضمون السفر

جاءت الكلمات الأولى «في البدء خلق الله السموات والأرض» (١ : ١) تلخيصاً للمقدمة بجملتها وهي (١: ١ - ٢:٣) ومفادها أن الله خلق كل شيء في هذا الكون وهو مصدر الحياة . وأنه هو المحرك الأول لهذا العالم ، وهو أيضاً الموجود بذاته.

عـــدن

ومعناها في العبرية «سرور أو بهجة» . حيث أنبت الرب بها أشجاراً شهية ومبهجة لآدم وحواء إمرأته. وكانت الجنة «الحديقة» تُروى بواسطة نهر يتفرع منه أربعة رؤوس :

١- فيشون وهو المحيط بأرض الحويلة .
٢- جيحون وهو المحيط بأرض كوش .
٣- واسم النهر الثالث حدّاقل (دجلة) وهو الجاري شرقي أشور .
٤- والنهر الرابع الفرات (٢ : ١٠ - ١٤) .

إلا أنه لا يعرف بالتحديد مكان جنة عدن . ويرى بعضهم بأن أرمينيا هي عدن التي كان بها الجنة التي سكنها آدم وحواء . ويرى آخرون بأن الفرات هو نهر عدن الذي له أربع فروع أنهار صغيرة ويصب في شط العرب بالخليج الفارسي . وبهذا يرون أن جنة عدن كانت تقع إلى جنوب العراق حيث الخصب والنماء .

ويرى كثيرون من العلماء أن المكان الأقرب إلى الصواب هو شرق فلسطين حيث دجلة والفرات وكوش التي هي عيلام والمعروفة قديماً باسم كاشو. كما أن سهل بابل كان معروفاً باسم عدنو Edinu كما يرى ديليتزش Delitzsch.

ويرى يوسيفوس وآخرون بأن النيل هو جيحون في أرض كوش التي هي الحبشة جغرافياً وهو أعظم الأنهار.

إلا أن بعض العلماء يرون أيضاً أن نسل كوش استقر في المنطقة البابلية (تك ١٠ : ٨ - ١٠) وعُرفت

كوش بعض الوقت أنها في بابل (جنوب العراق) والحويلة Havileh تمثل المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربي من الخليج الفارسي .

ويظل الاعتقاد بأنه لا يعرف بالضبط وبالتحديد مكان جنة عدن .

وخلق الله للعالم وما به (السموات وما بها والأرض بما فيها) تم بكلمة من فيه ... ليكن ... فكان... والتي ترددت ثماني مرات . وست مرات جاء التعبير « فكان كذلك » ، برهاناً على أن مقاصد الله تمت . ستُ أيام عمل واليوم السابع راحة . في اليوم السادس خلق الحيوانات والإنسان .

وواضح من الأصحاح الأول سلطان الله الكامل كخالق عظيم عاملاً مشيئته . ونظر الله إلى العالم وإذا هو حسن جداً. وخلق الله آدم تراباً من الأرض أي جسده ، وروحه من السماء (نفخ في أنفه نسمة حياة). والأصحاح الثاني يُعد مقدمة لقصة السقوط الواردة في الأصحاح الثالث ، وتوضيح لأصل الإنسان الذي هو تراب وحياته من الله (روح الإنسان). ويصعب فهم الأصحاح الثاني بعيداً عن الأصحاح الأول . ولا يوجد ثمة تعارض بين الأصحاح الثاني والأصحاح الأول ، حيث ورد في الأصحاح الثاني عن خلق آدم في (عدد٧)، والمزروعات في (عدد ٩)، ثم الحيوانات في (عدد ١٩) ، والمرأة في (عدد ٢١، ٢٢) . إنه مجرد ترديد لبعض ما ورد في الأصحاح الأول وتقديم للأصحاح الثالث الخاص بقصة سقوط آدم وعدم امتثاله لوصية الله. واهتمام الكاتب الأساسي وقبل كل شيء أن كل شيء قد خلق من الأرض .

ونتيجة لسقوط آدم وكسره الوصية الإلهية فقد شعر بأنه عريان .وهو شعور لم يحس به قبلاً (وقد أوضح أحد الشراح ذلك مثل مريض الحمى الذي لابد وأن يشعر بأعراض هذا المرض) .

لقد انعكس صلاح الله في خليقته في الطبيعة وفي الإنسان الذي خلقه على شبه صورته . وأعد الله للإنسان كل ما هو جميل ومناسب للشركة مع آدم، والعلاقة البسيطة بين الرجل آدم والمرأة حواء التي هي من آدم رجلها وتحدث الشيطان إلى حواء في الحية التي هي أحيل (أحكم) جميع الحيوانات ولبس بالضرورة أشر المخلوقات . تقدم الشيطان إلى المرأة في الحية ليفسد جمال الشركة بين الإنسان آدم الأول وبين إلهه، الذي خلق له كل ما هو جميل ورائع ليتمتع به في الجنة بالقول « أحقاً قال الله » بداية التشكيك والزعزعة ... «لن تموتا بل الله عالم يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» . وهنا بدت الشجرة جيدة للأكل وبهجة للعيون. فأخذت حواء من ثمرها وأعطت رجلها فأكل معها ، رغبة منهما أن يكونا مثل الله. وتظهر بشاعة الخطية وكبرياء آدم ورغبته في أن يكون مثل الله ، الذي أعد له كل ما هو حسن وجميل . وجعله متسلطاً على كل حيوانات الأرض ، وسيداً لها . إذ وضعه الله قليلاً عن الملائكة وأحبه كما وضعه في جنة عدن . لقد أراد آدم أن يكون مثل الله، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى وثق في كلام الحية بقولها «لن تموتا »، غير عابئ بقول الرب إلهه «يوم تأكلان منها موتاً تموتا » . لقد تحدث الشيطان في الحية التي وقع عليها عقاب الرب باللعنة ، فصارت تسعى على الأرض وتأكل ترابها.

وسقوط الإنسان هو ثمرة قراره الشخصي ومسئوليته . إنها خطيته التي أبعدته عن جنة عدن وصار يعمل شرقي عدن . وقد شملت اللعنة كعقاب ، الحية والمرأة والإنسان كوحدة واحدة لكل الخليقة. عداوة ، ألم ، تعب ، وموت (٣ : ١٤ - ١٩) . والإشارة عن شجرة الحياة هنا (٣ : ٢٢ - ٢٤) يعد في نظر بعض العلماء أمراً ثانوياً . وعقاب الرب لآدم وحواء « يوم تأكلان منها موتاً تموتا » يقصد به فقدان الحياة بالصورة التي يحياها آدم مع إلهه في جنة عدن ، وتمتعه بإلهه دون خوف أو وجل أو حاجز . إنها حياة البر والعلاقة الوطيدة بين الإنسان وخالقه القدوس . يقول أحد العلماء جيمس ويست J.K. West لو لم يخطئ آدم كان لابد له أن يموت في نفس اللحظة والكيفية التي كان قد مات بها بعد سقوطه . لأنه تراب ولابد أن يرجع إلى التراب الذي أخذ منه . والعقاب والموت،

يقصد به فقدان الحياة ذات القيمة العظمى بجمال الشركة مع الله . وسعي الإنسان أن يأخذ منزلة مساوية لإله « تكونان كالله عارفين الخير والشر» هو الموت بعينه كما يقول بونهوفر Bonhoeffer، ومحاولة الإنسان أن يصير مثل الله لا يزيد كثيراً عن الموت . ورغم سقوط الإنسان إلا أنه نال عطف الله ورحمته بأن صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما .

وعرف آدم امرأته ، وولدت قايين ثم ولدت بعد ذلك هابيل . وبدافع الغيرة والحقد قتل قايين أخاه هابيل . ويتساءل المرء عما إذا كان هناك خليقة أخرى غير الأسرة الأولى حتى أن قايين يقول «كل من وجدني يقتلني » . ويجيب الله قايين بالقول : «كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه . وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده» . إنه شعور الألم النفسي، كما يرى أحدهم ولابد أن يتحقق عدل الله ولطفه . «وعرف قايين إمرأته فحبلت وولدت حنوك». والسؤال الآن ممن تزوج قايين؟ (تك ٤:١٧) والجواب كما يرجح ، لقد تزوج أخته ، وسمح له الله بذلك حفاظاً للنسل. الأمر الذي نهى الله عنه في (تثنية ٢٧:٢٢). بعد تكاثر الشعب وتعدد الأسر الكثيرة . وظهرت نعمة الله لقايين بالعناية بأن وضع علامة لكي لا يقتله كل من وجده (٤:١٥) فهو ذات الإله الذي أشفق على والديه بعد السقوط بأن صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما (٣:٢١).

وولد شيث لآدم الذي صار شفاءً لآلامه عن هابيل الذي سُفك دمه بواسطة قايين أخيه. وبولادة شيث لآدم بُعث الأمل والرجاء من جديد في حياته «حينئذ أُبتدئ أن يُدعى بإسم الرب» (تك ٤:٢٦).

الطوفان

ظهر شر الإنسان (تك ٦:١-٨) في أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم منهن نساءً. ويرجح أن أبناء الله هم المختارين الأنقياء. ولا يعتقد أن أبناء الله هم الملائكة ، وذلك للإشارات الكثيرة مثل قول الرب لا يدين روحي في الإنسان ... لزيغانه ... هو بشر ... ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، الإنسان الذي خلقه (تك ٦:٣، ٥، ٦، ٧). أما بنات الناس فهن من نسل قايين كما هو واضح لدى علماء الكتاب . وقصد الله أن يفني الإنسان من الأرض لزيغانه وعدم امتثاله لمخافة الرب (٦:٧، ١٣، ١٧، ٧ : ٤ ، ٢١-٢٣، ٨:٢١) ويُبقي على نوح ونسله ومن كل المخلوقات ذكراً وأنثى (أعداد ١٨-٢٠، ٧ : ١ - ٣ ، ٧ - ٩، ١٣-١٦، ٨:١٦-١٩).

ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه/ إرادته / مشاعره إنما هو شرير كل يوم. «فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه» (٦:٥-٦)وهو تعبير إنساني ليفهمه الإنسان ويدرك فداحة ما يفعله الإنسان من شر نحو خالقه الله . «فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ... وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب» (٦:٧-٨).

لقد كانت أمام الشعب الفرصة الكافية حتى يتوب ويرجع إلى إلهه ، مئة وعشرين سنة هي فترة كرازة نوح ، بل كرازة المسيح يسوع الساكن في نوح (١بط٣ : ١٩ - ٢٠)، من وقت إعلان الرب له إلى حدوث الطوفان (٦ : ٣).

لكن لم يخلص أكثر من ثماني أنفس بالماء ؛ هم نوح وزوجته وأبنائه الثلاث وزوجاتهم (١بط ٣ : ٢٠ ب) .

وجاء في الأساطير السومرية - كما استدل من مخطوطة يرجع تاريخها الي عام ٢٠٠٠ ق.م ،عثر عليها في نيبور (Nippur) في جنوب بابل، أن الآلهة قررت تدمير البشرية وأعلنوا الملك زيوسودرا Ziusudra بذلك حتى يبني لنفسه فلكاً وينجو هو وعائلته من الهلاك. والواضح لدى الباحثين أن هذه الرواية كانت معروفة في بلاد ما بين النهرين لقرون عديدة قبل عام ٢٠٠٠ ق.م التي جاءت في ترجمات عديدة في اللغة الأكادية. كما ظهرت الروايات البابلية الأخرى وأشهرها ملحمة جلجاميش، التي عُثر عليها في نينوى قبل عشرين عاماً من حفظها في المتحف

البريطاني عام ١٨٧٢ م بواسطة جورج سميث G.Smith، وفيها يصف أوتانبشتيم Uta-napishtim لجلجاميش كيف أخبره الإله أيا Ea عن نزول الطوفان الوشيك. فبنى فلكاً ودخل فيه هو وعائلته ومعه بعض الصناع المهرة والحيوانات بأجناسها ومعه الفضة والذهب أيضاً. واستمر الطوفان سبعة أيام واستقر الفلك بعد ذلك على جبل نزير Nisir شمال غرب فارس .

وجاء بالملحمة أيضاً أن أوتانبشتيم Uta-napishtim قدم ذبيحة وألتفّت الآلهة كالذباب حولها.(١)

ويرى أحد الباحثين المتحررين أن هذه الأساطير عن الطوفان والقصة الواردة في سفر التكوين جميعها مستقاة من مصدر واحد .

فربما يجد المرء تشابهاً ضئيلاً بين هذه الأساطير عن الطوفان وبين القصة في التكوين. إلا أن هذه الأساطير لا تقدم رسالة واضحة ، بل تشويشاً وصراعاً بين الآلهة المتعددة ومستواها المنخفض بلغة التقريع واحتدام المناقشة وتوجيه اللوم من الواحد إلى الآخر حسبما جاء بالملحمة .

لكن السفر المقدس (التكوين) يحدثنا عن الإله الواحد الخالق القدوس الذي يرفض الشر والخطية والإثم ، ويحامي عن البار ويحفظه برحمته ورأفته ويمتعه بالشركة معه(٢).

ويرى أحد الباحثين أن القارئ للأصحاحات (٦-٩) يجد تكراراً ملحوظاً وتبايناً واضحاً في بعض النصوص.

فمثلاً جاء في (٧:٧) «فدخل نوح وبنوه وإمرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان» . وفي (٧: ١٣) تكررت الكلمات «في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وإمرأة نوح وثلاث نساء بنيه إلى الفلك». في هذا يرى أحد العلماء المحافظين بأنه لا يوجد ثمة تكرار لا غنى عنه ، بل هو توضيح وتأكيد بأن الذين دخلوا الفلك هم ثمانية أشخاص فقط نوح وعائلته.

أما عن التباين، كما يزعم البعض، والذي ينسبونه إلى تعدد المصادر، مستندين إلى الاختلاف بين ما جاء في (٦ : ١٩) «ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكراً وأنثى ». وما جاء في (٢:٧) كان قول الرب لنوح «من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى». والملاحظ كما يرى كثير من العلماء المحافظين ، أنه لا يوجد تعارض أو تباين بين النصين ، بل تأكيد وتوضيح لنوح حتى يستبقي من كل حي ذكراً وأنثى ، الطاهر منها والنجس لحفظ النوع. وحتى يأخذ طعامه وكفايته هو وعائلته ، عليه أن يأخذ سبعة سبعة من الطيور والبهائم الطاهرة ذكراً وأنثى طوال الفترة التي امتدت إلى سنة وشهرين (تك ٦: ٢٤ ، ٨ : ٣ ، ٦ ، ١٣ ، ١٤)، بالإضافة إلى أن نوح قدم منها ذبائح للرب « وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح » (٨: ٢٠) .

لقد تجلت نعمة الله بصورة واضحة في عهده مع نوح إذ أقام الرب مع نوح عهداً عاماً شاملاً ، أبدياً وبلا شروط (قارن ٨ : ٢١ - ٢٢ ، ٩ : ٨ - ١٧) وبداية جديدة (٩ :١- ٧، قارنه مع ٢٨:١).

ويرى أ. ب. رودس A.B.Rhodes أن هناك علاقة بَيّنة بين عهد الله مع نوح وكلمات يسوع في (متى ٥ : ٤٤) «إذ يُشرق الله شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين».

وخرج نوح وعائلته من الفلك وزوجته وبنوه وزوجات بنيه، وأقام مذبحاً للرب والذي يُعد أول مذبح وردت الإشارة

(1) J.D. Douglas, Organizing ed., The New Bible Dictionary, IVP, 1979 pp. 426-429.
(2) H.S. Gehman, ed. The New Westminister Dictionary of the Bible, (Philadelphia: Westminster Press,1970), pp. 301-304.

عنه في الأسفار الخمسة. وأشتم الرب رائحة الرضى، وأعلن أنه لن يعود يلعن الأرض. وبارك الرب نوح وأقام معه عهداً (٨ : ٢٠-٢٢، ٩:٩-١٧). ونتيجة لخطية حام لُعن كنعان . وتنبأ نوح ببركة للعالم بواسطة سام (٩ : ٢٥ - ٢٧).

والنصوصُ الواردة في التكوين عن أبناء نوح (١:١٠-٩:١١) تُعد سجلاً هاماً عن انتشار البشرية في كل الأرض ، وتعدد الشعوب وعلاقتها بالجنس المختار. وفرصتهم للقدوم أمام الله ، ونوال البركة لأنهم من أصل واحد وجنس واحد ولهم الاشتراك في بركة إبراهيم (١:١٢-٣).

برج بابل (١:١١-٩)

يعد حدث برج بابل قمة أحداث الطبيعة البشرية الشريرة بين أحداث السفر، كما يرى أحد العلماء ، ويُعد مثلاً لغطرسة الإنسان وكبريائه، وعاقبة ذلك .

فقد عزم المرتحلون شرقاً على بناء «مدينة وبرج رأسه بالسماء» في أرض شنعار : بالوادي الخصيب في منطقة ما بين النهرين ، دجلة والفرات. والواضح أنهم لم يطلبوا مشورة الرب أو عونه لتحقيق ما يبتغونه ، بل قصدوا ممارسة عبادتهم الشخصية بعيداً عن الله، خالق السماء والأرض. ويستطرد أحد الباحثين في تصوره ، بأنه كان في خطتهم أن يكون لهم في قمة البرج مكان يتسع لاجتماع الآلهة التي تنزل من السماء مع العابدين من البشر الذين يصعدون من الأرض لهذا الأمر. وبذلك صارت أبراج المعابد رمزاً للكبرياء والظلم (قارن إش.١٣:١٩، إرميا ٥١ :٦- ١٠). وعلى هذا تأتي دينونة الله العادلة بأن بلبل ألسنتهم وشتتهم. ثمرة أفعالهم ومقاصدهم. لأن الخطية لا تأتي بالناس إلى الانسجام والوفاق، بل تنتج العداوة والفُرقة، والضلال الذي يأتي بالهلاك والدمار.

كما تجيب هذه القصة عن أسئلة عديدة محيرة عن سبب تعدد الألسنة والثقافات إتماماً للقول : «أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض» (١:٢٨، ٨:١٧). ويقول فون راد اللاهوتي الألماني أن الكلمة «نعمة» لم ترد أبداً في هذه القصة ، بعكس ما يلمسه القارىء للنصوص الخاصة بسقوط آدم الإنسان الأول، وحقد وشر قايين ، والطوفان أيام نوح. حيث ظهرت نعمة الله لهم جميعاً كما سلفت الإشارة .

أما هذه المرة كما يرى فون راد فتعد بمثابة مرحلة انتقالية ونهاية فترة زمنية معينة من التاريخ الأول من عقاب وعداء، وبداية مرحلة جديدة مع الآباء وقصة حياتهم حيث تتجلى نعمة الله للآباء بأجلى وضوح وبيان ، ويُعد الله لنفسه شعباً خاصاً، سيعيد الله بواسطته الرجاء لكل الخليقة.

حياة إبراهيم (٢٧:١١-١١:٢٥)

تُعد حياة إبراهيم الموضوع الهام والرئيسي لهذا الجزء الخاص بمواليد تارح. حيث دعى الله إبراهيم ليخرج من أرضه وعشيرته إلى أرض غريبة لا يعرف عنها شيئاً ، وأطاع وخرج ووعده الله ببركة مثلثة:

(١) الوعد بالأرض (١٢ : ٧ ، ١٣ : ١٥ ، ١٧ ، ١٥ : ١٧ ، ١٨ ، ١٧ : ٢ ، ٢٤ : ٧ ، ٢٨: ٤ ، ١٤).

(٢) الوعد بنسل لا يعد من الكثرة (١٢ : ٢ ، ١٣ : ١٥ ، ١٥ : ٥ ، ١٧ : ٢، ٤ ، ١٦ ، ١٨ : ١٨، ٢٢ : ١٧ ، ٢٦ : ٤ ، ٢٨ : ٤ ، ٣٢ : ١٢، قارن ١١ : ٣٠ ، ١٥ : ٢ ، ٣ ، ١٦ : ١ ، ١٧ : ١٧ ، ٢٢ : ١٢) .

(٣) الوعد ببركة شاملة وعامة (١٢ : ٣ ، ١٨ : ١٨ ، ٢٢ : ١٨).

يرى فيلو Philo أن حياة إبراهيم تعد حياة مثالية، اكتسبها بالتعليم والتهذيب الإلهي، وصارت تتسم بالكمال والحكمة . أما عن فيلهاوزن J.Wellhausen فيرى أن شخصية إبراهيم لم تكن شخصية تاريخية. أما ألبرخت آلت

Alberch Alt فيرى أن إبراهيم شخصية تاريخية كما تبرهن لنا ذلك بالسفر ومن شهادة العهد الجديد أيضاً (متى ١ : ١ ، ٨ : ١١ ، ٢٢ : ٣٢ ، مرقس ١٢ : ٢٦ ، لوقا ٣ : ٢٣ - ٢٤ ، ١٣ : ٢٨ ، ١٦ : ٢٠ - ٣٠ ، ٢٠ : ٣٧ ، يوحنا ٨ : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، أعمال الرسل ٣ : ١٣ ، ٢٥ ، رومية ٤ : ٢ ، ٢كو ١١ : ٢٢ ، غلاطية ٣ ، عب ٢ : ١٦ ، ٦ : ١٣ ، ٧ : ١ - ٩ ، ١١ : ٨ ، ١٧ ، يعقوب ٢ : ٢١ ، ٢٣ ، ١بط ٣ : ٦). بالإضافة إلى علم الآثار الذي أضاف الكثير جداً إلى ما سجله لنا الوحي المقدس عن تاريخ الآباء وحياتهم كشخصيات تاريخية .

ويمكن إيجاز هذه الأفكار فيما يلي :

(١) رأى بعض النقاد أن فن الكتابة لم يعرف قبل نهاية الألف سنة الثانية ق.م كما يرى ڤيلهوزن وجراف Welhausen and Graf. وأن إسرائيل لم يكن لديها مخطوطات مكتوبة قبل عصر الملوك . إلا أنه عُثر على مخطوطات قديمة في رأس شمرا عام ١٩٢٩م، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر وأوائل القرن الرابع عشر ق.م. برهاناً على أن الكتابة عُرفت عند الكنعانيين في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

(٢) وفيما يختص بالآباء، أوضح علم الآثار أن المناطق الجبلية (التلال) كانت مسكونة وبطريقة متباعدة، بينما المناطق الساحلية سكنتها شعوب أكثر استقراراً. وهذا يتفق مع ما قدمه لنا سفر التكوين، أن الآباء ارتحلوا بين المناطق الجبلية وسكنوها . بالإضافة إلى أن المدن المذكورة في سفر التكوين كانت كائنة في ذلك الوقت مثل بيت إيل وعاي، وأورشليم (شاليم) وشكيم ، وجرار ، ودوثان ، وبئر سبع .

(٣) في عام ١٩٣٥م أكتشف ما يقرب من عشرين ألف لوحة في منطقة تل الحريري على الفرات يرجع تاريخ معظمها إلى النصف الأول من الألف الثانية ق.م .

وتؤكد هذه الاكتشافات الصورة الكتابية ، ففيها أن أسلاف إسرائيل جاءوا من منطقة حاران مدينة ناحور (تك ٢٤ : ١٠) وورد في هذه النصوص الاسم ناخور Nakhur في عصر حامورابي في القرن الثامن ق.م . ويبدو أن حاكمها كان أموري . كما أن سروج وتارح ظهرا كأسماء مدن بالقرب من حاران . ويؤكد الوصف الوارد في (تك ١٣ : ١٠) الخاص بدائرة الأردن أنه كان بالفعل أغنى وأخصب جزء في فلسطين .

(٤) ورد في (تك ١٤:٦) عن الحوريين الذين عرفوا بإسم Hurrians ولعبوا دوراً كبيراً وهاماً في الألف سنة الثانية ق.م. وكان للحوريين مركزاً أساسياً عرف باسم نوزو Nuzu أو يورجان تيبة Yorgan Tepa عبارة عن هضاب مجاورة جنوب غرب مدينة كركوك باثنى عشر ميلاً ، عثر فيها على العديد من اللوحات الأثرية التي تُلقي ضوءاً أشبه بالخلفية التاريخية الواردة بسفر التكوين .

ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أ- كانت العادة السائدة في هذه المدينة أن يتبنى الإنسان أولاداً له في حالة كونه بغير أبناء، لكي يخدمونه ويشاركونه أحزانه وأفراحه. وفي مقابل ذلك يكون الابن بالتبني هو الوريث الوحيد الشرعي. وإذا وُلد ابن لهذا الرجل الذي حدث وتبنى أبناء له، يتنازل الابن بالتبني للابن الشرعي عن كل الأملاك (قارن تك ١٥:١ - ٤).

ب- إذا كانت الزوجة عاقراً يمكن أن تقدم أمتها للزوج فتأتي لها بأطفال لزوجها (تك ١٦ : ٢).

جـ- كان من غير اللائق أو المعقول أن تطرد السيدة جاريتها . إلا أن إبراهيم طرد جاريته هاجر امتثالاً لقول الرب على فم الملاك (تك ٢١ : ١١ - ١٢) .

(٥) وطبقاً لعلم الآثار عن مكان سدوم وعمورة فإن ذلك تلاشى من بداية الألف سنة الثانية ق.م . الأمر الذي

يؤكده الكتاب المقدس باندثار هاتين المدينتين.

في ضوء هذه الحقائق التاريخية السالفة الذكر والمبنية على علوم الآثار والحفريات ندرك ضحالة نظرية ڤيلهاوزن J. Wellhousen القائلة بأن إبراهيم لم يكن شخصية تاريخية .

بركة يعقوب لأبنائه الاثنا عشر (الأصحاح ٤٩)

رفض علماء الكتاب الإعتقاد بأن الأصحاح يمثل مجموعة أقوال غير مترابطة كما يرى كوئن Kuenen بل تمثل مادة الأصحاح ترابطاً ووحدة كاملة بين أجزائه . بالإضافة إلى الكلمات الواردة عن لاوي (تك ٤٩ : ٥ - ٧) التي يرجع تاريخها إلى ما قبل موسى (قارن تث ٣٣:٨-١١) والتي تعد متباينة تماماً مع الوجهة التاريخية .

وبهذا يؤكد علماء الكتاب أن يعقوب هو المتحدث بالأصحاح (٤٩) من سفر التكوين ولا آخر سواه .

الجدير بالذكر أن سفر التكوين يعد سفر البدء. ويقدم لقارئ الكلمة المقدسة قصة الفداء الإلهي وجود الرب ونعمته نحو الإنسان الخاطئ الأثيم. والأصحاحات الإحدى عشر الأولى بمثابة مقدمة لهذا السفر . سفر بداءة خليقة الله للسموات والأرض وما فيها.

وقصة هذا الفداء الإلهي تبدأ باختيار الله لإبراهيم وقطع العهد معه، لمجد اسمه ومدح مجد نعمته (١٢ : ١ - ٣، ١٥:١-٧، ١٧:١-٨، قارن يوحنا ٨:٥٦-٥٨).

الخـروج

أطلق على السفر الثاني من أسفار التوراة اسم «الخروج» حسب الترجمة السبعينية، وذلك للموضوع الرئيسي الذي يتناوله السفر وهو قصة خروج بني إسرائيل من أرض مصر (قارن خروج ١٩:١). أما في الأصل العبري فدعي السفر «وهذه أسماء» وهي كلمات افتتاحية للسفر. إلا أن التسمية «خروج» ليس كافياً للسفر كما يرى بعض العلماء، لأن حدث الخروج لا يحتل من السفر سوى النصف أو أقل من النصف. وسفر الخروج يسرد لنا أعمال الله وقدرته في خلاص شعبه من أرض مصر وقطع العهد معهم في سيناء.

أقسام ومشتملات السفر

أولا : الإسرائيليون في مصر والإعداد لإنقاذهم (١ : ١ - ١٨ : ٢٧).

١- لمحة تاريخية (١ : ١ - ٧) .

٢- بداية العبودية (١ : ٨ - ٢٢) .

٣- الإعداد للخلاص : المرحلة الأولى للعقاب والخلاص (٢ : ١ - ٤ : ٣١).

أ- ولادة موسى والعناية به (٢ : ١ - ٢٥) .

ب- دعوة موسى وإرساليته (٣ : ١ - ٤ : ٣١) .

٤- موسى يقف أمام فرعون بتكليف من الرب (يهوه) (٥ : ١ - ٧ : ٧) .

٥- آيات وعجائب الرب (يهوه) في أرض مصر (٧ : ٨ - ١١ : ١٠).

أ- إرسالية الله لموسى وهرون معيناً له (٧ : ٨ - ١٣) .

ب- الضربة الأولى : تحويل الماء إلى دم (٧ : ١٤ - ٢٥) .

جـ- الضربة الثانية : الضفادع (٨ : ١ - ١٥) .

د- الضربة الثالثة : البعوض (٨ : ١٦ - ١٩) .

هـ- الضربة الرابعة : الذباب (٨ : ٢٠ - ٣٢) .

و- الضربة الخامسة : طاعون المواشي (٩ : ١ - ٧) .

ز- الضربة السادسة : دمامل بثور (٩ : ٨ - ١٢) .

ح- الضربة السابعة : رعد وبرد (٩ : ١٣ - ٣٥) .

ط- الضربة الثامنة : الجراد (١٠ : ١ - ٢٠) .

ى- الضربة التاسعة : الظلام (١٠ : ٢١ - ٢٩) .

ك- الإعلان عن الضربة العاشرة (١١ : ١ - ١٠) .

ثانيا : الفصح - خلاص الرب لإسرائيل من العبودية والارتحال إلى حدود سيناء (١٢ : ١ - ١٩ : ٢) .

١- تكريس جماعة إسرائيل (١٢ : ١ - ٢٨) .

٢- الضربة العاشرة : عقاب الله للمصريين بقتل أبكارهم (١٢ : ٢٩ - ٣٦) .

٣- الخروج من مصر (١٢ : ٣٧ - ١٥ : ٢١) .

أ- الرحيل من أرض مصر (١٢ : ٣٧ - ٤٢) .

ب- تعاليم عن الفصح (١٢ : ٤٣ - ٥١) .

جـ- تقديس الابن البكر (١٣ : ١ - ٦) .

د- عبور البحر الأحمر (١٣ : ١٧ - ١٤ : ٣١) .

هـ- ترنيمة موسى (١٥ : ١ - ٢١) .

٤ - إسرائيل في البرية (١٥ : ٢٢ - ١٨ : ٢٧) .

أ- في مارة وايليم وبرية الخطية ورفيديم (١٥ : ٢٢ - ١٧ : ١٦).

ب- افتقاد ومشورة يثرون (١٨ : ١ - ٢٧) .

٥- وصول الشعب إلى سيناء (١٩ : ١ - ٢) .

ثالثا: إسرائيل في سيناء (١٩ : ٣ - ٤٠ : ٣٨) .

١- قطع العهد في سيناء (١٩ : ١ - ٢٤ : ١٨) .

٢- تعاليم عن العهد - خيمة الاجتماع والكهنوت (٢٥ : ١ - ٣١ :١٨).

أ- التقدمة لتابوت العهد (اختيارية) خبز الوجوه والمنارة الذهبية وخيمة الاجتماع ونموذج لها (٢٥ : ١ - ٢٧ : ٢١) .

ب- تعاليم خاصة بالكهنة وخدمة التكريس (١:٢٨-٤٦:٢٩).

جـ- تعاليم أخرى تتعلق بالخدمة في خيمة الاجتماع (٣٠ :١-٣١ :١).

د- علامة السبت ولوحا الشريعة (١٢:٣١- ١٨).

٣- كسر العهد وتجديده (١:٣٢-٣٥:٣٤).

أ- ارتداد الشعب والعجل الذهبي (١:٣٢-١٠).

ب- الوساطة والتطهير (٣٢ : ١١ - ٣٣ : ٢٣).

جـ- تجديد العهد (٣٤ : ١ - ٣٥).

٤- إقامة خيمة الاجتماع (٣٥ : ١ - ٣٩ : ٤٣).

أ- تشريع خاص بالسبت (٣٥ : ١ - ٣) .

ب- تقدمات خاصة بالمقْدس (المسكن) (٣٥ : ٤ - ٣٦ : ٣٨) .

جـ- بناء التابوت وأثاث خيمة الاجتماع (٣٧ : ١ - ٣٨ : ٣١) .

د- إعداد وتقديس الكهنة (٣٩ : ١ - ٤٣) .

٥- تدشين وتكريس خيمة الاجتماع وحلول مجد الرب عليها (٤٠ : ١ - ٣٨) .

أ- بناء خيمة الاجتماع (٤٠ : ١ - ٣٣) .

ب- مجد الرب وبهاؤه يملأ الخيمة والمسكن (٤٠ : ٣٤ - ٣٨) .

الأسلوب والغاية من السفر

تعد الآيات الواردة في (خروج ١٩ : ٣ - ٦) المفتاح الرئيسي لفهم السفر « وأما موسى فصعد إلى الله . فناداه الله من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور ، وجئت بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين

جميع الشعوب ، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة». من هذه الآيات نتعرف على عمل الله القدير في خلاص المتضايقين وعقاب المضايقين وهو الهدف الرئيسي من السفر .

ويمكن تقسيم سفر الخروج على النحو التالي :

(١) من (١ : ٨ - ١٩ : ٦) يحدثنا عن عقاب الشعب المضايق وخلاص الرب للشعب المتضايق .

(٢) من (١٩ : ٧ - ٤٠ : ٣٨) يحدثنا عن المجتمع الجديد الذي يحيا فيه شعب إسرائيل بعد خروجهم من أرض عبوديتهم.

وأحداث سفر الخروج وقعت في مكانين رئيسيين هما مصر وسيناء . وجاءت أحداث سيناء كهدف للأحداث التي وقعت في مصر. وأقسام السفر وردت واضحة وبسيطة حسب تقسيم الأماكن :

من (١: ١- ١٩: ٢) وصف لحالة الإسرائيليين التي كانوا عليها في مصر وكيف خرجوا إلى سيناء.

ومن (١٩:٣-٤٠ :٣٨) وصف للحالة التي وصلوا إليها كشعب أختاره الرب (يهوه) من بين جميع الشعوب.

وسفر الخروج يعد في نظر بعض العلماء حلقة وصل بين بدء تاريخ شعب ورد عنه في التكوين ، وبين بقية الأسفار الخمسة (التوراة). وفي مستهل السفر تبدأ الإشارة عن تكاثر بني إسرائيل ونموهم . بعد ذلك يتحدث عن الإعداد لخروج الشعب من مصر : جانب سلبي فيه ترى العبودية القاسية والمعاناة التي فرضت على شعب إسرائيل وشوق قلوبهم إلى الحرية. وجانب إيجابي حيث نرى الله وهو يُجْري الآيات والعجائب ، ليخرج الشعب معلناً ذاته لهم . إنه الإله «يهوه» إله العهد وفاديهم العظيم. بعد هذا تبعه حدث شق البحر ومنه إلى جبل سيناء .

وبهذا الحدث أراد الله أن يعلن نفسه للشعب ، وأنهم شعب خاص له . وعليهم أن يحفظوا عهده ، ويسيروا حسب شرائعه وأحكامه لما تمتعوا به من عناية ونعمة فائقة أحاطهم بها كما سيتمتعوا بها مستقبلاً .

لهذا جاءت الأصحاحات (من خروج ٢٠-٤٠) متضمنة الشرائع الإلهية التي يجب أن يسير الشعب بموجبها، والوصايا التي هي أساس العهد الذي قطعه معهم يهوه . ثم تأسيس خيمة الاجتماع مكان سكنى الإله القدير وحلول مجده وإعلان بره وقداسته .

جبل الله حوريب (جبل سيناء)

تعددت الآراء وتباينت حول موقع هذا الجبل الذي تسلم عليه موسى نبي الله شريعة الرب . ويرى يوسيفوس Jos-ephus أن هذا الجبل هو جبل موسى حسب التقليد حالياً، وهو عظيم الارتفاع إذ يصل إرتفاعه إلى ٧٥١٩ قدم، ومن الصعب تسلقه في ذلك الوقت لوعورته ولأنه شديد الانحدار . ولأجل هذا كله يرجح بأن جبل موسى أكثر قبولاً أن يكون هو الجبل الذي أعطيت من فوقه الشريعة .

وقد أمضى العبرانيون عند جبل الله حوريب ما يقرب من عام في طريقهم من مارة وإيليم. ووصلوا إليه بعد ثلاثة شهور من ارتحالهم من مصر (خروج ١٩:١) «في الشهر الثالث من خروج بني إسرائيل من مصر. في ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء». حيث يبعد جبل سيناء من قادش برنيع مسيرة أحد عشر يوماً على طريق جبل ساعير. ويحيط بهذا الجبل وادي فسيح يكفي لأن يمكث فيه جميع العبرانيين مدة عام (خروج ١٩:٢). ويلتصق هذا الوادي بجبل سيناء. وكان كلام الرب إلى موسى «وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً: احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه . كل من يمس الجبل يقتل قتلاً» (١٩ : ١٢). ولم يرد في الكتاب المقدس أن أحداً لجأ إلى هذا الجبل بعد ذلك إلا إيليا النبي وقت هروبه من وجه إيزابل المرأة الشريرة . «فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة

أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب » (١مل ١٩ : ٨).

كاتب السفر وزمن الكتابة

(راجع المقدمة الخاصة بالآراء المختلفة حول كتابة أسفار التوراة).

يؤكد العلماء المحافظون أن موسى هو كاتب سفر الخروج ما بين عام (١٢٦٠ - ١٢٤٠ ق.م) ، الأمر الذي رفضه علماء متحررون وقالوا بأن السفر كتب بعد زمن موسى، استناداً إلى بعض الآيات الواردة بسفر الخروج كما يتضح فيما يلي:

(أ) هذان هما موسى وهرون اللذان كلما فرعون ملك مصر (خروج ٦ : ٢٦ ، ٢٧) . هذه الكلمات في نظرهم لا يمكن أن يكون موسى كاتباً لها . بل كتبها كاتب آخر عاش في زمن ربما يكون بعيداً عن العصر الذي عاش فيه موسى . ويجيب العلماء المحافظون على ذلك بالقول بأن هذه الكلمات هي بمثابة خاتمة لموضوع الأنساب أو المواليد الخاصة بموسى وهرون بعد أن بدأ حديثه من أعمال الله والأحداث التاريخية. وعاد ليكمل حديثه في الأحداث التاريخية ليقول : هذان هما موسى وهرون اللذان كلما فرعون ملك مصر . ويتضح هذا بجلاء واضح بمقارنة العددين (٢٦ ، ٢٧) مع عددي (١٣ ، ١٤) من نفس الأصحاح .

(ب) ورد في (خروج ١٦ : ٣٤) «كما أمر الرب موسى ، وضع هرون ملء العُمر مناً أمام الشهادة للحفظ». هذه الكلمات أثارت تساؤلات بل صعوبة في قبول الاعتقاد أن موسى كتبها. إذ كيف يكتب مثل هذه الكلمات قبل أن يتسلم الشريعة (لوحي الشهادة)؟ والجواب كما يراه علماء الكتاب أن هذه الكلمات الخاصة بالخبز السماوي «المن» يرجح أن موسى كتبها في وقت متأخر ووضعها بين هذه السطور.

اما العدد (٣٥) من الأصحاح السادس عشر، والذي يشير عن الإسرائيليين الذين أكلوا المن في البرية أربعين سنة قبل الدخول في الحديث عن نزوله من السماء وتناول الشعب منه ولو مرة واحدة (من ناحية الترتيب التاريخي)، يرى المتحررون من النقاد أن هذه الكلمات إشارة على أن الكاتب عاش بعد موسى. علماً بأن هذا العدد لا يتحدث عن تناول المن في أرض كنعان. بل يتحدث عن المن الذي أكله شعب إسرئيل حتى جاءوا إلى طرف كنعان. والأرجح - كما يرى المحافظون من العلماء - أن موسى ذكر هذه الكلمات عند ترديده الشريعة أمام الشعب في عربات موآب؛ الشرائع والأحكام والفرائض وعجائب الرب التي صنع لأجلهم في الماضي .

(جـ) جاء في (١٦ : ٣٦) أن العُمر هو عشر الإيفَة . وفي نظر العلماء الآخذين بالاعتقاد أن السفر كتب زمن ما بعد موسى لأن العُمر لم يكن معروفاً كمكيال منذ زمن بعيد، ولم يعرف إلا بعد موسى. ويتساءل العلماء الآخذون بالاعتقاد أن موسى هو الكاتب للخروج قائلين : هل ورد شيء في غير هذا الموضع في الكتب المقدسة (ع.ق) عن العُمر على الإطلاق ؟ والحقيقة أنه لم ترد أية إشارة عن العُمر في غير هذا الأصحاح من الخروج في كل العهد القديم. كما أنه لا يمكن الأخذ بهذه الفكرة كبرهان على أن سفر الخروج كتب بعد زمن موسى (خر ١٦:١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣). والجدير بالإشارة أن العُمر لم يستخدم كمكيال إلا في جمع المن . وملء العُمر من المن هو نصيب الفرد الواحد في اليوم الواحد ، وفي اليوم السادس عُمران من المن للشخص الواحد ، واليوم السابع سبت مقدس للرب .

مضمون السفر

يستهل كاتب سفر الخروج بالكلمات «وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر». والحرف «واو» يربط السفر بما سبقه من مواد سفر التكوين، وبصفة خاصة (تكوين ٤٦) وقائمة الأسماء في الأعداد من (٢-٥ ، قارن الأعداد ٨-٢٧، تك ٣٥، ٢٣-٢٦).

ثم يستطرد الكاتب حديثه عن عبودية الإسرائيليين في أرض مصر من (١ : ٨ - ٧ : ٧). ثم قام ملك جديد لم يكن يعرف يوسف قائلاً لشعبه : هوذا شعب إسرائيل أكثر وأعظم منا. « هلم نحتال لئلا ينمو » . وقرر فرعون أن يوقف نمو إسرائيل في العدد والعُدة على النحو التالي :

١- عين لهم رؤساء تسخير لإذلالهم ، فبنوا مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس (عدد ١١).

٢- لم تفلح هذه المحاولة مما زاد عنف المصريين على الإسرائيليين ، ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبِن وفي كل عمل في الحقول (عدد ١٣ ، ١٤).

٣- أصدر الملك أمراً للقابلات بقتل أبناء الإسرائيليين الذكور عند الولادة (عدد ١٥ ، ١٦).

٤- أصدر فرعون أمراً لجميع الشعب أن يُطرح في النهر كل ابن يولد للإسرائيليين .

تلك كانت المراحل التي تصاعدت بها أساليب التعذيب، الأمر الذي سيضفي قيمة ومعنى عند قراءة الأصحاح الثاني. إذ بدون الأصحاح الأول يصبح الأصحاح الثاني غامضاً وعسر الفهم . والأصحاح الثاني يحكي لنا قصة ولادة موسى وعناية الرب له ، وإعداده لعمل عظيم مستقبلاً . ويمثل هذا الجزء وحدة متكاملة غير ما يعتقد البعض بانتساب الأعداد (من ١ - ١٠) لأحد المصادر والأعداد (١١ - ١٣) لمصدر آخر . فالأصحاح الثاني يشرح كيف وصل موسى إلى البرية ، لكي يعد القارئ للأحداث الواردة في الأصحاح الثالث والخاصة بدعوته للعمل حتى يذهب ويمثل أمام فرعون ليخرج الشعب من مصر أرض العبودية .

ويمثل هذا الجزء مع ما ورد في سفر التكوين وحدة واحدة لفهم بقية أجزاء سفر الخروج ، حيث لا يستطيع إنسان بشري مهما عظمت قدرته أن يفك قيود هذا الشعب من العبودية والذل ليطلقه من أسره . إنه الرب (يهوه) وحده الفائق القدرة والقوة والسلطان .

عجائب الرب في أرض مصر (٧ : ٨ - ١٣ : ١٦)

يوضح هذا الجزء سمو الله وعظمته ، على آلهة المصريين الباطلة . ولابد لفرعون مصر أن يخضع ويسلم بسلطان إله السماء والأرض . الإله القدير بل الإله يهوه إله إسرئيل ، إذ ليس إله غيره يجب أن يخضع له . وفي هذا الجزء تتمثل لنا أولى عجائب الله ، التي بها يُظهر ذاته ويكشف عن قدرته وطبيعته ، ويخرج الشعب ويذهب بهم إلى أرض كنعان أرض الآباء ، التي تفيض لبناً وعسلاً ، وإلى الشركة معه والتمتع به ليكون شعباً خاصاً له .

لقد ظهرت قدرة الله في الضربات التسع ، والتي تمثل ثلاث ثلاثيات بالإضافة إلى الضربة العاشرة والأخيرة التي قتل فيها الرب أبكار المصريين . والضربات التسع يمكن تقسيمها كما يلي :

المجموعة الأولى :

١- الدم (٧ : ١٤ - ٢٥) .

٢- الضفادع (٨ : ١ - ١٥) .

٣- البعوض (٨ : ١٦ - ١٩) .

المجموعة الثانية :

٤- الذباب (٨ : ٢٠ - ٣٢) .

٥- طاعون المواشي (٩ : ١ - ٧) .

٦- دمامل « بثور » (٩ : ٨ - ١٢) .

المجموعة الثالثة :

٧- رعد وبرد (٩ : ١٣ - ٣٥) .

٨- الجراد (١٠ : ١ - ٢٠) .

٩- ظلام (١٠ : ٢١ - ٢٧) .

وجدير بالإشارة أن المجموعتين الأولى والثانية من مجموعات الضربات الثلاث، كان موسى ينذر فرعون بها قبل حدوثها. وفي الضربة الأولى من كل مجموعة (أي الأولى والرابعة والسابعة) ، كان موسى يقف أمام فرعون عند خروجه إلى النهر في الصباح قائلاً لفرعون : « الرب إله العبرانيين أرسلني إليك قائلاً: أطلق شعبي ليعبدوني في البرية ... بهذا تعرف أني أنا الرب ... إن كنت لا تطلق شعبي » (٧ : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٨ : ٢٠ ، ٩ : ١٣) .

وفي الضربة الثانية من كل مجموعة (الثانية والخامسة والثامنة) ، ترددت ذات الكلمات « قال الرب لموسى أدخل إلى فرعون وقل له : هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني » (٨ : ١ ، ٩ : ١ ، ١٠ : ١).

في الضربات الأولى والرابعة والسابعة (الأولى من كل مجموعة) ، تمت مقابلة موسى مع فرعون على النهر . وفي الضربات الثانية والخامسة والثامنة (الثانية من كل مجموعة) ، تمت مقابلة موسى مع فرعون في قصر فرعون . أما الضربات الثالثة والسادسة والتاسعة (الثالثة من كل مجموعة) ، فقد وقعت دون تحذير سابق (٨ : ١٦ ، ٩ : ٨ ، ١٠ : ٢١). والضربات التسع (ثلاث ثلاثيات) كما سبقت الإشارة تقود إلى الضربة العاشرة .

والجدير بالملاحظة أن هناك تدرجاً في العقاب والتركيز على فرعون لعله يرجع عن قساوة قلبه ويطلق إسرائيل ليعبد الرب الإله . ومن الضربة الثالثة أدرك العرافون أن يد الله مقتدرة وقوية. وقالوا لفرعون : « هذا أصبع الله » (خروج ٨ : ١٩) . ومن هذه اللحظة اختفى العرافون .

وفي المجموعة الثانية من الضربات (الرابعة والخامسة والسادسة) ، جعل الرب فاصلاً بين الإسرائيليين والمصريين (٨ : ٢٣) . بينما المجموعة الأولى(الأولى والثانية والثالثة) ، شملت الضربات كل الأرض . ومن الضربة الرابعة وهي الذباب كانت الضربة خاصة بالمصريين وحدهم . وفي كل الضربات وبصفة خاصة الضربة السادسة (الدمامل والبثور) والضربة الثامنة (الجراد) خصص الله إسرائيل بعناية خاصة .

والتمس فرعون عوناً وخلاصاً من إله موسى بواسطة موسى وهرون في الضربات الثانية والرابعة والسابعة والثامنة والتاسعة ، إذ طلب فرعون وساطة موسى وهرون لدى الله من أجله .

إن هناك تدرجاً في طلب فرعون عون الله بواسطة موسى وهرون كما هو واضح فيما يلي :

١- « صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عني وعن شعبي فأطلق الشعب ليذبحوا للرب » (٨ : ٨) .

٢- « قال فرعون أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم في البرية ... صليا لأجلي » (٨ : ٢٥ - ٢٨) .

٣- « أرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما : أخطأت هذه المرة إلى الرب . الرب هو البار وأنا وشعبي الأشرار . صليا إلى الرب » (٩ : ٢٧ - ٢٨) .

٤- قال فرعون : « أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما ... اصفحا عن خطيتي ... صليا إلى الرب ليرفع عني هذا الموت » (١٠ : ١٦ ، ١٧) .

٥- «اذهبوا أعبدوا الرب» (١٠:٢٤). بعدها قال فرعون لموسى. «اذهب عني احترز لا تر وجهي ... يوم ترى وجهي تموت» . فأجابه موسى قائلاً : «نعماً قلت . أنا لا أعود أرى وجهك أيضاً» . وتم ذلك بالفعل (١٠ : ٢٤ - ٢٩) .

تخلص مما سبق أن هذا الجزء سجله كاتب واحد وليس من عدة مصادر كما يزعم بعض النقاد . وكان للضربات التسع أثر كبير في إعلان سمو الله ، إله العبرانيين . كما كانت في نفس الوقت اعدادا كافيا للضربة العاشرة بقتل أبكار المصريين وفداء أبكار الإسرائيليين .

وبهذا لم يكن لدى المصريين عذر حتى لا يؤمنوا بيهوه الرب إله العبرانيين خالق السموات والأرض ويعترفوا بعظمته وقوة اقتداره .

«ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر... فأخرج أجنادي شعبي بني إسرائيل من أرض مصر بأحكام عظيمة ، فيعرف المصريون أني أنا الرب حينما أمد يدي على مصر وأخرج بني إسرائيل من بينهم» (٧ : ٣ - ٥).

ولقد ورد التعبير شدد الرب قلب فرعون ثلاث مرات وذلك في الضربات السادسة (٩ : ١٢) والثامنة (١٠ : ٢٠) والتاسعة (١٠ : ٢٧) .

أما في الضربات الأولى (٧ : ٢٢) ، والثانية (٨ : ١٥) ، والثالثة (٨ : ١٩) ، والرابعة (٨ : ٣٢) ، والخامسة (٩ : ٧) والسابعة (٩ : ٣٥) وردت الكلمات : اشتد قلب فرعون ... أغلظ فرعون قلبه : بمعنى أن طبيعة فرعون هي القسوة والبطش ، كما أنه صاحب قلب غليظ .

غير أن الكثيرين يتساءلون عن الكلمات الواردة في الضربات السادسة (٩ : ١٢) والثامنة (١٠ : ٢٠) والتاسعة (١٠ : ٢٧) : « وشدد الرب قلب فرعون » . وما هو القصد منها ؟ وماذا تعني ؟ وهل حقيقة يُقسي الله قلب إنسان ليفعل ما لا يحسن في عيني نفسه ؟ وهل يُعاقَب الإنسان على أفعال لا دخل له فيها ولم يكن فيها أكثر من أداة في تنفيذ ما يريده الممسك بها ؟ هل كان فرعون شخصاً صالحاً يتمتع بضمير وعقل صالحين وقلب رقيق لولا تقسية الرب له !؟

يسلط العلماء الضوء الكاشف على طبيعة الله الصالحة ، ومحبته لجميع البشر ، ورغبته في أن يتعرف عليه كل إنسان ، ويجد حصنه لديه . وهذا نجده في سفر الخروج موضوع الدراسة

« الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء ، حافظ الإحسان إلى ألوف ، غافر الإثم والمعصية والخطية » (٣٤ : ٦ - ٧). وكيف لإله له طبيعة الرحمة والرأفة والمغفرة والإحسان أن يقود إنساناً كفرعون إلى إرتكاب هذه الآثام بتقسية قلبه ؟

ويجيب بعض العلماء على هذه التساؤلات بقولهم، إن فرعون كان له القلب القاسي والعنيد جداً . ولأجل ذلك أراد الرب أن يخلص شعبه من يديه. فهو الرجل فرعون ملك مصر الذي جعل على شعب إسرائيل رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم . فبنى الإسرائيليون لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس، واستعبدهم بعنف أكثر . ومرّر حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن ، وفي كل عمل في الحقل وبكل العنف (١ : ٨ - ١٤) . وهو فرعون صاحب القلب المتحجر والقاسي بطبيعته ، الذي أمر قابلتي العبرانيات بقتل كل ابن يولد ، وإن كان بنتاً فتحيا ، غير أن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا ذلك (١ : ١٥ - ١٩) .

وهو فرعون صاحب القلب الغليظ العنيد، الذي أمر أيضاً جميع شعبه بطرح كل ابن يولد لشعب إسرائيل في النهر

(خروج ١ : ٢٢).

في ضوء هذه النصوص يرى العلماء أن التعبير «أقسِّي قلب فرعون» والتعبير «شدد الرب قلب فرعون» يقصد به طول أناة الله على فرعون ليفسح له المجال الواسع، حتى يستعرض فرعون قوته وقدراته ويظهر الرب (يهوه) للعالم كله وللتاريخ حجم فرعون أمام اقتدار الرب وسلطانه وسيادته على كل الأرض قائلاً : «فأتمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه. فيعرف المصريون إني أنا الرب. حتى أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه» (قارن خروج ١٤ : ٤ ، ٨ ، ١٨). وبهذا يمكن القول أن الرب قسِّى قلب فرعون بأن أظهر لطفه وطول أناته عليه فازداد قساوة وصلابة زاعماً أنه قادر على سحق إسرائيل. لقد ظهر لطف الله نحو فرعون باستجابة الرب لوساطة موسى، فكان الرب برفع الضربة عن فرعون والمصريين، ومجرد أن يرى فرعون ذلك ، يعود له القلب القاسي من جديد. «فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج أغلظ قلبه ولم يسمع لهما كما تكلم الرب» (خروج ٨ : ١٥). وعندما خرج موسى من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب مصلياً، أن يرحم فرعون ويرفع الضربة عنه وعن شعبه . «انقطعت الرعود والبَرَدُ ولم يَنْصَبَّ المطر على الأرض. ولكن فرعون لما رأى أن المطر والبَرَدَ والرعود انقطعت عاد يخطئ وأغلظ قلبه هو وعبيده» (٩:٣٣ - ٣٤).

في هذا يقول أحد الشراح إن نعَم الله لبعض الناس تتحول إلى نقمة، ورحمة الرب للبعض تكون حافزاً لهم على الضلال والبعد عنه. اذ أن هذه هي طبيعتهم . « وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء إسرائيل وبنو إسرائيل خارجون بيد رفيعة » (١٤ : ٨) . ويرى ب. تشيلدز B.S. Childs وآخرون من العلماء، أن الرب شدد قلب فرعون بمعنى أن الرب أسلم فرعون إلى ذهنه المرفوض ليفعل ما لا يليق . لأنه لم يستحسن أن يُبقِي الله في معرفته ، فأسلمه الله إلى شهوات قلبه، بأن أطلق له عنان تفكيره وخياله ، لتحقيق شهواته بأنه قادر على إرجاع الإسرائيليين ثانية لإذلالهم وسحقهم تحت قدميه . ولم يعلم أنهم « خارجون بيد رفيعة » (قارن رومية ١ : ٢٢ - ٢٤ ، رومية ٩ : ١٤ - ١٧ ، ٢٢) .

حدث الخروج وقيمته العظمى

يعد حدث الخروج من أرض مصر أهم الأحداث التاريخية في حياة إسرائيل. وإلى هذا اليوم فإنهم يفهمون دعوتهم ومكانتهم في الزمن القديم في ضوء هذا الحدث. مثلهم في ذلك مثل المسيحي الذي يذكر تضحية رب المجد يسوع المسيح في مائدة العشاء الرباني. وكذلك هم أيضاً في عيد الفصح.

ويعد الخروج أيضاً مفتاحاً لفهم من هو الله ، وكيف يعمل لخلاص الإنسان المتضايق ، وحتمية أن يصنع الإنسان عدلاً في الأرض ، ويعمل في إيجابية كرد فعل للحرية التي اختبرها بعد أن عاش في العبودية (ميخا ٦:١- ٨). الكلمات التي تحدث بها أنبياء ما قبل السبي ٥٨٧ ق.م كثيراً وطويلاً، حتى أنهم لم يذكروا شيئاً عن دعوة إبراهيم وهجرته من أرضه (تكوين ١٢). بل يحدد أنبياء تلك الفترة بداية الشعب الإسرائيلي التاريخية بحدث الخروج من مصر أرض العبودية، والذي حارب فيه الرب عنهم لمسئولية هامة وعظمى وهي أن يكونوا بركة وأمة مقدسة ومملكة كهنة (خروج ١٩:٤-٦). إنها دعوة دينية ورسالة روحية (خروج ٤ : ٢٣).

وفي القرن الثامن ق.م يُذكّر عاموس النبي سامعيه بأن إسرائيل ارتبط معاً كشعب وكأسرة واحدة بعمل الله الخلاصي من مصر (٣:١-٢) موبخاً إياهم لنسيانهم الأعمال العظيمة التي حققها لهم بإعلان اسمه، حيث صار معروفاً عندهم (عاموس ٩:٢-١١). ويشير هوشع النبي الذي كان معاصراً لعاموس الى ذلك أيضاً في (١١:١-٤، قارن هوشع ١٤ : ٣). ويتنبر النبي حزقيال على حقيقة هذا الحدث وقصد الله العظيم منه (٢٠:٥-١٢، قارن مزمور ٨١:٩-١١، دانيآل ٩:١٥).

إن حدث الخروج - كما يرى أحد العلماء - هو قلب ومركز تعليم الأسفار الموسوية الخمسة . وسفر التكوين بعد

خلفية تاريخية لهذا الحدث (راجع الأصحاحات من ١٢ - ٥٠).

واحتفل بهذا الحدث في ملحمة شعرية في وقت مبكر (خروج ١٥:١-١٨) بما يطلق عليه بترنيمة البحر (قارن مزمور ٧٧، ١١٤). كما أوضح النبي موسى كليم الرب في سفر التثنية بأن شهادات الرب وأحكامه وفرائضه هي بمثابة خلفية لرحمة الله ونعمته الغنية التي تجلت في حدث الخروج (تث ٦ : ٢٠ - ٢٥). وعندما يأتي الإنسان العابد بابكار حصاده من أرض الموعد يقدمها إلى الكاهن في تلك الأرض معلناً إيمانه بالرب وسجوده لإلهه الذي أخرجه من أرض العبودية بيد شديدة وذراع رفيعة وآيات وعجائب. وأعطاه الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً (تث ٢٦: ٥-١١).

إن هدف الخروج والخلاص من العبودية هو العبادة والسجود للرب، واعلان اسمه العظيم أمام شعوب الأرض كلها. ألم يدافع الرب عنهم حيث لم تكن لهم قوة أو عون بلا رجاء وتجلت قوته في أعماله . سمع - رأى - خَلصَ - بيد رفيعة وذراع ممدودة (خروج ١٣:١٧-١٤:٣١). فقد وقفت القوتان العظيمتان الواحدة في مواجهة الأخرى . إله العبرانيين ممثلاً في موسى كليم الرب ومساعده هرون أخاه، ومن الجانب الآخر فرعون مصر ، الملك العاتي والجبار ومعه السحرة والعرافون وكل قواته وجنوده. إنه فرعون الذي يقرر مصائر الأمور . والذي يُعد تجسيداً للألوهية عند شعبه. ولأجل ذلك اعتُقد أنه يملك كل الحكمة الإنسانية الرفيعة والقوة المطلقة (راجع الأصحاح الأول).

وموسى الذي تربى في قصر فرعون وتهذب بكل حكمة المصريين مدة أربعين سنة ، ورفض أن يكون حفيداً لفرعون، عضده الرب وقواه وأعلن له الله اسمه العظيم (ذاته). وفي لحظة أطلق فرعون الشعب بعد الضربات العشر ، الواحدة تلو الأخرى . وندم فرعون على فعله هذا وقرر أن يتبع الإسرائيلين ليرجعهم ثانية. «فغطت المياه مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر ولم يبق منهم ولا واحد. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم» (١٤:٢٦ - ٢٩) .

إن قصة حدث الخروج لا تُعد ملحمة بطولية قائدها موسى حتى يُحتفى به كمحرر للشعب . بل يُعد الحدث - كما يرى علماء الكتاب - بمثابة تعظيم وتمجيد لاسم الرب القدوس الذي بذراعه القوية ويده الممدودة خلَّص المتضايقين من أيدي مضايقيهم (٣:٧-٥). وكان موسى وسيطاً بين الله وشعبه وأداة في يد الله لنجاتهم (قارن خروج ٢- ٤). ورغم تربيته في بيت فرعون إلا أنه سلك كعبراني لا غش فيه (٢:١١-١٢). ولاشك في أن أمه كان لها دور كبير في ذلك كما يرى أحدهم، كما أن الحكمة الفائقة التي تهذب بها في قصر الملك كان لها دورها أيضا. وخاف موسى بعد أن عُرِف أمر ما فعل، وهرب من وجه فرعون الذي طلب أن يقتله، وسكن في أرض مديان (٢ :١٣- ١٥). وربما كان سيتي الأول هو هذا الفرعون. ولم يرجع موسى إلى مصر حتى بداية حكم ابنه رمسيس الثاني كما يرى أندرسون (٢:٢٣، ٤ :١٨-٢٠).

وقد اتخذ موسى من أرض مديان ملجأ له في شبه جزيرة سيناء، وأقام مع أحد الرعاة المديانيين حيث نال نعمة في عينيه، وتزوج صفورة إحدى بناته (٢:١٦-٢٢). وكان حمو موسى كاهناً لمديان. وواضح كما يرى جيرهارد ڤون راد Von Rad أن يثرون كان كاهناً للرب ويخدم مع شعب مديان الذي كان يعبد الرب في تلك المنطقة . ولم يكن الإسرائيليون أول من عرفوا الرب (قارن خروج ١٨:٩ -١٢، ١٥، ١٩-٢١، ٢٣، ٢٧).

العليقة المشتعلة غير المحترقة

بينما كان موسى يرعى غنم حميه يثرون كاهن مديان، ساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب (٣: ١-١٧). ورأى موسى ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة. والعليقة تتوقد بهذه النار ولم تكن تحترق. وكان هذا أمراً مثيراً لموسى، لماذا لا تحترق العليقة؟ وكان اهتمامه شديداً ليعرف حقيقة الأمر. فمال لينظر المنظر العظيم هذا.

فلما رأى الرب أنه مال لينظر - وهذا هو الهدف الحقيقي كما يرى بعض العلماء - ناداه الله من وسط العليقة (الله الذي تمثل له في هيئة ملاك بلهيب نار) (عدد ٢)؛ بمعنى أن هذا المنظر المثير لموسى كان بمثابة تقديم وتهيئة لدعوة وإرسالية الله له . «ناداه الله وقال موسى موسى، فقال هأنذا، فقال له الرب لا تقترب إلى هنا، إخلع حذاءك من رجليك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو أرض مقدسة» (عدد ٥). ثم قال «أنا إله أبيك إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . فغطى موسى وجهه ، لأنه كان خائفاً أن ينظر إلى الله» (عدد ٦). واستمع موسى دعوته من الرب، ولماذا نزل الرب (عدد ٨). إنه لإنقاذ شعبه من أيدي مستعبديهم حتى يصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة؛ إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . إنه إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب الإله القدوس الذي يقاوم فرعون الجبار. وحضوره ليس فقط بالكلمة بل العمل ، وليس فقط بالوعد بل الفعل، وهو عامل في التاريخ بل صانعه. وعلى موسى أن يشارك في صنعه . الأمر الذي لم يكن سهلاً أو هيناً على موسى. إنه الإله القدوس النار الآكلة (تث٤:٢٤)، الذي يقف أمام فرعون العاتي والقاسي القلب والصلب الرقبة. وفي نفس الوقت هو الإله الرحيم الذي يشفق على موسى ويشجعه ويعضده بكل قوته بالآيات والعجائب (أصحاح ٣ - ٤، قارن تث ٤ : ٣١).

سبعة أيام تأكل فطيراً

كما سلفت الإشارة، يعد حدث الخروج قمة تتويج الأحداث التاريخية الإسرائيلية ، الذي أعقب الضربة العاشرة والأخيرة بقتل أبكار المصريين من الناس والبهائم (خروج ١٢:١٩-٢٠). وكان على إسرائيل أن تعمل الفصح تذكارا لخلاص الرب لها إذ أنه في أحلك ساعة كسر الرب نير فرعون وخلّص شعبه بمحبة . «فتذبح للرب غنماً وبقراً في المكان المعين من الرب ليحل إسمه فيه. ولا تأكل عليه خميراً».

سبعة أيام تأكل عليه فطيراً الذي هو خبز المشقة لأنه على عَجَلٍ خرج الشعب من أرض مصر. «فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم» (١٢:٣٤). «وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملّةٍ فطيراً إذ كان لم يختمر. لأنهم طُرِدوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا» (عدد ٣٩). ويعمل الفطير يذكر الشعب يوم خروجه من أرض مصر كل أيام حياته. سبعة أيام يعيدون، يأكلون فطيراً ولا يرى فيه خمير مطلقاً في جميع تخومه (تث ١٦:١-٣). «ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة لكم أنكم تقولون هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت إسرائيل» (خروج ١٢:٢٦، ٢٧، راجع ١٣:١-١٠).

وعيد الفطير هذا هو تذكار افتقاد الرب لهم بالإنتصار العظيم الذي تحقق لهم من الرب واطلاقهم من العبودية إلى الحرية.. «فطير يُؤكل السبعة الأيام ولا يُرى عندك مختمر ولا يُرى عندك خمير في جميع تخومك، وتخبر ابنك قائلاً، من أجل ما صنع إليَّ الرب حين أخرجني من مصر.. لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر. فتحفظ هذه الفريضة في وقتها من سنة إلى سنة»(١٣ : ٧ - ٨ ، ١٠).

تاريخ حدث الخروج

تعددت الآراء حول تاريخ حدث الخروج من أرض العبودية مصر. فهناك من يرى أن خروج بني إسرائيل من مصر تم خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وآخر يرى بأنه تم في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وثالث يرى بأن الخروج تم في أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عصر رمسيس الثاني ابن سيتي الأول.

الرأي الأول : يستند على ما ورد في (١مل ٦ : ١). وعلى رأس الآخذين بهذا الرأي م.ف.يونجر M.F. Unger «وكان في السنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني، أنه بنى بيت الرب». فإذا كانت السنة الرابعة لسليمان هي عام ٩٥٦ ق.م يكون تاريخ الخروج هو عام ١٤٣٦ ق.م (٩٥٦ + ٤٨٠) خلال حكم أمنحتب (أمينوفيس). وبذلك يصبح تحتمس الثالث

فرعون التسخير (الضيق) الذي ملك من عام (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م)، والذي تم في عهده بناء مدن عظيمة وهياكل ومعابد (قارن خروج ١:٨، ٢:٢٣). وإذا صح هذا الرأي تصبح حتشبسوت إبنة فرعون ملك مصر «تحتمس الأول» الذي حكم مصر من عام (١٥٢٥- ١٤٩٥ ق.م)، هي التي أخذت الطفل موسى وربته واهتمت به وعاش معها في القصر أربعين سنة حيث تهذب بكل حكمة المصريين.

الرأي الثاني : والقائل بأن الخروج تم في أواخر القرن الثالث عشر، وفي مقدمتهم ك.كتشن K.A. Kitchen حيث تم بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس كمخازن من المدن التي بناها الإسرائيليون لفرعون مُسخرهم وقد تأكد بناء هاتين المدينتين أيام رمسيس الثاني (١٣٠١ - ١٢٣٤ ق.م) وأيام والده سيتي الأول (١٣١٩-١٣٠١ ق.م). كما يُعد رمسيس الثاني من أعظم المشيدين لهذه الأبنية العظيمة والمعابد والهياكل. في هذه الحالة يعد رمسيس الثاني فرعون التسخير ومرنبتاح ابنه (الذي ملك من عام ١٢٣٤- ١٢٢٢ ق.م) هو فرعون الخروج. غير أن هذا الرأي رُفض من كثيرين ، لما عثر عليه علماء الآثار من كشف تاريخي هام لأحد اللوحات وقد كتب عليها ما يفيد بإنتصار مرنبتاح بن رمسيس الثاني على الإسرائيليين في فلسطين عام ١٢٢٩ ق.م. فهذه المخطوطة لا تترك للمؤرخين إلا أربع سنوات لا غير هي زمن مكوث الإسرائيليين في سيناء، ودخلوهم أرض كنعان والبقاء فيها ، حتى يأتي مرنبتاح بجيوشه ، ويحقق انتصاره العظيم. بينما نجد في التوراة ما يفيد أن الإسرائيليين مكثوا في البرية ما يصل إلى أربعين عاماً (قارن عدد ١٤: ٣٤).

من الجانب الآخر يدافع أصحاب هذا الرأي عن معتقدهم هذا، قائلين أن الذين انتصر عليهم مرنبتاح لم يكونوا من أرض مصر ولم يشتركوا في رحلة الخروج. ورُفض هذا الرأي من كثيرين من العلماء.

الرأي الثالث : القائل إن الخروج تم في أوائل القرن الثالث عشر ، وعلى رأس الآخذين بهذا الرأي وليم ف . ألبرايت W.F. Albright . وبهذا يكون فرعون التسخير هو سيتي الأول (١٣١٩-١٣٠١ ق.م) الذي بدأ العمل في بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس مدينتي مخازن وأتم بناءهما رمسيس الثاني الذي حكم مصر من عام (١٣٠١ - ١٢٣٤ق.م) تقريباً. وهذا الرأي يفسح مجالاً من الزمن للأخذ بما ورد في المخطوطة، والتي تشير إلى انتصار مرنبتاح فرعون مصر وجيوشه على الإسرائيليين في فلسطين عام ١٢٢٩ ق.م (والذي ملك بعد رمسيس الثاني من عام ١٢٣٤ - ١٢٢٢ ق.م).

والمشكلة التي يقترح حلها العلماء أن سني الملوك الأول المشار عنها في(٦:١ - ٢) تمثل اثنى عشر جيلاً لا تزيد عن ثلاثمائة عام ، مدة كل جيل خمسة وعشرون عاماً .

وحقيقة الأمر كما يرى العلماء، أنه لا يمكن تحديد تاريخ الخروج بالضبط ، الأمر الذي لا ينقص من قيمة السفر التاريخية ورسالته الروحية التي تظهر قدرة الله الفائقة متجلية في خلاص شعبه الذي عبر به بحر سوف ماشيا على اليابسة وسط اللجج .

طريق الهروب

خرج الشعب من أرض العبودية على الفور. وطبقاً لما جاء في (خروج ١٢:٣٧) كانوا ستمائة ألف ماش (عدد ١١:٢١). ويرجح البعض أنهم ساروا في طريق البرية حيث أتاههم الله (١٣:١٨) تاركين رعمسيس التي في جاسان (محافظة الشرقية حالياً) حيث كانوا يعملون، عن طريق خليج السويس على طريق سكوت وإيثام (١٣: ٢٠). وكان الرب نفسه يسير أمامهم في شكل عمود سحاب نهاراً وفي شكل عمود نار ليلاً ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً - لم يتركهم مطلقاً - «لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلا من أمام الشعب » (١٣:٢١-٢٢).

والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم

قاد الرب شعبه وسط اللجج وعبروا على اليابسة وسط المياه التي كانت لهم سوراً من اليمين واليسار. غير أنهم تذمروا كثيراً وطويلاً وبدأوا يترحمون على أيام الذل والعبودية أيام كانوا مستعبدين من المصريين قائلين: كان خير لنا أن نستعبد للمصريين من أن نموت في البرية (١٤: ١١-١٢). وكان تمردهم هذا واضحاً على الرب الذي قاتل المصريين عنهم ،وجعلهم منتصرين على البحر وفي البحر (خروج ١٤: ١٣-٣١). ويقرر علماء الكتاب والمؤرخون بأنه حدثٌ فريدٌ ومتميز أقه الرب لمجده على فرعون وعبيده «حتى يعرف المصريون أني أنا الرب» (١٤:٤). وبالنسبة لإسرائيل يعد هذا الحدث علامة لحضور الله المقيم في وسطهم، الله الذي استخدم قوته ليحقق خلاصهم كما يرى إميل فاكنهام E.Fakenheim لأنه الخالق والفادي ورب التاريخ (قارن١٤: ٢١-٢٩).

ترنيمة الانتصار والتمجيد

يصل التعبير عن حدث الخروج إلى ذروته كما يرى أحد العلماء عندما أخذت مريم أخت هرون وموسى الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص قائلة لهم: «رنموا للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (١٥: ٢١). وتعد هذه التسبيحة في نظر العلماء من أقدم التسبيحات في الكتب المقدسة حيث يعود تاريخها إلى زمن الحدث نفسه. ومريم شاهدة عيان لهذا الحدث العظيم والرهيب. إنه العمل الإلهي نيابة عن الشعب. وعبر عنه الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر M. Buber بقوله: إنه حدث مقدس لا يخضع لمناقشة علمية، ويمثل جزءاً هاماً من نسيج تاريخ هذا الشعب الذي خصصه الرب لذاته.

فقد رنم موسى وبنو إسرائيل هذه الترنيمة، ترنيمة الانتصار ... «أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجده. إله أبي فأرفعه... الرب إسمه...» (قارن خروج ١٥: ١-١٨). إنه انتصار للرب (عدد ٢)، «ومن مثل الرب بين الآلهة، معتزاً في القداسة مخوفاً بالتسابيح ، صانعاً عجائب. تمد يمينك فتبتلعهم الأرض» (١٥: ١١-١٢). «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته ... تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك... الرب يملك إلى الدهر والأبد. يسمع الشعب (الأعداء) فيرتعدون .. يندهش أمراء أدوم. أقوياء موآب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان. تقع عليهم الهيبة والرعب . بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يارب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته».

هذه الكلمات تعبر عن عظمة الانتصار على البحر والانتصار في البحر. فالأمر لم يكن انتصاراً على اللحم والدم، بل انتصاراً على الشر والظلم والفوضى اللعينة وكل ما يهدد خليقة الله (مزمور ٧٤: ١٢-١٧، ٧٧: ١٦-٢٠، ١١٤، وحبقوق الأصحاح الثالث).

ويبدو غريباً بأنه لم ترد أية إشارة في تاريخ مصر القديم عن موسى والعبرانيين وهروبهم من بطش فرعون . وصمت التاريخ المصري القديم لم يكن بغريب كما يرى ك.أ. كتشن K.A.Kitchen[1]. لأن كل ما جاء عن إقامة رمسيس الثاني في الدلتا ومعابده الصخرية والحصينة وقصره الملكي قد اندثر تماماً مع الأرشيفات وما احتوته من سجلات عن العبيد العبرانيين وتمرد قائدهم موسى. لقد فُقدَت جميعها دون معرفة أسباب ذلك.

أما بالنسبة للإسرائيليين، فيعد هذا الحدث أهم الأحداث جميعها، وعليهم أن يخبروا أولادهم إلى جيل الأجيال. وفي ضوء هذا الحدث أمكنهم فهم الأحداث التاريخية المتعاقبة عليهم، وفهم ما قبل تاريخهم أي زمن الآباء والأجداد.

إظهار الله ذاته في أساليب التجلي والآيات والعجائب

لقد أظهر الرب ذاته بطرق وأساليب مختلفة في خلاص شعبه إسرائيل من أرض مصر (خروج ٦ :٧) . كما أظهر

(1) K.A.Kitchen, The Bible in Its World, Archaeology and the Bible Today.

ذاته في الطبيعة بأنه الخالق العظيم ورب الكل وأعظم الجميع . والكتب المقدسة تشهد لهذا الإبداع العظيم (تك ٨ : ٢٢ ، مزمور ١٠٤: ١٩) «صنع القمر للمواقيت الشمس تعرف مغربها ». والطبيعة تكشف لنا حكمة الله وكماله وقدرته وسلطانه الكامل على الكون . ومن عجائبه ما ورد عن حدث عبور الشعب وسط اللجج على اليابسة ، وإخراج الماء من الصخر، وخبز الملائكة «المن » والسلوى أيضاً. وكان في عمود سحاب نهاراً يهدي الشعب في البرية، وفي عمود نار ليلاً، والجبل المدخن والمضطرم بالنار (خروج ١٣: ٢٠-٢٢، ١٩: ١٦-١٩).

هذه الآيات والعجائب، وتجلي الرب (يهوه) بأساليب وطرق متنوعة ، تكشف لنا عن سلطانه الفائق على الطبيعة بالقول وبالفعل . ومن جهة القول فقد ظهر ذلك واضحاً أيضاً في الشرائع والوصايا والأحكام التي تكلم بها الرب إلى موسى ، ولوحي الشريعة المكتوبة بأصبع الله (خروج ٣١ : ١٨ ، ٣٢ : ١٥ ، ١٦ ، ٣٤ : ٢١ ، ٢٨) . ولله جل جلاله القدرة أن يفعل قولاً وعملاً كما سنرى بأكثر تفصيل فيما بعد .

تجلي الرب (يهوه) في صورة ملاك أو إنسان :

وردت الإشارات العديدة عن تجسد الرب في هيئة ملاك . كما ظهر في هيئة إنسان عادي ، إذ لم تكن له هيئة مميزة يمكن بها التعرف عليه بأنه ملاك بجناحين مثلاً وذلك فيما يلي :

١- (تكوين ١٨) : ظهر الرب لأبرام عند بلوطات ممرا ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، وواحد من الثلاثة تكلم بأنه الرب (عدد ١٣). كما بشَّر إبراهيم بمولد إسحق، وتحدث الرب مع إبراهيم عما سيفعله بسدوم وعمورة (عدد ٢٠ ، ٢٢) وعن وساطة إبراهيم لدى الرب (عدد ٢٦). إنه أحد الرجال الثلاثة.

٢- (تكوين ٢٢: ١١-١٣) : ينادي ملاك الرب إبراهيم بالقول : «لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً». ثم يتحدث الملاك إلى إبراهيم، ويظهر بأنه الرب بقوله : «فلم تمسك ابنك وحيدك عني». وينطق إبراهيم بالقول: «الله يُرى God is seen » (عدد ١٤).

٣- (تكوين ٢٤ : ٤٠) : يظهر الملاك هنا بصفة رسول ومرشد.

٤- (تك ٤٨ : ١٥ ، ١٦) : حيث تظهر التفرقة بين الملاك وبين الرب .

٥- (خروج ٣: ٢): يظهر الملاك بأنه الرب « ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ... فلما رأى الرب أنه مال لينظر، ناداه الله من وسط العليقة» (أعداد ٤- ١٠). وحوار موسى مع الملاك بلهيب نار من وسط العليقة في الأعداد (من ١١-٢٢).

٦- (خروج ١٣: ٢١-٢٢، قارنه بـ ١٤: ١٩): ويظهر الرب في هيئة ملاك مصاحباً في عمود السحاب (قارن ١٣: ٢١-٢٢).

لقد ظهر الرب لشعبه في صورة ملاك وفي صورة إنسان . لأن الإنسان لا يستطيع أن يرى الله ويعيش (خر ٣٣ : ٢٠) . ومن يستطيع المثول في حضرته . لذا أشفق الرب (يهوه) على الشعب في القديم ، وظهر لهم في هيئة ملاك حتى لا يحرقهم أو يفنيهم وجوده ، حيث قال الرب لموسى «أنا أرسل أمامك ملاكاً ، وأطرد من أمامك كل الشعوب الأجنبية إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . لا أصعد في وسطك... لئلا أفنيك في الطريق » (خروج ٣٣ : ١ - ٣ ، قارن إش ٦٣ : ٩). وقد عبر عن ذلك يوحنا في العهد الجديد بأجلى وضوح قائلاً «الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يوحنا ١ : ١٨).

٧- يظهر الرب ليشوع بأنه رئيس جند الرب، ويسجد يشوع له (يشوع ٥ : ١٤). ويتضح من العدد التالي (١٥) بأنه هو الذي ظهر لموسى (خروج٣ : ٥). أما في (رؤيا ١٩: ١٠) فنرى الملاك مجرد رسول، وقد منع يوحنا

من السجود له لأنه عبد مثله أمام الرب.

مما سبق يتضح لنا أن الرب الإله بنعمته كان يتجلى ويحل في وسط شعبه ، في هيئة ملاك وفي صورة إنسان أيضاً ، يعيش معهم هادياً لهم ومنقذاً دون أن يفقد شيئاً من هيبته ، ودون أن يهلكهم . إنه الإله القديم الذي ظهر في شخص المسيح يسوع الفادي الكريم ، والذي تفاضلت في شخصه المبارك النعمة الأزلية.

وجـه الـرب

يتساءل كثيرون : هل يمكن للإنسان أن يرى وجه الله؟ وماذا يقصد بذلك؟ جاء في (خروج ٣٣ : ٢٠) قول الرب لموسى : «لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش». ومن الدراسة المتأنية للأعداد من (١٨ - ٢٠) نجد بأن وجه الرب هو مرادف لمجد الرب. ومجد الرب مرادف أيضاً لجود الرب. كما يرى العلماء ومنهم تشيلدز B.Childs أن وجه الرب هو حضوره. كما أن حضور الله متمثل في إحساناته وجوده على الإنسان الذي يتمتع برؤية الله كل يوم . ومرجع هذا الاعتقاد هو قول الرب لموسى عندما طلب من الرب قائلاً : «أرني مجدك» فقال له الرب لا تقدر أن ترى وجهي ... حينئذ قال الرب لموسى «أجيز كل جودتي قدامك» . وجود الله هنا إشارة عن إحساناته التي اختبرها بنو إسرائيل قديماً (هوشع ٣ : ٣ ، إرميا ٣١ : ١٢ ، ١٤ ، مزمور ٢٧ : ١٣) .

وبهذا يمكن للمرء أن يتمتع بمجد الرب ومرأى وجهه البهي في محبته المتفاضلة وإحساناته ورحمته الجديدة للإنسان كل يوم .

اسم الرب (أهيه الذي أهيه)

أعلن الله عن ذاته لموسى وكشف عن اسمه «أهيه الذي أهيه» (خروج ٣:١٤). هكذا تقول لبني إسرائيل « أهيه أرسلني إليكم (يهوه إله آبائكم) إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم . هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور» (٣ : ١٥).

والكلمة «أهيه» يمكن ترجمتها «أنا هو I'am» الكائن والذي كان والذي يكون أو الذي سيكون، أما الكلمة يهوه فهي في صيغة الغائب «هو يكون He is»، ومنها جاءت الكلمة Jehoveh التي انتشر استخدامها بواسطة المسيحيين خلال القرن ١٣ وهي الترجمة الإنجليزية للاسم «الرب The Lord».

والاسم «رب» أو «يهوه»، يتضمن مكنونات خفية بعيدة عن كل فحص واستقصاء. والاسم الإلهي «أهيه» كما يرى علماء الكتاب - يعكس لنا حقيقة هامة، وهي أن الله يكشف عن ذاته في الوقت المعين حسب قصده ومسرته. والفعل المستخدم هنا « أهيه» يُعنى به العامل والكائن بين شعبه. وإله إسرائيل يعلن، أن وجوده وقوته سيظهران بوضوح كامل في أحداث الخروج . هذه الأحداث ستكون إعلاناً وكشفاً مرئياً عن اسم الرب وشخصيته الحقيقية. فالمعنى الكائن والذي كان والذي سيكون معنى واحداً لا فرق ، والأحداث تُظهر الذات الإلهية .

والجدير بالملاحظة أن موسى لم يُرسَل من قبل الله ، ليكون شاهداً أو مراقباً للأحداث ، بل شريكاً وعاملاً في الأحداث . ومعلناً مجد إلهه الذي كشف له عن ذاته ، وكم هو قدوس (خروج ٣ : ٥) ، وبأنه فادي إسرائيل . «لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب . وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين ، وأنقذكم من عبوديتهم . وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة» (خروج ٦ : ٥).

إنه يهوه الذي لم يتعرف عليه الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب بهذا الاسم « ... أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء באל שדי . وأما باسمي يهوه فلم أُعرَف عندهم» (٦:٣). لقد عرفه الآباء بأنه القادر على كل شيء فقط، كما يرى أحد العلماء. أما هو فأكثر من ذلك إنه أهيه אהיה يهوه יהוה .

عرفه الآباء أنه القدير ، الذي يسد كل احتياجاتهم. فنجد إبراهيم يصرخ إلى الله شاكياً ومتزعجاً (تكوين ١٥ : ٣ - ٥) . وآمن إبراهيم بإلهه وأعطاه إسحق . كما لم يُمسك إبراهيم ابنه إسحق عن الرب إذ آمن بالقادر على الإقامة من الأموات (عب ١١:١٧- ١٩).

كما أنه الإله الذي اختبر قدرته إسحق بتخليصه من أعدائه ، الذي جعل أعداءه يسالمونه ، قائلين لإسحق « قد رأينا أن الرب كان معك، فقلنا ليكن بيننا حلف ... ونقطع معك عهداً » . لقد أوقع الرب في قلوب أعدائه رعباً ليهابونه (تك ٢٦ : ٢٦ - ٢٩). إنه القادر على كل شيء .

هذا الإله القادر على كل شيء اختبره أيضاً يعقوب الوحيد الطريد، والهارب من وجه عيسو أخيه، حتى لا يقتله. وهنا افترش يعقوب الصحراء، واتخذ من حجارتها وسادة لينام. وظهر له الرب، مطمئناً إياه في حلم الليل (تك ٢٨: ١٠-١٥). كما سار به كل الطريق وباركه، وغير اسمه قائلاً له «لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (قارن تك ٣٢: ١٠ - ١٢، مع ٣١: ٤٢). إنه القدير الذي خلصه من بطش عيسو المستبيح والزاني (عب ١٢:١٦-١٧) الذي رفض البكورية (بأن يكون مسئولاً عن شئون عائلته مكان أبيه). بل رفض إله أبيه، والتصق ببنات حث، أشر من في الأرض (تك ٢٦:٣٤ -٣٥). الأمر الذي ضعفت أمامه رفقة واستحسنت أن الذي رفض أن يكون مسئولاً في البيت وعنه، بلغة تنم عن اليأس وعدم الرجاء ، ظهرت في قوله : «أنا ماض إلى الموت. فلماذا لي بكورية؟» (تك ٢٥:٣٢)، بأنه يجب أن يحرم من البركة التي هي أجرة أمانته وتمسكه بالبكورية. والذي رفض البكورية يتحتم أن يُرفض من البركة. ولعل رفقة رددت هذه الكلمات في باطنها وهي في الجسد كما يرى أحد الباحثين.

والواضح أن رفقة أخفت عن زوجها إسحق تصرفات ابنه عيسو الماجنة والنجسة، حتى لا تأتي بشيبته بحزن إلى الهاوية. إذ كان قد تقدم في السن وذبلت نضارته وكلّت عيناه عن النظر (٢٧:١). والملاحظ أيضاً أن إسحق إستشعر أن في الأمر شيئاً قد أخفي عن عينيه حتى أكد بركته ليعقوب قائلاً: «نعم ويكون مباركاً» (٢٧:٣٣).

إلا أن يعقوب جني ما زرعه بمكر مع أبيه كما يرى أحدهم (قارن تكوين ٢٩:٢١-٢٢، ٢٥- ٢٨)، كما عانى الكثير ليحصل على استحقاقه من خاله لابان (٣١:٧)، لولا إله أبيه إسحق الذي كان معه (٣١:٥). وقد شهد خاله لابان عن ذلك قائلاً : «في قدرة يدي أن أصنع بكم شراً. ولكن إله أبيكم كلمني البارحة قائلاً احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر» (٣١:٢٩). عندئذ أطلق يعقوب صيحته قائلاً : «صغير (دون أن أستحق) أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك» (٣٢: ١٠). إنه الإله القادر على كل شيء، الذي حفظه في كل الطريق ، وقد صار شعباً كثيراً «بعصاي عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين» (عدد ١٠ ب).

هذا الإله القدير عرفه الآباء قديماً عندما سدد كل احتياجاتهم، لكن لم يعرفوه باسمه يهوه، كما أعلن عن ذاته لموسى قائلاً : «وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شئ (فقط). وأما باسمي يهوه فلم أُعَرف عندهم» (خر ٦:٣، قارن خر٣:١٤-١٥). «هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور». إنه يهوه الذي شق البحر أمام الشعب وعبروا على اليابسة وسط اللجج، والمياه سور عن اليمين وسور عن اليسار (خروج ١٤:٢٢).

ويرى أ. فاكنهايم E. Fakenhiem بأن ما تمتع به موسى وهرون ومريم عند شق البحر لا يقل - إن لم يزد - عما تمتع به بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل التجلي. إنه الرب الذي فجَّر لهم الماء من الصخرة (خر ١٧:٦، عدد ٢٠ : ٧ - ١١) وعالهم أربعين سنة في البرية وأطعمهم المن والسلوى. ثيابهم لم تبل عليهم وأحذيتهم لم تبل أيضاً (تث ٨ : ٤، ٢٩:٥).

كان الرب نفسه يتقدمهم في عمود سحاب نهاراً وفي عمود نار ليلاً ليهديهم. «لم يبرح عمود السحاب نهاراً

وعمود النار ليلاً من أمام الشعب» (خروج ١٣:٢١-٢٢).

إنه الرب يهوه «أهيه» ليس فقط قادر على سد احتياج الإنسان الفرد، بل هو أكثر بكثير جداً مما يتصوره إنسان أو يدركه بذهنه المحدود.

ويربط علماء الكتاب بين الاسم «أهيه الذي أهيه I'am who I'am» «أنا هو» وبين ما جاء في الأناجيل عن الرب يسوع المسيح: «أنا هو ... نور العالم ... الراعي الصالح ... الطريق والحق والحياة ... القيامة والحياة ...». إنه الكائن قبل كل الدهور ... قبل تأسيس العالم ... «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (قارن يوحنا ٨ : ٥٦ - ٥٨). إنه الرب الذي لأجله حسب موسى كل شيء نفاية، ولم يرضَ أن يكون حفيداً لفرعون، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله ... حاسباً عاره غنى أفضل من خزائن مصر (عب ١١ : ٢٥ - ٢٦).

إنه الرب الذي يبدد كل خوف ورعب من حياة تلاميذه وهم يواجهون الموت بالغرق في البحر مخاطباً إياهم قائلاً: «أنا هو لا تخافوا» (مرقس ٦:٥٠، قارن أيضاً يوحنا ١٨:٦) حيث امتلأ آخرون من الرعب وسقطوا إلى الوراء عند سماعهم «أنا هو».

العهد في سيناء (١٩:١-٢٤:١٨)

وصل الإسرائيليون إلى جبل الله بعد ثلاثة شهور من ارتحالهم من أرض مصر. وحالما خيم الشعب في سفح الجبل، صعد موسى إلى الله وناداه الرب من الجبل قائلاً: «هكذا تقول لبني إسرائيل: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خروج ١٩ : ١ - ٦). وقدم الرب لموسى كل التعاليم، لإعداد الشعب، حتى يدخلوا معه في عهد، ويُعدهم لنفسه شعباً مباركاً، غيوراً ومقدساً له (أعداد ٤-٩). ويعلن الرب لهم عن ذاته (أعداد ١٠-١٥) وعن قداسته (١٥-٢٠).

العهد

جاءت الكلمة «عهد» في العبرية بمعنى «يأكل». إشارة للوجبة المصاحبة لإقامة الاحتفال الخاص بالعهد (قارن تكوين ٢٦:٣٠). والتعبير «قطع عهداً»، إشارة إلى ذبح الحيوانات لهذا الحفل المقام بمناسبة العهد. والمعنى الثاني اشتق من أصل أشوري يُعنى به رباط أو وُثُق (رباط الشركة).

أساليب وأنماط العهد في الشرق الأدنى القديم

تضمنت الأسفار المقدسة (العهد القديم) مجموعة مختلفة من العهود:

(١) عهد بين شخصين متساويين: إبراهيم وأبيمالك (تك ٢٠:٢٨-٣٠). كما ضم هذا العهد العشائر والأنساب.

(٢) بين داود ويوناثان (١صم ١٨:١-٥، ٢٠:١-١٦).

(٣) عهد السيادة المطلقة بين الله وبين إسرائيل وذلك في برية سيناء (خروج ١٩:٢١). وهذا العهد قريب الشبه بأنماط العهود في الشرق الأدنى القديم التي كانت بين الولاة والسلاطين وعامة الشعب. وجاء ذكر هذا النوع من العهود في تثنية وسفر يشوع.

وبنود العهد كما يلي:

١- تقديم: بيان بأسماء وألقاب وصفات الملك، الوالي العظيم.

٢- مقدمة تاريخية كوصف للعلاقات القديمة بين طرفي المتعاهدين. والتأكيد على فعل الخير من جهة الملك نحو

رعيتـه (خروج ١٩ : ٤) «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ».

٣- الأحكام والفرائض التي يجب أن تلتزم بها الرعية. (قارن خروج ٢٠:١-١٠).

٤- الاحتفاظ بالعهد كتابة، لقراءته من وقت لآخر، وبصفة منتظمة أمام الشعب (قارن ٢٤ :٤). «فكتب موسى جميع أقوال الرب وبكّر في الصباح، وبنى مذبحاً في أسفل الجبل اثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثنى عشر».

٥- أسماء الآلهة الخاصة بالملك وبالرعية كشهود للعهد بين الطرفين.

٦- قائمة باللعنات والبركات (قارن تث ٢٧).

الوصايا والأحكام الخاصة بالعهد:

١- يرى بعض النقاد أن الأصحاح العشرين من سفر الخروج، كتب في زمن ما بعد موسى، أي ما بعد المصدر(D) الذي تعود كتابته إلى القرن الخامس ق.م. وهذا غير صحيح. ولا يوجد ما يدعو إلى رفض الاعتقاد أن الأصحاح العشرين من الخروج سابق في كتابته لسفر التثنية (الأصحاح الخامس) كما تضمن الأصحاح (٥) من التثنية إشارات إلى ما سبق وعلّم به الرب من زمن مبكر جداً عما يعتقد به هؤلاء النقاد (قارن تث ٥:١٢، ١٥، ١٦).

٢- أشار البعض أن حفظ السبت لم يلتزم به الشعب في الصحراء بالإضافة إلى أن يوم السبت كان عادة كنعانية. إلا أن حفظ اليوم السابع هو سبت راحة مقدس للرب، له أساسه الواضح في (تك ٢:٢، ٣، قارن أيضاً خروج ١٦ : ٢٣ - ٢٩ الخاص بحفظ يوم السبت في البرية في الصحراء، والكلمات الواردة في (هوشع ٢:١١). مما يترتب عليه رفض الاعتقاد أن يوم السبت هو إجراء كنعاني.

توضح النصوص الواردة في (٢٠:٢٢-٢٣:٣٣) أن موسى هو كاتب هذه الأجزاء الكتابية (قارن ٢٠:٢٢، ٢١: ١) كأسلوب عبادة في إسرائيل وكبيان للحقوق المدنية. وكان الشعب يتعبد للرب في المكان الذي يظهر لهم ذاته فيه.

٣- أما عن الشرائع والأحكام المدنية الواردة في (خروج ٢١ : ١ - ٢٣ : ١٣) والتي اعتقد بعض النقاد أنها كتبت مؤخراً ، زمن ما بعد موسى، فقد أعطاها الله للشعب على يد موسى لضمان الأمن والاستقرار السياسي وبناء مجتمع مدني . ولم يقصد أن تعمل بها إسرائيل في الصحراء (البرية) ، بل قصد موسى أن تعمل بها إسرائيل مستقبلاً في أرض كنعان أرض الموعد (٢٠: ٢٢ ، ٢١ : ١ ، ٢٣ : ٩ ، ١٥ ، ٢٠ - ٢٣، ٢٧- ٣٣). وخاصة في الحديث عن الزراعة ، وإظهار المحبة نحو العوزين والمحتاجين، وحفظ حقوق الآخرين (قارن ٢٣:١- ١٣)، والتشريع الخاص بالاحتفال في الأعياد الثلاث : عيد الفطير، وعيد الحصاد، وعيد الجمع (المظال) (٢٣:١٤ - ١٩). ثم جاءت المصادقة على هذا العهد في (خروج ٢٤:١-١٨).

وتكمن القيمة الأساسية للعهد في أنه إعلان لاختيار الله السابق لهذا العهد، حيث لم يكن العهد مجرد ارتباط شرعي بين الله وبين إسرائيل، بل هو برهان وتأكيد لنعمة اختيار الله لهذا الشعب، والخلاص الذي تحقق لهم بواسطة يهوه. وهذا الإمتياز الذي تمثل في نعمة الاختيار وما تبعه من فداء وخلاص من أرض العبودية. والامتثال الحتمي لهذه النعمة، وما لها من فرائض وأحكام، هما قلب ومركز هذا العهد بين الله وشعبه إسرائيل.

فلم تكن هذه العلاقة مجرد اتفاق تم بعد مناقشة موسعة بين طرفين متساويين، بل هي سيادة النعمة الإلهية المتفاضلة كما يرى جون موري J. Murry والتي تمثلت في الشركة بين الله وإسرائيل. وقد أقيم العهد تبعاً لذلك بسلطان إلهي. وعلى إسرائيل أن تمتثل وتخضع لاختيار ونعمة الله.

فقد سبق الرب وأقام عهده مع إبراهيم (تك ١٥) ومع نسله إلى الأبد قائلاً له « بإسحق يدعى لك نسل » . وعهد سيناء أقيم مع إسرائيل إقاماً لهذا الوعد مع إبراهيم .

وكان إذ تنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، وسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم، وإسحق، ويعقوب. لأجل ذلك، أرسل الرب موسى قائلاً له: اذهب واجمع شيوخ إسرائيل، وقل لهم: إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لي قائلاً إني قد افتقدتكم وما صُنع بكم في مصر، (خروج ٢:٢٤، ٣:١٦). وخاطب الرب موسى بالقول هكذا تقول لفرعون: إسرائيل ابني البكر (٤ : ٢٢).« قل لبني إسرائيل : أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة، واتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب، وأعطيكم إياها ميراثاً. أنا الرب» (خروج ٦:٦-٨).

إنها علاقة روحية تتطلب أمانة في الحياة، وولاءً من الإنسان. «أتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً » (خر ٦ : ٧). وحتى يمكن للإنسان أن يتمتع ببركات هذا العهد، عليه أن يستمع لصوت الله ويحفظ هذا العهد (خروج ١٩ : ٥) «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب» (قارن خر ٢٤ : ٧ ، ٨ ، مع لاويين ١٩ : ٢). «وكلم الرب موسى قائلاً ... تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم» .

عهد سيناء للخير

تمثل العهد في سيناء في الأصحاحات التاسع عشر إلى الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج ، بالإضافة إلى الأصحاح الثاني والثلاثين إلى الرابع والثلاثين من نفس السفر . ونجد ذلك مطولاً في سفر التثنية من الأصحاح الخامس إلى الثامن والعشرين .

لقد تأصلت إسرائيل الله في البرية بل وجدت ذاتها هناك . وتبعهم لفيف كبير من المصريين بمحض إرادتهم ، رغبة في الحرية من العبودية التي كانوا يعانون منها . حيث كانوا يفتقرون إلى معرفة هويتهم والتمتع بحياة إنسانية طبيعية كما يرى أحد العلماء . بمعنى أن يصيروا شعباً للإله الحي (٣٨:١٢، قارن أع ٧ : ٣٨). وقد عبَّر النبي إرميا عن ذلك أن صارت إسرائيل قدساً للرب، ودخلت مع الرب في محبة وعهد مقدس (إرميا ٢:٢-٣). وربما يقود الرب إسرائيل إلى البرية ثانية وهناك بعيداً ... بعيداً في السكون يتحدث إلى قلبها (قارن هوشع ١٤:٢-١٥). كما كان الرب في القديم يتحدث إلى موسى، والشعب أصغى إلى صوته كشعب مقدس وخاص للرب.

إن الهدف الأسمى من خلاص الرب لشعبه من العبودية في مصر هو عبادة الرب (يهوه) الإله الحي خالق السماء والأرض وما فيها (خروج ٣ : ١٢). لكن الشعب أمام الصعوبات العديدة التي واجهها لم يستطع الصمود أمامها وتذمروا (١٦ : ٣). بل ضعف إيمانهم بقولهم: أفي وسطنا الله أم لا؟! رغم كل العجائب العظام التي أجراها لهم ومعهم. وأمام تذمرهم هذا وتمردهم على الرب، أظهر لهم لطفه. بل تجسدت نعمته الفائقة في البرية القاحلة بالعون اليومي بالطعام والماء ، والمن والسلوى (خروج ١:١٦ - ٣٦). والكلمة العبرية « المن » تعني « ما هذا ؟! » (١٦ : ١٥) علامة للتعجب والدهشة . فقال لهم موسى: هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا (قارن عدد ٣١ ، مع يوحنا ٦ : ٣١) . ولم يكن المن كافياً بالنسبة لهم، بل تذكروا الطعام الأفضل بالنسبة لهم في مصر (السمك والقثاء والبطيخ والبصل والثوم) (عدد ٤:١١ - ٦). وظهر تذمر الشعب بوضوح في مواضع عديدة (قارن خروج ٢٢:١٥-٢٦ في مارَّة)، وفي (خروج ٢:١٦ - ٣) عن اشتياقهم للحم في مصر. (١٧ : ٢ - ٧) في مسَّة ومَريبة. وفي (عدد ١١ :٤ - ٦) شكوي بسبب المن. وفي (عدد ١٢ : ١ - ٢) نقدهم لموسى بسبب زواجه من

المرأة الكوشية. وضد قيادة موسى وهرون (قارن عدد ١٤ : ٢ - ٣، عدد ١٦ : ١٢ - ١٤). وفي (عدد ٢:٢٠ - ١٣) الشكوى من الحياة في البرية. وفي (عدد ٢١ : ٤ - ٥) تذمر وقلق مصحوباً بضيق شديد موجه إلى الله وعبده موسى «لماذا أصعد تمانا من مصر (إنه لعبادة الرب بأن يكونوا له شعباً وهو إلهاً لهم - قارن خروج ٢٣:٤، ١:٥ ، ١٦:٧) لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء (وهذه ضلالة كبرى) وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف».

إن حياة البرية لشعب إسرائيل - كما يرى علماء الكتاب - هي حياة الاختبار والتدريب، للاتكال الكامل واليومي على الرب ورحمته الفائقة والدائمة. « فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان» (تث ٨ : ٣).

وفي الشهر الثالث من خروج الشعب من أرض مصر ، وصلوا إلى برية سيناء، ونزلوا في البرية مقابل الجبل (خروج ١:١٩- ٢). وقد تأسس العهد في جبل الله (١٣:٢٤، قارن أيضاً ١:٣). ولا يُعرف بالتحديد أو بالتأكيد مكان هذا الجبل ، جبل الله حوريب . كما لا يهتم كثيرون بهذا الأمر ، بل جل اهتمامهم هو كلمات العهد في سيناء بعد خروجهم من مصر، لأنه أساس وأصل وجود الشعب . غير أن بعض العلماء، وفي مقدمتهم ج. رايت G.E. Wright يرى أن جبل موسى حالياً هو جبل حوريب جبل الله[1] . وفي هذا يتفق مع يوسيفوس كما سلفت الإشارة .

أجنحة النسور

وصل شعب إسرائيل بعد ثلاثة شهور من ارتحالهم إلى جبل سيناء كما سلفت الإشارة (١:١٩). وحمل الرب شعبه كما يحمل النسر صغاره «هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل. أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تُكلم بها بني إسرائيل» (١٩ : ٣ ب-٦).

هذه الكلمات تتطلب تجاوباً من الشعب بأن يتخذوا قراراً، ولهم أن يتمتعوا بكل هذه الامتيازات . «وإن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة». وعلى جماعة الرب المختارة هذه أن تنظم حياتها وفقاً لأحكام ووصايا الرب القدير .

ويرى أحد العلماء أن هذا النص (١٩: ٣-٦)، يتضمن عمومية (شمولاً) وخصوصية . بأن محبة الله تضم كل الشعوب ولا تعرف المحدودية «لأن لي كل الأرض» (٥:١٩ ب). ومن هذه الشعوب يخصص الرب شعباً واحداً خاصاً بعينه، وبمحبة خاصة ليس لامتياز فيه ، بل لعمل ومهمة خاصة بأن يكونوا مملكة كهنة مكرسة لخدمة بعينها (قارن ١بط ٢:٥، ٩). وعلى شعب العهد أن يحفظ شرائع الرب وأحكامه (٩:١٩-٢٠).

إقامة أو صنع العهد

كان من المتبع عند إقامة أو صنع عهد أن يقام احتفال (خروج ٢٤) وهو عبارة عن وليمة مقدسة على قمة الجبل، يشارك فيه ممثلون عن إسرائيل ومعهم موسى وابنا هرون الكاهن (٦:٢٣) والسبعون شيخاً « رأوا الله وأكلوا وشربوا » (١٠:٢٤). وتكرر هذا المنظر البهي في (إش ١:٦-٣) ولم يصبهم أي أذى من رؤيتهم القدير (٢٣: ٢٠، قارن إشعياء ٥:٦).

والمشاركة في تناول الطعام كانت إحدى السبل في ختم العهد في الزمان القديم. (قارن تكوين ٣١ : ٤٦ ، وعدد ٥٤ عن العهد الذي أبرمه يعقوب مع لابان - وقارن أيضاً تكوين ١٥ : ٧ - ٢١، وخاصة إرميا ٣٤ : ١٨ - ١٩ .

(1) G.E. Wright, Biblical Archeology, Westminster Historical Atlas to the Bible, pp.38-39.

كما أن سفك الدم يعطي قوة حتى يدخل الطرفان في عهد معاً. وامتد هذا إلى العهد الجديد (١كو ١١:٢٥).

وهذا العهد هو عهد التزام، مشروط بالطاعة والإستماع للرب (خروج ١٩:٥).

إن عهد سيناء مبني على العهد الذي قطعه الرب مع إبراهيم ونسله (تك ١٧:٧-٨). ويوم السبت مقدس، علامة بين الله والشعب «لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم» (خروج ٣١:١٢- ١٧) .

وعليه فإن خلاص الشعب من العبودية في أرض مصر مؤسس على تذكار العهد مع إبراهيم وإسحق ويعقوب (خروج ٢:٢٤، ٦:٢- ٨). كما أن تأسيس العبادة الطقسية الكهنوتية في سيناء (قارن الأصحاحات ٢٥ - ٣١ ، ٣٥-٤٠) هو بمثابة تتميم عهد الرب أن يكون إلهاً لشعبه (تك ١٧:٧)، حالاً في وسطهم (خروج ٢٩ : ٤٥ - ٤٦). وعلى الشعب أن يلتزم بشروط هذا العهد المبني في (خروج ١٩:٣- ٦، ٢٤ :٣-٨) وبكل العزم والأمانة .

وعند نقض العهد كان الشعب يقع في البلاء والدينونة والعقاب الشديد، الأمر الذي أوضحه وتحدث عنه الأنبياء فيما بعد .

هذه الشرائع والأحكام التي على الشعب أن يلتزم بها ويمتثل لها ، تكرر ورودها فيما يسمى بشريعة العهد (قارن تث ١٢ - ٢٦). وفي الكلمات العشر (الوصايا العشر) (خروج ٢٠:١-١٧)، والشرائع والأحكام في (خروج ٢١ - ٢٣). هذه كلها وضحت قيمتها ومعناها بأن اختصرت في وصيتين اثنتين إيجابيتين : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ، وقريبك مثل نفسك (تث ٦:٥، لاويين ١٩:١٨ ب). وقد أوضح رب المجد بجلاء كامل وتام أهمية هاتين الوصيتين قائلاً: بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (مرقس ١٢ : ٢٨-٣٤، متى ٢٢:٣٤-٤٠، لوقا ١٠:٢٥-٢٨) .

إن عهد الرب مع موسى وشعب إسرائيل هو عهد نعمة

لأنه لم يكن متكافئاً ، وذلك في ضوء المعاهدات الدولية . ووفقاً للمخطوطات الحثية التي ترجع إلى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد[1]، كان من المحتم أن يكون طرفا العهد متساويين . وهنا نجد الرب يهوه خالق الأكوان الإله غير المحدود الأزلي الأبدي يقطع عهداً مع إنسان ترابي مخلوق محدود ، وهكذا أخذ الرب المبادرة الرحيمة مخاطباً موسى من الجبل المدخن والمضطرم بالنار، والشعب واقف في رعب وخوف شديدين قائلاً له: «هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ» (١٩ : ٤) . «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية» (٢٠ : ٢).

وهنا نلاحظ تجسيد النعمة المخلصة من العبودية والضيق . ومن الجانب الآخر كان على إسرائيل أن ترتبط وتلتصق بالرب الذي حررها بآيات وعجائب كثيرة ، وترتبط معه بعهد طاعة وخضوع ، اعترافاً وعرفاناً بإحساناته .

إن عهد سيناء هذا بأحكامه وشرائعه الذي قطعه الرب مع شعبه بعد حدث الخروج من العبودية مباشرة، يعد تجسيداً لرحمة الله ولطفه ومحبته القوية لهم .

كما أن هذه الشرائع والأحكام تعطي جواباً لتساؤل الأجيال المتلاحقة عن طبيعة هذا الإله المحب الودود. « إذا سألك ابنك غداً قائلاً: ما هي الشهادات والفرائض والأحكام التي أوصاكم بها الرب إلهنا؟ تقول لابنك : كنا عبيداً لفرعون في مصر، فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة، وصنع الرب آيات وعجائب عظيمة ... فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض، ونتقي الرب إلهنا ليكون لنا خير كل الأيام ... وإنه يكون لنا بر إذا حفظنا جميع هذه الوصايا لنعملها أمام الرب إلهنا كما أوصانا » (تثنية ٦:٢٠-٢٥).

(1) George E. Mendenhall, Law and Covenant in Israel and the Ancient Near East.

ولقد قبل الشعب الالتزام بشرائع العهد وأحكامه، في سرور وابتهاج قلب، فرحين بالرب الذي أجرى عجائبه معهم ولهم (قارن خروج ٢٤: ٣، ٧).

إصنع لنا آلهة تسير أمامنا (كسر العهد)

وضح تمرد الشعب وعناده بكسر عهد الرب، بأن طلبوا إلى هرون الذي لم يردعهم قائلين له : «اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا هو موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه». (خروج ٣٢: ١، ٢١-٢٤).

والدارس للسفر يلاحظ أن الأصحاحات من (٣١ - ٣٤) تبدأ بأحداث مفاجئة ومثيرة للدهشة ، مثل صنع العجل الذهبي الذي يُعبِّر عن كل عناد وتمرد من جهة الشعب، نحو إلهه المحب والرحيم ، ويبلغ ذروته بكتابة الوصايا ثانية وتأكيد عهد الرب مع شعبه إسرائيل. وفي قصة العجل الذهبي نجد نموذجاً للتعاليم الموسوية من الرب ، وإعادة تفسيرها في مواقف جديدة من تاريخ إسرائيل . ونجد تشابهاً دقيقاً لهذه القصة مع ما ورد في (١مل ١٢ : ٢٥ - ٣٣) . التي تعكس موقفاً سياسياً بعد موت سليمان، عندما انقسمت المملكة إلى إسرائيل شمالاً (أفرايم) وعاصمتها السامرة، وإسرائيل جنوباً (يهوذا) وعاصمتها أورشليم . ويقيم يربعام الأول بن نباط (٩٢٢ - ٩٠١ ق.م) أولَ ملكٍ للمملكة الشمالية، عجلي ذهب الواحد في دان شمالاً والآخر في بيت إيل جنوباً. حتى يُحْكِم قبضته على المملكة سياسياً . ويعلن يربعام قولته «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر» (١مل ١٢ : ١٨) ، نفس ما جاء على لسان هرون قبلاً (خروج ٣٢ : ٤) . وفي كلا الحدثين نلاحظ طرق الإنسان الملتوية والتذمر والتعجل الذي للشعب.

لقد غاب موسى طويلاً على قمة الجبل، وافتكروا أنه قد أصابه مكروه أو شيء خطير. فطلبوا إلى هرون أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم (٣٢ : ١) مثل باقي الشعوب قديماً. لقد أرادوا إلهاً قريب المنال حسبما اعتقدوا وليس بعيداً عنهم (قارن إرميا ٢٣:٢٣-٢٤). آلهة شبيهة بالآلهة الكنعانية، وأسلوب عبادتهم الذي يتصل بالخصوبة والنماء والجنس والذبائح والأكل والشرب ثم اللعب (٣٢:٥- ٦).

وعندما نزل موسى من الجبل بعد أربعين يوماً وهو حامل معه لوحي الشهادة (وصايا الرب). ورأى الشعب وهو في حالته الماجنة والمليئة بالصخب والمجون. امتلأ غيظاً وغضباً، وكسر لوحي الشريعة معلناً أن الشعب قد كسر عهد الرب وأضاع كل رجاء .

إن هذا الحدث يقدم خلفية لأصحاحي (٣٣، ٣٤) . ولأول وهلة نلاحظ بأن كل رجاء لإسرائيل قد انقضى واندثر، إذ كيف يصحب الله هذا الشعب الأثيم دون غضبه عليهم .

وهنا يتوسط موسى لدى الرب (يهوه) الإله المنقذ القدوس ، والمحب في ذات الوقت. الإله الذي اكتملت في شخصه العظيم المبارك صفات العدل والرحمة والغفران، ويعمل في حرية تامة حسب مسرته . «أتراءف على من أتراءف ، وأرحم من أرحم » (خروج ٣٣ : ١٩) . والغفران ليس شيئاً رخيصاً وسهلاً، بل هو فرصة جديدة يقدمها الرب مثيرة للرهبة . التي عبر عنها المرنم قائلاً : « لأن عندك المغفرة لكي يُخاف منك » (مزمور ١٣٠ : ٤).

وفي هذا السياق يظهر ولأول مرة إقرار إيمان عظيم مركزه اسم الله (الرب) «فاجتاز ملاك الرب قدامه ونادى : الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية . ولكنه لن يبرئ إبراء . مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع» (خر٣٤ : ٦ - ٧).

إن هذه الأحداث كما يرى أحد الباحثين تقدم صورة حية صادقة تظهرأن إسرائيل لم يكن أفضل من الشعوب الأخرى دينياً أو أخلاقياً . بل هي النعمة الإلهية التي جعلته مميزاً . وهذا واضح في كلمات موسى النبي : «أليس بسيرك معنا فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (٣٣ : ١٦). إن تميزهم هذا هو في سير الرب أمامهم فقط . وبغفران الله يتجدد العهد الذي كُسر بجهلهم وعنادهم وتمردهم. إنه الغفران الإلهي الذي يذهب إلى أبعد مما يتوقع إنسان ويفتح طريقاً جديداً إلى المستقبل. «ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب. لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إرميا ٣١ : ٣٤).

ويلاحظ أن العهد الذي قطعه الرب مع موسى والشعب هو نفس الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرهما موسى (٣٤: ١، ٢٨). وقد جاءت مقدمة هذا العهد بوعد من الرب بأنه سيجري آيات وعجائب معهم (١٠، ١١) إن حفظوا وصاياه .كما جاء في عددي (١٤، ١٧) نهياً قاطعاً عن عبادة الآلهة الأخرى الوثنية بصنع تماثيل أو صور لها مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض (٢٠:٤). هذا التعليم الذي وصل إلى ذروته في (إش ٤٠: ١٨-٢٦) محذراً إياهم من صنع آلهة مسبوكة.

لقد كان عهد الرب مع شعبه في حد ذاته دعوة لاتخاذ القرار بالطاعة لأن اسم الرب غيور (٣٤ : ١٤)، محذراً ومنذراً : «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتُدعى وتأكل من ذبيحتهم . وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزني بناتهم وراء آلهتهم ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن» (٣٤ : ١٥ - ١٦).

ويرى أحد العلماء بأن حدث الخروج والعهد في سيناء هما أساس وسر وجود إسرائيل في الوجود لتحفظ عهد الرب إلهها وتسير في كل طرقه لأنه هو خلاصها وفاديها (٢٠: ٢-٤). حتى تأتي بالشعوب الوثنية الأخرى إلى الإيمان والتعلق بهذا الإله الحي خالق السماء والأرض.

اللاويين

وهو السفر الثالث من أسفار التوراة، وفي الأصل العبري «ودعا». وعنوان السفر «اللاويين» هو حسب الترجمة السبعينية، وتبعتها في ذلك ترجمات أخرى لاتينية وإنجليزية وعربية. واللفظ «لاوي» يعطي مفهوماً عاماً لكل أنواع العبادة الطقسية، خاصة وأن اللاويين احتلوا منصباً هاماً زمن ما بعد السبي وجاء منهم الكهنة أساساً (خروج ٦:١٦-٢٦).

وسفر اللاويين ليس لاوياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، لأنه لا يتحدث عن اللاويين إلا من بعيد (لاويين ٢٥:٣٢-٣٤). وهذه الإشارة لا تتصل بعملهم الديني الطقسي، بل تختص بوجودهم في الأرض.

وسفر اللاويين يهتم أولاً بالعبادة الدينية الطقسية (خدمة الكهنة)، وممارسات الطقوس الدينية في الأعياد والمواسم. وإذا كانت أسفار التوراة تصف أحداثاً تاريخية أتمها الله لشعبه، يكون سفر اللاويين إطاراً لهذه الأحداث. إذ أنه يتحدث عن تيهان الشعب في البرية وظهور الله في سيناء.

والنقطة الهامة والأساسية التي يؤكدها سفر اللاويين، هي عمل موسى نبي الله وقيامه بدور الوسيط بين الله وشعب إسرائيل (خروج ٢٠:١٨-٢١). وترددت العبارة: «وكلم الرب موسى في سيناء» ... «في جبل سيناء» (لاويين ٢٥:١). فقد اختار الرب موسى ليتسلم التعاليم الإلهية، ويحملها لجماعة إسرائيل ويعلمهم بها. وبوجه عام فإن سفر اللاويين يتناول خدمة الكهنة (هرون وأولاده) وجماعة إسرائيل. والأصحاح التاسع عشر ينبر بصفة خاصة على شريعة التقديس والتطهير، والعلاقات العامة الأساسية، ومحبة القريب كالنفس (لا ١٩:١٨)، واحترام الرجل الشيخ فيقول: «من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ وتخشى إلهك» (لاويين ١٩:٣٢). كما يُولي السفر أهمية خاصة بمعاملة الغريب كالوطني: «وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر» (لا ١٩ : ٣٣).

وخدمة الكهنة التي ينبر عليها سفر اللاويين تتصل بتقديم الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية. وكان نظام الكهنوت قد تعين على عائلة هرون (قارن خروج ٢٨)، بشرط ألا يكون فيه عيب أو تشوه جسدي. والبكر يصير كاهناً عظيماً (لاويين ٢١:١٦-٢٤). وبالإضافة إلى تقديم الذبائح، كان تفسير الناموس للشعب من ضمن أعمال الكهنة، وكذلك النظر في أمر الأبرص، واستشارة الله بالأوريم والتميم (خروج ٢٨:٣٠، قارن ٢أخ ١٧ : ٧ - ١٠، ١٩:٨-١٠).

وعند تقديس الكهنة، كانت تقام الاحتفالات العظيمة مدة سبعة أيام (لاويين أصحاح ٧، ٨، راجع خروج ٢٩) وذلك بتقديم الذبائح والاغتسال للتطهير ولبس الثياب الطاهرة (المقدسة)، ونضح الدم ودهن المسحة بالزيت. وكان محظور على الكاهن أن يتزوج بمطلقة أو يحلق لحيته، ويظل طاهراً من الداخل والخارج.

أما عن سبل معيشتهم، فقد خصصت لهم ثلاث عشرة مدينة في تخوم يهوذا وشمعون وبنيامين. وعُشر ما يُقدم للاويين من النذور وباكورة المحاصيل (لاويين ٢٧، يشوع ٢١ : ١٣ - ١٩، سفر العدد ١٨ : ٢٦ - ٢٨، لاويين ٢:١٤). بالإضافة إلى خبز الوجوه ولحم التقدمات أثناء خدمتهم بالهيكل.

والجدير بالإشارة هنا، أن هرون وأبناءه الذين أفرزوا ليكونوا كهنة الرب ثم أصبحت خدمتهم فيما بعد وراثية، كانوا في الأصل من سبط لاوي بن يعقوب، وموسى وهرون ابنا عمرام بن قهات بن لاوي (لاويين ٦ : ١٦ - ٢٠ والعددين ٢٦، ٢٧).

وعوضاً عن تكريس كل بكر من أبكار الأسباط الاثنا عشر، اختار الرب (يهوه) سبط اللاويين، الذين كان لهم موقف ممجد لله. عندما وقف موسى في باب الخيمة وقال : «من للرب فإليّ. فاجتمع إليه جميع بني لاوي »، وذلك حينما نقض الشعب العهد مع الرب بصنع العجل الذهبي بواسطة هرون عند سفح جبل الله حوريب (خروج ٣٢ : ٢٦).

ومن واجبات اللاويين حمل خيمة الاجتماع ونصبها حيثما رحلوا وحيثما حلوا (عدد ٤ : ٥، ١٥، ٧ : ٩، ١أخ ٢٣ : ٢٤ - ٣٢) إلى زمن استيطان الشعب في أرض كنعان أرض الموعد. حيث لم تعد هناك حاجة إلى حمل الخيمة والإنتقال بها من مكان لآخر. وفي زمن يربعام واجه اللاويون ضيقاً شديداً، إذ منعهم يربعام وبنوه من أن يكهنوا للرب بأن أقام لنفسه كهنة للمرتفعات وللتيوس والعجول التي عمل. فترك اللاويون مسارحهم وأملاكهم وانطلقوا إلى يهوذا وأورشليم. ومن بعدهم جاء جمع غفير من جميع أسباط إسرائيل إلى أورشليم، الذين وجّهوا قلوبهم إلى طلب الرب إله إسرائيل ليذبحوا للرب إله آبائهم (٢أخ ١١:١٤-١٧).

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : شريعة الذبائح (١:١- ٧ : ٣٨).

١- أنواع الذبائح المختلفة (١:١- ٦: ٧).

أ- ذبيحة المحرقة (١:١-١٧).

ب- قربان التقدمة (١:٢-١٦).

جـ- ذبيحة السلامة (٣ : ١ - ١٧).

د- ذبيحة الخطية (٤ : ١ - ٥ : ١٢).

هـ- ذبيحة الإثم (٥ : ١٣-٦:٧).

٢- واجبات ونصيب الكهنة من الذبائح (٦ : ٨ - ٧ : ٣٨).

ثانيا : تقديس هرون وأبنائه (٨ :١-١٠:٢٠).

١- هرون وأبناؤه كهنة بواسطة موسى (١:٨- ٣٦).

٢- بداية عمل هرون (٩ : ١- ٢٤).

٣- عقاب الرب على النار الغريبة التي لم يأمر بها (١٠ : ١ - ٢٠).

ثالثا : شرائع التطهير والنجاسة (١١ : ١ - ١٥ : ٣٣) .

١- الحيوانات الطاهرة والنجسة (١١ : ١ - ٤٧) .

٢- التطهير بعد الولادة (١٢ : ١ - ٨).

٣- شريعة البرص (الإنسان أو ما يتعلق بالثياب والمسكن) (١:١٣-١٤:٥٧).

٤- شرائع الجنس (١:١٥-٣٣) .

رابعاً : يوم الكفارة السنوي (١:١٦-٣٤).

١- إعداد هرون (١:١٦-١٠).

٢- ذبيحة خطية عن الكهنة (١١:١٦-١٤).

٣- ذبيحة خطية عن الشعب (١٦ : ١٥-١٩).

٤- تيس عزازيل (١٦:٢٠-٢٢).

٥- تعاليم مكملة خاصة بهذا اليوم العظيم (١٦:٢٣-٣٤).

خامساً : شريعة التقديس (١٧ - ٣٦).

١- مكان الذبيحة وقدسية الدم (١٧ : ١ - ١٦).
٢- شرائع خاصة بالزواج (١٨ : ١ - ٣٠).
٣- تعاليم أخلاقية سلوكية (١٩ : ١ - ٣٧).
٤- عقوبات لمن يكسر أو يخالف هذه الأحكام (٢٠ : ١ - ٢٧).
٥- تعاليم خاصة بالكهنة (٢١:١-٢٢:٣٣) .
٦- المواسم والمحافل المقدسة (٢٣:١-٤٤) .
أ- يوم السبت (٢٣ : ٣).
ب- عيد الفصح وعيد الفطير (٢٣ : ٤ - ٨).
جـ- قربان باكورة الحصاد (٢٣ : ٩ - ١٤).
د- عيد الخمسين (سبت سبعة أسابيع) (٢٣:١٥-٢٢).
هـ- أعياد الشهر السابع (يوم الكفارة وعيد المظال) (٢٣:٢٣-٤٤) .
٧- زيت السرج وخبز الوجود وجرائم التعدي (٢٤:١-٢٣).
٨- سنة العطلة وسنة اليوبيل (٢٥:١-٥٥).
أ- سنة العطلة (٢٥ : ١ - ٧) .
ب- سنة اليوبيل (٢٥ : ٨ - ٥٥) .
٩- تعاليم ختامية (٢٦ : ١ - ٤٦) .
أ- بركات الطاعة (٢٦ : ٣ - ١٣) .
ب- اللعنة على من لا يطيع (٢٦ : ١٤ - ٤٥) .
١٠- النذور والعشور (٢٧ : ١ - ٣٤) .

زمن كتابة السفر

يرفض العلماء المحافظون نظرية المصادر التي سبق مناقشتها، والتي جاء بها أن سفر اللاويين كتب زمن السبي وربما ما بعد السبي، وذلك لمايلي من تحليلاتهم العلمية والتاريخية :

إن مكان وزمان منح الرب شريعته للشعب بواسطة موسى كان في سيناء (٧:٣٨، ٢٥ :١، ٢٦: ٤٦، ٢٧ : ٣٤). والحديث عن خيمة الاجتماع ورد بعد خروج (٤٠) مباشرة (لاويين١ :١). وظلت السحابة على مسكن الشهادة إلى السنة الثانية في الشهر الثاني في العشرين من الشهر (عدد ١٠ : ١١). وفي اليوم الثامن لتكريس هرون وأبنائه، دعاهم موسى لتقديم الذبيحة في خيمة الاجتماع حسب أمر الرب. والإشارة الخاصة باليوم الثامن (لاويين ٩:١) تتعلق - بل متصلة - باليوم الأول من الشهر الأول من السنة الثانية، أن يقيم موسى مسكن الشهادة (خيمة الاجتماع) حسب أمر الرب. «ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب. هكذا فعل» (خروج ٤٠ : ١، ١٦ - ٣٨). كما أمر الرب موسى إياه فعل (لاويين ١٦ : ٣٤).

كما وردت الإشارات العديدة في سفر اللاويين عن تابوت العهد والأسفار الأخرى من التوراة وبعض الأسفار المقدسة الأخرى. في الوقت الذي اختفى فيه الحديث تماماً عن السبي البابلي. مما جعل العلماء يعتقدون أن كتابة هذا السفر تمت في زمن مبكر جداً سابق للسبي البابلي. بالإضافة إلى أنه لا يوجد تابوت عهد للرب في الهيكل الذي أقيم ثانية بعد العودة من السبي. مما يؤكد للعلماء أن سفر اللاويين الذي امتلأ بالإشارات الكثيرة الخاصة بتابوت عهد الرب وتقديم الذبائح في الأعياد والمواسم حسب أمر الرب لموسى، لم يكتب إلا في زمن مبكر جداً قبل السبي.

والجدير بالإشارة أن الخلاص من العبودية في أرض مصر (كما ورد في السفر) يُعد تجربة شخصية اختبرها

الشعب، فيخاطبهم الرب نفسه قائلاً : «إني أنا الرب الذي أصعدكم من أرض مصر ... فتكونون قديسين لأني أنا قدوس» (لاويين ١١:٤٥). «ومثل عمل أرض مصر التي سكنتم فيها لا تعملوا، ومثل عمل أرض كنعان التي أنا آت بكم إليها (الكلمات هنا عن المستقبل) لا تعملوا، وحسب فرائضهم لا تسلكوا» (١٨ : ٣، ٤، مع ٢٦ : ٤٥). كما أن امتلاك الأرض هنا لازال أمراً متوقعاً في المستقبل (١٤ : ٣٤، ١٦ : ٢٣، ٢٣ : ١٠، ٢٥ : ٢) .

تلك هي الحقائق الهامة التي يؤكدها العلماء المحافظون، والتي يجب أن يراعيها الدارس لكلمة الله للسفر. فيتأكد أنه لا مكان للآخذ بنظرية أن السفر كتب زمن ما بعد السبي كما يرى برايت وايخرودت ونوث وسميث Smith, Noth, Eichrodt, Bright.

وعن كاتب السفر

لم يرد بسفر اللاويين سوى الشرائع والأحكام الإلهية للشعب على يد موسى. والعبارة التي ترددت كثيراً « وقال الرب لموسى» أو «أمر الرب موسى قائلاً ...»، وردت أكثر من ثلاثين مرة في عشرين أصحاحاً من السبعة والعشرين أصحاحاً للسفر. وكان حديث الرب لهرون مع موسى (١١ : ١، ١٤ : ٢٣، ١٥ : ١)، وخاطب الرب هرون مباشرة مرة واحدة (١٠ : ٨) عندما منعه أن يشرب الخمر والمسكر هو وبنوه معه، عند الدخول إلى خيمة الاجتماع حتى لايموتوا.

ومن الإشارات الكثيرة الواردة في سفر الخروج وسفر العدد والتثنية الخاصة بكتابة الوصايا(مثل خروج ٢٤ : ٤، ٧) يرجح أن موسى هو كاتبها أو أنها كتبت تحت رعايته.

مضمون السفر

تضمن سفر اللاويين الشرائع والأحكام والوصايا الإلهية، التي تكلم بها الرب إلى موسى مباشرة، من خيمة الاجتماع (١ : ١، قارن عدد ٧ : ٨٩) وعلى الجبل (خروج ٢٥ : ١) وعلى باب الخيمة (عدد ١٢ : ٥). بمعنى أن هذه الشرائع لها صفة سماوية إلهية تختلف كلية عن التشريعات البشرية الإنسانية الأرضية. ويتأكد لنا ذلك من الوصية التالية « مثل عمل أرض مصر التي سكنتم فيها لا تعملوا، ومثل عمل أرض كنعان التي أنا آت بكم إليها لا تعملوا، وحسب فرائضهم لا تسلكوا. أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا فيها. أنا الرب إلهكم » (لاويين ١٨ : ٣ - ٤).

والوصية الهامة والشاملة جاءت بعد العديد من أعمال الرجاسات الوثنية التي أمر الإسرائيليون أن ينبذوها، والتي حسبت مكرهة أمام يهوه الرب (لاويين ١٨ : ٢٦ - ٢٨). وديانة سيناء هي ديانة الإله الواحد (يهوه) الديانة الروحية العملية الطاهرة. وعلى العكس منها ديانة الشعوب الوثنية المجاورة، وكانت على درجة كبيرة من اللاأخلاقية. فقد أخذت عبادة الإلاهات والآلهة الوثنية طابع الفجور والشهوات الحسية والانغماس في العربدة (الزنى المقدس) حسب مفهومهم الملوث والنجس. ووضح ذلك جلياً في خطية شطيم التي مات بسببها أربعة وعشرون ألفاً (عدد ٢٥)، والتي كانت وبالاً وفساداً للشعب ضد شريعة إله السماء (قارن خروج ١٩ : ١٥، ٢٠ : ٢٦). وكان على إسرائيل أن تبتعد نهائياً، عن كل عبادات الشعوب الأجنبية. وكل من أعطى من زرعه لمولك فإنه يقتل. يرجمه كل الشعب بالحجارة. ويجعل الرب وجهه ضد ذلك الإنسان ليقطعه من أرضه ... وضد عشيرته وجميع الفاجرين وراء مولك. ويوصي الرب قائلاً : « فتتقدسون وتكونون قديسين لأني أنا الرب إلهكم، وتحفظون فرائضي وتعملونها. أنا الرب مقدسكم » (لاويين ٢٠ : ١ - ٨) .

ذبائح اللاويين

يتضمن سفر اللاويين أيضاً شرائع وأحكام أساسية وهامة، يقترب بها شعب إسرائيل إلى الله الذي أخذ مكانه

في وسطهم بقطعه العهد معهم وتأسيس خيمة الاجتماع. وقبل أن يشرع الشعب في الدخول إلى أرض الموعد، كان من الضروري أن يعرف الشرائع والأحكام التي تقودهم إلى الله حتى يعبدوه بروح مقدسة خاشعة ومقبولة لديه. كما يعد سفر اللاويين بمثابة كتاب العبادة الدينية لكهنة أورشليم، في عصر ما بعد السبي. واستمراراً لرسالة الكهنة من وقت (خروج ٢٥) لما احتواه من تعاليم خاصة بالشرائع والأحكام الخاصة، لعبادة الرب عبادة مرضية ومقبولة لديه. وكيف يصير هذا الشعب شعباً خاصاً للرب وينتقل من حال الظلمة والفساد إلى النور والقداسة .

وحتى يمكن للإنسان الخاطئ أن يقترب إلى الله كان عليه أن يقترب بذبائح ومحرقات. وكان الهدف من الذبائح يكمن في أمرين :

(١) التكفير.

(٢) التكريس .

ويجب أن تكون الذبيحة بلا عيب، ويضع المقدم يده عليها إشارة بأن الخطية انتقلت منه إلى الذبيحة (الحيوان) وصارت فداءً له. ثم تؤخذ الذبيحة، ويقرب بنو هرون (الكهنة) الدم، ويرشونه مستديراً على المذبح لدى باب خيمة الاجتماع (لا ١ : ٥) .

وتعد ذبيحة السلامة أشهر الذبائح وأكثرها ذيوعاً على الإطلاق (٣ : ١ - ١٧، ٧ : ١١ - ٢١)، حيث يرش دم الذبيحة، ويؤخذ الشحم والأجزاء الداخلية وتحرق على المذبح. وما تبقى من الذبيحة يأكله مقدم الذبيحة مع أسرته وأصدقائه كذبيحة شركة في محضر الله .

وتقدم ذبيحة السلامة كإتمام لعهد أو نذر، وهي غير ملزمة (بل طوعاً) ، كما أنها عبارة عن تمجيد وشكر لله. أما عن شريعة المحرقة (لاويين ١ : ١ - ٧، ٦ : ٨ - ١٣)، فهي تقدم كاملة تكفيراً عن الخطايا، ولمصالحة الإنسان مع الله. وشريعة المحرقة تتمثل في أن يضع مقدم الذبيحة يديه على رأس الذبيحة التي هي بلا عيب، ثم تقدم على المذبح كرائحة بخور زكية لدى الله. وفي هذا نذكر كلمات القديس بولس « اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة رائحة طيبة » (أفسس ٥ : ٢) .

وعن شريعة التقدمة، تكون من دقيق بزيت بلاخمير (فطير) (لاويين ٢ : ١ - ١٦، ٦ : ١٤ - ٢٣). وعن ذبيحة الخطية (قارن ٤ : ١ - ٥، ١٣، ٦ : ٢٤ - ٣٠) .

وذبيحة الإثم (٥ : ١٤ - ٦ : ٧، ٧ : ١ - ١٠) تتطلب إجراءات خاصة يقوم بها الكهنة فقط في مناسبات معينة ويحرق الكهنة بعض أجزاء منها .

ولدم الذبيحة قيمة خاصة لأنه بمثابة نفس للحيوان «نفس الجسد هي في الدم» (لاويين ١٧ : ١١). « فأنا أعطيتكم إياه على المذبح يقول الرب للتكفير عن نفوسكم. لذلك قلت لبني إسرائيل لا تأكل نفس منكم دماً، ولا يأكل الغريب النازل في وسطكم دماً » (١٧ : ١٢). ويعد سكب دم الذبيحة تغطية. إنه ستر لنفس الخاطئ « لأن الدم يكفر عن النفس »، بمعنى أنه برش الدم على المذبح، فقد سُترت خطية الإنسان ومُحيت تماماً أمام الرب. بمعنى أن الإنسان الخاطئ يحتاج إلى كفارة، وهذا التكفير يتم بواسطة تقديم الذبائح .

وحقيقة الأمر كما يرى بعض علماء الكتاب أنه لاتوجد بالذبيحة قوى سحرية تطرح الخطايا جانباً. لكن الحقيقة الهامة هي أن الرب رسم هذه الفريضة (تقديم الذبائح) كأسلوب مقبول لديه للتهذيب والتقويم والتدريب على الطاعة.

وخلاصة الأمر أن غفران الخطايا والتكفير عنها وطرحها عن الإنسان الأثيم، هو من عمل نعمة الله الغنية، وليس من صنع الإنسان. بالإضافة إلى أن تقديم الذبائح هو أسلوب مقبول لدى الله رسمه للإنسان الخاطئ حتى يتقدم إليه.

ومثل هذه الذبائح تقدم في حالات الخطايا السهوية (التعدي الخطأ) وليس عن الخطايا التي تصدر بعمد وإصرار سابق وبيد رفيعة. فالله ليس بحاجة إلى لحوم كباش أو تيوس أو دماء تسفك ليروي ظمأه. كما يرى رونالد دي ڤو Ronald De Vaux.

ومن خلال هذه التقدمات :

أ - يعترف الإنسان بسيادة الله الكاملة على الحياة والكون بجملته، كما يعترف بفضله عليه لذلك يرد إليه جزءاً مما أعطاه من ثروات حيوانية ونباتية .

ب- يؤسس علاقة مع الرب (يهوه) إلهه .

جـ- كما يصلح علاقته مع الله إذا اقترف خطايا سهوية وكسر العهد مع إلهه.

والجدير بالإشارة أن تقديم الذبيحة كان مصحوباً بالصلاة والاعتراف والترنيم، تعبيراً عن الندم والتذلل أمام الرب (يهوه).

وفي رأي رونالد دي ڤو أيضاً بأن تقديم الذبيحة يعد فعلاً خارجياً، يعبر عن مشاعر داخلية للشخص الذي يقدمها. وهي بمثابة الشرط الأساسي ليحوز قبول ورضى الله. وبطرح هذه الخطايا وغفرانها يتحقق الإتحاد مع الله. وإذا لم يتحقق للإنسان ذلك، تكون محرقته قد فقدت طابعها الطقسي الديني. وفي رأيه أيضاً، أن الأصحاح التاسع عشر يُعَد أرفع مستوى أخلاقي يمكن أن يصبوا إليه الإنسان في كل الكتب المقدسة (العهد القديم) .

اللاويين والعهد الجديد

حتى يفهم ويدرك الإنسان المسيحي رسالة سفر اللاويين، عليه أن يعود إلى العهد الجديد وما تردد فيه من نصوص وردت في السفر، كما دونها الرسول بولس في رسائله وأشار عنها قبلاً رب المجد يسوع المسيح « تحب قريبك كنفسك» (مت ٥ : ٤٣، ١٩ : ١٩، ٢٢ : ٣٩، مرقس ١٢ : ٣١، لوقا ١٠ : ٢٧). ويردد الرسول بولس قائلاً : «لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس». وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن «تحب قريبك كنفسك» (رومية ١٣ : ٨ - ٩). فالمحبة هي تكميل الناموس (عدد ١٠). وفي رسالته إلى أهل غلاطية يقول «لأن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل. تحب قريبك كنفسك» (غلاطية ٥ :١٤).

وماذا عن الناموس الطقسي. هل انتفى بواسطة المسيح له المجد؟ أو هل صار بلا معنى بواسطة المسيحيين ؟ إن أساس إرسالية يسوع المسيح هي لخراف بيت إسرائيل الضالة. جاء لأجلهم وليس لإلغاء الناموس. لم يأت لينقض الناموس والأنبياء بل ليتمم. فقد قال يسوع للأبرص بعد أن حصل على الشفاء: «اذهب أرِ نفسك للكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى» (متى٨ :٤، لاويين ١٤ :١-٣). وإلى أن تزول السماء والأرض لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل (متى ٥ :١٨). وإذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (متى ١٩ : ١٧).

ويتحدث الرسول بولس ناظراً إلى الوراء إلى سفري (اللاويين ٢٦ :١٢، وحزقيال ٣٧ :٢٧) فيقول للكورنثيين : «أنتم هيكل الله الحي» (٢كو ٦ :١٦). بمعنى أنه يوجد هيكلان، هيكل قديم هو من صنع الناس، الذي هو رمز للهيكل الجديد. وعلى غرار الهيكل الجديد الذي هو الكنيسة (كنيسة الله الحي) (قارن عب ٨-٩) استطاع المسيحيون الأولون أن يفهموا الرب يسوع المسيح من خلال دراستهم للعهد القديم. بمعنى أننا نفهم العهد الجديد فقط عندما نرى إعلانات العهد القديم .

أي أن العهد الجديد إتمام للوعود المعطاة في العهد القديم. ومن الضروري أن نفهم المواعيد قبل أن نصل إلى إتمام

هذه المواعيد. والعهد الجديد لا يكون له الوضوح الكامل بعيداً عن معطيات العهد القديم .

والهيكل الحقيقي ليس هو المصنوع بأيدي الناس. إنه المكان الذي يحل ويسكن فيه الرب. إنه الكنيسة والحجارة الحية المبنية على صخرة الإيمان في الرب يسوع المسيح .

وسفر اللاويين بما ورد فيه عن خدمة الكهنة والذبائح، يقدم عرضاً وافياً يشير إلى مجيء الرب يسوع المسيح. وعن الهيكل، حيث كان يوجد الحجاب بين قدس الأقداس والمذبح الذي كان الناس يقدمون عليه محرقاتهم. وهذا الحجاب يمثل ستاراً مانعاً سميكاً. وقد انشق هذا الحجاب من أعلى إلى أسفل عند موت يسوع المسيح على الصليب (متى ٢٧ : ٥١)، واتحد كلاهما معاً (الحجاب والمذبح) في شخص المسيح يسوع وذلك كما يرى نثانيل ميكلين Nathaniel Micklen ، بمعنى أنه إنسان كامل وإله كامل .

إن سفر اللاويين يشهد عن كفارة المسيح العظمى، وبهذا ندرك عمق كلمات ڤلهام ڤيشر Wilhelm Vischer حين يقول : إذا لم نستطع أن نفهم ما تضمنه سفر اللاويين فيما يتعلق بشهادته عن المسيح، فسوف يصعب علينا فهم حقيقة يسوع المسيح كابن لله وكرئيس كهنة معين من الله، وكوسيط بوساطته نتطهر بواسطة الله ولله.

رسالة السفر

إن الهدف الأسمى لسفر اللاويين، هو أن تسلك إسرائيل بموجب شريعة إله السماء (يهوه)، وتعيش بطهر ونقاوة أمامه كشعب مختار من الله .

وتتلخص رسالة السفر في الكلمات «كونوا قديسين كما أني أنا قدوس أيضاً ... » ليسكن الرب في وسطهم. وعلى إسرائيل أن تعزل نفسها عن كل ما هو نجس وغير طاهر وعن كل ما هو أثيم، حتى يمكنها التمتع بإلهها الفادي والمخلص من العبودية (لاويين ١٩ : ٢). وفي الآية (١٨) «تحب قريبك كنفسك » (قارن مت ١٩ : ١٩). والأجنبي والغريب كالوطني «تحبه كنفسك» (لا ١٩ : ٣٣) .

أما عن خدمة الكهنة وتقديم الذبائح، فتكمن قيمتها بأن يتقدم الإنسان إلى الله في وقار وقداسة، وليس كما تفعل الشعوب الوثنية المجاورة وتمارس الرجاسات في هيكل الآلهة والإلاهات .

كما أن تقديم الذبائح بأنواعها ليس إلا تعبير واضح عن رحمة الله ومحبته للإنسان واللطف به. لأن الرب لا يقبل تقديم الأبكار من الأبناء، كما كانت تفعل الشعوب الأجنبية في الشرق الأدنى القديم. إلى أن جاء رب المجد الذي دخل بدم نفسه ذبيحة لأجلنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. ونتمثل نحن به بتقديم أجسادنا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله عبادتنا العقلية. وحتى لا نشاكل هذا الدهر، بل نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا لنختبر ما هي إرادة الله الصالحة والمرضية الكاملة (رومية ١٢ :١ -٢).

ومنذ القديم لم ينل إنسان مرضاة الله بتقديم الذبائح (قارن ١صم ١٥ : ٩ - ٢٣، مز ٥٠ : ١٢ - ١٥، ٥١: ١٦ - ١٧). ويتساءل النبي ميخا في دهشة كاملة «بمَ أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العلي. هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة. وهل يسر الرب بألوف الكباش ... هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي». يوجد طريق واحد به ينال الإنسان صلاحاً وتبريراً أمام الرب إلهه بأن يصنع الحق ويحب الرحمة ويسلك متواضعاً مع إلهه (ميخا ٦ : ٦ - ٨).

غير أن تقديم الذبائح له فائدته العظيمة، التي تكمن في تدريب الشعب على الطاعة بعمل كل ما أمر الرب به موسى أن يعلم الشعب. فيشعر مقدم الذبيحة بالولاء والتوبة الكاملة أمام الله. ودم الحيوان الذي هو نفس الحيوان هو لفداء الإنسان مقدم الذبيحة .

ويرى العلماء أن تقديم الذبائح كانت له قيمة عظمى زمن موسى، ليدرب ويعلم الشعب كيفية التعامل مع هذا الإله القدوس الطاهر في مرحلة هامة ودقيقة من حياة إسرائيل. إنها مرحلة نمو ونضوج. وهي عبادة طقسية كهنوتية متميزة تختلف تماماً عن حياة العبث والرجاسة التي كانت تحياها الشعوب الأجنبية المحيطة بشعب إسرائيل .

وسفر اللاويين سفر شرائع وأحكام لشعب يحتاج إلى تدريب وإعداد لغاية أسمى. وليس في القديم فقط بل لإنسان اليوم، الإنسان المسيحي المعاصر. وهنا نجد القديس بولس يوصي قائلاً « لنعكف على ما هو للبنيان بعضنا لبعض». مخاطباً الإنسان الذي ربما يعتقد أنه ليس تحت نير شرائع ولوائح وأحكام فيقول « لا تنقض لأجل الطعام عمل الله. كل الأشياء طاهرة لكنه شر للإنسان الذي يأكل بعثرة » (رومية ١٤ : ٢٠، قارن ما جاء في ١كو ١٠ : ٢٧ - ٣٢) .

ويتخذ القديس بطرس دعامة قوية لتعاليمه من سفر اللاويين في الكلمات «بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة». - لماذا ؟ - «لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١ : ١٥، لاويين ١١ : ٤٤، ٤٥، ١٩ : ٢، ٢٠ : ٧) .

وسفر اللاويين كما يرى أزوالد أليس O.Allis من أكثر الكتب المقدسة احتواءً للتشريعات، حيث تضمن الأحكام والشرائع، التي بموجبها يعيش الإنسان حياة منضبطة ومدققة أمام إلهه من كل الجوانب. ويبسط القديس بولس فهمه لسفر اللاويين بقوله : «فإذ كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله » (١كو ١٠ : ٣١)، منبراً على الحياة اللائقة أمام الله القدوس في قوله : «كونوا بلا عثرة، لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله. كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي، بل (ما يوافق) الكثيرين لكي يخلصوا» (١كو ١٠ : ٣٢ - ٣٣) .

ويرى هذا العالم اللاهوتي أنه لا يوجد سفر في العهد القديم يتحدث بكامله بوضوح عن الفداء الذي لنا في المسيح أكثر من سفر اللاويين. فهو يجيب على تساؤل أيوب : « ... فكيف يتبرر الإنسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة ؟» (أيوب ٢٥ : ٤). والإجابة هي أن يتقدم بذبيحة، ويضع يده على رأسها معترفاً بخطيئته، ويذبحها ويرش الكاهن من الدم، ويصنع كفارة لنفسه وتغفر له. إنها طاعة وتوبة وندم حقيقي بغير رجوع، وإيمان واثق في غفران خطيته بسفك دم (نفس / حياة) الحيوان المذبوح، فداء لمقدم الذبيحة .

وهنا يصعب على الإنسان فهم إنجيل (بشارة) العهد الجديد دون العودة لسفر اللاويين (قارن إشعياء ٥٣). ويُعد الأصحاح السادس عشر من سفر اللاويين أجمل وأعذب وأكمل رمز لعمل المسيح يسوع الكفاري المجيد كما يرى S.H.Kellogg. وحتى نفهم الجلجثة يجب أن ننظر إليها ونتأملها، من خلال ما ورد عنها في الكتب المقدسة .

ويمكننا أن ندرك عمق ما كتبه لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين بالعودة إلى سفر اللاويين، وندرس عن يوم الكفارة العظيم، والشرح التفصيلي الذي ورد عنه. « لأن نفس الجسد هي في الدم، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم. لأن الدم يكفر عن النفس » (لاويين ١٧ : ١١، قارن الأعداد ١٠، ١٤). وفي ضوء هذه الكلمات وهذا النمط والنموذج الحي يمكننا فهم العمل الكفاري العظيم الذي أتمه لنا الآب في المسيح يسوع الابن الوحيد .

العـــدد

العدد هو التسمية للسفر الرابع من أسفار التوراة مأخوذة من الترجمة السبعينية، وذلك للأرقام (الأعداد) الكثيرة الواردة بالسفر. أما الاسم العبري للسفر هو «في البرية» (١:١) الذي يتمشى مع مضمون السفر والذي يغطي رحلة إسرائيل من مصر إلى أرض موآب .

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : الإعداد للارتحال من سيناء إلى كنعان (١:١ - ١٠:١٠).

١- التعداد الأول (١:١-٥٤).

٢- ترتيب الأسباط للمحلة والسير (٢ : ١ - ٣٤).

٣- التعداد وواجبات اللاويين (٣ : ١ - ٤ : ٤٩).

٤- شريعة الغيرة وغيرها (٥ : ١ - ٦ : ٢٧).

٥- تقدمات القادة وشرائع أخرى (٧ : ١ - ٨ : ٢٦).

٦- فصح السنة الثانية للخروج (٩ : ١ - ١٤).

٧- عمود السحاب وعمود النار (٩ : ١٥ - ١٠ : ١٠).

ثانياً : الرحلة من سيناء إلى فاران (١٠ : ١١ - ١٢ : ٢٦).

١- الارتحال من سيناء (١٠ : ١١ - ٣٦).

٢- الأحداث بين سيناء وقادش (١١ : ١ - ١٢ : ١٦).

أ- تذمر الشعب وعقاب الرب لهم في تبعيرة، وانتخاب السبعين شيخاً (أعطاهم سؤلهم وأرسل هولاً في أنفسهم) (١١:١-٣٥).

ب- مريم والبرص (١٢ : ١ - ١٦) .

ثالثاً : التيهان في قادش بالبرية (١٣ : ١ - ٢٠ : ١٣).

١- مهمة الجواسيس (رجال الاستطلاع) وتقريرهم عن أرض كنعان (١٣ :١-٣٣).

٢- رد فعل الشعب وغضب الرب عليهم (١٤ : ١ - ٤٥).

٣- شرائع وأحكام عامة (١٥ : ١ - ٤١).

٤- تمرد قورح وداثان وأبيرام (١٦ : ١ - ٥٠).

٥- عصا هرون (١٧ : ١ - ١٣).

٦- واجبات الكهنة واللاويين وشرائع التطهير (١٨ : ١ -١٩ :٢٢).

٧ - موت مريم (٢٠ : ١) ومياه مريبة (٢ : ١٣).

رابعاً : الرحلة من قادش إلى عربات موآب (٢٠ : ١٤ - ٢٢ : ١) .

١ - إسرائيل وأدوم (٢٠ : ١٤ - ٢١) .

٢- موت هرون وهزيمة الممالك المقاومة (٢٠ : ٢٢ - ٢٢ : ١).

خامساً : أحداث وقعت في عربات موآب (٢٢ : ٢ - ٣٢ : ٤٢) .

١ - بالاق بن صفور وبلعام بن بعور (٢٢ : ٢ - ٢٤ : ٢٥) .

٢- بعل فغور وخطية الشعب في شطيم وغيرة فينحاس (٢٥ : ١ - ١٨)

٣- التعداد الثاني (٢٦ : ١ - ٦٥) .

٤- بنات صلفحاد (٢٧ : ١ - ١١) .

٥- إختيار يشوع بن نون للعمل بعد موسى (٢٧ : ١٢ - ٢٣) .

٦- تعاليم خاصة بالمحافل والأعياد والمواسم مثل السبت ورأس الشهر والفصح والكفارة (٢٨ : ٣٠) .

٧- الحرب المقدسة ضد مديان (٣١ : ١ - ٣٤) .

٨- استيطان سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى شرق الأردن (٣٢ : ١ - ٤٢) .

٩- دليل الرحلة من مصر إلى عربات موآب (تلخيص) (٣٣ : ١ - ٥٦) .

سادساً : تعاليم ختامية قبل دخول أرض كنعان والاستيطان بها (٣٤:١-٢٩).

سابعاً : مدن اللاويين ومدن الملجأ (٣٥ : ١ - ٣٤) .

ثامناً : بنات صلفحاد وميراثهن (٣٦ : ١ - ١٣) .

كاتب السفر

بعد موسى هو الشخصية الرئيسية في السفر، وكل الأحكام والوصايا الواردة بالسفر أعطيت لموسى وهرون «وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع » (عدد ١:١). كما تكرر كثيراً في السفر التعبير « وكلم الرب موسى ... » (١٤:٣، قارن ١:٦، ١:٨). ومما هو مؤكد أن هذه الشرائع والأحكام تعود إلى زمن التيهان في البرية (١:٩، ١٥-١٦، ١٥:٣٢-٣٤). كما وقع الكثير من الأحداث التاريخية، وأمثلة ذلك (١:١٣، ٢، ١:٢٠، ١:٢٢). ولم ترد أية إشارة أن موسى كتب أياً منها. غير أنه وردت الإشارة بأن موسى كتب عن مخارج (خروج) الشعب برحلاتهم من مصر أرض العبودية حسب قول الرب (٢:٣٣). كما جاء بأن موسى كتب التوراة وسلمها لبني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل (تث ٩:٣١) .

والمقصود بالتوراة هنا كل الفرائض والوصايا والشرائع والأحكام التي تكلم بها الرب (يهوه) إلى موسى. ويتفق الكثيرون من العلماء أن سفرالعدد وباقي الأسفار الأخرى الموسوية أخذت صياغتها وشكلها الحالي، في زمن ما بعد موسى. وهنا ينبغي التفرقة ما بين هذا الكلام وبين ما هو خاص بالشرائع والوصايا والأحكام، التي بعد موسى وبكل تأكيد كاتباً لها. وهو أصل وكاتب هذه الشريعة بأمر الرب .

مصادر كتابة السفر

يرى العلماء أن كاتب السفر استعان بالكثير من المصادر، سواء الشفوية منها أو المكتوبة. وترجع بعض هذه

المصادر إلى زمن بعيد. فقد وردت بالسفر قصائد شعرية لها طابع كتابة قصائد الشعر القديمة (٢١ : ١٤ - ١٦)، ومفردات جغرافية قديمة وهامة (٢٢ : ٥) تعود إلى القرن الثالث عشر ق.م كما تثبتها الحفريات. وتبعاً لنظرية المصادر، يرى بعض العلماء العصريين أن سفر العدد ينسب إلى المصدر[P] والمصدر J[E] فالأصحاحات (١ : ١ - ١٠ : ١٠، ١٥، ١٨، ١٩ - ٢٩، ٣١) وبعض النصوص الأخرى تنسب إلى المصدر [P]. والأصحاحات (٢٢ : ٢ - ٢٤ : ٢٥، وأجـــزاء من ١٠ : ١١ - ١٢ : ١٦، ١٤ : ١٦، ٢٠ - ٢١، ٢٥ - ٢٧، ٣٢ - ٣٦) تنسب إلى المصدرJ[E]. وقد ثبتت سطحية هذا الاعتقاد الذي لا يستند إلى الأدلة المقنعة. كما أن سفر العدد يعد ملحمة تاريخية رائعة لحياة إسرائيل وما مرت به من أحداث تاريخية مبكرة في برية سيناء، حتى وصولها إلى أرض موآب. كما وردت بالسفر المواد الوافية التي تقدم مفهوماً صادقاً، وتوضيحاً لدعوة إسرائيل وقيادة الرب له، ومنحها شرائع ووصايا وأحكاماً سماوية، على يد موسى نبيه لتخدمه خدمة مرضية.

وسفر العدد حقيقة تاريخية، حيث تضمن أحداثاً هامة وقعت لإسرائيل تاريخياً. ويرى مارتن نوت Martin Noth أن جماعات إسرائيل التي سكنت في أرض كنعان، واختلطت بجماعات إسرائيلية أخرى، واندثرت اختلافاتهم القبلية ليكوّنوا وحدة وكياناً واحداً، عدا بعض الإختلافات في ممارسة بعض الطقوس الدينية وكيفية إستيعابها. وهذا الرأي مبني على اعتقاد مارتن نوت Noth أن جماعة إسرائيل التي كانت في سيناء لم تكن نفس هذه الجماعات التي كانت تسكن في قادش قبل عبورها الأردن لتسكن في أرض كنعان، وربما يكون هذا تفسيراً لعدم تمسك بعض هذه الجماعات الإسرائيلية بالإله (يهوه). وبسهولة ساروا وراء عبادة الآلهة الغريبة. وقد اهتم كاتب السفر بتقديم القيمة اللاهوتية للأحداث العظمى التي أجراها الرب (يهوه) لشعبه والأحداث التي ذكرت ليست مرتبة بالضرورة ترتيباً تاريخياً أو تفصيلياً. وما قيمة هذه التفاصيل إذا لم تكن المعاني مدركة ومفهومة؟ غير أن قيمة هذه الأحداث وضحت تماماً بالسفر .

مضمون ورسالة السفر

سفر العدد هو أحد أسفار العهد القديم المقدسة المعلن فيه أعمال الله وعجائبه لشعبه، الذي ارتبط به بعلاقة شخصية حميمة خاصة، قصد منها الله أن يشهدوا له ويعلنوا اسمه بين شعوب الأرض كلها .

وتكمن رسالة السفر فيما يلي :

يهوه (الرب) وسط شعبه

إنه الرب الذي أتى بإسرائيل بذراع قوية ويد ممدودة من أرض الضيق والعبودية. وعبر بهم بحر سوف إلى برية سيناء، وسكن بينهم وفي وسطهم. وصنع معهم العهد بحفظه إياهم .

إنه الرب الذي قادهم في السحابة نهاراً وكانت ظلاً لهم، وفي عمود نار ليلاً ليهديهم (٩ :١٥ - ٢٣). وأعلن عن سكناه في وسطهم « إني أنا الرب ساكن في وسط بني إسرائيل » (عدد ٣٥ : ٣٤). مسدداً كل احتياجاتهم من كل نوع ومن كل جانب (١١ : ٣١ - ٣٢، ٢٠ : ٢ - ١٣).

ورغم تذمرهم المتواصل كان الرب عاضداً لهم، رحيماً عطوفاً عليهم، ليمتلكوا الأرض التي وعد بها الآباء (٢١ : ١ - ٣، ٢١ : ٣٥، ٣١ : ١ - ٥٤). كما حفظهم الله من مرارة وحقد بالاق بن صفور الشرير ملك موآب (أصحاح ٢٢ - ٢٤) .

رؤى بلعام (٢٢-٢٤)

بلعام بن بعور وهو ساحر بابلي من فتور التي على النهر (٢٢:٥)، كان عليه أن يطيع أمر إله إسرائيل حتى وإن

كان بالاق بن صفور ملك موآب قد وعده بالشيء الكثير حتى يلعن شعب الرب (٢٢ : ١٢، ١٧، ٢٣ : ٨ – ١٠). لأن شعب إسرائيل شعب مميز خصصه الرب لذاته (تث ٧ : ٦، ٧ب – ٨). فلا سحر ولا شعوذة أو إغراء مادي سخي يمنع بركات الرب عن هذا الشعب .

وقد زعم كثيرون أن بلعام بن بعور كان نبياً للرب. إلا أن علماء الكتاب المقدس يرون بأنه كان رجلاً ساحراً شريراً (يش ٢٢:١٣) أتى من بلاد ما بين النهرين حيث عبادة الأوثان (تث ٢٣ : ٤ – ٥). وقد أعطاه الله طبيعة مغايرة لطبيعته، كما أعطى للأتان طبيعة الكلام على غير طبيعتها (حيوان أعجم). « فلم يشأ الرب أن يسمع لبلعام، فحول اللعنة إلى بركة لأن الرب إلهك قد أحبك » (تث ٢٣ : ٤ – ٥). كما يشير يشوع إلى ذلك بالقول « وقام بالاق بن صفور ملك موآب وحارب إسرائيل وأرسل ودعا بلعام بن بعور لكي يلعنكم. ولم أشأ أن أسمع لبلعام فبارككم بركة وأنقذتكم من يده » (يش ٢٤ : ٩ – ١١، عدد ٣١ : ٨). وحول إلهنا اللعنة إلى بركة (نحميا ١٣ : ٢). وعلى شعب الرب أن يذكر هذا حتى يعرف إجادة الرب، وليس مثله بين الآلهة قدوس ومحب (ميخا ٦ : ٥، قارن رؤيا ٢ : ١٤، يهوذا ١١ – ١٣، ٢بط ٢ : ١٥ – ١٧) إنه بلعام بن بعور العراف الذي أحب أجرة الإثم (يش ٢٢:١٣، عدد ٨:٣١).

برية سيناء للتقويم والتدريب

استخدم الرب برية سيناء، لتدريب وتهذيب شعبه، بالوصايا والأحكام والشرائع. وعاقبهم على أعمال التمرد التي أظهروها نحو إلههم فاديهم ومنقذهم، ونحو قادته أيضاً. وقد حل قضاء الله عليهم جميعاً لأعمالهم الشريرة والتنكر لمراحمه (١١ : ١ – ٣، ٢١ : ٦، ٢٥ : ١ – ٥، ٦ – ١٣). كما حل قضاء الرب على جماعة اللاويين (١٦)، وعلى مريم أخت هرون وموسى (١٢ : ١٠). ثم على موسى وهرون أيضاً (٢٠ : ١٢، ١٣) .

أربعين سنة في البرية – لماذا؟

في أصحاحي (١٣، ١٤) نجد الإجابة على تساؤل هام هو : «أربعين سنة في البرية– لماذا؟». لقد أمضت إسرائيل أربعين سنة في البرية هي مدة تيهانها في الصحراء حتى يفنى الجيل الذي أشاع المذمة الرديئة والتي أفقدتهم كل ثقة في الرب إلههم بقولهم «حقاً أن الأرض تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة وعظيمة جداً» (عدد ٢٦:١٣–٣٢). «وقد رأينا هناك الجبابرة ... فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم» (عدد ٣٣). وهذا التعبير يكشف عدم الإيمان أو الثقة في الرب، الذي أجرى في وسطهم آياته وعجائبه (١٤:١٠–١٢، ٢٢). فكان كلام الرب إلى موسى عن هذه الجماعة وكل من استمع إلى كلام مذمتهم : «لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون» (قارن عدد ٣٠:١٣). وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض ... كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض، أربعين يوماً للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي» (١٤:٢٦–٣٥). «فمات الرجال الذين أشاعوا المذمة الرديئة على الأرض بالوبأ أمام الرب. وأما يشوع بن نون وكالب بن يفنة من أولئك الرجال الذين ذهبو ليتجسسوا الأرض فعاشا » (١٤:٣٧–٣٨).

لقد كان الهدف الرئيسي من التيهان في البرية كما يرى علماء الكتاب هو التطهير والتدريب، وربطهم بشخصه القدوس المحب، لمسئولية تاريخية هامة تنتظرهم عند دخولهم أرض الموعد، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً. وقد تم هذا بحلوله القدوس في وسط شعبه بوسيلتين :

الوسيلة الأولى : عن طريق خيمة الاجتماع

(خروج ٣٣ : ٧ – ١١، عدد ١١ ١٦ – ١٧، ٢٤ – ٢٦، ١٢ : ١ – ٨، قارن تث ٣١ : ١٤ – ١٥، قارن عن



الخيمة خروج ٢٦ - ٢٧، ٣٥ - ٣٨). وكان الرب ينزل من السماء في عمود سحاب إلى باب الخيمة ويتحدث مع موسى النبي وجهاً لوجه كما يكلم الإنسان صاحبه (خروج ٣٣ : ١١). إنها خيمة أو مكان الاجتماع بين الله وموسى وسيط الشعب، والإله المجد الخالق والفادي. ومن لديه من الشعب مشكلة كان يتقدم بها إلى موسى حتى يرفع طلبته إلى الله .

الوسيلة الثانية : تابوت عهد الرب

كان تابوت عهد الرب هو الوسيلة الثانية التي بها يحل الرب وسط شعبه (قارن خروج ٢٥ : ١٠ - ٢٢، ٣٧ : ١ - ٩) في صورة غير مرئية. ولهذا اختلفت ديانة إسرائيل عن باقي الديانات الأخرى للشعوب الأجنبية، حيث كانوا يصنعون التماثيل للآلهة والإلاهات في هياكلهم (قارن خروج ٣٤ : ١١ - ١٧) .

وآمن الشعب بحضور الرب في وسطهم بصورة غير مرئية. وفي زمن التيهان أو الحرب كان الرب يتقدمهم في تابوت العهد، وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول : «قم يارب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وعند حلوله كان يقول ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل »(عدد ١٠ : ٣٥ - ٣٦). وكان التابوت يوضع في الخيمة في سيناء (عدد ٧ : ٨٩، قارن ٢صم ٦ : ١٧، ٧ : ٢، خروج ٢٠ : ٢ - ٣، ٢١، وأيضاً خروج ٢٥ : ٢٢).

لقد أدركت إسرائيل أن لله وحده السيادة والقضاء. ولا يترك من يرتد عنه ويدير له القفا لا الوجه، بغير محاكمة أو تأديب.

ولأن يهوه هو رب التاريخ، وقصد أن يعطي لشعبه الأرض ولنسلهم من بعدهم كما وعد الآباء، اختار إسرائيل وقطع العهد معهم وظل أميناً معهم، رغم عدم أمانتهم. وسار بهم رغم محاولات الشعوب الأخرى أعاقة طريقهم وعرقلتهم. ودخلوا أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً بقوة الله ونعمته لهم، وليس عن استحقاق (انظر تث ٧:٧، ٨)

إعلان قداسة الله ومحبته الكاملة

إن الأحداث التاريخية لسفر العدد مع الشرائع والأحكام والوصايا الإلهية استهدفت إعلان قداسة الله. فهو القدوس المحب الرؤوف، ولن يسمح الله لإسرائيل بأن تتمادى في السير وراء آلهة غريبة أجنبية (الزنى الروحي)، الذي نجم عنه كل أنواع الشرور (سفر العدد ٢٥ : ١ - ١٨). وهو الإله القدوس الطاهر. وعندما تمكن الشعب من المثول أمامه كان لهم التمتع بسكناه في وسطهم، بسبل العبادة التي رسمها لهم: مسكن الشهادة (خيمة الاجتماع)، وخدمة الكهنة واللاويين، وتقديم الذبائح في المواسم والأعياد، وإعلان سيادته وسلطانه عليهم في العبادة اليومية .

لقد كانت هناك دائماً فرصة لغفران الخطايا بالتوبة الصادقة قدامه (١٤ : ١٨ - ٢٠) .

وقد أكد السفر هذه الحقائق الهامة عن طبيعة الله وقدرته وعظمته في أعماله وأياته العجيبة. وكان على إسرائيل أن تُظهر ولاءً كاملاً وأمانة لعهده، وثقة كاملة في مواعيد الرب وإعترافاً بسيادته وقداسته، واتكالاً عليه في الحاجة، وفي الشرور والأخطار التي تواجهها. وعلى كل إنسان يعرف الله، أن يقدّر بمحبة، كرامة أخيه الإنسان وما له من قدرات ومواهب. ويُظهر اهتماماً وعناية بأخيه البائس، معلناً استعداده ورغبته في التعاون معه، ويكون له قدوة طيبة ليتعرف على إلهه (يهوه). فلا يكون سبباً في ابتعاد أخيه عن الإله الحي ويضل بالسير وراء آلهة أخرى وثنية من صنعة الناس .

مما سبق يمكننا أن نرسم صورة مباركة صادقة، لمحبة الله القدوس، لشعب عنيد غليظ القلب حيث أظهر لهم لطفاً ورحمة ليجذبهم إليه، كما استخدم عصا التأديب لتقويمهم وتقديسهم. إنه هو ذاته الإله غير المتغير والثابت الذي

يبقى أميناً إلى المنتهى. لن يقدر أن ينكر نفسه، مجدداً عهده في شخص ربنا وفادينا يسوع المسيح ابنه الكريم. إنه لا يزال يعتني ويهتم، ويقود منقذاً كل من يأتي إليه، ويستجيب لدعوته وندائه. وهو الذي يؤدب في حبنه لأنه الإله المحب. فلا يدع خرافه تضل لتكون لقمة سائغة في فم الأسد الذي يجول ويصول للنهش والافتراس .

سيظل رباً للتاريخ ولن تستطيع قوى الأرض أن تعيقه من تحقيق مقاصده، وهو الإله القديم الذي لا يزال يعمل إلى اليوم كما ورد عنه في سفر العدد، ومع الإنسان المعاصر، بذات المحبة المتأنية الباذلة الصابرة، وبذات القداسة. ولنا في المسيح يسوع النعم والأمين (عب ٧ - ١٠).

الله وسط شعبه في البرية

يتحدث الجزء الأول من سفر العدد عن إسرائيل كشعب اختاره الله فضلاً، ليعملوا كمشيئته حسب تعاليمه لهم بواسطة موسى، الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك، الذي قبل أقوالاً حية ليعطينا إياها نلهج فيها نهاراً وليلاً. وهي تتحدث إلينا إلى اليوم وإلى الأبد. لم تُنقَض ولم تستبدل (أع ٧:٣٧- ٣٨، قارن مت ١٧:٥: ١٨).

أما عن تجسس الأرض وما نجم من يأس وفشل وإشاعة المذمة بين الشعب (أصحاح ١٣)، ففيه تعليم لنا ودعوة للإيمان والثقة بالإله القدير. إنه الرب (يهوه) الذي ظهر لموسى وأعلن له عن اسمه. ولن يتحقق للإنسان النجاح الكامل بدون الله (أصحاح ١٤). كما تجلت رحمة الله ومحبته المتفاضلة في صنع الحية النحاسية ورفعها على راية حتى كل من لدغ من الحية ورفع بصره إليها يحيا (٢١ : ٤ - ٩، قارن يوحنا ٣ ١٤). إنه درس في الطاعة والإيمان، ولنا في رؤى بلعام درس عظيم كما يرى أحدهم بأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله (عدد ٢٢ - ٢٤) .

وبالإجماع فإن سفر العدد يعلن بر الله وعدله مع محبته ورحمته في قيادة شعبه وإرشاده لهم في كل مكان وزمان، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة .

التثنية

عنوان السفر في الأصل العبري « هذا هو الكلام أو الكلمات »، والعنوان « تثنية » مأخوذ من الترجمة السبعينية « تثنية الاشتراع » (قارن تث ١٧: ١٨). وتبعتها في ذلك الفولجاتا من ترديد الشريعة، أو نسخة من الشريعة المرددة. ولقد أطلق على السفر « تثنية » لأنه تضمن مواداً تعد ترديداً لما ورد في سفر الخروج، وأجزاء من سفر اللاويين، وسفر العدد، الخاصة بالأحكام والمبادىء والشرائع التي تحدد مسئوليات شعب الله الذي اختاره وقطع معه العهد في سيناء .

أقسام ومشتملات السفر

مقدمة : (١ : ١ – ٥)

أولاً : الخطاب الأول : أعمال الرب (يهوه) (١ : ٦ – ٤ : ٤٣) .

١- مقدمة تاريخية (١ : ٦ – ٣ : ٢٩) .

٢- دعوة للطاعة (٤ : ١ – ٤٠) .

٣- تعيين مدن ملجأ لأسباط عبر الأردن (شرقاً) (٤ : ٤١ – ٤٣) .

ثانياً : الخطاب الثاني : شريعة الله (٤ : ٤٤ – ٢٦ : ١٩) .

١- مقدمة تاريخية (٤ : ٤٤ – ٤٩)

٢- الولاء والمحبة لإله العهد الذي ظهر لموسى على جبل حوريب (٥:١- ٦ : ٢٥) .

٣- الأمانة والطاعة التي يجب أن تكون عليها إسرائيل نحو مخلصها الرب (٧ : ١ – ١١ : ٣٢) .

أ- أهمية أن يكون الشعب مقدساً مثل إلهه (٧ : ١ – ٢٦) .

ب- إحسانات الله ومحبته للشعب يجب ألا ينساها شعب إسرائيل في تجارب نجاحه (٨ : ١ – ٢٠) .

جـ- الدروس المستفادة التي لقّنها الرب للشعب نتيجة العصيان والتحرر ووساطة تجديد العهد (٩ : ١ – ٢٩) .

د- إن قوة إسرائيل وضمان نجاحها في الأرض يتأكد في محبتها للرب والسير أمامه بخوف (١٠ : ١ – ١١ : ٣٢) .

٤- تثنية الاشتراع (١٢ : ١ – ٢٦ : ١٦) .

أ- الوصايا والأحكام الخاصة بالعبادة والحياة المقدسة (١٢ : ١ – ١٦ : ٢٢) .

(١) الولاء للرب (١٢ : ١ –٣٢) .

(٢) تحذير من الارتداد عن الرب (١٣ : ١ – ١٨) .

(٣) واجبات البنوة (١٤ : ١ – ١٥ : ٢٣) .

(٤) الأعياد الثلاثة السنوية (١٦ : ١ – ١٧) .

(٥) عمل ما هو مسر أمام الرب (١٦ : ١٨ – ٢٢) .

ب- شرائع خاصة بالعلاقات الأسرية والوطنية، ومواقف أخلاقية ودينية (١٧ : ١- ٢٦ : ١٩) .

(١) أحكام وقضايا (١٧ : ١ – ٢١ : ٢٣)

(٢) شرائع خاصة بالسلوك الاجتماعي والأخلاقي (تنظيم وتقديس العلاقة العادلة بين الرجل والمرأة) (٢٢ :

١ - ٣٠).

(٣) هوية جماعة الرب (٢٣ : ١ - ١٨) .

(٤) العناية والاهتمام بالضعيف (٢٣ : ١٩ - ٢٤ : ٢٢) .

(٥) استقامة الفرد وطهره (٢٥ : ١ - ١٩) .

(٦) الشكر والعشور عرفاناً وولاءً للرب المنقذ (٢٦ : ١ - ١٩).

ثالثا : الخطاب الثالث (٢٧ : ١ - ٣١ : ٨) .

١- الوصية بكتابة الشريعة والعمل بها (٢٧ : ١ - ١٠) .

٢- اللعنات (٢٧ : ١١ - ٢٦) .

٣- البركات (٢٨ : ١ - ١٤) .

٤- لعنات تدرك من يزدري بشرائع وتعاليم الله ولا يعمل بها (٢٨ : ١٥ - ٦٨) .

٥- تجديد العهد بين الرب وإسرائيل في أرض موآب (٢٩ : ١ - ٢٩).

٦- الغفران والبركة لمن يتوب ويرجع إلى الرب من القلب (٣٠ : ١ - ١٠).

٧- كلمة الرب قريبة جداً من إسرائيل وتضعها أمام الاختيار الأعظم بين الحياة والموت (٣٠ : ١١ - ٢٠) .

رابعاً : موسى في أيامه الأخيرة (٣١ - ٣٤ : ١٢) .

١- موسى يُسلِّم التوراة مكتوبة للكهنة ولشيوخ إسرائيل (٣١ : ٩ - ١٣، ٢٤ : ٢٦) .

٢- يشوع يُكلَّف بقيادة الشعب بعد موسى (٣١ : ١٤، ١٥، قارن ١٦ - ٢٣) .

٣- شهود العهد (٢٧ - ٣٠) .

٤- نشيد موسى شهادة للعهد (٣٢ : ١ - ٤٣) .

٥- الوصية الختامية والوداع الأخير (٣٢ : ٤٤ - ٣٣ : ٢٩) .

أ- النصيحة الأخيرة لموسى (٣٢ : ٤٤ - ٤٧) .

ب- موسى ينظر أرض الموعد من جبل نبو (٣٢ : ٤٨ - ٥٢) .

جـ- بركة موسى لأسباط إسرائيل (٣٣ : ١ - ٢٩) .

٦- موت موسى (٣٤ : ١ - ٨) .

٧- كلمات ختامية وشهادة عن موسى نبي الرب (٣٤ : ٩ - ١٢) .

خلفية السفر - الكاتب وزمن الكتابة

تضمن سفر التثنية كلمات موسى إلى شعب إسرائيل في الشهور الأخيرة من حياته، عندما كان الشعب مجتمعاً في أرض موآب. ووردت الإشارة عن تاريخ ومكان أحاديث موسى إلى الشعب في (تث ١ : ١ - ٥، ٣ : ٢٨، ٢٩، ٤ : ٤٦، ٢٩ : ١). ودعا موسى الشعب وذكَّرهم بأعمال الله المقتدرة، التي أتمها وحققها لهم. وأشار موسى إلى امتلاك أرض كنعان والاستيطان فيها مستقبلاً، ووعود الله لمملكة إسرائيل، والتي سيعين لها ملوك من قبل الله. كما شجع موسى شعب إسرائيل على الإيمان، وحثهم على الطاعة وحذرهم من عبادة الوثن والأصنام والزيغان عن شريعة إله السماء، منذراً إياهم بالعقاب الذي سيحل على من يرتد عن يهوه الفادي والمخلص العظيم، أو يعبث بعهد الرب، ويحيد عن شرائعه وأحكامه التي أعلنها في سيناء .

وفي الوقت نفسه ذكَّر موسى الشعب، بوعود الرب بالبركة لإسرائيل، متى سلكت بأمانة قدامه وحفظت إرساليتها ، مردداً التعاليم الدينية، والشرائع التي أعلنها الرب للشعب على لسانه، في المناسبات العديدة المختلفة من وقت دعوة الله لإبراهيم، كما ذكَّرهم بالوصايا النافعة والهادية لهم في أرض كنعان أرض الموعد، التي تفيض

لبناً وعسلاً. وهذه الشرائع والوصايا لخصت في كلمات محدودة «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك. وقريبك مثل نفسك» (تث ٦ : ٥، قارن لوقا ١٠ : ٢٧) التي أضاف عليها الرب يسوع المسيح الكلمات : «افعل هذا فتحيا» (عدد ٢٨).

يرتبط سفر التثنية أو الجزء الأكبر منه بسفر الشريعة الذي عثر عليه في الهيكل، خلال حكم يوشيا كما يرى D.Wette وآخرون للتشابه الكبير بين الشرائع والأحكام الواردة بسفر التثنية، والإصلاح الديني الذي تم في عهد الملك يوشيا (تث ١٢ : ١ - ٧، ٢مل ٢٣ : ١٨ - ٢٠). ويتفق الكثيرون من العلماء أن سفر التثنية هو أساس الإصلاح الديني الذي تم خلال حكم الملك يوشيا (٦٣٩ - ٦٠٨ ق.م). كما تضمن السفر برنامج أو إطار عمل عظيم لإصلاح ديني مبكر خلال حكم منسى المظلم كما يرى كل من رولي ودرايفرH.H.Rowley and S.R.Driver

ويرجع بعض العلماء تاريخ كتابة السفر إلى زمن حكم القضاة، أي زمن حكم صموئيل بالتحديد وبداية حكم الملوك، وربما امتد إلى زمن مبكر.

ويرى روبرتسن E.Robertson أن سفر التثنية ترديدٌ لشريعة موسى الأصلية. جمعها النبي صموئيل القاضي والكاهن، لتكون هادية للشعب زمن حكم الملوك.

ويرى فون راد G.Von Rad أن السفر يعد ثمرة عمل كبير امتد من زمن مبكر جداً بدءاً من زمن عصر موسى إلى زمن ما بعد السبي، أعيدت كتابته بواسطة رجل يهودي بعد سقوط السامرة بفترة زمنية قصيرة. وأيد هذا الرأي الكثيرون من العلماء.

العلماء المحافظون وكتابة السفر

يرجع العلماء المحافظون أن موسى هو كاتب السفر وذلك للنصوص العديدة التي بالسفر ومنها الأصحاح الحادي عشر. والحديث عن اجتياز البحر، وخلاص الرب لهم، والوعود مستقبلاً عن دخول كنعان أرض الموعد، والاستيطان بها. ودعوة الشعب للتمسك بوصايا الرب والتمتع بالبركة. «لأنكم عابرون الأردن لتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إلهكم يعطيكم. تمتلكونها وتسكنونها فأحفظوا جميع الفرائض والأحكام التي أنا واضع أمامكم اليوم لتعملوها» (تث ١١ : ٣١، ٣٢).

وإشارة الكاتب في الأصحاح (١٦) إلى عبور البحر، تعطي انطباعاً للقارئ أن الكاتب شارك في عبور البحر. كما أنه عبر وادى زارد مع الشعب في كلمات واضحة «الآن قوموا وأعبروا وادى زارد، فعبرنا وادى زارد» (تث ٢ : ١٣، قارن عدد ٢٦)، «... فمكثنا في الجواء مقابل بيت فغور» (تث٣:٢٩). بالإضافة إلى التفاصيل الدقيقة عن موآب، ومواقعها الجغرافية التي تعود إلى الألف الثانية ق.م التي هي زمن كتابة سفر التثنية، واختبارات موسى وتجاربه الشخصية مع الرب (يهوه) (راجع ٩:٢٢- ٢٩). ووساطة موسى لدى الله من أجل شعب صلب الرقبة ومعاند. وكلماته التي تبرز شخصيته كشاهد عيان «اذكر ما صنع الرب إلهك بمريم في الطريق عند خروجكم من مصر» (٢٤ : ٩).

كما ظهرت شخصية موسى وغيرته المتقدة بالسفر كما في بقية الأسفار الأخرى (تث ٩:٢١ - ٢٣ مع خروج ٢:١٢، ١٣)، ومناشدته إسرائيل ودعوته للشعب ليتقي الله ويعبده من القلب (تثنية ١٠ : ١٢ - ٢٢). ولأن موسى تهذب بكل حكمة المصريين فكان مقتدراً في الأقوال والأعمال (أع ٢٢:٧).

هذا العملاق والمشرع الإسرائيلي كان من الممكن أن يُهزَم ويفشل لما صادفه من مشاكل ومعضلات واجهته في برية سيناء، لو أنه كان إنساناً عادياً. لقد ظهرت قدرة موسى في توصيل وشرح ماذا يريده الرب من الشعب، في أسلوب

كتابته شعراً ونثراً، وفي مواهبه الروحية والقيادية. وصورة موسى في سفر التثنية تعد مطابقة تماماً لما ورد عنه في الخروج وسفر العدد، كما تضع أمام القارئ نمطاً حياً ونموذجاً رائعاً للإنسان البشري الترابي .

على أنه لا يمكن الأخذ بالاعتقاد أن موسى كتب الجزء الأخير من سفرالتثنية (٣٤ : ٥ - ١٢). ويرجح أن يشوع هو الكاتب لهذا الجزء بعد موت موسى، وأضيف إلى سفر التثنية الذي لموسى، بالإضافة إلى أن الأصحاحات (٣٢ - ٣٤) كتبت بعد موسى متضمنة قصة موته ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور. ولا يُعرف من هو الكاتب لهذه الأصحاحات، فربما كان يشوع كاتباً لها أو ألعازار بن هرون. والجدير بالملاحظة أن موسى نطق بمواد الأصحاح (٣٢، ٣٣) شفوياً قبل موته. فأصحاح (٣٢) تضمن ترنيمة ترنم بها موسى قبل موته، والأصحاح (٣٣) عن البركة التي بارك بها موسى أسباط إسرائيل. أما عن الإشارات الخاصة بعبر الأردن (١:١، ٣:٢٠، ٢٥، ١١:٣٠)، وكذلك التعبير «كما في هذا اليوم» (٢:٣٠)، ومواد الأصحاحات (٢٧-٣١) فيرجع البعض أنها كتبت بعد موت موسى بإرشاد الروح القدس. وعن بقية مواد السفر والعهد في سيناء فقد اكتشف أنه قطع بنفس الأسلوب الذي كان سائداً في قطع العهود في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. والذي لم يظهر في الألف الأولى ق.م. بالإضافة إلى أن نظام البركة ومنحها في ختام الحياة تعود أصوله إلى عصر الآباء قديماً. ولا تنسب إلى عصر يوشيا أو ما بعد السبي أي أنها لم تكتب بعد موسى. وخلال القرن ١٨ والقرن ١٩ رأى بعض علماء نقديين أن سفر التثنية لم يكتبه موسى، بل قام بجمعه وتصنيفه رجل نبي غير معروف قبل عام ٦٢١ ق.م أي زمن الإصلاح الديني الذي قام به يوشيا (٢مل ٢٢، ٢٣). وأعتقد أيضاً أن سفر التثنية كتب بهدف الإصلاح الديني الذي تم في ذلك الوقت، والذي صار أساس العبادة الروحية في أورشليم. وذهب البعض الآخر من العلماء إلى أبعد من ذلك، بأن نسبوا كتابة السفر إلى زمن ما بعد السبي، وأن ما كشف عنه النقاب في الهيكل هو شريعة التطهير والتقديس (لاويين ١٧ - ٢٦)، وأن سفر التثنية كتب ما بين عام (٥٢٠ - ٤٠٠ ق.م).

ولا يوجد ما يدعو إلى الشك في أن موسى هو الذي كتب للشعب الشرائع والفرائض والوصايا التي نطق بها الرب، وهو القائد والمعلم والمشرع لشعب إسرائيل .

كما أنه لا يوجد ما يدعو للاعتقاد أن السفر كتب زمن الحكم الملكي كما يرى علماء الكتاب. فلم يسطر لنا الكاتب شيئاً عن انقسام المملكة، أو عن أحداث مبكرة مثل مضايقة الفلسطينيين لإسرائيل بعد الاستيطان في كنعان، كما ورد في سفر القضاة مثلاً. كما برهنت علوم الآثار والحفريات، في مناطق ومدن عاي وبيت إيل ولاخيش ودبير (قرية سفر) وحاصور، أن هذه المناطق دُمرت تماماً خلال النصف الثاني من القرن ١٣ ق.م بعد استيطان الشعب أرض كنعان. وإذا كان لسفر التثنية أن يؤرخ بالتحديد في ضوء حدث الخروج الذي تم ما بين عام (١٢٩٠ - ١٢٨٠ ق.م) يكون تاريخ كتابة السفر بعد جيل أو جيلين من هذا الحدث، أي ما بين عام (١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م).

مما سبق يمكن القول إن موسى هو كاتب السفر، وثبت هذا من الإشارة الواردة في (نحميا ١:٨)، حيث طلب الشعب من عزرا أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل. وجاء في (تث ١:٥) أن موسى كان يشرح هذه الشريعة للشعب مما ترتب عليه أن كتبها في سفر وضع بجانب تابوت عهد الرب، وأوصى اللاويين أن يحفظوا الشريعة (تث ٣١ : ٩، ٢٦). وكانت العادة أنه عندما يجلس ملك على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة واللاويين فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته لكي يتعلم أن يتقي الرب إلهه، ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها (تث ١٧:١٨، ١٩). الأمر الذي يدعو إلى الاعتقاد أن موسى كان يدوّن بالكتابة أحاديثه مع الرب يوماً بعد يوم. والإشارات الكثيرة الواردة في سفر يشوع والمقتبسة من سفر التثنية ترجح أن السفر كتب في زمن مبكر .

وبالدراسة المقارنة لعهد سيناء بين الله وإسرائيل، والعهود التي عُمِل بها قديماً في الشرق الأدنى خلال الألف الثانية ق.م، وُجِد التشابه الكبير بينها كما هو واضح مما يلي :

عناصر العهد

الإتفاقية التي عُمِل بها في الشرق الأدنى القديم :

١- مقدمة قانونية تفصح عن شخصية كاتب العهد أو الإتفاقية موضحاً فيها مواصفاته .

٢- تمهيد تاريخي ينبر عادة على نزعة السلطان لفعل الخير والعمل على تحقيقه .

٣- شروط التعاقد (العهد) في عموميته وتفاصيله الدقيقة .

٤- الشهادة الإلهية والضامنون للعهد .

٥- بركات حفظ العهد واللعنة لمن يكسر العهد .

٦- وجوب قراءة نصوص العهد أمام عامة الشعب (أو الطرف المتعاقد والمندرج تحت لواء العهد).

هذا النموذج من العهود المعمول بها في الشرق الأدنى القديم والتي يمتد تاريخها إلى الألف الثانية ق.م، ينطبق عليها عهد سيناء (خروج ١٩ : ٣ - ٨، ٢٠ : ١ - ١٧) .

أ- مقدمة توضيحية (١ : ١ - ٥) .

ب- تمهيد تاريخي (١ : ٦ - ٤ : ٤٩) .

جـ- شروط التعاقد (٥ : ١ - ٢٦ : ١٩) .

د- اللعنات والبركات (٢٧ : ١ - ٣٠ : ٢٠) .

هـ- قراءة نصوص العهد أمام عامة الشعب الذي قطع معهم الرب عهده (٣١ : ١ - ٣٤ : ٥) .

مما سبق يمكن القول إن سفر التثنية كتب كسجل تاريخي لعهد الرب مع الشعب في سيناء، على نمط العهود المعمول بها، خلال الألف سنة الثانية ق.م. وبهذا ظهر خطأ الاعتقاد أن سفر التثنية كتب بقصد التنبير على العبادة في أورشليم، كأسلوب وحيد للعبادة. لأن مواد الأصحاح الثاني عشر لم تكن مقارنة بين المذابح الكثيرة لعبادة الله، ومذبح الرب في أورشليم. بل هي مقارنة بين المذابح الوثنية الكنعانية والمكان الذي سيذكر فيه إسم الرب (يهوه) بالحمد والتمجيد .

أسلوب كتابة السفر

كتب سفر التثنية كتفسير واضح للناموس، فهو يعد - كما يرى أحد العلماء - أحد الكتب اللاهوتية المقدسة، الذي يقدم صورة حية واضحة للعالم عن العهد في سيناء والحياة في ظل هذا العهد. كما يوضح إعلان الله ذاته للشعب، وكلمته لهم التي صارت فيما بعد - كما أوضحها سفر التثنية - شيئاً محسوساً ومتجسداً في حياتهم (٣٠ : ١١-١٤)، وإعلان كلمة الله بروح تعبدية لجماعة إسرائيل (قارن الأصحاح ٢٣) التي هي كنيسة الله في العهد القديم. والتعليم الخاص بالسلوك الأخلاقي الحميد، نتيجة وثمرة قطع الرب عهده مع الشعب، وإعلان ذاته لهم وخلاصهم (تث ٦:٤ -٩، قارن مع ٤ :٤-٩). تلك التعاليم التي اقتبسها رب المجد ورددها في (متى ٢٢ : ٣٧-٣٩).

ومادة سفر التثنية تشبه إلى حد كبير سفر الخروج كما يتضح ممايلي (عدا خروج ٢٥-٣١، ٣٥-٤٠).

خروج	تثنية
(١ - ١٨) من مصر إلى سيناء	(١ - ٤ : ٤٣) من سيناء إلى موآب
(١٩ - ٢٠ : ٢١) العهد والوصايا	(٤ : ٤٤ - ٥ : ٢٢) العهد والكلمات العشر
(٢٠ : ٢٢ - ٢٣ : ٣٣) سفر العهد	(١٢ - ٢٦) تثنية الاشتراع
(٢٤) مراسم ختامية	(٢٧ - ٢٨) مراسم ختامية
(٣٢ - ٣٤) ارتداد هرون ووساطة موسى وتجديد الوحدة	(٩ : ٧ - ١٠ : ٥) ارتداد هرون ووساطة موسى وإعادة كتابة اللوحين

وعن صياغة السفر : جاء في (تث ١٧ : ١٨ - ١٩) بأن الملك الذي يحكم على إسرائيل، عليه أن يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة واللاويين، فيقرأ فيها كل أيام حياته، لكي يتعلم أن يتقي الرب إلهه، ويحفظ جميع أحكامه. وجاءت هذه الكلمة « نسخة من الشريعة» عنواناً للسفر في الترجمة السبعينية .

لذلك فإن ما تضمنه السفر يُعْرف عنه بأنه تثنية إشتراع. بمعنى أن الشريعة الأصلية كما بدت في جبل سيناء (حوريب / جبل الله)، وتكررت في عربات موآب عبر الأردن شرقاً « سفر الشريعة هذا » (٢٩ : ٢١، ٣٠ : ١٠، ٣١ : ٢٦، قارن ٢٨ : ٦١)، « هذه الشريعة » (١ : ٥، ٤ : ٨، ١٧ : ١٨ - ١٩، ٢٧ : ٣، قارنه مع ما ورد في بقية الأسفار الموسوية في موضوعات السفر الرئيسية) : سفر العهد (خروج ٢٠ : ٢٣ - ٢٣ : ١٩)، شريعة التقديس (لاويين ١٧ - ٢٦)، والشرائع الخاصة بالذبيحة والتطهير (لاويين ١ : ٧، ١١ - ١٥)، شريعة الفصح وعيد الفطير (خروج ١٢ : ١ - ٢٠، ٤٣ - ٤٩)، ويوم الكفارة (لاويين ١٦)، وتقويم خاص بالمحرقات ومراسم تقديمها (عدد ١٥، ٢٨ - ٢٩)، وبعض الموضوعات المختلفة (عدد ٥ - ٦، ١٩)، والكلمات العشر (خروج ٢٠ : ٢ - ١٧، قارن مت ٥ : ٦ - ٢١)، وتعاليم خاصة بالعبادة الكهنوتية (خروج ٣٤ : ١١ - ٢٦) .

مما سبق يمكن القول إن سفر التثنية جاء متضمناً جميع هذه الموضوعات السالف ذكرها. إلا أن سفر التثنية لم يكتب ليكون كتاب أحكام فقط يستعين به القضاة والملوك وكهنة إسرائيل في حياتهم اليومية، بل كتب السفر لأجل الكنيسة ككل، كما يرى بعض العلماء المحافظين أنه كلمة الله للتعليم والبناء الروحي. وهو تفسير أيضاً لإيمان إسرائيل. كما يتضمن السفر التعبير عن مشيئة الرب التي يجب العمل على تحقيقها. فهو ليس شريعة فقط بل هو إنجيل أيضاً، يتحدث عن الله المخلِّص لشعبه من العبودية، والذي دخل معهم في عهد. فالله يريد من شعبه أن يعرفوا المصدر الرئيسي لضمانهم في الأرض التي يعطيها إياهم. وأن يتعرفوا على سبل النجاح في حياتهم .

رسالة السفر

يحتل سفر التثنية مكانة هامة وقيمة عظمى بالنسبة لموضوعاته الخاصة بالإيمان والعبادة. فهو أحد الأسفار المقدسة (العهد القديم) الذي أُقْتُبِسَ منه الكثير في العهد الجديد. بل إن أهم وأعظم الوصايا التي أكدها يسوع، والتي ينبغي أن يراعيها الإنسان مثل «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك» (مرقس ١٢: ٣٠، مت ٢٢:٣٧، لوقا ١٠:٢٧) مقتبسة من سفر التثنية (٦:٥).

والوصية الثانية رغم أنها مقتبسة من سفر اللاويين (١٩ : ٣٣، ٣٤) إلا أنها متضمنة في التثنية في الوصية

الخاصة بمحبة الغريب (١٠ : ١٩)، بالإضافة إلى اقتباس يسوع لكثير من آيات السفر في مواجهة إبليس كما وردت في الأناجيل (مت ٤ : ١ - ١٠، لوقا ٤ : ١ - ١٣، قارن تث ٨ : ٣، ٦ : ١٦، ٦ :١٣).

ويرى بعض العلماء أن سفر التثنية يعد بمثابة عظة، قدمها موسى على الشعب في عربات موآب، قبل عبوره نهر الأردن، ليدخل أرض الموعد ويمتلكها، مشيراً عليهم أن يذكروا دائماً أعمال الرب العظيمة والرحيمة كما تجلت لهم في الخروج من مصر أرض العبودية، والتيهان في البرية أربعين سنة، وأن يتمسكوا بالعهد في مواجهة التجارب .

بل أن السفر يعد حافزا لهم على مواجهة كل ما يعيق حياتهم من ثقافات كنعانية وعبادات وثنية في أرض الموعد (كنعان) التي تفيض لبناً وعسلاً .

فالجزء الأول من السفر (١ - ١١) يتناول موضوع محبة الله الكاملة لإسرائيل غير المستحقة ؛ تلك المحبة وضحت في أعماله التي أتها لخلاص شعبه، ولخروجهم من مصر وللدخول بهم إلى سيناء. كما يتناول أيضاً موضوع الإيمان بالرب عرفاناً وشكراً يتمثلان في محبته من كل القلب والنفس وكل القدرة. فنحن نحب الله لأنه هو أحبنا أولاً. ولأننا نحب الله فنحن نطيعه، وبالطاعة يتمكن شعب إسرائيل أن يحيا آمناً (قارن أصحاح ١٣). وبالتالي يظهر إيمانها في الحياة عملياً (تثنية ١٢ - ٢٦) .

إن إستخدام الكلمة « ناموس » في ضوء ما تضمنه سفر التثنية، لايعني في المقام الأول مجموعة أحكام وقوانين. بل يعني به التعليم بالمفهوم الشامل. بل إنه شرح للإيمان، متضمناً قواعد السلوك في الحياة. وهذه التعاليم اللاهوتية المتضمنة في الناموس، تعطي قيمة ومعنى لهذه الحياة. وبالمعنى الواسع فإن كلمة « توراة » في فهم بعض العلماء، تعني الإيمان كما عرفه شعب إسرائيل واختبروه في حياتهم قديماً. وفي هذا الضوء يمكن أن نطلق على العهد القديم (الكتب المقدسة) الاسم «ناموس»، حتى أن كاتبي أسفار العهد الجديد أمكنهم اقتباس الكثير من النصوص الواردة في أسفار الأنبياء والمزامير (الكتوبيم) وأشاروا بالقول أنها من الناموس ومثال ذلك (يوحنا ١٠ : ٣٤، ١٥ :٢٥، رومية٣:١٩).

وسفر التثنية يقدم منهجاً للحياة في إطار العهد الذي هو شرط بركة الرب للشعب عندما يدخلون الأرض التي وعد أن يعطيها لهم. وإذا لم يسلك الشعب في هذا الطريق الذي رسمه لهم الرب، سيقع عليه العقاب واللعنة، وربما لا يمكثون طويلاً في الأرض .

وبالامتثال لهذه الوصايا والأحكام، سيحظى الشعب بكل نعم الرب المتفاضلة (تثنية ٥ : ٣٣، ٦ : ٣، قارن ٨ : ١، ١١ : ٢١، ١٢ : ٢٨، ٣٠ : ١٣ - ٢٠) .

والمجتمع الإسرائيلي يختلف تماماً في نظامه عن بقية المجتمعات الأخرى في العالم القديم، وخاصة في شرائعه وأحكامه. فلم يرد في كل العهد القديم أن الناموس أعطي بواسطة موسى كنظام للحكم، بالإضافة إلى أن نظام الحكم الملكي في إسرائيل جاء متأخراً كنظام بشري. لأن ناموس موسى لا ينظّم حكماً سياسياً. بل ينبر على علاقة الإنسان بخالقه (١٧ : ١٤ - ٢٠، قارن ١صم ٨، ١صم ١٢، هوشع ١٣ : ١٠، ١١). وكل ما ورد في الناموس بواسطة موسى جاء كإعلان عن إرادة الله لكل الشعب الذي أوجده في الحياة كأمة. وكان موسى وسيطاً وخادماً للعهد. ولم يكن عصر حكم داود وسليمان هو أسمى العصور التي عاشتها إسرائيل، بل أن عصر موسى -كما يرى بعض العلماء- يعد أفضل عصورها جميعاً .

إن سفر التثنية ينبر على وجوب أن تكون إسرائيل أمينة أمام إلهها (يهوه خلاصها). إذ ليس مثله بين الآلهة. وإسرائيل التي كانت تعيش وسط الشعوب الأجنبية الوثنية، وعباداتهم الباطلة، عليها أن تعيش أمينة أمام الرب «إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله، وليس آخر سواه» (تثنية ٤:٣٥) وإذا استرجع المرء تاريخ الكون بأسره، لا

يجد شعباً تحقق له ما تحقق لشعب إسرائيل. ولا يوجد إله إتخذ لنفسه شعباً خاصاً له كما فعل الرب يهوه بشعب إسرائيل (تثنية ٤ : ٣٢ - ٣٤، قارن الأعداد من ٦ - ٨) .

كما ينبر السفر بوضوح على النعمة والقوة، وغيرة الله التي يجب أن يقابلها من جانب إسرائيل، محبة وطاعة للرب إلهها. وترتكز حياة إسرائيل على سيادة الله على شعبه. إنه يهوه الذي أقام إسرائيل ودخل بها إلى أرض كنعان بعد أن أجرى مع الشعب آياته وعجائبه، بفضل محبته ونعمته، وليس عن استحقاق لإسرائيل (٤ : ١٥ - ٢٤).

ويؤكد سفر التثنية أن اختيار الله لإسرائيل، كان لهدف معين وخطة إلهية، وليس بسبب قوتها، عدداً أو عدة. ويهوه الله ليس مثل باقي الآلهة يختار العدد والقوة، بل يختار القلة الضعيفة. «ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إيَّاكم» (تث ٧ : ٦ - ١١). ولم يكن اختيار الله مبنياً على استحقاق الشعب (بر ذاتي)، بل على العكس تماماً « قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم » (٩:٢٤).

إن سر اختيار الله لهذا الشعب، أمر لا يدركه عقل إنسان. لأنه يرتكز على محبة الله ووعده للآباء قديماً وحفظه العهد معهم (٧ : ٨، ٩ : ٥). وهذا الوعد والعهد الذي قطعه أولاً مع فرد واحد وهو إبراهيم (تك ١٢ : ١ - ٩)، يقود إلى بركة إسرائيل كشعب وأمة، ووعد بامتلاك الأرض لهدف إلهي. ولم يكن اختيار الله للشعب في حد ذاته امتياز فقط، تفتخر به إسرائيل على باقي الشعوب، بل هو مسئولية عظمى لتدخل مع الرب في عهد فتكون أمة مقدسة تختلف عن بقية شعوب الأرض (٧ : ٦، ١٤ : ٢) .

إن الرب يهوه قاد شعبه وأعطاهم الأرض، لأن له كل الأرض. وعانى شعب إسرائيل كثيراً من الصعوبات والضيقات، في التيهان في البرية. ولم يكن معنى هذا بأن الله ضعيف أو غير قادر على إنقاذ شعبه وخلاصهم (٩ : ٢٨) بل كان التيهان أربعين سنة، بمثابة تأديب وتقويم. كآب يؤدب ابنه، حتى يتضع الشعب، ويختبر ويعرف « أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان» (تث ٨ : ٢ - ٥) .

بالإضافة إلى أن الشعب عاند كثيراً والرب عاقبه (أصحاح ٩، ١١)، وكان موسى يتوسط لدى الله حتى يرفع غضبه. وبسبب خطاياهم لم يتمكن موسى من دخول أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً (١ : ٣٧، ٣ : ٢٦، ٤ : ٢١، ٩ : ١٨ - ٢٠، ٢٥ - ٢٩، ١٠ : ١٠) .

ولم تكن لإسرائيل أية أحقية في امتلاك الأرض، بل هي عطية الله وميراث للأمة كلها. إلا أن السمة الغالبة لسفر التثنية، تتمثل في حفظ مجموعة من الشرائع والأحكام، والعمل بها في حربهم المقدسة (٢٠ : ١ - ٢٠، قارن ٢١ :١٠-١٤). ثم ما جاء في (٢٣:٩-١٤) عن تطهير المحلة، وعن المتزوجين حديثاً (٢٤ : ٥) ثم (٢٥ : ١٧ - ١٩) الخاص بالعمالقة .

من هذا كله تتضح أعمال الله وقوته وهدفه من اختياره لهذا الشعب في التاريخ .

وبدراسة ما جاء في الأصحاحات (٧، ٨، ٩ : ١ - ٦، ١١ : ١ - ٢١، ٣١ : ٣ - ٨) ندرك أن أول مطلب هو الإيمان، والتسليم الكامل بأن الرب يأتي بالنصرة الأكيدة، إذا أطاع الشعب الله طاعة كاملة، ولم يشك على الإطلاق في قدرة الله وفي ضعفهم الواضح. وبنقض العهد تحل اللعنة بدل البركة، ولا تعطي الأرض خيراتها، وتُخْلى الأرض من شعبها: (قارن ١٣ :٥، ١٧ :٧، ١٩ :١٠، ٢١ :٢٣، ٢٤ :٤).

ويُعد الأصحاح الخامس (قارن خروج ٢٠) ملخصاً لكل ما ورد في الشريعة. واهتمام السفر يتمثل في حياة

التكريس من جانب الشعب باختياره وليس بالأسلوب الإجباري. إنها علاقة المحبة النابعة من القلب نحو الله المحب (قارن ٦ : ٤، ٥). وهذه المحبة تنبع من الوفاء والامتنان لله والثقة فيه وحده (٦ : ٦ - ٩)، وبسرور ورضى (١٥ : ١ - ١٨). يتعاملون مع الفقير والضعيف بروح كريمة. وأن يذكروا دائماً أنهم كانوا عبيداً في مصر. وأن يحكموا بالعدل ولا يُحرِّفوا القضاء (تث ١٦:١٨-٢٠، ١٩: ١٥-٢١). وعلى نفس هذا النحو ترددت الشرائع العديدة التي تنظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان (أصحاح ٢٢ - ٢٥). مثل عدم الأخذ بنظام الثأر (١٩ : ١ - ١٣). وأن يحفظ الإنسان نفسه طاهراً (٢٢ : ١٣ - ٣٠).

إن محور تعاليم سفر التثنية ترتكز على عبادة الإنسان لإلهه من القلب، بالمحبة والولاء التام لله. المحبة من كل القلب والفكر والإرادة والقدرة، التي تخلق طاعة تامة للرب يهوه المخلص .

تجديد العهد

يستهل موسى النبي خطابه الهام للشعب بصيغة الأمر «اسمع يا إسرائيل » (٥ : ١)، ليشرح لهم الفرائض والأحكام التي هي تفسير وإعلان واضح لإيمانهم الذي يجب أن يتمسكوا به. كما تتضمن هذه الأحكام والشرائع الأخبار السارة ليهوه الرب وأعماله العظيمة بتحريرهم من كل ما كان يخيفهم ويرعبهم، حتى يأتي بهم إلى الأرض التي حلف لآبائهم أن يعطيهم .

فلم تكن رسالته موجهة إلى جيل عاش في الماضي السحيق، بل إلى جيل اليوم، إليهم أنفسهم حيث يقف الشعب أمام الرب وموسى متحدثاً إليهم بهذه الكلمات « الرب إلهنا قطع معنا عهداً في حوريب، ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء. وجهاً لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار. أنا كنت واقفاً بين الرب وبينكم في ذلك الوقت لكي أخبركم بكلام الرب » (تث ٥ : ٢ - ٥، قارن أيضاً ٢٩ : ١٠ - ١٥). إنه العهد الذي ضم كل أجيال إسرائيل. وعند تجديد هذا العهد، يصبح ماضي إسرائيل ماثلاً أمامهم في الحاضر. إذ لابد من إحياء الماضي، حتى يكون لهم مستقبلٌ في الأرض التي وعد بها الرب آباءهم .

إن الدعوة لتجديد العهد مرهون بحياة أو موت «انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر » (٣٠ : ١٥). « أشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة. فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك» (٣٠ : ١٩ - ٢٠). وقد تكرر صدى هذه الكلمات البالغة في رسالة يشوع إلى الشعب وقت تجديد العهد أيضاً في مدينة شكيم (يش ٢٤ : ١٥) .

رسالة المحبة

تتلخص الشريعة في عشر كلمات (قارن الأصحاح الخامس مع خروج ٢٠). وجوهر هذه الوصايا (العشر كلمات) ورد في (٦ : ٤ - ٥) «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » .

إن مسئولية إسرائيل الأولى أن يحب الرب بكل كيانه من كل القلب ومن كل النفس ومن كل القدرة .

ويرى أحد العلماء أن الاقتباس في العهد الجديد جاء مضافاً إليه العقل لكي يتضح المعنى المقصود بالقلب في العبرية. والمعروف أن الكلمة «نفس» في العبرية تترجم في اليونانية «روح» في غالبيتها، والتي تعني الشخص بجملته (الذات)، وهذا لا يعني اختلافاً في المعنى في رأي الكثيرين؛ القلب/ النفس/ القدرة. بل يقصد به محبة كاملة وولاء ثابتٌ غير متقلب، الذي هو الأساس الراسخ لجماعة العهد.

إن التنبير على المحبة هو الصفة المميزة لسفر التثنية. كما أن رسالة النبي هوشع تعد في نظر البعض من الباحثين

انعكاساً لتعاليم سفر التثنية التي تعكس بدورها قيمة ومعنى العهد الموسوي، متمثلة في مراحم الرب ومحبته الفضلى التي ظهرت في حياة الشعب في برية سيناء (تث ٦ : ٢٠ - ٢٣). إنه إنجيل الأخبار السارة لما أتمه الرب لشعب لا يستحق بتخليصه من العبودية (خروج ١ - ١٥). لكنها نعمة الله الرحيمة (قارن تث ٦ : ٢٠، ٢٥، ٧ : ٧ - ١١) .

لأجل ذلك يجب على أمة إسرائيل أن تحب الرب لأنه أحبها أولاً. والمحبة هي تكميل الناموس. تلك المحبة المصحوبة بالوقار والخضوع والطاعة، لأن الرب « إله غيور » ولا يتسامح عند سيرها وراء آلهة أخرى (تث ٦ : ١٠ - ١٥) ومحبة الرب مقدسة. تتحول إلى نار متقدة آكلة لغير الأمناء منهم في علاقة العهد هذا .

« لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخصَّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » (تث ٧ : ٦). ليس لأنهم أقوى أو أكثر عدداً من الآخرين، بل لأنه أحبهم وهم جماعة قليلة مستعبدة ومحتقرة في مصر (هوشع ١١ : ١). لذا لم يكن لإسرائيل أن تفتخر أو تفتكر أنه لسموها أو لبرها اختارها الرب، بل هي نعمة الله العظمى. التي اختارتها حسب قصده (٧ : ١٢ - ٢٦) .

ويستطرد موسى في خطابه لهم محذراً من السقوط في تجربة الاكتفاء الذاتي «لئلا تقول في قلبك قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة» (٨:١٧).

على إسرائيل أن تذكر قيادة الرب لها أربعين سنة في البرية «فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان » (٨:٣).

ويشير النبي هوشع بأن آلام البرية كانت للتلمذة حتى تكون إسرائيل متضعة وتتدرب على الولاء للرب إلهها مانح الحياة والوجود .

ومن التجارب التي يجب أن ينتبه إليها شعب إسرائيل هي تجربة الشعور بالبر الذاتي كشعب منتصر .

« لا تقل في قلبك ... لأجل بري أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض. ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك. ليس لأجل برك وعدالة قلبك ... بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب » (٩ : ٤ - ٦). وهنا يذكرهم موسى قائلاً : «قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم» (٩:٢٤) .

ألم تكن هذه وساطة موسى لدى الرب حتى لا يفني الشعب بحمو غضبه، ويتخذ الرب لنفسه شعباً آخر يكون أداته في التاريخ. إنها المحبة الإلهية الغافرة، بنعمته الوفيرة (٩:٦-١٠:١١).

على إسرائيل أن تصنع حقاً وعدلاً

وهنا يخاطب موسى الشعب بكلمات واضحة متسائلاً : « فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقي الرب إلهك (تخشي الرب إلهك) لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ... » (تث ١٠ : ١٢ - ٢٢). ولهذا يصل موسى النبي إلى الذروة في حديثه ذات الكلمات التي رددها النبي ميخا على تساؤله العام « وماذا يطلبه منك الرب ؟ » (ميخا ٦ : ٨). لذلك على إسرائيل أن تذكر دعوتها، وهي عبادة الرب في روح الطاعة الكاملة وفي خوف. لأن له السموات وسماء السموات والأرض، وكل ما فيها (تث ١٠ : ١٤)، وهو الذي أحبها أولاً .

وهنا يرى علماء الكتاب بأن تمسك إسرائيل بالرب والطاعة التامة له، يجب أن يكونا تجاوباً ذاتياً وشخصياً

لأعماله الرحيمة التي أتمها الرب لهم. لأنه هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة (عدد١٧) .

وطريق إسرائيل هو أن تنصف اليتيم والأرملة وتأوي الغريب وتعطيه طعاماً ولباساً ... « وتحبه كنفسك » ... «لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر » (١٠:١٨ - ١٩، ١٥ : ١ - ١٨، قارن لاويين ١٩ : ٣٣ - ٣٤). لأن الرب هو الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب. إنه المهتم بالضعيف والمحتقر ولا يأخذ بالوجوه ولا يحابي أحداً، ويقف الكل أمامه ولا فرق (قارن ١٦ : ١٨ - ٢٠). في هذا يتحدث أيضاً النبي عاموس بنعم الرب إليهم قائلاً : «ألستم لي كبني الكوشيين يا بيت إسرائيل يقول الرب. ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير» (عاموس٩ : ٧). لأن جميع الأمم صنعة يدي الرب، وعلى إسرائيل أن تعمل وفق شريعة فاديها الرب (يهوه) .

كما يجب على إسرائيل أن تدرك بأن مستقبلها يعتمد على كيفية تجاوبها مع إلهها (الأصحاح ١١، والأصحاح ٢٨). وأمام إسرائيل الخير والشر، الحياة والموت، البركة واللعنة. فإن أطاعت الرب إلهها وسارت أمامه بأمانة، فسوف تحل عليها البركة والخير والسعادة. وإن أدارت وجهها وسارت وراء آلهة أخرى غريبة سيحل عليها غضب الله، وتحيط بها الكوارث وتفنى من الأرض.

إن الهدف الأسمى من السفر هو حث الشعب على تجديد العهد أمام الرب يهوه، الذي يتطلب منها ولاءً وأمانة بتكريس النفس، وعبادة الرب من العقل والقلب وكل القدرة والقوة .

الباب الثالث

الأنبياء الأولون - الكتوبيم / الكتابات المقدسة - الأنبياء الآخرون

يشوع

دعي هذا السفر باسم يشوع الذي تولى قيادة شعب إسرائيل بعد موسى. وقد تضمن السفر مواداً كثيرة ، خاصة بقيادة يشوع للشعب إلى أرض الموعد ، كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً . وفي اللغة العبرية ورد سفر يشوع كأول أسفار الأنبياء. ومرجع ذلك كما يُعتقد، أن السفر يحمل رسالة نبوة تعليمية هامة من الله إلى الشعب .

أما في الترجمة السبعينية واللاتينية (الفولجاتا) والإنجليزية والعربية فقد ورد سفر يشوع بين الأسفار التاريخية. والاسم «يشوع» ورد في السبعينية كما في اليونانية بمعنى « يسوع » كما في العهد الجديد .

يبدأ السفر بدعوة الله وإرساليته ليشوع ، وينتهي بالكتابة عنه أيضاً . وهذا يذكرنا بالقول إن تاريخ العالم هو تاريخ رجاله العظماء . ويتحدث السفر عن قيادة يشوع لإسرائيل بإرشاد وتعضيد الله له . وهذا يرتبط بقصة دخول واستيطان شعب إسرائيل في كنعان .

أقسام ومشتملات السفر

يتحدث السفر عن امتلاك أرض الموعد

أولاً : دخول أرض الموعد (١:١-١٥:٥).

١- إرسالية يشوع (١ : ١ - ٩).

٢- دخول كنعان (١٠:١ - ١٥:٥).

أ- الإعداد أو التعبئة للدخول (١ : ١٠ - ١٨).

ب- إرسالية الجواسيس (١:٢-٢٤).

جـ- الإعداد للحرب المقدسة (١:٣-٤).

د- عبور الأردن (٣ : ١٤ - ١٨).

هـ- المكوث في الجلجال (٤ : ١٩ - ٥ : ١٢) .

و- رئيس جند الرب (٥ : ١٣ - ١٥) .

ثانيا : الاستيطان في كنعان (٦ : ١ - ١٢ : ٢٤) .

١- امتلاك أريحا وعاي (٦ : ١ - ٨ : ٣٥) .

٢- امتلاك أرض الجنوب بعد هزيمة أدوني بازق في المعركة (٩ : ١ - ١٠ : ٤٣) .

٣- امتلاك أرض الشمال (١١ : ١ - ٢٣) .

٤- قائمة الملوك الذين هزمهم يشوع (١٢ : ١ - ٢٤) .

ثالثا : تقسيم الأرض (١٣ : ١ - ٢٢ : ٣٤) .

١- وصية الرب ليشوع بتقسيم الأرض (١٣ : ١ - ١٤) .

٢- امتلاك الجزء الشرقي من الأردن بواسطة سبط رأوبين وجاد ونصف سبط منسى شرقاً كما أقره موسى (١٣ : ١٥ - ٣٣) .

٣- امتلاك الجزء الغربي من الأردن بواسطة كالب وسبط يهوذا وأفرايم ونصف سبط منسى غرباً وبنات صلفحاد كما أقر ذلك يشوع في الجلجال (١٤ : ١ - ١٧ : ١٨) .

٤- نصيب سبط بنيامين وشمعون وزبولون ويساكر وأشير ونفتالي ودان ويشوع (١٨ : ١ - ١٩ : ٥١) كما تقرر ذلك في شيلوه .

٥- مدن الملجأ (٢٠ : ١ - ٩) .

٦- مدن اللاويين (٢١ : ١ - ٤٥) .

٧- عودة الأسباط الشرقية (شرق الأردن) رأوبين وجاد ونصف سبط منسى ، وإقامة مذبح «عيد» ، مذبح شهادة بينهم وبين باقي الأسباط بأن الرب هو الله (٢٢ : ١ - ٣٤) .

رابعا : يشوع في أيامه الأخيرة (٢٣:١- ٢٤ : ٣٣).

١- يشوع في خطابه الوداعي يحث شيوخ إسرائيل على السلوك بأمانة أمام الرب إلههم (٢٣ : ١ - ١٦).

٢- تجديد العهد في شكيم (٢٤ : ١ - ٢٨) .

٣- موت يشوع ودفنه (٢٤ : ٢٩ - ٣١) .

٤- دفن عظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر (٢٤ : ٣٢، قارن تك ٥٠ :٥) .

٥- موت ألعازار بن هرون (٢٤ : ٣٣) .

يشوع القائد

جاء يشوع (الذي انفرد بشخصية قيادية) من بيت يوسف من سبط بنيامين وأليشمع جده الذي قاد سبط أفرايم عبر البرية (١أخ ٢٧:٧، عدد ١٠:١). وربما كسب الكثير من انتسابه إلى يوسف مثل روح المودة والاهتمام. واكتسابه الكثير أيضاً من الحضارة المصرية القديمة وثقافتها، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في قدرته القيادية كما حدث مع موسى.

ويُعتَقد أن يشوع وُلِد في مصر وشارك في تجربة خروج شعب إسرائيل من مصر (عدد ٣٢:١١-١٢). كما ذكر يشوع لشعب إسرائيل في خطابه الأخير لهم، كيف أن آباءهم عبدوا آلهة أخرى في مصر في قوله «فالآن اخشوا الرب وأعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة (الغريبة) الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر في مصر واعبدوا الرب» (يش ٢٤ : ١٤). ولا بد أن رفقته لموسى وحياته معه أكسبته العديد من الخبرات في سني الترحال والتيهان في سيناء (خر ١٣:٢٤، ١١:٣٣).

وظهر إيمان يشوع وتجلت شجاعته في التقرير الذي حمله إلى موسى مع كالب بن يفنة ، الذي كان مغايراً تماماً للتقرير الذي قدمه العشرة رجال الآخرون لباقي الأسباط بقوله «إن سُرَّ بنا الرب يدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً» (عدد ٨:١٤).

وظهرت بسالة يشوع أيضاً كقائد عسكري، عندما قاد شعب إسرائيل في صد هجوم عماليق في رفيديم وضربهم للمستضعفين منهم والكليل والمتعب، إذ لم يخف عماليق الرب الإله (تث ١٨:٢٥). كما أحرز يشوع نصراً ساحقاً

على عماليق أيضاً حيث استجاب الرب لصلاة موسى على رأس التَّلَّة (خروج ٨:١٧ - ١٠).

هذا هو الرجل يشوع الذي كان مقتدراً بطبيعته، وبالتدريب والاختبار أيضاً. إذ أقامه الرب ليقود شعب إسرائيل، إلى أرض كنعان أرض الموعد. وكفايته العظمى ومواهبه القيادية هي ثمرة نعمة الله وتعضيده له . وبناء على دعوة الله له، وضع كل مواهبه وقدراته بين يدي الله معينه.

وحياة يشوع تحكي مهمة جندي تسلح بسلاح الله الكامل الذي دعاه وعضده.

سفر يشوع وقانونية الكتب المقدسة

جاء ترتيب سفر يشوع في القانونية العبرية بعد الأسفار الخمسة الموسوية (التوراة). وفي مستهل أسفار الأنبياء الأولين. وفي الكنيسة القديمة ورد ما يطلق عليه بالأسفار الثمانية، والأسفار السبعة. وفي بعض القوائم اليونانية الأسفار المقدسة أطلق على الأسفار من تكوين إلى راعوث بمجموعة الأسفار الثمانية. وجاء في بعض القوائم اللاتينية للأسفار المقدسة ما يطلق عليه من تكوين إلى قضاة بالأسفار السبعة.

ويعد ألكسندر قادس A. Geddes أول من نادى بفكرة ضم سفر يشوع إلى الأسفار الموسوية الخمسة (التوراة). وأطلق عليها الأسفار الستة . وتبعه في ذلك علماء آخرون في عصره ، الأمر الذي رفضه علماء كثيرون لما يلي:

١- لا يوجد دليل تاريخي يشجع على الأخذ بفكرة أن الأسفار الخمسة (التوراة) وسفر يشوع تمثل مجموعة واحدة، يطلق عليها بالأسفار الستة. ومن الجانب الآخر نجد يشوع بن سيراخ يفرق بين الناموس والأنبياء (٤٨:٢٢-٤٩: ١٢). كما أن يوسيفوس Josephus المؤرخ الشهير، يشير إلى أسفار موسى الخمسة كوحدة متميزة عما تلاها من الأسفار. بالإضافة إلى أن رب المجد يسوع المسيح أخذ بهذا التقسيم وأقره : توراة - أنبياء - مزامير (كتوبيم) (لوقا ٢٤:٢٧، ٤٤).

٢- لا يوجد تفسير لعدم أخذ السامريين بسفر يشوع ضمن الأسفار التي آمنوا بتعاليمها ، وهي أسفار موسى الخمسة (التوراة)، خاصة وأن سفر يشوع وردت به بعض النصوص التي تتفق وأفكار السامريين ، التي تبعث فيهم روح الابتهاج والفخر. تلك الكلمات التي جاءت عن مدينة شكيم والتي تقع في مقاطعتهم (مملكة الشمال وعاصمتها السامرة) (راجع يشوع ٢٤: ١، ٣٢).

وخلاصة القول فإن سفر يشوع هو أول أسفار الأنبياء الأولين ، ولا يمكن أن يخضع لنظرية المصادر (السالفة الذكر) في كتابته كما سنرى فيما بعد .

الكاتب وأصالة السفر

عند دراسة سفر يشوع يجب مراعاة حقيقة هامة، وهي مكانة سفر يشوع في القانونية العبرية للأسفار المقدسة . فسفر يشوع تمتد أصوله إلى وعد الله لإبراهيم، وإتمام الوعد هو في الاستيطان بأرض كنعان . لهذا يعد سفر يشوع قمة الأحداث التاريخية السابقة له، بل ذروتها كما يرى أحدهم .

على أن العلماء النقديين يحسبون سفر يشوع امتداداً للأسفار الخمسة (التوراة) التي يطلقون عليها التعبير «الأسفار الستة Hexateuch». وعليه فإن نظرية المصادرتنطبق أيضاً على سفر يشوع، كما على الأسفار الخمسة الموسوية . ونسب العلماء النقديون الأصحاحات (١-١٢) من سفر يشوع إلى المصادر (J,E,D) وينسبون الجزء الأخير من (١٣-٢٤) إلى المصدر (P) والذي يقدم وصفاً شاملاً لأسباط إسرائيل ونظم حياتهم.

ورفض العلماء المحافظون هذا الرأي الذي لا يشكل أكثر من كونه أفكاراً نظرية ينقصها الدليل العلمي، وحجتهم

القوية تتمثل في التقسيم العبري الذي يضع سفر يشوع بين أسفار الأنبياء وكأول الأسفار النبوية (الأنبياء الأولون).

ويرى علماء آخرون أن سفر يشوع يتطلع إلى الأمام، بمعنى أن الاستيطان في كنعان لا يمثل غاية أو نهاية في حد ذاته، بل يُعد بداية تاريخ شعب إسرائيل، في وطنها القومي. وهذا الرأي يعكس نظرية خاصة، وهي أن السفر يمثل جزءاً من وحدة تاريخية، تمتد من وقت يشوع (بعد موسى) إلى زمن السبي البابلي.

ويرى مارتن نوت M.Noth سفر يشوع هو محصلة كتابات تثنوية من المصدر (D) التي ظهرت زمن ما بعد السبي، بالإضافة إلى أنه لا يأخذ بالتقسيم العبري، فلا يفرق بين أسفار التوراة وأسفار الأنبياء. ويعتقد نوت أن سفر يشوع وسفر التثنية أخذا من مصدر واحد. الأمر الذي رفضه العلماء الكتابيون، لأن مارتن نوت تجاهل تماماً الصياغة الأساسية لأسلوب كتابة سفر التثنية، الذي تمتد جذوره التاريخية إلى زمن قديم جداً. كما يتجاهل التشابه الرائع مع معاهدات الشرق الأدنى القديم والعهود التي قطعت زمن الألف الثانية ق.م .

هذه الحقائق تؤكد التاريخ المبكر لسفر التثنية ، وبدحض بالكامل رأي نوت الذي أرجع بنظريته سفر التثنية إلى زمن القرن السادس ق.م. (ولدراسة أنماط العهد راجع يش ٨: ٣٠-٣٥، وأصحاحي ٢٣، ٢٤).

قد جاء في التقليد اليهودي أن يشوع هو الكاتب للسفر، رغم عدم ورود أية إشارة في الكتاب المقدس بذلك . وفيما يلي بعض الحقائق التي هي بمثابة تأكيد نسب السفر إلى يشوع أو إلى عصر قريب منه:

أ- الكلمات الواردة في (يش ٥:١) «وعندما سمع جميع الملوك... عبر الأردن أن الرب قد يبَّس مياه الأردن من أمام بني إسرائيل حتى عبرنا ، ذابت قلوبهم ولم تبق فيهم روح بعد». (هذه الكلمات تؤكد أن كاتبها هو شاهد عيان للأحداث المتضمنة). بالإضافة إلى الكلمات الواردة في (٦:٥) «التي حلف الرب لآبائهم أن يعطينا إياها، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً».

كما أن التعبير «إلى هذا اليوم»، والذي تردد كثيراً، يعطي تاريخاً مبكراً للسفر كما يرى أحد العلماء (قارن ٦ : ٢٥) «واستحيى يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها، وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم» (أي إلى يوم كتابة السفر).

ب- جاء عن اليبوسيين في (١٥ : ٦٣) وعن اقامتهم مع بني يهوذا في أورشليم : « وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم ، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم». وهذا تأكيد لكتابة السفر في زمن ما قبل داود بكثير ، الذي جاء عنه بأنه اقتحم مدينة اليبوسيين ، الذين أظهروا تحديهم لداود. وأخذ منهم داود مدينتهم (يبوس) التي هي حصن صهيون (مدينة أورشليم فيما بعد) (قارن ٢صم ٥:٦-١٠). كما جاء عن مدينة جازر في (يش ١٦:١٠) بأن الكنعانيين سكنوا مع بني أفرايم إلى هذا اليوم (أي إلى يوم كتابة السفر)، على خلاف ما جاء عن جازر في أيام سليمان ملك إسرائيل. (قارن ١مل ٩ : ١٦).

جـ- من الدلائل الكثيرة التي تبرهن على التاريخ المبكر لكتابة السفر، الإشارات العديدة عن صيدون العظيمة (١١ : ٨ ، ١٩ : ٢٨) المتاخمة لصور (قارن ١٣ : ٤ - ٦) وهذه إشارة واضحة لتاريخ ما قبل القرن ١٢ ق.م حينما صارت صور مدينة فينيقية حصينة بدلاً من صيدون . واستخدام الحجارة كتذكار لعبور الأردن ، وأحداث عاخان بن كرمي ، وعاي ومدن أخرى ، تعبر عن أحداث هامة مبكرة وبرهان علي زمن مبكر في تاريخ إسرائيل كما يرى الكثيرون .

ولم يكن للفلسطينيين خطر أو تاريخ يذكر بالنسبة للإسرائيليين حتى عام ١٢٠٠ ق.م. طبقاً للسجلات التاريخية المصرية . إنهم العناقيون وليس الفلسطينيون كما ورد في (١١ : ٢٢) ، الذين سكنوا المدن غزة وجَتٌ وأشدود ، التي صارت فيما بعد مدناً فلسطينية . بالإضافة إلى أن قائمة السكان الواردة في (يشوع ١٢ : ٥ - ٦) لم تتضمن الفلسطينين .

توجد إشارات أخرى كثيرة في نفس الوقت تفيد بأن تاريخ السفر يقع بعد زمن يشوع ، والإشارة الواضحة والأكيدة هي الكلمات الواردة عن موته في (٢٤: ٢٩ ، ٣٠) . كما توجد إشارات عديدة تتعلق بأحداث وقعت بعد يشوع مثل دخول حبرون بواسطة كالب (يش ١٥ : ١٣ ، ١٤ ، قارن قضاة ١ : ١٠ ، ٢٠) .

وهنا يرى بعض العلماء أن العبارة : « بعد موت يشوع » الواردة في (قضاة ١ : ١) تختص بالآيات الواردة من (١ - ٩ ، ١٦ - ١٩) . أما عن باقي الأصحاح وهو الجزء من (١ : ١٠ - ١٥ ، ٢٠) لا يعرف تاريخه بالتحديد ، وربما يرجع تاريخه إلى زمن يشوع كما يرى كتشن K.A.Kitchen.

والجدير بالإشارة أنه بينما لا يوجد ما يدل بالتحديد علي شخصية الكاتب، وزمن كتابة السفر فإن الرأي المؤكد ، أن المصادر التي أخذت منها مواد السفر كانت معاصرة للأحداث الواردة بالسفر . لذلك ظهر السفر بشكله النهائي في زمن مبكر. كما أن علماء معاصرين قد أولوا اهتماماً كبيراً وقيمة عظمى تاريخية بمواد سفر يشوع أكثر من ذي قبل، وتبرهن أبحاث علم الآثار والحفريات علي صحة ما جاء في سفر يشوع. وقد جاءت هذه الأبحاث مؤكدة تدمير المدن الكثيرة في كنعان في النصف الأخير من القرن ١٣ ق.م ، وهو تاريخ استيطان إسرائيل أرض كنعان. ومن هذه المدن بيت إيل (بيتين حديثاً)، ولاخيش (تل الدوير حديثاً)، وعجلون (تل الحسي حديثاً)، وحاصور (تل الدادة حديثا) .

هذه الحفريات جميعها تبرهن على صدق الحقائق الكتابية والفتوحات التي قام بها يشوع في أرض كنعان في هذه المناطق . وهناك أبحاث في علم الآثار عن قوائم المدن التاريخية وتخومها ، الواردة في يشوع أصحاح (١٣ - ٢١)، والتي يرجع تاريخها إلى زمن مبكر جداً ، مما يثبت عكس ما قال به ڤيلهوزن وأتباعه . ويرى ألبريت W.F.Albright أن قائمة المدن اللاوية (مدن سبط لاوي) هي أهم ما ورد عن المدن التاريخية في سفر يشوع (يش ٢١ ، قارن ١أخ الأصحاح السادس) ، والتي يرى ڤيلهوزن أنها سطرت بواسطة كاتب تمتع بخيال واسع زمن ما بعد السبي ، وتبعه في ذلك علماء نقديون آخرون . وبالدراسة التحليلية المدققة عن هذه المدن في ضوء الحقائق التاريخية التي يثبتها علم الآثار ، توصل العلماء إلى أن هذه المدن يرجع تاريخها إلى زمن قديم جداً . ويرى ألبريت Albright بأنه لم تؤسس مدينة واحدة من هذه المدن بعد عام ٩٥٠ ق.م .

أما عن فترة ما بعد عام ٩٧٥ ق.م ، فتحسب فترة توسع لهذه المدن التي تأسست قبل استيطان إسرائيل بها بفترة زمنية طويلة . ويتفق العالم والباحث أ. رايت G.E.Wright وآخرون مع وليم ألبرايت في ذلك . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك ومنهم وايزمان Donald J.Wiseman ، الذي يرى بأن حقائق الكتب المقدسة لا تعتمد على دعم أبحاث علماء الآثار، بل هي مؤسسة على الله نفسه وليس علي العلوم البشرية مهما كانت قيمتها أو أهميتها.

رسالة السفر التعليمية

يوضح كاتب السفر أن دخول كنعان والاستيطان فيها، هو عمل الله ومسئولية الإنسان في ذات الوقت . بمعنى أن عبادة الشعب لله ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكان عبادته في أرض الموعد (أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً). وامتلاك هذه الأرض مرتبط بالأمانة لله .

كما أن السلوك القويم لشعب إسرائيل الأخلاقي إنما يعكس صدى محبة الله ومراحمه. كما أوضح الكاتب الفكرة

البدائية البسيطة أن الجماعة تحمل من إثم الفرد ، وذلك للتنقية والتطهير (قارن أصحاح٧، ١٨:٢٢). والأصحاحات (١٣-٢١) التي تتحدث عن الإيمان والثقة في مراحم الله إلى النهاية. فقط على إسرائيل أن تختار عبادة الرب (يهوه) والسير أمامه بأمانة وشركة قوية معه (١٥:٢٤). ولا يكتفي الكاتب بتحذير يشوع للشعب وإنذاره لهم في أصحاح (٢٣). بل يُظهر تأكيد الشعب وإصراره على عبادة الرب (يهوه) مخلّصهم وفاديهم من كل ضيقة (٢٤ : ٢٤). والكلمات الختامية للسفر تبرز أمانة إسرائيل وامتلاكها للأرض ، كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ ، الذين طالت أيامهم بعد يشوع، والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل (٢٤: ٣٠-٣٣).

ويتساءل المرء في حيرة عند قراءته للحروب بين إسرائيل والشعوب الوثنية المجاورة لها في ذلك الوقت . هل يأمر الله الإسرائيليين بقتل الشعوب الوثنية المجاورة لها ؟ وكيف يتعقل المرء ذلك ؟ ويجيب بعض العلماء من قراءة الأسفار المقدسة بنعم . إن الله أمر بذلك للتطهير والتنقية . فقد استخدم الله إسرائيل كأداة عقاب لهذه الأمم الوثنية. كما أن الرب الإله عاقب سدوم وعمورة أيام إبراهيم بالكبريت والنار الذي أمطره على الشعب من السماء دون أن يستخدم الوسائل البشرية (تك ١٩ : ٢٤). وبالمثل عاقب الرب الإله شعب إسرائيل لعناده وقساوة قلبه وافتكاره أنه سيد الشعوب ، وهو الشعب الذي اختاره الرب لذاته دون سائر الشعوب ، فعاقبهم الرب بواسطة الشعوب الوثنية، التي كانت أداة غضب الله على إسرائيل ، وذلك بواسطة أشور وبابل ، وبقاء إسرائيل هناك في السبي سبعين عاماً (إرميا ٢٣ - ٢٥).

وتكمن القيمة الحقيقية للسفر فيما يخبرنا به عن الله، وأمانته وإحسانه، ويلقي الضوء الكاشف عن طبيعة يهوه إله إسرائيل. وأنه هو الإله الأمين الحافظ العهد في إتمام وعده بامتلاك الأرض. فمنذ أمد بعيد وعد الله الشعب بالأرض التي تفيض لبناً وعسلاً (تك ٧:١٥، ١٨-٢١، ٢:٢٦-٨، ١٣:٢٨، ١٤). ويبدأ واضحاً أن هذا سوف لا يتم لعدم أمانة الإنسان وعدم طاعته لله. لكن خطة الله تحققت بتعضيده ليشوع عبده. (٩:١). وحفظ يشوع شريعة الرب المعطاة بواسطة موسى (٧:١، ٨). كما تلقى يشوع عوناً من رئيس جند الرب (١٤:٥، ١٥).

فقد ظهرت قداسة الله في عقابه للشعوب الوثنية المعاندة، وكانت إسرائيل أداة عقابه لهذه الشعوب (راجع ٦ : ١٧ ، ١٠:٤٠، ١١:٢٠، ٢٣:٣، قارن لاويين ٢٤:١٨، ٢٥). لذا تحتم أن تكون إسرائيل مقدسة لأن الله قدوس. لذلك انكسرت إسرائيل بسبب الحرام الذي في وسطها (يشوع ١١:٧، ٢٥-٢٨، قارن ٥:٣، ١١:٧-١٣، ٢٣ : ١٢، ١٣، ١٦، ١٩:٢٤، ٢٠).

ويُعنى بالاسم يشوع «الرب الخلاص». وسفر يشوع في رأي بعض الباحثين إتمام للوعد الذي حققه الرب للشعب. فسفر الخروج يوضح خلاص الرب للشعب من العبودية والذل. ويشوع يسترسل في كتابة السفر عن الخلاص المصحوب بانتصار على الأعداء وامتلاك أرض الموعد مع الراحة. وفي هذا يقول يشوع «فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم، بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم» (يشوع ٢١ : ٤٣ - ٤٤).

وفي هذا يحذر كاتب الرسالة إلى العبرانيين في رسالته قائلاً : «فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه قد خاب منه» (عب ٤ : ١، قارن مع عب ٣ : ١٨ - ١٩). الارتباط الوثيق بين الخلاص من العبودية ومنح الأرض كثمر للنعمة الإلهية وليس عن استحقاق.

يرتبط الخروج من أرض مصر بدخول أرض الموعد كما وضح ذلك من سفر التثنية: «إذا سألك ابنك قائلاً ما هذه الشرائع والأحكام؟ تقول لابنك، كنا عبيداً لفرعون في مصر فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة. وصنع الرب آيات وعجائب عظيمة ورديئة بمصر، بفرعون وجميع بيته أمام أعيننا. وأخرجنا من هناك لكي يأتي بنا ويعطينا الأرض

التي حلف لآبائنا، فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض ونتقي الرب إلهنا ليكون لنا خير كل الأيام ويستبقينا كما في هذا اليوم » (تث ٦: ٢٠ -٢٤). «أخرجنا الرب.. ليدخلنا أرضاً تفيض لبناً وعسلاً » (راجع تثنية ٨ : ٧ - ١٠، ٢٦: ٥ - ٩).

لم تكن الأرض ملكاً يفتخر بها الشعب، لكنها عطية وهبها الرب لهم ليتقبلها الشعب بتواضع وعرفان، وليخشوا الرب ويعبدونه بأمانة وبكمال، واستقامة عقل وقلب (يش ٢٤: ١٢ب-١٤).

لا بسيفك ولا بقوسك، بل كان الرب هو المحارب . وكما يطلق عليها البعض «حروب الرب». إنه الرب المتقدم فيها لجماعة ضئيلة وضعيفة غير متمرسة حتى تنجح في حربها وتتقدم منتصرة على أعدائها . فقط عليها أن تتقدس للرب مكرسة كل ما لديها (يش ٣: ٥-٦، قارن يشوع الأصحاح السادس والخاص بسقوط أريحا المدينة الحصينة بأسوارها المنيعة) ... «لأن الرب قد أعطاكم المدينة» (٦: ١٦).

إن أهم التدريبات المطلوبة للاشتراك في حروب الرب، أي الحروب المقدسة ، هو تكريس وتقديس الكل: الأشخاص، العتاد والمدن . وقصة عخان بن كرمي بن زارح خير مثال على ذلك. فرغم الانتصار الساحق على المدينة العظيمة أريحا إنكسر الشعب أمام المدينة الصغيرة المستضعفة عاي (راجع يشوع ٧ مع ٨). إن كل ما يُقدَّس هو للرب وليس للإستخدام العام (قارن عدد ٢١: ١-٣، يش٢: ١٠، ٦: ١٧، ٨: ٢٤-٢٩، يش١٠: ٢٨-٤٣ مع تث ٢٠: ١٦-١٨، قض ٦-٧، ١صم ١٥).

في هذه الحروب المقدسة (حروب الرب) لم يتمكن الكنعانيون من الثبوت أمام شعب غير مدرب على الحرب، أعزل من كل أسلحة متقدمة وعتاد كاف. إذ أن الكنعانيين لم يكونوا قد عرفوا الرب (يهوه) إله إسرائيل .

أسوار أريحا

يرى بعض النقديين من العلماء أن أسوار أريحا سقطت قبل دخول يشوع لها بفترة زمنية بعيدة تصل إلى ثلاثة قرون، ووجدها يشوع ساقطة، وكانت خربة لفترة طويلة وخالية من السكان .

وفي عام ١٩٥٢م قامت كاثلين كنيون Kathleen M. Kenyon ؛ وهي عالمة في الآثار القديمة ، التي بدأت نشاطها على رابية مرتفعة في منطقة أريحا . وبعد خمس سنوات من البحث والعمل المتواصل ، أكدت بأن أسوار تلك المدينة قد تهدمت وسقطت في القرن السادس عشر ق.م[1]. ويعود عمق هذه الهضبة إلى العصر الحجري الحديث ، بمعنى أنها تعود إلى زمن ما قبل التاريخ. أي أن هذه الحفريات تعود إلى ثلاث مئة عام قبل عصر موسى .

وقام علماء آثار آخرون بمصاحبة ك. كنيون بدراسة حفائر في جانب آخر في الطبقات العليا من هذه المنطقة ، والتي لم تكن قد تأثرت كثيراً بعوامل التعرية. واكتشفوا أن هذه الحفائر يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر ، أي زمن يشوع بن نون . بمعنى أن مدينة أريحا شيدت مرة أخرى على الأطلال والردم القديمة ، وبنيت الأسوار التي سقطت أيام يشوع بن نون.

راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة

(عب ١١: ٣١، يع٢: ٢٥) لقد تبررت راحاب ولم تهلك مع العصاة بل حصلت على نجاتها بالإيمان بإله هذين الجاسوسين، وبعبارة أخرى المستكشفين للأرض «رجلا الاستطلاع». وتمثل إيمان راحاب في كلماتها لهما : «علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض» وآمنت بهذا (يشوع ٢: ٩). لقد آمنت بالرب الذي سمعت عنه. «لأننا قد سمعنا كيف يبَّس

(1) Kathleen M.Kenyon, Digging up Jericho, Thomas D.Winton,ed., Archaeology and O.T. study, Jericho 164-175

الرب مياه بحر سُوف قدامكم عند خروجكم من مصر ... (عدد ١٠). سمعنا فذابت قلوبنا... (عدد ١١)... لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت ...». إنه إيمان بالإله الحي خالق السموات والأرض صانع الآيات والعجائب.

المثول في شكيم أمام الرب

تقع مدينة شكيم بالقرب من قبر يوسف (يش ٢٤:٣٢) وبئر يعقوب (يوحنا ٤:٦). وهي مدينة كنعانية هامة تقع بجانب جبل جرزيم وجبل عيبال. وقد أوضحت الحفريات التي قام بها علماء أمريكيون في الآثار بقيادة إرنست رايت G.E.Wright أن مدينة شكيم كانت تمثل قلعة حصينة لإمبراطورية الهكسوس. ويعتقد أنه في منتصف الألف الثانية ق.م استرد المصريون المدينة من الهكسوس بعد أن طردهم أحمس الأول، الذي امتدت فتوحاته إلى فلسطين.

ولم تكن شكيم موقعاً حصيناً فحسب، بل كانت مركزاً دينياً حيث شيد بها المعبد العظيم الذي أطلق عليه بعل بريت (رب العهد) (قارن قض ٩:٤). ويمكن للزائر كما يذكر أ.رايت، أن يرى أساسات هذا المعبد القديم الذي يعد من أكبر المعابد (زمن ما قبل الإمبراطورية الرومانية) التي اكتشفها علماء الآثار في فلسطين، والذي كان يعد صرحاً معمارياً فخماً في العصور القديمة.

وجاء في الأصحاح الرابع والعشرين من السفر، أن يشوع دعا الشعب أمام الله في مدينة شكيم (٢٤:١). كما دعا شيوخ إسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم. وقال يشوع لجميع الشعب وهو يسرد على مسامعهم التاريخ الإسرائيلي المقدس بدءاً من الآباء الأولين إلى وقت إتمام الحدث العظيم وهو خروجهم من أرض مصر وعبورهم نهر الأردن والاستيطان في أرض الموعد عبر الأردن (٢٤:٢-١٣).

ووضع يشوع أمام الشعب تحدياً واضحاً بأن يقرروا إما أن يخدموا الرب ويعبدوه بأمانة وإخلاص، أو يعبدوا الآلهة التي عبدها آباؤهم الذين في عبر النهر (الفرات) مخاطباً إياهم «وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم. وأما أنا وبيتي فنعبد الرب» (٢٤:١٤-١٥). وأكد الشعب إيمانه بالرب الذي افتداه من العبودية والذل والهوان وأعلنوا التمسك به (١٦-١٨). وهنا حذرهم يشوع بأن الرب إله قدوس وغيور، لا يقدرون أن يعبدوه. حتى يؤكدوا عزمهم بعبادة الرب (يهوه) «إذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة، يرجع ويفنيكم بعد أن أحسن إليكم». فقال الشعب ليشوع لا. بل الرب نعبد (عدد ٢١). وعليه خاطبهم يشوع بأن ينزعوا الآلهة الغريبة، وأن يحفظوا شريعته ويعملوا بها. ثم أقاموا حجر تذكار. حجر شهادة على هذا العهد وصرفهم يشوع بسلام (٢٢-٢٨).

ويرى بعض العلماء أن هذا العهد تأكيد لعهد سيناء الذي كان ختماً لأعمال الله الجيدة لشعبه. كما أن تجديد هذا العهد كان مهماً وضرورياً بمناسبة دخول هذا الشعب أرض الموعد (وفي قمة انتصارهم، ربما كانوا يُجَرِّبون بعبادة الآلهة الكنعانية الغريبة). وكان العهد بالنسبة للشعب أمراً مُلحاً وتحدياً لهم بأن يقرروا وبوضوح تمسكهم بالرب إلههم، الذي اختبروه وعرفوه في كل الآيات والعجائب التي أتمها لهم «الرب إلهنا نعبد ولصوته نسمع» (عدد ٢٤).

القضاة

يصف سفر القضاة تاريخ الفترة ما بين موت يشوع وظهور صموئيل النبي والقاضي والكاهن. وعنوان السفر «قضاة» من التسمية العبرية «قضاة أو حكام» الذين قادوا شعب إسرائيل في تلك الفترة، لإجراء الحق والعدل بين الشعب. والقاضي مثله مثل النبي، مدعو من الله. لمواجهة أزمة قومية. ليكون سبب نجاة وخلاص للشعب من ضيقاته. ومن أجل ذلك لم يكن عمل القاضي أمراً وراثياً، بل بدعوة وتخصيص من الرب (يهوه) نفسه. وجاءت هذه التسمية أيضاً في التلمود Baba Bathra 14b كما في الترجمة السبعينية والفولجاتا والإنجليزية والعربية .

إن الكلمة «قاض» في العبرية تعني «حاكم» (إش ٣٣:٢٢)، وتعني أيضاً «منقذ أو مخلّص» (قض ٢:١٦، قارن ٤:٤-٥، ١٠:١-٥). وكان صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل ووسيط عهد أيضاً (١صم ٧:١٥-١٧).

كانت وظيفة القاضي كوظيفة الكاهن والنبي تتم بتعيين من الله وليست وراثية كما سلفت الإشارة، بل حسب اختيار روح الرب . ولهذا دعي القضاة قادة مؤهلين للقيام بمهامهم بفضل من دعاهم وأهلهم بقوته الإلهية . لذا نقرأ مثلاً أن روح الرب لبس جدعون أو امتلكه بقوة (قارن ٦:٣٤ -٣٥). وعن شمشون نقرأ « فحل عليه روح الرب» (قض ١٤:٦). بالإضافة إلى ما ورد عن دبورة (نبية وقاضية) وهي القائد الملهم التي دعت أسباط إسرائيل إلى العمل العسكري ضد الكنعانيين باسم الرب (قضاة ٤-٥).

وجاء بالسفر بأن الرب هو القاضي الأعظم للأرض بين الإسرائيليين وبني عمون (قضاة ١١ : ٢٧) .

وفي ست مناسبات، وُصف القضاة كمنقذين للشعب بوحي من الله (قض٢:١٦- ١٨). وثماني قضاة ذكر أنهم قضوا لإسرائيل ؛ بمعنى خلّصوا إسرائيل من الأعداء عن طريق الحرب، وهم عثنيئيل (٣:١٠)، وتولع بن فواة (١٠: ٢)، ويائير الجلعادي (١٠:٣)، ويفتاح (١٢:٧) وإيلون الزبولوني (١٢:١١)، وعبدون بن هليل الفرعتوني (١٢:١٣-١٤)، وشمشون (١٥:٢٠، ١٦:٣١). كما وصفت دبورة بأنها قاضية منصفة (٤: ٤-٥).

والقضاة سواء كانوا قضاة محليين، أو قضاة قوميين، ظهروا كأبطال تمتعوا بمواهب روحية وقيادية لخلاص الشعب. واستمروا في حكمهم بعد نهاية الحروب. وفكرة القاضي تشبه إلى حد بعيد المناصب القيادية في الشرق الأدنى القديم، ومناطق البحر المتوسط . بالإضافة لاحتياج الشعب إلى من يقوده ويسوسه، مثلما بدا ذلك أيام موسى (خروج ١٨:٢١-٢٣، تث ١:٩-١١). والحاجة إلى التدريب والتخطيط لمستقبل أفضل بعد دخول كنعان أرض الموعد، والاستيطان بها، واختيار قضاة لنشر العدل والحق بين الشعب (تثنية١٦:١٨).

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : كنعان بعد موت يشوع (١:١- ٢:٥).

١- دخول إسرائيل الجزء الجنوبي والإستيلاء على بيت إيل (١ : ١ - ٢٦) .

٢- المدن التي لم يدخلها إسرائيل (١ : ٢٧ - ٣٦).

٣- ملاك الرب في بوكيم (٢ : ١ - ٥) .

ثانياً : قضاة إسرائيل (٢ : ٦ - ١٦ : ٣١) .

١- الحالة الدينية لتلك الفترة (٢ : ٦ - ٣ : ٦) .

٢- أزمنة الضيق (٣ : ٧ - ١٦ : ٣١) .

أ- مضايقة كوشان رشعتايم ملك أرام وخلاص الرب للشعب على يد عثنيئيل بن قناز (٣ : ٧ - ١١) .

ب- مضايقة عجلون ملك موآب للشعب وخلاص الرب لهم على يد إهود بن جيرا البنياميني (٣:١٢-٣٠).

جـ- أعمال شمجر بن عناة لخلاص الشعب (٣:٣١).

د- مضايقة يابين ملك كنعان وخلاص الرب للشعب على يد دبورة وباراق (٤ : ١ - ٢٤) .

هـ- ترنيمة دبورة وباراق (٥ : ١ - ٣١).

و- مضايقة المديانيين وخلاص الرب على يد جدعون (٥ : ٣١ - ٨ : ٣٢).

(١) مضايقة المديانيين (٥ : ٣١ب - ٦ : ٦) .

(٢) كلمات النبي للشعب (٦ : ٧ - ١٠) .

(٣) ملاك الرب يفتقد جدعون (٦ : ١١ - ٢٤) .

(٤) جدعون وإعداده لمحاربة المديانيين وانتصاره عليهم (٦:٢٥-٧:٢٥).

(٥) انتصار جدعون على زَبَحَ وصَلْمُنَّاع (٨ :١-٢١).

(٦) جدعون قاضياً لكل إسرائيل (٨ :٢٢-٣٢).

ز- قصة أبيمالك (٨:٣٣-٩:٥٧).

ح- تولع ويائير (قضاة صغار) (١٠:١-٥).

ط- مضايقة العمونيين وخلاص الرب على يد يفتاح (١٠:٦-١٢:٧).

ي- إبصان، إيلون، عبدون (قضاة صغار) (١٢:٨-١٥).

ك- مضايقة الفلسطينيين وأعمال شمشون البطولية (١٣:١-١٦:٣١).

(١) ولادة شمشون (١٣:١-٢٥).

(٢) حفل زواجه (١٤:١-٢٠).

(٣) أعماله البطولية مع الفلسطينيين (١٥:١-١٦:٣١).

ثالثاً : أعمال غير شرعية خلال عصر القضاة (١٧:١-٢١:٢٥).

١- عبادة ميخا للوثنية وتغرب الدانيين في الأرض (سبط دان) (١٧:١- ١٨:٣١).

٢- جريمة بني بلعال في جبعة التي لبنيامين ومحاربة إسرائيل للبنياميين (١٩:١-٢١:٢٥) .

انتصار دبورة وباراق في مجدو

جاء عن هذه المعركة في الأصحاحين الرابع والخامس من السفر. ففي الأصحاح الرابع نقرأ عن انتصار دبورة وباراق على سيسرا قائد جيش يابين ملك كنعان بأسلوب النثر. وفي الأصحاح الخامس نقرأ عن ترنيمة دبورة التي تغنت بها بأسلوب الشعر، والتي تعد أقدم النصوص المكتوبة بأسلوب الشعر في العهد القديم كما يرى العلماء . وفي ذات الوقت تعد أغنية دبورة شهادة تاريخية هامة لتعضيد الرب والوقوف إلى جانب شعبه لأن كاتبها كان شاهد عيان

للأحداث بل مشاركا فيها. وبالدراسة المدققة والبحث في مجدو بات واضحاً تأريخ المعركة وأغنية الانتصار بأواخر القرن الثاني عشر أي عام ١١٢٥ ق.م . وجاء التعبير عن الانتصار بأسلوب الشعر أكثر بلاغة من النثر. ويحس المرء أن الكاتب عاش الأحداث وليس مجرد كاتب للتاريخ . وتمثل الانتصار الرائع لياعيل القيني على سيسرا قائد جيوش كنعان في (قض ٤:٢١).

كما ورد بالترنيمة أن الرب هو المحارب والمنتصر. ولا تستطيع أية قوة عاتية أن تقف أمامه . فقد حل وسط شعبه لنجدتهم بصورة عاصفة، فبدت لهم الكواكب كجيش سماوي جاء ليحارب عنهم « من السموات حاربوا، الكواكب من حبكها حاربت سيسرا » (٥:٢٠). دوسي يا نفسي بعز (٢١).

إن مشاركة الرب في المعركة جعل لهذا الحدث قيمة تاريخية عظمى. ولا توجد صورة حية وذات قيمة تعبيرية عن إيمان إسرائيل التاريخي غير أغنية دبورة كما يرى أحد العلماء. «هكذا يبيد جميع أعدائك يارب وأحباؤه كخروج الشمس في جبروتها» (قضاة ٥:٣١).

تاريخية السفر

يغطي سفر القضاة فترة زمنية تقدر بقرنين أو ثلاثة قرون من الزمان بعد دخول شعب إسرائيل أرض كنعان تحت قيادة يشوع بن نون ما بين عام (١٢٥٠-١٢٠٠ ق.م) تقريباً. وهذه الفترة هي بداية العصر الحديدي في الشرق الأوسط كما يرى بعض المؤرخين، والذي كان معروفاً ومنتشراً في ذلك الوقت وكان له دوره في الصناعة والاقتصاد. واستخدام الحديد أيضاً في أثاث البيوت مثل السرير الحديدي الخاص بعوج ملك باشان (تث ٣:١١)، ومركبات الكنعانيين الحديدية (يش ١٧:١٦)، ومركبات سيسرا الحديدية التي بلغت ما يقرب من ٩٠٠ مركبة (قض ٤ :٣). كما أن احتفاظ واحتكار الفلسطينيين لصناعة الحديد كان سبب تعويق للإسرائيليين في ذلك الوقت (١صم ١٣ :١٩-٢٢).

ويؤرخ عصر القضاة ما بين عام (١٢٥٠-١٠٥٠ ق.م). أما تحديد علم الآثار لتاريخ دخول أريحا فيبدو غامضاً لدى البعض. غير أن اقتحام إسرائيل للمدن الكنعانية وتحطيم حصونها والإستيلاء عليها، فيرجع تاريخه إلى نهاية القرن ١٣ ق.م كما يقره الغالبية من علماء الآثار والحفريات .

أسلوب الكتابة

لُقّب هيرودوت بأبي التاريخ، وهو مؤرخ يوناني ظهرت كتاباته في القرن الخامس ق.م . ولم يكن سابقوه (كما يرى ف. بروس وآخرون) أكثر من محللين أو كاتبي أخبار. فالمؤرخ في نظرهم يجب أن يكون أكثر من كاتب للأخبار، بل يبحث ويرى ما هو أعمق من ذلك. بمعنى أن يكشف عما هو خفي، والأسباب التي ترتبت عليها الأحداث التاريخية، والنتائج التي نجمت عنها. أي أن تكون له فلسفة التاريخ. وفي هذا المضمار سبق هيرودوت مؤرخون حاذقون، مسوقون من الروح القدس لكتابة تاريخ إسرائيل . فكان التاريخ بالنسبة لهؤلاء المؤرخين هو « قصة معاملات الله مع شعبه، ومع الشعوب الأخرى». ودخل هؤلاء في العمق « تحت السطح » حتى يكشفوا عن الجذور والأسباب وراء هذه الأحداث وطرق معاملات الله مع شعبه. وتمثل نجاح الشعب وإحرازه للانتصارات العديدة في ذلك الوقت، في الامتثال لإرادة الرب (يهوه) والطاعة الكاملة له. والابتعاد عن الشعوب الأجنبية الكنعانية الوثنية وعبادتهم للإله بعل وعشتاروث وعن كل مفاسدهم الأخلاقية.

وكلما ارتد شعب إسرائيل، عن هذا الطريق القويم، وساروا في طريق الشعوب الكنعانية، وعبدوا آلهتهم، كانوا يقعون في أزمات عديدة متنوعة ويتعرضون لمضايقات من هذه الشعوب. عندئذ كانوا يصرخون إلى الرب في ضيقتهم، «فيقيم لهم الرب قاضياً لتخليصهم». هذه الصورة الرائعة التي رسمها لنا كاتب سفر القضاة لم تكن على

الإطلاق من نسج خيال كاتب للأساطير، بل هي صورة حية وصادقة لشعب تمتع بكل القوة والسلطان، بسبب تعضيد الرب الذي قطع معهم العهد في سيناء.

وعندما كانوا يعرجون إلى عبادة بعل، كانوا يفقدون وحدتهم وقوتهم.

فكان سبيل النجاة والخلاص من هذا الضيق، مرتبطاً بالصراخ إلى الإله الحي، والعودة إلى الإيمان الذي تعلموه في البرية. حيث كانوا يهزمون ممالك وشعوب تمتعت بحضارة فائقة وهم لم يكونوا أكثر من بدوٍ رُحَّل.

الكاتب وتاريخ كتابة السفر

يرى بعض العلماء الناقدين، أن سفر القضاة لا يمثل وحدة كاملة بذاتها، بل كتب من عدة مصادر. وأعتقد أيضاً بأنه سفر تثنوي، بمعنى أن السفر ظهر عام ٥٥٠ ق.م، وأهم مصادر كتابته المصدر (J) والمصدر (E)، وهذه المصادر لها صلة بسفري صموئيل. وأعتقد أيضاً بظهور طبعة أخرى للسفر بعد خراب أورشليم لمخاطبة اليهود المسبيين. وأن العقاب الذي حل عليهم هو ثمرة تمردهم وعدم امتثالهم لشريعة إله السماء. حتى يمتثلوا للإصلاحات التي قام بها يوشيا الملك في أيامه. ثم أُعيدت كتابة السفر مرة أخرى بعد ذلك.

وطبقاً للتقليد اليهودي، يُعد صموئيل هو كاتب سفر القضاة، بالإضافة إلى كتابته لسفري صموئيل وسفر راعوث. غير أن هناك وضوحاً جلياً على أن سفر القضاة يرجع تاريخ كتابته إلى زمن بعيد جداً طبقاً للنصوص الواردة بالسفر وذلك فيما يلي:

١- جاء في (قض ٢١:١) أن بني بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم (أي إلى يوم كتابة السفر). بمعنى أن هذه الكلمات دونت قبل وقوع الأحداث التي ذُكرت في (٢صم ٥:٦-٨) والخاصة بدخول داود مدينة يبوس وضربه لليبوسيين، والاستيلاء على مدينتهم التي هي أورشليم فيما بعد عاصمة مملكته (عام ١٠٠٢ ق.م تقريباً).

٢- ورد في (قض ٢٩:١) «وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر، فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر»، وهذا يشير إلى زمن مبكر جداً قبل منح فرعون مصر مدينة جازر لسليمان الملك (قارن ١مل ٩ : ١٦) «صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهراً لابنته إمرأة سليمان» (٩٥٠ ق.م تقريباً).

٣- في (قض ٣:٣) جاء بأن مدينة صيدون (وليس صيدا) هي المدينة المعروفة والرئيسية لفينيقية. وترجع هذه الإشارات إلى زمن القرن ١٢ ق.م. وإشعياء (٩) يشير إلى (قضاة ٤، ٥، ٦)، كما أن النصوص الواردة في (قض ١٧ : ٦، ١٨ : ١، ٢١ : ٢٥) تعد إشارة إلى بداية نظام الحكم الملكي.

إن هذه الإشارات تعد بمثابة دلائل واضحة على أن الأجزاء الرئيسية لسفر القضاة كتبت في زمن مبكر جداً. وأقدم هذه النصوص، ترنيمة دبورة (قض ٥:٢ - ٣١)، التي كتبت وقت وقوع الحدث العظيم ذاته. ومعظم مواد السفر كتبت كما يرى العلماء بأسلوب فلسفة التاريخ (إظهار الأسباب لوقوع أحداث السفر والنتائج المترتبة على هذه الأحداث). وتكرار وقوع الشعب في الشر، والبعد عن الرب (يهوه)، ومضايقة الشعوب الأجنبية لإسرائيل، وصراخ الشعب إلى الرب وخلاصه لهم، والذي يمثل الجزء الرئيسي من السفر.

«وفعل الشعب الشر في عيني الرب» (٣ : ٧، ١٢، ٤ : ١، ٦ : ١)، «لذا أسلمهم الرب إلى أيدي أعدائهم» (٨:٣، ١٢، ٢:٤، ١:٦). «وصرخ الشعب إلى الرب وأرسل الرب لهم مخلّصاً» (٩:٣، ١٥، ٨:٦) «وقهر الأعداء أمامهم، واستراحت الأرض» (١٠:٣، ١١، ٣٠، ٢٣:٤، ١٥، ٢٨:٨)، ومضايقات هذه الشعوب كوشان،

ورشتايم، وعجلون، ويابين، ومديان، وعمون، والفلسطينيين تلاها خلاص بواسطة عثنيئيل، وإهود، ودبورة، وباراق، وجدعون، ويفتاح، وشمشون.

وهذا الجزء الرئيسي من السفر (٣-١٦) تضمن موضوعات أخرى عن شمجر بن عناة (٣ : ٣١)، وقصة أبيمالك (٩:١-٥٧)، وأجزاء مختصرة عن خمسة قضاة صغار تولع بن فواة، ويائير الجلعادي، وإبصان، وإيلون الزبولوني، وعبدون بن هليل الفرعتوني (١٠ : ١ - ٥، ١٢ : ٨ - ١٥). كل هذا ورد بمقدمة تضمنت :

١- ملخصاً لاستيطان الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً (١:١-٢:١٠) كتبت في زمن مبكر، استعان الكاتب في كتابتها بمصادر قديمة مع بعض أجزاء ترددت في سفر يشوع .

٢- أفرد الكاتب جزءاً خاصاً (٢ : ١١ - ٣ : ٤) يشرح فيه لماذا ترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعاً من أمام إسرائيل، أو يدفعهم بيد يشوع. ويختم السفر بموضوعين مستقلين يشيران إلى زمن مبكر من أيام القضاة:

أ - هجرة سبط دان نحو الشمال وتأسيس معبدهم (١٧، ١٨) .

ب- الحرب ضد بنيامين (١٩، ٢١) .

ويفسر كل من هذين الجزأين الحالة غير المستقرة خلال الفترة التي لم يكن فيها ملك لإسرائيل، وعندئذ فعل كل واحد ما يحسن في عينيه .

مما سبق يرجح أن السفر كتب خلال الأيام الأولى في نظام الحكم الملكي، أيام شاول أو بداية حكم داود. واستعان الكاتب في كتابته بالمصادر القديمة التي سطرت أيام القضاة زمن الأحداث أو بعد القضاة بفترة قصيرة. ويمثل السفر وحدة رائعة في نظر الكثيرين .

أما مارتن نوت M.Noth، فيرى أن سفر القضاة كتب في أواخر القرن السابع بعد الإصلاح الديني الذي قام به يوشيا (عام ٦٢٢ ق.م) . وعن الأجزاء الأخرى المستقلة عن إطار السفر، فيرى أنها أضيفت خلال السبي أو بعده. ويرى أيشفيلد Otto Eissfeldt، وآخرون أن أسفار الأنبياء الأول تخضع لنظرية المصادر التي قالها عن الأسفار الخمسة الموسوية، الأمر الذي رفضه العلماء المحافظون في ضوء الدراسة سالفة الذكر .

أهمية عصر القضاة ورسالة السفر

كان تابوت عهد الرب بمثابة الرباط المقدس، الذي وحَّد شعب إسرائيل في عبادة الرب (يهوه). ووضع التابوت في خيمة الاجتماع (المسكن المتنقل). وبعد استيطان الشعب في كنعان أرض الموعد، صارت شيلوه المكان المقدس لتابوت عهد الرب (قارن يشوع ١٨:١، قض ٣١:١٨، ١٢:٢١-١٤، ١صم ٣:١) بالإضافة إلى بعض الأماكن التي استخدمت لحلول تابوت عهد الرب بعض الوقت مثل الجلجال (قض ٢:١)، مصفاة (قض ٢٠:١)، وبيت إيل (قض ١٨:٢٠). وفي حديث الرب إلى ناثان النبي قائلاً: «اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب : أأنت تبني لي بيتاً لسُكْناي . لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن» (٢صم ٧:٥-٦). من هذه الكلمات تتضح لنا الصورة الحية لسكنى الرب وسط شعبه، وقيادته لهم في سيناء وعبور الأردن، والاستيطان في كنعان إلى وقت سليمان. حيث بُني هيكل الرب ووضع بداخله تابوت العهد. وقد خدم تابوت العهد كهنة من نسل هارون (قض ٢٨:٢٠). وتجلت قوة الشعب بانتصارهم على مضايقيهم من الشعوب الأخرى المجاورة كثمرة ولائهم للرب وحفظ شرائعه وأحكامه .

إلى أن انكسرت إسرائيل أمام الفلسطينيين وزال المجد عنها، عندما أخذ تابوت الله (١صم ٤) . وفي هذا

يخاطب الرب نبيه إرميا قائلاً «اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي أولاً، وانظروا ما صنعت به من أجل شر شعبي إسرائيل. والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب... أصنع بالبيت الذي دُعي باسمي عليه الذي أنتم متكلون عليه وبالموضع الذي أعطيتكم وآباءكم إياه كما صنعت بشيلوه» (إرميا ٧:١٢- ١٤).

ويعد صموئيل القاضي والنبي والكاهن، الشخصية البارزة والهامة . إذ حفظ لإسرائيل ذاتيتها وقوميتها . ويعد عصر القضاة فترة تعايش وصراع في ذات الوقت لشعب إسرائيل، مع الشعوب الأخرى . وإرادة الرب بهزيمة إسرائيل والمضايقات الكثيرة التي واجهتها، كانت بمثابة صَهر وصقل لها حتى تكون أداةً مختارة، نافعة لقصد وهدف أسمى لباقي الشعوب . كما أن أمانة الله تجلت بأجلى بيان رغم عدم أمانة الشعب معه، حيث تعامل معهم في رحمة وفي دينونة أيضاً . مؤكداً بأنهم « سيكونون له شعباً وهو يكون لهم إلهاً » .

ولأجيال لاحقة اعتُبِرَ القضاة كسفر يتحدث عن الله، الذي جاهد لأجل إسرائيل شعبه، وحقق لهم الكثير، بعد أن عبر بهم كل ضيقة . وفي هذا يتحدث صموئيل في خطابه الوداعي للشعب مذكراً إياهم من عصر القضاة وكيف أنقذهم الرب من مصر على يد موسى وهرون، وأتى بهم إلى هذه الأرض. «لكنهم نسوا إلههم، فباعهم ليد سيسرا رئيس جيش حاصور، وليد الفلسطينيين، وليد ملك موآب، فحاربوهم . فصرخوا إلى الرب، وقالوا أخطأنا لأننا تركنا الرب وعبدنا البعليم والعشتاروث . فالآن أنقذنا من يد أعدائنا فنعبدك . فأرسل الرب يربعل وبدان ويفتاح وصموئيل وأنقذكم من يد أعدائكم الذين حولكم فسكنتم آمنين ... » (١صم ١٢ : ٨ – ١٠) . كما وردت الإشارات العديدة عن بعض الأحداث التي وقعت في عصر القضاة (قارن ٢صم ١١ : ٢١، إش ٩ : ٤، ١٠ : ٢٦) .

لكن أعظم وأبهى ما ورد عن هؤلاء الرجال جاء في (عبرانيين ١١ : ٣٢-٣٤) « وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء . الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقوّوا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء » .

ويُعلّم السفر أن شعب الله يحتاج إلى قوة وملك يتقي الله ويخشاه. وبدونه تعم الفوضى والانحلال الأخلاقي. مما يترتب عليه الكوارث والأزمات المدمرة، إذ كان كل واحد يفعل ما يحسن في عينيه. فكانت الحاجة إلى قائد عظيم يحكم بالحق والعدل وينشر الفضيلة.

هؤلاء القضاة حكموا لفترات محددة كمخلّصين للشعب من كل ضيقة. واتسم حكمهم ليس فقط بالعدالة الإجتماعية، والرخاء الإجتماعي . بل امتلأوا من روح الله القدوس الذي دعاهم لخلاص شعبه من الظلم والانحلال والمضايقات.

وسفر القضاة يغطي فترة تاريخ الشعب، من وقت موت يشوع إلى قيام صموئيل كنبي للرب . وخلال هذه الفترة بدأ الشعب حياته في كنعان وطرد الكنعانيين منها، وإبادة الباقين منهم، وبدأوا في بناء وتأسيس أمتهم . ونموا وتكاثروا وبدأوا في حمل مسئوليتهم. غير أنهم انساقوا وضلوا وراء آلهة غريبة وثنية كنعانية . من أجل ذلك أسلمهم الرب (يهوه) لهذه الشعوب الأجنبية لإذلالهم ومعاقبتهم. فصرخوا إلى الرب إلههم، واستمع لهم الرب . وأرسل لهم قضاة لتخليصهم من يد أعدائهم. وهؤلاء القضاة الممتلئين من روح القوة الإلهية خلّصوا الشعب وأرضهم من الأعداء. وكان بعد موت القاضي يرتد الشعب عن الرب ويفعل ما يحسن في عينيه من الشرور والرذائل .

وبهذا نرى أن سفر القضاة يعد عصراً تأرجح فيه الشعب بين عبادة إله السماء وعبادة الآلهة الوثنية للشعوب الأجنبية. وكانت تتبع فترة الضيق بواسطة الأعداء، عملية خلاص بواسطة القاضي. وفي آخر هذه الفترة المأساوية ظهر صموئيل برسالته النبوية كآخر قضاة بني إسرائيل، ومؤسس نظام الحكم الملكي في إسرائيل .

راعوث

أطلق على هذا السفر اسم «راعوث» الشخصية الرئيسية الواردة به. ويُعنى بالإسم « الصديقة المخلصة الجميلة » المرأة المؤآبية . وفي الأصل العبري ، ورد ترتيب السفر في الكتوبيم (وهو ثاني أسفار المجلوث التي يقرأها اليهود في الأعياد) بعد نشيد الأنشاد الذي يقرأ في عيد الفصح، وسفر راعوث في عيد الحصاد، وسفر مراثي إرميا في يوم الحداد (أو المبكى)، وسفر الجامعة في عيد المظال، وسفر أستير يقرأ في عيد الفوريم. وفي هذا تتضح قيمة السفر العظمى عند اليهود بين الأسفار المقدسة. أما في الترجمة السبعينية والفولجاتا (اللاتينية) فجاء ترتيب السفر بعد القضاة من جهة وقوعه تاريخياً كما يرى يوسيفوس ذلك وآخرون .

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : الارتحال إلى موآب والعودة إلى بيت لحم (١:١-٢٢).

١- المجاعة والموت (١:١-٥).

٢- مغادرة موآب وأمانة راعوث (١ : ٦ - ١٨) .

٣ - الوصول إلى بيت لحم (١ : ١٩ - ٢٢) .

ثانياً : جود الله ولطفه نحو راعوث ونعمي (٢ : ١ - ٣) .

ثالثاً : زواج راعوث من بوعز (٣ : ١ - ٤ : ١٢) .

١- وصية نعمي لراعوث (٣ : ٦ - ١٨) .

٢- طاعة راعوث لوصية نعمي وكسبها قلب بوعز (٣ : ٦ - ١٨) .

٣- الولي القريب (٤ : ١ - ١٢) .

٤- راعوث وبوعز ومن نسلهما داود (٤ : ١٣ - ٢٢) .

مضمون السفر

تضمن سفر راعوث: قرار راعوث الشجاع (١:١-٢٢). وفي الأعداد (١-٥) نجد نعمي المرأة العبرانية التي مكثت في موآب وقد فقدت زوجها وابنيها؛ أحدهما كان زوجاً لراعوث والآخر زوجاً لعرفة وكلتاهما من موآب .

وصارت بيت لحم (موطن نعمي الأصلي) فيما بعد، مكان ولادة داود ملك إسرائيل وولادة رب المجد يسوع المسيح. أما موآب فكانت تقع شرق البحر الميت مباشرة. وكان المؤآبيون أعداء للإسرائيليين (تث ٢٣ : ٣) .

وفي الأعداد (١:٦-١٨) تختار راعوث بحرية كاملة أن تذهب مع حماتها نعمي إلى يهوذا ، وتصير واحدة من الإسرائيليات. ووصلا بالفعل إلى بيت لحم (١٩-٢٢).

راعوث في حقل بوعز (٢:١-٢٣): خرجت راعوث لتلتقط سنابل الشعير فاتفق أنها دخلت حقل بوعز ، الذي من عشيرة اليمالك . وكان يُترك للمسكين والفقير في ذلك الوقت أن يلتقط ما تبقى من سنابل الحقل وراء الحصادين، حسب كلام الرب لموسى (قارن لاويين ١٩ : ٩ - ١٠). ونالت راعوث نعمة في عيني بوعز وكسبت عطفه

(٤ - ٢٣). وأمر بوعز الغلمان بألا ينتهروا راعوث، بل يدعوها تلتقط بين الحزم ، وينسلوا أيضاً لها من الشمائل .

وفي (٣:١-٥) توصي نعمي راعوث أن تُظهر محبتها المتبادلة لبوعز. وفي الأعداد (٦ - ١٨) تعمل راعوث بكلام نعمي حماتها، وتكسب مودة بوعز الذي سبق وأبدى مشاعره الطيبة ومحبته المخلصة نحوها . فتقول «أبسط ذيل ثوبك» بمعنى أنها لا تمانع في الزواج منه، فتكون في حماه . إذ كان بوعز ذا قرابة لراعوث ، غير أنه لم يكن الولي الأقرب . ومن حق الولي، ممتلكات أقربائه، وأن يصون أيضاً كرامتهم ويحفظ نسل هذا القريب (قارن لا ٢٥ : ٢٥، تث ٢٥ : ٥- ٦، قارن أيضاً يش ٢٠ : ٣).

إلا أن الولي الأقرب رفض حقه في الفكاك (٤:١-٦) بقوله : «لا أقدر أن أفك لنفسي لئلا أفسد ميراثي. ففك أنت لنفسك فكاكي لأني لا أقدر أن أفك». إذ كان بوعز قد أوضح للولي الأقرب أن يتزوج راعوث شريطة أن يشتري الأرض من يد نعمي . وبناء عليه قدم رفضه ، السابق الإشارة عنه في (عدد ٦).

وعادة الفكاك هنا تختلف عما ورد في (تث ٢٥:٧-١٠). مما جعل بعض العلماء أن يرى فكرة تطور القيام بتطبيق هذه العادة والالتزام بها، خاصة وأنه كان يعمل بها قديماً جداً قبل ورودها في شريعة موسى (تكوين ٣٨) «فارص... تامار... يهوذا». وقام بوعز بأمر الفكاك بالنسبة للحقل وبالنسبة لراعوث (٤ : ٧ - ١٢) .

«وقال بوعز للشيوخ في باب المدينة ولجميع الشعب، أنتم شهود اليوم أني قد اشتريت كل ما لأليمالك وكل ما لِكليون ومحلون من يد نعمي، وكذا راعوث الموآبية إمرأة محلون قد اشتريتها لي إمرأة لأقيم اسم الميت على ميراثه ولا ينقرض اسم الميت... أنتم شهود اليوم» (٤:٩-١١). وراعوث هي جدة لداود بن يسى، الذي من نسله جاء رب المجد.

الكاتب وتاريخ الكتابة

يرى علماء نقديون أن سفر راعوث كتب زمن ما بعد السبي، وأن الكاتب كان على دراية بالنسخة الخاصة بالقضاة. وهذا الرأي قال به علماء آخرون من قبل مثل كوينين Kuenen. ويصعب البرهنة على هذا الرأي . وقال آخرون أن سفر راعوث ربما يحمل تعاليم تبدو متناقضة مع ما ورد في سفري عزرا ونحميا الخاص بمنع الزواج من الشعوب الأجنبية الغريبة . إلا أن فايفر وآخرون رفضوا هذا الرأي بحجة أن الأسفار المقدسة لا يمكن أن تكون متعارضة مع بعضها الآخر . بل أن سفر راعوث يعد في الحقيقة نموذجاً رائعاً لعون الله وعنايته بكل من يثق فيه ، بغض النظر عن الجنس أو اللون، ولهذا أدرج هذا الحدث التاريخي بين الكتب المقدسة . بالإضافة إلى أنه كانت هناك علاقة وثيقة وقوية في زمن مبكر بين إسرائيل وموآب (١ صم ٢٢:٣، ٤).

ويُعتقد حسب التقليد اليهودي Baba Bathra 14a أن الكاتب هو صموئيل، الذي كتب أيضاً سفري ١صم ، ٢صم وسفر القضاة . ورغم إمكانية قبول هذا الرأي ، إلا أنه يبدو ضعيفاً ، لأن تسلسل الأنساب في (٤ : ٢٢) يوضح بجلاء أن داود كان شخصية معروفة في ذلك الوقت ، بمعنى أن الكاتب عاش بعد تلك الفترة .ويرجح بعض العلماء أن عصر سليمان هو زمن كتابة السفر .

وما ورد في (٤ : ٧) والخاص بموضوع -الفكاك في ضوء ما ورد في (تث ٢٥) عن أمر فك النعل والبصق على الوجه- يعد دلالة واضحة على أن السفر كتب في عصر لم يعد فيه الالتزام بهذه العادة ، أمراً ذا أهمية كبرى.

وهناك سبب آخر يدفع بعض العلماء للاعتقاد بأن كتابة السفر تعود إلى مابعد السبي ، هو ورود بعض الكلمات الأرامية في السفر .

وهذا بدوره لا يعد برهاناً على كتابة السفر في زمن ما بعد السبي، لأنه من زمن قديم جداً تضمنت اللغة العبرية كلمات أرامية . كما عثر على ذلك في رسائل شمرا Ugarit. وأكثر من ذلك يشير العلماء إلى ما جاء عن بعض قادة

أورشليم ، الذين كانوا على دراية وفهم واسع باللغة الأرامية (٢مل ١٨ : ٢٦). كما يرى علماء اللغة الأرامية أن هذه المصطلحات هي مصطلحات سامية عبرية تمثل جزءاً من أساس هاتين اللغتين. بالإضافة إلى العلاقة القديمة التي كانت بين أرام (سوريا) وإسرائيل ، والتي انطبع تأثيرها على اللغة بين البلدين. فليس في اللغة وأسلوب الكتابة ما يبرهن على كتابة سفر راعوث في وقت ما بعد السبي .

ويرى بعض العلماء أن سفر راعوث يقف في الأهمية التاريخية على قدم المساواة مع الأجزاء الرئيسية لسفري صموئيل . ويُعتقد أن الكاتب عاش في زمن ما قبل السبي ، وربما بمائة عام بعد راعوث .

راعوث سفر تاريخي وليس أسطورة

يرى بعض النقديين أن سفر راعوث يعد ملحمة أسطورية لما يلي:

١- الأسماء الرئيسية في القصة وإتساقها مع سلوك أشخاصها : محلون ويعني إسمه (مرض)، كليون (ضياع أو مضيعة)، عُرفة (صلبة الرقبة)، نعمي (حلاوتي) (قارن ١:٢٠)، راعوث ويُعنى إسمها (صديقة أو رفيقة).

٢- الموقف النبيل الذي سلكته راعوث ونعمي والرجل بوعز.

٣- الصورة التعسة التي عاشتها هذه الشخصيات.

٤- الإيمان الديني القوي.

ويرفض علماء الكتاب هذا الرأي ، مؤكدين أن قصة راعوث كما وردت في السفر ، تبرهن على صدق وتاريخية القصة ، ولا يمكن أن تكون أسطورة على الإطلاق . وها هي ملاحظاتهم :

أولاً : افتتاحية السفر : «حدث في أيام حكم القضاة أن صار جوع في الأرض» (١: ١). هذه الكلمات تعد في ذاتها لغة بسيطة وتاريخية في نفس الوقت، حيث تشير إلى زمن معيّن وتصف حالة معينة حدثت تاريخياً. ويسترسل الكاتب في سرد القصة ، بهذه البساطة في الأسلوب إلى النهاية. وإذ يتحدث السفر عن عادات وتقاليد تلك الفترة ، فهو يظهر بذلك أهميتها، ويؤكد صدق وقوعها تاريخياً .

ثانياً : ليس من السهل على كاتب مسرحي يهودي أن يجعل نسل وأصل ذرية داود تمتد إلى إمرأة موآبية . وإذا كانت هذه القصة لا تزيد عن كونها أسطورة ، أو من نتاج كاتب تمتع بخيال واسع . ألم يكن ممكناً لهذا الكاتب ، أن يُرجع أصل وذرية داود إلى أساس إسرائيلي وليس أجنبي ، بهذا الخيال الواسع .

وكون راعوث من أصل موآبي ، هو في حد ذاته دلالة واضحة وأكيدة على أن القصة حدثت تاريخياً .

ثالثاً : شهادة العهد الجديد الموحى به من الروح القدس ، يؤكد تاريخية السفر (قارن متى ١ : ٥) « ... وبوعز ولد عوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسى ، ويسى ولد داود الملك » . كما أن تسلسل النسب الوارد في (لوقا ٣ : ٣٢) يتفق أيضاً مع ما ورد في سفر راعوث .

وبهذا تُدحض فكرة أن راعوث شخصية رومانسية غير تاريخية، وبذلك تتأكد حقيقة وتاريخية الأحداث الواردة بالسفر.

رسالة السفر

إن نسب داود الذي يمتد إلى راعوث التي من موآب (شعب أجنبي عن إسرائيل) يعد دليلاً كافياً وواضحاً ، بأن الديانة الحقيقية غير قاصرة على شعب أو أمة بعينها . ومحبة الله هي لكل الشعوب والأمم ، والأجناس المتباينة والمتباعدة ، من قديم الزمان . لأنهم جميعاً عمل يديه (أيوب ٣٤ : ١٩). وليس عند الله محاباة (رومية ٢ : ١١)،

ولا يأخذ بالوجوه . «بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده» (أع ١٠:٣٤، ٣٥).

كما تضمن السفر دروساً في التقوى، والثقة في الله الذي عنده المجازاة، ومحبة للآخرين، تمثلت في كلمات راعوث التي خاطبت بها حماتها نعمي «لا تلحي عليَّ أن أتركك وأرجع عنك، لأنه حيثما ذهبتِ أذهب وحيثما بتِّ أبيت . شعبك شعبي وإلهك إلهي. حيثما متِّ أموت وهناك أندفن. هكذا يفعل الرب بي وهكذا يزيد. إنما الموت يفصل بيني وبينك» (١:١٦، ١٧).

ورد الاسم الإلهي الرب (يهوه) في أصحاحات السفر الأربعة، ثماني عشرة مرة. والتعبير «حي هو الرب» (٣:١٣) (صيغة القسم في العهد القديم)، ويقصد به تأكيد الشخص بأن الرب حي وقريب جداً من الإنسان الفرد، وهو يهتم بكل من يدعوه ويطلب رحمته. كما أنه يدرب الإنسان من خلال ما يسمح به كالمجاعة. ويحول القحط إلى خصوبة، ويغدق بسخاء على كل من يثق فيه، فهو مصدر كل بركة حقيقية.

إنه الرب (يهوه) الذي أعلن عن ذاته لموسى بجلاء في حدث الخروج، حيث خلَّص الله شعبه من العبودية وعبر بهم على اليابسة وسط اللجج حيث كانت المياه سوراً لهم عن اليمين وعن اليسار (خروج ١٤: ٢٢)، كما أحضرهم إلى سيناء وقطع معهم العهد. واستخدام الاسم «الرب» هنا يعني به -كما يرى أحدهم- مناداة وطلب خلاص الله وأمانته في العهد والوعد .

إلا أن استخدام نعمي الاسم الإلهي «الرب قد أذلني والقدير قد كسَّرني» (١:٢٠، ٢١) لما ألمَّ بها من ضعف ووهن ، نتيجة ما أصابها ، فيه تعبير عن الألم والحزن الشديدين وتذكير لنفسها بأنه القوي صانع العجائب، وأنها في مسيس الحاجة إليه الآن لأنه القدير. ورغم قدرته على حفظ زوجها وابنيها إلا أنه سمح لها بما أصابها ، ولازالت تؤمن وتردد أنه الرب وأنه القدير .

وظهر بالسفر عطف الله واحسانه. إذ أن اللطف والإحسان صفة أساسية من صفات الله ؛ والكلمة العبرية التي ترجمت إلى إحسان (لطف) أو معروف في (١:٨ ، ٢:٢٠، ٣:١٠). أنها الكلمة التي تتعلق بالعهد الذي قطعه الرب مع الإنسان ، ووفاء الرب بهذا العهد مهما تكن الظروف ، والتي تُظهر عدم إخلاص وأنانية الإنسان . لقد ظهر إحسان الرب ولطفه في خلاص الشعب ، وانعكس في ترنيمة الابتهاج بهذا الخلاص: «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته»(خروج ١٥ : ١٣). إنها كلمة الإحسان التي تُظهر دفء الشركة الإلهية، وتؤكد محبته وأمانته للإنسان . «الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل » (تث ٧ : ٩).

يتبع ذلك أن الذين اختبروا هذه المحبة والإحسان ، والرأفة والأمانة ، عليهم أن يُظهروا ذلك لآخرين أيضاً (راعوث ٣:١٠ ، ٢:١١). إن مثل هذه المحبة والأمانة قد تجسدت في العلاقات الشخصية التي صانعها الرب، في ضوء الكلمات الواردة في (٢:١٢) «ليكن أجركِ كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه».

ويري الشراح أن موقف راعوث واهتمامها بحماتها نعمي ، وعدم تخلي راعوث عنها بالقول « شعبكِ شعبي وإلهكِ إلهي»، يعد لحظة تجديدها بقبولها إله إسرائيل إلهاً لها . وبذلك صارت إسرائيلية لا غش فيها.

كما يرى أيضاً بعض العلماء، أن إيمان راعوث بالرب يهوه بدأ يتشكل من فترة طويلة بأن الرب هو الإله الحي الذي اختارته نصيباً لها .

وربما كانت حياة نعمي وأهل بيتها هي التي قادتها إلى الإيمان بإلههم، إذ انعكست محبة الله ولطفه وإحسانه في حياتهم معها، مما كان له أعظم الأثر في حياة راعوث لتتمسك بنعمي وبإله نعمي وشعبها .

صموئيل الأول والثاني

يُكَوِّن سفرا صموئيل الأول والثاني سفراً واحداً في الأصل العبري. ويغطي السفران فترة تاريخية هامة في حياة الشعب، تمتد من وقت ظهور صموئيل النبي والقاضي عام ١٠٧٠ ق.م. إلى نهاية حكم داود الملك عام ٩٦١ق.م تقريباً.

ويأتي عنوان هذين السفرين أساساً، من اسم الشخصية الأساسية للأصحاحات الأولى من سفر صموئيل الأول.

أقسام ومشتملات السفرين

أولاً: حياة وخدمة صموئيل (١:١-١٧:٧)

١- ولادة وطفولة صموئيل (١:١-١:٤).

أ- ولادة وتكريس صموئيل (١:١-٢٨).

ب- ترنيمة حنة (١:٢-١٠).

ج- صموئيل وأبناء عالي (١١:٢-٢٦).

د- عقاب بيت عالي (٢٧:٢-٣٦).

هـ- دعوة صموئيل (١:٣-١:٤أ).

٢- سقوط وعودة التابوت (١:٤ب-١:٧).

٣- صموئيل القاضي (٢:٧-١٧).

ثانياً: حياة وخدمة شاول (١:٨-٥٢:١٤).

١- طلب إسرائيل ملكاً (١:٨-٢٢).

٢- حياة شاول السياسية (١:٩-٢٥:١٢).

أ- تعيين شاول (١:٩-١٦:١٠).

ب- تخصيص شاول للحكم (١٧:١٠-٢٧).

ج- إنقاذ أهل يابيش جلعاد (١:١١-١٥).

د- وداع صموئيل (١:١٢-٢٥).

٣- شاول في أيامه الأولى من الحكم: الاضطراب العقلي ورفضه من الحكم (١:١٣-٣٥:١٥).

ثالثاً: شاول وداود (١:١٦- ٢صم ١٨:٨).

١- اختيار داود (١:١٦-٢٣).

٢- داود وجليات (١:١٧-٥٨).

٣- غيرة شاول من داود (١:١٨-٣٠).

٤- محاولة شاول قتل داود (١٩:١-١٧).

٥- هروب داود (١٩:١٨-٣٠:٣١).

أ- شاول في الرامة (١٩:١٨-٢٤).

ب- داود ويوناثان (٢٠:١-٤٢).

ج- الحرب بين شاول وداود (٢١:١-٢٦:٢٥).

١- داود في نوب (٢١:١-٩).

٢- داود في جت (٢١:١٠-١٥).

٣- قتل كهنة نوب (٢٢:١-٢٣).

٤- إنقاذ قعيلة (٢٣:١-١٣).

د- خيانة أهل زيف وعفو داود عن شاول الذي يسعى لقتله (٢٣:١٤-٢٤:٢٢).

هـ- داود وأبيجايل (٢٥:١-١٤).

و- عفو داود عن شاول للمرة الثانية (٢٦:١-٢٥).

ز- انضمام داود لأخيش ملك جت (٢٧:١-٢٨:٢).

ح- شاول والعرافة (٢٨:٣-٢٥).

ط- أخيش يُسَرح داود ورجاله (٢٩:١-١١).

ي- الهجوم على صقلغ (٣٠:١-٣١).

٦- موت شاول (٣١:١-١٣).

٧- داود ينتقم لشاول (وثمن الكذب) (٢صم ١:١-١٦).

٨- داود يرثي لشاول ويوناثان (١:١٧-٢٧).

٩- داود ملكاً على يهوذا وإسرائيل (٢:١-٨:١٨).

أ- داود ملكاً على حبرون (٢:١-٤:١٢).

ب- داود ملكاً على أورشليم (٥:١-٨:١٨).

رابعاً: حياة داود كملك على كل إسرائيل ويهوذا (٩:١-٢٠:٢٦).

١- تكريم داود لمفيبوشث بن يوناثان (٩:١-١٣).

٢- حروب عمون وأرام (سوريا) (١٠:١-١١:١).

٣- خطية داود وثمرتها المرة والأليمة (١١:٢-١٨:٣٢).

٤- مرثاة داود على ابنه أبشالوم (١٨:٣٣-١٩:٧).

٥- يوآب يوبخ داود، والملك يعيد ترتيب شئونه (١٩:٨-٤٣).

٦- ثورة الأسباط الشمالية (٢٠:١-٢٦).

خامساً: أيام داود الأخيرة (٢١:١-٢٤:٢٥).

١- دفن رفات عائلة شاول (٢١:١-٢٢).

٢- مزمور لداود (٢٢:١-٥١).

٣- ميثاق داود (٢٣:١-٧).

٤- الأبطال الثلاثة وعملهم الجريء (٢٣:٨-٣٩).

٥- التعداد والوبأ (٢٤:١-٢٥).

معنى الاسم: صموئيل

لازال أصل التسمية «صموئيل» موضوع بحث وتفسير العديد من علماء اللغة، غير أن العالم والباحث الألماني في اللغة العبرية «جيزينيس» يرى أن الاسم معناه «اسم الله» أو «اسمه الله». ولازال هذا هو المعنى السائد بين علماء الكتاب.

ولعل حنّة أمه أسمته بهذا الاسم صموئيل שְׁמוּאֵל قائلة «لأني من الرب سألته» (١صم ١:٢٠). وبهذا الاسم أيضاً تردُ جواباً على كل من يدهش أو يعجب من أهل بيتها، بأنها أصبحت أماً بعد فقد كل رجاء بشري. قائلة ومعلنة للجميع إنه الرب (اسمه الرب). أليس هو الرب... إلى الأبد... وإلى دور فدور (قارن خروج ٣:١٤-١٦، ٦:٣).

وكان صموئيل قاضياً لإسرائيل ونبياً، من سبط أفرايم (١صم ١:١، قارن ١أخ ٦:١٣،١٨). وهنا يرى بعض العلماء بأنه لم يكن كاهناً، وفي هذا يرى أحد العلماء بأن صموئيل كان كاهناً لأن الرب دعاه ليكهن له. بأن قدم ذبيحة، ومسح داود ملكاً عوضاً عن شاول (١صم ١٦:١-١٣، قارن مع ١صم ١٣:٨-١٣).

وهو الرب الذي دعا عاموس من أسرة بسيطة وفقيرة، ليكون نبياً له. رغم أنه لم يكن يوماً من بين بني الأنبياء (تلميذ في مدرسة الأنبياء) (قارن عاموس ٧:١٤-١٥ مع الأعداد ١١-١٣).

وليس هذا فقط، أن يدعو الرب صموئيل ليكون كاهناً له، رغم أنه لم يكن لاوياً، بل للرب أيضاً أن يدعو كهنة ولاويين من الأمم (إش ٦٦:٢٠-٢١).

الكاتب وتاريخ الكتابة

لازال موضوع تاريخ كتابة سفري صموئيل الأول والثاني غير معروف. كما هو الحال مع بعض أسفار العهد القديم. إذ أن معظم أجزاء السفرين تمت أحداثها بعد وفاة صموئيل.

وفيما يلي الآراء المختلفة حول الكاتب وزمن الكتابة:

١- يُرجع بأن الجزء الأكبر من سفر صموئيل الأول، قد كتب عام ١٠٠٠ ق.م، وبقية الأجزاء كتبت ما بين عام ٩٧٠-٩٥٠ ق.م تقريباً، أو بعد هذا التاريخ بقليل.

٢- جاء بالتلمود اليهودي أن صموئيل هو الكاتب لهذين السفرين، والمرجع أن النبي صموئيل كتب كل ما جاء في تاريخ إسرائيل أيام حكمه قبل أن يتقاعد من منصبه.

٣- يرى أحدهم أن أبياثار كتب معظم أسفار (أجزاء) السفرين، خاصة ما جاء عنه زمان تولي داود الحكم، إذ أن

أبياثار كان قد أمضى فترة طويلة مع داود في المنفى (١صم ٢٢: ٢٠-٣٠). والمعروف أن أبياثار جاء من أسرة كهنوتية، وله دراية بفن الكتابة وصيانة المخطوطات، وقد أشار يسوع إلى أبياثار في (مرقس ٢٦:٢، قارن ١أخ ١٥:١١).

٤- يرى البعض الآخر أن واحداً من بني الأنبياء نشأ في إحدى المدارس التي أسسها صموئيل، وقد أخذ على عاتقه كتابة تاريخ إسرائيل الذي بدأه سيده.

٥- ويُرجح بعض الباحثين أن الكاتب عاش في زمن متأخر للملوك يهوذا، مستنداً على ما ورد في (١صم ٦:٢٧) «فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلغ. لذلك صارت صقلغ لملوك يهوذا إلى هذا اليوم».

ويتحتم بناء على هذه الكلمات أن الكاتب عاش بعد تقسيم المملكة إلى مملكتين شمالية وجنوبية، كما يرجح أن السفر كتب عام ٦٧٥ ق.م.

ولقد استعان الكاتب بعدة مصادر هي أسفار أخبار للملوك عديدين. مثل سفر أخبار شاول وحياته السياسية والدنية، وكتابات عن داود وحياته كسياسي ورجل حرب. وكتابات هي سفر أخبار، عن تاريخ وعجائب تابوت العهد. بالإضافة إلى أسفار وكتابات أخرى عديدة. غير أن علماء كثيرين يرون بأن ما جاء في (٢صم ٦:٢٧) يُعد إضافة متأخرة تمت بإرشاد الروح القدس، عند إعادة كتابة السفر.

وفيما يلي بيان توضيحي من زمن الخروج إلى صموئيل

حدث الخروج «القرن ١٣ق.م» (خروج ١٤-١٥)	سيتي الأول «١٣٠٩-١٢٩٠ق.م.»
	رمسيس الثاني «١٢٩٠-١٢٢٤ق.م»
فترة البرية «١٢٩٠-١٢٥٠ق.م» (خروج ١٦)	
الاستيطان في كنعان «١٢٥٠-١٢٠٠ق.م» (يشوع-قضاه).	
العصر الحديدي «١٢٠٠ق.م»	
حلف الأسباط «١٢٠٠-١٠٢٠ق.م» (١صم ١-١٢)	استقرار الفلسطينيين في فلسطين «القرن ١٢ق.م»
سقوط شيلوه «١٠٥٠ق.م» (١صم٤)	صموئيل

آراء نقدية حول الكاتب وأسلوب كتابته والرد عليها من علماء الكتاب المحافظين

١- يرى بعض النقديين أن ترنيمة حنة أم صموئيل (١صم ٢:١-١٠) تعود إلى زمن ما بعد السبي، لما جاء بها عن تأسيس المملكة، بالإضافة إلى لغة الترنيمة وأسلوب كتابتها.

ويجيب علماء الكتاب بأن حنّة تتحدث في صلاتها هذه عن الملك الأمثل، بالإضافة إلى أن الحكم بنظام ملكي جاء الوعد به في زمن مبكر قبل ذلك (تك ٦:١٧، تث ١٧:١٤-٢٠، قض ٢٢:٨). كما أن أسلوب كتابة الترنيمة هو أسلوب نبوة.

٢- لأول وهلة يتصور الإنسان من دراسته في (١صم ١٦:١-٢٣) أن الرب يُصرّح لصموئيل بالكذب (١٦:٢) حينما قال صموئيل للرب «كيف أذهب، إن سمع شاول يقتلني. فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئت

لأذبح للرب».

لقد قدم صموئيل الذبيحة للرب بالفعل، وليس من داعٍ كما يرى أحد العلماء أن يقول كل الحق في هذا الشأن. وإذا كان صموئيل سئل: هل أنت ذاهب إلى بيت لحم لتمسح داود ملكاً؟ وكان جوابه لشاول: أنا ذاهب لأذبح للرب فقط. في هذه الحالة يحسب على صموئيل أنه كاذب. وهناك فرق كما يقول جون كلفن J.Calvin بين التضليل وبين عدم الإخبار بالتفصيل عن الحق. ولا يوجد تضليل في هذا الشأن. لأن الرب أراد لصموئيل أن ينجو من بطش شاول بتقديم الذبيحة. وقُدمت الذبيحة بالفعل.

٣- يرى النقديون أن الكاتب لا يفطن لما يكتب أحياناً. إذ كيف يتعرف شاول على داود مرتين (١صم ١٦:١٤-٢٣ وفي ١٧:٥٥-٥٨).

والحقيقة كما يراها أحد الباحثين أن شاول تعرف على داود في المرة الأولى (١٦:١٤-٢٣). وفي المرة الثانية (١٧:٥٥-٥٨) أراد شاول أن يعرف شيئاً عن أسرة داود، وأي نوع من الشجاعة اكتسبها حتى أنه تقدم إلى جليات الفلسطيني وقتله. بالإضافة إلى رغبة شاول ربما في تعيين داود في البلاط الملكي، وليس فقط أن يعفيه من الضرائب كما جاء في (١صم ١٧:٢٥). «وكان لما فرغ (داود) من الكلام مع شاول، أن نفس يوناثان (بن شاول) تعلقت بنفس داود» (١٨:١). وهذا دليل واضح على أن حديثاً مطولاً جرى بين داود وشاول، وتأكيد أيضاً بأن شاول كان يرغب في مزيد من المعرفة عن داود وليس مجرد اسمه بالكامل.

٤- كيف لداود أن يلجأ إلى أخيش ملك جت، الذي سبق لداود أن هرب منه حتى لا يقتله؟

والجواب: عندما لجأ داود إلى أخيش في المرة الأولى (١صم ٢١:١٠-١٥)، كانت ذكرى قتل جليات الفلسطيني لازالت في أذهان الفلسطينيين (قارن ٢١:١١). فخاف داود وهرب. إلا أن أخيش ملك الفلسطينيين تأكد له بعد ذلك أن داود مُطارد من شاول ومكروه منه. وذلك بعد وقت كافٍ، من الفترة المشار عنها في (٢١:١٠) إلى الفترة المشار عنها في (٢٧:١). عندئذ فكر أخيش في الترحيب بداود ورجاله وضمهم إليه لمحاربة إسرائيل. ولا يوجد ثمة تناقض على الإطلاق.

٥- وردت قصة قتل جليات الفلسطيني بواسطة داود في (١صم ١٧، قارن أيضاً ١٩:٥، ٢١:٩، ٢٢:١٠،١٣). إلا أنه جاء في (٢صم ٢١:١٩): «ثم كانت أيضاً حرب في جوب مع الفلسطينيين. فألحانان بن يعري أرجيم البيتلحمي قتل جليات الجتي وكانت قناة رمحه كنول النساجين».

في هذا يرى أحد علماء الكتاب أن جليات المشار عنه هنا هو جليات آخر لما تمتع به من قوة بدنية وعضلية فائقة كسابقه الذي قتله داود. ويرى البعض الآخر أن ألحانان بن يعري أرجيم قتل أخا جليات وليس جليات طبقاً لما ورد عنه في (١أخ ٢٠:٥). وقد حدث هذا الخلط عند إعادة كتابة سفر صموئيل للتشابة في العبرية بين كلمة אֶת وهي أداة المفعول به، والكلمة אָחִי التي تعني أخا. وبهذا يكون ألحانان قتل أخا جليات الفلسطيني الذي قتلهُ داود.

التعاليم الدينية لسفري صموئيل

كُتب سفرا صموئيل الأول والثاني كما يرى علماء الكتاب بواسطة إنسان آمن بأن يد الله القدير كانت وراء كل الأحداث التاريخية المتعلقة بإسرائيل بكل مافيها من وعود وعهود. ودور كل إنسان في تاريخ الأمة الإسرائيلية أن يظهر إرادة الله وطبيعته في الحياة العملية. فالله يدعو الناس، ويقودهم عاضداً لهم، ليتمكنوا من القيام بمهامهم التي أوكلهم عليها، متوجاً عمل كل واحد منهم بالنجاح. وعليهم فقط أن يسمعوا كلامه ويطيعوه.

والدارس لهذين السفرين يلمس محبة الله ورحمته اللتين تلازمان كل أمين معه. كما أن العقاب يقع على من

يديروا لله القفا لا الوجه. فمثلاً نجد «عـالي» الكاهن إنسان الله الوديع يخبره صموئيل الشاب اليانع بكلمة العقاب عن فم الرب، فيقبلها عالي في خضوع تام (١صم ٣:١٢، ١٨).

ويُعيَن صموئيل نبياً في إسرائيل (١صم ٣: ٢٠، ٢١)، ويصنع الله بواسطته عجائب وآيات (١صم ٧: ١٠). ويصبح صموئيل قائداً لشعبه، ومؤسساً للحكم الملكي. غير أن أولاده لم يكونوا كفاة، بل غير مستحقين لتحمل المسئولية والقيام بها بأمانة بعد صموئيل أبيهم (١صم ٨:١-٤).

وكان شاول فخر إسرائيل في القيادة والبطولة والحكم (١صم ١٠:٢٤) غير أن عصيانه كان سبب سقوطه العظيم (١صم ١٥: ٢٠، ٢٣).

وداود نفسه كان الإنسان الذي كسب قلوب الجميع، وكان غيوراً لله، لم يكن إلا إنساناً خاطئاً، إذ صنع الشر مثل أقل إنسان في المملكة (٢صم ١٢:٧).

إن حق الله وعدله يظهران بوضوح في أحداث هذين السفرين، ومفادهما أن كل أمر يجب أن يخضع لناموس الله. لقد سقط شاول كملك لأنه لا يمكن أن يكون له مطلق السلطة والحكم كباقي ملوك الأرض. ويصبح داود ملكاً بعهد يقطعه معه الله، حتى يجري عدلاً في الأرض في ضوء الكلمة المعطاة له بواسطة النبي والكاهن.

تلك كانت المبادىء الأساسية المحددة، التي يجب أن تلتزم بها كل المملكة في ظل دستور شرعي إلهي. وليتمتع كل واحد في المملكة بحقوقه. ويظل ناموس الله فوق كل الاعتبارات البشرية. وفوق كل ذلك كان لله قصد يسمو على كل أحداث الزمن. فقد قصد الله من تعيين داود ملكاً أن يأتي من نسله المسيا مخلص العالم (٢صم ٧:١٨).

أماكن خدمة صموئيل النبي

الرامة: وتبعد عشرة كيلومترات شمال أورشليم. مركز قضاء صموئيل ومكان دفنه أيضاً (١صم ١:١٩، ٧:١٧، ٢٥:١).

بيت إيل: وتبعد ثمانية كيلومترات شمال الرامة. إنه المكان الذي استخدمه صموئيل للنبوة. وهو المكان الذي ظهر فيه الرب ليعقوب في هيئة جيش من الملائكة يصعدون وينزلون على السلم (قبل صموئيل بـ٨٠٠ عام تقريباً).

مصفاة: تقع غرب الرامة بخمسة كيلومترات. وهناك في المصفاة أقام صموئيل حجر المعونة وقال: «إلى هنا أعاننا الرب» (٧:١٢).

جبعون: منتصف الطريق بين الرامة وأورشليم.

بيت لحم: حيث ولد داود، ومكان ميلاد المسيح يسوع. وتبعد بيت لحم عن الرامة مسافة ٢٠ كيلومتراً إلى الجنوب.

شيلوه: وتبعد ٢٥ كيلومتراً شمال الرامة. ومكان خيمة الاجتماع من وقت يشوع حتى صموئيل إلى وقت مبكر من نبوته.

قرية يعاريم: جنوب غرب الرامة بأربعة عشر كيلومتراً. وهناك في قرية يعاريم حُفظ تابوت العهد بعد استعادته من الفلسطينيين (قارن ١صم ٦، ٧). ثم نقل التابوت إلى أورشليم وقتما سكنها داود. وبقي التابوت هناك إلى بناء الهيكل (٢صم ٦:١-١٥، قارن ٢أخ ١٥:٢٥-٢٩).

صموئيل ومدرسة الأنبياء

لُقب صموئيل بمؤسس مدرسة الأنبياء أو «سيد» المدرسة (١صم ١٠:١٢، ٢مل ٢:٣)، حيث كان بنو الأنبياء

بعيشون حياة البساطة والتقشف (١مل ١٧: ٥-٨). ومعظم الأنبياء كانوا تلاميذ في هذه المدرسة، على أن بعضهم لم يلتحق بهذه المدرسة مثل عاموس.

كما أن صموئيل جعل للأنبياء مكانة عظيمة. فكانوا يمثلون دوراً كبيراً في المجتمع العبراني، وكانوا ملازمين للحكماء والكهنة والمشيرين من رجال الدولة ومقرري مصيرها زمن الحرب والسلام. ودورهم يتمثل بصفة خاصة في إعلان مشيئة الله للشعب وإصلاح الأوضاع الاجتماعية والدينية (٢مل ١٧: ١٣، ١صم ١٩: ٢٠، يو ٧: ٤٥-٥٣) وكانت رسالة النبوة تُعطى عن طريق:

الإعلان (١صم ٣) أو الرؤى (قارن إش ٦، حز١) أو الأحلام (قارن دانيال ٢).

وتعني النبوة ثلاثة أمور في نظر بعض العلماء:

١- معرفة المستقبل.

٢- التسبيح والترنيم (١صم ١٩: ٢١-٢٤).

٣- الصلاة: إذ كان إبراهيم رجلاً باراً، نبي يصلي (تك ٢٠: ٧).

شيلوه المسكن المقدس (أصحاح ١-٣)

كانت شيلوه المكان المقدس الذي كان يحج إليه الإسرائيليون كل عام (٣: ١، ٧، ٢١) بهدف تقديم ذبائح للرب إلههم، حيث كان عالي رئيس الكهنة يخدم الرب يهوه. وكان المنتظر أن يلتف شعب الرب حول عالي الكاهن وحول أبنائه الذين كانوا على حراسة تابوت عهد الرب.

والأصحاحات من (٤: ١-٧: ٢) تتحدث عن تابوت عهد الرب الذي حفظ في شيلوه، وكانت الحرب شديدة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. ورأى شيوخ إسرائيل أن يخرجوا بتابوت عهد الرب في حربهم هذه ضد الفلسطينين كما في القديم (قارن ترنيمة تابوت العهد في عدد ١٠: ٣٥-٣٦) قائلين حتى يحل الرب في وسطنا ويخلصنا من أعدائنا (١صم ٤: ٣)، فأرسل الشعب إلى شيلوه، وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم. وكان ابنا عالي الكاهن حفني وفينحاس مع تابوت عهد الله. وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً حتى ارتجت الأرض، وخاف الفلسطينيون واضطربوا لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة، وقالوا: ويل لنا... من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة. وهم الذين ضربوا مصر بجميع الضربات في البرية. وشدد الفلسطينيون أنفسهم لمواجهة هذا الخطر وانتصروا على إسرائيل، وأخذوا تابوت عهد الله كغنيمة حرب. ومات من إسرائيل ثلاثون ألف رجل، ومات ابنا عالي حفني وفينحاس (١صم ٤: ١-١١).

من هذا الوقت لم ترد أية إشارة أخرى عن شيلوه المسكن المقدس.

لماذا سلَّم الرب عِزَّه وجلاله ليد العدو؟!

لقد عصوا الله العلي، وشهاداته لم يحفظوا. كما يجيب المرنم في مزموره الثامن والسبعين، بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم. انحرفوا بعيداً كقوس مخطئة. أغاظوا الرب مخلصهم بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم. سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً. رفض مسكن شيلوه، الخيمة التي نصبها لسكناه بينهم. وسلم للسبي عزه وجلاله ليد العدو(مزمور ٧٨: ٦١). ودفع إلى السيف شعبه وغضب على ميراثه. مختاروه أكلتهم النار وعذاراه لم يحمدن. كهنته سقطوا بالسيف وأرامله لم يبكين (قارن مزمور ٧٨: ٥٦-٦٤، ١صم ٢: ٣٠، ٣٤-٣٦).

وعندما وضع شعب يهوذا كل ثقته في هيكل أورشليم، ذكرهم النبي إرميا بما حدث في شيلوه، مخاطباً إياهم

«أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه ظانين أنكم قد نجوتم... هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه مغارة لصوص... اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه، الذي أسكنت فيه اسمي أولاً، وأنظروا ما صنعت به ومن أجل شر شعبي إسرائيل. والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب... أصنع بالبيت الذي دعي باسمي عليه الذي أنتم متكلون عليه... كما صنعت بشيلوه، وأطرحكم أمامي كما طرحت كل إخوتكم... (إرميا ٧:٩-١٥، ٦:٢٦، ٩ مع ١صم ٤:١٢-٢٢).

ورغم كل الهزائم التي لحقت بإسرائيل، لم تحسب واحدة منها هزيمة للرب، بل كانت هزيمة سياسية قومية لتهذيب الشعب وتقويمه. إنه الرب نفسه الذي كان يباركهم بالانتصار، وهو نفسه الذي يؤدبهم بالهزيمة والانكسار لفحص الإيمان وتجديد الولاء لإله العهد.

صموئيل آخر قضاة إسرائيل

كانت صموئيل نبياً وقاضياً لإسرائيل. كما كان بلا منازع أعظم القادة الدينيين والمدنيين في إسرائيل كما يرى بعض المفكرين، وذلك منذ وقت موسى النبي. ويمثل دوره مرحلة انتقال من أسلوب القيادة الكارزماتية إلى دور القيادة النبوية، والتي كان لها دورها المهم والرئيسي في حياة إسرائيل. وتحت قيادة صموئيل انتقلت إسرائيل من سياسة التحالف القبلي إلى سياسة الحكومة السياسية الأكثر استقراراً (حكومة ملكية) (١صم ١-١٢). فقد لعب صموئيل دوراً مهماً في تأسيس مملكة إسرائيل (١صم ٩-١٠:١٦، قارن أصحاح ١١) بأن حقق للشعب رغبته في اختيار شاول ملكاً عليهم.

وكان شاول شاباً لامعاً أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق (٢٣:١٠). وكان قد قام مع غلامه ليبحث عن أتن أبيه، حتى كاد يفشل في البحث عنها لولا أن غلامه طلب إليه أن يستشير صموئيل الرائي، الذي كان كاهناً معروفاً أيضاً (٩:٦-٩، ١١-١٣). وقد أخبرهما صموئيل بأن الأتن الضالة منذ ثلاثة أيام قد وُجدت (٩:٢٠). ومسح النبي صموئيل شاول ملكاً على إسرائيل (١:١٠) حسب طلبهم ورغبة قلوبهم. فهتف كل الشعب وقالوا ليحيي الملك (قارن ١٠:١٧-٢٤). فالآن هوذا الملك الذي اخترتموه الذي طلبتموه، وهوذا قد جعل الرب عليكم ملكاً (١٣:١٢). فالآن أمثلوا أيضاً وانظروا هذا الأمر العظيم الذي يفعله الرب أمام أعينكم... فتعلمون وترون أنه عظيم شركم الذي عملتموه في عيني الرب بطلبكم لأنفسكم ملكاً... وأعطي الرب رعوداً ومطراً في ذلك اليوم، وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل أيضاً (١٢:١٦-١٨). وطلب الشعب إلى صموئيل أن يصلي عنهم إلى الرب إلههم حتى لا يموتوا، قائلين لأننا قد أضفنا إلى جميع خطايانا شراً بطلبنا لأنفسنا ملكاً. وطمأنهم صموئيل موصياً إياهم ألا يحيدوا عن الرب بل يعبدوه بكل قلوبهم... لأنه لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم قائلاً لهم «وأما أنا فحاشا لي أن أخطيء إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم إنما اتقوا الرب وأعبدوه بالأمانة من كل قلوبكم... وإن فعلتم شراً فإنكم تهلكون أنتم وملككم جميعاً» (١٢:١٩-٢٥).

وقد أدان هوشع النبي فكرة تأسيس مملكة ومسح شاول ملكاً عليها. والتي رأى فيها رفضاً لسيادة الله عليهم (هوشع ٨:٤، ٩:١٥، ١٠:٣).

شاول كرئيس للشعب (١٠٢٠ق.م-١٠٠٠ق.م)

تجدر الإشارة بأن روح الرب الذي صاحب قضاة إسرائيل وأيدهم بالنجاح والنصرة على الأعداء هو الذي حل على شاول، لذا اعترف به الشعب قائداً ورئيساً وليس لأنه أطول منهم من كتفه فما فوق. إنه روح الرب الذي حل على شاول ليخلص يابيش جلعاد وشعبها من يد العمونيين الذين كانوا مصدر خوف ورعب لهم (١صم ١١:٦-٧). وبعد نجاحه العسكري هذا جعله الشعب ملكاً عليهم على رجاء أن يخلصهم من أيدي أعدائهم ومضايقيهم.

ويرى البعض أن شاول يشبه إلى حد كبير أحد قضاة إسرائيل السابقين له، ولا يشبه أحداً من الملوك الذين أتوا من بعده. وفي (١صم ٩:٦، ١٠:١) نجد وصفاً لشاول بأنه رئيس أو قائد، ولم يلقب بملك مثل داود أو سليمان. ولم تكن لشاول عاصمة لمملكته (دولته)، ولم يكن له نظام حاكم (بمعنى هيكل هرمي للسلطة الحاكمة). وعاش بلا نظم ضرائبية أو تجنيد إلزامي، بل كان جيشه بمثابة جماعة متطوعة من مؤيديه (١صم ١٣:٢، ١٤:٥٢). وكانت قيادته كارزماتية طبقاً لموهبته. وعليه، كانت نزعته إكتئابية عداونية (راجع ١٤:٣٦-٤٦، ١٥:٩، ٢٤، راجع معاملاته مع داود في (١صم ١٨:٩، ١٢، ١٥، ٢٩).

ويرى أحد الشراح أن شاول نزع لعبادة البعل بعد أن عبد الرب (يهوه). فقد أطلق على ابنه الأول اسم يوناثان (بمعنى الرب أعطى)، أما أولاده بعد ذلك فأطلق عليهم أسماء خاصة ببعل إله الكنعانيين مثل إيشبعل ابنه (ويعني رجل بعل). بالإضافة إلى ذلك، فقد قام شاول بقتل الكهنة من أسرة عالي، الذين كانوا خدام المسكن المقدس في شيلوه وكانوا يقومون بحراسته (١صم ٢٢). تلك كانت شخصيته المتقلبة على العكس تماماً من صموئيل القاضي والنبي والكاهن.

ولم يكن شاول نبياً، وإن كان قد تأثر بالجو العام للأنبياء حتى شاع المثل القائل: «أشاول أيضاً بين الأنبياء» (١صم١٠:١٠-١١، ١٩:١٨-٢٤). ويرى أحد العلماء أن التنبؤ هنا والمنسوب لشاول يقصد به الترنم والتسبيح، والذي كان مصحوباً برباب ودف وناي وعود (١٠:٥ب). كما جاء عن النبوة في موضع آخر بمعنى صلاة (تك ٢٠:٧أ).

وكرجل حرب، كانت لشاول الخبرة المحدودة والنظرة الضيقة لفهم القصد الإلهي في التاريخ (راجع ١صم ١٥) والخاصة بالحرب المقدسة (ضمن حروب الرب) لاستئصال كل نجاسة ورجاسة.

لقد كان على شاول بأمر الرب عن طريق صموئيل النبي، أن يبيد العمالقة كلية... الرجل والسيدة والطفل وكل حيوان في الأرض مع ثرواتهم. وبعبارة أخرى كانت حرباً مقدسة. شعب عماليق الذي كان هدفهم الأول القضاء على مختاري الرب (خروج ١٧:٨-١٦).

وفي الحرب المقدسة، على الإنسان أن يتسلح بأفضل سلاح لتحقيق النصر وهو الإصغاء لصوت الرب إلهه، وأن يمتثل لدعوته التي هي امتحان في الأمانة والولاء لإله العهد والإيمان الواثق في شخصه الذي يتقدم شعبه. ويعد إثماً عظيماً على الشخص في الحرب المقدسة أن يأخذ شيئاً ما كغنيمة، بل يكون كل شيء مقدساً (محرماً) وقد وضح ذلك في قصة عخان بن كرمي الذي سرق من الغنيمة، فنجم عنه الهلاك والدمار لنفسه وأسرته أيضاً (يش ٧). إنه عمل بغيض ومكرهة أمام الرب القدوس أن يأخذ الإنسان من الحرام بدلاً من تدميره أمام الرب (٧:١) وقد عفا شاول والشعب عن أجاج ملك عماليق، وعن خيار الغنم والبقر والسمين وكل ما هو جيد، ولم يرضوا أن يحرموها. وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها (١صم ١٥:٩). وحسن هذا في عيني شاول بحسب الحكمة الأرضية البشرية، وتجسد خطأه هذا بأنه لم يستمع للرب ولم يطعه تماماً، وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: «ندمت على أني قد جعلت شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي» (عدد ١١) وواجه صموئيل شاول بالحقيقة قائلاً له: «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش. لأن التمرد كخطية العرافة، والعناد (عدم الطاعة) كعبادة الوثن، لأنك رفضت كلام الرب، رفضك الرب من الملك» (١صم ١٥:٢٢-٢٣)، وتقدم صموئيل إلى أجاج ملك عماليق وقال: «كما أثكل سيفك النساء، هكذا تثكل أمك بين النساء». وقطعه صموئيل أمام الرب في الجلجال (عدد ٣٣).

وفي هذا يتساءل المرء: كيف ولماذا يحدث هذا؟ وهل يُسر الرب بإبادة شعب بجملته بواسطة شعب آخر؟ ويجيب

علماء الكتاب المحافظين بأن شعب إسرائيل كان بمثابة أداة في يد الرب لتحقيق إرادته المقدسة الكاملة والمرضية قدامه، وليس لأنه أفضل من باقي الشعوب (إش ١٠:١٥، ٢٧:١٤، ١٣:٤٠، ١٧، قارن تث ٧:٧-١١). إنه الإله القدوس الذي أسلم شعبه المختار إسرائيل ليد أشور وبابل للتأديب والعقاب (قارن إرميا ٨:٢٧-١١، ٣٢:٢٦-٣٥). وهو الرب الذي نظر بعين رحمته إلى الأشوريين عندما رأى أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة. فندم الرب على الشر الذي تكلم أن يصنعه فلم يصنعه (يونان ٣: ١٠).

إنه الإله الخالق للجميع، ومحبته مقدسة وعادلة. وله أن يرى إبادة شعب بجملته كعماليق، لأنهم مثار خطر في الخطية والنجاسة، إنه الجراح الأعظم الذي له أن يستأصل عضواً فاسداً في الجسم البشري لخير الإنسانية كلها. ولا يُقال عن الجراح الماهر الذي يدرك عمله جيداً أنه قاسي القلب ولا يرحم (قارن إش ١٢:٤٠-١٥ب، ١٧أ).

شاول مسيح الرب

تكلم داود بهذه الكلمات عن شاول بأنه مسيح الرب عند مطاردة شاول له ومعه ثلاثة آلاف رجل يطلبون داود لقتله. ورغم أنه كان بإمكان داود أن يقتل شاول (١صم ٣:٢٤-٥) إلا أنه وبخ رجاله بالكلام، ولم يدعهم يقومون على شاول (عدد٦) قائلاً: حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إليه لأنه مسيح الرب. وتكرر هذا في موضع آخر، عندما توجه شاول إلى برية زيف ومعه رجاله المنتخبون لكي يفتشوا عن داود لقتله أيضاً. وكان داود مقيماً في البرية (١صم ١:٢٦-٣). وتحقق داود من ذلك، ورآهم نائمين في الموضع «لأن سبات الرب وقع عليهم» (عدد ١٢). وقال أبيشاي لداود: «قد حبس الله اليوم عدوك (شاول) في يدك، فدعني الآن أضربه بالرمح دفعة واحدة ولا أثني عليه». عندئذ أجابه داود: «حي هو الرب، إن الرب سوف يضربه أو يأتي يومه فيموت»... «حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إلى مسيح الرب» (أعداد ١٢:٧، قارن أيضاً أعداد ١٣-٢٥).

والكلمة «مسيح» في العبرية تعني «الممسوح لعمل ما». كما تعني بالتخصيص «مسح الملك والنبي» (١مل ١٦:١٩، إش ١:٦١، قارن ١صم ١:١٠)، ومسح الكاهن (خروج ٤١:٢٨، ٧:٢٩)، قارن أيضاً (١مل ٣٩:١، ٢مل ١٢:١١). فالمسيح هنا هو الممسوح لعمل خاص من قبل الرب، ولأجل ذلك لم يُرِد داود أن يقتل شاول، وكان هذا في قدرة يده، لأنه مسيح الرب (١صم ٦:٢٤، ١٠، ١١:٢٦)، بالإضافة إلى ذلك فإن الكلمة «مسيح» تشير دائماً في الأسفار المقدسة إلى الملك الحاكم ممثلاً لله لتأسيس مملكة الله على الأرض. وبهذا المعنى وردت الكلمة «المسيح» في العهد الجديد (مرقس ٢٩:٨).

شاول في بيت العرافة

جاء في الأصحاح (٢٨) أن شاول تنكر ولبس ثياباً أخرى. وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى امرأة صاحبة جان ليلاً وقال لها: اعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك. وأجابته المرأة خائفة من أن يكون هذا شركاً ليميتها قائلة: «أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض» (٩:٢٨). فحلف لها شاول بالرب قائلاً «حي هو الرب إنه لا يلحقك ضرر في هذا الأمر» (عدد ١٠).

إن خلفية ذهاب شاول إلى المرأة صاحبة الجان هو الخوف والاضطراب من جيش الفلسطينيين، وسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء، وبات واضحاً له بأن جميع النوافذ والسبل قد سدت أمامه. فلجأ إلى وسيلة أخرى وهي الجان، فهل يجاب إلى طلبه؟!

لقد طلب شاول من المرأة بأن تصعد له صموئيل. وجاء في (عدد ١٢) «فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت المرأة شاول قائلة: لماذا خدعتني وأنت شاول؟» وهنا يرى بعض العلماء أن المرأة رأت صموئيل بالفعل. وسمح الرب بذلك هذه المرة، ويرى البعض الآخر أن المرأة كذبت مرتين على شاول:

الكذبة الأولى: أنها لم تر صموئيل: إذ كيف يعقل أن يسمح الرب للجان أن يصطحب صموئيل بأمر المرأة، والرب قد رفض شاول ولم يجبه لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء (٦:٢٨، لاحظ أيضاً شهادة شاول عن نفسه في العدد ١٥).

الكذبة الثانية: في قولها لشاول: لماذا خدعتني وأنت شاول؟ ولعلها في هذه الكلمات تظهر فطنة وذكاء شديدين منها، مع حكمة إنسانية شيطانية، حتى يتقين شاول أنها أجابته لطلبه بإصعاد صموئيل له. ولعلها أيضاً عرفت - كما يرى كثير من العلماء - بأنه شاول وهو يخطو إلى بيتها لحظة أن رأته، لأنه كان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق (٢٣:١٠). ويتساءل أحد العلماء في الآيات (من ١٥-٢٠ من الأصحاح ٢٨ ذاته)، كيف يمكن لجان أن يُقلق إنسان وهو في الأبدية؟ (عدد ١٥). وهل يوجد في الأبدية شيوخ وشبان ويتغطون أيضاً بجبة وغيرها؟ وما هو الجديد الذي أتي على شاول من طلبه هذا؟ (قارن أعداد ١٥-١٨). ألم يسمع ذات الكلمات من صموئيل النبي والقاضي قبل موته؟!

أما عن الكلمات «غداً أنت وبنوك تكونون معي» (عدد ١٩) فهي لا تحمل نبوة عسرة الفهم، بل هي تحصيل حاصل، إذ لابد لشاول وبنيه أن يرحلوا من هذا العالم في لحظة معينة، والكلمة «غداً» تعبير عن زمن مجهول غير محدد. (راجع ما جاء في لاويين ٣١:١٩، ٦:٢٠، خروج ١٨:٢٢، تث ٩:١٨-١٤، إشعياء ١٩:٨، إرميا ٩:٢٧-١٠).

وينجلي كل غموض أمام كلمات كاتب سفر أخبار الأيام الأول عن هذا الحدث (١٣:١٠) «فمات شاول بخيانته التي بها خان الرب من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه» (قارن ١صم ١٣:١٣-١٤، ٢٢:١٥-٢٣، ٧:٢٨) وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان للسؤال، ولم يسأل من الرب من القلب بإيمان واثق وروح الطاعة الكاملة لشخصه المبارك القدوس (قارن ١صم ٦:٢٨) «لأن ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت ٢١:٧). لذلك أماته الرب، وحول المملكة إلى داود بن يَسَّى.

داود ملكاً على إسرائيل (١٠٠٠-٩٦١ ق.م)

كان داود ملكاً وحاكماً قديراً ماهراً، استطاع بحكمته أن يجمع كل الشعب إلى جانبه (٢صم١ -٤).

وتعد مرثاة داود على شاول وإبنه يوناثان، تعبيراً واضحاً وصادقاً لحزنه عليهما وصفحه لمن كان يطارده ويطلب نفسه (٢صم ١). مما جعل الشعب يتعلق به أكثر كملك صفوح يغفر لمن أساء إليه. كما ظهر إخلاص داود أيضاً في محبته لأبنير بن نير الذي كان قائداً لجيش شاول. وبكاه داود كثيراً هذه المرة أيضاً لقتله. «وعلم كل الشعب وجميع إسرائيل في ذلك اليوم أنه لم يكن من الملك قتل أبنير بن نير، وقال داود الملك لعبيده ألا تعلمون أن رئيساً وعظيماً سقط اليوم في إسرائيل... يجازي الرب فاعل الشر كشره» (٢صم ٣٧:٣-٣٩).

وعندما قُتل مفيبوشث بن شاول بواسطة اثنين من رجاله، طمعاً منهما في كسب رضى الملك داود عنهما. أمر داود بقتلهما لأنهما قتلا رجلاً صديقاً في بيته على سريره (٢صم ٩:٤-١٢) كما تم مع الرجل الذي بَشَّره بقتل شاول من قبل (٢صم ١٤:١-١٥).

وكان داود متيقناً من النجاح لتمسكه بالرب إلهه، واثقاً في الذي عضده بكل القدرات، وجاءت كل أسباط إسرائيل مع يهوذا ونصبوه ملكاً عليهم (١:٥-٣) وبدأ داود في بناء مملكته بالصمود أمام الموآبيين والأدوميين والعمونيين والأراميين. واتسعت المملكة إلى عشرة أمثال ما تسلمها من شاول. ويرى أحد الباحثين أن نجاح داود لا يرجع فقط إلى مهارته العسكرية، بل إلى حكمته النابعة من خوفه للرب إلهه، كما أسس مدينة أورشليم عاصمة لمملكته (٢صم ٤:٥-١٠). وأصعد تابوت الله إلى مدينة أورشليم بفرح، ونصبه في وسط الخيمة التي خصصها له

(٦:١٢-١٧).

وأراد داود أن يبني هيكلاً للرب، غير أنه أخبر بواسطة ناثان النبي عن فم الرب قائلاً: «متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد» (٢ صم ٧:١٢-١٣).

وجاء بالأصحاحات (٩: ٢٠) من سفر صموئيل الثاني، صورة حية ودقيقة عن حياة داود التي يعتقد أنها كتبت في وقت مبكر يعود إلى زمن سليمان الملك، وكتبت بكل الوضوح الكامل، ولم يُحذف منها شيء وخاصة عن خطية داود وقتل أوريا الحثي (٢صم ١١) ولم يرد أي عذر لداود على فعلته هذه، وفي الأصحاح (١٢) جاء وصف دقيق من مقابلة ناثان النبي مع داود الملك، في سلطانه ومجده، موبخاً إياه وبقوة. إذ قال له النبي ناثان «أنت هو الرجل» ويُعد هذا الأصحاح (٢صم ١٢) في نظر أحد العلماء، بأنه أحد النصوص الذهبية بالأسفار المقدسة. فقد كانت توبة داود صادقة، وغُفرت خطيته من قبل الرب، لكنها أثمرت علقماً وأفسنتيناً وكل مرارة. لأنه جعل أعداء الرب يشمتون (١٢:١٤). وتوالت المآسي بدءاً من موت الطفل ثمرة خطيته (١٥:٢٣)، واعتداء أمنون على ثامار أخته من أبيه (١٣:١-١٩) واغتيال أمنون بواسطة أبشالوم أخيه من أبيه وشقيق ثامار (١٣:٢٣-٣٩) وتمرد أبشالوم على أبيه داود (الأصحاحات من ١٥-١٩) كما تخلص يوآب قائد جيش داود (وهو رجل حرب قاسي القلب) من أبشالوم وشبع بن بكري (٢صم ٢٠) ولم يكن هناك ما يعزي داود عن قتل ابنه أبشالوم الذي كان متمرداً عليه (٢صم ١٨:٣١-٣٣) وأخيراً المنافسة بين أدونيا وسليمان على العرش بعد داود أبيهما (١مل ١-٢).

يتضح مما سبق كما يرى بعض العلماء، أن حكم داود على إسرائيل لم يؤسس فقط قواعد أساسية وهامة للحكم دامت لأكثر من أربعة قرون من الزمان، بل نجم عنه ضرورة أن يتقي الملك الرب إلهه ويخشاه من القلب والعقل، وهو المسوح من الله.

وقد أخذ داود مكانته مع إبراهيم وموسى كرجل عهد مع الرب، والذي قيل له من ناثان النبي عن فم الرب «كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ٧:١٦، قارن ٢صم ٢٣:١-٧، ١مل ٨:١٢-٢٦، مزامير ٢،٨٠،٢٠، ٢١، ٤٥، ٧٢، ٨٩، ١٠٠، ١٠١، ١٣٢، ١٤٤:١-١١).

الملوك الأول والثاني

كان سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني سفراً واحداً. كما هو الحال في سفري صموئيل الأول والثاني، غير أنه في الترجمة السبعينية أطلق على سفر الملوك الأول «سفر المملكة الثالثة» وسفر الملوك الثاني «سفر المملكة الرابعة».

وفي الترجمة اللاتينية (ڤولجاتا) أطلق على سفر الملوك الأول «سفر الملوك الثالث»، وسفر الملوك الثاني «سفر الملوك الرابع». أما عن الكتاب المقدس العبري الذي ظهر فيه التقسيم واضحاً (عام ١٥١٦ تقريباً). فقد ظهر السفران فيه باسم «الملوك الأول والثاني».

ويقدم سفرا الملوك ختاماً لتاريخ الحكم العبراني، من النقطة التي توقف عندها سفر صموئيل الثاني. وتغطي هذه الفترة الزمنية من وقت موت داود إلى سقوط أورشليم (٩٦١-٥٨٧ق.م) حيث تضمن السفر إشارة عن انتهاء سبي يهوياكين ملك يهوذا، الذي دام سبعة وثلاثين عاماً، وبخاتمة مريحة للنفس التي تعذبت طويلاً في السجن (٦٠٤-٥٦١ ق.م) (٢مل ٢٥:٢٧-٣٠، قارن إرميا ٥٢:٣١-٣٤).

أقسام السفرين ومشتملاتهما

سفر الملوك الأول

أولاً: المملكة المتحدة من وقت سليمان إلى رحبعام (١مل ١:١-١١:٤٢).

١- سليمان ملكاً على إسرائيل (١:١-٢:٤٦).

أ- هزيمة أدونيا في الوصول للحكم (١:٤٦-٥٣).

ب- كلمات داود الأخيرة وموته (٢:١-١١).

ج- سليمان ملكاً على إسرائيل (٢:١٢-٤٦).

٢- حكمة وغنى سليمان (٣:١-٤:٣٤).

٣- نشاط سليمان العمراني (إنجازات سليمان) (٥:١-٩:٢٨).

٤- العصر الذهبي لحكم سليمان (١٠:١-٢٩).

أ- زيارة ملكة سبأ (١٠:١-١٣).

ب- مجد سليمان في الحكم (١٠:١٤-٢٩).

٥- زيغان سليمان وبعده عن الله وموته (١١:١-٣٤).

ثانياً: انقسام المملكة حتى سقوط إسرائيل: من رحبعام إلى هوشع بن أيلة (١٢:١-٢مل ١٧:٤١).

١- العداء بين إسرائيل ويهوذا من وقت رحبعام إلى حكم عُمري (١٢:١-١٦:٢٨).

أ- تمزيق المملكة (١٢:١-٣٣).

ب- حكم يربعام وموته (١٣:١-١٤:٢٠).

ج- يهوذا تحت حكم رحبعام وأبيا وآسا (١٤: ٢١-١٥: ٢٤).

د- إسرائيل تحت حكم ناداب وبعشا وأيلة وزمري وعمري (١٥: ٢٥-١٦: ٢٨).

٢- من أخآب إلى حكم يورام (١٦: ٢٩-٢مل١: ١).

أ- بداية حكم أخآب في إسرائيل (١٦: ٢٩-٣٤).

ب- خدمة إيليا إلى دعوة أليشع (١٧: ١-١٩: ٢١).

ج- فترة حكم أخآب الأخيرة وموته (٢٠: ١-٢٢: ٤٠).

د- يهوذا تحت حكم يهوشافاط (٢٢: ٤١-٥٠).

هـ- إسرائيل تحت حكم أخزيا ويهورام (٢٢: ٥١-٢مل ١: ١).

سفر الملوك الثاني

أولاً: إسرائيل تحت حكم أخزيا ويهورام - ياهو (١: ٢-١٠: ٣٦).

١- خدمة إيليا الأخيرة (١: ٢-٢: ١١).

٢- مقدمة عن أليشع (٢: ١٥-٢٥).

٣- يهورام وموآب (٣: ١-٢٧).

٤- خدمة أليشع النبوية (٤: ١-٨: ١٥).

٥- يهورام في يهوذا (٨: ١٦-٢٤).

٦- أخزيا في يهوذا (٨: ٢٥-٢٧).

٧- ياهو في إسرائيل (٩: ١-١٠: ٣٦).

ثانياً: العداء بين المملكتين (١١: ١-١٧: ٤١).

١- عثليا ويوآش في يهوذا (١١: ١-١٢: ٢١).

٢- إسرائيل في أيام يهوأحاز ويهوآش (١٣: ١-٢٥).

٣- أمصيا في يهوذا (١٤: ١-٢٢).

٤- يربعام الثاني في إسرائيل (١٤: ٢٢-٢٩).

٥- عزريا في يهوذا (١٥: ١-٧).

٦- حكم زكريا وشلوم بن يابيش ومنحيم بن جادي، وفقحيا بن منحيم (١٥: ٨-٣١).

٧- حكم يوثام وآحاز في يهوذا (١٥: ٣٢-١٦: ٢٠).

٨- سقوط إسرائيل وأسر الشعب في أيام حكم هوشع بن أيله (١٧: ١-٤١).

ثالثاً: مملكة يهوذا حتى سقوط إسرائيل (١٨: ١-٢٥: ٣٠).

١- المملكة تحت حكم حزقيا (١٨: ١-٢٠: ٢١).

أ- الإصلاح الديني الذي قام به حزقيا (١٨:١-١٢).

ب- الخلاص الذي تم بواسطته من يد الأعداء وسنحاريب وجيوشه (١٨:١٣-١٩:٣٢).

ج- مرض حزقيا وشفاء الله له (٢٠:١-١١).

د- موت حزقيا (٢٠:١٢-٢١).

٢- حكم منسى وآمون (٢١:١-٢٦).

أ- شرور منسى وموته (٢١:١-١٨).

ب- خطايا آمون وموته (٢١:١٩-٢٦).

٣- الإصلاح الروحي في يهوذا تحت حكم يوشيا (٢٢:١-٢٣:٣٠).

٤- الأيام الأخيرة لمملكة يهوذا (٢٣:٣١-٢٥:٢٦).

أ- حكم ونهاية يهوآحاز (٢٣:٣١-٣٤).

ب- حكم يهوياقيم ونبوخذ نصر (٢٣:٣٤-٢٤:٧).

ج- حكم يهوياكين وأسره إلى بابل (٢٤:٨-١٦).

د- حكم صدقيا (٢٤:١٧-٢٠).

هـ- حصار وسقوط أورشليم (٢٥:١-٢١).

و- جدليا في الحكم (٢٥:٢٢-٢٦).

٥- ختام السفر: إطلاق يهوياكين إلى الحرية (٢٥:٢٧-٣٠).

الكاتب وزمن الكتابة

كُتب سفرا الملوك الأول والثاني على غرار الكتابات التاريخية في الكتاب المقدس. بمعنى أن الكاتب استعان في كتابة السفرين بمختلف المصادر التاريخية الموجودة في ذلك العصر. بعض هذه المصادر التاريخية ورد ذكرها في الأسفار، ولم يُذكر شيء عن البعض الآخر. أما عن المصادر التي ورد ذكرها فهي سفر أمور سليمان، (١مل ١١:٤١)، وسفر أخبار ملوك إسرائيل (٢مل ١٤:١٩)، وسفر أخبار ملوك يهوذا (١مل ١٤:٢٩) كما أن هناك إشارة إلى سفر أخبار ملوك إسرائيل، بمعنى جميع ملوك إسرائيل ما عدا يهورام وهوشع. وتكررت هذه الإشارة سبع عشرة مرة.

كما جاءت الإشارة عن سفر ملوك يهوذا، ما عدا خمس حالات خاصة بملوك يهوذا لم يرد إشارة عنها. ويُرجع البعض سبب ذلك بأنه ربما لم تكن هذه الأسفار بالوثائق التاريخية الرسمية التي حُفظت بواسطة مسجل خاص بها (٢صم ٨:١٦) تلك الخاصة بكل ملك على حدة. بل بمثابة تواريخ متسلسلة مبنية الواحدة على الأخرى. لأن الكلمة أو القول «سفر أخبار ملوك» تعني عملاً واحداً وليس تاريخ أو أخبار كل ملك على حده.

وبالإضافة لهذه المصادر المذكورة، ربما يكون الكاتب قد استعان بمصادر أخرى في كتابة بعض المواد الهامة في سفري الملوك، من هذه المصادر سفر أعمال إيليا وسفر آخر خاص بأليشع وتاريخ الحروب السورية (١مل ٢٠،٢٢)، ومصدر آخر يختص بالهيكل (٢مل ١٢:٤-٦، ١٦:١٠-١٨)، وسفر تاريخ إشعياء النبي (٢مل ١٨:١٧-٢٠:١٩، قارن مع إش ٣٦:١-٣٩:٨).

هذه المصادر كلها وُضعت في إطار منظم للإستعانة بها في كتابة الأسفار التاريخية. كما أن هذه المصادر شبيهة بتلك التي استعان بها كاتب سفر القضاة كما يرى بعض الباحثين.

وكان الأسلوب المستخدم في الكتابة كما يرى أحدهم شبيهاً إلى حد كبير في كل أجزاء السفرين. فمثلاً يذكر الكاتب أنه في السنة العاشرة للملك... ملك يهوذا، بدأ الملك ابن... يحكم إسرائيل (١مل ١٦: ٢٩، ٣٠ قارن ١مل ١٦: ٥-٦) «واضطجع بعشا مع آبائه ودفن في ترصة وملك أيلة ابنه عوضاً عنه».

هذا الأسلوب في الكتابة اختلف من ملك لآخر، والكتابة عن ملوك يهوذا وردت مشابهة للكتابة عن ملوك إسرائيل. وفي بداية الحديث عن ملوك يهوذا ورد اسم أم الملك أحياناً (١مل ١٥: ٢). وحكم بعض ملوك يهوذا البالغ عددهم ثمانية ملوك أحكاماً صالحة، وعملوا ما هو مستقيم في عين الرب. «وعمل يهوآش ما هو مستقيم في عيني الرب كل أيامه التي فيها علمه يهوياداع الكاهن» (٢مل ١٢: ٢٠). «إلا أن المرتفعات لم تنتزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات» (٢مل ١٢: ٣). اثنان فقط من الملوك وهما حزقيا (٢مل ١٨: ٣)، ويوشيا (٢مل ٢٢: ٢) سارا في طريق أبيهما داود، وعملا ما هو حسن في عيني الرب. فأزالا المرتفعات والسواري لعبادة البعل. وقادا الشعب لعبادة يهوه، وتقديم الذبائح والمحرقات في هيكل أورشليم وليس في مكان آخر سواه.

ومن الناحية الأخرى وقع العقاب العظيم على الشعب لأجل خطايا يربعام بن نباط، الذي جعل إسرائيل يخطيء (٢مل ٢٤: ٤) بإقامته عجلين للعبادة في كل من بيت إيل ودان، كما عين كهنة لذلك وأعياداً يعيد فيها الشعب مقابل تلك الأعياد التي كانوا يعيدونها في أورشليم (١مل ١٢: ٢٨-٣١)، وتلك الأفعال منعت تماماً في (تث ٤: ١٥-١٦، تث ٩: ٨-٢١، ١٨: ١-٣، ١٢: ٢-١٨).

والمرجح أن كاتب سفري الملوك الأول والثاني كان على علم كبير بما جاء في سفر التثنية، وتكلم بسلطان، بوصفه ناسخاً لسفر التثنية. ويرى بعض الباحثين أن تاريخ كتابة سفري الملوك الأول والثاني يقع ما بين عام ٥٩٨-٥٨٧ ق.م تقريباً. ويرجع سبب ذلك إلى أن مادة سفري الملوك، تنتهي بنهاية الأصحاح الرابع والعشرين من ملوك الثاني، مشيرة عن السبي الواقع عام ٥٩٨ ق.م أما الأصحاح الذي يليه والذي يخبرنا عن سقوط أورشليم الذي وقع عام ٥٨٧ ق.م فيعتقد أنه كتب بعد ذلك بسنين طويلة تصل إلى ما بعد سقوط أورشليم. إذ أن هذا الأصحاح يتحدث عن الإحسان الذي لقيه يهوياكين عام ٥٦٢ ق.م ولأجل هذا السبب، رأى بعض العلماء أن كتابة مواد هذا الأصحاح تصل إلى ما بعد عام ٥٨٧ ق.م بربع قرن من الزمان.

وربما تكون صلاة سليمان قد أضيفت أيضاً لمواد السفر الأصلية (١مل ٨). كما أن أجزاء أخرى قد تكون أضيفت وكتبت ما بعد السبي. وجاء بالتلمود أن النبي إرميا هو الذي كتب ملوك الأول والثاني. وجدير بالإشارة أن إرميا النبي نفسه لم يرد عنه شيء على الإطلاق في هذين السفرين. رغم أنه قام بأعمال جليلة وعظيمة في السنين الأخيرة لأورشليم. ولا يوجد الدليل الواضح الإيجابي الذي يؤيد الرأي بأن إرميا هو الكاتب لملوك الأول والثاني، ويبقى الرأي بأن الكاتب غير معروف.

إن هناك علاقة روحية كما يرى بعض العلماء بين سفري الملوك الأول والثاني وسفر التثنية هذه العلاقة واضحة للغاية إذا دقق الدارس لسفري الملوك وسفر التثنية، وبخاصة الأصحاحات ١١،٩،٧ .

كما يوجد من علماء الكتاب من يرون بأن سفر التثنية الذي كان له أعظم الأثر في كتابة السفرين، قد كُتب ما بين سقوط السامرة وسقوط أورشليم. وهذا الاعتقاد يضعنا - كما يرى بعض العلماء الآخرين - أمام مشكلة يجب حلها، وهي ما هو السبب الذي من ورائه لم ترد الإشارة عن أورشليم على الإطلاق؟

بل أن هناك تفصيلات عديدة للغاية جاءت في سفر التثنية عن أحداث البرية، وعلاقة الله بهذا الشعب خلال تلك

الفترة التي تصل إلى أربعين عاماً. وسفر التثنية، كما هو معروف لدى الغالبية من العلماء هو سفر موسوي مع أضافات متأخرة إلى السفر. وقد كان لسفر التثنية أعظم الأثر في الإصلاح عبر القرون والأجيال، وتجلي ذلك بصورة واضحة في إصلاحات يوشيا الملك التي قام بها في مملكته يهوذا (قارن ٢مل ٢٢-٢٣). كان هذا ثمرة العثور على سفر الشريعة في هيكل أورشليم.

لمحة تاريخية عن الهيكل

دعا الله شعبه أن يقيموا خيمة للاجتماع. فكان الإسرائيليون يجتمعون أمام الله في خيمة الاجتماع، بعد أن كانوا في عبودية مدة تزيد عن أربعمائة عام في أرض مصر. كما تعبد الإسرائيليون في خيمة الاجتماع مدة طويلة في شيلوه (قارن مز ٢٥:٤٠) إلى أن دعا الله سليمان ليبني له هيكلاً. غير أن هذا الهيكل الذي بناه سليمان لم يدم مجده إلا لوقت قصير. فقد نُهب الهيكل بعد خمس سنوات من موت سليمان وذلك بواسطة شيشق ملك مصر (قارن ١مل ١٤:٢٥-٢٦) وتم سقوطه تماماً بواسطة البابليين عام ٥٨٩ق.م (٢مل ٢٥:٨-١٧ و٢أخ ١٨-١٩).

وتحدث حزقيال في الأصحاحات من (٤٠-٤٣) عن هيكل نموذجي مستقبلي، وظهرت المعابد والمجامع زمن السبي البابلي، التي تمثلت في أبنية صغيرة لجماعات اليهود المشتتة بعد أن هُدم الهيكل وتفرقت الأمة الإسرائيلية وشعر الشعب بحاجتهم إلى بيت للعبادة وتعليم التوراة حيثما وُجدت جماعات اليهود. واستمرت هذه المعابد كدور للعبادة وتعليم التوراة بعد العودة من السبي إلى أرض الوطن في المدن الصغيرة والكبيرة منها، وفي أورشليم أيضاً. وكانت تعقد اجتماعات أيضاً زمن المسيح يسوع وبعد قيامته أيضاً وصعوده إلى السماء وحلول الروح القدس، فكان المسيحيون يجتمعون في أماكن تشبه إلى حد كبير هذه المعابد الصغيرة.

هيكل زربابل

وهو الذي بُني بعد العودة من السبي، ودام ما يقرب من ٥٠٠ عام (راجع سفري عزرا ونحميا) إلى أن جاء هيرودس ورمم هذا الهيكل، بل أعاد بناءه من ذهب وحجارة كريمة. وكان على درجة رائعة من التشييد. وهو ذات الهيكل الذي دخله يسوع وطرد منه باعة الحمام وقلب موائد الصيارفة، إلى أن هُدم بواسطة الرومان عام ٧٠م. غير أن يسوع المسيح أطلق على جسده بأنه هيكل الله (يوحنا ٢:١٩، ٢١).

سليمان ملكاً على إسرائيل (٩٦١-٩٢٢ ق.م)

جاء اعتلاء سليمان عرش داود أبيه مغايراً لطريقة اعتلاء كل من شاول وداود للعرش، إذ كان على سليمان أن يتغلب على أخيه الأكبر أدونيا الذي لم يكن فقط طامعاً في الحكم، بل كان يتمتع بتعضيد يوآب وأبياثار الكاهن، لكن تعضيد ناثان النبي مع صادوق وبنياهو لداود أبيه أنهى كل صراع. وأعلن على الشعب بأن سليمان هو الملك بعد داود أبيه، حيث مسحه صادوق الكاهن ملكاً على إسرائيل.

وعمل سليمان على تعضيد من ساندوه في اعتلاء عرش أبيه، وأسس علاقات عامة وطيدة مع باقي الشعوب حواليه، كما أقام معاهدات سلام معها وضحت من زيجاته المتعددة (١مل ٣:١١). بالإضافة إلى المعاهدات التي شملت نواحي الحياة المختلفة من اقتصاد وتجارة وغيرها. ولكن سرعان ما ضعفت مكانة سليمان الملك بسبب هذه الزيجات المتعددة التي كان يهدف من ورائها إلى تقوية ربط مملكته مع باقي شعوب وممالك الأرض. إذ أمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، ولم يحفظ ما أوصاه به الرب. وأعلن لسليمان من الرب قائلاً: «فأني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك» (١مل ١١:١١ب، قارن أعداد ١-١٠، ١٢-١٣).

واعتلى رحبعام بن سليمان كرسي المملكة بدون مقاومة تُذكر. ولكن عدم امتثاله لنصيحة الشيوخ وطلبه مشورة الشباب والعمل بها، أفقده الكثير من الشعبية (١مل ١١:٢٦-٤٠، ١٢:١-٢٠). فرجع الشعب عن رحبعام بن سليمان مرددين القول: «أي قسم لنا في داود ولا نصيب لنا في ابن يسّي. إلى خيامك يا إسرائيل» (١٢:١٦). «ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع، أرسلوا فدعوه إلى الجماعة وملكوه على جميع إسرائيل. لم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده» (١٢:٢٠).

وبنى يربعام مدينة شكيم في جبل أفرايم عاصمة له وسكن بها. وعمل عجلي ذهب. وضع واحداً في بيت إيل، وجعل الآخر في دان، وقال للشعب: «كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم. هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر» (١٢:٢٥-٢٨). وكان هذا الأمر خطية عظيمة أمام الرب. إذ كان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان. وعمل يربعام بن نباط كل ما هو شر في عيني الرب إذ جعل إسرائيل يخطيء (١مل ١٢: ٣٠-٣١).

واستمرت العداوة بين إسرائيل ويهوذا. ودخلت مملكة الشمال في عصيان مرير حتى ظهور عمري ملكاً على إسرائيل (٨٧٦-٨٢٩ق.م) ويعد عمري من أقدر ملوك مملكة الشمال. فقد صنع سلاماً بين المملكتين إسرائيل (شمالاً) ويهوذا (في الجنوب)، كما أسس علاقة مع صور بتزويج ابنه أخآب من الأميرة الصورية، واسترد تخوم عبر الأردن من أرام وموآب. وبعد حكم دام ست سنين في ترصة. اشترى جبل السامرة من شامر ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب جبل السامرة، وصارت السامرة مدينة حصينة وعاصمة منيعة لمملكة الشمال (إسرائيل) حتى أن الجيش الأشوري حاصرها لمدة عامين قبل أن يستولي عليها عام ٦٢٢ق.م (٢مل١٧:١-٦).

كما أسس عمري ملك إسرائيل أسرته الحاكمة التي ضمت أربعة ملوك (٨٧٦-٨٤٢ق.م) وتشير السجلات الأشورية إلى إسرائيل على أنها أرض عمري حتى بعد أسرته الحاكمة (قارن ما ورد عنه بواسطة ميشع ملك موآب على حجر موآب ANET P.320, Moabite Stone).

في كل هذا لم يرد عن عمري ملك إسرائيل غير ستة أعداد في الكتاب المقدس (١مل ١٦:٢٣-٢٨، قارن ما جاء عن ابنه أخآب في ١مل ١٦:٢٩-٢٢:٥٣).

الهدف من كتابة سفري الملوك

واضح من السفرين أن الكاتب حاول تقديم الرسالة الروحية، وليس فقط كتابة تاريخ. ويتلخص الهدف من كتابة السفرين في عبارة واحدة هي أن يحفظ إسرائيل شريعة الله ويعبده في طهارة تامة فينال كل بركة ونعمة متفاضلة. وسوف يحل العقاب والقضاء على كل متمرد وعاص ورافض لوصايا الله. ولأن الملك يمثل كل الشعب، اختار الكاتب أن يعلن رسالته، التي يجب أن يتمسك بها شعب الله، بالحديث عن الملوك وسرد حياة كل واحد منهم.

وجدير بالذكر أن حكم الملوك قد أدانه الله، ليس من الوجهة السياسية، بل من الوجهة الدينية الروحية فقط، وترددت العبارة «وفعل الملك الشر في عيني الرب». أو «وفعل الملك ما هو حسن في عيني الرب».

وربما يكون أعظم مثل يعجب له الإنسان مصداقاً لما ورد في هذا الخصوص «عُمري» ملك إسرائيل. فمن الوجهة السياسية، يعد عُمري أعظم ملوك إسرائيل. الذي أسدل عليه الستار بثمانية أعداد فقط لخصت حياته السياسية كلها. بل جاءت عبارة واحدة تلخيصاً لحياة عمري بجملتها وهي «وعمل عمري الشر في عيني الرب وأساء أكثر من جميع الذين قبله» (١مل ١٦:٢١-٢٨).

إن هدف الكاتب من هذين السفرين هو أن يتطهر إسرائيل ويسلك بأمانة أمام إلهه، وأن يُظهر ولاءً كاملاً نحو الله، لأجل العهد الذي قطعه الله معه. وأن يحيا شعب الله حياة العدل والبر والنقاوة. وعلى أساس العدل والبر وحياة

النقاوة يُحاكم الولاة. فمثلاً في قصة سليمان نجد أنه نال حكمة وغنى فائقين لكل عقل، لا لشيء إلا أنه اتضع أمام الله وطلب قلباً فهيماً ليقضي للشعب (١مل ٣:٩).

غير أن سليمان الملك عُوقب على زيغانه وعبادته آلهة أخرى غير الله الذي منحه كل غنى وحكمة. ويُعد بناء الهيكل هو أعظم إنجازات سليمان. غير أن خوف الله وعمل شرائعه يعد الأعظم، لأن مجد الله لا يحل في الأبنية أو العمائد أو الهياكل، ولا يرضى الله بديلاً عن الإنسان الذي يتجلى مجده فيه بالعمل والحق (١مل ٨:٢٧).

وتتعلم من سفري الملوك أن بناء الأمة السياسي يأتي في المرتبة الثانية بعد البناء الأخلاقي والروحي. وتمرد يربعام بن نباط تكلم عنه الأنبياء، وسمح به الله لرفض رحبعام أن يحسن معاملة الشعب ويخفف من حدته على الرعية التي أوكل عليها (١مل ١١: ٢٠، ٢٣، ١٢:٣-١٥، ٢٢). ومن ناحية أخرى فقد تعالى اسم الله بواسطة نبيه إيليا في أمر نابوت اليزرعيلي، حيث أوضحت لنا القصة قدرة الله الفائقة على قوات الظلم والفساد. وعندما نهضت القوة الحاكمة ضد من أخذوا بعهد الله والسير أمامه بأمانة، مُحيت تماماً بثورة عارمة قام بها ياهو الملك (٢مل ١٠). وكان للأنبياء دور أساسي تمثل في عنصر المبادرة في القيام بالثورة على الشرور والفساد وكسر العهد.

لقد كان البناء السياسي في حياة إسرائيل بناء صخرياً. أما إيمانهم فلم يكن كذلك. وعلى جبل الكرمل ظهر الاختيار الأعظم، الذي فيه بزغ نور من السماء وأضاء عقول كل من ضّل عن طريق الله. بأن الرب هو الله، وعلى الإنسان أن يختار بين طريقين ولا يعرج بينهما. إما أن يسلك في طريق الشر ويعبد البعل، أو يسير في طريق النور طريق الخير ويعبد الله. بتلك الكلمات التي جاهر بها إيليا النبي: «إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه» (١مل ١٨:٢١).

وعلى صفحات سفري الملوك نجد سجلاً رائعاً يشمل حياة الملك، ودوره في الحكم على مسرح التاريخ، وقضاء الله المعلن عليه، وما فعله الملك سواء كان خيراً أم شراً.

من أجل ذلك ظهر القضاء الأزلي على أعمال الناس وخطط حياتهم، فالله يعمل مشيئته مستخدماً بني آدم أو بدونهم. وفي ظل نعمة الله ومحبته الفائقة، يسير الإنسان متمماً مشيئته بالنعمة الممنوحة له من الله. ووضح ذلك في إنقاذ مدينة أورشليم من يد سنحاريب الأشوري طبقاً لكلمة الله على فم نبيه إشعياء (٢مل ١٩:٢٠-٢٨) في ذات الوقت أعلن الله قضاءه العادل والصارم على فجور شعبه وإثمهم بما لا يقاس. وحتى الهيكل ذلك المكان المقدس الذي دُعي فيه باسم الرب. لم ينقذه الله من الهدم والدمار لعدم أمانة الشعب، وابتعاده بعيداً عن يهوه خلاصهم.

ويعلمنا سفر الملوك دروساً عظيمة في الحياة من أجل إقامة علاقة وطيدة مع الله. والجدير بالملاحظة أن الكاتب لم يذكر لنا غير القليل جداً عن ملوك عظماء حققوا الشيء الكثير من الناحية السياسية والمدنية كما ذكرنا مثل عمري ويربعام بن يوآش (يربعام الثاني). بل اهتم الكاتب بالكتابة بصورة أكثر تفصيلاً عن ملوك مثل يوشيا وحزقيا اللذين عملا ما هو حسن في عيني الرب، وأطاعا الله من كل قلبهما وعقليهما وأفكارهما.

أليشع ومدرسة الأنبياء

كما كان صموئيل مؤسساً لمدرسة الأنبياء في الرامة (١صم ١٩:٢٠) كان أليشع النبي أيضاً مؤسساً لمدارس كثيرة للأنبياء. وواضح من سفر الملوك الثاني أنه كانت لأليشع مدارس عديدة للأنبياء في بيت إيل، وأريحا، والجلجال، وفي أماكن مختلفة أيضاً كما يتضح فيما يلي:

«خرج بنو الأنبياء الذين في بيت إيل إلى أليشع وقالوا له: أتعلم أنه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك، فقال: نعم إنني أعلم فاصمتوا» (٢مل ٢:٣).

وفي (٢مل ٢:٥) «فتقدم بنو الأنبياء الذين في أريحا إلى إليشع وقالوا له: أتعلم أنه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك. فقال نعم أني أعلم فاصمتوا». وفي (٢مل ٤:٣٨) رجع أليشع إلى الجلجال، وكان جوع في الأرض، وكان بنو الأنبياء جلوساً أمامه. وجاء أيضاً توضيح لوجود مدرسة أنبياء في مكان آخر (٦:١). إذ قال بنو الأنبياء لأليشع: «هوذا الموضع الذي نحن مقيمون فيه أمامك ضيق علينا» وبالإضافة لهذه المواضع، واضح أن أليشع كان يمكث في الكرمل وشونم ودوثان والسامرة (راجع ٢مل ٢:٢٥، ٤:٢٥، ١٠، ٦:١٣، ٣٢-٣٢). تلك كانت حياة إليشع وعمله الكرازي الذي ثقله الله به إذ كان راعياً ونبياً ومعلماً، وأيضاً مستشاراً للملك. وكانت نصائحه موضع تقدير لدى الملك، ومع أن أليشع الذي عاش في المملكة الشمالية كان معاصراً للنبي يوئيل الذي عاش في المملكة الجنوبية (يهوذا). ويرجح أيضاً أن أليشع كان معلماً ليونان وعاموس في سنيهما المبكرة، حيث اجتازوا أزمنة صعبة في ذلك الوقت. غير أن إيليا وأليشع تشابها في الحياة الشخصية والعمل العام وفي اتساق كامل في الحياة، كما كان هو الحال بين يوحنا المعمدان ويسوع المسيح، وحيث لقب يوحنا بإيليا (قارن مت ١١:١٤).

ويرى بعض العلماء أن خدمة يسوع في لطفه ووداعته، امتداد لخدمة إليشع، وفي واقع الأمر أن إليشع استمد حياته الوديعة من حنان الله ولطفه المتجسد بعد ذلك في شخص الفادي الكريم.

اتبع الكاتب أسلوباً خاصاً في كتابة السفرين، وذلك لوجود مجموعتين من الملوك في زمن واحد تقريباً بعد انقسام المملكة إلى شمالية وجنوبية حتى وقت سقوط السامرة. ودون الكاتب تاريخ الملوك دون إستثناء فيخبرنا مثلاً عن القصة الكاملة لملك معين وحكمه، ويأخذ في ذات الوقت بخيط تاريخ ملك آخر معاصر له في المملكة الأخرى، أو الملوك المعاصرين له في مملكة ثانية، والمستثني من هذا الأسلوب في الكتابة:

١- تاريخ أخآب، حيث دمج الكاتب تاريخه بجزء كبير من قصة وحياة إيليا.

٢- استثناء آخر هو حكم «يهورام» أو «يورام» ملك إسرائيل الذي نسجت قصته وتاريخه مع قصة وحياة أليشع. والأمر الذي يدعو إلى التساؤل، أن اسم ملك إسرائيل غالباً ما أغفل في حياة أليشع.

٣- والاستثناء الثالث هو تاريخ «يهوآش» ملك إسرائيل الذي قُطع بخاتمة أحداث أليشع وتاريخه. مع تقديم لحكم أمصيا ملك يهوذا.

واكتفاء الكاتب في كتابته عن ملوك إسرائيل أن يقدم فكرة عامة تتكون من:

أ- تاريخ اعتلاء العرش (تاريخ الملك). مع إشارة وربط هذا التاريخ بتاريخ ملك آخر من المنطقة الجنوبية (يهوذا).

ب- اسم عاصمة المملكة التي يملك عليها هذا الملك.

ج- زمن فترة الحكم.

د- ملخص موجز عن شخصية الملك (١مل ١٥:٣٣-٣٤) كما حرص الكاتب على أن يقدم لنا الشيء الكثير عن اثنين من ملوك يهوذا لا مثيل لهما بين ملوك الأرض في الصلاح وهما حزقيا ويوشيا. كما سجل لنا الشيء القليل عن ستة ملوك آخرين ساروا في طريق الصلاح وهم: آسا، يهوشافاط، يهوآش، أمصيا، عزيا، يوثام، وعشرة ملوك ساروا في طريق الشر.

التسلسل التاريخي وسرد الأحداث

١- يصعب حصر فترات حكم الملوك والتأكيد منها لمناقشتها بالتحديد. فرحبعام ملك يهوذا ويربعام ملك

إسرائيل إعتليا العرش في وقت واحد. وأخزيا ملك يهوذا ويورام ملك إسرائيل عاشا في وقت واحد. وجملة سني مملكة يهوذا حتى هذا الوقت ٩٥ سنة، وجملة سني مملكة إسرائيل ٩٨ سنة.

٢- من الناحية الأخرى، أن عثليا ملكة يهوذا، وياهو ملك إسرائيل بدأ كليهما الحكم في زمن واحد، بينما سقطت السامرة عاصمة المملكة الشمالية في إسرائيل في السنة السادسة لحزقيا ملك يهوذا. وجملة السنين لمملكة إسرائيل حتى هذه الفترة ١٤٣ سنة، وفي مملكة يهوذا ١٦٥ سنة. ومرجع ذلك كما يرى بعض العلماء، يتمثل في نظام حساب فترة الحكم. ففي بعض الكتابات لم تحسب مثلاً سنة اعتلاء العرش (بداية الحكم). ويبدأ احتساب الحكم في السنة التالية لها. بينما في حالات أخرى تحسب من وقت اعتلاء الحكم.

وفي حالات كثيرة تحسب فترة حكم الملك من وقت أن كان نائباً في الحكم للملك السابق له. مع أنه لم يذكر ذلك في النص الكتابي على أنها واضحة في سجلات التوازيخ المعاصرة وهنا يجب الوصول إلى التواريخ المحددة المطلوبة بالرجوع إلى المصادر الأخرى، مثل القوائم الأشورية والعلوم الخاصة في هذا الشأن.

ويرى بعض العلماء وفي مقدمتهم ج.ك. ويست أن معركة كركميش، يمكن تحديدها بالضبط عام ٨٤١ ق.م. وهناك بعض اللوحات الأثرية البابلية التي تمكننا - كما يرى بعض العلماء - من تحديد تاريخ حصار أورشليم وامتلاكها في ١٥، ١٦ مارس ٥٩٧ ق.م. ومن هذا التاريخ يمكن بالدراسة تحديد التواريخ السابقة لهذا التاريخ واللاحقة أيضاً، أي من مُلك سليمان إلى سقوط أورشليم ٥٨٧ أو ٥٨٦ ق.م.

تاريخ الشعب العبراني وترتيبه الزمني
في ضوء الأسفار المقدسة

أولا : المملكة المتحدة : مملكة إسرائيل ١٠٢٠ - ٩٢٢ ق.م (١صم ١٣ - ١مل ١١ ، ١أخ ١٠ - ٢أخ ٩) .

مملكة شاول ١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م .

مملكة داود ١٠٠٠ - ٩٦١ ق.م .   ناثان النبي

مملكة سليمان ٩٦١ - ٩٢٢ ق.م .

ثانيا: انقسام المملكة ٩٢٢ - ٧٢٢ ق.م إلى مملكتين شمالية وجنوبية (١مل ١٢- ٢مل ١٧، ٢أخ ١٠-٢٨).

١- مملكة إسرائيل (المملكة الشمالية) وتتألف من عشرة أسباط وعاصمتها السامرة التي أسسها الملك عمري، وجعلها مدينة حصينة ومنيعة (١مل ١٦: ٦ و٢٣-٢٤). وكانت مدينة شكيم هي العاصمة في أيام يربعام بن نباط ثم ترصة (١مل ١٤: ١٧، ١٥: ٢١ و٣٣).

٢- مملكة يهوذا (المملكة الجنوبية) وعاصمتها أورشليم وتتألف من سبطي يهوذا وبنيامين.

	ملوك إسرائيل	الشواهد الكتابية	من : إلى ق.م	الأنبياء		ملوك يهوذا	الشواهد الكتابية	من : إلى ق.م
						أسرة داود		
١	يربعام	١مل ١٣ - ١٤	٩٢٢ - ٩٠١		١	رحبعام	١مل ١٢ - ١٤ ، ٢أخ ١٠ - ١٢	٩٢٢ - ٩١٥
					٢	أبيام	١مل ١٥ : ١ - ٨ ، ٢أخ ١٣	٩١٥ - ٩١٣
٢	ناداب	١مل ١٥ : ٢٥ - ٣٢	٩٠١ - ٩٠٠		٣	آسا	١مل ١٥ : ٩ - ٢٤ ، ٢أخ ١٤- ١٦	٩١٣ - ٨٧٣
١	بعشا	١مل ١٥ : ٣٣ - ١٦ : ٧	٩٠٠ - ٨٧٧					
٢	أيلة	١مل ١٦ : ٨ - ١٤	٨٧٧ - ٨٧٦					
١	زمري	١مل ١٦ : ١٥ - ٢٠	٨٧٦ سبعة أيام					
	أسرة عمري							
١	عمري	١مل ١٦ : ٢١ - ٢٨	٨٧٦ - ٨٦٩		٤	يهوشافاط	١مل ٢٢ : ٤١ - ٥٠ ، ٢أخ ١٧ - ٢٠	٨٧٣ - ٨٤٩
٢	آخاب	١مل ١٦ : ٢٩ - ٢٢ : ٤٠	٨٦٩ - ٨٥٠	إيليا				
٣	أخزيا	٢مل ١	٨٥٠ - ٨٤٩		٥	يهورام	٢مل ٨ : ١٦ - ٢٤ ، ٢أخ ٢١	٨٤٩ - ٨٤٢
					٦	أخزيا	٢مل ٨ : ٢٥ - ٢٩ ، ٢أخ ٢٢ : ١-٩	٨٤٢
٤	يهورام	٢مل ٣ - ٩ (يورام)	٨٤٩ - ٨٤٢	أليشع				
	أسرة ياهو							
١	ياهو	٢مل ٩ و ١٠	٨٤٢ - ٨١٥			عثليا	٢مل ١١ ، ٢أخ ٢٢ : ١ - ٢٣ ، ٢١	٨٤٢ - ٨٣٧
٢	يهوآحاز	٢مل ١٣ : ١ - ٩	٨١٥ - ٨٠١		٧	يوآش	٢مل ١٢ ، ٢أخ ٢٤	٨٣٧ - ٨٠٠

	ملوك إسرائيل	الشواهد الكتابية	من - إلى ق.م	الأنبياء			ملوك يهوذا	الشواهد الكتابية	من - إلى ق.م
٣	يهوآش	٢مل ١٣ : ١٠ – ٢٥	٨٠١ – ٧٨٦	عاموس		٨	أمصيا	٢مل ١٤ : ١ – ٢٢ ، ٢أخ ٢٥	٨٠٠ - ٧٨٣
٤	يربعام الثاني	٢مل ١٤ : ٢٣ – ٢٩	٧٨٦ – ٧٤٦	هوشع		٩	عزيا	٢مل ١٥ : ١ – ٧ ، ٢أخ ٢٦	٧٨٣ - ٧٤٢
٥	زكريا	٢مل ١٥ : ٨ – ١٢	٧٤٦ ستة شهور						
١	شلوم	٢مل ١٥ : ١٣ – ١٥	٧٤٥ شهر واحد						
١	منحيم	٢مل ١٥ : ١٦ – ٢٢	٧٤٥ – ٧٣٨			١٠	يوثام	٢مل ١٥ : ٣٢ – ٣٨ ، ٢أخ ٢٧	٧٤٢ - ٧٣٥
١	فقحيا بن منحيم	٢مل ١٥ : ٢٣ – ٢٦	٧٣٨ – ٧٣٧						
١	فقح بن رمليا	٢مل ١٥ : ٢٧ – ٣١	٧٣٧ – ٧٣٢	إشعياء		١١	آحاز	٢مل ١٦ ، ٢أخ ٢٨	٧٣٥ - ٧١٥
	هوشع بن أيلة		٧٣٢ – ٧٢٤	ميخا				الأزمة السورية الأفرايمية ٧٣٥ – ٧٣٢ ق.م	
						١٢	حزقيا	٢مل ١٨ – ٢٠ ، ٢أخ ٢٩ – ٣٢	٧١٥ - ٦٨٧
								غزو سنحاريب ٧٠١ ق.م	
						١٣	منسى	٢مل ٢١ : ١ – ٨ ، ٢أخ ٣٣ : ١–٢٠	٦٨٧ - ٦٤٢
						١٤	آمون	٢مل ٢١:١٩–٢٥ ، ٢أخ ٣٣ : ٢١–٢٥	٦٤٢ - ٦٤٠
					صفنيا	١٥	يوشيا	٢مل ٢٢ ، ٢٣ ، ٢أخ ٣٤ ، ٣٥	٦٤٠ - ٦٠٩
سقوط السامرة في أيدي الأشوريين ٧٢٢ - ٧٢١ ق.م					ناحوم			سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م	

	ملوك إسرائيل	الشواهد الكتابية	من : إلى ق.م	الأنبياء			ملوك يهوذا	الشواهد الكتابية	من : إلى ق.م
					حبقوق	١٦	يهوآحاز	٢مل ٢٣ : ٣٠ - ٣٤ ، ٢أخ ٣٦ : ١ - ٤	٦٠٩
					إرميا	١٧	يهوياقيم	٢مل ٢٣ : ٣٤ - ٢٤ : ٧ ، ٢أخ ٣٦ : ٥ - ٨ نبوخذ نصر ٦٠٥ - ٥٣٩ ق.م	٦٠٩ - ٥٩٨
						١٨	يهوياكين	٢مل ٢٤ : ٦ - ١٧ ، ٢أخ ٣٦ : ٨ - ١٠	٥٩٨ - ٥٩٧
						١٩	صدقيا	٢مل ٢٤ ، ٢٥ ، ٢أخ ٣٦ : ١١ - ١٤	٥٩٧ - ٥٨٧

التاريخ العبراني	الأنبياء	الشرق الأدنى
السبي البابلي لليهود ٥٩٧ - ٥٣٨ ق.م	حزقيال	
أ- المرحلة الأولى من سبي اليهود ٥٩٧ ق.م		
ب- المرحلة الثانية وسقوط أورشليم ٥٨٧ ق.م		
جـ- المرحلة الثالثة من السبي ٥٨٢ ق.م		
		كورش حاكماً على فارس ٥٥٠ - ٥٣٠ ق.م
كورش يسمح لليهود بالعودة من السبي إلى أرض الآباء أرض يهوذا ٥٣٨ ق.م		كورش يستولى على بابل ٥٣٩ ق.م
		سيادة الفرس على الشرق الأدنى ٥٣٩ - ٣٠٠ ق.م
العودة من السبي ٥٣٨ (عزرا - نحميا)		
عودة شيشبصر ٥٣٨ ق.م		قمبيز يهزم مصر ٥٢٥ ق.م
	حجي	
إعادة بناء الهيكل بواسطة زربابل ٥٢٠ - ٥١٢	زكريا	
	ملاخي	
		أرتحشستا الأول ٤٦٥ - ٤٢٤ ق.م
		أرتحشستا الثاني ٤٠٤ - ٣٥٨ ق.م
		تحرير مصر من الفرس ٤٠١ ق.م

التاريخ العبراني	الأنبياء	الشرق الأدنى
العصر الهليني ٣٠٠ – ٦٣ ق.م اليهود تحت حكم السلوقيين ١٩٨ – ١٦٥ ق.م ثورة المكابيين ١٦٦ – ١٣٥ ق.م يهوذا المكابي ١٦٦ – ١٦٠ ق.م إعادة تدشين الهيكل ١٦٤ ق.م يوناثان ١٦٠ – ١٤٣ ق.م سمعان ١٤٣ – ١٣٥ ق.م * الحسمونيون ١٣٥ – ٦٣ ق.م استيلاء بومبي على أورشليم ٩٣ ق.م هيرودس الكبير ملك اليهودية ٣٧ ق.م – ٤م هيرودس أنتيباس ٤م–٣٩ ميلادية		أرتحشستا الثالث ٣٥٨ – ٣٣٨ ق.م هزيمة مصر أمام الفرس ٣٤٢ ق.م الإسكندر الأكبر ٣٣٤ – ٣٢٣ ق.م استيلاء الإسكندر على الشرق الأدنى أنطيوخس العظيم (الثالث) ٢٢٣ – ١٨٧ ق.م زمن أنطيوخس الرابع (أبيفانس)

* أسرة يهودية حاكمة أسسها المكابيون وسميت على اسم حسمون الجد الأكبر لـ متياس وانتهى حكمهم بالغزو الروماني لفلسطين عام ٦٣ق.م

أخبار الأيام الأول والثاني

كما هو الحال في سفري صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني، فإن سفري الأخبار كانا سفراً واحداً.

والجزء الأخير من سفر أخبار الأيام الثاني يكاد يكون مطابقاً تماماً للجزء الأول في سفر عزرا. مما يدعو للاعتقاد بأن هذه الأسفار تمثل سفراً واحداً وأن الكاتب واحد أيضاً كما يرى بعض العلماء. ومن دراستنا للسفرين، نلاحظ أن مواد هذين السفرين وردت بها أخبار جديدة ومواد لم تكتب بواسطة كاتب سفري الملوك الأول والثاني. على أننا نلاحظ أن هذه العبارة لا تعد وصفاً دقيقاً لمواد السفرين، أو تمثل العلاقة بين سفري الأخبار مع سفري الملوك. لأن كاتب سفري الأخبار أغفل بدوره أحداث كثيرة ذكرت في سفري الملوك. وكل كاتب كما هو واضح، اختار مادته طبقاً لهدف معين ثقله به الروح القدس.

وحسب الترتيب العبري (القانونية العبرية) جاء السفران (أخبار الأيام الأول والثاني) في خاتمة القسم الثالث الكتوبيم (الكتابات المقدسة). أما في الترجمة السبعينية فجاء ترتيب السفرين بعد سفر الملوك الثاني وقبل سفري عزرا ونحميا.

وموضوع السفرين هو بيت داود، الذي اختاره الله قبل الأزمنة الأزلية، وخصه بكل الوعود الإلهية. إنه داود مختار العلي.

أقسام ومشتملات سفر أخبار الأيام الأول

أولاً: الأنساب (١:١-٩:٤٤)

ثانياً: داود في الحكم (١٠:١-٢٩:٣٠)

١- موت شاول (١٠:١-١٤)

٢- تولي داود الحكم (١١:١-٢٠:٨).

أ- داود ملكاً في أورشليم على كل إسرائيل (١١:١-١٢:٤٠)

ب- عودة تابوت العهد إلى أورشليم (١٣:١-١٦:٤٣).

ج- نبوة ناثان (١٧:١-٢٧).

د- انتصارات داود (١٨:١-٢٠:٨).

٣- الأيام الأخيرة لداود في الحكم (٢١:١-٢٩:٣٠).

أ- التعداد (٢١:١-٣٠).

ب- الإعداد لبناء الهيكل (٢٢:١-١٩).

ج- نظم العبادة الكهنوتية (٢٣:١-٢٦:٣٢).

د- النظم المدنية (٢٧:١-٣٤).

هـ- كلمات داود الأخيرة وموته (٢٨:١-٢٩:٣٠).

أقسام ومشتملات سفر أخبار الأيام الثاني

أولاً: حكم سليمان (١:١-٩:٣١).

١- تولي سليمان الحكم (١:١-١٧)

٢- هيكل سليمان (٢:١-٧:٢٢)

أ- الإعداد لبناء الهيكل (٢:١-١٨)

ب- تشييد البناء (٣:١-٤:٢٢)

ج- تدشين الهيكل (٥:١-٧:٢٢)

٣- نشاط سليمان الملك (٨:١-٩:٣١)

ثانياً: مملكة يهوذا (١٠:١-٣٦:٢٣).

أ- انقسام المملكة (١٠:١-١١:١٩).

ب- ملوك يهوذا (١٢:١-٣٦:١٦).

١- رحبعام (١٢:١-١٦)

٢- أبيا (١٣:١-٢٢).

٣- آسا (١٤:١-١٦:١٤).

٤- يهوشافاط (١٧:١-٢٠:٣٧).

٥- يهورام (٢١:١-٢٠).

٦- أخزيا (٢٢:١-٩)

٧- عثليا (٢٢:١٠-٢٣:٢١)

٨- يوآش (٢٤:١-٢٧).

٩- أمصيا (٢٥:١-٢٨).

١٠- عزيا (٢٦:١-٢٣)

١١- يوثام (٢٧:١-٩)

١٢- آحاز (٢٨:١-٢٧)

١٣- حزقيا (٢٩:١-٣٢:٣٣)

١٤- منسى (٣٣:١-٢٠)

١٥- آمون (٣٣:٢١-٢٥).

١٦- يوشيا (٣٤:١-٣٥:٢٧).

١٧- يهوآحاز - يهوياقيم - يهوياكين - صدقيا (٣٦:١-١٦).

ج- السبي (٣٦:١٧-٢٣).

الكاتب وزمن الكتابة

يمثل سفرا الأخبار مكانة هامة في الكتاب المقدس مثل أية أسفار تاريخية أخرى. واستعان الكاتب بمصادر عديدة جداً في كتابته للسفرين أكثر من أي كاتب آخر في الكتاب المقدس كله. وقد حرص الكاتب على أن يشير إلى هذه المصادر بوضوح وهي كما يلي:

أولاً: مجموعة تواريخ الممالك العبرانية، وعلى وجه الخصوص مملكة إسرائيل ويهوذا:

١- سفر ملوك إسرائيل ويهوذا (٢أخ ٢٧:٧، ٨:٣٦، أيضاً ١أخ ١:٩).

٢- سفر ملوك يهوذا وإسرائيل (٢أخ ٢٦:٢٥، ٢أخ ٣٢:٣٢).

٣- سفر ملوك إسرائيل (٢أخ ٣٤:٢٠، وأيضاً ١أخ ١:٩).

٤- أخبار ملوك إسرائيل وأعمالهم (٢أخ ١٨:٣٣).

٥- مِدْرَس (تفسير) لسفر الملوك (٢أخ ٢٧:٢٤)

ثانياً: مجموعة أعمال الأنبياء والرائيين:

١- سفر أخبار صموئيل الرائي (١أخ ٢٩:٢٩)

٢- سفر أخبار ناثان النبي (١أخ ٢٩:٢٩).

٣- سفر أخبار جاد الرائي (١أخ ٢٩:٢٩).

٤- نبوة أخيا الشيلوني (٢أخ ٢٩:٩).

٥- رؤى يعدو الرائي (٢أخ ٢٩:٩).

٦- أخبار إشعياء النبي وعدُّو الرائي (٢أخ ١٥:١٢).

٧- أخبار ياهو الواردة في سفر ملوك إسرائيل (٢أخ ٣٤:٢٠)

٨- أمور عزيا الأولى والأخيرة التي كتبها إشعياء بن أموص النبي (٢أخ ٢٢:٢٦).

٩- رؤيا إشعياء بن آموص في سفر ملوك يهوذا وإسرائيل (٢أخ ٣٣:٣٢).

١٠- أخبار الرائيين (٢أخ ١٩:٣٣).

ثالثاً: مجموعة أخرى من المصادر استعان بها الكاتب في كتابة سفري الأخبار تتمثل في:

١- سفر أخبار الأيام للملك داود (١أخ ٢٤:٢٧).

٢- الكتابة التي كتبها الله بيده والخاصة بالهيكل (١أخ ١٩:٢٨)

٣- كتابة داود ملك إسرائيل وكتابة سليمان ابنه الخاصة ببيوت اللاويين (٢أخ ٤:٣٥).

٤- مراثي إرميا وآخرين عن يوشيا (٢أخ ٢٥:٣٥).

ويرجح العلماء أن الكاتب استعان أيضاً بالأسفار القانونية الأخرى من سفر التكوين إلى سفر ملوك الثاني كمصدر لكتابة سفريه. فمثلاً الجزء الوارد من (ص١-٩) يمثل موجزاً دقيقاً لما جاء في هذه الأسفار. كما أن هناك مادة وفيرة أوردها الكاتب من (ص١٠) وتشبه إلى حد كبير ما جاء في سفري صموئيل وسفري الملوك. والمطابقة بين

الجزء الأخير من (٢أخ ٣٦: ٢٢-٢٣). والكلمات الأولى من سفر عزرا (ص١: ١-٣) تعد السبب الرئيسي للنظرية القائلة بأن كاتب الأخبار هو نفس كاتب سفر عزرا. وكذلك الحال بالنسبة لسفري نحميا وعزرا: فتشابه المواد الواردة فيهما واهتمام الكاتب بتدوين هذه المواد المتشابهة جعل البعض يقول إن كاتب السفرين واحد، بل جعل البعض الآخر يقول إن عزرا هو كاتب أسفار: عزرا ونحميا والأخبار الأولى والأخبار الثانية جميعاً.

هذا من جانب ومن الجانب الآخر: يعتقد بعض الباحثين أن عزرا ليس كاتب سفري الأخبار لأنه لا يوجد في عزرا أو نحميا أي نص عن الرجاء المسياني الذي ذكر في موضعين على الأقل (٢أخ ٣١: ٥، ٢١، ٧) أما عن كاتب سفري الأخبار فهو غير معروف لدى العلماء، ويعتقد أن الكاتب جاء من سبط لاوي أو جماعة المرنمين في الهيكل. وذلك للنصوص الكثيرة التي سطرها لنا الكاتب عن الهيكل والعبادة الكهنوتية.

أما عن زمن الكتابة فيمكن تحديده كما يلي:

في ضوء الأمر الذي صدر من كورش الفارسي عام ٥٣٨ ق.م المشار عنه في (٢أخ ٣٦: ٢٢)، يرجح بعض العلماء أن السفرين كُتبا بعد السبي. حيث وردت الإشارة عن أنساب أحد عشر جيلاً بعد زربابل كما يحسبها بعض العلماء في (١أخ ٣: ١٩-٢٤). إنه زربابل الذي عاد إلى فلسطين من بابل عام ٥٣٧ ق.م (عز ٢: ٢٠). ومع حساب ثلاثين سنة لكل جيل، ومع افتراض أن السفرين كُتبا بعد آخر إشارة وردت عن هذه الأنساب، يكون تاريخ الكتابة هو آخر نظام الحكم الفارسي عام ٣٥٠ ق.م (أو خلال العصر الهيليني عام ٢٥٠ ق.م).

وتوجد علاقة وطيدة بين سفري الأخبار وأسفار صموئيل والملوك. ومما لاشك فيه أن كاتب الأخبار كان على دراية قوية بأسفار العهد القديم الأولى، التي استعان بها في كتابة السفرين كمصادر للكتابة كما ذكر سابقاً. ومن الأمور الهامة حتمية دراسة سفري الأخبار ومقارنتها بسفري صموئيل، وسفري الملوك. وواضح أن كاتب سفري الأخبار استعان بهذه الأسفار كمصادر. تحقيقاً لهدف معين اقتيد به الكاتب بالروح القدس. وهناك أجزاء كبيرة اختصرها الكاتب من الكتب المقدسة السابقة وأوجزها لنا في الأصحاحات التسعة الأولى. والجزء الأكبر من (ص ١٠-٢أخ ص٣٦) تشبه إلى حد كبير ما جاء في سفري صموئيل وسفري الملوك. فمثلاً ذكر الكاتب في (١أخ ١٠: ١-١٠) حادثة موت شاول التي وردت في (١صم ٣١: ١-١٣) كلمة بكلمة تقريباً. غير أن كاتب الأخبار يضيف عبارته عن السبب الأخلاقي لموت شاول فيقول « فمات شاول بخيانته التي بها خان الرب وأيضاً لأجل طلبه من الجان للسؤال ولم يسأل من الرب» (١أخ ١٠: ١٣، ١٤).

الرسالة أو القيمة اللاهوتية لسفري الأخبار

لنا في سفري الأخبار تشجيع وتحذير في ذات الوقت فمن دراسة السفرين نلمس وجود الله الذي يملأ الكون (٢أخ ٢: ٩) وهو كلي القدرة والقوة (٢أخ ١٦: ٩، ١أخ ٢٩: ١٢، ٢أخ ٢٠: ٦) وله كل شيء. والإنسان فقط يعطي مما أخذه من الله (١أخ ٢٩: ١١، ١٤)، ويعمل بيد قوية بقوة الله، الذي ينظر من السماء إلى أعمال بني البشر (١أخ ٢٩: ١١، ١٤، ٢أخ ٢٠: ٦).

ومشيئة الله ظاهرة في كل أعماله في السماء وعلى الأرض (٢أخ ٢٠: ٦-٨، قارن ٢أخ ٢٥: ٨). وليس هناك ما يفرق بين إرادة الله المطلقة وبين ما يسمح به، ومثلنا في ذلك رحبعام الذي لم يلتفت إلى مشورة الشيوخ. لأن الرب سمح بذلك لتحقيق كلمته التي تكلم بها عن فم نبيه أخيا الشيلوني (٢أخ ١٠: ١٥، قارن ٢أخ ٢٢: ٧، ٢٥: ٢٠).

وفي سفري الأخبار نجد اختيار الله لإسرائيل بطريقة خاصة ليكون شعباً مميزاً (١أخ ١١: ٢). والعهد الذي قطعه الله مع إبراهيم هو عهد أبدي (١أخ ١٦: ١٦-١٧) . لأجل هذا اختار الله داود (١أخ ١١: ٢-٣) ثم اختار سليمان (١أخ ١١: ١١، ١٢). ووعد الله أن نسل داود سيدوم إلى الأبد (١أخ ١٧: ١٧) وعلى إسرائيل أن تسلك بأمانة قدام

الله وتحفظ طرقه حتى يتحقق لها الوعد (٢أخ ٦:١٦) ويبدو في أحيان كثيرة أن وعد الله كان وعداً غير مشروط. بل هو بالاتكال على النعمة والقصد الأزلي (٢أخ ١٣:٥). وقد تم هذا الوعد في شخص ربنا يسوع المسيح (لو١:٣٢).

وحتى يتمم الله وعده، أرسل أنبياءه كمرشدين ومنذرين وموبخين لهذا الشعب من صموئيل وناثان وجاد وإرميا. ورغم أن الله أقام عهداً خاصاً مع شعبه إسرائيل. إلا أن كل الأمم والشعوب تدخل ضمن سيادة الله وخطته الشاملة، فشملت بركاته جميع الشعوب. وكذلك نجد حورام ملك صور وملكة سبأ يمجدان الله ويعظمان اسمه (٢أخ ٢:١١-١٢، ٩:٥-٨).

وفي وقت تدشين الهيكل، أشار سليمان أن هذا البيت سوف يكون مكاناً تتعبد فيه كل الشعوب من كل الأمم والأقطار (٢أخ ٦:٣٢-٣٣، قارن أيضاً إش ٥٦:٧).

كما تضمن سفرا الأخبار تعاليم روحية هامة عن أحداث لم يرد ذكرها في أسفار صموئيل والملوك ومنها:

رجوع منسى وتوبته إلى الله، تلك التوبة التي قادته إلى العودة إلى فلسطين (٢أخ ٣٣:١١-١٣). وعن موت يوشيا في معركة مجدو وكركميش، الأمر الذي كان نتيجة عصيانه ورفضه مشورة الله وتحذيره له على فم نخو فرعون مصر (٢أخ ٣٥: ٢٠-٢٧).

كما أورد لنا الكاتب عن تهديد شيشق الذي شنه على الشعب الإسرائيلي وأعلنه شمعيا (٢أخ ١٢:٥-٨). وخفف هذا العقاب نتيجة التوبة (قارن ٢أخ ١٥:١-١٥، ١٦:٧-١٠).

وبدراسة هذه الاختلافات بين أسفار الأخبار وصموئيل والملوك نجد اهتمامات الكاتب بمثل هذا النوع من الكتابات عن أحداث اغفلها كاتب سفري صموئيل وسفري الملوك.

وتمثل اهتمام كاتب سفري الأخبار بتاريخ إسرائيل كشعب مختار، (اختاره الله ليكون شعباً غيوراً مميزاً لذاته، حتى يعبده بالروح والحق وفقاً لخطة رسمها له) في بناء الهيكل، وفي العبادة الكهنوتية وفي السلوك اللائق في مخافة الله، كما أوضح ذلك أنبياؤه.

ولابتعاد المملكة الشمالية وزيغانها وراء آلهة أخرى غريبة وفعلها الشر أمام عيني الرب. آثر الكاتب على نفسه أن يحذف كلية من ذهنه فكرة الكتابة عن هذه المملكة، التي انحرفت عن الطريق المستقيم القويم والسلوك بأمانة أمام الله. والأساس في الأمر أن سفري الأخبار في نظر بعض العلماء، يُعد بحق تاريخ كنيسة، وكتاب رائع عن علاقة الله بشعبه. هذا الشعب الذي اتقاه وتعبد له بالكمال، وذلك هو الاهتمام الرئيسي للكاتب. واعتبر يهوذا كما أشرنا هو إسرائيل الحقيقي كهيئة روحية بذاتها. ويتركز اهتمام الكاتب في أمرين باختصار: الهيكل، ونسب داود الملكي. وهدف الكاتب من كتابته لهذين السفرين كما يرى أحدهم. تمثل في رغبته الصادقة أن يُعرِّف الشعب العائد من السبي على نعمة وهبة الله العظيمة، وقيادته الحكيمة، ومعاملاته بأمانة رغم عدم أمانتهم.

ويرى بريفارد تشيلدز B.Childs أن كاتب الأخبار يربط دائماً بين السبب والنتيجة فهو يربط بين شاول وبين خطيته، بطلبه إلى الجان ولم يطلب من الرب (١أخ ١٠:١٣) والبرص الذي أصاب الملك عزيا، لأنه لم يمتثل لتحذيرات الكهنة، الذين حدثوه بوضوح عن شريعة الرب، من جهة تقديم الذبائح. لكن لم يسمع عزيا الملك لكهنة الرب (٢أخ ٢٦:١٦-٢٠) قارن أيضاً ما جاء عن يوشيا ملك يهوذا، الذي قتل بواسطة نخو فرعون مصر (٢أخ ٣٥:٢٢).

إنه يقدم تفسيراً لمعاملات الله مع شعبه، وفهم طرقه العادلة والقوية في كلمات واضحة «الرب معكم مادمتم معه

وإن طلبتموه يوجد لكم وأن تركتموه يترككم» (٢أخ ١٥:٢).

ويرى بعض علماء الكتاب، بأن سفري الأخبار بمثابة تفسير لأجزاء عديدة، عسرة الفهم وردت في أسفار الأنبياء الأولين (أسفار صموئيل والملوك).

وجاء بالأخبار أيضاً إن إسرائيل واجهت المحن والكوارث العديدة لأنها لم تؤمن بإلهها وأنبيائه (٢أخ ٢٠:٢٠) وهنا ينبر الكاتب عن ضرورة بل حتمية الالتزام والإصغاء للكلمة النبوية من فم الرب (قارن ما جاء عن يهورام الذي ترك شريعة الرب إله آبائه في ٢أخ ٢١).

ويرى أحد العلماء أن هدف الكاتب هنا، هو تقديم تفسير وتعريف كامل، لجماعة العائدين من السبي بالعهد الأبدي الذي قطعه الله مع داود. وما يتطلبه هذا العهد الأبدي من طاعة كاملة وتامة للرب الإله، فقد كانت إسرائيل تفلح وتنجح في طريقها بالطاعة والخضوع للرب، وعمل كل ما هو حق وجليل وعادل أمامه، لكن غضب الله كان يحل عليها بسبب عصيانها وتمردها (٢أخ ٣٦:١٥-١٧).

إن إرادة الله واضحة ومعلنة من خلال دينونته العادلة (قارن ١أخ ١٠:١٣-١٤، ٢أخ ١٢:٢، ٢أخ ٣٦:١٥-١٦). والطاعة للرب تؤدي حتماً إلى تحقيق الوعود المباركة (٢أخ ٦:١-٣، ٧:١١-١٤، ٢١:٧) لأن له الغنى والكرامة، وبيده القوة والجبروت وله المجد والعظمة والقدرة والسلطان إلى الأبد (١أخ ٢٩:١١-١٣).

عزرا ونحميا

جاء في التلمود اليهودي في بابا باترا Baba Bathra 15a أن سفري عزرا ونحميا سفر واحد كما اعتبر السفران سفراً واحداً بواسطة يوسيفوس وميليتوس أسقف ساردس. أقر چيروم وحدة السفرين، إلا أنه فصل بينهما في الڤولجاتا (الترجمة اللاتينية)، وأطلق على سفر عزرا عزدراس الأول، وسفر نحميا أطلق عليه عزدراس الثاني، وظهر الفصل بين السفرين في الكتاب المقدس العبري عام ١٤٤٨م لأول مرة، وتقرر ذلك في طبعة Bomberg للكتاب المقدس العبري عام ١٥٢٥م.

وفي الترجمة السبعينية، أطلق على عزرا ونحميا «عزدراس ب» للتفرقة بينه وبين «عزدراس أ» (ضمن أسفار الأبوكريفا عند البروتستانت). ويُعد أوريجانس (١٨٥-٢٥٣م) أول من صادق على ذلك في السبعينية. وسفرا عزرا ونحميا مكملان لبعضهما، إلا أن التكرار الوارد في عزرا الأصحاح الثاني مع ما ورد في نحميا (٧:٦-٧٢) يعد دلالة واضحة أن السفرين لم يكونا في الأصل سفراً واحداً كما يرى E.Young وآخرون.

أقسام ومشتملات سفر عزرا

أولاً: العودة من السبي البابلي (١:١-٢:٧٠)

١- نداء كورش وسماحه لليهود بالعودة (١:١-٤).

٢- رجوع بعض اليهود تحت قيادة زربابل (١:٥-١١).

٣- أسماء العائدين من السبي إلي أورشليم (٢:١-٧٠).

ثانياً: نشاط اليهود بعد العودة مباشرة (٣:١-١٣).

ثالثاً: المقاومات العديدة التي واجهت شعب اليهود وقت البناء والتعمير في أرض يهوذا (٤:١-٢٣).

رابعاً: إتمام بناء الهيكل (٤:٢٤-٦:٢٢).

١- توقف العمل إلى السنة الثانية من حكم داريوس (٤:٢٤).

٢- رسالة النبيين حجي وزكريا وتبوتهما بتعضيد الرب للشعب لإتمام البناء (٥:١-١٧).

٣- داريوس يتحقق من صدور أمر كورش ببناء الهيكل ويأمر هو الآخر بإتمام البناء (٦:١-١٨).

٤- إقامة الفصح بعد إعادة بناء الهيكل (٦:١٩-٢٢).

خامساً: عودة عزرا إلى أورشليم (٧:١-٨:٣٦).

١- عزرا يعود إلى أورشليم (٧:١-٢٦).

٢- تفاصيل رحلة عزرا وأسماء العائدين من السبي في صحبته (٧:٢٧-٨:٣٦).

سادساً: الدور الهام لعزرا أمام خطية الشعب وإثمهم بالزواج من نساء عابدات للوثن (٩:١-١٠:٤٤).

١- تقرير الرؤساء وصلاة عزرا (٩:١-١٥).

٢- ترك النساء الغريبات (١٠:١-١٧).

٣- خاتمة السفر: أسماء الأثمين بالزواج من الوثنيات (١٠:١٨-٤٤).

أقسام ومشتملات سفر نحميا

أولاً: نحميا وصلاته إلى الرب لأجل أورشليم (١:١-٢:٨)

١- حزن نحميا الشديد لما سمعه عن خراب أورشليم بيت الآباء وصلاته إلى الرب (يهوه) (١:١-١١).

٢- استجابة الرب لصلاة نحميا (٢:١-٨).

ثانياً: عودة نحميا إلى أورشليم والبدء في بناء الأسوار (٢:٩-٣:٣٢).

ثالثاً: إتمام البناء رغم كل المقاومات (٤:١-٧:٤).

رابعاً: قائمة بأسماء العائدين من السبي (٧:٥-٧٣).

خامساً: قراءة وحفظ شريعة الله (٨:١-١٨).

سادساً: اعتراف الشعب أمام الله وقطع العهد بحفظ الشريعة (٩:١-١٠:٣٩).

سابعاً: رؤساء الشعب واهتمامهم بالسكنى في أورشليم (١١:١-١٢:٢٦).

ثامناً: الاحتفال المهيب بتدشين الأسوار(١٢:٢٧-١٣:١٤).

تاسعاً: نحميا رجل الإيمان والعامل بشريعة الرب إلهه (١٣:١٥-٣٠).

الخلفية التاريخية

انهزمت إمبراطورية بابل بعد سقوط عاصمتها في أيدي الماديين والفرس عام ٥٣٩ ق.م بقيادة كورش ملك فارس، ولقب كورش بمسيح الرب في سفر إشعياء. حيث رآه النبي الإنجيلي كمسئول كبير في عودة المسبين من اليهود في بابل (إش ٤٤:٢٨). وتمتع كورش بروح متسامحة، عكس ما بدا من الأشوريين والبابليين تجاه من سبوهم من بلدان العالم القديم. وأظهر كورش إحساناً ورحمة تجاه جميع المسبيين إذ سمح لهم بعبادة آلهتهم. كما سمح لليهود بممارسة تعليم الشريعة وعبادة الرب (يهوه) وحفظ السبت وأن يعيشوا الحياة الاجتماعية الكريمة أيضاً.

وكان كورش أداة الله العامل فيه لأجل شعبه. وفي السنة الأولى من توليه الحكم على بابل، أصدر نداء لليهود بالعودة إلى أرض يهوذا ولبناء أسوار أورشليم والهيكل (قارن ٢أخ ٣٦:٢٢،٢٣، عزرا ١:٢، ٥:١٣، ٦:٣) وأعاد آنية الهيكل وقدم العون والمساعدات الكثيرة لتعمير مدينة أورشليم وبناء حصونها (عزرا ١:٧، ٣:٧).

ويرى هيرودت (١:٧-١) أن كورش العظيم هذا، هو كورش الثاني ابن قمبيز الأول ملك عيلام، وحفيد كورش الأول وأمه مندان Mandane ابنة إستياجس Astyages ملك مادي.

ورجع عدد كبير من اليهود إلى أورشليم استجابة لنداء كورش، تحت قيادة أحد الولاة اليهود من نسل داود وذلك عام ٥٣٨ ق.م.

وسفرا حجي وزكريا يقدمان تفصيلاً رائعاً عن عودة اليهود المسبيين إلى أورشليم. بينما سفر ملاخي الذي يصعب معرفة تاريخ كتابته بالتحديد، يلقي ضوءاً كاشفاً ووصفاً للحالة العامة قبل وصول نحميا وعزرا إلى أورشليم.

وعن ملوك فارس خلال تلك الفترة:

كورش (٥٥٩-٥٣٠ ق.م)

قمبيز (٥٣٠-٥٢٢ ق.م)

داريوس هستاسبس (٥٢٢-٤٨٦ق.م)

أحشويرش الأول (٤٨٦-٤٦٥ ق.م).

أرتحشستا الأول لونجمانس Longimanus ابن أحشويرش (٤٦٥-٤٢٤ق.م).

أحشويرش الثاني (٤٢٤-٤٢٣ق.م).

داريوس الثاني Nothus الذي حكم الفرس والبابليين (٤٢٣-٤٠٤ق.م)، وأطلق عليه داريوس الفارسي في نحميا (٢٢:١٢) بخلاف داريوس المادي كودومانس الذي تولى الحكم من عام (٣٣٦- ٣٣١ ق.م).

ثم أرتحشستا مينمون Menemon (ابن داريوس الثاني) ويلقب بأرتحشستا الثاني (٤٠٤-٣٥٨ق.م).

علاقة سفر عزرا بسفر نحميا

يرى بعض العلماء النقديين من أصحاب المدرسة النقدية ومنهم س. توري C.C.Torrey أحداث سفري عزرا ونحميا التاريخية على أنها غير تاريخية، الأمر الذي رفضه علماء الكتاب المقدس. وقد كتب بإفاضة كرد على هذه المدرسة العالم الكاثوليكي ڤان هونكر Van Hoonacker. كما يرى أحد الباحثين أنه من الضروري إعادة ترتيب النصوص الكتابية للسفرين كما يلي (عزرا ١:١-٣:٤، ٢٤:٤ب-٢٢:٦ ، ٤:٤-٢٤، نحميا ١:١-٥:٧، ١١:١-٣١، عزرا ٧-١٠، نحميا ٨-١٠) إلا أن علماء الكتاب لا يرون سبباً علمياً لذلك.

ويرى بعض العلماء أن نحميا بدأ خدمته بعد العودة إلى أورشليم قبل عزرا، وبذا يكون نحميا قد عاصر أرتحشستا الثاني (٤٠٤-٣٥٨ق.م) كما سنرى بأكثر تفصيل فيما بعد.

مصادر الكتابة

من دراسة المرء لسفري عزرا ونحميا كما يرى علماء الكتاب، يتضح له بأن الكاتب استعان في كتابته بالعديد من المصادر.

من هذه المصادر الرئيسية: مذكرات عزرا (٢٧:٧-١٥:٩)، ومذكرات نحميا (١:٧-٧٣، ٢٧:١٢-٢١:١٣)، والوثائق الآرامية (عزرا ٧:٤-٦، ١٨، ١٢:٧-٢٦)، والكتابات الآرامية الأخرى المتضمنة احتجاج ومقاومة رحوم لدى أرتحشستا ضد إعادة بناء أسوار أورشليم (عزرا ٨:٤-١٦)، وجواب أرتحشستا (١٧:٤-٢٢)، ورسالة تتناي إلى داريوس (٧:٥-١٧)، وجواب داريوس على هذه الرسالة (١:٦-١٢)، والكلمات الخاصة بتدشين الهيكل (١٣:٦-١٨).

بالإضافة إلى الوثائق العبرية التي شملت قرار كورش (٢:١-٤)، وقوائم العائدين من السبي (عزرا ١:٢-٧٠، نحميا ٦:٧-٧٢، عزرا ١:٨-١٤)، والجماعة التي اختلطت بالشعوب الأجنبية بالزواج وعبدت آلهة هذه الشعوب أيضاً (١٨:١٠-٤٤)، ثم قائمة بأسماء الذين ساعدوا في بناء الأسوار (نحميا ٣:١١-٣٦)، وقائمة بأسماء الكهنة واللاويين الذين رجعوا من السبي إلى أورشليم على يد زربابل (نحميا ١:١٢-٢٦).

كاتب سفر عزرا

أطلق على السفر عزرا نسبة للشخصية الرئيسية التي لعبت دوراً أساسياً فيه. وفي السبعينية أطلق على السفر

عزدراس الثاني. وفي الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) عزرا الأول.

ومواد سفر عزرا عند البعض لا توضح أن عزرا هو كاتبها جميعاً. إلا أن كثيراً من النصوص تبرر الاعتقاد أن عزرا هو الكاتب. فبعض أجزاء السفر من الأصحاح السابع إلى الأصحاح التاسع كتبت في صيغة المتكلم. لهذا يرجح أن عزرا هو الكاتب لهذه الأصحاحات التي هي أساس السفر، وأضاف عزرا عليها مواداً أخرى حصل عليها من مصادر تاريخية عديدة، إلا أن السفر يتسم بترابط ووحدة بين أجزائه.

وإذا كانت النصوص التي تحمل ضمير المتكلم «أنا» قد كتبت بواسطة عزرا، يتضح إذاً أن بقية أجزاء السفر من كتابته أيضاً. إلا أن هذا الرأي رفضه علماء نقديون، ورأوا أن السفر كتبه شخص آخر غير عزرا، وأنه كان بمثابة منسق أو كاتب للأخبار بعد أحداث السفر بفترة زمنية طويلة. وتتلخص اعتراضاتهم فيما يلي:

١- ورد في سفر عزرا (٣:٨) أن اللاويين بدأوا خدمتهم في سن العشرين، بينما ورد في أسفار التوراة أنهم لا يبدأون الخدمة قبل بلوغ الخامسة والعشرين أو الثلاثين (عدد ٤:٣، ٨:٢٤). وفي هذا يرى النقديون من العلماء تناقضاً بين هذه النصوص. إلا أنه لا يوجد ثمة تناقض كما زعم هؤلاء القوم، فالإشارات في سفر العدد تشير إلى عمر اللاوي الذي يخدم في خيمة الاجتماع، أما عن الإشارات الواردة في سفر عزرا فتشير إلى خدمة اللاوي في الهيكل (قارن ١أخ ٢٣:٢٤، ٣١:١٧).

٢- بدا للنقديين أن هناك غموضاً حول بداية العمل في إعادة بناء الهيكل. فطبقاً لما ورد في عزرا (٤:٢٤، ٥:١-٣) بدأ اليهود في إعادة بناء الهيكل في السنة الثانية لداريوس، أما في (عزرا ٣:٨-١٣، ٥:١٦) بدأ الشعب في إعادة بناء الهيكل خلال حكم كورش. ولا يوجد ثمة تناقض هذه المرة أيضاً، لأنه قد تم بدء العمل في البناء في أيام كورش (٣:٨-١٣، ٥:١٦). ونهضت مقاومات عنيفة ضد هذا العمل العظيم (٤:١-٥)، وأوقف العمل بالفعل إلى وقت تولي داريوس الحكم (٤:٢٤). وأرسل الرب نبييه حجي وزكريا للنهوض بالشعب، والعمل من جديد في إعادة بناء الهيكل (٤:٢٤، ٥:١-٣). وبعد أن تحقق داريوس من الأمر الذي أصدره كورش بإعادة بناء هيكل الرب، عندئذ أصدر قراره باستئناف العمل في البناء: «أنا داريوس قد أمرت،فليُفعل عاجلاً» (٦:١٢).

٣- يرى ر.فايفر R.Pfeiffer في كتابه Introduction to the OT, 1984, p.825 أن هناك أخطاء وردت في تسلسل نسب عزرا، فقد جعل الكاتب صادوق ابناً لأخيطوب، وأيضاً جعل عزرا ابناً لسرايا. علماً بأنه قُتل في حصار أورشليم كما ورد في (٢مل ٢٥:١٨-٢١). وإذا كان عزرا بالفعل ابناً لسرايا، يكون قد بلغ من العمر ما يقرب من ١٢٧ عاماً عند عودته إلى أورشليم. والرد على ذلك كما يطرحه العلماء المحافظون أي (الكتابيون)، هو أن سفر عزرا يتفق مع ما ورد في (أخبار الأيام الأول ٦:٣-١٤، والأعداد من ٥٠-٥٣) وأيضاً (صموئيل الأول ٨:١٧). كما أن أخيا كان ابنا لأخيطوب أيضاً (قارن ١صم ١٤:٣، ٢٢، ٩، ١١، ٢٠). وعن كون عزرا ابناً لسرايا، فمن الواضح أن الكاتب استخدام اللفظ (ابن) كتسلسل نسب فقط وليس كابن مباشر (قارن ما جاء في متى ١:١).

٤- زعم البعض من العلماء النقديين أن عزرا (٤:٦-٢٣) لا مكان له في السفر، لأن هذه الأعداد تشير إلى زمن أحشويرش Xerxes (٤٨٥-٤٦٥ ق.م) وأرتحشستا الأول، الأمر الذي يؤدي إلى نوع من الغموض في ترتيب هذه الأعداد. ولمزيد من الإيضاح يقدم أحد العلماء بياناً واضحاً عن الأزمنة والآيات التي تشير إليها، وذلك كما يلي:

(٤:١-٥) تشير إلى زمن كورش العظيم (كورش الثاني ٥٣٩- ٥٣٠ ق.م، وداريوس الأول ٥٢٢-٤٨٦ق.م).

(٤:٦) يشير إلى أحشويرش الأول (٤٨٦-٤٦٥ق.م)

(٤:٧-٢٣) تشير إلى حكم أرتحشستا الأول (٤٦٥-٤٢٤ ق.م).

(٤:٢٤) تشير إلى داريوس الأول، داريوس العظيم (الفارسي). ثم يأتي الأصحاح الخامس الذي يتحدث عن أحداث وقعت عام ٥٢٠ ق.م (عزرا ٥:١، ٦). كما وردت الإشارة عن بناء حصون أورشليم وأسوارها في (عزرا ٤:١٢، ١٦) بينما تم هذا بعد بناء الهيكل بسبعين عاماً والمشار إليه في الأصحاح الخامس.

ومرجع هذا الخلط الظاهري كما يراه العلماء المحافظون هو: أن الكاتب بدأ يتحدث عن مقاومة الأعداء في مستهل الأصحاح الرابع، واستطرد في حديثه هذا بتتبع وتفصيل، وما بدا من مقاومات في أزمنة مختلفة ومتباينة، بمعنى أن هدف الكاتب عزرا هو سرد الأحداث التاريخية المتعلقة بمقاومة البناء في جملتها. لذا نجد في عزرا (٤:١-١٥) أن المقاومة ظهرت خلال حكم كورش وداريوس. ويستمر الكاتب في حديثه بأن هذه المقاومة ظهرت أيضاً زمن أحشويرش، وأكثر من ذلك وصلت إلى ذروتها خلال حكم أرتحشستا حيث وصلت شكاوى إلى الملك. وعليه أصدر الملك أمره أن يُوقف البناء.

هذا هو تاريخ الجدل بجملته كما رآه العلماء الكتابيون الباحثون المدققون. ثم يعود الكاتب إلى زمن كورش، ويشير إلى أن العمل قد أوقف إلى وقت داريوس. ويشرح ذلك تفصيلاً في الأصحاح الخامس، إذ كان هدف الكاتب أن يفرغ من هذا الموضوع قبل أن ينتقل إلى موضوع آخر.

وعندما يدقق القارىء في هذه النصوص، سوف لا يجد نفسه أمام خلط في الأحداث والأزمنة كما زعم أصحاب المدرسة النقدية الهدامة.

كاتب سفر نحميا

يعد نحميا هو كاتب السفر كما يظهر ذلك باستخدام ضمير المتكلم «أنا». ويسجل السفر إرسالية نحميا لأورشليم، والإصلاحات التي قام بها هناك، وعلى خلاف عزرا كان نحميا رجلاً علمانياً.

وفي كلمات ج. مايرز Jacob M. Myers وصف دقيق لهذين القائدين العملاقين عزرا ونحميا.

فعن عزرا يقول مايرز: «عزرا معلم الشريعة، رجل كاتب وكاهن لله من بيت لاوي، عرف بين معاصريه بموسى الثاني، ومهندس عظيم في بناء الكيان الروحي لليهود فترة ما بعد عودتهم من السبي البابلي».

وعن نحميا قال مايرز «قائد عظيم ومدبر عملاق ورجل سياسة من الطراز الممتاز الذي لا يباريه أحد في كل العصور القديمة آنذاك».

لهذا كان عمل كل من عزرا ونحميا مكملاً للآخر، لبناء كيان الشعب اليهودي روحياً وسياسياً.

ويرى بعض العلماء من المدرسة النقدية أن سفر نحميا قام بكتابته شخص عرف بالمنسق أو كاتب للأخبار. وذكر هؤلاء العلماء بأن نحميا هو كاتب النصوص التي عُرفت بمذكرات نحميا، والخاصة بأعماله العظيمة وإنجازاته الضخمة خلال تلك الفترة. وقام هذا الكاتب غير المعروف بإعادة كتابتها، وأضاف إليها المواد الأخرى للسفر والتي استعان في كتابتها بالمصادر العديدة الأخرى كما وردت الإشارة سابقاً.

أما عن الأسباب التي لأجلها رفض بعض العلماء النقديين أن يكون نحميا كاتباً للسفر فهي بإيجاز كما يلي:

١- حديث كاتب سفر نحميا في (١٢:٢٦،٤٧) عن أيام عزرا ونحميا كأيام مضت. واستخدام التعبير ملك الفرس؛ بمعنى أن سيادة الفرس قد انتهت (قارن عزرا ١:١، ٨). وعليه يكون تاريخ كتابة سفر نحميا قد تم زمن العصر اليوناني، أي ما بعد عام ٣٣١ ق.م بعد نهاية حكم داريوس الثالث (كودومانس). وربما يعود تاريخ الكتابة في شكله النهائي هذا إلى عام ٣٠٠ ق.م.

٢- ورد في نحميا (١٢:١١، ٢٢) ما يشير إلى يوياداع الذي كان آخر رئيس كهنة في الفترة من عام (٣٥١-٣٣١ق.م) وكان معاصراً لداريوس الفارسي (٢٢:١٢)، وطبقاً لما يراه يوسيفوس فإن داريوس هذا هو داريوس الثالث (كودومانس). واستمر يوياداع يكهن للرب إلى وقت دخول الإسكندر الأكبر مدينة أورشليم، وفي ذلك يرى العلماء المحافظون أن هذه الأعداد أضيف مؤخرا بواسطة كاتب (دعي بمنسق أو كاتب للأخبار) وذلك بإرشاد روح الله القدوس.

متى وصل عزرا إلى أورشليم؟ بعد نحميا أم قبله؟

يرى بعض العلماء أن سفري عزرا ونحميا يتحدثان عن فترة زمنية من تاريخ الشعب اليهودي لم تذكر في أي سفر آخر من الكتب المقدسة. وأن عزرا كان معاصراً لنحميا، وكلاهما عاصر حكم أرتحشستا، فإذا كان هو أرتحشستا الأول (لونجمانس)، يكون عزرا قد جاء إلى أورشليم عام ٤٥٨ ق.م ونحميا وصل إليها عام ٤٤٥ ق.م.

ويرى الكثيرون أن عزرا عاصر حكم أرتحشستا الثاني، بمعني أن نحميا قد سبق عزرا في وصوله إلى أورشليم. ويرتكز هذا الاعتقاد على ما يلي كما يرى رولي H.H.Rowley وآخرون من العلماء.

١- اهتم نحميا بالعمل السياسي والاجتماعي كبناء أسوار أورشليم وحصونها على خلاف عزرا الذي اهتم بالبناء الروحي للشعب بعد العودة من السبي. كما وجد عزرا أورشليم وقد تم بناء أسوارها (عزرا ٩:٩).

٢- كان عزرا مُحاطاً بأناس كثيرين (عزرا ١:١٠)، بينما وجد نحميا المدينة خالية من السكان وخربة، وكان عليه أن يعمل كثيراً لتعميرها (نحميا ١:١١).

٣- واجه نحميا تحديات كثيرة منها الاقتصاد المضطرب (راجع نحميا ٥:١-١٣)، ولم يواجه عزرا شيئاً من ذلك، بل اهتم بتعليم الشريعة (قارن نحميا ١٣:٦-٢١). أما عن الزواج المختلط، فقد قام كلاهما بمواجهته والتصدي له والعمل على إصلاح ذلك (قارن نحميا ٢:٩، ٣٠:١٠، عزرا ٩، ١٠، نحميا ١٣:٢٣-٢٩).

٤- لا توجد أية إشارة من أحدهما للآخر في قصة كل منهما، الأمر الذي جعل العلماء يعتقدون أن الواحد لم يعاصر الآخر.

٥- بينما كان نحميا معاصراً لرئيس الكهنة ألياشيب (نحميا ١:٣) «وقام ألياشيب الكاهن العظيم وإخوته الكهنة وبنوا باب الضأن». كان عزرا معاصراً ليهوحانان (عزرا ٦:١٠) «ثم قام عزرا من أمام بيت الله وذهب إلى مخدع يهوحانان بن ألياشيب.. فانطلق إلى هناك وهو لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء لأنه كان ينوح بسبب خيانة أهل السبي» ويهوحانان هذا هو حفيد ألياشيب (نحميا ١٢:١٠، ١١، ٢٢).

بالإضافة إلي ذلك ورد في مخطوطات بردي إليفنتين Elephantine والتي اكتشفت في أوائل القرن العشرين (١٩٠٦-١٩١١). في الجزيرة المواجهة لمدينة أسوان، أن اليهود الساكنين في هذه المنطقة من صعيد مصر طلبوا عون أبناء سنبلط عام ٤٠٨ ق.م. ويعتقد أن أبناء سنبلط والي أورشليم في تلك الفترة كانوا يقومون بالأعمال الإدارية الهامة معاونة لأبيهم. وبهذا يتبرهن للعلماء أن نحميا الذي كان معاصراً للعصر الذهبي لحكم سنبلط، يقع تاريخه في فترة زمنية مبكرة لهذا التاريخ الوارد في بردي إليفنتين Elephantine Papyrus.

مما سبق يمكن القول -كما يرى العلماء- إن عزرا كاتب ومعلم شريعة إله السماء، عاصر حكم أرتحشستا الثاني، ووصل إلى أورشليم عام (٣٩٨-٣٩٧ق.م) وتاريخ كتابة السفر تم في فترة زمنية غير قصيرة بعد ذلك.

عزرا أبو اليهودية

انتهت مملكة يهوذا وهُدِم الهيكل بهجوم البابليين على أورشليم عام ٥٨٧ق.م وحُمل اليهود إلى السبي في بابل، تحقيقاً لما تكلم به الأنبياء قبلاً بأن الاختلاط بالشعوب الأجنبية وترك شريعة الرب وعبادة الآلهة الوثنية، سيؤدي بهم

حتماً إلى العقاب الذي كاد أن يؤدي بهم إلى الدمار. لولا نعمة الرب العاملة في حزقيال النبي وآخرون مثل دانيال. حيث كان حزقيال في السبي بمثابة الراعي الذي حثهم على ممارسة الطقوس الدينية مثل حفظ السبت والختان وعبادة الرب (يهوه) إله الآباء قديماً. كما عمل حزقيال النبي أيضاً على وحدتهم وترابطهم.

إما عزرا فاستحق أكثر من حزقيال (كما يرى الباحث والعالم المعاصر جيمس ك. ويست J.K.West) أن يلقب بأب اليهودية حيث جعل عزرا من اليهودية ديانة تطبيق وصايا التوراة زمن ما بعد السبي. إذ أقام كل ما تهدم من بناء روحي في حياة شعبه. وكانت لأعماله أهمية عظمى في استمرار الحياة الروحية وبنائهم روحياً وترسيخ هذا الإيمان. وبدا واضحاً للشعب على يد عزرا أن أنبياء الرب كانوا على حق في أن البعد عن إله الآباء إبراهيم ويعقوب سيجلب عليهم العقاب الرادع. وإذا كان لإسرائيل أن تحيا مع الله، عليها أن تسلك بأمانة أمام الرب، وأن تمتثل لشريعة إلهها على فم موسى، وأن تكون مقدسة له (زكريا ١٤: ٢٠، ٢١) وبحفظ شريعة الرب ومخافته وتقواه متحيا إسرائيل رغم كل المضايقات. ذلك كان وعد الرب لها على فم أنبيائه (كما يرى هاريسون R.K.Harrison).

وقد أخذ عزرا على عاتقه أن يعلم الشعب سفر الشريعة (الذي لم يكن بالضرورة جديداً في مضمونه أو جديداً في صياغته). فلم تصبح الأسفار الموسوية مجرد شرائع وأحكام، بل تعاليم تغطي كل جزء في حياة الشعب، فاستحق عزرا أن يلقب بأب اليهودية. كما أنه أرسى قواعد الحياة الدينية لليهود من هذه النقطة، ومكنها من النهوض والاستمرارية بفحص واستقصاء الأزمات التاريخية المتلاحقة. وهنا يُصرح كوندل A.E.Cundall قائلاً: لا نستطيع أن توجه اللوم إلى عزرا الكاتب لشريعة إله السماء ومعلمها، بسبب ما اتسمت به الحياة اليهودية من مآخذ بعد ذلك، لأن سياسته هذه أنقذت يهوذا من فترة تاريخية عصيبة كادت أن تؤدي بها إلى النهاية.

الرسالة اللاهوتية لسفري عزرا ونحميا

لم يكن اهتمام كاتب سفر عزرا وسفر نحميا هو سرد ما ورد بالسفرين من أحداث تاريخية أو تتبعها في حد ذاتها. بل إعلان قصد الله من شعبه بسرد هذه الأحداث، وإظهار أمانة الرب مع الشعب في تحقيق وعده لهم بالعودة إلى أرض الآباء أرض الموعد. وتحقيقاً لذلك أخضع الرب كورش بأن سمح لليهود بالعودة إلى أورشليم، فأطلق نداء بذلك (عزرا ١: ٣). وكان من بين الشعب من حفظ الإيمان واشتاق إلى العودة إلى أورشليم، وتمثل ذلك في وداعة عزرا واتكاله على الرب إلهه بقوله: «إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير» (عزرا ٨: ٢٢). كما ظهر ذلك أيضاً في صلاة نحميا الصامتة، واستجابة الرب له قائلاً: «فأعطاني الملك حسب يد إلهي الصالحة عليّ» (نحميا ٢: ٤، ٨، ١٨).

وسفرا عزرا ونحميا يعلمان بأنه على الإنسان أن يطلب ملكوت الله وبره (مت ٦: ٣٣). حيث أقام العائدون من السبي مذبح الرب (عزرا ٣: ٢، ١٠: ١٣) حتى يتعبد الشعب لإلهه. بعد الإنجاز العظيم والرائع المتمثل في إعادة بناء الهيكل بتعضيد الرب لهم وحلوله في وسطهم زمن نحميا، الذي أتم بناء الأسوار وحصون أورشليم (نحميا ١٢: ٤٠-٤٥).

ويحث سفر عزرا ونحميا على حفظ الإيمان واللهج دائماً في شريعة الرب، والاعتراف بالعجز وعدم الأمانة قدام الله البار والأمين إلى الأبد، حافظ العهد، لأن مراحمه كثيرة (نحميا ٨: ٢-٩: ٣٨)، والسهر والسير باستقامة وأمانة مع الرب «بهذا أيضاً أذكرني يا إلهي وتراءف عليّ حسب كثيرة رحمتك» (نحميا ١٣: ٣، قارن أعداد ٢٣-٢٧، ٩: ٣١، عزرا ١٠: ٢-٤، ١٠-١١). والحقيقة الخالدة هي أن الطاعة لله يجب أن تكون فوق كل أمر في الحياة، والولاء له هو طريق الصلاح والنجاح.

أستيــر

يُعد سفر أستير من أحب وأشهر الأسفار عند اليهود، لأنه مصدر بهجة وسرور لكل يهودي. إذ يحكي قصة شعب كاد يغرق في دمائه، لكن الأمر تحول وأصابت الكارثة أعداءهم (هامان وأهل بيته) وهم الذين نصبوا لهم الشراك، ودفعوا أنفسهم فيها.

لم يرد اسم الله بالسفر، غير أن المرء يجد فيه تمتعاً بعمل الله العجيب في كل نص فيه.

دعي السفر باسم أستير، تلك الشخصية الهامة التي لعبت دوراً أساسياً في أحداثه في الترجمات السبعينية واللاتينية واللغات الحديثة كما في الأصل العبري.

وسفر أستير أحد الأسفار المجلوث، الخمسة: نشيد الأنشاد، جامعة، راعوث، مراثي، والتي تقرأ في الأعياد (مجلوث). خاصة عيد الفوريم الذي يقع في الرابع عشر من آذار (اكتمال البدر Full Moon خلال شهر مارس).

وفي الترجمة السبعينية ورد السفر في أصحاحات أكثر عدداً، وعندما قام جيروم بترجمة الأسفار المقدسة خلال القرن الرابع الميلادي إلى اللغة اللاتينية، سجل كل ما ورد في العبرية واليونانية، وأضاف ملحقاً خاصاً لما جاء في اليونانية ولم يرد في اللغة العبرية (١٠:٤-١٦:٢٤). وهذا الجزء أطلق عليه تتمة أستير في مجموعة أسفار «طوبيا - مكابيين) السماة بالأبوكريفا (أسفار قانونية ثانية عند الكنائس التقليدية، وأسفار غير قانونية عند الكنيسة البروتستانتية).

واعتبر السفر قانونياً من الأكاديمية الفريسية المنعقدة في جامينا عام ٩٠م Jamina، وظل الجزء الخاص بتتمة أستير (١٠:٤-١٦:٢٤) غامضاً ومثار جدل كما رفض من علماء الكتاب.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: رفض الملك أحشويرش للملكة وشتي (١:١-٢٢).

ثانياً: اختيار أستير ملكة (٢:١-٢٣).

ثالثاً: الفور أو القرعة أمام هامان لإبادة شعب اليهود (٣:١-١٥).

رابعاً: عزم أستير على خلاص شعبها (٤:١-١٧).

خامساً: أستير تقيم الوليمة الأولى (٥:١-١٤).

١- دعوة هامان إلى الوليمة (٥:١-٨).

٢- هامان يعد عدته لإعدام مردخاي (٥:٩-١٤).

سادساً: هامان يخضع لمردخاي (٦:١-١٤).

سابعاً: هامان يصلب على الخشبة التي أعدها لمردخاي (٧:١-١٠).

ثامناً: مردخاي يمارس سلطاته الممنوحة له من الملك (٨:١-١٧).

تاسعاً: الخلاص لليهود والهلاك للأعداء والاحتفال العظيم بيوم الفوريم (٩:١-١٠:٣).

الآراء المختلفة حول سفر أستير

يرى بعض النقديين أن سفر أستير لم يحدث تاريخياً، وأنه لم يكن لأحشويرش زوجة (ملكة) باسم أستير. وبالمثل لم تكن له ملكة يهودية على الإطلاق. ولم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن وشتي أو أستير في بلاط أحشويرش (هيرودت ٧:١١٤، ٩:١١٢). وأن موضوع اختيار زوجة يهودية بالأسلوب الذي اختيرت به لا يتفق وقانون السلطة الفارسية الحاكمة الخاصة بموضوع الزواج (هيرودت ٣:٨٤) غير أنه ورد في (هيرودت ٣:١) أن الملك فعل كل ما حسن في عينيه وحسب مسرته.

ورفض البعض الآخر من العلماء سفر أستير لخلوه من التعاليم الدينية، وإخفاء اسم الله تماماً من السفر والعمل على تحاشي ذلك في (٤:١٤)، وعدم الإشارة بالمرة إلى العبادة الإلهية في مواجهة الأزمة التي كادت أن تودي بهلاكهم تماماً، وعلى رأس هؤلاء العلماء: إيوالد، درايفر وكورنل Ewald, Driver and Cornill.

يرى كورنيل Cornill في قصة أستير انعكاساً لصراخ المكابيين. (وهو أمر غير مقبول تاريخياً عند كثير من العلماء). فهو يقول إنه من الممكن أن يكون السفر قد كتب تعبيراً عن المشاعر القومية الخاصة باحتفالات المكابيين وانتصاراتهم، مستنداً في ذلك إلى الاحتفال بعيد الفوريم مدة يومين بعد يوم نيكانور في (مكابيين الأول ٧:٤٩، مكابيين الثاني ١٥:٣٦). وعيد الفوريم يشكل صعوبة في فهم خلفيته التاريخية وما جاء في (١مك ٧:١٩) يعد أول إشارة خارج سفر أستير لهذا العيد حيث عيد الشعب بانتصار يهوذا المكابي عام (١٦١ ق.م) على نيكانور. وجاء عن هذا العيد أنه اليوم السابق ليوم مردخاي، خاصة أن الروح الوطنية ليوم الفوريم في أستير، يتناسب مع الروح القومية بانتصار المكابيين.

ويرى زيمرن Zimmern أن مردخاي لم يكن إلا مردوك Marduck إله بابل. وفوريم تعني مجمع الآلهة بالنسبة له. وتعكس قصة أستير معضلة دائرة بين الآلهة البابليين والعيلاميين. ويتفق معه في ذلك Jensen الذي يرى أن أستير هي إشتار (عشتار)، ووشتي تمثل الإلهة العيلامية مشتي، وهامان إله عيلامي Humman.

ويرى أندرسون G.W.Anderson بأنه من الخطأ ربط شخصيات القصة بالآلهة والإلاهات، لأن السفر يحكي عن رجال ونساء وليس آلهة وإلاهات. بالإضافة إلى كل هذه الآراء السلبية عن سفر أستير، لم يرد شيء عن مردخاي وأستير في تسبيحة الحمد الخاصة بالآباء في كتاب يشوع بن سيراخ (ص٤٤-ص٤٩). لذلك ذهبوا إلى الاعتقاد بأن السفر لم يكن معروفاً عند يشوع بن سيراخ الذي كُتِب عام (١٨٠ق.م).

بالإضافة إلى ذلك أنه لم يُعثر على أي جزء من السفر (أستير) بين مخطوطات البحر الميت. كما لم يرد أي اقتباس منه في العهد الجديد.

والجدير بالذكر أن سفر أستير يشرح جانباً هاماً في الحياة اليهودية خلال الفترة الأخيرة من العهد القديم، وتطور الحياة القومية التي تعد في أساسها حياة دينية.

الكاتب وموقف علماء الكتاب من السفر

يرى يوسيفوس Josephus (آثار ١١:٦:١)أن مردخاي هو الكاتب، وربما كان هذا هو الرأي الشائع بين علماء اليهود. واستندوا في هذا الرأي على ما جاء في الأصحاحين الأخيرين، وما ورد فيها من رسائل وكتابات مردخاي (راجع ٩:٢٠، ٣٠). غير أن صيغة ضمير المتكلم لم تستخدم في القصة إذا كان مردخاي هو الكاتب، بالإضافة إلى أن ما جاء في (١٠:٣) يبين أن مردخاي لم يكتب السفر.

ولا يعرف بالتحديد من هو كاتب السفر. والمرجح أنه عاش في فارس وليس في فلسطين، ذلك لدرايته الواسعة

بالحياة الفارسية وتقاليدهم وعاداتهم. ولاشك في أن الكاتب قد استعان بكتابات مردخاي في كتابة سفره (٩:٢٠) (مذكرات مردخاي عن الأحداث التي تمت في عهده)، وأسفار أخبار ملوك مادي وفارس (٢:٢٣، ١٠:٢)، بالإضافة إلى التعاليم الشفوية والمصادر التاريخية الأخرى.

ويعتقد أن الكاتب هو شخص يهودي عاش في فارس لما تمتع به من خلفية واسعة بالعادات والتقاليد الفارسية.

زمن الكتابة

١- ذهب البعض إلى أن تاريخ كتابة السفر تم بعد حرب المكابيين (١٦٧-١٦٤ق.م) ببضعة سنين، أي في أيام حكم يوحنا هركانس (١٣٤-١٠٤ق.م) وبالتحديد عام ١٢٥ق.م تقريباً. ويستند الآخذون بهذا الرأي إلى الروح العدائية نحو الأمم والظاهرة بالسفر. وهذا الرأي غير مقبول، لأن ما ورد بالسفر هو أن اليهود كانوا يرجون رضى الحاكم في أرض السبي، بينما في عصر المكابيين كانوا يحاربون من أجل الاستقلال وتحقيق حياة خاصة بهم ونهجاً خاصاً معيناً في طريقة معيشتهم.

٢- ذهب البعض الآخر إلى أن سفر أستير كتب في العصر الفارسي أو أوائل العصر الهليني (ما بين ٣٥٠-٣٠٠ ق.م) قبل عصر المكابيين.

أما عن عدم ورود أية إشارة عن أستير كبطلة لهذه القصة في أسفار الأبوكريفا (أسفار ما قبل المسيحية) وخاصة سفر يشوع بن سيراخ، الذي كُتب عام ١٨٠ق.م، والذي يقدم تلخيصاً عن أبطال الإيمان ولا يذكر شيئاً عن أستير، فمرجعه - كما يرى علماء متخصصون - أن مخطوطات السفر عُثِر عليها في بلاد فارس، وذلك في عصر متأخر، كما أنه قد تم إدراجه في القانونية العبرية في مجمع جامينا عام ٩٠ ميلادية.

٣- يرى العلماء أيضاً أن السفر كُتب بعد موت أحشويرش في ضوء ما ورد في (٢:١٠). بمعنى أنه كتب خلال الفترة الزمنية الأخيرة من الحكم الفارسي (٥٣٨-٣٣٣ق.م) علماً بأن اغتيال الملك أحشويرش كما هو مقبول لدى الباحثين وقع عام ٤٦٥ق.م.

الحقيقة التاريخية لسفر أستير

لسفر أستير مكانة رفيعة وقيمة سامية عند اليهود. فقد جاء في تلمود أورشليم أن أسفار الأنبياء والكتب يمكن أن تبطل، لكن أسفار موسى الخمسة وسفر أستير لا يمكن أن تبطل.

الآراء المختلفة كما يطرحها العلماء النقديون

جاء بالسفر أن أحشويرش تولى الحكم بعد نبوخذ نصر بناء على ما جاء في (أستير ٢:٥، ٦)، وأن مردخاي حُمل ضمن المسبيين من أورشليم بواسطة نبوخذ نصر أيام حكم يهوياقيم، وبذلك يكون عمره قد جاوز المائة عام أيام أحشويرش. بالإضافة إلى أن الكاتب لم يُظهر مردخاي في هذا السن، ويتضح من ذلك كما يرى النقديون أن الكاتب لم يكن على دراية بالتاريخ، معتقداً بأن أحشويرش تولى الحكم بعد نبوخذ نصر بزمن قليل. وبهذا تصل الفترة الزمنية بينهما إلى ما يقرب من مائة واثني عشر عاماً (علماً بأن أحشويرش تولى الحكم من عام ٤٨٥-٤٦٥ق.م).

والحقيقة أنه إذا قرأ المرء بعناية (أستير ٢:٥، ٦) لأدرك بأن الذي حُمل إلى السبي من أورشليم ليس مردخاي، بل قيس والد جد مردخاي.

جاء في (هيرودت ٨٤:٣) أن أحشويرش كانت له زوجة واحدة من أسرة شريفة، ولم تكن له زوجة يهودية بالاسم أستير «هدسة» كما لم يرد بأن الملك كانت له ملكة بالاسم وشتي (هيروديت ١١٤:٧، ١١٢:٩)، غير أنه جاء أيضاً

في (هيروديت ٣١:٣) أن الملك أحشويرش فعل كل ما حسن في عينيه حسب مسرة قلبه.

لم يعترف البعض بحقيقة السفر التاريخية للكلمة الواردة به وهي «الفور» أو «الفوريم» التي ليس لها خلفية يهودية، كما لم يُشر عنها في شريعة موسى. والفوريم على اسم الفور (٢٨:٩)، ولا شك أن له أصلاً فارسياً وأخذ طابعه اليهودي. ويعتقد Zimmern أن الكلمة «فور» لها علاقة بالكلمة البابلية Puhru بمعنى محفل. غير أن Gun-kel يرى أن الكلمة «فور» مشتقة من الكلمة الأشورية Puru والتي تعني قرعة أو نصيب. وربما هذا يذكرنا بما ورد في (أستير ٧:٣) «كانوا يلقون فوراً أي قرعة أمام هامان...» يوم الثالث من آذار يوماً معيناً لإبادة شعب اليهود من الغلام إلى الشيخ والأطفال والنساء في يوم واحد. وتحول الأمر إلى أعدائهم، وتبدل حزنهم إلى فرح، وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفاً. واستراحوا في اليوم الرابع عشر من آذار. وجعلوه يوم شرب وفرح ويوماً طيباً لإرسال أنصبة من كل واحد إلى صاحبه. ويبدو أن اليهود الساكنين في المدن جعلوا احتفالهم باليوم الخامس عشر من آذار، لذلك دعوا تلك الأيام «فوريم» على اسم الفور (أستير ١٧:٩-١٩، ٢٢، ٢٦). وصارت هذه الأيام عيداً يتذكر فيه الشعب خلاص الله لهم من يد عدوهم الجبار هامان الذي محقه الله أمامهم مع كل مشيريه وأتباعه.

مما سبق يتبين لنا حقيقة السفر تاريخياً، وضعف الاعتراضات أمام وقائعه التاريخية والجغرافية، وما تمتع به السفر من قيمة عظمى ورسالة دينية.

بقي أمر هام وهو: أنه لم يرد بالسفر اسم الله. كما لم ترد أية إشارة عن الصلاة والتسبيح والعبادة لله. رغم أن القيمة الدينية كامنة في المناداة بالصوم والصراخ من أجل العون الموجه إلى الله (قارن أستير ١٦:٥، ٣١:٩). والكلمات الواردة في (١٤:٤) إشارة واضحة عن المعين الأعظم، إلا أن السؤال يظل باقياً: لماذا حذف اسم الله؟ ولعل الإجابة تظهر فيما يلي:

عندما انتصر كورش عام ٥٣٩ ق.م على بابل. وفي السنة الأولى من حكمه، نبه الرب روح كورش ملك فارس، فأطلق نداء في كل مملكته قائلاً: «إن الرب إله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا. من منكم من جميع شعبه الرب إلهه معه وليصعد» (أخبار الأيام الثاني ٢٢:٣٦، ٢٣، عزرا ١:١-٣). وعاد كثيرون من اليهود إلى أورشليم إلى أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً، وبقي عدد ليس بقليل في أرض السبي ولم يعودوا إلى أرض الآباء لأنهم رغبوا في ذلك.

ولأجيال لاحقة حتى إلى العصر المسيحي، كان هناك يهود ساكنون في بلاد ما بين النهرين، ومن بين هؤلاء كان دانيال. وربما وصل عدد كبير من اليهود الذين في بابل إلى بلاد فارس، لأن ملوك بابل سمحوا لهم بالهجرة إليها (قارن ملوك الثاني ٦:١٧). ولما كانت إسرائيل في السبي، وضع ملك أشور بعضهم في مدينة مادي. ويُعتقد أن هؤلاء اليهود ظلوا في فارس من وقت السبي الأول، ولم يرغبوا في ترك البلاد فارس. واستوطنوا فيها. ومع مرور الزمن ضعفت حالتهم الروحية ولم يعودوا ضمن رعوية إسرائيل مدنياً. وبذلك فقدوا هويتهم ولم يعد أيضاً هذا الاسم (اسم الله) له المكانة التي كانت ويجب أن تكون عليه عندهم.

في هذه الحالة يعلمنا سفر أستير بأنه رغم كل ذلك ظل هذا الشعب الذي في فارس ضمن رعوية إسرائيل روحياً. فلم يرفضهم الله، ولازال يغار عليهم، بل وظل يحفظهم من كل شر ومن مكايد أعدائهم. وعون الله لهم لا يخضع لمسافات أو أزمنة. حفظاً للعهد الذي قطعه مع إبراهيم. والعهد الذي قطعه الرب معهم في جبل سيناء، «تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خروج ٦:١٩) ليشهدوا شهادة للرب بأن ليس إله غيره مخلص لكل من يصرخ إليه للنجاة. خالق السماء والأرض وحده وليس مثله بين آلهة الامم. وليس عند الله محاباة، وهو لا يحابي الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده إذ هو رب الكل (قارن إشعياء ٣:٥٦-٨).

الصفة الأساسية للكتابة بالشعر في اللغة العبرية

توجد أسفار في العهد القديم كتبت بجملتها بأسلوب شعري، وأسفار أخرى كتبت بالشعر في غالبية أجزائها : من هذه الأسفار : أيوب، مزامير، أمثال، نشيد الأنشاد، جامعة، بالإضافة إلى بعض النصوص الأخرى مثل ترنيمة موسى في تثنية (٣٢). وبين أسفار الأنبياء سفر المراثي الذي يدخل ضمن سفر إرميا. كما توجد أسفار أخرى غير قانونية كتبت بالشعر مثل يشوع بن سيراخ وحكمة سليمان.

والجدير بالإشارة أن أسفار الأمثال وأيوب وجامعة، وهي الأسفار الشعرية، أطلق عليها أسفار حكمة بمعنى أن هذه الأسفار أخذت الصفتين الشعر والحكمة من حيث الصياغة الأدبية والمضمون. وبعبارة أخرى أسفار شعرية تعليمية.

وسفر أيوب يعد سفراً تعليمياً في قالب حوار. والمزامير أناشيد تعبدية تكريسية. وسفر الأمثال أناشيد تعليمية. والجامعة أشعار نابعة من اختبارات حية. ونشيد الأنشاد سفر شعري في قالب حوار. والمراثي عبارة عن مجموعة من مقطوعات شعرية بهدف الرثاء. أما سفر الجامعة فقد غلب عليه أسلوب الكتابة بالنثر أكثر من أسلوب الشعر. غير أن الترجمة السبعينية والفولجاتا أصاغته في قالب شعري، واعتبر ضمن هذه الأسفار الشعرية.

والصفة الغالية في الشعر العبري هي أسلوب الموازنة أو (المقابلة). فكرة مقابل أخرى، والتعبير عنهما في جملة واحدة. بمعنى بيت واحد من الشعر في شطرين لفكرتين. يحدث ذلك أحياناً في أبيات متتالية وفي ترابط جميل بين شطري البيت الواحد.

وأمثلة ذلك فيما يلي:

١- إذا كانت الفكرة في الشطر الثاني صدى للفكرة الواردة في الشطر الأول بأسلوب مختلف بعض الشيء، يطلق على هذا النوع بالمرادف كما في (مزمور ٢:٤).

الساكن في السموات يضحك	الرب يستهزئ بهم
اسمعوا هذا يا جميع الشعوب	أصغوا يا جميع سكان الدنيا
	(مزمور ٤٩:١).

٢- إذا كانت الفكرة الواردة في الشطر الثاني تتمشى وتُكمل الفكرة الواردة في الشطر الأول، يطلق على هذا النوع الأسلوب التركيبي كما في (أمثال ٢٥:٢).

مجد الله إخفاء الأمر	ومجد الملوك فحص الأمر
فوق كل تحفظ احفظ قلبك	لأن منه مخارج الحياة
	(أم ٤:٢٣)

٣- إذا كانت الفكرة الواردة في الشطر الثاني عكس الفكرة الواردة في الشطر الأول، يسمى هذا النوع من الأسلوب الشعري بالأسلوب التناقضي أو التبايني كما ورد في (مزمور ٣:٥)

أنا إضطجعت ونمت	استيقظت لأن الرب يعضدني

الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط

(أم ١٥:١)

هذا التوازي في الكتابة بالشعر بأنواعه المختلفة، له أهميته الكبيرة. إذ يعطي ضوءاً كافياً لفهم أوضح للمعنى الذي ربما يكون غامضاً في الشطر الآخر من البيت.

لذا نجد في (مزمور ٣٣:٦) «بنسمة فيه....» تفهم كمرادف لـ «بكلمة الرب» وفي اتساق معاً.

ولا توجد في الشعر العبري قافية (تشابه نهايات آخر الآيات) لذلك يمكن ترجمة الشعر العبري إلى أية لغة أخرى دون مساس يُنقص أو يُؤثر على المعنى المقصود.

والشعر الكنعاني أوجاريت Ugarit يشبه الشعر العبري إلى حد كبير كما يشير أحد الباحثين، ويأتي الشعر البابلي في مرتبة أقل منهما.

أوزان الشعر العبري

(٤-٤، ٤-٣، ٣-٣، ٣-٢)

(أمثال ٢٥:٢) على وزن ٤-٤.

(مزمور ٣:٥) على وزن ٣-٣.

(مزمور ٢:٤) على وزن ٣-٢.

والوزن (٣-٢) هو الوزن السائد في الرثاء. غير أنه يستخدم في أهداف أخرى كما سبقت الإشارة، حتى أن هذا الوزن عرف بذات الكلمة العبرية للمراثي وهي Qinah، وهو الوزن المميز لسفر المراثي والمثل على ذلك:

تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها (مراثي ١:٢).

ويقع الشعر العبري أحياناً في بحور أطول متبوعة بقرار، وأمثلة ذلك ما يلي:

(مزمور ٤٢:٥، ١١) «لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيّ أرتجي الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه». (وفي عدد ١١) «لأني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي».

(مزمور ٤٣:٥) «لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيّ. ترجّي الله لأني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي».

(مزمور ٤٦:٧،١١) «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب».

كما توجد قصائد شعرية منظمة حسب الحروف الأبجدية (اثنان وعشرون حرفاً، قارن (مزمور ٣٤، مزمور ١١٩، أمثال ٣١:١٠-٣١، وسفر المراثي الأصحاح الأول). وقد جاء ترتيب الأعداد في هذه النماذج حسب الترتيب الأبجدي في العبرية، ويحمل قيمة ومعنى في مادته. كما يوجد تشابه في المعنى والمرادفات المتكررة في (مزمور ٢٢:٢-٢٢، ٢٣-٣٢).

وفي النصوص الواردة بسفر إشعياء (١٤:٤ب- ٨، ٩-١١) نجد الأسلوب التبايني (التناقضي). كما توجد أيضاً مقطوعات تكميلية، في توازن بديع مثل (مزمور ١٠٤). والشعر العبري غني بالاستعارات المجازية ومشاعر الوجدان في أناشيد الحمد والتسبيح لله والقصائد النبوية. ولا تفقد هذه القصائد معانيها على الإطلاق عند ترجمتها لأية لغة أخرى. لذا كان من الممكن أن يُترجم سفر المزامير إلى كل اللغات بأسلوب رفيع كلاسيكي، مخاطباً كل نفس بلغته التي ولد فيها دون فقدان لمعانيه الروحية الغزيرة والفياضة.

الكتابات الأدبية عن الحكمة في اللغة العبرية
أسفار الحكمة

من أسفار الحكمة في العهد القديم كما أشرنا سابقاً، سفر الأمثال وأيوب ونشيد الأنشاد والجامعة. ويتساءل البعض عما إذا كان سفر نشيد الأنشاد ضمن هذه الأسفار. كما توجد بعض المزامير القريبة في تعاليمها عن الحكمة، بالإضافة إلى سفري يشوع بن سيراخ وحكمة سليمان من كتابات الأبوكريفا، وجزء من سفر باروخ (٣:٩-٤:٤)، والمكابيين الرابع والذي يُعد ضمن الكتابات الأدبية في الحكمة.

ويمكن تقسيم هذا النوع من الكتابة الأدبية إلى قسمين أو (صنفين) واضحين:

أ- سفر الأمثال، ويمثل فلسفة الحياة العملية.

ب- سفر أيوب، ويمثل مشكلة الحياة، المشكلة العظمى وهي ألم البار.

ويلمس المرء في هذه الكتابات اهتمام الكاتبين بالحياة العملية أكثر مما هو نظري. والاهتمام بالتعاليم الدينية أكثر من العقلية المجردة. والجزء الأقرب إلى التعليم النظري في العهد القديم نجده في القسم الأول من سفر الأمثال، خاصة الأصحاح الثامن، حيث يجسم لنا الكاتب «الحكمة» وقد صارت شخصاً يتحدث.

والمتحدث بالأمثال يجسد لغيره خلاصة اختبارات عاشها الناطق بها. وربما تكون نتيجة ملاحظة دقيقة من جانبه، ولما يجري من حوله في الحياة. كما تعكس ما في داخل المرء من اهتمام نحو محدثيه، لتكون لهم درساً يستفيدون منه. وتاريخ الحكمة قديم في إسرائيل كما هو الحال بين الشعوب الأخرى (قارن ١مل ٢٠:١١، إرميا ٣١:٢٩).

وقد وردت إشارات كثيرة في العهد القديم عن شعوب عُرفت بحكمتها مثل أدم (إرميا ٧:٤٩، عوبديا ٨، أيوب ٢:١-١)، صور (حزقيال ٢:٢٨-٧)، مصر (تك ٨:٤١، خروج ١١:٧، ١مل ٣٠:٤، إشعياء ١١:١٩)، وبابل (إشعياء ٢٥:٤٤، إرميا ٣٥:٥٠، ٥٧:٥١).

كما توجد نصوص كثيرة عن حكماء، جاء ترتيبهم بين الكهنة والأنبياء كمعلمين ولهم رسالة هامة (إرميا ١٨:١٨، قارن ٨:٨، حزقيال ٢٦:٧). وكان لهؤلاء الحكماء تلاميذ كما للأنبياء (أم ٢:١، ٣:١، ٤:١، ١٠، ٥:١، ١٣، ١٧:٢٢-٢١). ولم يكن الحكماء بمثابة أناس يتكلمون بأقوال الحكمة فقط، بل كمعلمين أيضاً للشباب في الحياة. فلم تكن لهم رسالة مرسلية كالتي دُعِي إليها إشعياء أو يونان. أو لهم رغبة معينة في هلاك الأشرار الظالمين تلك الرغبة التي كانت تتسم بها أحياناً رسالة الأنبياء، لكنهم كانوا يطمعون في حياة مطمئنة سعيدة، وأخلاق رفيعة قوامها الاستقامة والسلوك بلياقة لبناء وطن شريف.

وأدرك الحكماء أن تحقيق كل هذه الآمال لا تتأتى إلا من حياة دينية طاهرة. ومخافة الرب في نظرهم هي أساس الحكمة (أم ٧:١، ٩: ١٠، مزمور ١١١: ١٠، أيوب ٢٨:٢٨). والطاعة لله والامتثال لمشيئته هو السبيل الوحيد لحياة لها قيمة. وكم كانت غباوة وجهالة الذين رفضوا تعاليم الحكماء، على عكس ما اجتناه من أصغوا لأقوال الحكمة.

وقيل عن الرجل الحكيم أنه لا يجد متسعاً من الوقت يضيعه مع الجاهل. والفطنة ينبوع حياة لصاحبها (أم ٢٢:١٦). «إن دققت الأحمق في هاون بين السَّميذ بمدق لا تبرح عنه حماقته» (أم ٢٢:٢٧) فالجاهل لا يقيم وزناً

لوقته، وعن الحكيم قيل إنه يزن كل أمر.

ويُعد أيوب شخصية هامة ورمزاً لصراع البار مع آلامه، كما يحمل في شخصيته رسالة دينية لكل متألم. وليس لأيوب وسفره نظير غير ما أطلق عليه بأيوب البابلي. غير أن أيوب البابلي لا يحمل رسالة روحية مثل سفر أيوب في العهد القديم.

فالمتألم البابلي يعكس السبل الغامضة للآلهة. ويرثي للتقدمة والصلاة التي لا نفع منها، لكي يتخلص من مصائبه ومأساته، إلى أن يأتي الوقت ويتدخل مردوك ويخلصه. عندئذ يطفر المتألم فرحاً منشداً تسبيحات الحمد والشكر والتهليل. والواقع أنه ليس في هذا المثل «أيوب البابلي» أو أية نصوص بابلية أخرى شبع أو تعزية عن آلام الإنسان وضيقاته في هذا العالم، مثلما لأيوب الإنسان النقي، الذي تواضع جداً أمام إلهه وخضع بالكامل لإرادة الله. ولا يوجد بديل لإنسان متألم حتى يجد عمقاً روحياً وبلساناً لجراحه مثلما يجد في سفر أيوب. وربما يجد المرء تشابهاً لسفر أيوب في نصوص كثيرة من الكتاب المقدس، إلا أنها لا تزيد عن كونها سطحية وضحلة بجانب سفر أيوب.

وسفر الجامعة في رأي هـ.رولي H. H.Rowley يلمس فيه المرء روحاً تشاؤمية وميلاً إلى الفلسفة السلبية، بخلاف سفر أيوب الذي يطبع في الإنسان راحة واستقراراً، ويُعد خلاصة تجارب عملية عميقة أكثر من كونها أفكاراً منظمة وتعليمية فقط.

أيـــــــوب

يعد أيوب الشخصية الهامة والرئيسية كما هو واضح من السفر. لذا أطلق على السفر اسم «أيوب». وفي العبرية ورد الاسم أيوب الذي يعني به «التعيس» أو «المبتلي». وورد سفر أيوب في القانونية العبرية في قسم الكتوبيم (الكتابات المقدسة) بعد سفر الأمثال. وفي الترجمة السبعينية ورد السفر بعد نشيد الأنشاد الذي يلي المزامير بداية الأسفار الشعرية. وجاء سفر أيوب قبل المزامير مباشرة في الترجمة اللاتينية (الفولجاتا)، والترجمات الإنجليزية تتبع الفولجاتا كما هو الحال في الترجمة العربية.

ويشتمل السفر على ما يلي:

مقدمة تضم (الأصحاح الأول والثاني) بأسلوب النثر، عن تقوى أيوب وشكوى الشيطان عليه، وسماح الله بتجربة أيوب.

من الأصحاح الثالث إلى الأصحاح الحادي والثلاثين، يتضمن حواراً في صياغة شعرية بين أيوب وأصحابه في ثلاث دوائر. غير أن الحوار الثالث لم يكتمل.

من الأصحاح الثاني والثلاثين إلى الأصحاح السابع والثلاثين، يقدم شخصية جديدة (أليهو) الذي يظهر فجأة، ويدلي بحديثه، وبنجاح بالغ وبدون مقاطعة، ثم يختفي عن الأنظار.

من الأصحاح الثامن والثلاثين إلى الأصحاح الحادي والأربعين، نجد أحاديث الرب، يتكلم بها إلى أيوب الإنسان المتألم (البار).

وفي الأصحاح الثاني والأربعين والأعداد من (٢-٦)، نجد أيوب وقد خضع تماماً لمشيئة الله في حياته. والأعداد من (٧:١٧) خاتمة بأسلوب النثر عن أيوب، وعاقبة الرب معه.

وقيل عن أيوب إنه جاء من أرض عوص (١:١-٤)، التي تقع بين سوريا والفرات. كما جاء الحديث عن أليفاز بأنه تيماني. وتيمان مدينة في أدوم، من الإشارة الواردة في (مراثي ٤:٢١) «اطربي وافرحي يابنت أدوم يا ساكنة عوص». بمعنى أن عوص على حدود أدوم. ونستدل من ذلك أن عوص كانت شمال أدوم وشرق سوريا كما يشير أحد الباحثين.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: المقدمة (١-٢:١٣) كتبت بالنثر

١- أيوب البار بين شعب خاطئ (١:١-٥).

٢- امتحان أيوب (١:٦-١٢).

٣- العاصفة تقصف بأملاكه وأولاده (١:١٣-٢٢).

٤- أيوب يفقد صحته (٢:١-٨).

٥- رد فعل شريكة حياته وأصحابه (٢:٩-١٣).

ثانياً: دائرة الحديث الأول (٣:١-١٤:٢٢)

١- مرثاة أيوب (٣:١-٢٦).

٢- أليفاز يتكلم (٤:١-٥:٢٧).

٣- جواب أيوب على أليفاز (٦:١-٧:٢١).

٤- بلدد يخاطب أيوب موبخاً إياه بسؤاله عن عدالة الله ويذكره بحكمة القدماء (٨:١-٢٢).

٥- جواب أيوب على بلدد (٩:١-١٠:٢٢).

٦- صوفر يتكلم موبخاً أيوب، ويعلن كمال الله، ويدعو أيوب للتوبة عن ضلاله إذا أراد أن يتمتع بطلف الله (١١:١-٢٠).

٧- أيوب يجيب أصدقاءه بأن آلامه ليست نتيجة خطية عنده، مسلماً لله أمره، ويرجو أن يحقق مشيئته في حياته «كل أيام جهادي أصبر إلى أن يأتي بدلي» (١٢:١-١٤:٢٢).

ثالثا: دائرة الحديث الثانية (١٥:١-٢١::٣٤).

١- الحديث الثاني لأليفاز (١٥:١-٣٥): ويؤكد في حديثه أن آلام أيوب نتيجة خطيئة وضلاله مع كبريائه، وأن غضب الله معلن على أيوب لأجل هذا كله.

٢- أيوب يجيب أليفاز بأنه فقد كان رجاء في أصدقائه، إذ كان يتوقع تعزية منهم بأنه بار ولا يستحق كل هذه الآلام فيقول: «أما أنا فقد علمت أن وليي حي والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله. الذي آراه أنا لنفسي. وعيناي تنظران الله وليس آخر. إلى ذلك تتوق كليتاي» (١٦:١-١٧:١٦، قارن ١٩:٢٥-٢٧).

٣- بلدد يتحدث ثانية ويذكر بأن هذه هي نهاية الأشرار (١٨:١-٢١).

٤- أيوب يجيب على بلدد بأن لله قصداً في آلامه، وانها ليست برهاناً على شر ارتكبه لذلك يرجو رحمة الله ولطفه، وسوف تكشف لهم الأيام بره مؤكداً خلاص الله له لأنه سيقف إلى جواره (١٩:١-٢٩).

٥- صوفر يتحدث ثانية ويؤكد خطأ أيوب (٢٠:١-٢٩).

٦- جواب أيوب على صوفر بأن شكواه ليست ضد إنسان بل إلى الله (٢١:١-٣٤).

رابعاً: الدائرة الثالثة للحديث (٢٢:١-٣١:٤٠)

١- أليفاز يتحدث للمرة الثالثة ويردد القول أن الله لا يعاقب إنساناً مؤمناً. فلابد أن تكون هناك خطية عظيمة. في حياة أيوب وعليه أن يتوب ويرجع إلى الله حتى يرحمه ويشفي آلامه (٢٢:١-٣٠).

٢- جواب أيوب على أليفاز بقوله إنه يثق في رحمة الله وأنه بار، ولله قصد في نجاح الشرير وصرخات الألم الصاعدة من البار (٢٣:١-٢٤:٢٥).

٣- بلدد يتحدث ثالثة عن قوة الله وعدم استحقاق الإنسان لمحبة الله (٢٥:١-٦).

٤- جواب أيوب على كلام بلدد (٢٦:١-١٤) (الأعداد من ١-٤) فقط منسوبة إلى أيوب. أما عن الأعداد من (٥-١٤) فيرى بعض العلماء أنها كلمات بلدد.

٥- سيظل أيوب أميناً أمام إلهه (٢٧:١-٦،١٢).

أما (٧-١١، ١٣-٢٣) فيرى بعض الباحثين أنها كلمات نطق بها صوفر للتشابه الذي بينها وبين ما نطق به في أحاديث سابقة، بأن الله سوف لا يسمع كلمات الإنسان الذي لا يتقيه وسوف تكون نهايته تعسة.

٦- جواب أيوب على أصحابه (٢٨:١-٣١:٤٠).

٧- الحكمة مصدرها الله (٢٨:١-٢٨).

٨- أيوب يذكر الماضي السعيد الذي كان يعيشه وآلامه الحاضرة، وأنه لم يكن مستحقاً هذا العذاب (٢٩:١-٣١:٤٠).

خامساً: حديث أليهو (٣٢:١-٣٧:٢٤).

١- أليهو يتحدث بعد أن ظل صامتاً منصتاً لحكمة الشيوخ الذين سبقوه في السن. غير أنه لم يُسَر كثيراً بكلمات أصحابه ولا بجواب أيوب (٣٢:١-٢٢).

٢- أليهو غير راض برد أيوب على أصحابه ورد فعل تجربته. وأوضح بأن الله يعلم الإنسان دروساً عظيمة نافعة عن طريق الألم (٣٣:١-٣٣).

٣- ملخص لشكوى أيوب (٣٤:١-٩).

٤- أليهو ينقض شكوى أيوب الأولى (٣٤:١٠-٣٣).

٥- أليهو ينقض شكوى أيوب الثانية (٣٥:١-١٥).

٦- الله كلي القدرة والرحمة والعدل (٣٦:١-٣٧:٢٤).

سادساً: الله يجيب أيوب. «الخليقة تعلن قوة الله التي لا يستطيع الإنسان إدراكها» (٣٨:١-٤١:٣٤).

سابعاً: أيوب يخاطب الله مقراً بذنبه، نادماً على خطيته لأنه تكلم في جهل، وفي روح وديعة يردد قوله «بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عيناي، لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد» (٤٢:١-٦).

ثامناً: خاتمة «بأسلوب النثر» (٤٢:٧-١٧).

١- بركات روحية لأيوب (٤٢:٧-١٠).

٢- بركات مادية لأيوب (٤٢:١٠-١٧).

الكاتب وأسلوب الكتابة

ذهب بعض النقديين أن هناك أجزاء أضيفت إلى مادة السفر الأصلية، مثل أحاديث أليهو (٣٢-٣٧)، وحديث الرب (٣٩:٦-٤١:٣٤)، بالإضافة إلى أصحاح الحكمة (٢٨). وأنه من الممكن حذف أحاديث أليهو دون تأثير يُذكر في بناء السفر، بينما لهذا الجزء المدلول الواضح على بقية السفر. كما أنه لم يرد شيء عن أليهو في أحاديث الرب. وفي الخاتمة جاء الحكم على أيوب وأصحابه وأغفل الأمر عن أليهو.

ويرى بعض العلماء ومنهم Cornill and Bude أن هذه الأحاديث (الخاصة بأليهو) هامة جداً، فهي تقدم جواباً لمشكلة الألم المطروحة في السفر. فالهدف من الألم هو تطهير القلب من الكبرياء خطية أيوب وسر شقاوته. ولم يكن هذا هدف الكاتب كما يرى كثيرون.

وكما هو واضح في المقدمة، فإن هدف ألم أيوب كان هو إظهار ثقة الله فيه. كما أن الإنقاص من قيمة حديث أليهو معناه ترك الحوار خاوياً وبلا معنى. كما لا يوجد أساس متين يبرر حذف حديث أليهو الأول.

وقد ذُكر أيضاً أن حديث أليهو الثاني لا يتفق مع خاتمة السفر، التي جاء بها أن أيوب كان باراً. بينما نجده يوبِّخ من أليهو. والمقصود بالتعبير أن أيوب كان باراً، هو بالنسبة لدعوى الشيطان كما يرى أحد العلماء، بمعنى أنه لم يكن مستحقاً كل هذه التجارب التي أصابته.

يبدأ سفر أيوب بمقدمة نثرية (الأصحاح الأول والثاني)، وينتهي بالخاتمة (الأعداد ١٧:٧ من أصحاح ٤٢) بأسلوب نثري أيضاً. وبقية أجزاء السفر كتبت بالشعر. لذا يرى بعض الكتاب أن المقدمة والخاتمة كُتبتا بواسطة شخص آخر غير كاتب بقية السفر، بمعنى أن المقدمة والخاتمة كُتبتا في تاريخ سابق واستعان بها الكاتب في كتابة سفره.

غير أن الكثيرين من العلماء والباحثين رفضوا هذا الرأي ومنهم Dhorme and Holscher. والمرجح أن الكاتب نسج سفره من واقع تاريخي لإنسان مبتلي تألم كثيراً. ويتساءل المرء عما إذا كان الكاتب هو نفسه الذي كتب مقدمة السفر وخاتمته بأسلوب النثر. أو أنه كاتب آخر سابق لأيوب أو لاحق له. ويرجح بأنه ذات الكاتب لموضوع السفر، لأن المقدمة والخاتمة تعطي خلفية واضحة ومكملة لموضوع السفر. بمعني أن الصورة الحية الخاصة بشخصية أيوب، اكتملت في ذهن الكاتب. وكتبها بأسلوب رائع جذاب في قالب شعري جميل مع تقديم وخاتمة بالنثر.

يرى البعض أن الحوار الثالث (حديث بلدد الأخير) لم يكتمل. ويرجع السبب كما يرى البعض أن أيوب حصل على وقت كاف للحديث، فاختصر على بلدد كلماته وجعل صوفر يصمت.

ينسب البعض ما ورد في (٢٦:٥-١٠) إلى بلدد. كما أن الاختصار في حديث بلدد جعل البعض يفكر في إعادة ترتيب ما تحدث به بلدد للمرة الثالثة والأخيرة كما يلي (١:٢٥، ٢٦:٥-١٠، ٢٥:٢-٦). وجواب أيوب عليه جاء في (٢٦:١-٤، ٢٧:٢-٦). بالإضافة إلى أن الاختصار في حديث بلدد ربما يرجع إلى أن طاقة الأصحاب الثلاثة قد نفدت ولم يعودوا يقدرون على الحديث أكثر من ذلك.

بالنسبة لصوفر، ينسب البعض الآيات الواردة في (ص ٢٧ والأعداد من ١٧-١١) إلى صوفر، هذا من جانب، ومن جانب آخر، ربما تكون هي كلمات أيوب التي تفوه بها وسبق له أن اقتبسها من أفكار معارضيه بروح ساخرة. والسبب الرئيسي لإعادة ترتيب النص كما هو عليه، أن أيوب لا يمكن أن يكون قد نطق به ويبدو مناسباً أكثر على فم أصحابه، وهناك احتمال آخر كما يرى أحدهم، هو أن أيوب نطق بهذه العبارات عندما اشتد به الألم والضيق الشديد. وهذه العبارات لا تتمشى مع إيمانه العظيم بسلطان الله الكامل على مصائر الشعوب والأفراد على السواء.

ويجيب أيوب على كلمات بلدد في (٢٦:١-١٤) بأنها لا تقدم علاجاً لمشكلته أو جواباً على تساؤلات أيوب. ويثق أيوب في قوة الله وعظمته وعمل يديه الظاهرتين، اللذي يراه في خليقته في الطبيعة التي تحدث بمجده. ويستطرد أيوب في كلامه في الأصحاح (٢٨)، ويتأمل حجم المشكلة الهامة في كيف وأين يحصل الإنسان على الحكمة الحقيقية. ولا يقصد أيوب الحكمة التي تعينه على السلوك اليومي، بل الحكمة التي تعينه على إدراك وفهم طرق الله وأعماله مع خلائقه. ورغم أن الإنسان حقق الكثير من المعرفة والعلوم المختلفة، إلا أنه لم يرتفع بعد عن ما هو سطحي (٢٨:١-١١)، ولم يتجاوز ما هو مجرد وبسيط لأنه محدود، فالمعرفة المطلقة والشاملة هي لله وحده ولا آخر سواه.

والمعرفة الحقة تكمن في التفكير في الله وفي إعلاناته للإنسان «مخافة الرب هي الحكمة والحيدان عن الشر هو الفهم» (٢٨:٢٨).

وتجريد السفر من هذا الأصحاح يعد خسارة لتفسير كتابي لبعد لاهوتي هام في السفر.

حديث أليهو وأهميته (٣٢:١-٣٧:٢٤)

يرى بعض الباحثين – كما سبقت الإشارة – أن هذا الجزء لم يكن ضمن النص الأصلي، بل أضيف مؤخراً. وحذف هذا الجزء لا يؤثر بشيء على مواد السفر. ويرجعون سبب اعتقادهم بذلك أن أليهو ظهر فجأة أيضاً وبدون مقدمات ولم يرد عنه شيء في خاتمة السفر بين رفقاء أيوب (راجع ٤٢:٧-١٠).

وظهرت الأعداد الخمسة الأولى بالنثر (٣٢:١-٥)، واستأنف الكاتب كتابته بأسلوب الشعر، حيث توقف الأصحاب الثلاثة عن الكلام لاعتقادهم أن أيوب قد امتلأ ببر ذاتي. لذلك غضب أليهو من أيوب كما كان غاضباً من الأصحاب الثلاثة أيضاً، لأنهم لم يكونوا متعاطفين مع صديقهم أيوب في محنته الكبيرة، وحكموا بذنوبيته. كما أنهم لم يقدموا جواباً أو تفسيراً لمشكلة أيوب صديقهم.

واختلاف أسلوب الكتابة هنا يرجع إلى شخصية المتحدث نفسه. وليس هناك ما يدعو إلى فصل هذا الجزء عن باقي السفر، بحجة أنه لا يوجد جواب من أيوب على حديث أليهو كما حدث مع الأصدقاء الثلاثة السابقين عليه. لأن حان الوقت الذي يتدخل فيه الرب ويحامي عن أيوب عبده، ويظهر حقه الخفي كالظهيرة وبكل العطف والإحسان.

وعدم ورود جواب أيوب على كلمات أليهو كما يرى أحد العلماء، برهان على أصالة السفر وخلوه من الإضافة أو الحذف. كما لا يوجد ما يدعو للإشارة إلى أليهو في الخاتمة، كما تم مع أليفاز وبلدد وصوفر لأن كلمات الأصحاب الثلاثة وورود أفعالهم تأسست على فلسفة خاطئة تماماً، وكان يجب تصحيحها. وكون أليهو يخاطب أيوب باسمه، ويشير إلى أصحابه الثلاثة الذين سبقوه في الكلام، يُعد برهاناً على تواجده في هذه الأحاديث كلها. كما يرى O'Neil أن أليهو كان مراقباً كل ما يدور بين أيوب وأصدقائه الثلاثة. ويذكر أليهو بأن الحكمة ليست قاصرة على الشيوخ، كما لم يكن راضياً على أحاديث الأصحاب الثلاثة الذين سبقوه مع أيوب. ولم يستطع الالتزام بالصمت أكثر من ذلك، موضحاً أن لله أساليب مختلفة يتعامل بها مع الإنسان، وله قصد معين في حالة أيوب هذه.

وطلب أليهو من أيوب أن ينصت ويفهم بأن لله قصداً وهدفاً فيما أصابه. فهو يرى أن أيوب أظهر جهلاً فائقاً بتوجيه اللوم نحو الله الذي هو بار، وسماحه بالألم هو لصلاح وصالح الإنسان. وعلى الإنسان أن يظهر ولاء وطاعة. ورغم أن كلمات أليهو لم تخلُ من القسوة، إلا أنها لم تخلُ من جانب الصواب أيضاً في كثير من جوانبها. كما تضمنت في فحواها إيماناً بسيادة الله الكاملة وسلطانه على الكون.

الكاتب

يرى م.بوب M.H.Pope أن كاتب سفر أيوب رجل تقي مرهف، وعاني الكثير من الألم. إذ كيف يكتب عن الألم دون أن تكون له تجربة الألم والمعاناة الشديدة. بالإضافة إلى أنه رجل بارع وله عقلية جبارة ورؤية ثاقبة للطبيعة البشرية. غير أن الكاتب سيظل غير معروف إلى الأبد. وتمتع أسلوب كتابته بالتشبيهات المجازية والمحسنات البديعية، التي لها قوة التأثير في عقل القارئ للسفر في كل زمان ومكان. وأمثلة ذلك عن الطبيعة (٩:٧، ١٥:٦)، وعن الحيوان (٢٦:٩، ١٤:٨، ١٦:٩)، والحياة الزراعية (٨:٤، ٢٤:٢٤، ٣٣:١٥)، وجهاد الإنسان (٢:٧، ٢١:٣، ٦:٧، ١٩:١٨)، والسحب (٣٨:٩)، والنور (٣:٩) والظلام (٢١:٤)، وعن البهائم (٣٩:٤٠).

ليس هناك ما يؤكد أن كاتب السفر إسرائيلي رغم وجود أجزاء كبيرة بالسفر توضح دراية الكاتب بالنبوات وكتب الحكمة بالإسفار المقدسة، كما أن للكاتب دراية واسعة أيضاً بمصر والبلدان المجاورة وكتابات ما بين النهرين في العالم القديم. ويرى البعض الآخر من الباحثين، أن كاتب سفر أيوب أدومي كتب السفر في اللغة العربية. ويرجح بأنه عاش

في تخوم فلسطين شرق الأردن بجوار شعب يتحدث هذه اللغة. والنص العبري الحالي مجرد ترجمة. ويرجع هذا الاعتقاد إلى أن الكاتب استخدم الاسم «الله» في صيغة المفرد אֱלוֹהַּ بدلاً من אֱלֹהִים صيغة الجمع (٣:٤، ٢٣، ٤:٩، ٥:٧، ٦:٤، ٨، ٩، ٩:١٣، ١٢:٤، ٦، ١٩:٦، ٢٧:٣، ٨، ١٠، ٢٩:٢، ٤، ٣٣:١٢، ٢٦، ٣٧:١٥، ٣٩:١٧، ٤٠:٢). كما يجب ملاحظة أن الصديق الرئيسي لأيوب هو أليفاز من تيمان، وهي مدينة في أدوم.

غير أنه من الصعب كما يرى العلماء الأخذ بالاعتقاد أن سفراً أدومياً يجد مكاناً في القانونية العبرية للأسفار المقدسة، وذلك للعداوة والكراهية التي استمرت طويلاً بين هذين الشعبين المتقاربين. فلابد أن يكون الكاتب عبرانياً. ويؤكد جينسبرج Ginsberg أن الكاتب يهودي مائة في المائة. وتأكيده هذا مبني على فزع الكاتب من الظلم الحادث في العالم كما عبر عنه في (أصحاح ٢١ من عدد ٦) الذي يعكس حساسية إسرائيل نحو الظلم. «لماذا تحيا الأشرار؟».

تاريخ كتابة السفر

تباينت الآراء حول تاريخ كتابة السفر حسبما افتكر علماء اليهود. إذ يرجع بعضهم تاريخ كتابة السفر إلى زمن ما بين عصر الآباء (عام ٢٠٠٠-١٥٥٠ ق.م) والعصر الفارسي. ويرى أحدهم أن أيوب عاش في عصر إبراهيم. أما Abba Ben Bathra فيري أن أيوب كان معاصراً ليعقوب الذي تزوج ابنته Baba Bathra 15b وجاء في التلمود Baba Bathra 14b أن كتابة السفر تنسب إلى موسى. كما يوجد تقليد يهودي يربط بين أيوب ويثرون. وما تضمنته المقدمة والخاتمة يشبه إلى حد بعيد قصص الآباء الواردة في سفر التكوين. فثراء أيوب يذكرنا بالثراء الذي تمتع به الآباء من مواشي وعبيد (أيوب ١:٣، ٤٢:١٢ مع تك ١٢:١٦، ٣٢:٥). كما لا يوجد كهنوت، فكان الآباء أنفسهم يقدمون ذبائح (أيوب ١:٥، ٤٢:٨، قارن أيوب ١:١٥، ١٧، ٤٢:١١ مع تكوين ٣٣:١٩، يشوع ٢٤:٣٢).

ويرى علماء نقديون أن ما ورد في المقدمة والخاتمة، يمثل الكثير من خصائص الكتابات الأدبية التي تميزت بها الملحمة السامية، والتي عرفت بالأدب الأكادي، وقد عثر على بعض هذه النصوص الأدبية في أوجاريت Ugarit. وربما تكون هذه الملحمات ظهرت كأساس مستمد من ملحمة قديمة لأيوب القديم. أو أن هناك أسطورة قديمة عن أيوب صارت أساساً للسفر بين الأسفار المقدسة.

كما توجد ملحمة أخرى طويلة مأخوذة من عصر أوجاريت أيضاً،تشبه كثيراً قصة أيوب التي أطلق عليها ملحمة قريت Keret Epic، وجاء في الملحمة أن ملكاً فقد كل أسرته في العديد من الكوارث التي ألمت به، وسقط ضحية مرض شديد، وواجه الملك خطر الموت وعادت إليه صحته واستأنف نشاطه في الحكم. وبعون ومساندة الإله إيل، تزوج فيريت زوجة جديدة وكان له منها أطفال آخرون. وتبدو القصيدة غامضة ولا يعرف المرء الهدف الرئيسي من هذه الملحمة. غير أن فقدانه للأسرة وحصوله على أسرة جديدة، وكذلك استرداده لصحته، شبيه بقصة أيوب. أما عن مخطوطات ما بين النهرين، فيوجد بها ما يشبه قصة أيوب. والمخطوطة التي عثر عليها تحت عنوان «أسبح رب الحكمة» I will praise the Lord of Wisdom والتي عرفت على نطاق واسع بأيوب البابلي. وقد ظهرت أول طبعة لهذه المخطوطة ما بين عام ٦٦٩-٦٦٣ ق.م. أما عن تاريخ كتابة هذه المخطوطة في رأي العلماء والمتخصصين فيرجع إلى العصر الكاسيتي (١٦٠٠-١١٥٠ ق.م). وهناك مخطوطات بابلية قديمة عن ألم الإنسان البار، كتبت بالسومرية، وجمعت قطع هذه الملحمة من متاحف متباعدة بآلاف الأميال على يد S.N.Kramer. وهذا المخطوط السومري يشبه كثيراً ما جاء عن أيوب البار المتألم. والنص السومري يرجع تاريخه إلى النص البابلي Akkadian Text أي عام ١٧٠٠ ق.م تقريباً. وترجع مواده كما يذكر أحدهم إلى عصر مبكر يمتد إلى الأسرة الثالثة في أور

الكلدانيين ٢٠٠٠ ق.م (ألفي عام قبل الميلاد). وذهب البعض الآخر إلى الإعتقاد بوجود ملحمة قديمة تقف وراء قصة أيوب البار المتألم، يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية (٢٣٧١-٢١٩١ ق.م).

رأي العلماء من المسيحيين

من العلماء المسيحيين يوسابيوس الذي يرى أن السفر كتب قبل عصر موسى. ويرى جريجوري أن سفر أيوب كتب زمن سليمان الحكيم، ويتفق معه علماء معاصرون في هذا الأمر. وفي القرن التاسع عشر رأى بعض العلماء الألمان أن تاريخ الكتابة يرجع إلى القرن السابع ق.م. بينما يرى علماء آخرون في هذه الأيام أن تاريخ الكتابة يقع ما بين القرن السادس والقرن الرابع ق.م لما يلي:

١- يرى العلماء أن هناك تشابهاً بين نصوص سفر أيوب وأجزاء من أسفار الكتاب المقدس. من هذه النصوص مناجاة أيوب (٣:٣-٢٦) والتي ربما يكون قد إستوحاها من إرميا (٢٠:١٤-١٨). فإرميا يعلن يوم مولده وهكذا أيوب. وربما يكون أيوب (٢١:٧-١٦) مقتبساً من إرميا (١٢:١-٣) عن نجاح الشرير.

٢- يرى بعض الباحثين أن هناك اقتباسات وردت في سفر إشعياء من سفر أيوب وذلك للتشابه بين الكلمات والعبارات (قارن أيوب ١٩:٧، ١٤:٨، ١٤:٢٢ مع إش ٥٠:٦، ٤٠:٢٢، ٥٩:٥). والاعتقاد بأن سفر أيوب سابق لإشعياء (٤٠-٥٠)، مبني على أن سفر أيوب لا يعرف شيئاً عن الفداء والكهنوت.

ويرجع تاريخ كتابة سفر أيوب ما بين إرميا وإشعياء، أي عام ٥٦٠ ق.م تقريباً. بمعنى أن السفر كتب بعد سقوط السامرة (٧٢١ ق.م) المشار عنه بواسطة الكاتب في (١٢:١٨-٢١)، والخاص بسبي الملوك والكهنة من إسرائيل ويهوذا.

أنكر البعض الآخر أمر كتابة السفر في عصر سليمان، لأنه لم ترد إشارة عن الشيطان إلا في زمن ما بعد السبي (زكريا الأصحاح الثالث، وأخبار الأيام الأول ٢١:١). وليس لهذا الرأي وزن يذكر لأن المشتكي ظهر أولاً في جنة عدن. وعن كيف أمكن للشيطان أن يمثل بين أبناء الله، يجب ملاحظة أن الشيطان يخضع تماماً للعلي القدير كلي القوة والسلطان ليتجه في أي اتجاه يسمح به الله له.

هدف السفر والتعاليم الواردة به

يقدم سفر أيوب إجابة وافية عن مشكلة ألم البار. بمعنى الألم غير المستحق. ويرى أحد العلماء أن حالة أيوب تضع الدارس للسفر أمام مشكلة كاملة بكل المعنى، إذ يجد المرء نفسه أمام إنسان تقي بار، يصاب بالعديد من الكوارث التي تفقده أملاكه وأولاده وصحته. وكيف يظهر عدل الله مع هذه الحالة القاسية؟ والسفر لا يقدم إجابة واضحة عن حيرة القارئ أو الدارس لسفر أيوب. وهذا ليس معناه أن السفر خلا من القيمة (راجع رسالة يعقوب ٥:١١، مع أيوب ٥:١٧، ٣٣:٣٠، فيلبي ٣:٨-١٠، وحكمة الله الفائقة ٣٨:٣٩، أيضاً أيوب ٥:٩-١٤، ٤٠:١١-٤١:٢٥، ٤٢:٢).

في مقدمة السفر نجد أيوب الرجل التقي البار، وشكوى الشيطان عليه. وسماح الله بتجربة أيوب، حتى يتقرر الأمر من جهة أيوب بأنه الكامل والبار حقيقة وهو الإنسان غير الأناني. وقد وضع الله حدوداً للشيطان فلا يتعداها. وواجه أيوب التجربة بكمال واستقامة قلب دون تذمر، بل بكل رضى وخضوع، مع تسليم الله، وظهر انتصاره على التجربة بقوله: «الرب أعطى الرب أخذ فليكن اسم الله مباركاً. ألخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل» (١:٢١ و٢:١٠). وعن العبد المتألم (قارن إشعياء ٥٢:١٣-٥٣: ١٢).

من الأمور المقبولة عقلياً أن يكون هناك سبب لاجتياز الألم يدركه الإنسان العادي. ويختلف الأمر في حالة أيوب.

والسؤال الآن لماذا التجربة؟ ويرى هـ. رولي H.H.Rowley أن لله قصداً من آلام أيوب، وهو أن يظهر ثقته في أيوب وثقة الإنسان في إلهه. والكلمات الواردة في المقدمة تتفق مع ما جاء في (١٣: ١٥) «هوذا يقتلني. لا أنتظر شيئاً. فقد أزكي طريقي قدامه». فقد رضى أيوب بفنائه إرضاء لله.

واتهم أيوب من أصحابه بالخطأ والإثم، ولهذا وقع عليه الشر والعذاب، لأن الله عادل، ولا يمكن أن يظلم إنساناً. فهو يكافئ البار ويعاقب الأثيم. ويعلن أيوب بأنه لم يفعل شراً يستحق عليه العقاب، وينصحه الأصحاب الثلاثة بأن يقر بمذنوبيته ويعترف بخطاياه حتي يرحمه الله. ويجيب أيوب بأنه يود ذلك ويجد في طلب الله، غير أنه لا يستطيع إرغام الله أن يستمع له (٢٣: ٨، ٩). ويطلب أيوب مصالحاً حتى تحسن علاقته مع إلهه. وفي هذه شهادة واضحة نبوية بضرورة شفاعة المسيح يسوع حتى يمكن مصالحة الله مع أيوب (٩: ٣٣-٣٤).

ويلتمس أيوب من أصدقائه حكماً عادلاً. إنه يحتاج إلى من يقف إلى جواره ويدافع عنه في قضيته (أيوب ١٦: ١٩، ٢١، قارن ٩: ٣٣). غير أن أيوب يئس من هذا، وطلب الموت لنفسه هرباً من آلامه. ولعله يجد حلاً لمشكلته في الحياة بعد موته حسبما عبَّر عن ذلك في الأصحاح الرابع عشر. لكن الحياة بعد الموت تمنح الإنسان قوة ونعمة على تحمل آلام الحاضر.

والنص الوارد في (١٩: ٢٥-٢٧) يعد قمة ما نطق به أيوب. واختلف العلماء في فهم المعنى المقصود به من هذه الكلمات.

والفهم المسيحي التقليدي مبني على الترجمة اللاتينية وليس على النسخة العبرية. فقد ذهب جيروم إلى أن أيوب تنبأ عن قيامة الجسد. ويرى علماء آخرون قدامي ومعاصرون أن أيوب يشير في هذا النص إلى خلاصه من آلام الجسد كما هو واضح من كلماته في (١٣: ١٥، ٢٣: ١٠، قارن ٣: ١١-٢٢، ٧: ٩، ١٠، ١٠: ١٨-٢٢، ١٦: ٢٢، ١٧: ١، ١٣-١٦، ٢١: ٢٣-٢٦).

والجدير بالملاحظة أن المنقذ الذي يتحدث عنه أيوب ليخلصه من آلامه ومعاناته، هو شخص المصالح بينه وبين الله «ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا» (٩: ٣٣، ١٦: ١٩، ٢١).

هذا المنقذ المصالح عليه أن يدافع عن أيوب في قضيته حتى يُظهِر بره، ويُعيد في ذات الوقت علاقته الطيبة مع إلهه. ويضع أيوب ثقته في رئيس كهنة سماوي، ويطلب ذلك في لجاجة، حتي يأتي معينه الأعظم ليخلصه. وسيأتي هذا المعين طال الزمن أم قصر. ولم يستسلم أيوب لروح الفشل، واثقاً أن العدل لابد أن ينتصر ولو في اللحظة الأخيرة عند فناء جسده. وأنه سيرى خلاصه الكامل عند وليه الحي.

والحقيقة المؤكدة أن البر ينجم عنه نجاح وازدهار. أما الشر فينجم عنه عار وفشل. وبكلمات واضحة وجلية خاطب الرب شعبه بهذه الأمور الهامة والنافعة لحياتهم (خروج ٢٠: ٢٣-٢٢، لاويين ٢٤، تث ٢٨، إرميا ٧: ٥-٧، ١٢: ١٤-١٧). هذا عن إسرائيل كأمة أما عن الإنسان الفرد (قارن مزامير ١، ٣٧، ٣٩، ٧٣، مع إشعياء ٥٨: ٦-١٤، وإرميا ١٧: ٥-٨، وحزقيال ١٨)، (قارن أيضاً مزمور ٣٧: ٢٥) حيث يتحدث المرنم قائلاً: «كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تُخلِّي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً».

إن البر يرفع شأن صاحبه. ومن لا يفعل البر سيقع عليه غضب الله. غير أنه يحدث العكس تماماً كما يعتقد البعض (جامعة ٣: ١٦، ٨: ١٤).

وهنا لا يجد أصحاب أيوب الثلاثة مفراً من الاعتقاد بأنه يستحق كل الآلام، لشره وزيغانه عن الحق. وتلك هي حكمة بلاد ما بين النهرين قبل أن تظهر إسرائيل وتدخل في تاريخها الطويل.

على أن هناك مواقف أخرى تبرهن عكس هذا الاعتقاد بأن الآلام والتجارب ليست بالضرورة نتيجة شرور ارتكبها أصحابها. وماذا عن هابيل، وأوريا الحثي ونابوت اليزرعيلي، الذين لم يكونوا مستحقين لما أصابهم (تك ٤، ٢صم١١، ١مل٢١)، وعن المسيح يسوع المتألم البار.

وبدراسة السفر ككل، نجد أن الكاتب يقدم لنا كبرى المسائل والتعاليم الفائقة الإدراك والاستيعاب، وروعة الإجابات التي وردت بالسفر عن حقائق الحياة الصعبة، حيث سيزول كل رجاء باطل في هذا العالم. لأن كل رجاء - بعيداً عن الله الذي هو الأول والآخر - يُعد باطلاً، وهو وحده الثابت الممكن، يعطي ويأخذ، منه نأتي وإليه نعود ثانية. والثقة فيه هي القيمة الأسمى والعظمى. ولن يتحقق كمال الإيمان في الله بدون صراع وضيق روحي. وأساس الإيمان الراسخ يقوم على فشل كامل في الذين اتكل عليهم المؤمن. فالله وحده هو نعم الصديق والرفيق.

ورحلة أيوب من الفشل واليأس إلى الإيمان العميق بالله ومعاينته للرب من خلال تجاربه وآلامه، هي طريق الألم كما يعلمنا العهد الجديد، وهي أيضاً طريق المؤمنين أفراداً كانوا أو جماعات.

وبالإيمان وحده يتحول اليأس والهزيمة إلى نصرة «لأن منه وبه وله كل الأشياء» (رومية ١١:٣٦). وفي هذا يهتف المرنم «من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض. قد فنى لحمي وقلبي، صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر» (مزمور ٧٣:٢٥-٢٦).

المزامير

الاسم العبري لسفر المزامير هو «التسبيح» أو «التهليل»، وهذا يتناسب مع فهم العهد الجديد (لوقا ٢٠:٤٢، أع ١:٢٠). وورد في المخطوطات القديمة ما يمكن ترجمته بالترنيم. والترجمة اللاتينية تتبع السبعينية، وهكذا بالنسبة للترجمات الإنجليزية والعربية. وسفر المزامير يتضمن في الأصل مئة وخمسين مزموراً مقسم إلى خمسة أقسام وكل قسم يختتم بأنشودة تمجيد:

١- (من مز ١إلى مز ٤١). وأنشودة التمجيد (٤١:١٣).

٢- (من مز ٤٢ إلى مز ٧٢). وأنشودة التمجيد (٧٢:١٨-١٩).

٣- (من مز ٧٣ إلى مز ٨٩). وأنشودة التمجيد (٨٩:٥٢).

٤- (من مز ٩٠ إلى مز ١٠٦). وأنشودة التمجيد (١٠٦:٤٨).

٥- (من مز ١٠٧ إلى مز ١٥٠). ويختتم هذا القسم بمزمور (١٥٠) كأنشودة تمجيد.

وكل مزامير القسم الأول تحمل العنوان (لداود) ماعدا (مز ١، مز ٢، مز ٣٣). وإن كان (مز ٢) يحمل في الأصل (لداود) بمعنى أن (مزامير ٢-٣٢، ٣٤-٤١) مزامير لداود عبد الرب (يهوه). ومزامير (٤٢-٨٣) استخدم فيها الاسم ألوهيم بدلاً من الاسم يهوه. و(مز ٥٣، مز ٧٠) يعد مشابهاً لمزمور (١٤،٤٠:١٣-١٧) مع اختلاف طفيف. أما مزامير (٤٢-٤٩) فهي لأبناء قورح، و(مز ٥٠، مز ٧٣-٨٣) لآساف. ومن (٥١-٧٢) لداود. ومن (٨٤:٨٩) مزامير المجموعة الموسيقية التي استخدم فيها المرنم اسم يهوه، وأما مزامير (٩٠-١٥٠) فهي تضم مجموعة مزامير، يهوه «الرب الملك»، «مزامير المرنم السائح» (١٢٠-١٣٤)، ثم مزامير هللويا (١٠٤-١٠٦، ١١١-١١٣،١١٥-١١٧،١٣٥،١٤٦-١٥٠)، وترانيم طلب العون «ترانيم المصاعد» (١٢٠-١٣٤)، وكانت ترنم وقتما كان الشعب يصعد إلى أورشليم للعبادة في الهيكل. ونجد في مزمور (١٢٢) تعبيراً عن فرح السائح بوصوله إلى نهاية رحلته «فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب. تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم» (١٢٢:١-٢).

وكما تم في بعض الأسفار النبوية، حيث استعان كاتبوها بمصادر عديدة مختلفة في كتاباتهم للأسفار، كانت المزامير خلاصة كتابات من مجموعة قصائد دينية. كما توجد مزامير أخرى داخل الكتب المقدسة لم تدرج في السفر مثل (خروج ١٥:١-١٨، ١صم٢:١-١٠، إش ٣٨:١٠-٢٠، يونان ٢:٢-٩).

ويرى بعض العلماء أن العنوان (لداود) في بعض المزامير لا يعني بالضرورة أن داود هو كاتبها جميعاً، بل نسبت إليه، لما تمتع به روح كاتبها غير المعروف بطابع وروح التعبد الذي لداود. ومن هذه المزامير (٣،١٨،٣٤، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠). وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا العنوان لم يدرج بين النصوص الأصلية. والعلماء الذين رفضوا أن يكون داود كاتباً لمثل هذه المزامير أو بعضها، ربطوا هذه المزامير بأحداث تاريخية وقعت في زمن متأخر أي بعد داود مثل مزمور (٤٦)، وخلاص أورشليم من الأشوريين عام ٧٠١ ق.م أو مزمور (٧٤) الذي يتحدث عن سقوط أورشليم عام ٥٨٦ ق.م أو بعد ذلك بقليل.

وتبقى الحقيقة الخالدة أن المزامير صورة قصائد شعرية في لغتها العبرية، كتبت لتكون تسبيحات يترنم بها الإنسان ويرتوي منها في ظمأه، ويحياها ويتعبد بها أكثر من مجرد كونها تتعلق بأزمنة تاريخية محضة.

فالهدف من المزامير في المقام الأول تكريسي وليس سجلاً تاريخياً. الأمر الذي لا يعد هاماً في المقام الأول. وحتى تُفهم المزامير ينبغي أن نتسائل: ما هو دورالمزامير في العبادة لله؟

ويقدم جونكل Gunkil تصنيفات خمس للمزامير:

أولاً: تسابيح تعلن عظمة مراحم الله وإحساناته (مز ١٤٥-١٥٠).

ثانياً: تسابيح الشكر، فيها يعلن المرنم اختباره وخلاص الرب له من كل ضيقة، وصلاته إلى الله واستماع الرب له. فيقدم شكره مصحوباً بتقدمات (قارن ١١٦:١٢-١٤، مزامير ٣٠، ٩٢، ١١٦، ١١٨، ١٣٧، قارن مع إش ٣٨: ١٠-٢٠، يونان ٢:٢-٩).

ثالثاً: مزامير (مراثي) ومشاركة وقت الحزن الذي يعم كل الجماعة. وذكر مراحم الله القديمة، وهو لا يزال يهتم بشفاء شعبه مثل (مزامير ٤٤،٧٤،٧٩، ٨٠، ٨٣).

رابعاً: مزامير (مراثي) فردية تصف معاناة العابد وتصف محنته وتشاركه أوجاعه. وهنا يجب التمييز والتفرقة بين المزامير التي تعبر عن الألم بسبب الخطيئة، والمزامير التي تعبر عن ألم البار، وفي كل الأحوال يسمع الله صراخ المستغيثين من ظلم الأشرار ويصحب هذا نذوراً (مزامير ٣،٥،٦،٧،١٣،٢٢،٤٢،٤٣،٥١، ٦٤،٦٩،٧١، ١٢٠،١٣٠،١٤٠،١٤١،١٤٣).

خامساً: ويضيف جونكل Gunkil نوعاً خامساً وهو مزامير ملوكية لملوك إسرائيل ويهوذا فترة ما قبل السبي، تعبيراً عن أهمية العبادة الدينية التي كان يجب أن يوليها اهتماماً ملوك ما قبل السبي. أمثلة هذه المزامير (٢، ١٨، ٢٠، ٢١، ٤٥، ١٠١، ١١٠، ١٣٢).

ويقسم بعض العلماء سفر المزامير إلى:

١- تسبيحات شكر ترنمها جماعة العابدين (٦٥، ٦٧، ٧٥، ١٠٧، ١٢٤، ١٣٦)، (قارن صم ٢:١-١٠).

٢- تسبيحات شكر يرنمها العابد الفرد (١٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٤٠:١-١١، ٦٦:١٣-٢٠، ٩٢، ١١٦، ١١٨، ١٣٨)، (قارن إش ٣٨:٩-٢٠، يونان ٢:٢-٩).

٣- مزامير توبة وطلب للغفران (٦، ٣٢ «وهو ترنيمة شكر أيضاً»، ٣٨، ٥١، ١٠٢، ١٣٠، ١٤٣).

٤- ترانيم للرب خالق الأكوان (٨، ١٩، ١٠٤، ١٤٨) والذي اختار إسرائيل لتكون أمينة شاهدة للحق، وعاملة لمجد إلهها الذي خلقها وافتداها من العبودية (٦٦:١-١٢، ١٠٠، ١١١، ١١٤، ١٤٩).

٥- مزامير مراثي يرنمها العابد الفرد (٣، ٤، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧:٧-١٤، ٢٨، ٣١، ٣٥، ٣٩، ٤٠:١٢-١٧، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٠٩، ١٢٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢).

٦- مزامير مراثي ترنمها جماعة المتعبدين (١٢، ٤٤، ٥٨، ٦٠، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٧).

٧- ترانيم تمجيد للخالق رب التاريخ (٣٣، ١٠٣، ١١٣، ١١٧، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧).

٨- مزامير ملوكية (٢، ٨، ٢٠، ٢١، ٤٥، ٧٢، ١٠١، ١١٠، ١٤٤:١-١١).

٩- ترانيم الحصن والملجأ (٤٦، ٤٨، ٧٦، ٨٤، ٨٧، ١٢٢).

١٠- مزامير التتويج (٢٩، ٤٧، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، قارن مزمور ٢٤).

١١- أناشيد الثقة (١١، ١٦، ٢٣، ٢٧، ٦٢، ٦٣، ٩١، ١٢١، ١٢٥، ١٣١).

١٢- مزامير الحكمة (٣٦، ٣٧، ٤٩، ٧٣، ٧٨، ١١٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣)، (قارن أم ٨).

١٣- مزامير شريعة الرب (١٩، ١١٩) «طوبى للسالكين في شريعة الرب».

سفر المزامير والعبادة الدينية بالهيكل

دعي السفر كتاب ترنيم للكنيسة المسيحية. كما استخدم في العبادة الدينية وخاصة في المجامع اليهودية، فبعض المزامير يستخدمها العابدون في مناسبات خاصة مثل (مز ٣٠ لتدشين دور العبادة)، (مز ١٠٠ للشكر)، (مز ٩٢ ليوم السبت)، (مز ٢٤ ليوم الأحد «طبقاً للسبعينية»)، (مز ٤٨ ليوم الاثنين)، (مز ٩٤ ليوم الأربعاء)، (مز ٩٣ ليوم الجمعة)، (مز ٨١ ليوم الخميس «طبقاً لترجمة لاتينية مبكرة»).

وكانت هذه المزامير ترنم وقت وقت إصعاد البخور، ولأجل هذا السبب سميت Tamid Psalms. وجاء بالتلمود أن (مز ٨٢) يرنم يوم الثلاثاء وله قيمة في العبادة الدينية العامة. وكانت أعداد كثيرة من المزامير ترنم في بداية الخدمة الدينية (مت ٢٦: ٣٠، مع مز ١١٣-١١٨) في عيد الفصح والأعياد الأخرى العظمى. ويردد الرغون «هللويا» كقرار في مزامير (١٠٥، ١٠٦، ١١١، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٠). كما استخدمت هذه المزامير في العبادة العامة، وبصفة خاصة يوم السبت وأيام الأعياد وفي نهاية الأسبوع.

تعاليم وهدف المزامير

يرى كالفن Calvin أن سفر المزامير بمثابة كتاب (أو كتب) تشريح للنفس الإنسانية من كل جوانبها، تنعكس فيه عواطف الإنسان ومشاعره كما في مرآة. فبالروح القدس تمثلت في المزامير، كل التجارب التي تواجه الفرد، من أحزان ومتاعب، وضيقات ومخاوف، وشكوك وآمال، واهتمامات تدور في الأذهان. ولم تكن المزامير كما يعتقد البعض، مجرد تسبيحات نطق بها كاتبوها في فترة زمنية، أو لهدف ديني للعبادة في زمن معين. بل أن سفر المزامير يُعد كتاب صلاة وتمجيد للإله (يهوه) الحي القادر على كل شيء، ويترنم به العابدون الحقيقيون له. وذلك عكس ما يقوله: Mowinckel, Balla وآخرون. ممن قالوا إن المزامير التي تبدأ بصيغة المتكلم تعد تجارب شخصية واختبارات خاصة فردية، ولا زالت تُرنم المزامير كلها في الكنيسة للعبادة، كتعبير عن طلب الرب وصلاة يرفعها الإنسان ويتأمل فيها بروح تكريسي، ويطلب الرب في كل الظروف، والثقة فيه في كل وقت (٣٧:٥، ٥٦:٣، ٢٧:١)، لأنه كامل في محبته وأمانته وبره (٣٠:١٠، ١٣:١٩، ٧:١٩، ٨، ٦٣:١، ٢). ونحن نرغها طالبين رحمته وغفرانه (٥١:١) لنحيا حياة القداسة (٢٢:١، ٣٩:١٢، ١٣)، ولا ننساه لحظة الانتصار (٤٠:١-٤).

وسفر المزامير تعبير عن ديانة القلب (٥١:١٠) حيث يجب أن تقدم الذبائح بعد أن يمتلك الرب كل القلب (٥١:١٩، ٤٠:٨) «حينئذ تسر بذبائح البر محرقة وتقدمة تامة. حينئذ يُصعدون على مذبحك عجولاً»... «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت، وشريعتك في وسط أحشائي».

والعبادة كما وردت في المزامير تعد اعترافاً داخلياً بسيادة الله على الحياة، وإيماناً واثقاً فيه، وتعبيراً خارجياً ظاهراً في العبادة له (٥٠:١٠-١٣، ٦٦:١٣-١٥). والعبادة القلبية تنطبع على السلوك (٥١:١٩، ١٩:١٣)، كما تعلن مجد الله وقدرته وسيادته في الطبيعة (١٩:١، ٤-٠:١٤، ٩٩:٥، ١٣٢:٧، قارن ٧٧:١٧، ١٨، ٩٢:٨، ٩٩:٢، ١١٣:٤، ٥). كما أنها تعلن أن عقاب الرب لشعبه هو إعلان محبته لهم (١٠٦:٤٣، ٤٤، قارن مع مز ٨٩:١٤، ٧٨، ١٠٥). كما تعلن أنه إذا أتمت إسرائيل مشيئة الله وأطاعته وفقاً لعهده معهم، تصير شاهدة أمينة له

(إش ٤٣: ١٢). وإن لم تصنع إسرائيل مشيئة الله، سوف يقع عليها العقاب ويتحقق عدل الله وقوته، حتى تتسق أفعال إسرائيل وفقاً لمسرة الرب.

كما ورد بالمزامير نصوص مسيانية عديدة منها (مز ٢، ٧٢، ١١٠) التي تتحدث عن المخلص الشخصي. وإن كان لهذه المزامير أساس تاريخي، فهي في نفس الوقت تتضمن جانباً نبوياً مسيانياً «رجاء في النبي الآتي مخلص العالم والبشرية جمعاء، الإله المتجسد». ويعد مزمور (٢٢) مزموراً مسيانياً، فهو يعبر عن الألم العميق لعبد الرب الأمين (ألم البار)، الألم الذي ظهر بصورة كاملة في شخص المسيح يسوع ممثلاً للبشرية كلها.

وبدا صراع المرنم واضحاً في مشكلة ألم الإنسان البار. وكم من المرات يصرخ البار من آلامه الكثيرة ويرى نجاح الأشرار (مز ٣٧، ٧٣)، غير أن نجاح الشرير وقتي (٣٧: ١٠). والمرنم متيقن من انتصار الإيمان في أحكام الله (١:٩٧، ١:٩٩). ويجد المرنم جواباً شافياً في المثول أمام الرب ويضع مستقبله بين يدي القدير (٧٣: ٢٣-٢٥، قارن أعداد ٢٦-٢٨).

كاتب المزامير

إلى أواخر القرن ١٩ كانت تنسب المزامير إلى داود كاتباً لها (مرقس ١٢: ٣٥-٣٧)، وأنه الكاتب للمزمور (١٢). وجاء في (أع ٤: ٢٥-٢٦، رومية ٤: ٦-٨) ما يشير إلى أن داود كاتب للمزامير، وقد كان داود عازفاً ماهراً وموسيقياً (عاموس ٦: ٥، ١صم ١٦: ١٤-٢٣، ٢صم٦). قارن مزمور (٢٤: ٧-١٠) عند إحضار تابوت عهد الرب إلى أورشليم. ولاشك أن داود كتب معظم المزامير.

تعددت الآراء حول كاتب المزامير، فذهب بعض العلماء أن داود قام بجمع النصوص التي كتبها كثير من الشيوخ. وهذا رأي غير صحيح لعدم استناده على الدليل العلمي. ومما لاشك فيه كما يرى بعض العلماء أن سفر المزامير صيغ بعد داود بفترة زمنية. بالإضافة إلي أن بعض المزامير كتبت وقت السبي وما بعده. وجاء في العهد الجديد أن بعض المزامير نسبت إلى داود (قارن أع ٤: ٢٥، مزمور ٢، أع ٢: ٢٥-١٩، ١٣: ١٦، مز ١٦، رو ٤: ٦-٨، مز ٣٢، أع ١: ١٦-٢٠، رومية ١١: ٩-١١، مز ٦٩، أع ١، مز ١٠٩، متى٢٢: ٤٢-٤٤، مرقس ١٢: ٣٦-٣٨، لو ٢٠: ٤٢-٤٤، أع ٢: ٣٤، مز ١١٠، عب ٤: ٧، مز ٩٥). تلك هي شهادة العهد الجديد أن داود كتب بعض المزامير وهي حقيقة لا مجال للشك فيها (يشوع بن سيراخ ٤٧: ٨). وطبقاً لإشارات عديدة في العهد القديم، يعد داود ناظماً للتسبيحة الدينية في الخدمة بالمسكن (قارن ١أخ ٦: ٣١، ١٦: ٧، ٢٥: ١، عزرا ٣: ١٠، نح ١٢: ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٤٦، عا ٦: ٥). وهناك مزامير عديدة لها عنوان (لداود) وجاء في العبرية أن المزامير التي تحمل عنوان لداود هي ٧٣ مزموراً. وفي السبعينية ٤٨ مزموراً، وفي اللاتينية ٨٥ مزموراً، وهذا لا يعني أن داود كتب هذه المزامير. ويرجح أن بعضها قصد من عنوانه لداود أنها كتبت بذات الروح التي لداود، فهي مهداه له. هذا من جانب. ومن الجانب الآخر توجد مزامير أخرى تشير لأحداث تاريخية تمت ووقعت لداود في حياته (مز ٣، ٧، ١٨، ٣٠، ٣٤، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ١٤٢).

ويقصد بالكلمة «لداود» أنها كتبت بواسطة داود، وسوف ندرك قيمة هذه الشهادة بالدراسة فيما بعد كما يرى العلماء المحافظون. وهناك البراهين العديدة التي تؤكد أن داود كاتب للكثير من المزامير، لما تمتع به من مهارة فائقة في الموسيقى والعزف. وظهر ذلك في المناسبات العديدة مع شاول الذي كانت تطيب روحه، بالإضافة إلى النبي عاموس الذي أشار إلى هذه المقدرة في (عاموس ٦: ٥).

تمتع داود بموهبة الكتابة بأسلوب الشعر، وظهرت هذه المقدرة الفائقة في مرثاته ليوناثان وشاول (٢صم ١: ١٩-٢٧). وهي كلمات نطق بها بعد سماعه نبأ مقتل عدوه شاول، الذي طالما جدّ في القضاء عليه، ومرثاة داود ليست

إلا تعبيراً صادقاً عن قلبه المحب الكبير وعظمة شخصيته وروحه الصادقة الصافية، وهو بلا جدال الشاعر القدير المتمتع بالخيال الخصب.

تعبد داود لإلهه بحق. وكانت له تجاربه الكثيرة واختباراته المتباينة والرائدة الغنية إذ سكن فيه روح الرب (١صم ١٦:١٣).

إنه داود الذي عمل كل ما هو مستقيم في عين الرب، ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته إلا في قضية أوريا الحثي (١مل ١٥:٥). ونال عقاباً رادعاً عادلاً، لأنه جعل أعداء الرب يشمتون (٢صم ١٢:١٤). إلا أن داود لم يفقد رجاءه في الرب مخلصه وفاديه (قارن مزمور ٥١).

نخلص مما سبق أن داود كان قادراً على كتابة الكثير من المزامير، بالإضافة إلى شهادة العهد الجديد. وهذا لا يعني أن داود كتب كل المزامير. فهذا لم يرد في المزامير ذاتها. في نفس الوقت لا يوجد الدليل القاطع على أن المزامير التي تحمل عنوان (لداود) لم يكتبها هو.

شهادة العناوين

ورد بالمزامير أن ٧٣ مزموراً نسبت لداود حسب الأصل العبري و١٢ لآساف (مز ٥٠، ٧٣-٨٣)، (قارن ١أخ ١٥:١٧، ١٦:٥). ونسبت ١٠ مزامير لبني قورح هي: (٤٢،٤٤-٤٩، ٨٤، ٨٧،٨٨)، (قارن ١أخ ٩:١٩، ٢٦:١)، ومزموران لسليمان (٧٢، ١٢٧)، ومز (٨٨) لهيمان الأزراحي، ومز (٨٩) لأيثان الأزراحي، ومز (٩٠) لموسى.

وهذه العناوين رفضها كثيرون من العلماء النقديين، وأعتقدوا أن العناوين أضيفت إلى المزامير في وقت متأخر بعد كتابتها، والعناوين الخاصة بأحداث داود أقتبست من سفري صموئيل. ورفض ڤايفر R.Pfeiffer الاعتقاد بوجود مزامير مكتوبة زمن ما قبل السبي. ويتساءل العلماء المحافظون: لماذا لا يكون داود هو الذي رنم مزمور (٧) بسبب كلام كوش البنياميني؟ ولماذا لا ينظر لمزمور (١٨) كترنيمة ترنم بها داود عندما نجا من وجه شاول، أو مزمور (٣٠) عند تدشين داود لبيته؟ أليست هذه إشارات إلى أن العناوين أضيفت مبكراً بواسطة من عرفوا حقائق الظروف التي كتبت فيها هذه المزامير؟ وإذا كانت هذه العناوين وضعها أناس أتقياء مكرسون في عصر ما بعد السبي، فلماذا لم يضعوا عناوين لبقية المزامير؟ فهناك مزامير بلا عنوان، في الوقت الذي يجب أن يدرك المرء قيمة هذه العناوين. وعندما نأخذ في الاعتبار أن مزمور (١٨) مأخوذ من (٢صم ٢٢) (كما يقول أ. يونج)، يرجح في هذه الحالة أن تكون بعض المزامير وعناوينها مبنية على سفر صموئيل، إلا إذا كانت شهادة العنوان لا تتفق ومادة المزمور، فيمكن القول في هذه الحالة إن العنوان أضيف إلى المزمور.

تحدث داود في بعض المزامير بصيغة الغائب (مز ٢٠،٢١،٦١،٦٣،٧٢، ١١٠)، مما جعل البعض يذهب إلى الاعتقاد أن داود لم يكن كاتباً لهذه المزامير. والحقيقة أنه لا مكان الاعتراض كما يرى العلماء حسبما ورد في أسلوب الكتابة قديماً بأسلوب الغائب، بالإضافة إلى ما ورد في سفر أعمال الرسل (٢:٢٤) إذ ينسب مزمور (١١٠) إلى داود.

توجد مزامير بها إشارات عديدة عن الهيكل، ومن الصعب في هذه الحالة أن يكون داود كاتباً لهذه المزامير (٥،٢٧، ٢٨،٦٣، ٦٨، ٦٩، ١٠١، ١٣٨) لأننا نعلم، أن الهيكل تم بناؤه بعد موت داود.

والجدير بالملاحظة هنا أن خيمة الإجتماع سميت بالمكان المقدس (خروج ٢٨:٣٨، ٢٩:٣٠)، وبيت الرب (يش ٦:٢٤). وخيمة الاجتماع دُعيت بيت الرب (قض ١٨:٣١، ١صم ١:٧)، أما الإشارة عن الهيكل فقد وردت في

(١صم ١:٩، ٣:٣، ٣)، والمرجح أن يكون قصد وإشارة داود وحديثه عن الهيكل هو بذات المعنى. وأن المقصود به هو خيمة الاجتماع (قارن ٢صم ١٢: ٢٠). والملاحظ أن مكان العبادة كما ورد في (مز ٢٧:٤) وبيت الرب والهيكل في عدد (٥)، يقصد به المظلة والخيمة، التي لا يمكن أن تكون إشارة عن هيكل سليمان الذي بني بعد موت داود كما سلفت الإشارة، وجاء في بعض المزامير اعتراض جماعة الأتقياء ضد السلطات الحاكمة الشريرة. وقيل بأنه لا يمكن لداود أن يكون كاتباً لهذه المزامير (٩، ١٢، ١٤، ٢٧، ٣٥، ٣٨، ١٠١). والسؤال من هم الأعداء المشار إليهم في هذه المزامير حتى يعلن داود عدم رضاه عنهم؟ أشار أحدهم إلى أن الأعداء هم السحرة الذين بسببهم حلت الكوارث والأوبئة. إلا أن المزامير ترجع الكوارث إلى الرب ولخطية الشعب نفسه، بمعنى أن داود واجه ضيقات شديدة وكان له أعداء هم أناس اشتغلوا بالسحر وخلافه. وهذا واضح من النصوص الكثيرة (قارن ١صم ١٨:٢٧، ٢صم١٥:١٨، ٢٠، ٢٢) والتي نجم عنها الكثير.

مما سبق يمكن القول بأن عناوين المزامير تعد بمثابة إشارة إلى كاتبي هذه المزامير في غالبيتها. وتوجد مزامير لا تحمل عنواناً على الإطلاق كتبت على نمط مزامير داود (أمثلة هذه المزامير ١٠، ٣٣، ٦٦، ٦٧، ٧١). وربما يكون داود هو كاتب هذه المزامير. فكاتب سفر الأعمال ينسب مزمور (٢) إلى داود (أع٤:٢٢-٢٤)، وينسب كثيرون مزموري (١٢٦، ١٣٧) إلى زمن السبي. وليس سهلاً تحديد زمن كتابة مزمور لا يحمل عنواناً. هذا إذا كانت مادته غير محددة مثل مزمور (١٣٧)، الذي لا يعطي إشارة عن كاتبه أو زمن كتابته.

ومن المرجح أن يكون داود هو أول من استخدم المزامير في العبادة الدينية (١أخ ١٦:٤-٦). كما رسم خدمة الترنيم في المسكن (١أخ ٦:٣١، قارن أيضاً ٢أخ ٦:٣١، ٧:٦، ٢٣:١٨، ٢٩: ٣٠، عزرا ٣: ١٠-١٢، نحميا ١٢:٢٤، ٢٧-٢٩). ومن الصعب معرفة أو تحديد كم عدد المزامير التي جمع ورتب واستخدم منها في المسكن. وربما كان الملك حزقيا هو الذي قام بتثبيت الأجزاء الثلاثة من المزامير ومن بينها مزامير داود وآساف (٢أخ ٢٩: ٢٠). وليس من السهل معرفة كيف ومتى تم جمع الجزء الرابع من (مز ٩٠-١٠٦). وربما كان عزرا الكاتب الذي صاغ السفر في شكله وصورته النهائية.

ويرى ب. أندرسون أن داود هو الذي كتب معظم المزامير. أما ترتيبها في شكلها النهائي فقد تم زمن ما بعد السبي. حيث اشترك في كتابة بعض هذه المزامير آخرون مثل آساف وبنو قورح الذين عاشوا خلال تلك الفترة. وبهذا يغطي سفر المزامير فترة زمنية تصل إلى ألف عام، إذ كتب وترنم بهذه المزامير كثيرون بدءاً من موسى وداود وسليمان وآساف وبني قورح الذين عاشوا خلال فترة ما بعد السبي.

إن سفر المزامير يعبر بعمق وبصدق عن الكيان الإنساني في أفراحه وآلامه، في ابتهاجه وبؤسه، ولا عجب في أن يستخدم المسيحيون كلمات المزامير على أنها كلماتهم، لأن المرنم يتحدث بها إلينا ويتحدث بها عنا.

إنها صرخة كل إنسان من الأعماق.

القيمة العظمى للمزامير وأهميتها في العبادة

تعد المزامير بمثابة تجاوب إنساني مع أعمال الله العجيبة للإنسان وكلمته المقدسة. إنه تسبيح مسموع وتمجيد للرب لأعمال يديه في الخليقة والتاريخ كما يرى ڤيسترمان C.Westermann.

وقد شهد البعض أن المزامير مكنتهم من أن يتحدثوا إلى الله من الأعماق، ويرى ديتريش بونهوفر Dietrich Bohnoeffer (الشهيد المسيحي، أيام هتلر وحكمه النازي، والذي كان له التأثير العظيم في تعاليمه اللاهوتية وكتاباته في القرن العشرين)، يرى بأن المزامير هي أحب الأسفار المقدسة إلى قلبه. وكما علّمنا يسوع المسيح الصلاة الربانية، لنا في سفر المزامير «كتاب الصلاة»، كل الملء والغنى الروحي. إذ يريد الله منا أن نتحدث إليه بكلمات

هذه المزامير في اسم يسوع المسيح.

وكما يذكر أندرسون، كان لسفر المزامير أكبر الأثر في حياة ديتريش بونهوفر الباحث والعالم الكبير، فكم شعر بغنى وفيض نعمة الله المصاحبة له في زنزانته، والتي ظهرت في كتاباته وهو في السجن. فبعثت فيه الطمأنينة والرجاء وكل فرح وتهليل في الرب صانعه وفادي نفسه من الظلم وظلال الموت. وكم اكتنز من المزامير خاصة مزموري (٣، ٧٠) كمراثي. فقد كان بونهوفر يقضي كل وقته يقرأ المزامير متأملاً ويكتب بكل قواه الخلاقة التي مكنته أن يقبل ظروفه هذه، موقناً أنها فترة امتحان لإيمانه «في يدك آجالي» (مزمور ٣١:١٥).

لقد أدرك بونهوفر Bonhoeffer كيف يصلي مزامير المراثي بفرح من الأعماق. الفرح التام في الرب في الوقت العصيب الأليم. كما كان ينشد الفرح والبهجة، بإيمانه هذا في إلهه، الذي هو حقيقة مؤكدة بالنسبة له. وكم شعر أنه قريب منه أمام كل تهديدات ومشاعر فقدان الرجاء. فقد صارت المزامير بالنسبة له تسبيحات تعبر عن الفرح الذي يملأ حياته بكل جوانبها، وكم هو طيب هذا الإله. متجاوباً مع دعوة المرنم: ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه (٣٤:٨).

إنه سفر صلاة كنيسة يسوع المسيح مع الصلاة الربانية كما يرى جودسي John Godsey.

وإلى اليوم تحتل المزامير مكانة أساسية وهامة في العبادة في كل الكنائس بطوائفها العديدة، وبصفة خاصة في الأديرة. حيث تُقرأ المزامير وتحفظ غيباً مرة في الأسبوع. وفي الكنيسة الإنجليكانية تُقرأ المزامير مرة في الشهر. وفي الكنائس الإنجيلية تقرأ المزامير وترنم في أوقات العبادة داخل الكنيسة وخارجها. إن سفر المزامير وسفر إشعياء من أكثر الأسفار التي لها التأثير الواضح على فكر كاتبي أسفار العهد الجديد.

إنه سفر شهادة ليسوع المسيح. وكلمات موجهة إلى الله في تضرع وابتهاج قلب. إنه تسبيحات وأغاني الإنسان الروحية، يصعدها من الأعماق إلى الأعماق.

وسفر المزامير يجمع بين الشعر والأغنية والصلاة. إنه يُنسب إلى عالم لم يعد عالمنا، ولا ندرك الكثير مما احتواه السفر كما يرى أحد العلماء. إلا أن المزامير تتحدث إلى المرء الذي يحيا حياته بعمق وليس على السطح، في معترك الحياة ومشاكلها المختلفة. لهذا تُسمَع المزامير وتُفهَم جيداً، لأنها تتحدث إلى كل إنسان في كل مكان وكل زمان. وفي المزامير تجديد وقوة لكل ضعيف ويائس. كما أنها تعمق ربط ووثق الإنسان بإلهه، في آلامه وأحزانه، وأفراحه وأمجاده. لأنه إله الكل، إله البار وإله الشرير، وسيادته على الجميع، إله الأعماق وإله الأعالي. رب الخليقة ورب التاريخ.

كما وردت ترانيم وأغاني روحية عديدة متفرقة في الأسفار المقدسة. لتترنم بها كنيسة المسيح في سياحتها في هذا العالم، ويمكن أن نوجز الإشارة عن هذه الترنيمات فيما يلي:

ترنيمة موسى أو ترنيمة عبور البحر (خروج ١٥:١-١٨) التي ترنم بها موسى وبنو إسرائيل ابتهاجاً بخلاص الرب (يهوه) لهم من العبودية القاسية في أرض مصر «فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم: رنموا للرب فإنه قد تعظم، الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خروج ١٥:٢٠-٢١).

وترنيمة موسى (تث ٣٢:١-٤٣) التي تعكس أمانة الله مع شعب غير أمين، ولطف الله ومحبته وإحسانه نحو شعب صلب الرقبة ومعاند.

وترنيمة شكر (١صم ٢:١-١٠) ترنمت بها حنة أم صموئيل.

وترنيمة خلاصية ترنم بها داود (٢صم ٢٢:٢-٥١).

ووردت ترانيم عديدة في سفر أيوب (٥:٨-١٦، ٩:٤-١٠، ١٢:٧-١٠،١٢:١٣-٢٥). كما يشير أندرسون إلى بعض مزامير المراثي التي وردت بسفر أيوب أيضاً (١٥:١٥-١٨،١٧:١٤-١٨، ١٨:١٩-٢٣).

وترانيم شكر للرب وردت في سفر إشعياء (إش ٤٢:٤-٦، ١٠-١٢، ٥٢:٩-١٠).

ومزامير المراثي جاءت في سفر إرميا (١٥:١٥-١٨، ١٧:١٤-١٨، ١٨:١٩-٢٣).

انظر أيضاً مراثي ارميا في الأصحاحين الثالث والخامس.

ومزمور شكر ليونان الذي أصعده إلى الرب من جوف الحوت (٢:١-٩). وصلاة مزمور حبقوق مسبحاً الرب لانتصاره لشعبه (حب ٣:٢-١٩).

نخلص مما سبق بأن الكتب المقدسة ليست بمثابة قصة تعاملات الله مع شعب بعينه فقط، بل أيضاً شهادة الإنسان لله في شكر وعرفان، وخضوع وولاء، ومراثي وتضرع لإلهه، الذي خلصه وافتداه عن غير استحقاق خلال رحلته السياحية عبر التاريخ.

إنها كلها تسبيحات شكر وتمجيد، ومراثي وتضرع وصراخ وعرفان وشهادة للرب بأن له المجد والعظمة والقدرة والسلطان إلى دور فدور.

أنشودة الثقة والطمان الكامل في الرب

الرب راعي فلا يعوزني شيء....

يعد مزمور (٢٣) نموذجاً لأناشيد الثقة والتمجيد للرب. فقد جمع بين بساطة التعبير، وجمال وعمق المعنى. وكم لمست كلمات هذا المزمور قلوب كثيرين من أقصى الأرض إلى أقصاها عبر القرون الطويلة من الزمان. وقد حفظه الأطفال من الصغر، وثبت كثيرين من العظماء والفهماء في مواجهة أخطار الحياة ومشاكلها المعقدة المزعجة لنفوسهم وعقولهم. إذ بعث الطمأنينة والسلام والراحة إلى نفوسهم المتعبة، وتثبتت خطواتهم بالثقة بالكاملة في راعيهم الأعظم. فهذا المزمور ليس مثله بين المزامير يقدم معنى وقيمة لحياة الإنسان من المهد إلى اللحد.

والراعي كما يصوره لنا المرنم في مزموره، هو الحارس والحافظ لأغنامه في تجوالها للرعي، والبحث عن الخضرة والمياه العذبة، كما أنه حارس المسافر في البادية الذي يجد لدى الراعي كرماً وضيافة في خيمته ومكاناً يحتمي فيه من مخاطر الحر والبرد وأعداء الصحراء.

إن الرب الذي في مزمور (٢٣) هو القائد... والمضيف الكريم.

والمرنم يشبه ثقته في الرب بثقة الرعية التي تتبع راعيها في طمان كامل. تسير حيث هو يسير، وتتجه حيث يريد راعيها، حيث المراعي الخضر والمياه الرقراقة. وقد ورد هذا التشبيه في الكتب المقدسة (مزمور ٨٠:١،٩٥:٧، ١٠٠:٣، إش ٤٠:١١، ٤٩:٩-١٠، ٦٣:١٤، حزقيال ٣٤:١٠-١٢). وفي العهد الجديد (لوقا ١٥:٣-٧، يوحنا ١٠:١-١٨). وماذا يعوزني إذاً كان الرب راعيّ؟

وقد تردد صدى هذه الكلمات في مزمور (٧٣): «من لي في السماء. ومعك لا أريد شيئاً في الأرض. قد فني لحمي وقلبي، صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر» (مز ٧٣:٢٥-٢٦).

والمرنم هنا كما يرى علماء كثيرون، لا يتحدث عن إيمان هزيل. أو يتطلع إلى عالم آخر بعيداً عن تجارب هذه الحياة في هذا العالم. بل يعلن عن إيمانه في الله الذي يجدد حياته وينعشها لاستمرار الحياة هنا والآن. ويتجسد هذا

الفكر في كلماته «في مراعٍ خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني». والمرنم على علم بالتهديدات الشرسة التي تواجهه، عالماً أن إلهه سيخلصه وينقذه «لمجد اسمه» (٢٣:٣). لأن طبيعة إلهه وراعيه هي الرأفة والحنان.

والأغنام قد تتجه في أحيان كثيرة إلى الأماكن الوعرة المحجرة والمياه الصاخبة المرجفة. كما أن الراعي نفسه قد يجتاز بها عبر الأماكن المظلمة المخيفة «وادي ظل الموت» حيث الوحوش الشرسة المفترسة، لكن في هذه جميعها يحيط الراعي رعيته بالخير الوفير. برحمته ومحبته كل أيام الحياة، وبلا حدود. حيث يحول ظل الموت صبحاً (عاموس ٥:٩). ويشرق الرب عليهم بنوره العظيم (إش ٩:٢)، حتى تنعم هذه الرعية بالحمى والخير الكثير.

«ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقي»: تصور هذه الكلمات كما يرى أحد العلماء، صورة واضحة للمسافر في البادية، والمتعب من كل وجه، حينما يلجأ إلى الراعي المقيم في خيمته في الصحراء، فتهدأ نفسه ويجد راحته في خيمة الراعي. ولا يجد مضايقوه، الذين كانوا يلاحقونه لافتراسه، غير نار الغضب الذي يفترسهم من الداخل وهم يرونه يجلس وأمامه المائدة التي أعدت له.

«إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي. وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام» وبيت الرب المشار إليه في هذه الكلمات كما يرى العلماء، هو المرادف لخيمة الراعي حيث السلام والطمأن والكرم الذي يحيط به الراعي كل من يلجأ إلى خيمته (قارن مزمور ٢٧:١-٦). «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته» (٢٧:٥، قارن ٦١:٤). لقد وُضعت أمامه مائدة، معدة له، وينظرها مضايقوه، ولا يستطيع أحد منهم أن يؤذيه. بل يمتلئ قلبه بالتهليل والترنم «الآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب» (٢٧:٦). ولم يعد الأعداء هم الذين يلاحقونه الآن، بل نعمة الله وخيره الجزيل هما اللذان يلاحقانه ويتبعانه أينما توجه وأينما حل كل أيام الحياة «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي» (٢٣:٦).

بل أن خير هذا الراعي واهتمامه به، يمتد إلى ما بعد هذه الحياة الوقتية المعدودة والمحدودة (قارن ١كو ١٥:٢٦).

رأس الحكمة وأساسها القويم: مخافة الرب (تقواه)

«فم الصديق (البار) يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه (يلهج فيها نهاراً وليلاً). لا تتقلقل خطواته» (٣٧:٣٠-٣١، قارن مزمور ١:١٩، ١١٩). وفي عبارة واحدة صاغتها تجربة إسرائيل في خلاصها التاريخي «رأس الحكمة مخافة الرب» (١١١:١٠، أم ٩:١٠، أيوب ٢٨:٢٨).

إن أساس الحكمة يكمن في الإيمان بالرب المخلص والعامل في التاريخ، والشخص الذي ينعم بتطويبات إلهه هو «الرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (١:١). وما أسعده من إنسان.

وتبني تعاليم مزامير الحكمة (٣٦، ٣٧، ٤٩، ٧٣، ٧٨، ١١٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣) - كما يرى أحد الباحثين - على وجود طريقين أمام الإنسان، طريق الحياة الذي يتبعه العاقل الحكيم، وطريق التدمير والهلاك الذي يتبعه الجاهل الأحمق (قارن مت ٧:١٣-١٤).

إنها نعمة الله التي تحيط بالعاقل الحكيم حتى يسير ويحيا في طريقه القويم، طريق الخلاص والنجاة. إنه خوف الله وتقواه، باللهج في أحكامه ووصاياه «في ناموس الرب مسرته. وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً فلا تتقلقل خطواته» (١:٢، ٣٧:٣١).

ما أطيب الرب

بهذه الكلمات يهتف المرنم مسبحاً ومنشداً. إذ ليس مثل الرب في الصلاح والمحبة، في القداسة والرأفة.

لذا يقدم دعوته لكل إنسان منادياً: ذوقوا وانظروا ما أطيبه، وقد فاقت محبته كل تصور وفكر بشري. الأشبال احتاجت وجاعت، أما طالبوا الرب فلم يعوزهم شيء من الخير (٣٤:٨-١٠).

والجدير بالإشارة، أن الدارس للمزامير يجد أن المرنم في مراثيه (مزامير المراثي) التي ترنم بها، تبدأ بقسط وافر من الشكوى والتذمر، وتنتهي بالشكر والتسبيح. وأمثلة ذلك ما يلي:

«أحمد الرب حسب بره. وأرنم لاسم الرب العلي» (١٧:٧).

«اللهم عليّ نذورك. أوفي ذبائح شكر لك. لأنك نجيت نفسي من الموت. نعم ورجليّ من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الأحياء» (٥٦:١٢-١٣).

ويختتم مزمور (٥٧) بتسبيحة الشكر «ثابت قلبي يا الله ثابت قلبي. أغني وأرنم. استيقظ يا مجدي. استيقظي يا رباب ويا عود أنا أستيقظ سَحَراً. أحمدك بين الشعوب يارب. أرنم لك بين الأمم. لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات وإلى الغمام حقك، ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك» (٥٧:٧-١١، قارن مزمور ٢٢:٢٢-٣١).

إن مرجع الشكر والتسبيح كخاتمة لكل مرثاة هو الثقة العميقة والأكيدة في الرب. الإله، الذي يحول الحزن والتنهد إلى فرح وابتهاج، والتذمر والمرثاة إلى شكر وسرور في الرب. إنه الإيمان واليقين الكامل في محبة الله وإحسانه للمستغيثين الصارخين إليه (قارن مزمور ٥٥:٢٢).

مما سبق يدرك المرء أن العلاقة وثيقة بَيْن مرثاة الإنسان المؤمن الواثق في الرب، وشكره العميق لإلهه المخلص والمنقذ «مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعي. الرب عزي وتُرسي عليه اتكل قلبي فانتصرت. ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده» (٢٨:٦-٧). ونجد صدى الإيمان في العهد الجديد، إذ يناشد الرسول بولس أهل أفسس قائلاً لهم: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مرنمين ومرتلين في قلوبكم للرب، شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب» (أفسس ٥:١٨-٢٠).

شوكة الموت هي الخطية (١كو ١٥:٥٦)

بهذه الكلمات عبر فيلسوف المسيحية بولس الرسول عن القوة المدمرة التي تفضي إلى الموت. لهذا نجد المرنم في مزمور (٣٢) (بين مزامير التوبة) يعلن عن سعادته بخلاص الرب له وغفرانه خطيته التي كادت أن تدمر حياته بالتمام قبل اعترافه بها أمام إلهه «لما سكت بليت عظامي من زفيري (تنهدي) اليوم كله، لأن يدك ثقلت عليّ نهاراً وليلاً. تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ. أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت أثام خطيتي» (٣٢:٣-٥).

إنه مزمور شكر أيضاً وتهليل للخلاص من قوة الموت.

هذا الموت بالنسبة للمرنم هو فقدان الإنسان الفرد قدرته على التهليل للرب والابتهاج فيه، لأنه إنسان ميت. وعند عودة هذا الإنسان إلى جماعة العابدين الفرحين في الرب، يجد نفسه، إذ تعود إليه الحياة ويرفع تسبيحاته إلى مخلصه وغافر خطاياه، معلناً بأنه الرب الذي أعاد له الحياة «يرد نفسي، يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (٢٣:٣).

فلابد أن تسير الحياة بأوجاعها وآلامها وزفيرها. لكن هذه كلها ستتحول بواسطة الشعب الواثق في الرب إلى ترانيم وأناشيد عذبة، مؤمناً أنه سيرى جود الرب في أرض هذه الحياة «أرض الأحياء» (٢٧:١٣).

وجود الله هذا يكتمل ويصل إلى الملء في إنجيل العهد الجديد بالمسيح يسوع، الذي جاء لتكون للإنسان حياة بل وأفضل حياة.

وتظهر أعمال الله العظيمة في كلمات المرنم في مزمور الخلاص التاريخي (١٣٦)، التي تعبر عن أعمال الله المجيدة في الخلق (٤-٩)، وهذا النوع من السبح والترنيم يجد صداه في مزمور (٣٣) الذي يقدم تفسيراً عميقاً لأساس هذا السبح والتمجيد «لأن كلمة الرب مستقيمة وكل صنعه بالأمانة. يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب» (٣٣:٤-٥). ثم يستطرد المرنم قائلاً: «بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها» (٦-٩)، موضحاً سلطان الله على الأرض كلها وعلى جميع الشعوب والممالك (١٠-١٩). ويختتم بكلمات الثقة في الرب الخالق والفادي، «أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وترسنا هو. لأنه به تفرح قلوبنا لأننا على اسمه اتكلنا. لتكن يارب رحمتك علينا حسبما انتظرناك» (٣٣: ٢٠-٢٢).

إن اختيار الله لإسرائيل وإعلان اسمه القدوس لهم، لهو برهان على محبة الله لشعوب الأرض كلها. لأن الرب اختارها لتكون أداته للشهادة لاسمه المبارك بالحق والعدل أمام شعوب المسكونة وأمم العالم، فتتعرف هذه الشعوب على الرب، وتحفظ وصاياه وأحكامه. وتنعكس هذه الحقيقة في دعوة المرنم لكل إنسان أن يسبح الرب ويبتهج فيه: «باركوا الرب (اعبدوا الرب) يا جميع أعماله. في كل مواضع سلطانه» (١٠٣:٢٢، قارن مزمور ١٠٣، مزمور ١١٣) «من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مُسَبَّح. الرب عال فوق كل الأمم. فوق السموات مجده» (١١٣:٣-٤). وهذا ليس ببعيد عن إعلان الرسول يوحنا في مستهل إنجيله (١:١) «في البدء....» (قارن تكوين ١:١). وهذا الإنجيل يؤكد حقيقة إعلان الله في المسيح الكلمة، الذي به خلق العالمين وثبتها. «إنه النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يوحنا ١:٩).

المزمور المئة التاسع عشر

يعد المزمور الأول من أكثر المزامير المحفوظة لدى الشعب، حيث يُطوِّب فيه الرجل العاقل الحكيم الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف، بل يلهج في كلام الرب الذي هو مسرته وبهجة نفسه، وبهذا يكون مثل شجرة مغروسة على مجاري مياه، التي تعطي ثمرها المتكاثر في أوانه دائماً، وورقها يكون ناضراً مزدهراً لا يذبل. وعلى النقيض من ذلك نجد الشرير مثل العصافة التي تذريها الريح. هذا الأسلوب نفسه نجده مطولاً وممتداً في المزمور المئة والتاسع عشر، أطول المزامير.

إنه مزمور تكريسي، نُظِمَ بأسلوب الشعر على غرار المزامير الأخرى، وبأسلوب رائع بديع. إذ يُكون نسيجاً واحداً متماسكاً ومتناسقاً. ويتكون من اثنين وعشرين نصاً هي عدد الحروف الأبجدية العبرية وبترتيبها.

وكل نص من الاثنين والعشرين نصاً المكونة لهذا المزمور، يتكون من ثماني آيات. فتكون مجموع آياته (١٧٦ آية). والآيات الثمانية لكل نص تبدأ بذات الحرف الذي وضع عنواناً لهذا النص، ذلك في اللغة الأصلية العبرية، فمثلاً النص الذي يحمل عنوانه الحرف «أ» (أليف) تبدز آياته بالحرف «أ». والنص الذي يحمل عنوانه الحرف «ب» (بيت) تبدأ آياته فيه بالحرف «ب» وهكذا إلى آخر حروف الأبجدية العبرية وهو الحرف «ت» (تاف) الذي يمثل آخر أجزاء المزمور (١١٩).

ويرى أحد العلماء أنه إذا قرأ المرء المزمور في جلسة واحدة، فإنه يشعر بفيض عميق في الروحانية والتقوى تسير في أوصاله، كما يشعر بأنه في عالم آخر، يقف فيه أمام شخص يحمل شهادة قوية للحقيقة العظمى، بأن كلمة الله هي أساس غنى حياته، وهي التي أعطت لحياته قيمة ومعنى. كما يتضح من عباراته: «علمني يارب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية» (عدد ٣٣). ويدرك المرنم أنه بدون وصايا إلهه لا يستطيع أن يجد حياته أو طريقه في هذه

الحياة لمواجهة مشاكلها العديدة المعقدة «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (عدد ١٠٥). «لو لم تكن شريعتك لذتي لهلكت حينئذ في مذلتي» (عدد ٩٢). ويعلن المرنم بوضوح في قوله «هذه هي تعزيتي في مذلتي، لأن قولك أحياني» (عدد ٥٠) إنها كلمة الله الحية المكتوبة، تعاليمه ووصاياه، شرائعه وأحكامه التي هي أحلى من العسل وقطر الشهاد. «وما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي» (عدد ١٠٣) إنها كلمة الرب التي يقف أمامها المرنم، وهي مصدر سعادته وسر قوته في مواجهة آلام هذه الحياة وضروبها المختلفة. يهتف منشداً في صلاته «اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك» (١١٩:١٨)، لأنه «لكل كمال رأيت حداً، أما وصيتك فواسعة جداً» (عدد ٩٦).

دراسة المزامير في نور المسيح يسوع

يتساءل المرء: إلى أي مدى يتحدث سفر المزامير عن المسيح يسوع؟ فقد ورد في العهد الجديد الكثير من الإشارات التي تفيد أن المزامير تتحدث عن ألم الملك الذي يمهد لملكوت الله. كما تصور المزامير الألم والمعاناة التي يجتازها الملك لإتمام مهمته.

وفي هذا يرى ب.أندرسون، أن تاريخ إسرائيل بدءاً من العبودية في مصر إلى السبي والعودة من السبي وإعادة بناء الهيكل، أيام عزرا ونحميا والنبيين حجي وزكريا، تعد قصة ألم ومعاناة، اختبرت فيه إسرائيل حقيقة الله وسط هذا الألم. الألم الذي تحدث عنه إشعياء النبي بأنه لخيرها وخير الأمم كلها، حتى تتحدث إسرائيل إلى الأمم والشعوب الوثنية الأخرى عن خلاص الرب لها من الألم، فتتعرف هذه الشعوب على الرب وتسير في طريقه.

في هذا الألم يعبر المرنم عن إختباره مع إلهه:

«ولكني دائماً معك، أمسكت بيدي اليمنى» (٧٣:٢٣، قارن مزمور١٦:٨)، والكلمات هنا لا تعني تحولاً عن المشكلات، بل وجود الله معه في المشكلة ذاتها مع تعضيد الرب له، والانتصار المحقق في النهاية. إنه انتصار الله في الألم ومع المتألم، وانتصار الله في المسيح، الأمر الذي عبر عنه بولس الرسول قائلاً: «في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا».

«فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رومية ٨:٣٧-٣٩).

هذا يعني كما يفيد بونهوفر Bonhoeffer أن المسيح الرب هو دائماً معنا في آلامنا وصلواتنا وفي انتصارنا. وبهذا الإيمان يستطيع المرء أن يرنم ويسبح المزامير في اسم يسوع المسيح ولمجد الله الآب.

ويشير أحد العلماء إلى المزمور الثاني، والمزمور المئة والعاشر بأنهما مرتبطان باحتفال هام، وهو تتويج الملك، فيتحدث الرب قائلاً: «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي» ويجيب الملك «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني، أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك» (٢:٤-٨). هنا وعد الرب له بالنصرة على الأعداء. كما يُشار عن الملك بأنه ابن الله (٢:٧، قارن أعمال ١٣:٣٣، عب ١:٥، ٥:٥). وبالمثل في المزمور المئة والعاشر يتحدث المرنم قائلاً: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (١١٠:١، قارن مت ٢٢:٤٤، مرقس ١٢:٣٦، لوقا ٢٠:٤٢-٤٣، أع ٢:٣٤-٣٥، عب ١:١٣). في هذين المزمورين إشارة واضحة عن المسيا كابن لله، وهي حقيقة أكدها الرب نفسه في العهد الجديد في الأناجيل، والرسل أيضاً في رسائلهم.

ويرى فيسترمان C.Westermann في كلمات المزمور المئة والثالث عشر، إشارة مباشرة إلى السيد المسيح رب

المجد، «الذي أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس» (فيلبي ٢:٧). فالمزمور يقول «الرب عال فوق كل الأرض. فوق السموات مجده. من مثل الرب إلهنا الساكن في الأعالي. الناظر الأسافل في السموات وفي الأرض» (١١٣:٤-٦). إنه الإله الذي يُسر بأن يقيم المسكين من التراب والبائس من المزبلة. لكي يُجلسه مع أشراف شعبه... (أعداد ٧-٩) قارن (لوقا ١:٤٦-٥٥، ٦٧-٧٩). إنه الإله القديم المشرق من العلاء. وبأحشاء رحمته يفتقد البائس والمسكين، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام (لوقا ١:٧٨-٧٩).

هؤلاء الجالسون في الظلمة وظلال الموت، المترنمون بمزامير المراثي، صار لهم الله قريباً جداً - متحداً مع كل متألم بذلك الألم الذي جاء التعبير عنه واضحاً في (مزمور ٢٢). والذي رأت الكنيسة الأولى فيه علاقة وطيدة مع ما جاء في (مرقس ١٥:٢٤، يوحنا ١٩:١٤).

لقد فهمت الكنيسة الأولى أن مزمور (٢٢) هو بمثابة مزمور مرثاة - تعبيراً عن آلام السيد له المجد، حيث نزل المسيح يسوع إلى أعماق العزلة البشرية، إذ جعل آلامنا آلامه بكل المعنى والأبعاد. «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي... إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب في الليل أدعو فلا هدو لي» إنها أسئلة الحيارى والمتألمين: لماذا؟ وإلى متى؟ فيأتيهم جواب الله المحب، الصديق الألزق من الأخ، باعثاً كل سلام وطمأن في قلوبهم. وكيف؟! إنه «هو الإله الذي لا يحتقر ولا يرذل مسكنة المسكين، ولا يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه يستمع إليه» (٢٢:٢٤).

الأمر الذي لأجله يتهلل المرنم قائلاً: «أخبر باسمك أخوتي. وفي وسط الجماعة أسبحك» (٢٢:٢٢) التسبحة الشبيهة بتلك الواردة في (مزمور ١٦) «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيك يرى فساداً» (١٦:١٠).

وتكتمل الصورة الرائعة في كلمات الرب المقام من الأموات... «اذهبا قُولا لأخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني» (مت ٢٨:١٠، قارن يوحنا ٢٠:١٧). ويقف رسل المسيح يسوع شهوداً لأعمال الله الخلاصية، والفداء الذي تم في الفادي الحبيب.

إنها دعوة للإيمان في الرب المقام، ولكل شعوب وممالك الأرض، للتسبيح والتهليل، حتى إلى أقاصي الأرض.

«ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد. من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مُسَبَّح» (١١٣:٢-٣).

الأمثال

يكمن جوهر سفر الأمثال في تعاليمه لمبادئ السلوك والأخلاق. والصفة الغالبة في السفر هي أسلوب التعليم بالمقابلة والتباين، أو الفروق البينة بين الخير والشر (ص ١-٩). ومن أصحاح (١٠-١٥) انقسم كل عدد تقريباً بكلمة «ولكن» أو «أما». وترددت الكلمات حكمة، تعليم، مشورة، فهم، تعلم، عدل، قضاء، معرفة. وترددت كلمة «حكمة» في الجزء الأول (١-٩) ما يقرب من ١٧ مرة و٢٢ مرة في بقية السفر. والعبارة الشهيرة: رأس الحكمة أي أساس كل حكمة، مصدرها مخافة الرب (٧:١)، قد تكررت الإشارة إليها بالقرب من نهاية الجزء الأول (٩:١٠، قارن مزمور ١١١:١٠، وأيوب ٢٨ وجدية البحث عن الحكمة).

وتظهر الحكمة هنا في صورة إمرأة فاضلة تدعو الأغبياء (الجهال = السذج) لكي يشاركوها محافلها (٣:١٠-١٨، ٧:٤) «قل للحكمة أنت أختي»، وتكتمل الصورة في (ص ٨، ٩). وكما تجسدت الحكمة في صورة امرأة، تجسدت الحماقة لكنها في صورة إمرأة أجنبية زانية، وهي رمز لكل خطية. والتباين والفرق بين المرأتين في أن الحكمة تنادي في الأبواب في الشارع (٣:٨) ودعوتها إلى كل جاهل ساذج ليميل إليها (٤:٩). وعلى النقيض تظهر المرأة الأجنبية الزانية تدعو إلى المياه المسروقة وخبز الخفية وكل ضيوفها (مدعويها) في أعماق الهاوية (١٧:٩، ١٨). وتنادي الحكمة ذات الشخص حتى يترك الخطية، والمرأة الأجنبية الغبية تدعوه إلى الهاوية.

مضمون السفر

القسم الأول: من أصحاح (١-٩) يضع الكاتب تقابلاً بين الخطية والبر لإظهار الفروق البعيدة والعميقة بين الاثنين. والتعبير: حكمة وتعليم وفهم، عُني به الخير ونبذ كل ما هو شر وخطيئة. ولم يكن يقصد بهذه الكلمات الحكمة الإنسانية أو الذكاء والفطنة العقلية فقط (قارن جامعة ١٢:٢-٥١، أيوب ٢٨، مزامير ٣٧:٣٠، ٥١:٦، ٩١:١٢، ١١١:١٠). مع ما جاء في (١مل ٣:١٦-٢٨، ١مل ١٠:١-٩، ١مل ٤:٣٣) والتي تظهر حكمة سليمان التي تتسم بفهم عقلي وإدراك عميق وذكاء رفيع.

القسم الثاني: أمثال سليمان (١٠:١-٢٢:١٦) نجد تعليماً في كل عدد تقريباً تتوسطه الكلمة «أما» (التعليم بالضد). ويغطي هذا الجزء موضوعات عديدة. ويضع سليمان الحكمة مقابل الحماقة، بمعنى مرادف للبر مقابل الخطيئة والفجور. وفي هذا الجزء لم ترد الحكمة أو تظهر في صورة إمرأة أخرى متجسدة تتكلم وتنادي في الشارع، بل مرافقة كما أشرنا للبر والفهم والتعليم.

ويحث السفر على الإستجابة لنداء الحكمة والسلوك السامي بأمانة وتقدير للحياة، وعلى الإنسان أن ينشد حياة أسرية كريمة، مع تدريب وتربية الأطفال والتمثل في المرأة الفاضلة.

ومن الناحية الدينية فإن الله يعد نبع كل خير وكل ما هو جليل وحق ورحمة وبر (١٨:٢٩، ١٥:٨، ٢١، ٢٧).

الكاتب

العنوان العام هو «أمثال سليمان بن داود». وقد وردت في مواضع مختلفة عناوين مفادها أن سليمان هو الكاتب لأجزاء من السفر (أم ١:١٠، قارن ٢٢:١٧، ٢٤:٢٣). وفي (٢٥:١) وردت الإشارة «أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيال ملك يهوذا». وفي (٣٠:١) «كلام أجور ابن متقية مَسًا». وفي أصحاح (٣١) تنسب كلماته إلى الملك

لموئيل أو بالحري أم لموئيل.

ويري بعض علماء اليهود (حاخامات) أن حزقيا ورفاقه كتبوا إشعياء وأمثال ونشيد الأنشاد وجامعة Baba Bathra 15a. ومرجع هذا الاعتقاد هو الإشارة الواردة في (٢٥:١). وتعددت الآراء حول كتابة سفر الأمثال ويرى W.F.Albright أن سفر الأمثال أقرب ما يكون إلى أسلوب الكتابة في الحكمة أثناء العصر البرونزي (٢٢٠٠-٢٠٠٠ق.م) Bronze Age. ويرى علماء كثيرون أن أمثال (١:١٠-١٦:٢٢، وأصحاحات ٢٥-٢٩) كتبهما سليمان، مما قاد العلماء إلى فحص ودراسة باقي الأجزاء.

(١) يعد سليمان كاتباً الأجزاء عديدة من الأمثال: وذلك لما تمتع به من حكمة وفهم عقلي وروحي معاً. فقد أحب الرب (١مل ٣:٣)، وطلب إلى الرب أن يعطيه فهماً حتى يميز بين الخير والشر (١مل ٣:٩، ١٢). أي الحكمة التي مصدرها الله (١مل ٤:٢٩)، مصحوبة بوداعة خالصة (١مل ٣:٧). وظهرت حكمته في العديد من الأمور العملية والإدارية (١مل ٣:١٦-٢٩)، وفي العلاقات العامة الدبلوماسية (١مل ٥:١٢). وكان سليمان أحكم بني المشرق (١مل ٤:٣٠، ٣١، ١٠:١-١٣)، ونطق بالعديد من الأمثال والأناشيد (١مل ٤:٣٢)، وأجاب على تساؤلات كثيرة صعبة (١مل ١٠:١)، وكلماته مأخوذة من الحياة ومن الطبيعة (١مل ٤:٣٣).

والكثير من الأمثال في (١:١٠-١٦:٢٢، ٢٥-٢٩) تضمنت أفكاراً وعبارات ربما وردت في مواضع أخرى في الكتب المقدسة وحكمة من ذاته. بمعنى أنه لم يستعن أو يستفد من كتابات الحكمة لأناس آخرين سبقوه في التاريخ. بل من الأفضل القول - كما يرى أحد العلماء أن سليمان كان مثقفاً بكل أنواع الثقافات والتعليم، وكان حكيماً وفهيماً في ذلك، وأنه استفاد بإختبارات وأقوال الفهماء والحكماء ثم أضفى من تجاربه وانطباعاته الخاصة على هذه الأقوال والكتابات. وبهذا المعنى يمكن القول إن سليمان كان كاتباً للأمثال.

(٢) أقوال الحكماء: كان لشعوب الشرق الأدنى القديم حكماؤهم الذين امتدت أعمالهم من السياسة إلى التهذيب والتعليم (عن حكماء مصر راجع تك ٤١:٨، وآدوم انظر عوبديا عدد ٨). وقد عرفت إسرائيل أن مخافة الرب هي أساس كل حكمة. والحكيم له عمل هام تساوى فيه مع النبي والكاهن (إرميا ١٨:١٨). وعندما اختلطت عليهم المفاهيم وقع عليهم غضب الرب (إش ٢٩:١٤، إرميا ٨:٨، ٩). وكما ورد في أقوال الحكماء في (أم ٢٢:١٧-٢٤:٢٢-٣٤). وربما تكون الأصحاحات (١-٩) ضمن كتاباتهم، والكثير من هذه الأقوال يرجع إلى زمن بعيد. ويرجع البرايت Albright مجموعة أقوال الحكماء إلى العصر البرونزي، كما يقول إنه من الصعب الاعتقاد أنها مجرد أقوال حكماء إسرائيليين فقط. والمرجح أن الأمثال قام بجمعها سليمان الحكيم (١:١) كما وردت الإشارة قبلاً، وأضفى عليها انطباعاته وتجاربه الشخصية.

دور رجال حزقيا الملك على يهوذا

كان لرجال حزقيا ملك يهوذا دور أساسي في إعادة أنظمة العبادة في بيت الرب بما في ذلك استخدام الآلات الموسيقية والمزامير التي سبق واستخدمها داود. وأحدثوا نهضة قومية، وجمعوا أقوال حكمة سليمان، واستزادوا منها في طلب الحكمة والفهم (أم ٢٥-٢٩).

أما عن (ص٣٠) فلا يُعرف الكثير عن كاتبه الذي ذكر بأنه أجور ابن متقية مسا. وكانت مسا إحدى القبائل العربية من سلالة إسماعيل بن إبراهيم (تك ٢٥:١٤). تلك القبائل الشرقية التي اشتهرت بالحكمة (١مل ٤:٣٠).

وأصحاح (٣١) ذكر أن كاتبه هو الملك لموئيل أو بالأحرى كلام أم لموئيل لابنها (٣١:١-٩). وهو شخصية غير معروفة ربما تنتمي إلى قبيلة مسا، ومن غير المعتقد أن يكون هو كاتب الجزء الرابع من عدد (١٠-٣١) الخاص بالمرأة الفاضلة خاتمة سفر الأمثال، والذي يرجح بأن كاتبه هو الملك سليمان.

كما يرى العلماء أن السفر لم يظهر في صيغته النهائية على أيدي رجال حزقيا الملك (٢٥: ١). ويرجح أنه كتب في شكله النهائي زمن ما بعد العودة من السبي.

سفر الأمثال وكتابات الشعوب الأخرى في الحكمة

يرى البعض أن السفر يشبه إلى حد بعيد كتابات الحكمة لدى فراعنة مصر وكتابات الحكمة في رأس شمرا Ugarit أوجاريت خلال القرن (١٤، ١٣ ق.م).

وردت إشارات عديدة واضحة تبين أن العبرانيين اهتموا بكتابات الشعوب المجاورة في الحكمة (قارن ١مل ٤: ٣٠، إرميا ٤٩: ٧، دانيال ١: ٤، حز ٢٨: ٣)، وعن طبيعة حكمة سليمان وعلاقاته السياسية (١مل ٤: ٣٤، ١٠: ١-١٣) التي أتاحت له الاستزدادة والاستفادة من حكمة الشعوب الأخرى المجاورة له (مثل كتابات الحكمة لشعوب ما بين النهرين ومصر). لذا ليس غريباً أن تجد تشابهاً بين ما ورد في بعض نصوص من سفر الأمثال وهذه الكتابات التي اقتبس منها في كتابة الأمثال.

إلا أن سفر الأمثال لا يهتم فقط بالنجاح المادي، بل أيضاً خلق إنسان تقي يحيا حياة البر والقداسة والطهر.

القيمة الأساسية لسفر الأمثال

يرى روبنسون (P.W.Robinson) إن سفر الإمثال يعد دراسة جادة في التلمذة الحقيقة لله وأن حكمة الكتب المقدسة (العهد القديم) تهذب الإنسان وتعلمه معنى الحياة الفضلى، إذ أنها تغطي كل أركان الحياة وتنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقتهما بالخالق الفادي العظيم. لتخلق منه إنساناً كريماً يحيا حياة أسرية رائعة، وتُربه سبلاً قويمة لتحقيق أسمى الأهداف (١٠: ١، ١: ٨). مثل: الوداعة (١١: ٢، ١٥: ٣٣)، وطول الأناة (١٤: ١٧، ١٦: ٣٢، ١٨: ١٣، ٢٥: ٢٨)، والصدق (١٠: ١٠، ١٢: ٢٢)، واللطف (١١: ١٧، ١٩: ٢٢)، والكرم (١١: ٢٥، ٢١: ٢٦)، والابتهاج (١٥: ١٣، ١٧: ٢٢)، والعدل مع الأمانة (٢١: ١٥، ٢٥: ١٣).

وتوجد الإشارات العديدة التي تؤكد أن الرب يسوع له المجد اهتم بهذا السفر وأحبه وظهر ذلك في تعاليمه عن أولئك الذين يحبون المتكآت الأولى (أم ٢٥: ٦-٧)، وعن الغني الغبي (إم ٢٧: ١)، وعن الذي صعد إلى السموات والذي نزل منها في إجابته عن تساؤل نيقوديموس (يو ٣: ١٣) التي استخدم فيها عبارات أجور بن متقية مسا (أم ٣٠: ٤، يو ٣: ١٣).

وفيما يلي بيان توضيحي لاقتباسات يسوع والإشارات العديدة التي وردت في سفر الأمثال:

إنجيل متى	الأمثال
٥: ٣ عن الفقير	١٦: ١٩
٥: ٧ عن الرجل الرحيم	١١: ١٧
٥: ٤٢ (العطاء)	٣: ٢٨
٦: ١٩ (البر والرحمة)	١١: ٤، ٢٨
٦: ١١ (الخبز اليومي)	٣٠: ٨-٩
٧: ٢٤-٢٧ (الجاهل والحكيم)	١٠: ٢٥، ١٢: ٧
١٠: ١٩-٢٠ الثقة في الرب عند الكلام	١٦: ١
١٥: ٤، ٦ تكريم الوالدين	٢٨: ٧ أيضاً (٢٠: ٢٠، ٢٣: ٢٢، ٣٠: ١٧)
٢٢: ٤ عند الدعوة إلى حفل	٩: ١-٥
إنجيل لوقا	
٢: ٥٢ الحكمة والنعمة	٣: ٤
١٢: ١٦-٢١ (الافتخار بالغد)	٢٧: ١
١٤: ٧-١١، ١٨: ١٤ (الوداعة)	٢٥: ٦-٧، ٢٩: ٢٣

ويتكلم الرب عن الذين لم يقبلوا رسالته، فيقول إن الحكمة تبررت من بنيها (متى ١١:١٩). والحقيقة أن الرب يسوع استخدم سفر الأمثال في تعاليمه مثالاً لنا، حتى نتمسك بالمكتوب. كما أن الرسول بطرس تمسك بالمكتوب متمثلاً بسيده، فاستعان في رسائله بسفر الأمثال. وكذلك الرسول يعقوب الذي استعان بسفر الأمثال في رسالته (يع ٢:١٦، قارن أم ٣:٢٨).

أيضاً (قارن ١بط ٢:١٧ مع أم ٢٤:٢١)

(١بط ٣:١٣ مع أم ١٦:٧)

(١بط ٤:٨ مع أم ١٠:١٢، أيضاً قارن يع ٥:٢٠)

(١بط ٤:٨ مع أم ١١:٣١)

(١بط ٥:٥ مع أم ٣:٣٤، قارن أيضاً يع ٤:٦)

(٢بط ٢:٢٢ مع أم ٢٦:١١)

ويقتبس الرسول بولس أيضاً من سفر الأمثال، وتعكس كتاباته صورة ما تعلمه من السفر. فعن الصفح (قارن رومية ١٢:٢٠ مع أم ٢٥:٢١-٢٢) وعن الحكيم في عين نفسه (قارن رومية ١٢:١٦ مع أم ٣:٧، ٢٦:١٢) وعن العطاء بسرور (قارن ٢كو ٩:٧ مع أم ٢٢:٨-٩)، وعن كنوز الحكمة (قارن كولوسي ٢:٣ مع أم ٢:٤)، وعن يسوع قوة الله وحكمة الله (قارن ١كو ١:٢٤ مع ما ورد في الأصحاح الثامن من سفر الأمثال).

وفي العبرانيين نجد التحذير الواضح بأن لا ننسى الوعظ والتعليم الذي يخاطبنا كبنين، حتى لا نحتقر تأديب الرب (قارن عب ١٢:٥-٦ مع أم ٣:١١-١٢، عب ١٢:١٣ مع أم ٤:٢٦).

ويشير الرب يسوع إلى حكمة العهد القديم التي لم تظهر كاملة في تعاليم الملك سليمان. بل تجلت حكمته بتمامها وكمالها في حياة الرب يسوع المباركة (قارن أم ٨:٢٢-٣١)، حيث يقول الرب «ملكة التيمن ستقوم في الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم. لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وهوذا أعظم من سليمان ههنا» (لوقا ١١:٣١، مت ١٢:٤٢، قارن أم ٨:٣٢-٣٦).

ويشير سفر الأمثال إلى الحقيقة الواضحة وهي أن الحكمة هي من الله، وأنها ضمن خطته الأزلية في هذا العالم، وهي العاملة في حياة الناس والكامنة في خوفه وتقواه.

وقد تجسدت حكمة الله بكل وضوح في عمل الله الفدائي بيسوع المسيح.

الجامعة

الاسم العبري للسفر «كوهيليث» ويعني به «قائد جماعة أو محفل» أو «مبشر وسط جماعة». والكلمة العبرية جاءت في صيغة اسم الفاعل المفرد المؤنث. والسؤال الآن: كيف يشار بها عن سليمان؟ (١:١) وتفسير ذلك - كما يرجح - أنها إشارة إلى وظيفة لا إلى اسم، كما في لفظة «جامعة» في العربية والتي تشير إلى الشخص العالم بل الفائق العلم لجوانب الحياة المختلفة.

كاتب السفر

يرى بعض العلماء أن كاتب السفر هو الملك سليمان، وذلك على أساس العبارة الواردة في (١:١) «كلام الجامعة ابن داود الملك في أورشليم». بالإضافة إلى إشارات أخرى (١٦:١، ٢:٤-١١) أدت إلى الأخذ بالرأي القائل إن سليمان هو الكاتب. ويرى البعض الآخر أن سليمان لم يكن كاتباً لسفر الجامعة، لأن أسلوب الكتابة في نظرهم لم يكن بذات الأسلوب المشابه للعصر الذي حكم فيه سليمان. بالإضافة إلى الكلمات الواردة في عدد (١٢) من الأصحاح الأول: «أنا الجامعة كنت ملكاً على إسرائيل في أورشليم». وفي عدد(١٦) يردد الكاتب: «أنا قد عظمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلي على أورشليم»، وهي آيات تعطي احتمالاً بأنه لم يعد ملكاً بعد ذلك. هذا بخلاف سليمان الذي ملك طوال حياته على أورشليم. مما جعل البعض يرى أن الكاتب عاش في عصر ما بعد سليمان. كما أن السفر يتكلم عن ظروف إجتماعية وسياسية تختلف كثيراً عما كانت عليه في عهد سليمان. فالسفر يتحدث عن زمن يأس وبطل (١:٢-١١)، وزمن هلاك لإسرائيل (٣:١-١٥)، وظلم وتعد (٤:١-٣)، وعن الموت الذي هو أفضل من الحياة (٧:١، ٨:٩). وعن الإنسان الذي يتسلط على إنسان لضرر نفسه (٤:١٣). إنه زمن يقال فيه «ولد فقير وعاقل خير من ملك شيخ وجاهل الذي لا يعرف أن يحذر بعد» (٨:٢، ٩:١٤-١٦، ١٠:١٦، ١٧، ٢٠). كما يتحدث الكاتب عن الشرور الكثيرة في عصره والتي انعكست على حكمه (٤:١، ٥:٨، ٨:٩، ١٠:٦، ٧، ١٦). ويرجح أن الكاتب استخدم اسم سليمان لأهداف علمية أدبية. كما حدث ذلك مع أفلاطون وكتاباته في أسلوب حوار مع أستاذه سقراط. مما سبق يرجح كثير من العلماء أن الكاتب عاش في عصر ما بعد سليمان، وربما في زمن النبي ملاخي.

وجاء في Baba Bathra 15a أن حزقيا ورجاله كتبوا سفر الجامعة، الأمر الذي لا ينكر على سليمان أنه كتب سفر الجامعة، بمعنى أن حزقيا ورجاله قاموا بإعادة كتابته بعد جمعه. ويُعد لوثر أول من أنكر أن سليمان كتب السفر. بينما يرى L.Wogue أن سليمان كتب سفر الجامعة، وأعيدت كتابته زمن ما قبل السبي، وأضيفت إليه بعض الأمثال وأقوال بعض الحكماء والفقهاء، مما أدى إلى اختلاف الأسلوب. فقد جاء مرة في صيغة المتكلم ومرة في صيغة الغائب (١:٢، ١٢:١٣، ٧:٨، ١:١، ١٢:٩-١١، ١:١٢-١٣، ٧:٢٣-٢٤).

غير أن الكاتب للسفر أصلاً هو سليمان كما يرى علماء كثيرون ألمان وفي مقدمتهم Hans Moeller, Gietmann and Schumacher (هانز مولر وجيتمان وشوميخر)، ولا يُعرف بالتحديد من وضع الصيغة النهائية لسفر الجامعة. لكن يعتقد أنه عاش في زمن ما بعد السبي. إن السفر قد كتب ما بين عامي ٢٨٠-٢٠٠ ق.م، وربما بعد ذلك كما يرى Graetz . ويرى وليم ألبرايت W.F.Albright أن السفر كتب عام ٣٠٠ ق.م أما عن إرنست رايت G.E.Wright

فيرى أن السفر كتب ما بين عام ٤٠٠-٣٢٨ ق.م. ويتفق هاريسون R.K.Harrison مع أ. يونج E.Young بأن السفر كتب زمن النبي ملاخي.

الخصائص الأدبية للسفر

انفرد أسلوب الجامعة بمصطلحات ومفردات لم ترد في غيره من الكتب المقدسة. وربما بدت غامضة عسرة الفهم. فأدت بالبعض إلى الاعتقاد أن كتابة السفر مرت بمراحل عديدة من الكتابة، أدت بدورها إلى عدم الترابط بين أجزائه، وهذا إعتقاد خاطئ كما سنرى بعد ذلك.

ولقد اتسم السفر بعمق الفكر والفهم لضروب الحياة المختلفة وبتعاليمه في الحكمة. كما تعرض السفر لهجوم بعض الباحثين من اليهود وتأثر بذلك كثيرون من المسيحيين، وتساءلوا : كيف لسفر كهذا أن يكون قادراً على أن يحكمنا للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع مثل بقية الكتب المقدسة، وقد تضمن أفكاراً تشاؤمية ويائسة؟ والحقيقة في رأي آخرين أن سفر الجامعة يعد نقداً تحليلياً للأمور والمعتقدات الدنيوية. وليس بالضرورة أن تكون الأمور الدنيوية غير دينية. إذ أن السفر يهدف إلى حياة أفضل مما هي عليه تحت الشمس. لأن العالم وُضِع في الشرير وأخضع للبُطل (رومية ٨: ٢٠-٢٢).

وقد وصف السفر بأنه بمثابة تفسير للعنة خطية السقوط (تك ٣: ١٧-١٩) حيث ساد الشر كل العالم الذي تحت الشمس. غير أنه من الخطأ أن ننظر إلى سفر الجامعة بأنه مجرد أفكار سلبية، وأن الكاتب رسول لليأس والفشل. والكلمات «باطل الأباطيل الكل باطل» لا يقصد بها الحياة في جملتها، بل فكر الإنسان واتجاهه نحو العالم المخلوق كغاية وهدف هو في حد ذاته باطل بل وباطل تماماً أيضاً.

رسالة السفر

إن اهتمام الكاتب الرئيسي والأول هو أن يبدد كل ما هو باطل من آمال وهمية كاذبة سيطرت على عقول الناس. وعليهم أن يأتوا إلى الرجاء الحي الأكيد والثابت «الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة» (عب ٦: ١٩)، حتى يتمكن كل إنسان من أن يجد السعادة الحقيقية بتحقيق آماله المجيدة في الرب، وحتى يبدد السعادة الباطلة التي يجد في طلبها دائماً، والتي لا ينجم عنها سوى التعاسة وخيبة الأمل.

وكاتب السفر يعلن أنه في إمكان المرء أن يجد سعادته في العالم إذا أدرك أنها من يد الله (٢: ٢٤، ٣: ١٢، ١٣، ٥: ١٨، ٢٢، ٩: ١٧، ١١: ٩). كما يحث على العمل وبذل الجهد (٣: ١٢-١٤، ٩: ١٠)، وبهذا تكون لتعاليمه قيمة ومعنى. والقيمة الكامنة في العالم والكون بجملته هي أن يعلن الإنسان وبجلاء، مراحم الله وحكمته وبره ومجده، الذي يملأ كل الأرض. ويوم أن يصبح العالم غاية وهدفاً في حد ذاته. ينقلب إلى الضد، بمعنى؛ يصير باطلاً وقبض الريح.

والسبيل لأن يُقبل المرء على الحياة تحت الشمس، ويتمتع بهباتها، وإيجابياتها، وسلبياتها ومتناقضاتها، هو إدراكه «أنها من يد الله» (٢: ٢٤، ٥: ١٨-٢٠)، وهذا لا يُعد تشاؤماً كما يقول البعض أو مدعاة لليأس والشكوك والريبة، بل هو إدراك نابع من الإيمان.

وكاتب السفر يدرك أننا نسير بالإيمان وليس بالعيان فيقول «إن الله صنع الكل حسناً في وقته، وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها (بدونها) لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية» (٣: ١١).

وهذا الإنسان لا يستطيع مهما سمت حكمته وفطنته، أن يفهم أو يدرك أعمال الله بدون هذا الشيء الذي وضعه الرب في قلب الإنسان المؤمن وهو الأبدية (١٧:٨). وبهذا يؤكد أن الإيمان يصبح بلا معنى إن لم يكن للمؤمن نفع في الحياة باذلاً أقصى جهده، مثابراً في هذا العالم الظاهري واثقاً في ذات الوقت في العالم الأبدي الذي ينتظره ويتطلع إليه بالصبر.

وتوجد مشكلة لدى الجامعة تبدو متناقضة في ظاهرها، وذلك في حديثه عن الموت الذي ينتهي بالحياة تحت الشمس إلى لا شيء. «لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما» (جامعة٣:١٩-٢٠). وحديثه هذا عن الموت، هو تعبير عن دهشته وتعجبه لشر الإنسان وظلمه لأخيه الإنسان. ولم يجد الجامعة تفسيراً للأفعال الشريرة هذه غير اعتقاد هذا الشرير أن الإنسان والبهيمة لها نهاية واحدة.

ويتساءل الجامعة: «من يأتي بهذا الإنسان ليرى ما سيكون بعده؟» (٣:٢٢). ويؤكد الكاتب مراراً حقيقة الدينونة وقضاء الله العادل في كلماته «فقلت في قلبي، الله يدين الصديق والشرير. لأن لكل أمر ولكل عمل وقتاً هناك» (٣:١٧). ويخاطب الجامعة في سفره الشاب بأن يعمل ويجتهد، ويسلك بكل طرق قلبه، ويعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي به الله إلى الدينونة (١١:٩). كما أن الله يُحضِر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً (١٢:١٤).

ويبقى مؤكداً أنه رغم كل ظلم في الحياة تحت الشمس، يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه (٨:١٢). وموقف الجامعة شبيه بما ورد في (مزمور ٤٩) في حديثه عن الإنسان الذي يؤسس رجاءه على البطل من حياته تحت الشمس «باطنهم أن بيوتهم إلى الأبد مساكنهم إلى دور فدور» (مز ٤٩:١١،١٢). وصدى هذه الكلمات في (جامعة ٣:١٨) «قلت في قلبي من جهة أمور بني البشر أن الله يمتحنهم ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم» (إنهم ليسوا أفضل من بهائم). ويقدم المرنم ما هو أعظم بقوله «إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني» (مزمور ٤٩:١٥). من أجل غنى رحمته، ومحبته الكثيرة التي أحبنا بها (أفسس ٢:٤).

كما تعد الكلمات الختامية للجامعة في (١٢:١٣-١٤) هي المفتاح لفهم الغاية العظمى من السفر «فلنسمع ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً». وقد أوضح رب المجد ذلك بصورة مفصلة في موعظته على الجبل. وما جاء في (٧:٢٩) يعد أساساً لكلمات الجامعة الختامية «انظر، هذا وجدت فقط أن الله صنع الإنسان مستقيماً. أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة». فالإنسان مسئول مسئولية كاملة عن كل ما حدث منه ويحدث له، لسقوطه بمحض إرادته. فتغير عن شكله الذي أراده له الله. ويضفي الكاتب من اختباراته الشخصية تفسيراً ومعنى للحياة، فاكتشف أنه باطل ولا منفعة تحت الشمس. لهذا يوصي بالتمتع بالحياة. «ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب ويُري نفسه خيراً في تعبه. رأيت هذا أيضاً أنه من يد الله» (٢:٢٤). ولا تعبر هذه الكلمات عن روح تشاؤمية كما سلفت الإشارة. كما لا تعني أن التمتع بهذه الأشياء في الحياة تحت الشمس هو غاية في حد ذاتها، بل أنه إيمان وثقة أنها من يد الله.

والحياة بعيداً عن الله تصبح بلا معنى (باطلاً وقبض الريح) بل أكثر من ذلك تكون مدعاة لليأس والفشل الأكيدين. والطريق الوحيد للسعادة الحقيقية والتمتع بما هو في الحياة تحت الشمس، هو إيمان الإنسان أنها من صنع

الله وأنها من يده. وعلى الإنسان أن يكون متعقلاً وجاداً طويل الأناة (٧:٣-٩)، مثمراً ومتتجاً فيما يوكل عليه (١١:١-٦)، متعاوناً متحاباً مع غيره من الناس. مظهراً طاعة وولاء لمن هم في منصب، حتى وإن كانوا غير عادلين (٤:٩-١٢، ٨:٢-٨، ١٠:٢٠). متعبداً لإلهه في خوف وقداسة (٨:١٢-١٣). بمعنى متمتعاً برؤية إلهه في إحساناته وجوده له كل يوم (قارن خروج ٣٣:١٩أ).

وختاماً باطل الأباطيل الكل باطل، ولا منفعة تحت الشمس، بعيداً عن مخافة الله ومعاينة وجهه (جامعة ١٢:٨، ١٣).

نشيد الأنشاد

دعي السفر بنشيد الأنشاد وذلك للكلمات الأولى منه في العبرية « نشيد الأنشاد الذي لسليمان » (١: ١) ، بمعنى أنه أحلى وأعذب الأناشيد . إذ يعد السفر قطعة أدبية رائعة تعبر عن جمال الطبيعة والحب الإنساني الذي ينبع من الحب الإلهي . ويتحدث عن حياة الرعي بين الحقول والمزارع (١ : ١٢ - ٢: ٣ ، ٤ : ١٢ - ٥ : ١ ، ٦ : ٢).

الكاتب

اعتقد البعض أن سليمان هو كاتب سفر نشيد الأنشاد من الكلمات الواردة في (١ : ١) ، أو أن السفر كتب عن سليمان (٣:٧-٩، ٨ : ١١-١٣) أو ربما كلا الاثنين معاً. وجاء في التقليد اليهودي Baba Bathra 15a أن حزقيا هو الذي قام بكتابة السفر (بمعنى أعاد كتابته في زمن ما بعد سليمان) . ومن الجانب الآخر ، ينسب بعض العلماء سفر النشيد إلى رجال حكماء عاشوا في زمن ما بعد السبي وربما خلال القرن الثالث ق.م، وذلك لاختلاف أسلوب ولغة كتابته التي تختلف عن اللغة التي كانت معروفة قديماً أيام سليمان . ويرى أيشفيلد Otto Eissfeldt أنه ربما يكون سليمان هو كاتب السفر أضيفت إليه كلمات للتبسيط وسهولة الفهم عند إعادة كتابته. ويرى E.Young أن كاتب السفر هو سليمان الذي تمتع بدائرة واسعة من المعرفة والفهم عن الممالك المجاورة وبوسائل التجارة والعلاقات المتبادلة . كما وردت بالسفر عبارات وكلمات توضح أن مملكة إسرائيل لم تكن منقسمة بل متحدة وذلك في حديثه عن أورشليم والكرمل وشارون، ولبنان، وعين جدي، وحرمون، وترصة المدينة الرائعة والفائقة الجمال التي كانت عاصمة مملكة الشمال (١مل ١٤ : ١٧ ، ١٥:٢١، ٣٣، ١٦:٦، ٢٣) . كما يتحدث في نفس الوقت عن مدينة أورشليم (عاصمة يهوذا) ومدن أخرى في المملكتين . وليس هذا إلا برهاناً على أن المملكة لم تكن منقسمة بعد . ولأنه يتكلم عن عروسه قائلاً : « قد شبهتك ياحبيبتي بفرس في مركبات فرعون» (١:٩)، وهذا أمر مهم لأن سليمان حصل على خيول كثيرة من مصر أثناء حكمه (١مل ١٠: ٢٨).

غير أن تاريخ الكتابة والكاتب لا يؤثران بشيء على قيمة السفر وفائدته العظمى .

المفاهيم المختلفة للسفر والغاية منه

١- التفسير المجازي : ويعد أقدم أنواع تفاسير السفر، فعند اليهود يتحدث السفر عن محبة الله لشعبه إسرائيل. والإشارة الواردة في (١ : ١٣) تعد في نظرهم إشارة عن الشكينة (السكنى) في خيمة الإجتماع وبين الكروبيم .

٢- بالنسبة للمسيحيين : يتحدث السفر عن محبة المسيح للكنيسة التي هي عروس المسيح والمحبة المتبادلة (أصحاح ١ - ٣). وفي أصحاح (٤) وصف لجمال الكنيسة وما تمتعت به من نعم وبركات . والأصحاح الخامس عن محبة المسيح للكنيسة . وفي الأصحاحين السادس والسابع تتحدث الكنيسة معلنة إيمانها ومحبتها . والأصحاح الثامن يتحدث عن محبة الكنيسة للمسيح .

ويقدم H.H.Rowley نماذج هامة في هذا النوع من التفسير فيقول إنه خلال القرن ١٢ م انتشر تفسير بعض

العبارات والكلمات مقرونة بشخصية العذراء مريم .

وفيما يلي بعض نماذج التفسير المجازي :

أ- سوداء وجميلة (١ : ٥) سوداء بالخطية وجميلة بالتوبة والعودة من القلب إلى الله (أوريجانوس) .

ب- (١ : ١٣) إشارة إلى الكتب المقدسة في العهد القديم والعهد الجديد وبينهما المسيح (كيرلس السكندري Cyril of Alexandria).

جـ- (٢ : ١٢) إشارة عن كرازة الرسل .

د- (٥ : ١) إشارة عن العشاء الرباني (كيرلس السكندري) .

هـ- (٦ : ٨) إشارة عن الهرطقات العديدة Epiphanius (أبيفانيوس).

ويعتقد الكثيرون أنه لولا هذا المعنى المجازي الذي تضمنه سفر النشيد، لما أدرج في قانونية الكتب المقدسة الموحى بها من الروح القدس . كما أن استخدام التشبيه والاستعارة الذي تكرر مرات عديدة بالسفر، ما هو إلا وصف للعلاقة بين الرب (يهوه) وشعبه ، واستُخدم كشرح تعليمي لوصف علاقة المسيح بالكنيسة (عروسه) . ويرى البعض الآخر أن سفر النشيد ليس قصة مجازية ولا ينطبق عليه التفسير المجازي .

٣- اعتبر سفر النشيد بمثابة مثل ضمن الأمثال الحية الحادثة في الكون ، والتي يعايشها كل إنسان . ويرى العلماء ومنهم Buzy أن السفر يشرح علاقة العهد بأسلوب عملي ، وهو علاقة زوجين تعبيراً عن العهد والوفاء به والأمانة بين الله وشعبه ... بين المسيح والكنيسة . وحقيقة الأمر كما يرى أحدهم أن سفر النشيد يناسب ذلك تماماً . إلا أن كاتب السفر لم يضع ذلك في ذهنه كما يقول هؤلاء العلماء ، فالحديث عن علاقة الله بشعبه وبأسلوب الأمثال لم ترد عنه الإشارة بالسفر . الأمر الذي تحدث عنه الأنبياء بحرية ووضوح كاملين (هوشع ١ - ٣ ، إشعياء ٦٢ : ٥ ، إرميا ٣ : ١ - ١٠ ، حزقيال ١٦ ، ٢٣) . من أجل هذا استثنى العلماء سفر النشيد من مجرد كونه سفراً مجازياً أو كونه ضمن الأمثال ، التي توضح العلاقة بين الله وشعبه سواء في القديم أو اليوم . وفي عام ٥٣٣م أدان مجمع القسطنطينية الثاني تيودور المبسستي Theodore of Mopsuestia ، لا لأنه تساءل حول قانونية السفر ، بل لأنه قال إن سفر النشيد لا يزيد عن كونه أنشودة نطق بها سليمان بمناسبة زواجه بابنة فرعون .

وربما يكون تيودور علي حق في ذلك كما يري علماء آخرون ، لأن السفر يمجد الحب الإنساني ويظهر ما له من قيمة عظمى ونقاوة وطهراً وقدسية ، وهي حقيقة طالما أغفلت من الكثيرين . فالسفر تعليمي أخلاقي ، وبهذا المعنى يتحدث إلينا في عالم امتلأ بالخطية والفساد والانحلال والشهوات والتجارب التي تحيط ببني الإنسان ، وتدمر العلاقة الزوجية بين الأزواج . وهنا يقدم السفر نموذجاً رائعاً للعلاقة بين زوجين مخلصين أمينين لبعضهما ، كرمز للولاء وتكريس الواحد للآخر . الأمر الذي لا ينقص من قيمة السفر ، بل يكشف عن قيمته وجوهره . فقد سمح الله أن يوضع السفر ضمن القانونية بإرشاد الروح القدس ، وليتذكر الإنسان أن الرب الذي وضع بل زرع الحب الإنساني وهو القدوس ، قصد أن يوجه نظره إلى مخافة إلهه ويُخلص لمن أحبه والتصق به وصار قريناً له .

الله في حكمته شاءت قدرته أن يكون سفر النشيد ضمن القانونية المقدسة . والسفر بجملته يتحدث عن موضوع هام يعاني منه الكثيرون في كل جيل ، ويعالج مواقف كثيرة منه . كما يسجل كاتب سفر التكوين عن موضوع الخليقة، ذكراً وأنثى خلقهم ... ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا. والسفر يحث على الحب النقي الطاهر الذي

يفيض بالإخلاص والأمانة للمحبوب . إنها المحبة التي لاتنطفئ بسيول المياه ولا تستطيع أن تغمرها . تلك المحبة التي لا تُشترى ولا تعوضها الثروات وكنوز العالم (٨ : ٦ ، ٧). لأجل هذه الأسباب جميعها يقول العلماء : وجد السفر بين الكتب المقدسة ، وبوجوده أعطى كمالاً للأسفار المقدسة . لأن الله يهتم بكل جوانب الحياة الإنسانية . وسفر النشيد هو السفر الوحيد الذي يعالج هذا الموضوع الهام. وهناك تشابه بين سفر النشيد وقصائد الشعر العاطفي في مصر قديماً (الأسرة ١٩ أو ٢٠) . ففي سفر النشيد سمعت أنشودة اليمامة في أرضنا وفصل الربيع هو زمن الحب (٢ : ١٢ - ١٣)، يقابله في قصائد الحب المصرية قديماً صوت العصفور الذي ينادي على الفتاة المصرية أن تخرج للتأمل في جمال الطبيعة في الخلاء ليتدفق الحب الحقيقي بلا وجل أو رسميات. « ومياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها » (٨ : ٧) . كذلك الحال أيضاً مع المحب الإنسان المصري الذي لا تعيقه المياه ، ولا التماسيح تقدر أن تفصله عمن أحب .

« إن غرام حبيبتي يقفز على شاطئ الغدير . في الظلام تمساح رابض ، ولكنني أنزل إلى الماء وأواجه الأمواج . ويشتد بأسي فوق الغدير ، ويكون الماء هو والأرض تحت قدمي سواء . لأن حبها يملأ قلبي قوة ».[1]

واستخدام اللفظ « أختي » هو لفظ إعزاز ، أطلقه المحب على محبوبته (٤ : ٩ - ١٠ ، ١٢ ، ٥ : ١ - ٢) . ولا ينبغي رفض هذا النوع من التفسير - كما يرى العلماء - كما لو كان هذا الأمر لا يستحق الاهتمام أو له القيمة في الكتاب المقدس . فالكتاب نفسه يتحدث من البدء : « ذكراً وأنثى خلقهما » (تك ١ : ٢٧ ، قارن أمثال ٥ ، ٦) .

وتتردد الأسئلة العديدة مرات ومرات : إذا كان سفر النشيد لا يزيد عن كونه تعبيراً عن حب إنساني عميق نقي ، ملؤه الطهر وخوف الله بين الأزواج، فلماذا وضع بين الكتب المقدسة ؟ وفي هذا يقول إدوارد يونج E.Young : طالما وُجدت النجاسة في هذا العالم ، فنحن في مسيس الحاجة إلى سفر النشيد . والسؤال الأصوب هو : ماذا يقول الكتاب المقدس عن العلاقة بين الزوجين ؟ لقد أراد الرب أن يعلم الإنسان نقاوة وقدسية الزواج الذي أسسه هو نفسه في جنة عدن حينما قال أثمروا . وعندما نقرأ سفر النشيد تتطهر قلوبنا أكثر ، وندرك حقيقة التجربة وبشاعتها التي يسقط فيها عدد غير قليل من جراء عدم الأمانة بين المتزوجين . فالسفر هدفه أخلاقي تعليمي ، وبه ندرك لماذا أعطانا الله إياه . لأن الجميع زاغوا وفسدوا . والمحبة التي يتحدث عنها السفر تعد في ذاتها صدى للمحبة الإلهية . ومحبة الله أساس كل محبة نقية طاهرة بل هو نبعها .

ويهتم القديس بولس الرسول بهذا الأمر بقيادة الروح القدس ، فيتحدث عن العلاقة بين الأزواج ويستخدم أروع تشبيه توضيحاً لفكرته الأساسية هذه ، وهو علاقة المسيح بالكنيسة (أفسس ٥ : ٢٣ - ٣٣) . حب إنساني نبعه حب إلهي، وحب الأزواج أساسه في السماء .

ومن الجانب الآخر ندرك بدراستنا للسفر ، قوة محبة المسيح المتفاضلة (نشيد الأنشاد ٨ : ٧)، ومسرته أن يسمع صلاة الكنيسة (٨ : ١٣) ، ويدعو الكنيسة للتمتع بشركته (١٣:٢). ونجد بالسفر خطر عدم استجابة الكنيسة المباشرة لقرعات السيد (٥ : ٢ - ٨، قارن رؤيا ٢٠:٣) موبخاً على ضعف المحبة لله والاهتمام بما هو سطحي ووقتي، وهي المحبة التي وصفت بالمحبة الفاترة .

كما أن محبة المؤمنين (حجارة الكنيسة الحية) تقوى وتزداد ثراء وبركة مضاعفة بدراسة سفر النشيد . والمفهوم

1- ANET, PP. 466-469

ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، المجلد الأول من الجزء الثاني ص ١١٣-١١٦ .

المسيحي للسفر يُظهر أيضاً إعلان الله ذاته في شخص الرب يسوع المسيح ، الذي أحب شعبه وبذل نفسه لأجله . فهو الحبيب والكنيسة هي عروسه. وهذا المثال وردت عنه الإشارات العديدة في العهد الجديد (مت ٢٢:١-١٤، ٩:١٥، يوحنا ٢٩:٣، ٢كو ١١ : ٢، وأفسس ٥ : ٢٣-٣٢، ورؤيا ٢:٢١). والرب يسوع المسيح هو الشخص الذي تحبه نفسي (٧:١) . نرجس شارون سوسنة الأودية (١:٢) مُعْلَمٌ (علم) بين ربوة (٥ :١٠). ويمكن التعبير عن بركات المسيح بهذه الكلمات « أدخلني إلى بيت الخمر وعَلَمُهُ فوقي محبة » (٢:٤). الذي هو مصدر كل سرور «حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن» (٢:١٦). ويرجو السيد المسيح كمالاً للكنيسة في الكلمات «كلك جميلٌ يا حبيبتي ليس فيك عيبة» (٤:٧). ووجدت كلمات سفر النشيد الفياضة والقوية العميقة، طريقها في الترنيم والسبح للرب. وإعلان مجده بتكريس النفس بجملتها للإله الآب المتجسد في شخص ابنه فادي نفوسنا العظيم.

إشعيـاء

أطلق على هذا السفر اسم «إشعياء» على اسم النبي إشعياء بن آموص ويعني في العبرية «الرب يخلص».

وتضمن السفر الذي يحتوي على ستة وستين أصحاحاً إعلانات ونبؤات بقضاء الله على شعبه إسرائيل ويهوذا لارتدادهم عن الرب يهوه وإعلانات أخرى ضد تعدي الشعوب الأجنبية أيضاً. بينما توضح النبؤات الأخرى من جانب آخر نعمة ومحبة الله المتفاضلة نحو شعبه الذي يمتثل لدعوته في خوف واتضاع.

إنها رؤيا إشعياء بن آموص التي رآها على يهوذا (المملكة الجنوبية) وعاصمتها أورشليم، في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا (١:١).

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: تمرد الشعب ووعد الرب بالخلاص والدينونة (١:١-٥:٢٤).

١- مقدمة (١:١).

٢- إعلانات بالدينونة والافتقاد (١:٢-٢:٥).

٣- يوم الرب (٢:٦-٢٢).

٤- قضاء الحكام (٣:١-١٥).

٥- نساء أورشليم المتكبرات (٣:١٦-٤:١).

٦- تتطهر صهيون بالعقاب (٤:٢-٦).

٧- أغنية الكرمة (٥:١-٧).

٨- الذين لا يخافون الله ولا يهابون إنساناً (٥:٨-٢٤).

ثانياً: صُر الشهادة واختم الشريعة (٦:١-٨:١٨).

١- رؤى إشعياء في الهيكل (٦:١-١٣).

٢- إشعياء النبي وحرب سوريا وأفرايم (٧:١-٨:١٩).

أ- آية شآر ياشوب (٧:١-٩).

ب- آية عمانوئيل (٧:١٠-١٧).

جـ- الغزو القادم (٧:١٨-٢٥).

د- آية مهيرشلال حاش بز (٨:١-٤).

هـ- خوف الإنسان وخوف الرب (٨:٥-١٩).

ثالثاً: غضبه لا يرتد (٩:١-١٠:٤).

١- مولد الملك المسيا (٩:١-٧).

٢- عقاب السامرة المتجبرة (٨:٩-٤:١٠).

رابعاً: لا تخافوا من أشور (١٠:٥-١٢:٦).

١- تهديد أشور (١٠:٥-٣٤).

٢- الرجاء المسياني (١١:١-١٦).

٣- أحاسيس الشكر الفياضة (١٢:١-٦).

خامساً: صخب وهياج شعوب كثيرة (١٣:١-٢٣:١٨).

١- سقوط بابل وبلوغ ملكها الهاوية (١٣:١-١٤:٢٧).

٢- سقوط فلسطين (١٤:٢٣-٣٢).

٣- سقوط موآب (١٥:١-١٦:١٤).

٤- سقوط دمشق والسامرة (١٧:١-١٤).

٥- سقوط الحبشة وتجديدها (١٨:١-٧).

٦- متاعب مصر (١٩:١-٢٠:٦).

٧- ستهزم بابل وتدمر أوثانها (٢١:١-١٠).

٨- هزيمة أدوم وانتصار إسرائيل (٢١:١١-١٢).

٩- تأسيس ددان وقيدار (٢١:١٣-١٧).

١٠- رؤيا سقوط أورشليم. وشبنا يملك عوضاً عن ألياقيم (٢٢:١-٢٥).

١١- سقوط وعبودية صور (٢٣:١-١٨).

سادساً: استيقظي وابتهجي يا ساكنة التراب (٢٤:١-٢٧:١٣).

١- دينونة شاملة على خطية عامة (٢٤:١-٢٣).

٢- الشكر للرب المخلص والمعزي لصهيون (٢٥:١-١٢).

٣- أنشودة الابتهاج على تعزية يهوذا (٢٦:١-٢١).

٤- عقاب المضايقين وخلاص شعب الرب (٢٧:١-١٣).

سابعاً: لا تكونوا متهكمين لئلا تُشدد رُبطكم (٢٨:١-٣٢:٢٠).

١- دينونة العابثين والمستهزئين من أفرايم ويهوذا (٢٨:١-٢٩).

٢- عقاب المرائين (٢٩:١-٢٤).

٣- الثقة في مصر تقود إلى الثقة في الله (٣٠:١-٣٣).

٤- الله المدافع عن أورشليم وليس مصر (٣١:١-٩).

٥- خلاص إسرائيل وتجديدها روحياً (٣٢:١-٣٠).

ثامناً: سيادة الله والمجازاة (٣٣:١٠-٣٥:١٠).

١- عقاب الخائنين الغادرين وانتصار المسيح (٣٣:١-٣٥:١٠).

٢- كلمات الدينونة على الأمم، قوة العالم (٣٤:١-١٧).

٣- البركة لمن يتبع القداسة (٣٥:١-١٠).

تاسعاً: إشعياء النبي وحزقيا الملك (٣٦:١-٣٩:٨).

١- سنحاريب يجد في حصار أورشليم (٣٦:١-٣٧:٤ب).

٢- إعلان الرب: سيرحل سنحاريب ملك أشور ويُقتل (٣٧:٤جـ-٧).

٣- خطاب تهديد ملك أشور وصلاة حزقيا ملك يهوذا (٣٧:٨-٢٠).

٤- هزيمة سنحاريب وتدمير جيشه وخلاص يهوذا شعب الرب (٣٧:٢١-٣٩).

عاشراً: قرب مجيء الله (٤٠:١-٤٨:٢٢).

١- سيادة الرب المعزي (٤٠:١-٣١).

٢- مواجهة الرب للوثنيين غير المؤمنين (٤١:١-٢٩).

٣- عبد الرب: الفرد والأمة (٤٢:١-٢٥).

٤- شهادة الشعب المفدي من العبودية الكلدانية (٤٣:١-٢٨).

٥- شهادة إسرائيل عن الله ضد العبادة الباطلة (٤٤:١-٢٨).

٦- مجيء المنقذ الأممي (كورش) وتحديد الوثنيين (٤٥:١-٢٥).

٧- سقوط بابل وخلاص إسرائيل (٤٦:١-٤٧:١٥).

٨- مجد الله يعلن بواسطة خلاص إسرائيل (٤٨:١-٢٢).

إحدى عشر : فداء إسرائيل (٤٩:١-٥٥:١٣).

١- عبد الرب : دعوته - إرساليته (٤٩:١-٢٦).

٢- إثم إسرائيل وطاعة العبد (٥٠:١-١١).

٣- الثقة في الله وعدم الخوف من إنسان (٥١:١-١٦).

٤- الرب صار ملكاً (٥١:١٧-٥٢:١٢).

٥- آلام عبد الرب (٥٢:١٣-٥٣:١٢).

٦- تعزية إسرائيل (٥٤:١-١٧).

٧- النعمة المتفاضلة على التائبين (٥٥:١-١٣).

اثنا عشر: تحذيرات ووعود (٥٦:١-٦٦:٢٤).

١- مشاركة الأمم في البركة مع إسرائيل (٥٦:١-٨).

٢- القادة العميان وعبادتهم الباطلة (٥٦: ٩-٥٧: ١٣).

٣- مثابرة النعمة (٥٧: ١٤-٢١).

٤- الخدمة المقبولة لدى الله (٥٨: ١-١٤).

٥- تدخل الله للنجاة (٥٩: ١-٢١).

٦- تحقيق مجد الرب (٦٠: ١-١٢).

٧- الأخبار السارة لخلاص صهيون (٦١: ١-١١).

٨- الشعب المسياني (٦٢: ١-١٢).

٩- سنة الفداء (٦٣: ١-٦).

١٠- صلاة ووساطة النبي (٦٣: ٧-٦٤: ١٢).

١١- الدينونة والخلاص (٦٥: ١-٢٥).

١٢- بركة ورجاء المؤمنين (٦٦: ١-٢٤).

الخلفية التاريخية

في الوقت الذي تمركز فيه نشاط جميع الأنبياء العظام مثل إيليا وأليشع وميخا وعاموس وهوشع في المملكة الشمالية وعاصمتها إسرائيل (والتي انفصلت عن يهوذا بعد موت سليمان الملك أيام ابنه رحبعام) لم يرد الشيء الكثير عن دور الأنبياء في مملكة الجنوب (يهوذا وبنيامين) غير بعض الأنبياء، الذين لا يعرف عنهم الشيء الكثير مثل عزريا (٢أخ ١٥: ١-٧) وحناني (٢أخ ١٦: ٧-١٠) وياهو بن حناني (١مل ١٦: ١-٤، ٢أخ ١٩: ٢).

ويبدو - بالنسبة للعلماء - أن الأمور المهمة كانت تتقرر في الشمال. وعاموس النبي الذي أتى من الجنوب اختار أن يلقي رسالته في بيت إيل مقدس بيت الملك يربعام الثاني ملك إسرائيل، هذا من الناحية الدينية.

أما من الناحية السياسية فكانت شبيهة بالناحية الروحية. وكانت مملكة إسرائيل هي الرائدة والمتفوقة على يهوذا عدا بعض الأحيان التي كانت تتعرض فيها إسرائيل لبعض المشكلات الداخلية، فكانت يهوذا تتفوق وتكاد تصل إلى مساواة نظيرتها إسرائيل، وبوجه عام كانت إسرائيل تمثل القوة الأعظم والأغنى. وذلك لموقعها الإستراتيجي في التجارة وطرقها المؤدية إليها بين مصر وبلاد ما بين النهرين.

كما دعيت إسرائيل (الأرض المتسعة) بأرض عمري وأسرته. وقد ورد هذا التعبير في سجلات سرجون الخاصة بفتوحاته لإسرائيل. وذلك تكريماً لعمري ملك إسرائيل ودوره السياسي الكبير في الحكم. كما أطلق على ياهو أيضاً لقب ابن عمري في السجلات الأشورية[1].

وقد وصل الملك عزيا أو عزريا (٧٨٣-٧٤٢ ق.م) إلى أوج مجده في يهوذا جنوباً. في ذات الوقت الذي وصل فيه يربعام الثاني إلى مجده في إسرائيل في الشمال.

وعلى العكس من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي عانت منه المملكة الإسرائيلية، فقد تمكنت مملكة يهوذا من تحقيق هذا الاستقرار. فقد ظلت أسرة داود هي الحاكمة على مملكة يهوذا طوال تاريخها حتى سقوط أورشليم عام ٥٨٧ ق.م، بينما تعاقب على مملكة إسرائيل العديد من الأسر الحاكمة وهي كالآتي:

(1) Ancient Near Eastern Texts, (3rd.ed), pp.284-285

أسرة يربعام ما بين ٩٢٢ - ٩٠١ ق.م.

أسرة بعشا ما بين ٩٠٠ - ٨٧٦ ق. م.

أسرة عمري ما بين ٨٧٦ - ٨٤٢ ق.م.

أسرة ياهو ما بين ٨٤٢ - ٧٤٥ ق.م.

وذلك ثمرة تعرضها للعديد من مراحل التمرد والتحديات السياسية. وعلى عكس إسرائيل تقدمت يهوذا من حياة البادية إلى أرقى مستوى حضاري في الحكم والمدنية. ولم يكن لإسرائيل القوة للسيطرة على الشر الذي تغلغل بين شعبها بسبب تسلط السادة على الفقراء صغار الفلاّحين (إش ٥:٨-١٠، ميخا ٢:١-٢، إش ١٠:١-٢، ميخا ٣:١-٤). وانتشر الظلم الاجتماعي الذي اتزر بالتقوى الدينية (إش ١:١٠-١٧). أما عن النظام الاجتماعي في يهوذا فكان مستقراً. ويرجع هذا الاستقرار السياسي من الوجهة اللاهوتية، (كما سترى من الدراسة للسفر)، إلى أن الرب أقام عهداً خاصاً مع داود، بأن يحفظ عرشه له ولنسله من بعده. إنه داود الذي عمل المستقيم في عيني الرب ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته إلا في قضية أوريا الحثي (١مل ١٥:٥). وهو داود الذي أجازه الرب في البوتقة ليخرج منها مصفى كالذهب الخالص (قارن ١صم ١٢:٧-١٤). كما جاء عن داود أنه عبد الرب، ملك يخاف الله أجرى عدلاً وحقاً وبراً لشعبه (٢صم ٨:١٥). وجاء في (٢صم ٧) عن العلاقة الخاصة بين الله وداود، التي امتدت إلى كل نسله من بعده (٢صم ٧:١١-١٣). وقد وعد الرب داود على يد ناثان النبي بأن رحمته لا تنزع عن بيت داود إلى الأبد (٢صم ١٤:١٧).

عزيا ملك يهوذا

ملك عزيا (عزريا) بن أمصيا على مملكة يهوذا، اثنين وخمسين عاماً في أورشليم، وكان ابن ست عشرة سنة حين ملك. وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل أمصيا أبوه، ولكن المرتفعات لم تنتزع، بل كان الشعب يذبحون ويوقدون على المرتفعات. وضرب الرب الملك فكان أبرص إلى يوم وفاته، وأقام في بيت المرض. وكان يوثام بن الملك على البيت يحكم على شعب الأرض (قارن ٢مل ١٥:١-٧).

وتحت قيادة الملك عزيا، وصلت يهوذا إلى أوج مجدها وعظمتها اقتصادياً وعسكرياً. والتقرير المختصر عنه في (٢مل ١٥:١-٧) والذي ورد بأكثر تطويل في (٢أخ ٢٦) عن الإنجاز الهائل والرائع لعزيا من تحديث للجيش، وفتوحاته الكثيرة لمناطق فلسطينية، جعلته في مصاف المتحكمين تجارياً في الطرق الرئيسية، بالإضافة إلى تجارته المتسعة مع العربية، وإعادة تشييد الطريق التجاري لميناء مدينة إيلات (عصيون جابر سابقاً)، وتطويره للزراعة. وقد عرف عنه أنه أحب الأرض لأنه كان يحب الفلاحة (٢أخ ٢٦:١٠).

غير أن عزيا واجه ظروفاً قاسية أزعجت رجال يهوذا خلال حكمه، منها إصابته بالبرص عام ٧٥٠ ق.م تقريباً. وعزله في بيت خاص مما أطفأ شهرته ومجده، وتولى ابنه يوثام (كما سلفت الإشارة) كولي للعهد على البيت وحاكماً للشعب (٢مل ١٥:٥). ويرى علماء الكتاب بأن إصابة الملك عزيا بالبرص ترجع إلى رغبة قلبه أن يكون رئيساً سياسياً ودينياً. «ولما تشدد ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب إلهه، ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور» (٢أخ ٢٦:١٦) وهذا مخالف لشريعة الرب الذي يحل للكهنة فقط من نسل هرون المقدسين بدخول الهيكل حتى يبخروا بخوراً أمام الرب (قارن عدد ١٦:٤٠).

«ودخل وراء عزيا إلى الهيكل عزريا الكاهن، ومعه ثمانون من كهنة الرب بني بأس وقاوموا عزيا الملك. وقالوا له ليس لك يا عزيا أن توقد للرب، بل للكهنة بني هرون المقدسين للإيقاد. أخرج من المقدس لأنك خنت (لأنك لم تلتزم

بشريعة الرب) وليس لك من كرامة عند الرب الإله (وكانوا على استعداد أن يخرجوه عنوة). فحنق عزيا وكان في يده مجمرة للإيقاد وعند حنقه على الكهنة خرج برص في جبهته أمام الكهنة في بيت الرب بجانب مذبح البخور... فطردوه من هناك. حتى أنه هو نفسه بادر إلى الخروج لأن الرب ضربه» (٢أخ ٢٦:١٦-٢٠) غير أن اسم عزيا ظل رمزاً لقوة واستقرار يهوذا (قارن إش ٦:١).

وفي الوقت الذي بدأت فيه مملكة الشمال (المملكة الإسرائيلية) في الانهيار بعد موت يربعام الثاني (بن يوآش)، بدأت يهوذا في الازدهار وعادت إلى ما كانت عليه من تقدم أيام حكم الملك سليمان، إلا أنه لاح في الأفق تهديد الإمبريالية الأشورية بصعود تغلث فلاسر إلى الحكم.

وفي هذا الوقت، وبالتحديد في السنة التي مات فيها عزيا الملك عام ٧٤٢ ق.م دعي إشعياء ليكون نبياً للرب مرسلاً لإسرائيل. ودام دور إشعياء النبوي قرابة أربعين عاماً. تغيرت خلالها خريطة العالم السياسية، بعد أن تعاقبت الأزمات والأحداث. وقد وقع الحدث التاريخي الأول أيام إشعياء عام ٧٣٥ ق.م عندما غزت جيوش آرام (سوريا) وأفرايم (إسرائيل) أرض يهوذا، لإرغامها على الدخول في تحالف معها ضد الزحف الأشوري (قارن إشعياء ٧:١-٢)، ولم يتم ذلك (قارن أعداد ٣-٧)، وكان هذا بلا طائل فقد كُتب له الفشل، لأنه في عام ٧٣٣ ق.م - ٧٣٢ ق.م هزم تغلث فلاسر سوريا وقتل رصين ملكها (قارن ٢مل ١٦:٧-٨).

كما تقدم تغلث فلاسر ملك أشور نحو أرض إسرائيل أيام فقح بن رمليا ملكها وأخذ عيون، وآبل بيت معكه، ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالي وسباهم إلى أشور (٢مل ١٥:٢٩).

أما الحدث الثاني الذي وقع في حياة النبي إشعياء عام ٧٢٢ ق.م عندما ثار سخط شلمنأسر الخامس ضد إسرائيل وحاصر السامرة عاصمة المملكة، وخلال حكم سرجون الثاني ملك أشور، سارت جيوش أشور نحو مدينة أشدود عام ٧١٢ ق.م. (قارن ٢مل ١٧:٣-٥). وفي ختام خدمة النبي إشعياء، حاول سنحاريب ملك أشور (ابن سرجون) أن يستولى على مدينة أورشليم أيام حزقيا ملك يهوذا عام ٧٠١ ق.م. غير أنه هُزم هزيمة ساحقة (قارن ٢مل ١٨:١٧-١٩:٣٧، إشعياء ٣٦:١-٣٧:٣٨).

ومن خلال هذه الأزمات السياسية أدرك النبي إشعياء بأن أي تحالف ضد أشور، كان بمثابة عهد مع الموت. وقد تعلمت إسرائيل ذلك بالتجربة المريرة ورغم هذا لم يكن النبي إشعياء مجرد محلل سياسي. بل كانت مسئوليته الأساسية كنبي هي تفسير ما يقوله الرب من نبوات وإعلانات. وماذا هو عامل في الأحداث السياسية الراهنة.

الكاتب وزمن الكتابة

تعرَّض سفر إشعياء لمناقشات عديدة ومطولة عمن هو كاتب السفر. وسوف نستعرض الآراء المختلفة والمشاكل العديدة التي نجمت عن الدراسات النقدية.

ساد الاعتقاد لسنين بل لأجيال عديدة أن النبي إشعياء هو كاتب السفر كله المكون من ستة وستين أصحاحاً. غير أنه انتشر هذه الأيام الاعتقاد بين الدارسين النقديين أن إشعياء النبي الذي عاش في القرن الثامن ق.م لم يكتب الجزء الثاني (من أصحاح ٤٠-٦٦).

وجاء في التلمود اليهودي بابابترا Baba Bathra 15a أن حزقيا وأصحابه، كتبوا سفر إشعياء والأمثال، ونشيد الأنشاد وسفر الجامعة.

ولفترة طويلة اعتقد بأن الأصحاحات من (٤٠-٦٦) كتبت بواسطة العديد من الكاتبين غير أن البعض الآخر يعتقد بوحدة هذه الأصحاحات مثل جيزينيس W.Gesenius والذي يدافع بقوة عن هذه الأصحاحات ويؤمن بأن

(إشعياء ٤٠-٦٦) كتبها نبي غير معروف عاش بالقرب من نهاية السبي. وخلال القرن التاسع عشر انقسم العلماء إلى قسمين منهم من يفكر بأن إشعياء هو الكاتب للسفر بجملته والأصحاحات من (٤٠-٦٦) تنسب إلى وقت السبي، وكتبها شخص غير معروف أُطلق عليه إشعياء الثاني. وانتشر هذا الرأي السلبي بواسطة جورج آدم سميث عام ١٨٨٩م.

ومن الناحية الأخرى تصدى الكثيرون لهذا الرأي من علماء الكتاب المقدس الذي يؤمنون بأن إشعياء هو كاتب السفر بجملته ومنهم:

Moritz Drechsler, Carl Paul Caspari, Joseph A. Alexander ووصل تفسير سفر إشعياء إلى قمته بواسطتهم. ومن البعض الآخر من ذهب إلى أبعد من ذلك مثل برنارد دوهم Bernhard Duhm من بازل، بقوله إن الصيغة النهائية لسفر إشعياء ظهرت على يد شخص خلال القرن الأول ق.م إلا أن اكتشاف مخطوطات البحر الميت (قمران ١٩٤٧م) والتي عثر من بينها على سفر إشعياء بجملته دحضت هذا الاعتقاد، حيث يرجع تاريخ كتابة هذه المخطوطة إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد.

ويعتقد دوهم B.Duhm بأن الأصحاحات من (٤٠-٥٥) يُطلق عليها إشعياء الثاني وأن الأصحاحات من (٥٦-٦٦) إشعياء الثالث، باستثناء النصوص الخاصة بالعبد المتألم، التي يعتقد أنها كتبت بواسطة شخص عاش في لبنان أو سوريا وليس في بابل وذلك عام ٥٤٠ ق.م تقريباً. كما يرى أن الأصحاحات من (٥٦-٦٦) كتبت بواسطة شخص عاش في أورشليم قبل عصر نحميا بقليل، وهذا الكاتب غير المعروف يطلق عليه إشعياء الثالث.

والأسباب التي يطرحها بعض النقديين للتفرقة بين أجزاء السفر تتلخص في:

أولاً: تباين الظروف التاريخية لجزئي السفر

من (إش ١ إلى ٣٩) كان الشعب لايزال يحيا في أرض يهوذا في ظل ملوك من نسل داود، وأورشليم هي المدينة المقدسة التي لم يسمح لها الرب بعد بالسقوط وكذلك الهيكل. ويتضح ذلك من دعوة إشعياء في هيكل الرب (إش ٦).

أما من الأصحاح الأربعين - كما يرى النقديون - فنلاحظ تغيراً شاملاً ونجد مدن يهوذا وقد صارت خربة، وتهدم الهيكل، والشعب في السبي (قارن إش ٤٤:٢٦، ٤٩:١٩، ٥١:٣) وتظهر بابل بأنها الإمبراطورية السائدة (أصحاح ٤٧)، رغم أن نهاية حكمها صار وشيكاً (٤٨، ١٤، ٢٠، ٥٢:١١-١٢) وجاء كورش كمختار الرب الذي سيقرر إعادة بناء الهيكل (٤٤:٢٨، ٤٥:١).

ثانياً: أسلوب الكتابة والتعليم اللاهوتي

يرى النقديون أيضاً أن أسلوب الكتابة يؤكد بأن الأصحاحات من (٤٠-٦٦) لم يكتبها إشعياء الأورشليمي خلال القرن الثامن ق.م. ولغة التعليم اللاهوتي الجديدة، تعطي هذه القصائد نغمة مختلفة تماماً عن تلك التي نجدها في (إشعياء ١-٣٩).

وفي (إشعياء ١-٣٩) يتحدث النبي إلى يهوذا بلغة التحذير والتوبيخ عن اقتراب يوم الدينونة، وأورشليم لازالت قائمة، ويطلب إلى الشعب أن يتوبوا وأمامهم الفرصة. لكن الجزء الثاني من إشعياء وهو من (٤٠-٦٦) يقدم شيئاً آخر. فهو يتحدث عن الدينونة والعقاب الذي وقع على أورشليم. إذ قبلت من يد الرب ضعفين عن خطاياها (إش ٤٠:٢). ويتحدث إشعياء (الثاني كما يُطلق عليه) برفق إلى أورشليم معلناً لشعب محطم بائس، بأن الرب آت لا ليدين بل ليحرر من العبودية، وليصفح ويغفر. إنها رسالة تعزية ورجاء (قارن ٤٣:١-٧، ٤٤:٢٨، ٤٥:١-٤٦:١، ٤٨:٢٠، ٤٩:١-٦، ٥٠:٤-٩، ٥٢:١٣، ٥٣:١٢).

ومما سبق يخلص العلماء النقديون أو المتحررون إلى القول بأن التعاليم الواردة في (إش ٤٠-٦٦) هي كلام نبي عاش في السبي بعد إشعياء القرن الثامن، إشعياء الأورشليمي بمائتي عام تقريباً. وكتاباته توضح بأن كورش الفارس كان قائماً في الحكم وله شهرته لانتصاراته على ملوك ليديا ومنطقة الشمال من بابل عام ٥٤٦ ق.م (قارن ٤١: ٢-٣، ٢٥ عن انتصارات كورش)، ويرجح أن إشعياء الثاني في هذه الحالة يكون قد كتب عام ٥٤١ ق.م تقريباً.

وعليه فإن كلمة الأنبياء تكون قد وجهت إلى أحداث تاريخية واقعة، ولم تكن نظرتهم موجهة إلى المستقبل البعيد وتنبؤاتهم عن المستقبل كانت مرتبطة بالحاضر ومبنية على الموقف الراهن. كما لم ترد أية إشارة في (إش ٤٠-٦٦) ولو مرة واحدة بأن إشعياء الأورشليمي هو كاتب هذه الأصحاحات كما يرى هؤلاء النقديون.

أما عن الإشارات الواردة في العهد الجديد عن إشعياء النبي. فلا تدل في نظرهم على أنه الكاتب، خاصة وأن الأسفار لم تكن مقسمة إلى أصحاحات وأعداد (تقسيم الأعداد تم ما بين ٩٠٠-٩٥٠م وتقسيم النص العبري للكتب المقدسة إلى أصحاحات تم عام ١٣٣٠م).

وأكثر من ذلك فإن كاتبي العهد الجديد لم يهتموا كثيراً بالسؤال النقدي عمن هو الكاتب بل كان جل اهتمامهم هو التعليم اللاهوتي وإتمام الوعد الإلهي.

يرى بعض المفكرين بأن الجزء الثالث من السفر (إش ٥٦-٦٦) كتب بواسطة أحد تلاميذ إشعياء الثاني الذي تحدث عن نفسه بأنه أحد المسبيين (٤٠-٥٥) بينما نجد أن (إش ٥٦-٦٦) يتحدث عن الشعب وقد عاد إلى أورشليم وهو يواجه مشكلات العودة. ويرى أندرسون بأنه كانت لإشعياء مدرسة للأنبياء (تتلمذوا على يديه) امتدت لأجيال عديدة. ونذكر بأن إشعياء جمع تلاميذه حوله ليربط ويختم التعليم بتلاميذه للمستقبل حيث لا يختفي وجه الرب عن إسرائيل (إش ٨: ١٦) «صر الشهادة وأختم الشريعة بتلاميذي»... ويتضح من ذلك أن إشعياء النبي أودع إعلاناته للحفظ مع الجماعة النبوية الأمينة، والتي حفظتها جيداً وأعادت صياغتها في ضوء التعاليم الأخيرة لإشعياء. وبعد موته سلمت إلى أحد تلاميذه، أما عن تشارلز توري C.C.Torrey of Yale فيري في كتابه الذي ظهر عام ١٩٢٨م أن الأصحاحات من (٤٠-٦٦) تمثل وحدة كتبها شخص عاش في أورشليم خلال القرن السادس قبل الميلاد.

ويرى البعض الآخر من الباحثين أن الجزء الثالث من السفر (٥٦-٦٦) يمثل غموضاً شديداً وصعوبة في تاريخ مادته، فمثلاً نجد في (٥٦: ١-٨) إشارة عن الهيكل القائم ونظام العبادة، وتقديم المحرقات وحفظ السبت، الأمر الذي يشير إلى زمن ما قبل السبي. والإشارة إلى وجود ملك في (إش ٥٧: ٩) والأصحاحات من (٦٠-٦٢) تبين أن المسبيين لم يعودوا بعد إلى فلسطين، لكن قد اقترب وقت عودتهم. كما وردت الإشارة في (٦٦: ١-٢) عن المسبين العائدين، وقد بدأوا في بناء الهيكل الذي تم عام ٥٢٠ ق.م.

وبهذا يمكن القول بأن الجزء الثالث من إشعياء والذي أطلق عليه إشعياء الثالث من (٥٦: ٦٦) تضمن مواداً يرجع تاريخها – في رأي هؤلاء الباحثين – إلى أزمنة ما قبل السبي وإلى زمان السبي وما بعد السبي في الوقت نفسه.

أما عن بريفرد تشيلدز Brevard Childs العالم والباحث المدقق والمعاصر، فيرى بأن مرجع التشتيت في الفكر، وعدم الأخذ بوحدة السفر، يعود إلى تناول العلماء والباحثين لسفر إشعياء، على أنه سفر تاريخي وليس سفر نبوة، مما أدى بهم إلى تفتيت السفر بالصورة التي شاهدناها سابقاً، غير أن السفر يمثل وحدة متكاملة. ومادة السفر – خاصة موضوع الخلاق (٤٠-٦٦) أبعد من أن تكون قصة تاريخية، بل هي شهادة أمينة للوعد الإلهي، وإتمام خلاص الله لشعبه في كل عصر وكل مكان بواسطة إشعياء نبي القرن الثامن قبل الميلاد. ورسالة النبي رسالة وعد موجهة إلى المستقبل كما أن رسالة السفر تتعلق بخطة الله الفدائية في التاريخ وإعلان الغفران الذي يشمل إسرائيل الخاطيء

التائب وكل شعب تائب في كل عصر.

إن سفر إشعياء يُعد رسالة ممتدة لخطة الله لشعبه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة في كل العصور (قارن ٤٠:١٠-١١، ٥٦:٣-٧، ٦٦:١٩-٢١)[1].

ويرى إدوارد يونج E.Young أن كاتب الجزء الثاني من إشعياء (٤٠-٦٦) لا يمكن أن يكون قد عاش زمن السبي كما عبر العلماء النقديون آنفاً - لأن كاتب هذه الأصحاحات (٤٠-٦٦) لابد وأنه عاش طوال حياته في أرض فلسطين. لأنه لا يظهر دراية أو معرفة بأرض بابل، أو ديانتها حسبما نتوقع من شخص أقام بين المسبيين. غير أن كاتب هذا الجزء يتحدث عن أورشليم وجبال فلسطين. ويذكر بعض الأشجار التي تنمو في فلسطين مثل الأرز والسنديان والبلوط (إش٤٤:١٤، ٤١:١٩) وفي (٤٣:١٤) يتحدث عن أناس ليسوا في بابل وفي (٤١:٩) يتحدث عن إسرائيل كنسل إبراهيم الذي أخذه من أطراف الأرض. والتعبير من أطراف الأرض، تعبير مألوف لكاتب يعيش في أرض الموعد كما يرى يونج E.Young (قارن إش ٤٥:٢٢، ٤٦:١١). كما توجد النصوص العديدة الأخرى التي تتناسب وزمن السبي. فقد وردت الإشارة في (٦٢:٦) عن أسوار أورشليم القائمة. وفي (إش ٤٠:٩) عن مدن يهوذا وصهيون الكائنة (قارن أيضاً ٤٣:٦، ٤٨:١،٥). بالإضافة إلى أن إشعياء النبي كتب هذه الأصحاحات بروح النبوة والتطلع إلى خلاص الرب لشعبه، وتخليصهم بقوة رفيعة وذراع ممدودة، والعودة بهم من السبي مستقبلاً إلى أرضهم التي تفيض لبناً وعسلاً. كما أن هناك تشابهاً واضحاً وجلياً في الأسلوب والتعبير بين جزئي السفر (قارن ٤٠:٥ مع ١:٢٠، ٤٣:١٣ مع ١٤:٢٧، ٦٥:٢٥ مع ١١:٩).

شهادة العهد الجديد لوحدة السفر

وردت الإشارات والاقتباسات العديدة في العهد الجديد من سفر إشعياء، أكثر من أي سفر آخر. في إنجيل متى ولوقا ويوحنا وسفر أعمال الرسل ورسالة بولس الرسول إلى أهل رومية. مما لا يترك مجالاً للشك من خلال فهم العهد الجديد بأن إشعياء نبي القرن الثامن وهو كاتب كل السفر (الستة والستين أصحاحاً) وأمثلة ذلك:

أ- جاء في إنجيل يوحنا (١٢:٣٧-٣٨) «ومع أنه (أي يسوع) كان قد صنع آيات هذا عددها لم يؤمنوا به، ليتم قول إشعياء النبي الذي قاله...» (قارن إش ٥٣:١) «يارب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب»، وتبعه بذلك شرح في (عدد ٣٩ من يوحنا ١٢) لماذا لم يؤمن به الشعب؟ «لأن إشعياء قال أيضاً قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم». وهذه الكلمات مقتبسة من (إشعياء ٦:٩) وتلت ذلك كلمات هامة ورائعة في (عدد ٤١ من يوحنا ١٢) «قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه».

نخلص مما سبق أن يوحنا (١٢:٣٧-٤١) به اقتباسات من (إشعياء ٥٣) وإشعياء الأصحاح السادس منسوبة إلى شخص إشعياء النبي ككاتب لها بالروح القدس.

ب- في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (٩:٢٧-٣٣) يستخدم الرسول بولس وبكثرة أقوالاً من نبوة إشعياء. ففي (عدد ٢٧ من رومية ٩) يذكر: «وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل». ويقصد الرسول بولس من هذه الكلمات أن النبي إشعياء نفسه الذي يعلن رسالته النبوية كان يصرخ في شعب إسرائيل كما أنه يتبع ذلك اقتباس من (إشعياء١٠) واقتباس آخر من (إش ١:٩) يستهله بكلمات «وكما سبق إشعياء فقال» (رومية ٩:٢٩). وفي (عدد ٣٢ من رومية ٩) يستخدم الرسول بولس لغة إشعياء (٨:١٤). وفي (عدد ٣٣ أيضاً في رومية ٩) يقتبس (إش ٢٨:١٦).

ج- في رسالة رومية (١٠:١٦-٢١) يقدم الرسول هذا الجزء بالكلمات «كما هو مكتوب» (١٥أ). ويتبعه

(1) B.S. Childs, Introduction to the Old Testament as Scripture, (pp.235-339)

باقتباس من (إشعياء ٥٠:٧أ). وفي (العدد ١٦ من رومية ١٠) وردت الكلمات: «لأن إشعياء يقول...» ثم اقتباس من (إش ١:٥٥) ثم تأتي العبارة «ثم يتجاسر إشعياء ويقول»، ثم اقتباس من (إش ١:٦٥) ثم في (عدد ٢١ من رومية ١٠) اقتباس آخر من (إشعياء ٢:٦٥).

مما سبق يتضح لعلماء الكتاب المحافظين، مدى الترابط الوثيق بين أجزاء السفر المختلفة، وأن إشعياء بن آموص هو الذي كتب سفره ما بين عام ٧٤١-٧٠١ ق.م تقريباً.

النبي إشعياء ودعوته

كان إشعياء النبي ابناً لآموص. وجاء في التقليد اليهودي بأنه جاء من أسرة أرستقراطية عريقة، تمتد أصولها إلى العائلة الملكية كابن عم الملك عزيا أو حفيده. وكان رجلاً روحياً عُرف عنه أنه سفير الله العلي. يتحدث في حزم وقوة وسلطان واضح مثل إرميا وحزقيال وآخرين. وربما كان إشعياء كاهناً في نفس الوقت حيث كان في الهيكل حين رأى رؤياه، وتلقى دعوته من الرب الجالس على كرسي عالٍ وأذياله تملأ الهيكل (إش ٦:١-٤) حتى يتمكن من دعوة رئيس الكهنة أوريا الكاهن كأحد الشاهدين الأمينين من قبل الرب على رسالته (٢:٨، قارن ٢مل ١٦:١١). ويوجه النبي بسلطان كامل اتهامه وشجبه لأعمال بعض الكهنة والأنبياء، التي لا تختلف كثيراً عن القادة العاديين (إش ٧:٢٨، قارن ٢:٣، ٩:١٥، ٢٩:١٠). وواضح إن إشعياء كان على علم بأسلوب حياة الطبقات الحاكمة، وينتقدهم بشدة لفشلهم في إحقاق الحق ورفع الظلم عن الفقير والبائس، وعلى حياة المجون والاستهتار (إش ٣:١١-١٦، ٥:٧-٨، ٧:٢٨-٨، ٥:٢٣) والحياة غير الدينية، وربما كان من المقربين إلى الملك بل ربما كان عضواً استشارياً (٧:١-١٧، قارن ١٠:٢٤-٢٧، ١٤:٢٤-٣٢).

غير أن إشعياء لم يكن في معزل عن الحياة الريفية وأحوالها. فقد لاحظ الحيوانات وهي راجعة إلى الإسطبل وإلى الحظائر (١:٣، ٨، ٢١:١١-١٢) والكروم (٥:١-١٠) والمحاصيل الزراعية (٢٨:٢، ٢٩:٥).

وتعد دعوة إشعياء ليكون رسول الملك الأعظم (إش ٦) من أهم النصوص في الكتابات النبوية.

«وفي سنة وفاة عزيا الملك» في وقت عصيب تلقى النبي دعوته حيث كان عزيا يمثل قوة فائقة للشعب. وكان الملك في القديم يمثل كل شيء بالنسبة للشعب. بل كان بمثابة روح الشعب، ومن الملك تخرج البركة والقوة إلى الشعب(1).

لقد كان موت عزيا حدثاً لمس حياة الشعب كله، وبصفة خاصة لضعف ابنه يوثام، الذي تولى من بعده وظلال أشور تطل بشرها. وفي لحظة كهذه يقول إشعياء النبي:

«رأيت السيد» رأيت الملك، وعلى الشعب أن يدرك هويته، إنه ملك متوج على العالم، رب الجنود (رب الجيوش السماوية) (قارن قض ٢٠:٥). وكان مكان رؤيا إشعياء في الهيكل، هيكل سليمان، حيث رأى إشعياء السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع. وكان الجميع يهتفون قدوس قدوس قدوس مجده ملء كل الأرض. إنها ترنيمة التمجيد المسموعة إلى اليوم ترنيمة تنصيب الله الجالس على العرش السماوي الذي ملأ مجده كل الأرض، على العالم بجملته - اتزر الرب بالجلال، سيد كل الخلائق والقابض على مصائر الشعوب - رب الكون وصانع التاريخ (قارن مزامير ٤٧، ٩٣، ٩٦-٩٩).

رب الجنود مجده ملء كل الأرض (٣:٦)

ليس الرب ملكاً على إسرائيل ويهوذا فقط بل هو ملك على كل الأرض، ملك فوق الجميع. السرافيم واقفون فوقه

(1) Pedersen Johannes, Isreal: Its Life and Culture, Vol I, p.275

لكل واحد ستة أجنحة، باثنين يغطي وجهه من مجد الرب العظيم، وباثنين يغطي رجليه من قداسة الله، وباثنين يطير لينجز مهامه المطلوبة منه. ويصور النبي ميخا صورة المجلس السماوي متمثلة في رؤياه «رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره» (١مل ٢٢:١٩) قارن (مزامير ٨٢، ٩٥:٣، ١٠٣:١٩-٢٢، ١٤٨:٢) «ملك عظيم على كل الآلهة».

وسمع إشعياء صوت السيد الرب قائلاً بصيغة الجمع: «من أُرسل ومن يذهب من أجلنا» (٦:٨). إن الرب يتحدث هنا إلى السرافيم وعنهم. ويدخل إشعياء في حديث المجلس السماوي قائلاً «هأنذا أرسلني» ويعضده الرب بالقوة «اذهب» ومن هنا يدرك النبي إنه رسول الرب الممجد. والمتوج ملكاً فوق الجميع بعد مؤازرة النبي من المجلس السماوي (قارن ٢٣:١٨، ٢٢).

ويل لي إني هلكت... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود

لقد سمح لإشعياء أن يرى ما أخفي عن عيني موسى (خروج ٣٣:٢٠) ويردد قائلاً: «ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين» (عدد ٥). إنه شعور بقداسة الله التي وضحت في (سيناء) قديماً (خروج١٩). إنه الله لا إنسان (هوشع ١١:٩) وفوق كل تصور إنسان (قارن خروج ٣٢ عن العجل الذهبي). إنه متعال في البر وفي محضره لا نجس أو أثيم أو مذنب أو عابد وثن يستطيع أن يحيا، لذلك اضطرب إشعياء واعترف بذاته في محضر الله بعد أن استمع إلى أنشودة التسبيح من السرافيم (ملائكة التطهير) (إش ٦:٤-٩) قائلاً: ويل لي إني هلكت. فطار إليه واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فم النبي قائلاً له «إن هذه قد مست شفتيك فانتُزع إثمك وكُفر عن خطيتك» (٦:٧).

إنه يحتاج إلى التطهير قبل أن يقوم برسالته، قبل أن يكون إشعياء رسول العلي القدوس. وقد استطاع بعد التطهير أن يجيب بملء الفم : «هأنذا أرسلني».

ورسالة النبي من الرب أتت إليه: «اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا» إنها إرادتهم ورغبتهم الشخصية المحضة كما يصورها لنا أحد العلماء. ولعل النبي إشعياء أدرك المعنى الحقيقي لهذه الكلمات: «غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى» (عدد ١٠)، إنه بإعلان النبي عن رحمة الله الغنية ومحبته العميقة التي تحيط بالشعب، ودعوته المستمرة والمتكررة لهم بالتوبة والرجوع إلى الرب يجعل الشعب أكثر صلابة وقسوة وعناداً. لأن النور الوهاج يصيب العيون الرمداء بالعمي والصوت المتكرر المرتفع يفقد السمع. إنه الرب الرحيم والرؤوف غافر الإثم وصافح عن الذنب، لا يحفظ إلى الأبد غضبه وهو يسر بالرأفة (قارن خروج ٣٤:٦-٧، يونان ٤:٢، ميخا ٧:١٨-١٩). إنه الإله المحب الذي يشهد عليهم السموات والأرض قائلاً: «اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم. ربيت بنين ونشأتهم. أما هم فعصوا عليّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم» (١:٢-٣). «ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين. تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء» (١:٤).

ويتساءل النبي إشعياء: «إلى متى أيها السيد». ويجيبه الرب: «إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض... ويكثر الخراب في وسط الأرض» (٦:١١-١٣). ولا يبقى فيها عشر، إلا ويصير للخراب أيضاً.

ولكن يوجد رجاء. فإن الظلام سيتبدد بقبس من النور السماوي الذي سينعكس من البقية القليلة الباقية. كالبطمة

والبلوطة التي وإن قُطعت فلها ساق يكون زرعاً مقدساً. ولسوف تتجدد الحياة المقدسة في الشعب.

إن لرب الجنود يوماً (٢:٦-٢١)

في الوقت الذي رأى فيه إشعياء السيد الرب، ومجده الذي يملأ الأرض، وسمع ترنيمة السرافيم بإعلان قداسته، يرى النبي الشعب في ضلاله وبُعده عن نبع سعادته وقد ساد عليهم الظلام فيدعوهم قائلاً: «هلم فنسلك في نور الرب». ولكن بلا جدوى : «لقد امتلأت أرضهم فضة وذهباً. ولا نهاية لكنوزهم وامتلات أرضهم أوثاناً. إنهم يسجدون لأوثانهم عمل أيديهم وصنعة أصابعهم» (٢:٧-٨) فيعلن الحقيقة المؤكدة، بأن لرب الجنود يوماً على كل متعظم، على كل مُرتفع فيوضع. ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. فيُخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الإنسان وتزول الأوثان بتمامها. إن كنوز الإنسان ليست شراً في ذاتها، لكنها تصبح منبعاً للشرور وقت أن يثق فيها الإنسان وتصير موضوع اهتمامه. والوثن بالنسبة للإنسان هنا هو الثقة في أي شيء غير الله خالقه وفاديه. في ذلك اليوم سيطرح الإنسان وأوثانه الفضية، وأوثانه الذهبية التي عملها له للسجود. ويسمو الرب وحده ويتمجد في ذلك اليوم. إنه يوم ظلام لا نور لكل عابد وثن يبحث عن سعادته بعيداً عن إلهه السرمدي.

لقد انتظر الرب حقاً في بيت إسرائيل ورجال يهوذا فإذا سفك دم، وعدلاً فإذا صراخ (٥:٧). لذلك يشبههم إشعياء في أنشودته بالكرم الذي كان لذلك الحبيب على أكمة خصبة وبذل كل جهده لإصلاحه، نقبه ونقى حجارته وغرسه وبني برجاً في وسطه، وأحضر معصرة فانتظر أن يصنع عنباً صنع عنباً ردياً ويتساءل الكرام: «ماذا يُصنع لكرمي وأنا لم أصنعه له. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً ردياً. الآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي. أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس، وأجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك، وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً».

ثم يذكر أنه على الشعب أن يمثل للمحاكمة أمام قاضيهم (١:١٨-٢٠، ٣:١٣-١٥) بعد أن تفشى المرض واستفحل في أجسامهم (١:٤-٦) كما أنه في (٥:٨-٢٤) يتحدث بالويلات على الظالمين وغير الأبرار.

إن قصد الرب لهم ليس للتدمير، بل أن يستعيد الإنسان صحته، ويصير إسرائيل شعباً مقدساً يخدمون ملكهم، مثل إشعياء الذي غُفر إثمه وكُفِّر عن خطيته، وصار طاهراً. لقد طلب الرب أن يطهر الشعب كما بنار من خلال الألم الرهيب لتصبح أورشليم المدينة الجديدة مدينة البر (العدل) لتصبح القرية الأمينة (١:٢٤-٢٦ قارن الأعداد ٢١:٢٣).

التحالف ضد يهوذا

لقد تحالف أرام وأفرايم (سوريا وملكها رصين، وإسرائيل وملكها فقح بن رمليا) ضد يهوذا وملكها آحاز.

بالعودة إلى الأصحاحين السابع والثامن أي بعد سنين قليلة من دعوة إشعياء ولدت زوجته المشار إليها بالنبية (٨:٣) ابنا يسمى شآر ياشوب (٧:٣). ومثلما أعطى هوشع النبي أسماء رمزية لأولاده - هكذا ابن إشعياء صار آية حية من الرب - علامة وتأكيداً واضحاً لرسالة النبي إذ يُعني بالاسم «البقية ستعود» وفي الاسم تذكره بضرورة وحتمية العودة بالتوبة إلى الله (٦:١١).

فمن جانب يعني بالاسم معنى سلبياً أي أن البقية فقط ستعود (ترجع إلى الرب) والجانب الآخر الإيجابي هو أن البقية سترجع (قارن ١٠:٢١-٢٣) وهذا واضح من الآيات الختامية في الأصحاح السادس التي تتضمن قضاء ورجاء.

إن الأصحاح (٧-٨) يتحدث عن الأزمة الأرامية - الأفرايمية (سوريا وإسرائيل) - ضد يهوذا والتي وقعت عام

٧٣٣-٧٣٢ ق.م حينما تولى آحاز في يهوذا بعد موت أبيه عزيا (٧٣٥-٧١٥ق.م) وواجه الملك الشاب آحاز متاعب سياسية أكبر منه وفوق مستوى طاقته، ورثها عن أبيه. فقد اتحد ملكا أرام وأفرايم (الملك رصين والملك فقح بن رمليا) على مهاجمة يهوذا ليعينوا عليها ملكاً آخر بعيداً عن نسل داود بدلاً من آحاز، حتى يكون لعبة في أيديهم (٧:٦). ومن ثم فقد ارتعب آحاز جداً. وامتلأ قلبه وقلوب الشعب معه بالخوف، واهتزوا جداً كما تهتز الأشجار أمام الريح. وأقدم آحاز على تقديم ابنه محرقة في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل (٢مل ١٦:٣). ولعله أقدم على هذا العمل الوثني البغيض والمكروه من الرب، ظناً منه أنه ينال رضى الله، حتى يمنع عن مدينة أورشليم الغضب الإلهي الذي وقع عليها (قارن عمل الملك الموآبي ٢مل٣:٢٦-٢٧). وكان الموقف عصيباً وأليماً. وكقائد مسئول كان على آحاز الملك أن يختار بين قبول الهزيمة على أيدي الغزاة أو يطلب عوناً من الخارج.

في هذه الحالة أتت رسالة النبي إشعياء إليه بسيطة الفهم وواضحة. «توكل على الرب» واهدأ بالأ «ولا تنزعج» بمعنى أن يثق بالكامل في الرب ويمتلأ قلبه بالسلام، وألا يقلق على غزو أورشليم، لأنه فوق كل تصور سياسي أو حصون قوية توجد سيادة الله العامل بقوة. إنه صانع التاريخ. لأن رأس آرام دمشق ورأس دمشق رصين الملك ورأس أفرايم السامرة ورأس السامرة فقح بن رمليا ملكها (٧:٨-٩)، إنهم أناس وليسوا آلهة وهدفهم هو تمليك شخص آخر ليكون أداة طيعة في أيديهم وهو ابن طبئيل (إش ٧:٦) ويرجح بأنه كان أرامياً. «إن هذا لن يتم»، ولا يقوم لأن الرب مرتبط بوعد - بعهد رحمة - مع داود ونسله من بعده، ويؤكد إشعياء بأنه «إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا». ليكن لكم الإيمان الكامل الواثق. ففي الرب وبالاتكال عليه يتم الخلاص (قارن مزمور ٤٦:٨-١٠). دعك أيها الملك آحاز من كل تحالف بشري، وارفع وجهك إلى القدوس المجد. إنه الملك الحقيقي (قارن إشعياء ٢٨:١٦، ٣٠:١٥). وإن لم يكن لك الإيمان الثابت في الرب فلا ثبات لكم أمام بني البشر.

وبهذا أراد إشعياء النبي من الملك آحاز أن يعدل عن اللجوء إلى أشور للنجاة من الحصار على يهوذا. ويطلب إلى الرب إلهه. لكنه لم يستطع ذلك، وكان على إشعياء أن يقدم لآحاز آية تأكيداً لعناية الرب بشعبه وضرورة اللجوء إليه وحده ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلاً (٧:١١-١٤).

أطلب لنفسك آية من الرب إلهك

فقال آحاز لا أطلب ولا أجرب الرب.

ولكن يعطيكم السيد نفسه آية (٧:١٤)

ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل.

اقتبس البشير متى هذه الكلمات كنبوة عن ميلاد يسوع المسيح العذراوي (مت ١:٢٣)، وهذه النبوة تحققت في يسوع المسيح، وهذا هو البعد النبوي.

أما عن البعد التاريخي أو الخلفية التاريخية فتتمثل في الكلمات الواردة في العددين التاليين (١٥-١٦ من الأصحاح السابع) «زبداً وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير، لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير، تخلى الأرض التي أنت خاش من مليكها». إذ كان آحاز يخشى ملكي أرام وأفرايم اللذين تحالفا ضده (رصين وفقح بن رمليا). أي أنه قبل أن يبلغ الصبي سن الثانية أو الثالثة من العمر، السن التي يمكنه أن يتناول فيها زبداً وعسلاً. الأمر الذي أكده إشعياء في (٨:٤) قائلاً: «قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور» فليس هناك من سبب إذاً حتى يرجف الملك آحاز من تهديدات هذين الملكين اللذين جاء عنهما بأنهما مجرد «شعلتين مدخنتين» (٧:٤).

بالإضافة إلى أن النبي إشعياء يستخدم أداة التعريف (ال) العذراء הָעַלְמָה كما لو أنه يشير إلى إمرأة بعينها معروفة لآحاز حيث تعني الكلمة العبرية (إمرأة شابة)، يمكن أن تكون متزوجة أو عذراء (قارن تك ٢٤:٤٣، خروج ٢:٨، أمثال ٣٠:١٩) وبهذا يمكن احتواء التفسير التاريخي والنبوي المشار عنه في إنجيل متى (١:٢٣).

والكلمة العبرية الدقيقة لعذراء فهي بتوله בְּתוּלָה أما الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم من العبرية) والتي ظهرت في أواخر القرن الثالث ق.م فاستخدمت الكلمة برثينوس Parthenos والتي تعني بتوله (٧:١٤، قارن أيضاً تك ٢٤:٤٣، ٣٤:٣).

وبهذا تكون الكلمة عذراء مأخوذة مباشرة من السبعينية.

وتدعو اسمه عمانوئيل

ويعني الاسم في اللغة العبرية «الله معنا» بمعنى لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ذنبي هاتين الشعلتين المدخنتين بحمو غضب رصين وآرام وابن رمليا لأن أرام تآمرت عليك بشر قائلة: نصعد على يهوذا ونقوضها ونُملك في وسطها ملكاً آخر، هكذا يقول الرب لن يتم هذا (قارن إش ٧:٤-٧). بل يتقدم النبي إشعياء إلى ما هو أعمق وأبعد من ذلك، وتحد لقوى الظلم، في ثقة بالغة من أمانة الرب في الوعد بالأمان والطمان قائلاً: «هيجوا أيها الشعوب وانكسروا وأصغي يا جميع أقاصي الأرض احتزموا وانكسروا تشاوروا مشورة فتبطل. تكلموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا» (عمانوئيل). (إش ٨:٩-١٠) إن حضور الله في وسطهم سيكون آية في ذاتها، لإعلان مجد الرب المنقذ لهم من النار الممحصة، إلى فجر يوم جديد. سيحيا عمانوئيل معهم حياة البرية هذه بكل معانيها.

والبرية في مفهوم هوشع النبي لها معنيان: المعنى الأول: إن البرية للتهذيب والتأديب والتقويم. والمعنى الثاني: تكون فيه البرية فرصة لبداية جديدة وتصبح مكاناً لإعادة التفكير وفتح باب للرجاء (قارن هوشع ٢:١٤-٢٣). أما عن الطعام، الزبد والعسل فهو مرتبط بالأرض التي تفيض بالخيرات وآية بمستقبل واعد، يكمن في الجانب الآخر من الأيام المظلمة الآتية، عندما يأتي ملك أشور تغلث فلاسر، ويسبي سبط نفتالي ويستولى على المدن الرئيسية الهامة في إسرائيل (٢مل ١٥:٢٩) عام ٧٣٢ ق.م تقريباً.

وسرعان ما يتبدد هذا الظلام، وينقشع بنور عظيم «لأن الشعب الساكن في الظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور». ويعظم فرح هذا الشعب كالفرح في الحصاد كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة، لأن النير قد تدحرج، وانكسر عصا وقضيب المسخرين. ويُرجع النبي مصدر هذا النور قائلاً: «لأنه يُولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمهُ عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» (إش ٩:٦، قارن مت ٤:١٥-١٦).

هذا الشعب رذل مياه شيلوه الجارية بسكوت وسُرَّ برصين وابن رمليا (٨:٦)

رغم كلمات التطمين والرجاء للشعب من الرب على فم النبي إشعياء، تجد الشعب وقد رذل مياه شيلوه التي تسير وتجري رقراقة وبهدوء، وسر برصين أرام وابن رمليا. ويحذر الرب مراراً من الكارثة التي ستحل بالتحالف بينهما. وجاء في (الأعداد ١-٥ من الأصحاح ٨) عن ميلاد الابن الثاني لإشعياء والذي دُعي مهيرشلال حاش بز كآية لآحاز الملك للإطمئنان والذي يُعني اسمه: (مُسرع إلى السلب مقدم إلى النهب)، إشارة إلى قدوم ملك أشور على المتحالفين رصين (ملك أرام) وابن رمليا (ملك إسرائيل). لأنه «قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق، وغنيمة السامرة قدام ملك أشور» (٨:٤).

وقد طلب الرب من إشعياء، أن يكتب بقلم إنسان على لوح كبير تذكاراً لابنه مهيرشلال حاش بز. هذه الكلمات

الواعدة بالخلاص والتمسك بالرب وخلاصه من المهاجمين. كما وثقت الكلمات بشاهدين أمينين، هما أوريا الكاهن وزكريا بن برخيا، حتى يقرأه كل إنسان مستقبلاً. ويذكر وعد الرب الأمين وآياته، شهادة لهم للتعليم والتهذيب، والتمسك به وليس آخر (قارن أعداد ١-٢). غير أن هذه الكلمات والآيات (أولاد إشعياء بأسمائهم المعنية ١٨:٨) لم يكن لها التأثير الفعال. لأن آحاز لم يكن له الإيمان الذي طلبه النبي منه، بل كان آحاز عقلانياً في مواجهة الأزمة السياسية. وفكر بعقله في الدفاع عن نفسه. بل إن ملك أدوم انتهز هذا المأزق، واسترد منه ميناء أيله، وكان قد كسبها الملك عزيا قبلاً (٢مل ٦:١٦) وطلب آحاز عون ملك أشور، وأفرغ كنوز الهيكل، وقصر الملك طمعاً في رضاه، وكان تغلث فلاسر فرحاً جداً بذلك، وجاء تلبية لطلب آحاز وحطم دمشق، وقتل ملكها رصين. وقسم سوريا إلى مقاطعات تابعة للإمبراطورية الأشورية. كما انتزع الجزء الأكبر من مملكة إسرائيل، وأخذ جمعاً كثيراً من الشعب وسباهم إلى أشور بعد قتله بن رمليا ملكهم (قارن ٢مل ٢٩:١٥، إش ١:٩) وبدت إسرائيل جزءاً صغيراً وبسيطاً من تخوم يزرعيل إلى تخوم يهوذا.

وذهب آحاز إلى دمشق ليقدم ولاءه وتقديره لتغلث فلاسر ويهنئه على انتصاراته، وبينما كان آحاز ملك يهوذا هناك حصل على شبه المذبح الأشوري وشكله حسب كل صناعته، وأرسله إلى أوريا الكاهن ليقيم مثله في هيكل الرب (٢مل ١٦: ١٠-١٨) وفي وقت كهذا لم يكن ممكناً الفصل بين الدين والسياسة، وامتثل أوريا لطلب الملك وصارت يهوذا خاضعة بل أداة في يد أشور. وما ورد في (١أخ ١٦:٢٨-٢٧) يوضح كم عانت مملكة يهوذا في ظل هذا الملك الضعيف الهزيل.

وبالنسبة لإشعياء: كان تصرف آحاز هذا دليلاً على ضعف إيمانه، والذي دفعت يهوذا ثمنه غالياً جداً. لاتباعهم خطوات ملكهم الهزيل آحاز. وطالما حذرهم إشعياء قبلاً واستنكر رفضهم مياه شيلوه الجارية بسكوت، وثقتهم في نهر الفرات الصاخب الذي لأشور (٦:٨) ويرجح البعض أن مياه شلوه هذه هي قناة البركة الصغيرة التي تجري مياهها من نهر جيحون إلى داخل سور مدينة أورشليم حيث ذهب آحاز إليها مرتجفاً وفزعاً. أو لعله يمنع الغزاة من قطع مياه البركة عن مدينة أورشليم.

فقال الرب لإشعياء «أخرج لملاقاة آحاز... وقل له احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعف قلبك من جراء تهديد هاتين الشعلتين المدخنتين». بمعنى أن رصين وفقح لا يشكلان خطراً على الإطلاق، وليكن لك الإيمان الواثق الهادي الساكن في الله الذي ملكوته أقوى وأبقى من أعظم الإمبراطوريات، كما نبه النبي إشعياء الملك آحاز بالحقيقة العظمى والهامة «إن لم يكن لهم الإيمان في الله خالق السموات والأرض فلا أمان لهم» (إش ٩:٧). وقد رأى إشعياء بعيني النبوة ملك أشور الذي أشير إليه بمياه نهر الفرات القوية والذي يغطي كل الأرض ويدمر ليس فقط أرام وإسرائيل، بل أيضاً يتدفق إلى يهوذا ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل(قارن ٨:٨).

إن كلمات إشعياء الموقظة للإيمان والرفعة لكل نفس متعبة وقعت على آذان صماء. وآياته المثبتة لكلماته، حتى ينجلي الحق ويبدو بيناً مرئياً، بانت بدورها لأناس عميان.

وقد ترتب على ذلك أن النبي ابتعد عن مواطنيه هؤلاء أصحاب الآذان الصماء والعيون غير المبصرة بأمر الرب له «وبشدة اليد». كما أنذره بأن لا يسلك في طريق هذا الشعب (١١:٨) وأكثر من ذلك أمر الرب إشعياء قائلاً: «صر الشهادة واختم الشريعة بتلاميذي» (١٦:٨). فلا وقت للحديث في هذا الأمر مرة أخرى، ولا مجال للمناقشة فيه حتى يتم ويتحقق كلام الرب هذا، ويدرك الشعب أن فم الرب تكلم، لقد انتهى الوقت.

وكانت كلمات النبي لتلاميذه أن يخشوا الرب وحده، ويقدسوه لأنه قوتهم وأن لا يرهبوا أو يخافوا مكايد الأشرار. وأخذ إشعياء موقعه بين هذه الجماعة الأمينة التي ستكون نواة لإسرائيل الجديد، بإيمان وصبر (١٧:٨) داعياً إياهم

بالتمسك بالشريعة واللهج فيها دائماً حتى يتبدد كل ظلام في حياتهم (٨: ٢٠).

وربط الشهادة مع تلاميذ إشعياء ربما قصد به سفر الشهادة (٦: ١-٩: ٧) والتي تضمنت ليس فقط مذكرات النبي المبكرة بل أيضاً كما رأينا الوعد العظيم والهام بمجيء الملك من نسل داود وانبثاق فجر جديد.

حزقيا رجل الإصلاح يتولى الحكم بعد آحاز أبيه

يعد تولي حزقيا الحكم عام ٧١٥ ق.م كما يرى العلماء نقطة تحول في مملكة يهوذا بعد أبيه آحاز، الذي كان ملكاً ضعيفاً بل أداة في يد الأشوريين. فقد كان حزقيا قائداً مقداماً، أدت سياسته إلى إصلاح ديني كبير، وإلى إعادة بناء أمته ليواجه قوة أشور، وليتحرر ولم سيطرتها على بلاده. وجاء في (٢مل ١٨) تقييم شامل لحكمه ومصدر قوته بالقول: «على الرب إله إسرائيل أتكل وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا، ولا في الذين كانوا قبله، والتصق بالرب ولم يحد عنه، بل حفظ وصاياه التي أمر بها الرب موسى. وكان الرب معه، حيثما كان يخرج كان ينجح، وعصى على ملك أشور ولم يتعبد له» (أعداد ٥-٧).

ومن أعظم إنجازات حزقيا: الإصلاح الديني الكبير، الذي أدى إلى هدم المرتفعات مراكز العبادة الكنعانية الشهيرة والتي كانت مثار تهديد لإيمان إسرائيل من البدء، كما كسر التماثيل وقطع السواري (رموز خشبية للإلاهة عشتاورث). ولم يكتف الملك حزقيا بذلك بل ذهب إلى هيكل أورشليم، وسحق الحية النحاسية التي عملها موسى (عدد ٢١: ٤-٩) والتي دعاها الشعب باسم نحشتان وعبدوها طوال قرون عديدة، بدلاً من أن يتخذوها رمزاً يذكرهم بمحبة الله وافتقاده لهم برحمته.

كما أزال حزقيا من هيكل الرب كل ما يتعلق بالعبادة الأشورية التي أدخلها آحاز أبيه (قارن ٢مل ١٦: ١٠-١٦) وأعلن استقلاله عن أشور، ونجح في ذلك حيث كان سرجون ملك أشور منهمكاً في حربه على جبال شمال ما بين النهرين.

ومن مجهودات حزقيا السياسية بناء قناة وبركة سلوام في نهاية حكمه، عندما كانت المعاناة السياسية على أشدها (٢مل ٢٠: ٢٠، قارن ٢أخ ٣٢: ٢٠)، وهذه القناة التي حفرها الملك حزقيا أنقذت مدينة أورشليم من كوارث محققة وقت الهجمات الكثيرة التي تعرضت لها، بحصولها على الماء العذب عبر هذه القناة من نهر جيحون الواقع خارج سور مدينة أورشليم.

ويبلغ طول هذه القناة من النهر إلى البركة ما يزيد على نصف كيلو متر (١٧٠٠ قدم) عبر الصخور، والتي حفرها العمال من الطرفين وتقابلا في الوسط، وإلى اليوم يمكن مشاهدة بعض الكلمات المنحوتة في الحائط، والتي تعبر عن تقابل العمال معاً في الحفر من الطرفين أي من جانب نهر جيحون ومن جانب البركة. وقد اكتشفت هذه الكتابة عام ١٨٨٠ م. وفي مخطوطات سلوام الشهيرة، والتي قطعت من الحائط وحملت إلى متحف في اسطنبول، تحكي قصة الحفر، بأنه بينما لم يكن باقياً غير ما يقرب من خمسة أقدام على تواصل نقطتي الحفر للقناة سُمع صوت نداء الواحد للآخر[1].

بالإضافة إلى هذا العمل العظيم بني حزقيا كل السور المنهدم وتمت تعليته إلى مستوى الأبراج، كما بنى سوراً آخر خارجاً، وحصن القلعة مدينة داود (أورشليم) (٢أخ ٣٢: ٥).

بالرجوع والسكون تخلصون

بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم (٣٠: ١٥).

(1) ANET, (3rd ed.) P.321

تمثل إيمان إشعياء في ثقته أن الرب يسود ويهيمن على الخليقة كلها. وأن أشور دعيت لتحقيق قصد الله. ويظهر ذلك في كلمات بديعة في الجزء الأول من السفر (١-٣٩، قارن ١٠:٥-١٩). وجاء التعبير بأن أشور عصا غضب الرب، «ويل لأشور قضيب غضبي والعصا في يدهم. هي سخطي على أمة منافقة أرسله، وعلى شعب سخطي أوصيه ليغتنم غنيمة وينهب نهباً. ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة».

ولم تدرك أشور هذه الحقيقة بأنها أداة في يد الرب بل اعتقدت بأنها تمارس حقوقها وبيدها وحدها مقاليد الأمور السياسية، ورغم ذلك فإن الله هو المسيطر والسيد. وقد تحدث المرنم في ذلك بالقول: «لأن غضب الإنسان يحمدك» أي أن غضب الأعداء يخدم قصدك الإلهي (مزمور ٧٦: ١٠).

إن التاريخ لا تصنعه الشعوب التي تملك القوة أو العتاد، كما اعتقد الغزاة الأشوريين بأنهم صانعو التاريخ، فافتخروا وانتفخوا - كلا - بل سيعاقب ملك أشور على اعتقاده هذا. كما أن شعب الرب نفسه سوف لا ينجو من غضب الله المسلط عليه من أشور عصا الرب. وبعد أن ينهي الرب عمله على جبل صهيون، سيعاقب ملك أشور على فكر تعديه وكبريائه. «لأنه قال بقدرة يدي صنعت وبحكمتي لأني فهيم. ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وحططت الملوك كبطل. فأصابت يدي ثروة الشعوب كعش وكما يجمع بيض مهجور جمعت أنا كل الأرض ولم يكن مرفرف جناح ولا فاتح فم ولا مصفصف. هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مردده. كأن القضيب يحرك رافعه. كأن العصا ترفع من ليس هو عوداً» (إش ١٠:١٣-١٥).

وفي الوقت المعين سيُسقط الرب الأشوري تحت قدميه ويرفع النير عن شعبه. لقد حلف رب الجنود قائلاً «إنه كما قصدت يصير وكما نويت يثبت. أن أحطم أشور في أرضي، وأدوسه على جبالي فيزول عنهم نيره ويزول عن كتفهم حمله».

هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض، وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم فإن رب الجنود قد قضى فمن يبطل ويده وهي الممدودة فمن يردها (١٤:٢٤-٢٧). وستدرك ممالك الأرض أن يهوه الرب هو الملك وأن التاريخ لا يتعدى شطوط القصد الإلهي. والشعب المؤمن هو الذي يسلم نفسه لنير الرب الإله، وليس لنير أشور. وهو الذي يقبل دينونة الله كدعوة للتطهير من الذنوب، وينتظره بصبر للوقت الذي يضع فيه الرب كبرياء المتجبر.

من هذا المنطلق نصح النبي إشعياء حزقيا الملك أن يتجنب الثورة على أشور. كما أدان التحالف السياسي ضدها وأسماه عهداً مع الموت (قارن إش ٢٨:١٨). وقال إن الرب سوف يفتقد أرض يهوذا، ويربك كل خطط بني البشر وآمالهم (أعداد ١٤-٢٢) ويدين اللجوء إلى القوى الأرضية والتفاوض السري مع مردوخ بلادان ملك بابل (٢مل ٢٠:١٢-١٩). ويوبخ الذين نزلوا إلى مصر طلباً للعون، واثقين في خيولهم لأنها كثيرة، وفرسانهم لأنهم أقوياء، فالمصريون أناس لا آلهة، وخيلهم جسد لا روح. والرب يمد يده فيعثر المعين ويسقط المعان ويفنيان كلاهما معاً (إش ٣١:١-٣).

مثل هذه الجهود السياسية التي قامت بها يهوذا تبرهن، كما يرى النبي، على أن الشعب لم يضعوا ثقتهم في قدوس إسرائيل (إش ٣٠:١-١٥) لذلك ينبر النبي على جهالة الاحتماء بظل مصر مردداً نصيحته المبكرة للملك آحاز (إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا) (٧:٩).

ويقدم إشعياء تلخيصاً مهما لمعنى الإيمان، «لأنه هكذا قال الرب بالرجوع والسكون تخلصون بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (٣٠:١٥).

إن أمان وطمان يهوذا لا يكمن في الجهود السياسية كسائر الشعوب، بل في رجوعهم إلى الرب واعتمادهم عليه في ثقة وإيمان راسخ لأن خلاصهم سيأتي من الله وحده وفي الوقت المعين من قبله. لكن الشعب قال «لا» (٣٠:١٦)

وأرادوا أن يهربوا على خيول. ولأنهم لم يذعنوا لصوت الرب إلههم فإنهم سوف يسمعون صوت الجبار المستوحش بلسان آخر (٢٨:٧-١٣).

ومن البداية إلى النهاية كان إشعياء ضجراً بل وغاضباً من الشعب لعدم الطاعة وعدم المعرفة وعدم الفهم لدعوة الرب قائلاً لهم «هذه هي الراحة وهذا هو السكون.... لكن لم يشاءوا» (٢٨:١٢). ورغم ذلك فقد وثق إشعياء أن هناك بقية ستخلص من الهلاك وأن الرب سيقيم في أورشليم مدينة العدل القرية الأمينة (إش ١:٢٦) «حجر زاوية كرياً أساساً مؤسساً من آمن لا يهرب». ويجعل الحق خيطاً للقياس والعدل مطماراً للكشف عن أعمالهم الشريرة» (٢٨:١٦-١٧).

كان هدف إشعياء من هذه الدعوة أن يثقوا في الرب ويؤمنوا بكلامه. وهو ملك الأرض وقدوس إسرائيل حتى يحيوا راسخين آمنين.

ويل للأمة الخاطئة

تحرك سنحاريب ملك أشور ليقضي على تمرد مقاوميه، ومهددي إمبراطوريته، وهزم مردوخ بلادان ملك بابل هزيمة ساحقة مع كل حلفائه، كما أحكم سيطرته على بلاد ما بين النهرين عام ٧٠٣ ق.م. وحقق نصراً عظيماً على بلاد الغرب. كما انتصر على فينيقية ومناطق فلسطين، ومعظم جيش الغزاة المصري في مدينة عقرون الفلسطينية. ويعكس ميخا (١:١-١٦) صورة حية لتقدم الأشوريين الذين سقطت أمامهم كل المدن المجاورة الواحدة تلو الأخرى ومن بينها المدينة الحصينة لخيش. ثم لتحرك جيش أشور جنوباً عبر السامرة نحو يهوذا واقترابه من أورشليم (قارن ١٠:٢٨-٣١). ويعكس هذا النص صورة حية للسرعة الرهيبة لهزيمة المدن. وطبقاً لتاريخ سنحاريب فقد استولى على ٤٦ مدينة للملك حزقيا ومدن عديدة صغيرة مجاورة، وأخذ الكثير من سكانها كأسرى. وما ورد في (٢مل ١٨:١٣-١٦) يتفق مع النشاط الخاص بأشور في التاريخ[1].

وفي عام ٧٠١ ق.م حاصر سنحاريب ملك أشور مدينة أورشليم وعزلها عن كل عون. واعتقد سنحاريب أن حزقيا ملك يهوذا صار كطائر سجين حبسه في مدينة أورشليم عاصمة مملكته. بل أبعد من ذلك قارن إشعياء النبي هذه الأزمة المأساوية بما لحق بسدوم وعمورة من خراب وتدمير. وصار كل الرأس مريضاً وكل القلب سقيماً من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وإحباط (١:٤-٨). لكن المدينة أورشليم لم تُعان الدمار الكامل مثل سدوم وعمورة، لأن الرب في رحمته أبقى بقية (١:٩، قارن ٢مل ١٨-١٩، إشعياء ٣٦-٣٧).

وخلال حصار لخيش، أرسل سنحاريب ممثلين له بقيادة ربشاقي: (لقب بابلي يعني به رئيس أو ممثل قيادة) إلى أورشليم ليطلب منها الاستسلام بغير قيد أو شرط. ويصور لنا الكاتب التفصيلات الدقيقة لهذا الحدث الجلل، حتى أنه يخيل للقارئ بأنه مشارك للحدث وهو يقف على السور بين شعب المدينة وربشاقي الواقف عن بُعد، وخلفه جيش محارب قوي ومتمرس، ينذر ويحذر (٢مل ١٨-١٩، قارن إش ٣٦-٣٧).

ويلتمس رؤساء يهوذا من ربشاقي أن يتحدث إليهم بالأرامية اللغة الرسمية للحوار الدبلوماسي في ذلك الحين، ولا يتحدث إليهم باليهودي لغة عامة الشعب. حتى لا يفهم الشعب لغة التهديد والوعيد هذه، ويفقدون كل رجاء للنجاة من هذا المُعتدي. لكن ربشاقي زاد في تحديه وصلفه، وقال بأنه لا مناص، وأن على الشعب أن يستسلم حتى لا تقع بهم خسائر فادحة أمام جيش أشور الذي لا يُقهر.

رسالة إشعياء المطمئنة

إن الرب أسس أورشليم وبها يحتمي بائسو شعبه

(1) ANET, P.287-288

آمن إشعياء أن أشور لا تزيد عن كونها عصا غضب الرب وأداة في يده. وقوة أشور هذه معطاة لها من الله، وهذه القوة يمكن أن يستردها الرب وقتما يريد. وأعلن إشعياء خلال غزو سنحاريب لأرض يهوذا وتهديده لمدينة أورشليم، أن صهيون (حصن داود) لن تسقط. فهي المدينة أورشليم التي أسسها الرب (إش ٢٤:٣٢). إنها مدينة هيكل الرب حيث تابوت عهد الرب، وجبل صهيون (الحصن) هو مكان اسم رب الجنود (٧:١٨)، وفي هيكل أورشليم تمتع إشعياء برؤيا السيد رب الجنود، وصارت أورشليم مدينة داود وأسرته الحاكمة عبر القرون العديدة التاريخية، ورمزاً للاستقرار الاجتماعي الذي مُنح لها من الله.

أما عن إسرائيل (المملكة الشمالية) فإن عصيانها كان أساساً كافياً لينهي تاريخها. ويشبه إشعياء كثيراً النبي عاموس في نقده المفرط للمجتمع، وإدانته لكل عمل رجس، وطلبه الملح دائماً للإصلاح. وآمن النبي بأن الرجاء في المستقبل مرتبط بل مؤسس ليس على سلوك الشعب أو عظمة ملكهم، بل على العهد الذي قطعه الرب مع داود وأمانة الرب في وعده. فقصد الرب مع داود لم يكن ليمحو أورشليم، وطالما نبر إشعياء النبي على ذلك مراراً. بل أن تُبنى أورشليم الجديدة على أساس البقية الأمنية، لتكون مدينة مقدسة تتكل على الرب وتحتمي فيه (إش ١٠: ٢٠-٢١).

«لذلك هكذا يقول الرب عن ملك أشور، لا يدخل هذه المدينة ولا يرمي هناك سهماً ولا يتقدم عليها بتُرس ولا يقيم عليها مترسة. في الطريق الذي جاء فيه يرجع. وإلى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب، وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي» (٣٧: ٣٣-٣٥).

لقد أخطأت أشور بل تعدت باعتقادها أنها تملك القوة، ولا يستطيع أحد مقاومتها. ولم تدرك أنها مجرد أداة في يد القدير العلي. أداة دينونة، غايتها الخلاص والتجديد، وليس للفناء والتدمير. «لأنه كما في جبل فراصيم يقوم الرب. وكما في الوطاء عند جبعون يسخط» (إش ٢٨: ٢١أ، قارن ١أخ ١٤: ٨-١٦، يش ١٠: ١٠-١٢). «ليفعل فعله الغريب وليعمل عمله الغريب» (إش ٢٨: ٢١ب). يقصد إشعياء بهذه الكلمات هنا، أن الرب يستخدم شعباً وثنياً لهدف مجيد، وهو تأديب مختاريه ليرجعوا إليه.

لذلك ستسقط أشور ليس بسيف صنعه الناس، بل سيأتي الرب ليحارب على جبل صهيون وكطيور مرفة يحامي عن أورشليم (٣١: ٤-٩، قارن ٢٨: ١-٨) ويرتجف الأشوريون ويرتاعون من يد الرب القدير وصوته المجلجل الرهيب (٣٠: ٢٧-٣٣)، حتى يعلموا أن الرب وليس أشور هو الحاكم وصانع التاريخ.

وأحامي عن هذه المدينة

عندما علم الملك حزقيا بتحدي ربشاقي امتلأ الملك بالرعب وكل احباط (٢مل قارن إش ٣٧). وقال إن هذا اليوم يوم شدة وتأديب وإهانة، لأن الأجنة قد دنت إلى المولد ولا قوة على الولادة (٣٧: ٣). وجاء جواب الرب إلى حزقيا عن طريق إشعياء النبي بعقاب الأشوريين وملكهم (٢مل ١٩: ٢٠-٢٨).

وترددت الكلمة النبوية «ويعود الناجون من بيت يهوذا الباقون يتأصلون إلى أسفل، ويصنعون ثمراً إلى ما فوق لأنه من أورشليم تخرج البقية والناجون من جبل صهيون، غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إش ٣٧: ٣١-٣٢) قارن (إش ١٠: ٥-١٦).

ورحلت جيوش أشور دون أن تتمكن من حصار أورشليم تماماً، كما تكلم إشعياء النبي في (٣٧: ٣٢-٣٤)... «هكذا قال الرب عن ملك أشور لا يدخل هذه المدينة... في الطريق الذي جاء فيه يرجع، وإلى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب. وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي. وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً. وانصرف سنحاريب ملك أشور راجعاً إلى نينوى وقتله ابناه بالسيف» (أعداد ٣٥-٣٧).

وخلص الرب أورشليم لأنه أسسها ليحتمي بها بائسو شعبه (٣٢:١٤).

ولا يعرف الشيء الكثير عن إشعياء خلال الفترة الأخيرة من حياة الملك حزقيا، الذي مات عام ٦٨٧ ق.م. تقريباً. جاء في التقليد اليهودي أنه استشهد خلال حكم منسى الذي تولى الحكم بعد حزقيا أبيه.

لا تذكروا الأوليات... هاأنذا صانع أمراً جديداً (١٩:٤٣)

ذكر تشارلز بيرد Charles A.Beard أحد المؤرخين أن بعض دروس التاريخ يمكن تلخيصها في المثل القائل «إن النحلة تخصب الزهرة» وتلك هي حقيقة ما حدث لإسرائيل زمن السبي وآلامه. وقد بدت التجربة قاسية وأليمة بالنسبة لهم. ولكنهم أدركوا بعد ذلك بأن الله كان يعمل من خلالها للخير. فقد سُحقت إسرائيل بالغزاة ونُهبت لكنها اجتازت مأساتها التاريخية، فقد أخصبت الضيقة عمقاً في فهمها الديني. وتحدث هوشع النبي ١٤:٢ في ذلك قائلاً: إن الرب قاد شعبه إلى البرية التي لم تكن مجرد صحراء، بل كانت أيضاً مقفرة وموحشة، حتى يتحدث إلى قلوبهم.

ويعد الجزء الثاني من إشعياء (٤٠-٥٥) إعلاناً واضحاً وقوياً للخبر السار، لشعب مسبي يسكن في الظلام ويسمع عن بزوغ فجر جديد باقتراب يوم خلاصهم، وتعزية لقلوبهم المكسورة، بل إن كل نص فيه يتضمن تعاليم عن أحداث عظيمة آتية، تدعو إلى التهليل. وعندما يدخل المرء ساحة الإيمان هذه يشعر وكأنه انتقل من هول الجحيم وكل رعب، وتحرك إلى أعلى سماء، عبر أبواب ملكوت الله، كما يصورها لنا أحد علماء الكتاب، ولا غرابة في أن كاتبي العهد الجديد يشيرون إلى هذه الأجزاء الكثيرة التي تعلن عن الأخبار السارة باقتراب ملكوت الله.

مُبشرة صهيون.... مُبشرة أورشليم

تعددت الآراء حول الكلمة «مُبشرة» فهل يقصد بها حاملة الخبر السار. ومن هي حاملة الأخبار السارة لصهيون (أورشليم). جاء في الترجمات العديدة بأن أورشليم هي المبشرة بمعنى: «على جبل عال اصعدي يا صهيون المبشرة. ارفعي صوتك بقوة يا أورشليم المُبشرة. ارفعي لا تخافي. قولي لمدن يهوذا هوذا إلهك» (٩:٤٠).

أما عن الأصل العبري للكلمة «مُبشرة» فهي إنجيل بمعنى «الخبر السار» فربما يقصد بها على جبل عال إصعدي أيتها الكلمة السارة لصهيون والمبهجة لأورشليم. أي أن الكلمة السارة هي موضوع المناداة. ولعلها إجابة لذلك الصوت السائل في المجلس السماوي بماذا أنادي (٦:٤٠) فيأتيه الجواب بالخبر السار (بالإنجيل) تنادي لصهيون. وليصعد دوي الكلمة المبشرة في كل الأرض، على الجبال والآكام وأورشليم تحمله إلى كل مدن يهوذا. ارفعي يا أورشليم لا تخافي. قولي لمدن يهوذا هوذا إلهك.

«هوذا السيد الرب يأتي بقوة وذراعه تحكم له» (عدد ١٠)... كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات» (عدد ١١).

تعد الآيات الأولى (١-١١ من الأصحاح الأربعين) تعبيراً صادقاً لإرسالية النبي التي كلف بها من المجلس السماوي، مجلس الرب وهو ماثل بينهم (قارن إرميا ١٨:٢٣ مع إش ٦)، وهي أن يحمل الأخبار السارة والمبهجة بالتعزية والتحرير من كل عبودية وذل وهوان، وإعلان سيادة الله الكاملة والتامة على كل المسكونة والساكنين فيها (قارن أعداد ١-٣، ١٢-١٦، ٢١-٢٢) ثم يتحدث الرب إلى أعضاء المجلس السماوي معلناً قضاء إسرائيل وقضاء الشعوب الأخرى (أعداد ٢٣-٢٦، ٢٧-٣١).

سيعلن مجد الرب ويراه كل بشر

تلقى إشعياء النبي إرساليته في الأصحاح السادس بعد أن تأهل لها (قارن ٦:٥-٧)، ليعلن رسالة الدينونة على شعب لا يستجيب (أعداد ٩-١٣) وهذه المرة في (٤٠:١-٢) ليعلن رسالة التعزية للمسبيين البائسين.

«طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل». والكلمات هنا كما يرى علماء الكتاب إشارة إلى السبي الذي يبدو أنه كان عقاباً ودينونة لشعب متمرد وعنيد، لكن الأمر الجوهري الذي يؤكده النبي هنا، أن السبي كان فترة جهاد مثل جهاد المجندين لخدمة عسكرية... صحيح عانى الشعب كثيراً فترة السبي (٤٢:٢٤-٢٥، ٤٨:١٧-١٩)، لكن جاء الوقت الآن ليُعلن الجانب الآخر من تلك الفترة. والذي عبر عنه هوشع النبي قبل ذلك بأن الرب كان يتحدث إلى قلب إسرائيل في البرية (قارن هوشع ٢:١٤)، والبرية هنا هي التي يشار إليها السبي، هي بمثابة إعداد وتدريب وتقويم وتهذيب.

ورسالة النبي من الرب إلى شعبه، هي حديثه إلى قلوبهم في العبودية وغربة الأسر بل أكثر من ذلك أنهم سيتحررون من عبودية الإثم. إنها رسالة الغفران عن ماضيها الأثيم، ليس لأنها استكملت عقابها عن الخطية، بل رسالة النعمة الإلهية المجانية التي تختمهم على بداية جديدة. ويتمثل ذلك في قول الرب: «لم تُحضر لي شاة محرقتك، وبذبائحك لم تكرمني. لم أستخدمك بتقدمة ولا أتعبتك بلبان... أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها» (٤٣:٢٣،٢٥، قارن إرميا ٣١:٣٤). وبهذا يتحقق المرء بأنه قد اقترب ملكوت الله ومجده ملء كل الأرض (٦:٣). «ويعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم» (٤٠:٥).

والكلمات الواردة في العدد الثالث تُعد جواباً للقرار الإلهي في العددين السابقين «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيلاً (طريقاً) لإلهنا». ويرى أحد العلماء أنه ربما كان هذا الطريق إشارة إلى الخروج الثاني (من السبي) فهو الرب (يهوه) مخلصهم الذي أخرجهم من عبودية المصريين وهو ذاته الذي يذلل كل العقبات والمصاعب. «كل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً» (٤٠:٤ قارن ٤٣:١٦، ١٩، ٤٨:١٧، ٤٩:١١، ٥١:١٠) وهو معهم أيضاً حتى يُرجعهم إلى أرض آبائهم، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً (٤٠:١٠-١١، قارن ٤١:١٨-١٩، ٤٢:١٦، ٤٨:٢١، ٥٥:١٢-١٣). هذا من الوجهة التاريخية لإرسالية إشعياء، وهي: أن ينبئ الشعب بكلمات الرب المطمئنة وما يصنعه بهم مستقبلاً. إنه عمانوئيل، لن يتركهم في الهوان والذل (أرض السبي). كما أن لهذه الكلمات معنى وقيمة لكل إنسان، في كل زمان ومكان يجتاز ضيقاً وألماً. ولها أيضاً المعنى النبوي الذي أشير عنه في العهد الجديد (قارن لوقا ٣:٣-٥، مت ٣:٣، مرقس ١:٣، يوحنا ١:٢٥).

في هذا الخروج الثاني سيُعلن مجدُ الرب. ويراه كل بشر جميعاً. سيعلن بأسلوب فريد لا يقارن.

لقد أعلن الرب عن نفسه في طرق وأساليب عديدة للآباء قديماً لإبراهيم (تك ١٢:٧-٨، ١٨:١-٣) وليعقوب «إسرائيل» (تك ٢٨: ١٠-١٩) ولموسى في البرية (خروج ٣:٢-٦) وللشعب على جبل سيناء (خروج ٢٤:٩-١١، ١٥-١٨) وجدعون (قض ٦:١١-٢٤). وكما ظهر للأنبياء في رؤى ليقوموا بإرساليتهم النبوية (عاموس ٥:١٨-٢٠، إش ٢:٥-٢٢، صفنيا ١:٧، ١٤-١٨).

وكان الاعتقاد السائد زمن السبي، بأن مجد الرب قد فارق الهيكل بتدمير مدينة أورشليم. لكن حزقيال النبي أيضاً يعلن بأن مجد الرب سيعود إلى أورشليم الجديدة أي بعد العودة من السبي إلى أرض الآباء أرض يهوذا (حزقيال ١٠:١٨-١٩، ١١:٢٣، ٤٣:١-٥، قارن ١:٢٨، ٣:٢٣) بل سيعلن مجد الرب ويراه كل بشر. وهذا الظهور لا يعد ضمن سلسلة الظهورات الإلهية السابقة الإشارة عنها، بل سيكون ظهوراً كاملاً ونهائياً يملأ الزمان والمكان يعد أواخر الدهور كإتمام قصد الله في التاريخ.

في رؤيا إشعياء، نجد السرافيم يغطون وجوههم أمام المجد الإلهي، لكن هذه المرة سيراه كل بشر.

ويرى علماء الكتاب المقدس أن هذه الكلمات هي إشارة واضحة عن مجيء الرب يسوع المسيح له المجد تحقيقاً لهذه النبوة (قارن لوقا ٣:٦، لوقا ٢: ٣٠ مع إشعياء ٥٢: ١٠).

يهوه الرب إله أبدي وكلمته تثبت إلى الأبد

في (إش ٤٠:٦-٨) نجد متحدثاً آخر يستأنف الإعلان، ويرجح العلماء بأنه واحد من المجلس السماوي «صوت قائل ناد». فيجيبه النبي الذي كان ماثلاً بينهم (قارن إش ٦): «بماذا أنادي»؟ ويأتيه الجواب: «كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل»، كزهر الحقل الأخضر البديع والخلاب في موسمه، لكن حالما تهب عليه ريح الصحراء ييبس - بمعنى أن سيادة الله وديتونته عادلة على كل البشرية المحدودة والفانية. لأن وجودهم وقتي وإنجازاتهم ستبطل - وهذه الملاحظة تعد بمثابة مقدمة لتأكيد الإيمان في ذاك، الخالد الأبدي الأزلي «يبس العشب، ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» (إش ٤٠:٨). إنها دعوة للتمسك بقوة الرب ومجده، ويقين العودة من السبي بعناية القدير وصانع التاريخ. لأن كلمة الرب: إعلانه - خطته - إرادته - قصده، غير قابلة للتغيير، والله هو العامل بقوة في التاريخ البشري (إش ٥٥:٨-١١)، لأنه السرمدي (تك ٢١:٣٣) خالق أقاصي الأرض (٤٠:٢٨) رب الطبيعة والتاريخ ومصدر تعزية وعون طالبيه ومنتظريه (٤٠:٢٦-٢٨). الأول والآخر ولا إله غيره (٤٤:٦)، متمم قصده في وقته (٤٢:٢١، ٤٤:٢٨، ٤٦:١٠، ٥٣:١٠، ٢٥:١٠-١١) يُعين (يمسح) شخصاً مثل كورش ويجعله راعياً له ليتمم وينجز مسرته. إنه كورش الذي لم يكن يعرف الرب (إش ٤٤:٢٨، ٤٥:١-٥) لكي يدرك الجميع ويتحقق الكل، «من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري. أنا الرب وليس آخر... أنا الرب صانع كل هذه» (٤٥:٦-٧).

الله الخالق والفادي

يعد موضوع الخلق والفداء من أبرز المواضيع التي يتحدث عنها النبي إشعياء (٤٠-٥٥) أكثر من أي كاتب آخر في الكتب المقدسة إعلاناً عن ربوبية الله وسيادته ليس على إسرائيل فقط، بل على شعوب العالم بأسره، وما ورد في هذا الجزء من (إش ٤٠-٥٥) يؤكد ما جاء في (تكوين ١) إن السموات والأرض تأصلتا من خلال عمل الرب في الخليقة منذ البدء وعمله غير المحدد. إنه الرب الذي هو الله وليس إنسان (قارن هوشع ١١:٩). قدوس إسرائيل (٤١:١٤، ١٦، ٢٠، ٤٣:٣، ١٤، ٤٧:٤، ٤٨:١٧، ٤٩:٧، ٥٤:٥، ٥٥:٥). وقداسة الله ضد كل ما هو نجس (٦:٣-٥) وعلى إسرائيل أن تتطهر حتى لا تخاف فيما بعد (٤١:١٠-١١، ١٣، ٤٣:١، ٣، ٥-٧، ٤٤:٢-٥، ٨، ٥١:٧-٨، ٥٤:٤-١٠).

(أ) الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا

إن هدف النبي من حديثه عن الله كخالق كما يرى علماء الكتاب، هو تعزية وتطمين إسرائيل في السبي البابلي. فقد كشف النبي عن ضعفها واعتقادها بأن الله لم يعد يرى، أو يهتم بما يحدث للشعب. وقد ظن الكثير من اليهود حينما رأوا عبادات الآلهة الوثنية، واحتفالاتهم الرائعة أن انتصار البابليين عليهم كان برهاناً تاريخياً، بأن الإله مردوك هو الإله الأقوى والملك المحارب عنهم. لأجل ذلك كتب إشعياء إليهم رافعاً صوته بالقول: «أما عرفت أم لم تسمع، إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا، ليس عن فهمه فحص. يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يُكثر شدة، الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً. وأما منتظرو الرب فيجددون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون» (٤٠:٢٨-٣١).

على إسرائيل أن تدرك بأن الرب هو خالقهم، الإله القادر على كل شيء، وعلى تخليصهم من العبودية القاسية في أرض السبي. وعليهم كمسبيين أن ينتظروا بصبر، وثقة بالرجاء فيه وفي خلاصه، كصانع التاريخ من البداية إلى النهاية، منذ الخلق إلى نهاية العالم. إنه الأول والآخر. البداية والنهاية (إش ٤١:٤، ٤٤:٦، ٤٨:١٢). كل أمور بني البشر هي في يده لأنه الخالق والقدير (قارن ٤٠:٢٦، ٢٨، ٤١:٢٠، ٤٢:٥، ٤٣:١، ٧، ١٥، ٤٥:٧، ٨، ١٢، ١٨، ١٨، ١٢، ٤٨:٧، ٥٤:١٦). إنها قدرته في الكون كخالق، والتي تنتصر على كل آلهة الوثن. إنه الله الذي أقام

كورش ليعمل مقاصده، ولكي يعلم البشر من مشرق الشمس إلى مغربها أن ليس غيره (٤٥:٦). إنه الرب الذي حقق نصراً لشعبه حسبما أعد وخطط لذلك وهو الذي يدير التاريخ ويعمل بقصد ليوم العتق من العبودية.

(ب) إسرائيل تُفْدى بالحق وتائبوها بالبر

يرتكز المعنى أو المفهوم اللاهوتي للفداء عند إشعياء على عمق فهم التعاليم المقدسة من وقت سيناء حيث تم خروج الشعب وتحريرهم من العبودية في مصر ليكونوا شعباً مقدساً للرب، وهو يكون لهم إلهاً (خروج ١٩:٤-٦)، وصار إسرائيل شعباً خاصاً للرب، ولكن لمهمة أساسية وهامة (٤٣:١٠-١٣). غير أنهم اعتقدوا فيما بعد، أن الرب اختارهم وخلصهم من أرض العبودية لأنهم أفضل الشعوب، لذلك وقع عليهم العقاب وحُملوا إلى السبي للتطهير والتهذيب - وها هم يرجون خلاصه - ويذكرهم إشعياء الآن بخلاصه لهم في القديم (خروج ١٥:١٣، ٦:٦، مزمور ٧٧:١٥) «الجاعل في البحر طريقاً، وفي المياه القوية مسلكاً لأنه قدوس إسرائيل» (قارن ٤١:١٤، ٤٣:١٤، ٤٤:٦، ٤٧:٤، ٢٤، ٤٨:١٧، ٤٩:٧، ٢٦، ٥٤:٥، ٨، قارن ٥٩:٢٠، ٦٣:١٦).

وباختصار فإن مفهوم الفدا، عند النبي يعني التحرر من العبودية (٤٣:٥-٧، ٤٥:١٣، ٤٨:٢٠، ٤٩:٩، ١١، ١٤، ٥٢:٢-٣، ٥٥:١٢-١٣). وعقاب مضايقي شعبه المقدس (٤١:١١-١٣، ٤٩:٢٥، ٢٦، ٥١:٢٣) كل هذا لتعلم شعوب الأرض أن الرب وحده هو الله. فربما كانت إسرائيل ضعيفة وغير ذات أهمية أو كيان في عيون الشعوب القوية الجامحة. لكن هذا الشعب المزدرى به هو موضوع محبة الله واهتمامه (إش ٤١:١٤)، حتى يضمن ويحقق له العدل بين الشعوب الأجنبية الوثنية (٤٠:٢٧) والعودة وحياة الاستقرار. وسيأتي بأبناء إسرائيل من الشمال والجنوب (إش ٤٣:٦-٧) ويكسر قيود عبوديتهم ويرجعهم إلى وطنهم (٤٣:١٤-١٥، قارن ٤٨:١٤، ٢٠، ٤٠:٩-١٠، ٤٣:٢٠، ٤٩:١١، ٥١:١١، ٥٥:١٢-١٣، قارن ٤٤:٢٦، ٤٥:١٣، ٥١:٣، ٥٢:٩). كما يضم الفداء أيضاً دعوة الشعوب الأخرى لتصير للرب (٤٥:٢٠-٢٣، ٥١:٤-٥، قارن ٤٩:٦) حتى تحقق إسرائيل هدف الله من اختيارها وفدائها (قارن ٥٦:٣-٧).

هذا الفداء الذي يعني أيضاً خلاصاً روحياً بغفران خطايا الشعب وتعزيتهم ومحو ذنوبهم (٤٣:٢٥، ٤٤:٢٢، ٥٤:٨) لم يكن لأن إسرائيل تستحق الفداء بل إنها النعمة والرحمة חסד (قارن تث ٧:٧-٩، ٩:٤-٦) كما في (إرميا ٣١:٣١-٣٤) الذي يتحدث عن العهد الجديد New Covenant الذي يقطعه الرب مع شعبه. ليس كالعهد الأول الذي قطعه مع آبائهم يوم خروجهم من أرض مصر، بل عهد نعمة ورحمة: أجعل شريعتي «ذات الشريعة» في داخلهم وأكتبها على قلوبهم... ولا يعلمون بعد كل واحد أخاه... لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب» (ومرجع ذلك): «لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد». إن الرب يعمل من أجل نفسه.. «وكرامتي لا أعطيها لآخر» يقول الرب (٤٨:٩، ١١).

ذراع الرب الجاعلة أعماق البحر طريقاً للمفديين (الخروج الثاني)

يصور إشعياء النبي حياة المسبيين في بابل في معاناتهم، بالحياة الأليمة قديماً أيام العبودية في مصر، ويعلن عن خروجهم الجديد (الثاني) إنه ذات الإله الذي سمع إلى صراخهم (خروج ٣:٧-٩) وشق البحر أمامهم وعبروا على اليابسة وسط اللجج والمياه سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم (خر ١٤:٢٢). وهو الرب الذي كان يسير أمامهم نهاراً في شكل عمود سحاب، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم (خر ١٣:٢١). كما عالهم أربعين سنة في القفر وأطعمهم المن والسلوى وفجر لهم الماء من الصخر ليرويهم من العطش. ثيابهم لم تبل، وأحذيتهم لم تبل. وسار بهم إلى أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً (قارن خروج ١٦:٢٢-٢٦، ١٧:٦، أيضاً تث ٨:٤، ٢٩:٥) إنه الإله القديم الذي أعلن عن نفسه لموسى قائلاً له: «هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور» (خر ٣:١٥).

وكما كانت يد الرب المحارب منتصرة لخلاصهم في الخروج الأول من مصر، فهي أيضاً القادرة أن تخرج بهم ثانية هذه المرة من أسرهم في بابل. أنه «القائل عن أورشليم ستُعمر، ولمدن يهوذا ستبنين، وخربها أقيم. القائل للجّة انشفي» (إش ٤٤:٢٦-٢٧).

وفي الخروج الجديد يردد النبي كلماته: «استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القدم كما في الأدوار القديمة. ألست أنت القاطعة رهب. الطاعنة التنين. ألست أنت هي المنشفة البحر مياه الغمر العظيم. الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين» (إش ٥١:٩-١٦).

ويعد حدث الخروج في نظر العديد من اليهود، بداية خلق شعب إسرائيل. غير أن إشعياء النبي يتحدث هنا عن خروج جديد، وبداية جديدة، لقصد جديد خاص بعمله الفدائي للبقية الباقية من شعبه، لأجل العهد الذي قطعه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود (تث ٩:٤-٦، قارن عاموس ٩:١١-١٥). والبرية الموحشة تتحول إلى جنة مثل عدن وباديتها كجنة الرب، الفرح والابتهاج يوجدان فيها. الحمد وصوت الترنم (٤١:١٧-٢٠، ٥١:٣، ٤٣:١٩-٢١) وترتبط إسرائيل الجديدة بعلاقة جديدة مع الرب (٥٤:٤-١٠) وتترنم بترنيمة جديدة (٤٢:١٠-١٢). ترنيمة السلام والمحبة التي تمثلت في يسوع المسيح.

أنتم شهودي يقول الرب

اجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم

يتحدث إشعياء بوضوح شديد عن إحسان الله الدائم ونعمته الفائقة لشعبه فيقول: «إن الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب» (٥٤:١٠ قارن ٥٥:٣) ويمتد هذا الإحسان إلى وعد الرب في القديم لإبراهيم حينما قال له: «أجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢:٢-٣). وسوف يتحقق هذا الوعد فيمن يتبعوه في الإيمان العامل بالطاعة الكاملة (٥١:١، قارن يوحنا ٨:٣٣). وقد ظهر إحسان الرب في العهد الأبدي مع نوح (تك ٩:٨-١٧) وعهده مع داود (٢صم ٧:٣-١٧). وهذه المرة يجعل الرب إسرائيل التي هي نسل إبراهيم (٤١:٨) ومنه صارت أمة عظيمة (٥١:١-٢) عهداً للشعوب ونوراً للأمم (٤٢:٦، ٤٩:٨). ويرى أحد العلماء توريزنر Troezyner أن الكلمة «عهد» من الكلمة الأكادية «بارارو» Bararu التي تعني يُشرق، وبذلك يتسق المعنى الموازي في الشطر الثاني من الآية «نوراً للأمم». ويعد العهد هنا تعبيراً عن النعمة الإلهية وأساس إرسالية الرب لشعبه، هذا الشعب الذي قال عنه إشعياء قبلاً «الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» (٩:٢). ومهمة الشعب الآن أن يحمل هذا النور ويقود بقية الشعوب الأخرى إليه. «نوراً وخلاصاً إلى أقصى الأرض» (٤٩:٦، ٥١:٤). وتتردد الكلمات «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك. لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يُرى. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك» (٦٠:١-٣) وقد اكتمل هذا النور في أجلى صورة في ذلك الذي قال عن نفسه «أنا هو نور العالم» (قارن لوقا ٢:٣١-٣٢).

ودعوة الرب عن طريق إشعياء النبي هي دعوة مقدمة إلى كل أمم الأرض «التفتوا إلي واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض. لأني أنا الله وليس آخر» (٤٥:٢٢) «سيكون جبل بيت الرب في آخر الأيام، ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم وشعوب كثيرة قائلين: «هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب. فيعلمنا من طرقه، ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب» فيقضي بين الأمم - ويعم السلام ويسود العدل - وعندئذ يطبّعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفاً. «ولا يتعلمون الحرب

فيما بعد» (٢:٢-٤، قارن ميخا ٤:١-٥).

يخزي خزياً المتكلون على المنحوتات

إن أول اهتمام لدارس الكتاب المقدس كما يرى أحد العلماء ليس هو السؤال عن وجود الله، بل السؤال: من هو الله وماذا يطلبه الرب؟

ومن البدء نجد في الوصايا العشر التنبير على محبة الرب يهوه، وعبادته من القلب والنفس وكل القوة. ويوصي الرب شعبه قائلاً «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن» (خروج ٢٠:١-٥، قارن تث ٦:٤-٩)، إنه الإله الذي تجلت قدرته في خلاصهم من العبودية «الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية». وعلى الشعب أن يمتنع عن عبادة الآلهة الأجنبية الكنعانية وآلهة الخصب التي أسهب في الحديث عنها موضحاً مدى خطورتها هوشع النبي وكذلك النبي إرميا وحزقيال فيما بعد. إن قصد الرب أن تلتصق إسرائيل بالرب فاديها وخالقها وتبتعد عن كل ما عداه. والمنحوتات وكل المعبودات الوثنية لا قوة فيها. ويتحدى النبي إشعياء جميع الأمم الوثنية لتقدم برهاناً أن آلهتها تمكنت من تنفيذ عمل أو خطة معينة (إش ٤٢:٥، ٤٣:٨-١٣، ٤٤:٦-٨، ٢١-٢٣، ٤٤:٢٤-٤٥:١٣، ٤٨).

كما يسخر النبي من العبادة البابلية (قارن ٤٠:١٨-٢٠، ٤٤:٩-٢٠)، حيث لا قدرة لها لتحفظ الإنسان المتعبد لها. ويهاجم النبي الآلهة بيل ونبو بالقول: إنها محمولة بحيوانات خرساء - لكن الرب يحمل شعبه، ويرفع عنهم أثقالهم من الطفولة إلى الشيخوخة، وهو الرب وحده، لديه القدرة ليحقق هدفه الخلاصي في التاريخ (أصحاح ٤٦).

وتتطلب عبادة الرب طهراً ونقاوة. وتحدث النبي إشعياء بكلمات الرب «كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير. اطلبوا الحق انصفوا المظلوم اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة» (١:١٧). ولم تعد الذبائح والمحرقات والعبادة الهيكلية التقليدية كافية لينال الإنسان قبولاً لدى الله. وقد ملّ الرب هذا النوع من العبادة بأن يقترب الإنسان بفمه إلى الرب ويكرمه بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عن إلهه بعيداً (٢٩:١٣)، وانغمسوا في شهواتهم وكبريائهم وتعنتهم. وماذا يطلبه منهم الرب إلا أن يتطهروا، ويمتنعوا عن فعل الشر ويعملوا ما هو حق وجليل وعادل (١:١١-٢٠). ويردد إشعياء القول إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤخذون بالسيف لأن فم الرب تكلم (قارن ١:٢٣، ٢:٧-٨، ٣:١٢، ١٥). ولأجل كبرياء الشعب وصلفه وعناده فإنهم لا يستطيعون أن يشعروا أو يذوقوا بركة حضور الله وأعماله المجيدة. فالتمسوا أمنهم السياسي من حاكمهم الأرضي (٣:١-١٥، ٧:٩، ٢٣:١٤-٢٢، ٣٠:١-٧، ٣١:١-٣) لهذا لا يوجد بديل عن العقاب، ولابد من التطهير (١:١٨-٢٠). يأتي الوقت عندما يُطرح كبرياء الإنسان كلية أمام الله العلي (٢:٩-٢٢). لقد تقرر العقاب (١٠:٢٢، ٢٨:٢٢) ولابد من نصرة البائس (٣:١٣-١٥). ونار العقاب ستُطهر (٥:٢٤، ٩:١٩، قارن ١:٢٥-٢٦). ولكن ستبقى بقية أمينة (١:٤-٩)، ويعود الشعب إلى الله المحب (٩:١٣، ١٠:١٢، قارن ٧:٣، ١٠:٢٠-٣٠). ويثق في الرب إلهه كأساس راسخ فيه (٧:٤، ٩، ٢٨:١٦، ٣٠:١٥، قارن ٣١:٢-٣). الأشوريون هم أداة وليسوا صناعاً بل هم يقضون أقضية الرب (١٠:١٢-١٧، ٧:١٤، ٢٠:٣-٤).

فقط على يهوذا أن تعيش بالحق وللحق شاهدة له (١:٢٦، ١٤:٢٤-٢٧، ٣١:٥)، لأن الرب هو قاضيها وحارسها.

عبد الرب

يعد موضوع «عبد الرب» من أهم بل من أصعب الموضوعات التي تناولها إشعياء في سفره وخاصة الجزء الثاني

منه (٤٠-٥٠). والكلمة «عبد» تعبير عن الخدمة والولاء للسيد وأعضاء الجماعة الأمينة من شعب الرب هم عبيد وخدام (نحميا ١:١٠، مزامير ٨٩:٥٠، ٩٠:١٣) سُمّي الآباء الأولون بعبيد (تث ٩:٢٧) وبوجه خاص إبراهيم (تك ٢٦:٢٤) ويعقوب (حزقيال ٢٨:٢٥)، كما دعي الأنبياء عبيداً (إرميا ٧:٢٥، عاموس ٣:٧) وبوجه خاص إيليا (٢مل ٩:٣٦، ويونان ٢مل ١٤:٢٥، وإشعياء ٢٠:٣). وأكثر من ثلاثين مرة ورد التعبير «عبد» عن موسى وداود. كما ورد هذا اللفظ مراراً كثيرة كوصف للجماعة المتعبدة، التي اقترنت بالرب لتخدمه (إش ٥٦:٦، ٦٣:١٧، ٦٥:٨، ٩، ١٣-١٥ مع ٦٦:١٤)، فهم عبيد الرب وأهل للبركة والميراث، يأكلون ويشربون ويفرحون «ويترنمون من طيبة القلب».

فقد وردت بالسفر أربع قصائد كوصف للعبد، وإن لم تُوضح هويته بالتحديد.

١- (٤٢:١-٤) «يخرج الحق للأمم».

٢- (٤٩:١-٦) «الرب من البطن دعاني من أحشاء أمي ذكر اسمي».

٣- (٥٠:٤-١٠) «يوقظ كل صباح. يوقظ لي أذناً لأسمع كالمتعلمين».

٤- (٥٢:١٣-٥٣:١٢) «رجل أوجاع ومختبر الحزن».

والقصيدة الرابعة والأخيرة تعد تعبيراً مجسداً لآلام السيد له المجد الذي تمت في شخصه نبوة هذه الكلمات الواردة بهذه القصيدة. ويجب أن نفهم قصائد العبد في إطار القرينة لرسالة إشعياء الواردة بها.

ويرى بعض الباحثين أن قصائد العبد لم ترد عنها إشارة في أي مكان آخر غير كتابات الجزء الثاني من إشعياء. ويرى بعضهم أن إشعياء لم يكن كاتب هذه القصائد. إلا أن هذا الرأي يفتقر إلى الدليل العلمي، كما يرى علماء الكتاب، وذلك لاتساق الأسلوب في الكتابة مع بقية أجزاء السفر الواردة به. إنها تنتمي إلى نفس كاتب سفر إشعياء النبي.

إسرائيل كعبد

تُلقي إحدى قصائد العبد بعض الضوء (في إش ٤٩:٣). وفيها يرتبط اسم العبد بإسرائيل في القول «أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد» ولا يلبث الغموض قائماً، لأنه في نفس القصيدة (عدد ٥، ٦) نجد أن العبد له رسالة لإسرائيل نفسها. غير أن هذا النص يعد همزة وصل لقصائد أخرى كثيرة تُخاطب فيها إسرائيل بعبد الرب. وفي هذه الحالة فإن دور العبد مرتبط بمهمة إسرائيل كشعب الرب المختار «إسرائيل عبدي». «يعقوب الذي اخترته» (٤١:٨-١٠، ٤٣:٨-١٣، ٤٤:١-٢، ٦-٨، ٢١-٢٣، ٤٤:٢٤-٤٥:١٣، قارن ٤٨:١، ٧، ١٠-١٢، ١٧). وبهذه النصوص يربط النبي إشعياء العبد بجماعة العهد التي هي إسرائيل. والتي عبر الكاتب فيها عن غضب الرب من نحوها قائلاً: «من أجل نفسي أفعل، لأنه كيف يدنس اسمي، وكرامتي لا أعطيها لآخر» (٤٨:١١). إن الرب ينقي ويطهر الشعب لخدمة أعظم وأمجد. والكارثة القومية التي حلت بإسرائيل كعقاب على جهالتها وعصيانها لشريعة الرب (٤٢:١٨-٢٥، ٤٣:٢٢-٢٨، ٤٧:٦، ٥٠:١، ٥٤:٧). وعليها أن ترجع إلى الرب فتنال الصفح والغفران (٤٠:١-٢، ٢٧، ٤١:٨-١٠، ٤٣:٢٢-٤٤:٥). وسوف يعيد الرب صنع شعبه عبر نار التجربة وآلامها، حتى يكونوا أداة فعالة ومؤثرة لتحقيق قصده في التاريخ.

العبد الفرد

رأينا أن العبد يشار إليه بأنه إسرائيل كشعب، لكن يشار عنه أيضاً بأنه فرد أو شخص بعينه (٤٣:١-٤، ٤٩:١-٦، ٥٠:٤-٩، ٥٢:١٣-٥٣:١٢). وعبد الرب يهزم الفشل بثقته غير المتزعزعة (٤٩:٤، ٥٠:٧-٩) وهو

بلا خطية وبلا إثم (٥٠:٥، ٥٣:٤-٥، ١٢)، ومعاناة عبد الرب ناجمة عن خطايا الآخرين (٥٣:٤-٦، ٩) وهو يقاسي بصبر (٥٣:٧) وإسرائيل العبد في حالة فشل وإحباط (٤٠:٢٧، ٤٩:١٤، ٥٠:١-٢). ويقاسي عبد الرب بغير إرادته ويجب محاكمة أعدائه (٤١:١١-١٢، ١٥-١٦، ٤٢:١٣-١٥). وهنا نجد أن مهمة وإرسالية العبد هي الألم طواعية لأجل الآخرين والتوسط لأجل الخطاة (٥٢:١٣-٥٣:١٢).

وذهب بعض المفكرين إلى أن هذه النصوص الخاصة بالعبد كشخص ربما تتعلق بموسى النبي وسيط العهد، الذي توسط من أجل شعبه ومات محتملاً تذمراتهم (تث ٣:٢٣-٢٧، ٤:٢٣).

غير أن الباحث المدقق للنصوص الخاصة بالعبد كفرد، كما يرى علماء الكتاب، تتحدث وتشير إلى شخص آخر يناسب تماماً الصورة التي رسمها النبي إشعياء، عن ألم ومعاناة هذا العبد البار وغير الأثيم، ألا وهو المسيا المنتظر.

رجل الأحزان

«أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها».

تعد القصيدة الرابعة (٥٢:١٣-٥٣:١٢) قمة أسلوب الكاتب في تصويره النبوي عن العبد إنسان الحزن. ويمكن تقسيم هذه القصيدة كما يرى أحد العلماء إلى خمسة أقسام أو وحدات شعرية، فنجد في البداية والنهاية أن الرب هو المتحدث، وعندما يتكلم الرب تصغي الشعوب، وتسمع أن العبد سيتمجد من خلال الألم.

في الجزء الأول (٥٢:١٣-١٥) يقدم الرب العبد ويعلن انتصاره ورفعته ويتعجب الناس «يسد ملوك أفواهم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به».

وفي الجزء الثاني (٥٣:١-٣) يعبر الملوك عن دهشتهم مما يرون ويسمعون. أمر لا يصدق، لقد نما العبد أمام الرب مثل الجذع اليابس البائس.

ويفسر البعض بأنه إشارة عن المسيا الذي يطلق عليه بالغصن من جذع يسي (قارن ١١:١، ١٠، إرميا ٢٣:٥) «غصن بر فيملك وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض».

ويصور الكاتب صورة العبد البشعة والمنفرة (٥٢:١٤) «كان منظره كذا مفسداً.. لا صورة له ولا جمال... وكمستر عنه وجوهنا، محتقر»... وهذا يذكرنا بصورة الرجل الأبرص عندما كان يستر الناس وجوههم عنه بل يبعدونه بعيداً خارجاً (لاويين ١٣:٤٥).

وفي الجزء الثالث من القصيدة يتعجب الملوك والولاة من أن هذا العبد المحتقر والمخذول، هو نفسه الذي استعلنت فيه ذراع الرب القدير (٥٣:٤-٥) وتتفتح عيونهم فجأة ليدركوا معنى وسبب آلامه.

إنه بسببهم صارت له هذه الصورة غير الراغبين فيها، حتى ستروا وجوههم عنه «فلم نعتد به» لقد تألم لأجلهم فحمل تبعة خطاياهم... أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها... حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا». ولدهشتهم أدركوا بأن الشخص العليل هذا هو مصدر شفائهم. وصار محرقة لفدائهم، ولأجل إسعادهم وخلاصهم. معترفين قائلين: «كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا» (عدد ٦). هذا النوع من الفكر العميق لفهم وتجسيد معنى الألم لا نجد شبيهاً له كما يرى العلماء في أي مكان آخر في الكتب المقدسة.

في الجزء الرابع: (٥٣:٧-٩) لا تزال الأمم تتحدث عن تذلل العبد والظلم الذي وقع عليه وعن وداعته وتواضعه الفائق (٤٢:١-٤، ٥٠:٤-٩). وعندما أصابه الألم والحزن حمل ثقله في صمت بدون شكوى «مثل شاة تساق إلى

الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه». وفي طريقه إلى الموت لم يُعره أحد التفاتاً - قطع من أرض الأحياء ووضع مع الأشرار قبره. لقد كان وديعاً وباراً دائماً. لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش.

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن.... هذا لا يعني أن الرب سكب غضبه وعقابه على العبد بدلاً من أن يسكبه على مستحقيه. بل أن حدث العبد كان في خطة الله وقد أذن به، مع طواعية العبد الذي «جعل نفسه ذبيحة إثم» (١٠ب) بل كان الرب ملازماً للعبد في آلامه إذ جعل حياته تقدمة عن آثام الآخرين. لأجل ذلك فإن مسرة الرب بيده تنجح (٥٣: ١٠جـ).

وستكون نهاية إرساليته حافلة بالنصرة والمجد. ستظهر فيه قوة الله ولن يكون الضحية بل المنتصر، سيُحول الرب حياة العبد من الذل وعدم التقدير إلى حياة ملؤها الكرامة والبهجة وطول الأيام... «يرى نسلاً تطول أيامه». «من تعب نفسه يرى ويشبع» (قارن عددي ١١-١٢). إنها رسالة رجاء وقيامة، بعد البأس والموت (قارن حزقيال ٣٧).

لذلك يقول الرب «أقسم له بين الأعزاء، ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين». وستعتري العظماء والأعزاء دهشة من أجل العبد هذه المرة أيضاً. لأن الرب سيجعله عظيماً وينال نصيباً بين العظماء والشرفاء، لأنه المنتصر والظافر الحقيقي، الذي تقدم طريق الألم والحزن، الذي يؤدي إلى النصرة وابتهاج القلب.

العبد والمسيا

يؤكد النبي إشعياء في الجزء الثاني من السفر (٤٠-٥٥) أن الرب يهوه اختار إسرائيل لمهمة خاصة، ورسالة حية تشهد فيها للرب المخلص الفادي، لأنه الخالق لكل شعوب الأرض.

فيبدأ الأصحاح الأربعون برسالة التعزية والغفران لإسرائيل ويصل إلى القمة والذروة في التعبير عن غنى الله ولطفه وإحسانه في (أصحاح ٥٤-٥٥).

«لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبأحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب» (إش ٥٤: ٧-٨) أنه لأجل العهد الأبدي الذي قطعه الرب مع داود الملك، يأتي من نسله الذي جعله الرب شارعاً للشعوب رئيساً وموصياً للشعوب. لهذا يقدم الرب الدعوة لكل إنسان قائلاً: «أيها العطاش جميعاً... والذي ليس له فضة... أميلوا آذانكم وهلموا إليَّ اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبدياً، مراحم داود الصادقة، هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب رئيساً وموصياً للشعوب، ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك، وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك» (٥٥: ٣-٥).

ويؤكد إشعياء أن عهد الرب مع داود هو عهد «نعمة ورحمة» محبة دائمة مستمرة لكل من يقبل الدعوة ويأتي إلى الرب، وآلام إسرائيل بمثابة جهاد حسن من أجل الرب (قارن ٤٠: ١-٢). يرى أحد المفسرين اليهود بأن العبد هنا يشير إلى إسرائيل الحقيقي عندما يحيا لإلهه باتضاع، وفي علاقة حميمة وطيدة معه، فتصير آلامه قُوة إلهية لإرجاع وتجديد البشر جميعاً وبهذا تُتمم إسرائيل دعوتها.

لكن علماء الكتاب يرون أن هذه القصائد النبوية الخاصة بالعبد المتألم قد تحققت في الرب يسوع المسيح، فنجد مثلاً في أعمال الرسل (٨: ٢٦-٣٩)، قصة الخصي الحبشي الذي كان وزيراً لكنداكة ملكة الحبشة، وهو يقرأ في المركبة من سفر إشعياء الجزء الخاص بالعبد المتألم (الأصحاح ٥٣). وكان متحيراً في معنى الكلمات وسأله فيلبس الرسول المسيحي قائلاً له: ألعلك تفهم ما أنت تقرأ فأجابه الوزير على الفور كيف يمكنني أن أفهم إن لم يرشدني أحد. وطلب الوزير الحبشي إلى فيلبس أن يصعد إلى المركبة ويجلس معه، وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه فكان،

« مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه» .... وشرح فيلبس للوزير الحبشي هذه الكلمات مبشراً إياه بيسوع (أع ٨:٢٩)، إنه العبد المتألم، إسرائيل الحقيقي.

وبهذا فُتحت كل الأبواب لجميع الشعوب بذبيحة النيابية، وليس لإسرائيل فقط (قارن أع ٨:٣٦-٣٩).

وقد تجلت العلاقة بين العبد المتألم وكرازة يسوع في قوله «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه عن كثيرين»(مرقس ١٠:٤٥).... «وإنه ينبغي أن يتم فيّ هذا المكتوب وأحصي مع أثمة. لأن ما هو من جهتي له انقضاء» (لوقا ٢٢:٣٧، قارن ١كو ١٥:٣).

ويرى جيمس موليـنبرج J.Muilenburg اللاهوتي المعاصر أن ما جاء في (مرقس ١:١١) وقت معمودية يسوع مقتبس من (إش ٤٢:١). كما أن البشير متى يفسر معجزات يسوع كتتميم لإشعياء (٤٢:١-٤، مت ١٢:١٥-٢١، قارن أيضاً ٨:١٧) وفي التجلي أيضاً (مرقس ٩:٢-٨، مت ١٧:١-٨، لوقا ٩:٢٨-٣٦).

وقد استهل له المجد إرساليته في الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت، وقام ليقرأ من سفر إشعياء الذي كان مكتوباً فيه «روح الرب عليّ» لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة، ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم.... وابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم» (لوقا ٤:١٦-٢١، قارن إشعياء ٦١:١-٢).

إرميـــا

أطلق على السفر اسم إرميا نبي القرن السابع ق.م. وفي الكتاب المقدس العبري جاء السفر قبل سفر حزقيال. والترتيب الحالي يتبع الترجمة السبعينية أيضاً. أما الترجمات السريانية البسيطة (بشيتا) فجاء السفر بعد أسفار الأنبياء الاثنى عشر. وإرميا اسم عبري معناه الرب يحرر.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: نبوات ضد يهوذا وأورشليم (١:١-٢٥:٣٨).

١- رؤى نبوية افتتاحية (١:١-١٩).

٢- تحذير يهوذا بمعاناة مملكة الشمال (٢:١-٦:٣٠).

٣- الديانة الخاطئة لأورشليم (٧:١-١٠:٢٥).

٤- رفض إسرائيل لكسرها العهد مع الله (١١:١-١٣:٢٧).

٥- الوساطة النبوية لا تمنع الدينونة (١٤:١-١٧:٢٧).

٦- مكيدة ضد إرميا (١٨:١-١٧).

٧- مثل الفخّاري (١٨:١٨-٢٣).

٨- أعمال رمزية وسجن (١٩:١-٢٠:١٨).

٩- إعلانات عن يهوذا (٢١:١-١٤)

١٠- تحذير للملك والشعب (٢٢:١-٩).

١١- مصير شلوم (٢٢:١٠-١٢).

١٢- إعلان ضد يهوياقيم (٢٢:١٣-٢٣).

١٣- الملك المسيا (٢٣:١-٨).

١٤- إعلانات ضد الأنبياء الكذبة (٢٣:٩-٤٠).

١٥- تحذير ليهوذا (٢٤:١-٢٥:٣٨).

ثانياً: أحداث في حياة إرميا (٢٦:١-٤٥:٥).

١- عظة الهيكل والقبض على إرميا (٢٦:١-٢٤).

٢- نير بابل (٢٧:١-٢٩:٣٢).

٣- سفر التعزية (٣٠:١-٣٣:٢٦).

أ. يوم الرب (٣٠:١-٢٤).

ب. عودة الشعب والعهد الجديد (٣١: ١-٤٠).

ج. شراء إرميا للحقل الذي في عناثوث (٣٢: ١-٤٤).

د. وعود خاصة بالعودة (٣٣: ١-٢٦).

٤- تحذير (٣٤: ١-٢٢).

٥- مثل الركابيين (٣٥: ١-١٩).

٦- درج السفر وإملائه ثانية لباروخ الكاتب (٣٦: ١-٣٢).

٧- إرميا خلال حصار أورشليم (٣٧: ١-٤٠: ٦).

٨- نظام جدليا الإداري واعتقاله (٤٠: ٧-٤١: ١٨).

٩- الهجرة والهروب إلى مصر (٤٢: ١-٤٣: ٧).

١٠- إرميا في مصر (٤٣: ٨-٤٤: ٣٠).

١١-إعلان إرميا لباروخ (٤٥: ١-٥).

ثالثا: إعلانات ضد الشعوب الأجنبية (٤٦: ١-٥١).

رابعاً: خاتمة تاريخية (٥٢: ١-٣٤).

١- سقوط أورشليم وأحداث دامية أخرى (٥٢: ١-٣٠).

٢- تكريم يهوياكين (٥٢: ٣١-٣٤).

إرميا النبي ورسالته

يعد سفر إرميا من الأسفار الطويلة في العهد القديم، والتي تمدنا بالكثير عن النبي إرميا وحياته الشخصية، وكانت لباروخ (تلميذه) اليد الطولي في الحفاظ على السفر.

ولد إرميا بن حلقيا الكاهن بعد عام ٦٥٠ ق.م في قرية عناثوث - والتي تبعد بمقدار ميلين إلى الشمال الشرقي من مدينة أورشليم - في نهاية حكم منسى الذي دام طويلاً (٥٥ عاماً) حيث أفسدت العبادة الوثنية الديانة اليهودية. وتعرف قرية عناثوث اليوم برأس الخروبة.

ولد النبي إرميا من أسرة كهنوتية. إلا أنه لم يكن كاهناً بل دخل في صراع مع الكهنة وأيضاً مع أعضاء أسرته (١٢: ٦، قارن ١١: ١٨-٢٣). وطبقاً لما جاء في (١مل ٢: ٢٦-٢٧) كانت عناثوث المقر الدائم لأسرة الكاهن أبياثار (التي تمتد إلى عالي الكاهن) الذي طرده الملك سليمان لتأييده محاولة أدونيا للاستيلاء على الحكم. وربما أمضى إرميا فترة شبابه في أورشليم. وتعرف على رسالة الأنبياء الذين سبقوه وخاصة النبي هوشع. فرسالته المبكرة تظهر التأثير العميق لهذا النبي على تفكيره والدور الذي يقوم به.

وجاءت دعوة إرميا عام ٦٢٦ ق.م تقريباً في سنة وفاة أشور بانيبال آخر ملوك أشور العظام في السنة الثالثة عشر لحكم الملك يوشيا (١: ٢، ٢٥: ٣). وكان عمر إرميا ما يقرب من عشرين عاماً (١: ٦) عندئذ. وقد ساعد ضعف القوة الآشورية على استقلال يهوذا، لذلك عندما عثر على سفر الشريعة في الهيكل عام ٦٢١ ق.م تقريباً، تمكن الملك يوشيا (دون تدخل خارجي)، من تحقيق الإصلاح الديني القومي الكبير (٢مل ٢٢-٢٣). ويشير إرميا

النبي في سفره إلى هذا الكشف المبارك لسفر الشريعة (١١:١-٨). كما يقدم الأصحاح الثاني والثالث خلفية لهذا الإصلاح الديني العظيم. وقد استمرت خدمة إرميا إلى مابعد سقوط مدينة أورشليم بواسطة نبوخذنصر، والتي دامت ما يقرب من خمسين سنة، ومنذ دعوته عرف إرميا بالخطر القادم من الشمال (من أشور) على أورشليم وتأكد من سقوطها (١:١١-١٦)، كما سنرى فيما بعد.

إن شخصية إرميا تشكل أهمية خاصة في تاريخ الديانة العبرانية، كما يرى العلماء فتجاربه الشخصية ومشاعره الداخلية تنعكس بوضوح في كلماته أكثر من أي نبي آخر. كرسول من الله إلى شعب زمانه. وتمتع إرميا بشخصية قوية. وتضمن سفره مجموعة نصوص تعطينا نظرة غير عادية لمشاعره الداخلية (٢٣:١٠-٢٤، ١١:١٨-١٢:٦، ١٥:١٠-٢١، ١٧:٩-١٠ و١٤-١٨، ١٨:١٨-٢٣، ٢٠:٧-١٢ و١٤-١٨) ويُطلق على هذه النصوص اعترافات إرميا، لكن بعض هذه النصوص أخذ طابع المنولوج (الحديث إلى الذات) (١٥:١٠، ٢٠:١٤-١٨) والبعض الآخر صلاة إلى الله واستجابة الرب له (١١:١٨-٢٣، ١٢:١-٦، ١٥:١٥-٢١).

واتسمت حياة إرميا بالصراع الداخلي بين رغباته الطبيعية من ناحية وبين تفهمه للدعوة الإلهية من ناحية أخرى. وكان إرميا مرهف الحس ويرغب في الخير للجميع، عميقاً في فكره وفي ولائه لدعوته وإرساليته، مما جعله يواجه كراهية واضطهاداً لأنه أدان الظلم والخراب (٢٠:٨) «ناديت ظلم واغتصاب». وقد مُنع من الاشتراك في الأفراح والأحزان مع رفاقه. كما منع من الزواج (١٦:١-١٣) وشعر النبي بأن عليه أن يعيش ويد الله عليه (١٥:١٧) كما رغب لو أنه لم يولد (١٥:١٠، ٢٠:١٤-١٨)، ويبعد عن شعبه ويعيش وحيداً في البادية. ووصل الفشل بإرميا إلى درجة الفتور الروحي (١٥:١٨). ورغم أنه يعترف بأن الرب هو ينبوع الماء الحي (٢:١٣)، إلا أن إرميا نفسه كانت له لحظات ابتهاج وتمجيد وملء الفرح (١٥:١٦). وتكلم عن الله الجبار القدير الذي يحارب عنه فيعثر مضطهدوه (٢٠:١١) ولم يخف النبي مشاعره على الإطلاق. ولم يتردد أن يدين كل الشعب بطبقاته المختلفة من كهنة وأنبياء كذبة والأمراء والملوك والحكام. فلم يكن إرميا نبياً باكيًا فقط كما هو معروف أنه بكى ورثى لنفسه، ومرات كثيرة بكى على الناس الذين من حوله مثل يسوع «من أجل سحق بنت شعبي انسحقت حزنت...» (٨:٢١). وتضمن سفره الكثير من المراثي (٨:١٨-٩:١، ٩:١٠-١١ و١٧-٢٢، ١٠:١٩-٢١، ١٤:٢-٦).

ولكن النبي لم يفتقر للشجاعة وقت احتياجه إليها وفي الوقت المناسب، وطلب النقمة لأعدائه ومضايقيه (١١:٢٠، ١٢:٣، ١٥:١٥، ١٧:١٨) وصلى طالباً المتاعب على زوجات وأطفال أعدائه شخصياً (١٨:٢١-٢٣). ولم يكن على حق في ذلك إلا أنه رأى أن أعداءه هم أعداء الرب ليقينية الإيمان بأن دعوته جاءت من الله رأساً. وأن رسالته هي تعبير عن مشيئة الله. لكننا نراه في موضع آخر يصلي من أجل أعدائه ومن أجل سلامتهم (١٥:١١، ١٧:١٦، ١٨:٢٠).

كاتب السفر وزمن الكتابة

لا يوجد سبب علمي ينفي عن إرميا النبي أنه كاتب السفر بجملته. فقد جاء في الأصحاح (٣٦:١-٢) أنه في السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا عام ٦٠٤ ق.م تقريباً، أن الرب كلم إرميا قائلاً له: «خذ لنفسك درج سفر، واكتب فيه كل الكلام الذي كلمتك به على إسرائيل وعلى يهوذا وعلى كل الشعوب من اليوم الذي كلمتك فيه من أيام يوشيا إلى هذا اليوم». «فدعا إرميا باروخ بن نيريا فكتب باروخ عن فم إرميا كل كلام الرب الذي كلمه به في درج السفر» (عدد ٤).

وكان في السنة الخامسة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا، أن باروخ قرأ في السفر في يوم الصوم كلام إرميا في بيت الرب، في آذان الشعب (وكان إرميا محبوساً في السجن). وسُمع هذا الأمر لدى الأمراء والرؤساء الحكام،

وأحضروا باروخ إليهم ليقرأ لهم من درج السفر فقرأ باروخ في آذانهم. فكان لم سمع الرؤساء أنهم خافوا، ناظرين بعضهم إلى بعض. وسألوا باروخ كيف أمكنه كتابة كل هذا الكلام عن فم إرميا. «فقال لهم بفمه كان يقرأ لي كل هذا الكلام وأنا كنت أكتب في السفر بالحبر» (عدد ١٨). «فقال الرؤساء لباروخ اذهب واختبئ أنت وإرميا ولا يعلم إنسان أين أنتما».

وجاء الرؤساء (الأمراء/ الحكام) بدرج السفر إلى يهوياقيم الملك وقرأوا منه أمامه. فما كان من الملك يهوياقيم إلا أن يشق درج السفر بمبراه، وألقاه إلى النار التي في الكانون، حتى فني كل الدرج في النار. ورغم أن بعضهم ترجوا الملك أن لا يحرق الدرج إلا أنه لم يسمع لهم، وأصدر الملك أمراً بالقبض على إرميا النبي، وباروخ الكاتب «ولكن الرب خبأهما» (٣٦:٢٣-٢٦).

وطلب الرب من إرميا، أن يأخذ درجاً آخر، ويكتب فيه كل الكلام الأول الذي كان في الدرج الأول الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا. فأخذ إرميا درجاً ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب. فكتب فيه عن فم إرميا كل كلام الرب الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا بالنار، وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله (٣٦: ٢٧-٣٢). ويرجع علماء الكتاب المحافظين أن ارميا النبي هو كاتب النبوات الأخرى اللاحقة للسنة الخامسة ليهوياقيم الملك، كما أن إرميا هو المسئول عن ترتيب هذه النبوات لأن باروخ لم يكن إلا كاتباً (مسجلاً) وكل ما كتبه كان بلاشك بناء على توجيه إرميا النبي الذي اصطحبه في الذهاب إلى مصر التي يرجح بأنه مات فيها (٤٣:٦-٧).

الخلفية التاريخية

عاش إرميا حقبة هامة في تاريخ الشرق الأدنى القديم. وشاهد سقوط الإمبراطورية الأشورية ونهوض الإمبراطورية البابلية الكلدانية الحديثة، (حيث كان الكلدانيون يسكنون في الجنوب) (تك ١١:٣١، نحميا ٩:٧)، وكانوا هم الجنس الغالب في بابل ومنهم الملوك مردوخ بلادان ونبوخذ نصر وأويل مردوخ. ورأي إرميا دولته (مملكة يهوذا) تفقد استقلالها وتصبح إمارة بابلية. وكانت شخصية إرميا معروفة جداً في عصره. فقد عاون بني جنسه على أن يتغلبوا على الصعاب، وأن يجدوا لأنفسهم أساساً قوياً يبنون عليه إيمانهم. وبهذا أصبح إرميا أحد الشخصيات الهامة في تاريخ العهد القديم.

وحري بنا في هذا المقام أن نلقي بعض الضوء التاريخي على سقوط أشور ونهوض إمبراطورية بابل الكلدانية وسقوط مملكة يهوذا. حتى ندرك أهمية ودور النبي إرميا ورسالة السفر.

لقد تأسست الإمبراطورية الأشورية في منتصف القرن الثامن بواسطة تغلث فلاسر الثالث، وكان أشور بانيبال (٦٦٩-٦٣٣) ق.م آخر ملوكها العظام. وقد أصاب أشور الضعف الكبير بسبب الحروب الطويلة التي خاضتها والصراعات التاريخية وهجمات البرابرة من الشمال. وهبت عاصفة الماديين والكلدانيين الذين كونّوا تحالفاً قوياً واستولوا على مدينة أشور عام ٦١٤ ق.م. وبعد عامين سقطت نينوي عاصمة الإمبراطورية الأشورية. وهرب بعض القادة منهم إلى حاران. وحاولوا تكوين مملكة تحت زعامة رجل يدعي أشور يوباليت. ولكن الهزيمة حاقت بهم سريعاً بواسطة الكلدانيين في كركميش التي تقع غربي نهر الفرات وإلى الشمال من سوريا وذلك في عام ٦٠٥ ق.م. كما لحقت الهزيمة بجيوش المصريين بزعامة نخو فرعون مصر الذي توجه لمساندة البقية الباقية من الأشوريين (إرميا ٤٦:٢)[1].

هذا هو نخو فرعون مصر الذي قتل يوشيا ملك يهوذا عام ٦٠٩ ق.م في مجدو المدينة الكنعانية الواقعة إلى

(1) G.W. Anderson, A Critical Introduction to the Old Testament, pp, 121-122.
James P. Hayatt, IB, vol.5, pp. 777-778.
R.K. Harrison, Introduction to the O.T.pp. 802-804.

الجنوب الغربي من حيفا بعشرين ميلاً، لأن يوشيا اعترض على ذهاب نخو لمناصرة الآشوريين ضد البابليين. ولم يسمع لكلام نخو عن فم الله، ولم يفطن أن الرب قد تكلم إليه عن طريق هذا الملك الوثني كما يرى بعض العلماء. ويرجع البعض الآخر إلى أن نخو فرعون مصر طلب عون يوشيا ضد البابليين ولم يستجيب له يوشيا فُهم بقتله (قارن ٢مل ٢٣:٢٩، ٢أخ ٣٥:٢٠-٢٤) ورثاه إرميا النبي (٢أخ ٣٥:٢٥).

وأخذ شعب الأرض يهوآحاز بن يوشيا وملكوه عوضاً عن أبيه في أورشليم. وبعد ثلاثة أشهر فقط عزله ملك مصر وملك ألياقيم أخاه على يهوذا وأورشليم عوضاً عنه وغير اسمه من ألياقيم إلى يهوياقيم وأما يهوآحاز فأخذه نخو إلى مصر (٢مل ٢٣:٣٠-٣٤، ٢أخ ٣٦:١-٤).

وملك يهوياقيم إحدى عشر سنة على يهوذا من عام ٦٠٩-٥٩٨ق.م. وعمل الشر في عيني الرب حيث كان حاكماً متجبراً ومتسلطاً. وأفسد كل الإصلاحات التي قام بها يوشيا أبيه. وظل يهوياقيم تحت لواء المصريين الذين عينوه ملكاً على يهوذا إلى السنة الرابعة من حكمه، والتي قتل فيها فرعون نخو ملك مصر بواسطة نبوخذراصر ملك بابل (٤٦:٢) في كركميش كما سلفت الإشارة. وكان بعد ذلك أن حول يهوياقيم ولاءه إلى البابليين القوة السائدة في تلك الفترة، بل صار عبداً لهم. واستسلم لنفوذهم ليتحقق كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبيده الأنبياء (٢مل ٢٤:١-٢، قارن إرميا ٩:١٠-٢٢، ١٢:٧-١٣). ثم حوصرت بعد ذلك مدينة أورشليم. ومات يهوياقيم الملك عام ٥٩٧ق.م واضطجع مع آبائه. وملك يهوياكين ابنه عوضاً عنه، وكان ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم. وعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل أبوه. وجاء نبوخذ نصر ملك بابل إلى أورشليم والمدينة تحت الحصار، وأخذ يهوياكين ملك يهوذا وجميع أهل بيته حملهم نبوخذ نصر من بابل. واستولى على خزائن بيت الرب وبيت الملك وكسر كل ما صنعه الملك سليمان في هيكل الرب كما تكلم الرب. وسبى نبوخذنصر كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي، وجميع الصناع والمهرة، ولم يبق إلا مساكين شعب الأرض (٢٤:٦-١٤) كما تنبأ إرميا (٢٢:٢٤-٣٠). غير أن يهوياكين عومل معاملة حسنة في البلاط الملكي بعد تولي أويل مردوخ على بابل (٢مل ٢٥:٢٧-٣١، إرميا ٥٢:٣١-٣٤)، وعين نبوخذنصر ملك بابل متنيا بن يوشيا على يهوذا عوضاً عن يهوياكين وغير اسمه إلى صدقيا وملك إحدى عشرة سنة. وعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل يهوياقيم (٢مل ٢٤:١٩) وتمرد أيضاً على الملك نبوخذنصر الذي حلّفه بالله. وصلّب عنقه وقوّى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل (٢أخ ٣٦:١٢-١٣، قارن حزقيال ١٧:١٣-٢١).

ولم يتواضع صدقيا أمام إرميا النبي الذي تكلم بكلمة الرب، والذي حثه على أن يكون موالياً لبابل، وهذا أقل الشرور حتى لا تتعرض الأمة للهلاك... «أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه وشعبه واحيوا» (إرميا ٢٧:١٢).

وجاء نبوخذ نصر واستولى على مدينة أورشليم بعد حصار طويل. وتعد هذه الفترة من أقسى الفترات بالنسبة لإرميا النبي الذي قُبض عليه بينما هو منطلق من أورشليم إلى أرض بنيامين. ووضع إرميا في دار السجن أياماً كثيرة. ثم أرسل الملك صدقيا، وأخذ إرميا وسأله الملك في بيته سراً، وقال له: هل توجد كلمة من قبل الرب. فقال إرميا توجد. فقال: إنك تُدفع ليد ملك بابل (٣٧:١٢-١٦). وتحدث إرميا النبي أمام الرؤساء الحكام بهذه الحقيقة فاشتكوا أمام الملك فما كان منهم إلا أن يلقوا إرميا النبي بحبال في الجب وإذ لم يكن فيه ماء بل وحل «فغاص إرميا في الوحل» (٣٨:١-٦). وأنقذت حياته بواسطة عبد ملك الكوشي (٣٨:٧-١٣). وعندما سقطت أورشليم، وعمى صدقيا بعد أن قتل ملك بابل بنيه أمام عينه. أوصى نبوخذ نصر ملك بابل رئيس الشرط نبوزرادان قائلاً له: «خذ إرميا وضع عينيك عليه ولا تفعل به شيئاً رديئاً بل كما يكلمك هكذا أفعل معه» (٣٩:١١-١٤). وأسلم الرؤساء إرميا إلى جدليا بن أخيقام ليخرج به إلى البيت ويسكن بين الشعب، غير أنه بعد فترة وجيزة اغتيل جدليا

بواسطة إسمعيل بن نثنيا (٤١:١-٢٢).

وارتعب اليهود الباقون من بطش البابليين، وطلبوا اللجوء إلى مصر للنجاة (٤١:١٧-١٨). ورفض إرميا بشدة هذه الفكرة (٤٢:٩-٢٢) ولم يسمع له الشعب واضطر هو نفسه أن ينزل معهم إلى مصر (٤٣:١-٧). وفي تحفنحيس في مصر حيث استقر جماعة اليهود، واصل إرميا خدمته في مصر (٤٣:٨-١٣) وتنبأ بكلمة الرب وتقديم رسالته لهم هناك (أصحاح ٤٤).

بيان توضيحي تاريخي

الملك	شواهد كتابية	المدة(سنة)	من	إلى
يوشيا	(٢مل ٢٢-٢٣، ٢أخ ٣٤-٣٥)	٣١	٦٣٩ ق.م	٦٠٨ ق.م
يهوآحاز بن يوشيا	(٢مل ٢٣:٣٠-٣٤، ٢أخ ٣٦:١-٤)	٣ شهور	٦٠٨ ق.م	
يهوياقيم بن يوشيا	(٢مل ٢٣:٣٤-٢٤:٧، ٢أخ ٣٦:٥-٨)	١١	٦٠٨ ق.م	٥٩٧ ق.م
يهوياكين بن يهوياقيم	(٢مل ٢٤:٦-١٧، ٢أخ ٣٦:٨-١٠)	٣ شهور	٥٩٦ ق.م	
صدقيا بن يهوياقيم (إلى سقوط أورشليم وسبي الشعب)	(٢مل ٢٤:٢٥، ٢أخ ٣٦:١١-١٤)	١١	٥٩٧ ق.م	٥٨٦ ق.م

وكانت كلمة الرب إلى إرميا قائلاً:

قبلما صورتك في البطن عرفتك

وقبلما خرجت من الرحم قدستك

جعلتك نبياً للشعوب

لتقلع وتهدم... وتبني وتغرس

تنجلي دعوة النبي إرميا في الحوار البديع والباني، المترفق والمشجع، لإنسان ترابي. من الإله القدوس الخالق والفادي، ويلمس الرب فم النبي الشاب اليانع الذي ربما لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره قائلاً له: «ها قد جعلت كلامي في فمك» (إرميا ١:٤-١٩). وكم كانت كلمة الرب حافزاً على الغلبة والنصرة (١٤:٥، ٢٣:٢٩) لإرميا، الذي لم ير نفسه إلا شخصاً صغيراً ضعيفاً لا يقدر على الكلام. وظل مصارعاً مع قوة كلمة الله القدير التي لم يستطع الإحجام عنها.

لقد رأى إرميا أن حياته هي خطة من الله. وهو بعد في البطن اختاره الرب وقدسه، ليكون نبياً ومعلماً منذراً للشعوب، ومعلناً دينونته العادلة على كل نفس. وعبثاً حاول إرميا الهرب من مسئوليته العظمى (قارن خروج ٣-٤ ودعوة موسى). ولكن عليه أن يكون خادماً لكلمة الرب صانعة التاريخ وبيأس. إنها الكلمة المصحوبة بقوة لإرميا «لتهدم وتبني» (١:١٠)، حتى تعلم شعوب الأرض أن الرب هو المسيطر على الخليقة كلها وليس بالصراع المحموم.

«ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي، ها قد جعلت كلامي في فمك. انظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب، وعلى الممالك، لتقلع وتهدم، وتهلك، وتنقض، وتبني وتغرس» (١:٩-١٠).

ورأى إرميا رؤيتين

الرؤيا الأولى (١:١٢) رأى فيها إرميا «قضيب لوز» والكلمة تعني في العبرية (ساهر أو حارس). وقال له الرب أحسنت الرؤيا لأني أنا ساهر على كلمتي لأجريها، أي أن الرب ساهر ليعمل على تحقيق ما تكلم به على يهوذا لكي

يتمم خطته وقصده (قارن إش ٥٥: ١٠-١١).

الرؤيا الثانية (١: ١٣-١٦) تقدم تفسيراً واضحاً لما تضمنته الرؤيا الأولى بأن القضاء آت على يهوذا. لقد رأى إرميا قدراً منفوخة ووجهها من جهة الشمال نحو الجنوب. وقال الرب «من الشمال ينفخ الشر على كل سكان الأرض أرض يهوذا، لأني آت بشر من الشمال وكسر عظيم» (قارن ٤: ٥-٦: ٢٧). إن الرب يجري قضاءً وعدلاً على فم النبي على كل ملوك يهوذا ورؤسائها، ولكهنتها وشعب الأرض. ويطمئن الرب نبيه قائلاً: «ويحاربونك ولا يقدرون عليك لأني معك يقول الرب لأنقذك» (١: ١٨-١٩).

حتمية الدينونة

عاصر النبيان إرميا وحزقيال التغيير المفاجيء والإصلاحات الجذرية أيام يوشيا ملك يهوذا. جاء النبيان من أسرة كهنوتية، كما أنهما يكملان الواحد الآخر، مثلهما في ذلك مثل النبين عاموس وهوشع، اللذان تنبآ عن زمن السقوط... وحتمية العقاب. وكانت مهمتهما أن يتحدثا عن المأساة، ويعبرا عنها. وأن يفسرا المعاني الدينية التي تسلماها من الرب والتي لأجلها جُعلا.

وربما يكون إرميا قد تأثر كثيراً بالنبي هوشع، كما يرى العلماء، (قارن الأصحاح الثاني من إرميا ونبوة هوشع) ويذكرهم النبي بحدث الخروج والتيهان في البرية وعهد إسرائيل من الرحمة، والمحبة القوية، إنها علاقة محبة مضحية باذلة (أعداد ١-٣) كعلاقة الزوج بزوجته لكن قد تغير الأمر، وصار عهد دعوى (محاكمة) (٢: ٤-١٣).

لقد كانت حياة إسرائيل في كنعان تاريخاً يدل على عدم أمانة الشعب الذي عاش حياة بلا أدنى تقدير لأعمال الرب القدير المحب لهم منذ البدء وعونه السخي لهم (٢: ٥-٧) ووصلت الدعوى إلى قمتها في الاتهام ضد إسرائيل التي صارت باطلاً مع آلهتها الوثنية (عدد ٥).

ويناجي النبي باندهاش وحيرة «ابهتي أيتها السموات من هذا واقشعري وتحيري جداً يقول الرب. لأن شعبي عمل شرين. تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم أباراً، أباراً مشققة لا تضبط ماء» (٢: ١٢-١٣).

ويُشبه إرميا النبي إسرائيل بالزوجة الخائنة التي تترك أليف صباها (٣: ١٩-٢٠) وصارت زانية تجري وراء شهواتها مثل البهيمة المتوحشة (٢: ٢٠-٢٥)، لذلك لابد من الطلاق (٣: ١-١٥) لأن يهوذا لم تتعلم من أختها إسرائيل، التي زاغت وفسدت برجاساتها، فكان لها ككتاب الطلاق مكتوب بلغة مقروءة ومرئية لأحداث مأساوية (٣: ٦-١٤).

ورغم كل هذا فالرب يدعو إلى الرجوع وإلى التوبة لتغيير الحياة. يقول النبي «ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم» (٣: ٢٢). إنها الحاجة إلى تغيير القلب من الداخل. وحرف الشرط (إن) رجعت يا إسرائيل يقول الرب.. وإن نزعت مكرهاتك من أمامي... وإن حلفت حي هو الرب (وإن سلكت) بالحق والعدل والبر تتبرك الشعوب بالرب وبالرب يفتخرون» (٤: ١-٢، قارن ١٨: ٨ و١١).

وقد تصدي إرميا مقاوماً وبشدة فكرة إصلاح الممارسات الدينية الطقسية، ودعا إلى ضرورة الإصلاح من الداخل من القلب مركز الولاء الإنساني والمشاعر والعواطف. إنها دعوة إلى ختان القلب مركز الحياة حتى يتسق وإرادة الله - فقد رأى إسرائيل غلف القلوب شعب متمرد (٩: ٢٦) صلب الرقبة (تث ١٠: ١٦) فحاجته الماسة إذاً هي إلى ختان القلب حتى يستطيع أن يحب الرب إلهه من كل القلب ومن كل النفس ليحيا (تث ٣٠: ٦). إنها دعوة إرميا للشعب لإصلاح الحياة (٤: ٣-٤) في زمن فقد فيه الشعب هويته كشعب مقدس، ولابد من العودة إلى الرب من جديد والرجوع إليه من القلب.

إرميا النبي المتألم

تقدر خدمة النبي إرميا بما يزيد عن أربعين عاماً (٦٢٦-٥٨٧ق.م) من تاريخ المملكة الجنوبية (يهوذا). وأطلق عليه اسم النبي الباكي، الراثي والمشتكي لما لاقاه من معاناة وألم. وتتسم رسالته بالصلابة الحديدية في مواجهة كل فساد وشر وظلم وتعد، كما اتسمت رسالة عاموس وإشعياء من قبله. ومثل سابقيه من الأنبياء، أعلن إرميا بوضوح أن يوم الرب الذي طالما انتظره الشعب، لن يكون يوم انتصار وفرح وابتهاج بل هو يوم ظلمة وقتام، يوم قضاء ودينونة.

وقد جاء عن إرميا في بدء دعوته عن فم الرب أنه سيكون «مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس لملوك يهوذا ورؤسائها وكهنتها ولشعب الأرض. فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني أنا معك يقول الرب لأنقذك» (١٨:١). غير أنه كان عاطفياً حساساً - كأم تعطف على أولادها - وارتبطت حياته بمأساة أورشليم، وامتزجت آلامهم بآلامه ونفذت الجراح إلى داخل قلبه واختلطت بكل مشاعر الحزن والألم فيقول: «قلبي سقيم... انسحقتُ حزنتُ أخذتني اللوعة» (قارن ١٨:٨-٢٢).

فقد اكتملت في إرميا الصلابة والقوة مع اللطف والعطف. لذلك نجد في العهد الجديد أن شعب اليهود ظنوا يسوع بأنه إرميا (مت ١٦:١٣).

يهوياقيم الملك الطاغية يحرق الدرج

كما سلفت الإشارة، تعين يهوياقيم ملكاً على يهوذا، بواسطة فرعون نخو ملك مصر، بعد قتل يوشيا أبيه بواسطة المصريين عام ٦٠٩ ق.م في مجدو، وعزل يهوآحاز الذي لم يبق في الحكم سوى ثلاثة شهور (إرميا ٢٢:١٠-١٢)، لذا كان يهوياقيم ملك يهوذا لعبة في يد فرعون نخو ملك مصر، الذي غير اسمه من ألياقيم إلى يهوياقيم (٢مل ٢٣:٣١-٣٦). وكان من مهامه الرئيسية أن يجمع الضرائب الثقيلة من شعب يهوذا فضة وذهباً ويرسلها لملك مصر (٢مل ٢٣:٣٥). وفي كل الأحوال كان يهوياقيم يختلف كثيراً عن أبيه يوشيا (قارن إرميا ٢٢:١٣-١٩). وكان عاصياً أنانياً متسلطاً سخَّر شعبه لبناء القصور الفاخرة لنفسه. ولم يكن يعرف الرب حتى يصنع الحق. بل أذل شعبه وسفك دماً بريئاً (أعداد ١٥-١٧). وكل من خالفه أماته لأنه لم يخف الله ولا الناس. وكان يهوياقيم هو الملك الوحيد بين ملوك يهوذا الذي تجاسر وقتل نبي الله (٢٦:٢٠-٢٣). وخلال سيادة وحكم المصريين على فلسطين ما بين موت يوشيا عام ٦٠٩ ق.م، التي قُتل فيها فرعون نخو ملك مصر بواسطة نبوخذ راصر ملك بابل (إرميا ٤٦:٢) ظل يهوياقيم تابعاً بالكامل لسياسة وأوامر المصريين حتى يحتفظ بالحكم ويظل في كرسي المملكة.

والآن حان الوقت ليقدم إرميا النبي رسالته النبوية محذراً ومنذراً بأن خطراً سيأتي من الشمال. وهذا الخطر هو من البابليين وكان يرجو أن يمتثل الشعب لإنذاره هذا، ويرجعوا عن ضلال طريقهم وأفعالهم الشرية، وأملى النبي على باروخ الكاتب كل الإعلانات التي تسلمها من الرب منذ دعوته، والتي قاربت على ثلاثة وعشرين عاماً، حيث جاءته الدعوة في السنة الثالثة عشر من حكم يوشيا ملك يهوذا (١:٢).

وكتب باروخ عن فم إرميا كل كلام الرب الذي كلمه به في درج السفر. وأوصى إرميا النبي باروخ قائلاً له: «أنا محبوس لا أقدر أن أدخل بيت الرب» (٣٦:٥). «فأدخل أنت واقرأ في الدرج الذي كتبت عن فمي، كل كلام الرب في آذان الشعب في بيت الرب في يوم الصوم. لعل تضرعهم يقع أمام الرب، فيرجعوا كل واحد عن طريقه الرديء. لأنه عظيم الغضب والغيظ الذي تكلم به الرب على هذا الشعب» (٣٦:١-٨).

وقرأ باروخ الكاتب حسبما أوصاه إرميا النبي في يوم الصوم على مسامع الشعب والحكام. فكان لما سمعوا كل

الكلام، أنهم خافوا ونظروا بعضهم إلى بعض. وقالوا لباروخ بأن يخبر الملك بهذا الكلام. وسألوا باروخ قائلين: كيف كتبت كل هذا الكلام من فم إرميا. فقال لهم «بفمه كان يقرأ لي كل هذا الكلام، وأنا كنت أكتب في السفر بالحبر» (عدد ١٨). وقال الرؤساء والحكام لباروخ اذهب واختبئ أنت وإرميا ولا يعلم إنسان أين أنتما. ودخلوا إلى الملك وقرأه يهودي في أذني الملك وفي آذان كل الأمراء الواقفين لدى الملك، وكان الملك جالساً في بيت الشتاء والكانون قدامه متقد. ولما قرأ يهودي ثلاثة سطور أو أربعة أن الملك يهوياقيم شق الدرج بالمبراة وألقاه في النار التي في الكانون حتى فنى كل الدرج في النار. ولم يسمع الملك للرؤساء الذين ترجوه أن لا يحرق درج السفر بل أمر أن يقبضوا على باروخ الكاتب وإرميا النبي «لكن الرب خبأهما» (٣٦: ٢٠-٢٦).

وأخذ إرميا درجاً آخر حسبما أوصاع الرب وكتب فيه باروخ كل الكلام الأول الذي كان في الدرج الأول، الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله (عدد ٣٢)، وما استجد من أحداث كما ساهم باروخ بكثير من الكتابات عن حياة إرميا ونشاطات خدمته مستخدماً ضمير الغائب بدلاً من المتكلم كما رأينا في كثير من الإعلانات الإلهية (أصحاح ٢٦-٤٥) وبعض الأجزاء المتفرقة في الجزء الأول من السفر (من أصحاح ١-٢٥).

وكان قضاء الرب إلى يهوياقيم الذي أحرق درج السفر وأعلنه إرميا النبي قائلاً: عن يهوياقم ملك يهوذا، «لا يكون له جالس على كرسي داود، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم. أجلب عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر الذي كلمتهم عنه ولم يسمعوا» (عدد ٣٠-٣١).

بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب

والآن يتساءل الرب على فم إرميا:

هل صار هذا البيت مغارة لصوص؟ (إرميا ٧: ١١، قارن إش ٦: ٧)

إمتلأ إرميا بغيرة مقدسة تجاه ما يفعله يهوياقيم ملك يهوذا، ابن يوشيا الملك الذي تحقق على يديه الكثير جداً من الإصلاح الديني الكبير. وعلى العكس من ذلك كان يهوياقيم مملوءاً شراً وفساداً (٦: ١١).

وفي السنة الأولى من حكم يهوياقيم (٢٦: ١) قام إرميا بجسارة وشجاعة فائقة، بتوجيه كلمات الدينونة وقضاء الرب داخل الهيكل، المكان الذي صار مركز العبادة الدينية ثمرة إصلاحات يوشيا ملك يهوذا أبيه. وقد وردت عظة الهيكل هذه في درج سفر إرميا (الأصحاح ٧) كما وردت أيضاً في مذكرة باروخ (الأصحاح ٢٦) وتكتمل هذه الصورة بقراءة الأصحاحين معاً.

فقد أنهض يهوياقيم العبادة الوثنية التي هدمها يوشيا أبوه. ورجع الشعب إلى طرقهم الأولى بعد أن اختلط عليهم الأمر. وقدم كل واحد قرابينه لأشتار ملكة السماء الإلاهة الأم المعبودة من أشور وبابل (إرميا ٧: ١٨) وتقديم الأبناء كمحرقة في وادي ابن هنوم (توفه) والسواري (٧: ٣٠-٣١، ١٩: ٥، قارن حزقيال ١٦: ٢٠-٢١، ٢٠: ٢٦، ٢٣: ٣١-٢٩) وقاموا بعمل كل ما هو رجس ونجس في عبادتهم الباطلة (٧: ٨-١٠).

واشتعل إرميا في قلبه في ذلك اليوم، عندما وقف في الهيكل. وهو يرى الشعب يدخل بيت الرب لممارساته الدينية الطقسية والتي لم ير فيها النبي سوى العبادة المزيفة المرفوضة من الله، وخاطبهم قائلاً: «اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا الداخلين في هذه الأبواب لتسجدوا للرب. هكذا قال الرب، أصلحوا طرقكم وأعمالكم، ولا تتكلوا على أعمال الكذب بتمسككم بالهيكل، لأنكم إن أصلحتم طرقكم وأعمالكم، إن حققتم العدل بين الإنسان وصاحبه ولم تظلموا الغريب واليتيم والأرملة ولم تسفكوا دماً بريئاً في هذا الموضع ولم تسيروا وراء آلهة أخرى فإنكم ستحيون في السلام في هذه الأرض التي وهبتها لآبائكم منذ الأزل وإلى الأبد» (٧: ١-٧).

وقد كشف لهم النبي عن حالتهم الراهنة المرفوضة من الرب، والتي تؤدي إلى هلاكهم في قوله لهم «أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل، وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دُعي أسمي عليه وتقولون قد نجونا، وتعودون تفعلون هذه الرجاسات ذاتها. هل صار هذا البيت الذي هو بيتي، مغارة لصوص في أعينكم» (قارن أعداد ٨-١١، مع إش ٥٦:٧، وما آل إليه الهيكل أيام يسوع في إنجيل مرقس ١١:١٧).

اذكروا ما صنعت في شيلوه من أجل شر شعبي إسرائيل

وشيلوه هذه هي مقر خيمة الاجتماع وتابوت عهد الرب (يش ١٨:١ و٨-٩) ومقر سكني عالي الكاهن والقاضي (١صم ٤:١٢ و١٣ و١٨، إرميا ٧:١٢-١٤، قارن ١صم ٤:١-٧:٢). لقد اعتقد شعب إسرائيل بأن حملهم لتابوت عهد الرب في الحرب ضد الفلسطينيين سيحقق لهم النصر، رغم كل نجاساتهم ورجاساتهم - لقد اتكلوا على تابوت العهد، ولم يطهروا أنفسهم، ولم يصنعوا براً أمام إلههم - وانزعج الفلسطينيون عند سماعهم أن تابوت عهد الله جاء إلى المحلة، وخافوا جداً وقالوا، قد جاء الله إلى المحلة، الإله الذي شق البحر أمامهم وضرب المصريين بجميع الضربات - وتشدد الفلسطينيون في حربهم ضد إسرائيل، وانكسر إسرائيل أمامهم وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جداً وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف محارب، وأخذ الفلسطينيون تابوت عهد الرب متكل بني إسرائيل، ومات ابنا عالي الكاهن حفني وفنحاس (١صم ٤:٣-١١، قارن إرميا ٢٦:٦-٧).

وهل شفع تابوت عهد الله في الشعب الذي اتكل عليه حتى تجعلون هذا البيت متكلكم. إني أصنع بهذا البيت الذي دُعي باسمي عليه والذي أنتم متكلون عليه كما صنعت بشيلوه (راجع مزمور ٧٨: ٦٠-٦٤).

وكلم الرب إرميا «وأنت فلا تصلِّ من أجل هذا البيت. ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح عليّ لأني لا أسمعك» (٧:١٦). ولماذا لي كثرة ذبائحهم ومحرقاتهم، وعبادتهم الباطلة... لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة. بل أوصيتهم قائلاً: اسمعوا صوتي الذي أوصيكم به. فلم يسمعوا، بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم وأساءوا أكثر من آبائهم (أعداد ٢١-٢٦، قارن خروج ١٥:٢٦، ١٦:٣٢، تث ٦:٣، مع ارميا ١١:٤،١٣، ١١:١١، خروج ١٩:٥-٦، لا ٢٦:١٢).

وطبقاً لما جاء في (الأصحاح ٢٦) يذكر باروخ الكاتب بأن عظة إرميا أثارت زوبعة واضطراباً بين سامعيه. وصُدم الكثيرون لأسلوب التحدي هذا، والذي يتناقض وفكر قلوبهم، وهو ضمان العون الإلهي لمملكة داود، وضمان حضور الله في هيكل الرب في أورشليم. ومثل سابقيه من الأنبياء تأصلت تعاليم النبي إرميا على تجربة الخروج، وتجارب البرية، وجود الرب وإحساناته للشعب طوال السنين العديدة (قارن تث ٧:٧-٨، ٨:٣، ٢٩:٥).

وقد كان ممكناً أن يفقد إرميا حياته ويقتله الشعب، لولا تعضيد أخيقام بن شافان، فكانت يده مع إرميا (إر ٢٦:٢٤) إذ كان أخيقام ذو نفوذ سياسي عظيم. وقد استخدم الرب أكثر من مرة أفراد هذه الأسرة لإنقاذ إرميا من القتل (إرميا ٣٩:١٤، ٤٠:٥-٧، قارن ٢مل ٢٢:١٢-١٤، إرميا ١:١٨-١٩) لأنه لأجل هذا دعي إرميا بقول الرب «لتقلع وتهدم، وتُهلك وتنقض، وتبني وتغرس» (١:١٠). وقد استمد قوته الفائقة من كلمة الرب (١:٩) «أليست هذه كلمتي كنار يقول الرب، وكمطرقة تحطم الصخر» (٢٣:٢٩).

يشفون كسر بنت شعبي على عثم (على السطح)

ويقولون سلام سلام، ولا سلام (٦:١٤،٨:١١ مع ٥:٣١).

كما كان الأنبياء الكذبة هم أعظم المضايقين، بل المكدرين للنبي إرميا، الذين عُرفوا بوعودهم الكاذبة للشعب عن

قرب العودة من السبي إلى أرض يهوذا، وعن عدم وقوع أية دينونة على الشعب صارخين قائلين سلام سلام حيث لا سلام. محاولين شفاء جراح الشعب الملتهبة على السطح (على عشم) بأدوية لا تصل إلى أصل الداء (٦:١٣-١٥، قارن ٥:١٢-١٣ و٣٠ و٣١، ١٤:٣-١٦، ٢٣، ٩:٢٣-٤٠). كما أدان النبي هؤلاء الأنبياء المخدوعين، لأنهم لم يكونوا ضمن جماعة الرب بل هم كذبة: «لذلك هكذا يقول الرب عن الأنبياء الذين يتنبأون باسمي، وأنا لم أرسلهم، وهم يقولون لا يكون سيف ولا جوع في هذه الأرض، بالسيف والجوع يفني أوليك الأنبياء. والشعب الذي يتنبأون له، يكون مطروحاً في شوارع أورشليم من جري الجوع والسيف. وليس من يدفنهم هم ونساؤهم وبناتهم وأسكب عليهم شرهم» (١٤:١٥-١٦).

وطالما حاول الأنبياء الكذبة تعبئة الشعب بالأمل الكاذب الوهمي، خادعين الشعب بالأباطيل، يسرقون الكلمة الواحد من الآخر.

«ليس هكذا النبي الذي يتكلم بالصدق ويصنع البر ويشهد للحق، لأنه ما للتبن مع الحنطة يقول الرب» (٢٣:٢٨). «النبي الذي معه حلم فليقص حلماً. والذي معه كلمتي يقول الرب، فليتكلم كلمتي بالحق. أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب، وكمطرقة تحطم الصخر» (عدد ٢٩). إن كلمة الرب لا تأتي بالسلام على هذا الشعب، بل كسيف قاطع مثل مبضع الجراح الذي يصل إلى مركز المرض اللعين، عديم الشفاء وتأتي بالشفاء التام. ولأجل هذا يتساءل النبي في حيرة سؤاله الجاد والقاطع (٨:٢٢).

أليس بلسان في جلعاد. أم ليس هناك طبيب

وكانت تنمو في جلعاد (التي في عبر الأردن شرقاً) أشجار البلسان (البلسم). والتي تفرز مادة كالصمغ في لزوجته. وكان لهذا البلسان خواصه الطبية في ذلك الوقت. فكان نفيس الثمن جداً وربما وصلت قيمته إلى ضعف وزنه فضة. وكان البلسان سلعة تصدر إلى كل شعوب العالم القديم (٨:٢٢، ٤٦:١١، ٥١:٨، حزقيال ٢٧:٢٧، تك ٣٧:٢٥، ٤٣:١١).

ويتساءل إرميا ألا يوجد بلسان على الإطلاق، أم لا يوجد الطبيب. ويعبر عن دهشته بالقول «فلماذا لم تعصب بنت شعبي ولماذا يشفون كسرها على السطح» (٨:١١) قائلين سلام (لا بأس) وليس سلام بل مرض قاتل، بل إنها لم تعصب على الإطلاق (والكلمة تعصب تعد ترجمة دقيقة للكلمة العبرية التي تشير بأنه لم يتم شيء بالنسبة لهذا المرض، أي لم يجر ما هو لازم وضروري).

ويكتب إرميا عن مرض الشعب عديم الشفاء فقد كان لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد (٥:٢٣). ولم يذعنوا لتعاليم الرب بل صموا آذانهم عن سماع الكلمة المقدسة، بل وصارت لهم كلمة الرب عاراً لا يسرون بها (٦:١٠). وأدرك النبي إرميا أن المشكلة تكمن داخل القلب. ومرض إسرائيل هو للموت وبات هذا واضحاً في أسلوب عبادتهم، حيث وضع الشعب ثقته في المبادىء الدينية الأولية، والسلوك الظاهري السطحي مثل عهد الشعب وولائه لتابوت العهد (٣:١٦) وفريضة الختان (٤:٤) وترديد التوراة نظرياً (٨:٨)، والاهتمام بالذبائح والمحرقات. والاهتمام بالهيكل ومظهره وجماله الخارجي، الأمور التي لم يوصي بها الرب يوم أخرجهم من مصر أرض العبودية (٧:٢١-٢٦). مع عدم الاهتمام بما هو نافع وبناء لحياتهم المثمرة عملياً، مثل إحقاق الحق والعدل، وإنصاف المظلوم والغريب، واليتيم والأرملة، تلك الأمور الجوهرية المتأصلة والمستمدة من محبة الرب، الخالق والفادي «المحبة لله من كل القلب ومن كل النفس وكل القدرة» (٧:٤ قارن تثنية ٦:٥-٩).

بل أكثر من ذلك فإن العلاقات الاجتماعية، قد تصدعت وحدثت بها شروخ عديدة، حتى امتدت إلى علاقة الأخ بأخيه (٩:٤-٦)، وتبددت الثقة بين الناس فيحاول الواحد خداع الآخر والسعي وراء إمرأة صاحبه (٥:٨) كما تبدد

الاهتمام باليائسين من المجتمع (٥:٨) وساد العمى القومي والانبهار بالأنبياء الكذبة وانتشرت العبادة الباطلة في الهيكل، وعلى كل المرتفعات وتحت كل شجرة خضراء.

هذه الشرور كلها ثمار بينة لخطية جذورها كامنة في القلب، القلب الذي يجب أن يكون مركز الولاء والتكريس لله بعبادة مقبولة ومرضية أمامه، شخصها إرميا في مقولة جامعة «القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه» (٩:١٧)، إذ لا يوجد مكان يخفي على الله الذي يفحص القلوب والكُلي ويملأ السموات والأرض (٢٣:٢٣-٢٤ قارن مزمور ١٣٩) وعيناه تنظران إلى الحق (٥:٣) إلى العلاقة المؤسسة على الأمانة مع الله وطهارة القلب والعقل.

وبدلاً من ذلك يرى الرب ضلالاً قد استوطن في حياتهم، وصلبوا وجوههم أكثر من الصخر وأبوا الرجوع (٥:١-٣). صار كل واحد كفرس جامح (٨-٦). شعبي لم يعرف قضاء الرب (٨:٧). لقد وضع الرب حداً للأمواج المزبدة الهائجة في البحر، أما إسرائيل فقد ذهب إلى ما بعد الحدود (٥:٢٠-٢٩). صارت خطية الشعب مكتوبة كما بقلم من حديد، وبرأس من الماس، منقوشة على ظهر قلوبهم (١٧:١-٤)، ولا يستطيع الشعب أن يغير من تصرفاته وأعماله الشريرة، مثل الكوشي (الحبشي) الذي لا يستطيع أن يغير شكل جلده أو النمر رقطه (٢٣:١٣)، وصارت خطيتهم أمراً طبيعياً. وتأصلت في حياتهم، ولم يخزوا ولم يعرفوا الخجل (٨:١٢). ليس أحد يتوب عن شره قائلاً ماذا عملت (إرميا ٨:٤-٧). ورغم كل التحذيرات رفض الشعب الرجوع والتوبة وصارت ندامتهم مملة للغاية (٦:١٥) ولابد من عقابهم وتحطيم عبادتهم وتدمير أساسات شرورهم.

ويؤمن إرميا بأن الله يعمل في التاريخ بل هو رب التاريخ وصانعه. ويؤكد ذلك من الإعلان الذي استمده من بيت الفخاري (الأصحاح ١٨).

إرميا في بيت الفخاري

إرسل الله إرميا إلى بيت الفخاري، لا ليقدم عظة في أبواب أورشليم، بل ليستمع لعظة حيث قال له الرب: «قم انزل إلى بيت الفخاري وهناك أسمعك كلامي» (١٨:١).

وكان إرميا مطيعاً كعادته فنزل إلى بيت الفخاري... وإذا هو يصنع عملاً على الدولاب بمهارة فائقة ودقة بأقل مجهود وفي وقت بسيط (عدد ٣).

ففسد الوعاء الذي كان يصنعه الفخاري ربما لصلابة قطعة الطين أو لوجود قطعة من الحصي الصلب بها. لذا أعاد صنعها من جديد، وعمل منها وعاءً آخر. كما حسن في عيني الفخاري أن يصنعه.

أو ليست الطبيعة كلها كقطعة لينة من الطين في يد ذاك الذي صنعها؟ ثم صار كلام الرب إلى إرميا قائلاً: «أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخاري يا بيت إسرائيل يقول الرب: هوذا كالطين بيد الفخاري أنتم هكذا بيدي يا بيت إسرائيل» (١٨:٦). وبينما كان النبي ينظر بعناية فائقة إلى الفخاري وعمله، كشف الله عن عينيه ليرى حقيقتين هامتين ليكرز بهما لبيت إسرائيل.

الحقيقة الأولى: أن الله يتمتع بسلطة كاملة لا تقبل الجدل وقدرة وقوة لا تقاومان، ليقيم أمماً وشعوباً وممالك كما يرى لمجده وحسب مسرته.

«أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخاري يا بيت إسرائيل يقول الرب... هوذا كالطين بيد الفخاري أنتم هكذا بيدي يا بيت إسرائيل».

إن للرب سيادة كاملة على شعبه، وعلى كل الشعوب والممالك فهو الخالق العظيم، يصنع ما يشاء في خلقه كقصده. ومن يستطيع مجاوبته فيقول: لماذا صنعتني هكذا؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة

واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان.

الحقيقة الثانية: أن الله لا يصدر أحكاماً تعسفية أو بلا رحمة «لك ذراع القدرة، قوية يدك مرتفعة يمينك، العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة الأمانة تتقدمان أمام وجهك» (مزمور ٨٩:١٣-١٤) لهذا يريد الرب:

١- إعلان مجده في الرحمة (إرميا ١٨:٧ و٨) «تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة، بالقلع والهدم والإهلاك. فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها. فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها». وأمام الإنسان القدرة والحرية، حتى يختار بين الخير والشر، الحياة والموت، فقد جعله الله سيد المخلوقات ليتصرف كالسيد لا العبد. وأن يخضع الأشياء لنفسه، ولا يخضع نفسه للأشياء. كما صارت للإنسان قيمة أعظم بالخلاص الذي صنعه له الله في الابن الحبيب. وهل لنا أن نتصور هذا الإنسان المحدود يحاول الاستقلال عن الله ولا يحرم من المجد والبهاء؟ إن للسمكة القدرة على السباحة ضد موج البحر فهل في استطاعتها أن تسبح خارج البحر وتحيا؟.... وهل للإنسان أن يتمتع بالبهاء والمجد بعيداً عمن كلله بها؟

يحاول الإنسان البعد عن الله ويقع في شرور كثيرة. ويوم أن يرجع هذا الشرير الذي تكلم الله عليه عن شره، يندم الله عن الشر الذي قصد أن يصنعه به، والكلمة يندم هنا تعني يتحنن ويشفق، فيحدث الغرس والبناء بدلاً من الهدم والإهلاك: «إذا تواضع شعبي الذي دعي أسمي عليهم، وصلوا وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طرقهم الرديئة، فإنني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبريء أرضهم» (٢أخ ٧:١٤).

إن الله قادر أن يقيم من الحطام شعباً حياً غيوراً لمجده. كالفخاري الذي استطاع أن يصنع من الطين وعاء آخر كما يحسن في عينيه «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣:٩، قارن رومية ٢:٤).

٢- **إعلان مجده في العدل** (إرميا ١٨:٩ و١٠) «وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتي، فأندم عن الخير الذي قلت إني أحسن إليها به»، ليست هناك قوة تمنع وتحرم الإنسان من الاستمتاع برحمة الله ونعمته، أقوى من قوة الخطية، ونعمة الله لا تمنح للإنسان غصباً أو كرهاً.

تارة أتكلم على أمة بالبناء والغرس فتفعل هذه الأمة أو هذا الإنسان أو هذه الأسرة «الشر في عيني فلا تسمع لصوتي فأندم عن الخير الذي قلت إني أحسن إليها به» والسؤال الآن هل الله يندم؟ ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن آدم فيندم (العدد ٢٣:١٩ أ) والفعل يندم هنا يعني تغيير أسلوب التعامل إذ كيف يمتع الله شعباً ببركات رحمته ومحبته، بينما يعيش هذا الشعب في طين الحمأة والخطية والفساد والشرور. كما أن الشطر الثاني ١٩ ب من الآية تفسير للشطر الأول ١٩أ.

سوف يقلع الله ما قصد غرسه ويهدم بناءه. وقد تم هذا بالفعل مع بيت عالي (١صم ٢:٣٠)، لذلك يقول الرب إله إسرائيل «إني قلت أن بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامي إلى الأبد. والآن يقول الرب حاشا لي، فإني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون» (إني قلت.. والآن حاشا لي).

إن الخطية خاطئة جداً، تمنع الإنسان من الاستمتاع بخالقه وفاديه. وتحطم كل سعادة داخله. وتقضي على كل أمل ورجاء عنده.

٣- **دعوة للإصلاح** (ع١١) هكذا قال الرب، هأنذا مُصدر عليكم شراً، وقاصد عليكم قصداً. فارجعوا كل واحد عن طريقه الرديء وأصلحوا طرقكم وأعمالكم «فإن طهر أحد نفسه من هذه، يكون إناء للكرامة، مقدساً نافعاً للسيد، مستعداً لكل عمل صالح» (٢تي ٢:٢١).

(ع١٢) فقالوا باطل «لأننا نسعى وراء أفكارنا وكل واحد يعمل حسب عناد قلبه الرديء باطلاً». يتحدث النبي

إرميا إلينا في هذا الأمر أو يتخذ وسيلة للإقناع. لأننا نسعى وراء أفكارنا ونسير في طريقنا مهما كلفنا. لقد استُعبد الشعب للخطية وتقست قلوبهم بخداعها قائلين بالفعل، لنا طريقنا وللرب طريقه.

وفي هذا يعلق أحدهم: إن كلمة الله واضحة ونعمته المتفاضلة بالإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع واضحة أيضاً، ومن يأخذ لنفسه طريقاً رديئاً مثل هذا، لا يجد قوة تمنعه من ذلك، ولكنه في النهاية يجد هلاكاً أكيداً.

ويذكر النبي إرميا الشعب أن كل مأساة تحل بهم هي نتيجة وثمرة أعمالهم وطرقهم الشريرة. «وأعمالك صنعت هذه لك، هذا شرك، فإنه مرّ فإنه قد بلغ قلبك» (٤:١٨).

ويرى أحد العلماء أن غضب الله لا يعني تدخل الله في حياة الشعب الخاصة بهم لعقابهم، بل هو انسحاب الله من حياة الشعب، بمعنى ترك الشعب للمعاناة والدمار، أي أنه تدمير ذاتي. ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلام الرب، بل رفضوا شريعته (قارن ٦:١٩).

وفي ذلك النص الذي يعلن فيه إرميا سيادة الفخاري على الطين، فإن كلمته مصحوبة بدعوة عاجلة، بأن يصغي الشعب لدعوة الرب لهم بالعودة، والرجوع إليه، ويصلح طريقه وأعماله، لأنه يوجد الوقت ويوجد رجاء وسيادة الله لا تبطل مسئولية الإنسان. «نادوا بصوت عال وقولوا لندخل المدن الحصينة».

لأني آتي بشر من الشمال وكسر عظيم

يعد الأصحاح الرابع إعلاناً واضحاً عن قدوم الشر من الشمال. ويشير إرميا على الشعب، أن يهربوا إلى المدن الحصينة طلباً للأمان (٤:٥-٨). وقد رأى النبي الأعداء يقتربون بفرسانهم، الأسرع من النسور. مثل العاصفة المرعبة الخطيرة التي تؤدي للهلاك. ويشير على أورشليم منادياً عليها بالتوبة (٥:١-١٨) ويسرع قلبه بالضربات كلما سمع صوت العدو قادماً، ويرى المأساة وقد سادت (٤:١٩-٢٢، قارن ٥:١٩-٢٢). إنه يسمع صرخة الموت من أورشليم، مثل صيحة الماخض البكرية (٤:٢٩-٣١). ويبكي إرميا وقد تمنى لو كان «رأسه ماء وعيناه ينبوع دموع. فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي» (٨:١٨-٩:٣). وهنا نذكر ما جاء عن يسوع في العهد الجديد وهو يبكي مأساة شعبه ويحس بآلامهم المبرحة. ويعبر النبي عن ذلك بقوله «من أجل سحق بنت شعبي انسحقت، حزنت، أخذتني دهشة (لوعة) من أجل شرهم وطغيانهم جماعة خائنين يشربون الإثم كالماء قووا في الأرض ليس للحق بل للبطل» (٩:٢-٣).

لقد اعتصرته الرؤية المفزعة الرهيبة، حينما رأى الأرض وقد أصابها الخراب من جراء الشر الآتي من الشمال (٤:٢٣ قارن تك ١:٢) وربما تصور تلك الفترة الزمنية من العالم قديماً يوم ما بعد الخراب زمن نوح، حيث لا إنسان أو حيوان أو نبات بل فناء ودمار شامل.

«نظرت إلى الأرض وإذ هي خربة وخالية وإلى السموات فلا نور لها. نظرت وإذا لا إنسان وكل طيور السماء هربت. فنظرت وإذا البستان برية وكل مدنها نُقضت من وجه الرب ومن وجه حمو غضبه» (٤:٢٣-٢٦).

وقوع الدينونة وتاكيد ذلك

تأكد وقوع الدينونة من الآيات أو العلامات المعلنة للنبي والتي كان أصبعها فهماً ما جاء في (١٣:١-١١) عندما أمر الرب إرميا أن يشتري قطعة من كتان ويضعها على حقويه، ثم كلمه الرب ثانية قائلاً: «خذ قطعة القماش على حقويك واطمرها في الصخر عند الفرات ففعل إرميا كما أمره الرب، وكان بعد أيام كثيرة أن الرب قال لإرميا بأن يأخذ المنطقة مرة أخرى من الموضع الذي طمرها فيه وإذا بها قد فسدت ولا تصلح لشيء».

«وصار كلام الرب إلى إرمياء هكذا أفسد كبرياء يهوذا، وكبرياء أورشليم العظيمة». هذا الشعب الشرير الذي

يرفض أن يسمع كلامي ويسلك في عناد قلبه، ويسير وراء آلهة أخرى ليعبدها، ويسجد لها، يصير كهذه المنطقة التي لا تصلح لشيء. وكما تلتصق هذه المنطقة بحقوي الإنسان، هكذا ألصق الرب بنفسه كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا ليكونوا له شعباً واسماً، وفخراً ومجداً، ولكنهم لم يسمعوا.

مرة أخري يأمر الرب إرميا أن يشتري إبريقاً من الفخار، وينادي على ملوك يهوذا وسكان أورشليم، معلناً دينونة الله العادلة على الشعب، وما اقترفوه من شرور ومفاسد، حيث بنوا مرتفعات للبعل، ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل، ثم يكسر إرميا الإبريق الفخاري أمام أعين الشعب قائلاً: «هكذا قال رب الجنود هكذا أكسر هذا الشعب، وهذه المدينة. كما يكسر وعاء الفخاري بحيث لا يمكن جبره وفي توفة يُدفنون حتى لا يكون موضع للدفن» (الأصحاح ١٩).

لقد كان الهدف من هذه الآيات والعلامات، أن يرجع الشعب إلى الرب، ويتوب عن شروره لكن الشعب زاد في غيه وشروره ونجاساته. وما كان من فشحور إلا أن ضرب إرميا النبي ووضعه في المقطرة إلى اليوم التالي (١:٢٠-٦). ولكن الرب ساهر على كلمته ليجريها. حتى يخرج الحق إلى النور ويسود العدل البلاد، وتتطهر الأمة من كل رجاساتها (١٢:١).

هذا الشعب الذي لم يمتثل لكلمة الرب ولم يرجع عن طرقه الرديئة مدة ثلاث وعشرين سنة (٢٥: ٣٠) يدعوه إرميا النبي للتوبة من السنة الثالثة عشر ليوشيا بن آمون ملك يهوذا، إلى السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا (٦٠٥ ق.م) وإرميا يكلمهم مبكراً فلم يسمعوا (٢٥:١-٣)، لذا رفض الشعب كل نداء ودعوة أنبياء الرب، حتى لا يسلكوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها، فلم يسمعوا (أعداد ٤-٨) لذلك أتت عليهم هذه النبوة عن فم الرب، بواسطة إرميا أنهم سيسبون إلى بابل بواسطة نبوخذ راصر، ويصيرون دهشاً وصفيراً، ويبيد منهم الرب صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس، ونور السراج وتصير الأرض كلها خراباً ودهشاً، وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة (٢٥:١١).

وعن السبعين سنة يرى أحد العلماء بأنها فترة تقريبية أي متوسط عمر الإنسان: «أيام سنينا هي سبعون سنة» (مزمور ٩٠: ١٠)، وقد انزعج يهوياقيم الملك لهذه النبوة الرهيبة كما أنزعج لسماعه بأنه سيموت موتاً مخجلاً (٣٦:٢٩-٣١ قارن ٣٢:١٨-١٩).

اعترافات النبي بضعفاته وآلامه

وقد وصفت في نصوص عديدة وأوردها العلماء فيما يلي:

١- (١١:١٨-١٢:٦) مثل خروف داجن يساق إلى الذبح.

٢- (١٥: ١٠-٢١) جلست وحدي لأنك ملأتني غضباً.

٣- (١٧:١٤-١٨) لا تكن لي رُعباً أنت ملجأي في يوم الشر.

٤- (١٨:١٨-٢٣) حفروا لي حفرة لنفسي، أذكر وقوفي قدامك لأتكلم عنهم بالخير.

٥- (٢٠:٧-١٣) حتى صارت كلمة الرب في قلبي كنار محرقة فمللت من الإمساك.

٦- (٢٠:١٥-١٨) لماذا خرجت من الرحم لأري تعباً وحزناً.

هذه هي الكلمات (الاعترافات) التي تكلم بها إرميا، خلال فترة اختفائه من يهوياقيم بن يوشياً ملك يهوذا، والتي يطلق عليها أحد العلماء بفترة الصمت. إنها كلمات سكبها النبي إرميا من قلب غير مستريح، بل متوجع

يتدفق بالآلام. بل إنها شبيهة باعترافات أوغسطينس التي نطق بها في مناسبات عديدة من حياته، (أو بالحري نقول بأنه تأثر كثيراً باعترافات إرميا). وربما يكون إرميا قد أملاها على باروخ الكاتب رفيقه في الضيقة العظيمة والهروب من وجه الملك العاتي يهوياقيم. وفي هذه الاعترافات نلاحظ أنها شخصية نابعة من الداخل. تحدث بها أمام إله يقف أمامه. وبأمانة وصراحة تامة. وفي بساطة كاملة يعترض على ما لاقاه، ويلاقيه من ألم من خدمته النبوية. وربما تضمنت في ثنايا سطورها بعض المراثي الشخصية، فهو يصلي بل يصرخ من الأعماق من الضيقة التي يعيش فيها. معبراً عن ثقته في النجاة (قارن مزمور ٦) رغم أنه واجه تهديداً بالموت حتى لا يتنبأ (٢٢:١١)، وحتى من أفراد أسرته (٦:١٢).

ومن الأمور التي أزعجت إرميا، رؤيته للمقاومين أنهم يعيشون في سلام، وأن الرب يدعهم يزدهرون. وكما حدث مع حبقوق وجد إرميا إجابة من الرب لشكواه (١٢:١-٦). بأن عليه أن ينتظر صامداً في مواجهة التعذيب. وفي وقته سيظهر الرب بره (٥:١٢، قارن حب ١:١-٤ مع ٢:١-٣).

ومثل أي إنسان عادي يتعرض لضعفات من جراء الضيقات (١٥:٢٠، ٢٠:١٤-١٨) يعبر عن ألمه ويتساءل: لماذا كل هذا؟! وفي حيرة يردد: لم أجلس بين المازحين ولم أرتكب جوراً. بل ذهب النبي إلى أبعد من ذلك، بأنه مثل شاة أو خروف سيق إلى الذبح. ويبسط أمره أمام الرب حتى ينتقم من مقاوميه، ومريدي نفسه ليهلكوها ويرى نهايتهم (١١: ٢٠، ١٢:١-٣، ١٧-١٨، ١٨:١٩-٢٣، ٢٠:١١-١٢).

وهنا ينتهر الرب إرميا على مرثاته المُرّة المبنية على سلوك أناني، نتيجة ضعف شخصي، ذلك السلوك الذي سبق وانتقده هو نفسه في الناس الذين دعاهم أن يرجعوا إلى الرب. إنه يقف الآن محتاجاً إلى ذات الكلمات المقدسة البانية. ويأتيه الجواب: «في هذا أجابني الرب إن رجعت أرجعك فتقف أمامي، وإذا أخرجت الثمين من المرذول فمثل فمي تكون. هم يرجعون إليك وأنت لا ترجع إليهم، وأجعلك لهذا الشعب سور نحاس حصيناً. فيحاربونك، ولا يقدرون عليك، لأني معك لأخلصك وأنقذك يقول الرب فأنقذك من يد الأشرار وأفديك من كف العتاة» (١٥:١٩-٢١).

إن هذه الصلوات أو الاعترافات تعبر عن آلام النبي، الذي دعي دعوة خاصة ليسير في وادي ظل الموت، وادي الظلام الدامس (مزمور ٢٣:٤) مع التأكيد الإلهي «أنا معك» والضمان الأكيد بأن تبريره قريب.

حقاً إن الرب كان مشاركاً له في آلامه التي تُعد اختباراً حياً لشركته مع الله، وصار اهتمام الله هو اهتمام النبي، وانعكست عواطفه (سواء العواطف الغاضبة أو المحبة) عبر حياته اليومية وخدمته بين شعبه.

ويرى بعض العلماء أن مفتاح فهم اعترافات إرميا يتمثل في دعوته للخدمة (١:١-١٠) والتي تذكرنا بدعوة موسى قديماً (خروج ٣). (والأعداد ٤-٨) من الأصحاح الأول تكشف عن صراع إرميا الإنسان داخل نفسه مع دعوته النبوية. فهو إنسان خجول مرهف الحس بطبيعته. ودعوة الله له قبل أن يولد ليكون نبياً للشعوب (والأعداد ١:٩-١٠) توضح أن إرميا كان مثل موسى الذي قبل عنه من الرب: «أضع كلامي في فمه» (قارن تث ١٨:١٨، قارن إرميا ١:٩) والرؤى وتفسيرها (١:١١-١٨) تبين الرسالة الهامة التي كان على إرميا أن يعلنها. تلك الرسالة التي تثير عداء الشعب، فدينونة الله قضاؤه ضد أرض يهوذا كما أعلن الله له ذلك، إنه يحتاج إلى تعضيد عظيم وكبير وليس فقط التأييد أو التعضيد الإنساني، لذلك يخاطبه الرب بالقول: «لا يقفون أمامك. لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب» (١:٨ قارن عدد ١٩).

لقد كانت دعوته عكس طبيعته الحساسة، إذ كان راضياً بحياته البسيطة المحاطة بأقاربه ومعارفه، متمتعاً بتأييدهم الإنساني له. وكان راغباً في العيش في سلام مع الجميع. محباً لهم وحانياً عليهم. لكن أصبح عليه الآن

«أن يكون إنسان خصام ونزاع لكل الأرض» (١٥: ١٠)، محاط بالأعداء بمفرده لأن يد الرب عليه. كما أنه منع من الزواج فلن يكون له أولاد، لذلك شعر بألم الوحدة الذي كان ثقيلاً على قلبه (١٦: ١-١٣) وعبر عن آلامه وإحساسه في هذه الاعترافات الشخصية، كما عبر عن تطلعه لخلاص الله الذي سيحقق له انتصاراً شاملاً، وليس انتصاراً شخصياً. بل تتحقق النصرة في طاعة الرب وإحقاق الحق والعدل، ويعم البلاد جميعاً السلام الشامل المبني على بر الله.

سلتا التين الجيد والتين الرديء

ورد في الأصحاح ٢٤ عن إرميا قوله: «أراني الرب وإذا سلتا تين موضوعتان أمام هيكل الرب، بعدما سبي نبوخذ راصر ملك بابل يهوياكين (يكنيا) بن يهوياقيم ملك يهوذا ورؤساء يهوذا والنجارين والحدادين من أورشليم وأتى بهم إلى بابل» (٢٤: ١).

وحري بنا قبل دراسة هذه الرؤيا وما تتضمنه من معانٍ أن ندرس الخلفية التاريخية لهذه الرؤيا.

لم يتمكن نبوخذراصر من دخول يهوذا مباشرة، بل بدأ في حث بعض الفرق من الشعوب المجاورة، أن يفسدوا يخربوا الأرض، وخلال تلك الفترة مات يهوياقيم تاركاً ابنه يهوياكين، في سن الثامنة عشر ليدفع ثمن أخطاء أبيه، وسياسته الرعناء غير الحكيمة. ويطلق على يهوياكين في بعض المواضع كنياهو أو يكنيا (إرميا ٢٢: ٢٤-٢٨). وجاء عن يهوياكين أنه صنع الشر مثل أبيه رغم الفترة القصيرة التي تولى فيها الحكم (٢أخ ٣٦: ٨-٩، ٢مل ٢٤: ٨-١٠). وفي عام ٥٩٨-٥٩٧ ق.م قاد نبوخذ نصر جيشاً جراراً لغزو يهوذا، وأسر يهوياكين بعد ثلاثة شهور من توليه الحكم. ونهب الهيكل وكل كنوز الملك وأخذ الملك الصغير وأمه إلى السبي في بابل، مع كل الشرفاء والنبلاء من الشعب، ومنهم حزقيال النبي. وهي تعد أول مجموعة تؤخذ إلى بابل كسبايا (٢مل ٢٤: ١٠-١٧).

وعين نبوخذ نصر ملك بابل متنيا الابن الأصغر ليوشيا ملكاً على يهوذا، عوضاً عن يهوياكين، وغير اسمه من متنيا إلى صدقيا وهو آخر ملوك يهوذا، واستمر ملكاً إحدى عشر سنة من عام ٥٩٧-٥٨٦ ق.م وقضى إرميا النبي بقية حياته النبوية في أورشليم (قارن الأصحاحات ٢١: ٢٤)، والتي تعكس حكم صدقيا عم يهوياكين مع مذكرات باروخ الكاتب (من أصحاح ٢٦: ٤٥).

وعلى النقيض من يهوياقيم المستبد والعاتي. كان صدقيا معتدلاً بل وضعيفاً، مما أتاح للرؤساء الذين من حوله فرصة تحقيق مآربهم الشخصية، وعمل الشر في عيني الرب ونجس الهيكل بالعبادة الوثنية (٢أخ ٣٦: ١٢ و١٤، إرميا ٣٧: ١-٢) ولم يحكم صدقيا بالعدل (إرميا ٢١: ١١-١٢) والتف حوله الأنبياء الكذبة (٢٧: ١٢-٢٢).

ورأى إرميا في رؤياه (أصحاح ٢٤) سلتي تين موضعتين أمام هيكل الرب. في السلة الأولى تين جيد جداً مثل التين الباكوري، وفي السلة الأخرى تين رديء جداً لا يؤكل من رداءته.

سلة التين الجيد

كان كلام الرب إليّ قائلاً: (٢٤: ٤-٧) «كهذا التين الجيد هكذا أنظر إلى سبي يهوذا الذي أرسلته إلى أرض الكلدانيين للخير. أجعل عيني عليهم للخير وأرجعهم إلى أرضهم أرض يهوذا. وأبنيهم ولا أهدمهم، وأغرسهم ولا أقلعهم. ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً لأنهم يرجعون إليّ بكل قلبهم».

سلة التين الرديء

(٢٤: ٨-١٠) الذي لا يؤكل من رداءته. هكذا قال الرب «أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقية في هذه الأرض، والساكنة في أرض مصر (بالهروب إليها) وأسلمهم للقلق والشر... وأرسل عليهم السيف

والجوع والوبأ حتى يفنوا».

هذه الرؤية النبوية يمكن فهمها بوضوح بدراسة (الأصحاح) كما يرى علماء الكتاب. وتعد رسالة تشجيع وتعضيد للمسبيين البعيدين عن أرض آبائهم وفي أيضاً رسالة توبيخ للشعب الباقي في يهوذا في أورشليم (حيث الهيكل) والمقيمين آمنين في بيوتهم. ورغم ذلك ابتعدوا عن العبادة الحقيقية بل وعبدوا البلعيم والعشتاروث الآلهة الوثنية. ورغم كل هذا اعتقدوا أنهم أفضل وأسمى من إخوتهم الذين حملوا إلى السبي في بابل. وحقيقة الأمر أنهم هم التين الرديء، الذي لا يؤكل من رداءته.

وعن المسبيين من يكنيا (الذي هو يهوياكين) بن يهوياقيم ملك يهوذا يقول الرب: هم التين الجيد جداً حيث كان بين المسبيين أيضاً حزقيال ودانيال (حز ١:١ ، دانيال ١:١-٧) وعن هؤلاء المسبيين يقول الرب (إر ٢٤: ٦): «أجعل عيني عليهم للخير وأرجعهم إلى أرضهم وأبنيهم ولا أهدمهم، وأغرسهم ولا أقلعهم». وربما كان السبي مكان تهذيب وتقويم وحافزاً للتمسك بإله السماء والأرض (قارن ٢مل ٢٥:٢٧-٣٠، إرميا ٥٢:٣١-٣٤، مع ٣٢:٤١، ٣٣:٧، ٣٠:٢٢، ٣١:٣٣، ٣٢:٣٨) وطريق تلمذة حقيقية وشهادة حقيقية لإلههم في الأرض الغريبة (قارن إش ٤٣:١٠، ٤٤:٨، ٤٩:٦، إرميا ٢٩:١١-١٤).

أما صدقيا ملك يهوذا ورجاله ورؤسائه، وبقية الشعب في هذه الأرض يهوذا والذين فروا هاربين إلى مصر أسلمهم للقلق والشر. وأرسل عليهم السيف والجوع والمرض حتى يفنوا. هؤلاء هم التين الرديء الذي لا يؤكل بل يصير للعنة (تث ٢٨:٢٥، ٣٧، قارن إرميا ٢٩:١٨،٢٢، مزمور ٤٤:١٣،١٤).

رسالة إرميا إلى المسبيين في بابل

جاء في (الأصحاح ٢٩) أن النبي إرميا أرسل من أورشليم إلى المسبيين في بابل (الذين سباهم نبوخذ راصر من أورشليم إلى بابل) بيد العاسة بن شافان وجمريا بن حلقيا، الذي أرسلهما صدقيا ملك يهوذا إلى نبوخذنصر ملك بابل، حاملين معهما في نفس الوقت الجزية، وليؤكدوا ولاء صدقيا ملك يهوذا للملك بابل نبوخذنصر بعد سماعه عن الثورة التي جاء عنها في (الأصحاح ٢٧). وربما كان العاسة بن شافان، هو الذي أخذ دور إرميا زمن القبض عليه بعد عظة الهيكل (٢٦:٢٤). كما أن والده شافان هو الذي كشف عن سفر الشريعة في هيكل الرب للملك يوشيا (٢مل ٢٢:٨) وحلقيا رئيس الكهنة (والد جمريا) هو الذي عثر على سفر الشريعة في بيت الرب وقدمه لشافان. ولقد ورث ابنا حلقيا وشافان من أبويهما الاهتمام بالكتب المقدسة، فنجد في (٣٦:٥)، جمريا وهو يتوسط لدى يهوياقيم ملك يهوذا حتى لا يحرق درج السفر.

حمل العاسة بن شافان وجمريا بن حلقيا رسالة إرميا النبوية إلى المسبيين في بابل قائلاً: «هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل (٢٩:٤). ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها ولدوا بنين وبنات واكثروا.. واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها، وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام (٢٩:٥-٧، قارن عزرا ٦:١٠، رومية ١٣:١، ١تي ٢:٢). بمعنى أن إرميا يدعوهم لحياة الاستقرار وعدم تشتيت الذهن، والانشغال بالتفكير فيما سمعوه من الأنبياء الكذبة، أن سبيهم سينتهي سريعاً، وأنهم سيعودون إلى وطنهم، إلى أرض يهوذا، لأنه هكذا قال رب الجنود إلى إسرائيل: «لا تغشكم أنبياؤكم الذي في وسطكم وعرافوكم... لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب وأنا لم أرسلهم يقول الرب» (٢٩:٨-٩)، «وعند تمام سبعين سنة أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح لأني مفتكر أفكار سلام لا شر. لأعطيكم آخرة ورجاء.... وأرد سبيكم وأجمعكم من كل الأمم، ومن كل المواضع التي طردتكم إليها، يقول الرب وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه» (أعداد ١٠-١٤، قارن ٢٥:١١-١٢).

وعن الأنبياء الكذبة ورد عنهم الكثير في (أصحاحي ٢٧، ٢٨) من السفر. ويعد (الأصحاح ٢٩) امتداداً لهما، وذكر اثنان من الأنبياء الكذبة آخاب بن قولايا وصدقيا بن معسيا وقضاء الرب عنهما. هأنذا أدفعهما إلى يد نبوخذ راصر ملك بابل، فيقتلها أمام عيونكم» (٢١:١٩). وقد قلاهما ملك بابل بالنار، لأنهما عملا قبيحاً في إسرائيل، فقد ذنيا بنساء أصحابهما، وتكلما باسم الرب كلاماً كاذباً لم أوصهما به. «وأنا العارف والشاهد يقول الرب» (٢٢ب:٢٣).

وقد تضمنت رسالة النبي إرميا إلى المسبيين قضاء الرب ودينونته على شمعيا النحلامي الذي تنبأ للشعب والرب لم يرسله وجعل الشعب يتكلمون على الكذب (٢٩: ٣٠-٣٢).

وحدث خلاف حاد بين إرميا نبي الرب، وبين أنبياء عامة الشعب (الكذبة) الذين لهم صلة بالبلاط الملكي (إرميا ٢٨)، وتقدم حننيا واحد منهم وأخذ النير عن عنق إرميا النبي، وكسره أمام كل الشعب وتكلم قائلاً هكذا قال الرب. هكذا أكسر نير نبوخذ ناصر ملك بابل في سنتين من الزمان عن عنق كل الشعب، وأرد إلى هذا الموضع أنية بيت الرب، التي سباها ملك بابل إلى بابل من أورشليم، وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا إلى بابل يقول الرب (٢٨:١-١١). بعد هذا صار كلام الرب إلى إرميا النبي قائلاً: «إذهب وكلم حننيا قائلاً: هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل، قد جعلت نيراً من حديد على عنق كل هؤلاء الشعوب ليخدموا نبوخذ ناصر ملك بابل» (أعداد ١٢-١٥) كما أعلن إرميا لحننيا حكم الرب «إن الرب لم يرسلك وأنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب. هذه السنة تموت لأنك تكلمت بعصيان على الرب، فمات حننيا النبي في تلك السنة في الشهر السابع»، أي بعد شهرين من الزمان (قارن ٢٨: ١ و٢٧) وبهذا ثبت صدق نبوة وإرسالية إرميا من الرب لشعبه وأدرك الشعب أن الرب قد أرسله حقاً (عددي ٨-٩، قارن أع ٥:٣٩).

حرق أورشليم والاستيلاء عليها

بلغت الأحوال السياسية غير المستقرة ذروتها عام ٥٨٨ ق.م وعندما اعتلى عرش مصر ملك جديد هو فرعون حفرع (إرميا ٤٤: ٣٠). وقد بدأ منذ توليه، يضرم نفس السياسة المتعنتة، التي كانت لفرعون نخو. فبدأ تحركه نحو آسيا ليخضعها تحت سيطرته. وقد بعث هذا التحول في الأحداث الرجاء في الأمم التي ترزح تحت نير البابليين وبدأت ثورته في الانتشار والتي كانت متمركزة في عمون ويهوذا (حز ٢١: ٢٠)، وبدأ نبوخذ ناصر في صد هذه الثورة وهذا الزحف، وأسس قاعدته العسكرية في ربلة التي في أرض حماه بسوريا على نهر العاصي Orantes (٢مل ٢٥:٦ و٢٠) وكانت ربلة قبلاً مركزاً لقوات فرعون نخو العسكرية (٢مل ٢٣:٣٣، قارن إرميا ٤٣:٩-١٣، ٤٦:٢٥، حز ٢٩:٣) وحاصر نبوخذ نصر أورشليم عام ٥٨٨ ق.م. وترجع إلى تلك الفترة رسائل لخيش التي عثر عليها علماء الآثار ما بين عام ١٩٣٢ - ١٩٣٨ م متضمنة إشارات عديدة عن النشاط العسكري في لخيش وعزيقة[1] (إرميا ٣٤:٦-٧). كما تلقى هذه الرسائل بعض الضوء على أحوال البلاد خلال الغزو البابلي، والتي جاء عنها بأجلى بيان ووضوح في الأصحاح الثاني والرابع من سفر المراثي.

ولم ينزعج النبي إرميا لحصار أورشليم بواسطة نبوخذ نصر، عندما أرسل الملك صدقيا رسله إلى إرميا يخبره قائلاً: «اسأل الرب من أجلنا لأن نبوخذ راصر ملك بابل يحاربنا، لعل الرب يصنع معنا حسب كل عجائبه فيصعد عنا (٢١:١-٢). وكان الملك صدقيا يرجو، أن يصنع الرب أية لتخليص أورشليم من قبضة ملك بابل كما حدث وقت حصار سنحاريب ملك أشور أيام أشعياء النبي ٧٠١ ق.م (إش ٣٧:٣٦-٣٧، ٢مل ١٩:٣٥ و٣٦).

لكن صدقيا ملك يهوذا لم يتلق كلمة طيبة مطمئنة من النبي إرميا بل أخبره بأن الرب سيحارب ضد المدينة قائلاً:

(1) J.B. Pritchard, ANET (2nd.ed.)pp.321-322
Thomas D.Winton, ed. Document from old Testament Times, pp.212-216.

«أنا أحاربكم بيد ممدودة، وبذراع شديدة، وبغضب وحمو وغيظ شديد» (٢١:٥). وستكون مقاومتهم العسكرية بغير طائل، بل إن إرميا النبي نصح مواطني يهوذا بأن يهرعوا إلى البابليين إذا أرادوا النجاة: «لأنه هكذا قال الرب هأنذا أجعل أمامكم طريق الحياة، وطريق الموت، الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء، والذي يخرج ويسقط إلى الكلدانيين الذين يحاصرونكم يحيا وتصير نفسه له غنيمة» (٢١:٨-٩).

وأعلن الرب دينونته العادلة على يهوذا وصدقيا ملكها «هأنذا أدفع هذه المدينة ليد ملك بابل، فيحرقها بالنار، وأنت (يا صدقيا) لا تفلت من يده بل تمسك إمساكاً وتُدفع ليده» (٣٤:٢-٣). وفعلاً قتل ملك بابل بني صدقيا في ربلة أمام عينيه، وقتل كل أشراف يهوذا، وأعمى عيني صدقيا وقيده بسلاسل نحاس ليأتي به إلى بابل. أما بيت الملك وبيوت الشعب فأحرقها الكلدانيون بالنار ونقضوا أسوار أورشليم (٣٩:٦-٨، ٢مل ٢٥:٨-١١) هذه هي ثمرة الشرور والنجاسة، التي كان يحياها الشعب، في عصيان وتمرد، وغلاظة قلب بعيداً عن شرائع الرب وأحكامه ووصاياه، ومن أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها (إرميا ٢٢:٨-٩، ٣٢:٢٦-٣٥، ٣٤:١٨-١٩، قارن ٢أخ ٣٦:١١-١٦).

إرميا في بيت السجن

عندما سمع الكلدانيون (جيش نبوخذ ناصر) الذين كانوا يحاصرون أورشليم، بخبر صعود جيش فرعون حفرع من مصر همّوا بترك مدينة أورشليم (٣٧:٥) وكان هذا بارقة أمل ورجاء للملك صدقيا، وشعب يهوذا الساكنين في أورشليم. وكان صدقيا الملك قد طلب من إرميا النبي المشورة والصلاة لأجله، ولأجل شعبه. وكان جواب الرب: «هكذا تقولون لملك يهوذا الذي أرسلكم إلي لتستشيروني: «ها إن جيش فرعون الخارج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرض مصر. ويرجع الكلدانيون (البابليون) إلى مدينة أورشليم ويأخذونها ويحرقونها بالنار» (٣٧:٧-٨).

وجاء في إحدى رسائل لخيش (Ostracon No. 6) أن الرؤساء أخبروا الملك صدقيا أن النبي إرميا يرخي أيادي العسكر والشعب، ويدعوهم للاستسلام واللجوء إلى بابل للنجاة (٣٨:٤-٥)، وبينما كان إرميا متوجهاً إلى بيته في عناثوث لمهمة معينة، قبض عليه وضرب وطرح في السجن (٣٧:١١-١٥) والأعداد من (١٦-٢١) تدعو للرثاء والشفقة، وربما اعتقد الملك صدقيا أن إرميا النبي كان على صواب، لكنه كان ضعيفاً وهزيلاً أمام رؤسائه وأمرائه. فقد دعا الملك صدقيا إرميا النبي إلى بيته سراً وسأله وقال: هل توجد كلمة من قبل الرب؟ فأجابه إرميا مؤكداً كلماته السابقة بأنه سيدفع ليد ملك بابل.

في هذا قال أحد المفكرين: «إن الإنسان ليشعر بالأسى تجاه صدقيا ويهوذا وليس تجاه إرميا النبي المطروح في السجن. لأنه وهو الملك إلا أنه سجين أفكاره المظلمة حالكة السواد. ولا يزيد عن كونه دمية بين رؤسائه وأمرائه. إنه السجين بالفعل وليس إرميا وإن كان في دار السجن، لقد تحدث إرميا إليه بروح هادئ ونغمة حميمة ملؤها الشفقة، مذكراً إياه بأن كلمات التطمين التي تحدث بها أنبياء الشعب الكذبة لم تخلصهم. وأين هم الآن (عدد ١٩). واستجاب الملك صدقيا لطلب إرميا أن ينقله إلى دار السجن. ولا يرجع إلى بيت يوناثان الكاتب فلا يموت هناك.

وتآمر الرؤساء فيما بينهم على قتل إرميا لأنهم رأوا فيه شخصاً يشجع الشعب على الاستسلام وعدم المقاومة أو الوقوف ضد جيوش ملك بابل (٣٨:١-٣) «وقالوا للملك ليقتل». ولم يجد الملك بداً من تسليم إرميا إليهم قائلاً: «ها هو بيدكم لأن الملك لا يقدر عليكم في شيء» (عدد ٥). فأخذوا إرميا ودلوه بحبال في الجب وإذ لم يكن فيه ماء بل وحل غاص إرميا في الوحل، وتُرك ليموت في الجب، لولا تدخل رجل خصي حبشي لدى الملك، الذي أمره برفع إرميا من الجب ووضعوه ثانية في دار السجن (٨-١٣) وللمرة الثانية دعا صدقيا ملك يهوذا، إرميا النبي سراً، وعقد معه اجتماعاً في بيت الرب (٣٨:١٤-٢٨) أطلعه فيه إرميا بكل إعلانات الرب له. وكان هذا آخر اجتماع

بين الملك صدقيا والسجين إرميا. لكنه لم يصغ لكلمات النبوة من فم النبي إرميا، وبعد وقت قصير دخل البابليون إلى مدينة أورشليم، وأحرقوها بالنار، وحملوا كل النبلاء والفهماء والحكماء من الشعب وكل المهرة والصناع إلى السبي في بابل وتركوا الفقراء البؤساء في أرض يهوذا، «ومن مساكين الأرض كرامين وفلاحين» (٢مل ٢٥:٩-١٢).

وتعد قصة الملك صدقيا ملك يهوذا قصة مأساوية تتدفق بالمرارة والحزن. فقد حاول الفرار من أورشليم وقُبض عليه في تخوم أريحا وأخذ للسبي إلى نبوخذ نصر في ربلة حيث الإدارة العامة، وكان عقابة فوق كل تصور وإدراك فقد شاهد قتل أبنائه أمام عينيه. ثم قُلعت عيناه بعد ذلك وأخذ في سلاسل إلى بابل (٢مل ٢٥:٤-٧)، ذلك لأنه عمل الشر في عيني الرب إلهه، ولم يتواضع أمام إرميا النبي من فم الرب، وتمرد على الملك نبوخذ ناصر... وصلّب عنقه وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل، حتى أن رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب رجاسات الأمم، ونجسوا بيت الرب واستهزأوا برسل الله، وتهاونوا بأنبيائه، «حتى حمي غضب الرب وثار غضبه على شعبه فلم يكن شفاء» (٢أخ ٣٦:١٢-١٦).

أما عن إرميا النبي فقد أوصى به نبوخذ ناصر رئيس الشرط خيراً، قائلاً له: «خذ إرميا وضع عينيك عليه، ولا تفعل به شيئاً رديئاً. بل كل ما يكلمك هكذا إفعل معه» (٣٩:١١-١٢) وحل رئيس الشرط نبوزرادان إرميا النبي من قيود السلاسل التي على يديه وقال لإرميا «كل الأرض هي أمامك فحيثما حسن وكان مستقيماً في عينيك أن تنطلق فانطلق إلى هناك» (٤٠:١-٤) وأعطاه رئيس الشرط زاداً وهدية وأطلقه (عدد ٦).

وماذا بعد الدينونة

لقد أيقن النبي منذ بدء دعوته ونبوته، أن كلمة الرب ليست للقضاء والدينونة فقط، أو للهدم والقلع، بل للغرس والبناء أيضاً. لقد أعلنت الدينونة بالكلمة النبوية على فم النبي إرميا، وكان الرب ساهراً على كلمته ليجريها، ليقيم الشعب ثانية على أساسات راسخة متينة مبنية على الطهر والنقاوة وقداسة الرب (إرميا ٢٤:٦-٧، ٤٢:١٠-١٢، راجع سفر التعزية في الأصحاحات ٣٠-٣٣). إنه ليدرك الإنسان خطأه ويعود إلى الرب إلهه فيرحمه.

حاجة الإنسان الماسة

في وقت ساد فيه الظلام وكل القتام شعب يهوذا، وشعروا في يأس أنه لن يأتي عليهم غد، واكتنفتهم المأساة الخارقة بعدم الرجاء (مراثي ٤:١٠، إرميا ٣:٢١) صارت كلمة الرب إلى إرميا باعثاً للرجاء الكبير له، ولكل الشعب، فبينما كان إرميا في السجن كانت كلمة الرب إليه بأن يشتري من ابن عمه حنمئيل بن شلوم حقله الذي في عناثوث بلدته التي في أرض بنيامين، والتي تقع في منطقة الغزاة لأن لإرميا حق الفكاك والإرث. واشترى إرميا الحقل وهو بعد في السجن كقول الرب له، ودفع ثمنه لابن عمه وكتب الصك وختمه، وأشهد شهوداً أمام كل اليهود الجالسين في دار السجن (٣٢:٦-١٢) «لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل سيشترون بعد بيوتاً وحقولاً وكروماً».

إنها دعوة وشهادة بالرجاء المنتظر في الرب بالعودة والاستقرار ثانية في أرض يهوذا أرض الآباء، والآمال المرجوه، والمحققة بنعمة خلاص الرب للشعب من أرض سبيهم (٣٢:١٣). «لأنه هكذا قال إله إسرائيل. هأنذا أجمعهم من كل الأرض التي طردتهم إليها بغضبي وغيظي وأردهم إلى هذا الموضع وأسكنهم، ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً... وأفرح بهم لأحسن إليهم وأغرسهم في هذه الأرض بالأمانة بكل قلبي وبكل نفسي... فتُشترى الحقول في هذه الأرض التي تقولون إنها خربة بلا إنسان وبلا حيوان. وقد دُفعت ليد الكلدانيين. يشترون الحقول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون ويشهدون شهوداً في أرض بنيامين وحوالي أورشليم وفي مدن يهوذا، ومدن الجبل، ومدن

السهل، ومدن الجنوب لأني أرد سبيهم يقول الرب» (٣٢:٣٦-٤٤).

إنه رجاء مؤكد في الرب فقط عليهم أن يرجعوا إلى الرب مخلصهم الذي أخرجهم في القديم من أرض العبودية، أرض مصر بآيات وعجائب بيد شديدة وذراع ممدوة (٣٢:٢٠-٢٢) بالتوبة عن خطيتهم (٥:٢٢-٢٣، ٨:٧، ١٣:١٨-١٦) التي تتمثل في حياة الطاعة للرب (٦:٨، ٣١:١٩، ٥:٣، ٩:٥، ٣٤:١٥) وحياة البر (٣:١٢-١٤، ٤:١-٤، ١٨:١١، ٣١:١٨-١٩).

وعندما يتحدث النبي عن صعوبة بل استحالة تغيير الكوشي (الحبشي) لجلده أو النمر رقطه، فهو لا يتحدث عن قدرة الله على الصفح، بل يتحدث عن معرفته وإدراكه لطبيعة الشعب المعاند والصلب الرقبة، عن أنهم حكماء في فعل الشر، وصعوبة تعلمهم لحياة الطاعة لإلههم. إن حاجتهم الماسة هي للتذلل قدام الرب والتوبة الصادقة (٣:٢٢-٢٥، ١٤:٧-١٠، ١٩-٢٢، قارن هوشع ٦:١-٣، ١٤:٢-٣) فبالرجوع والتوبة أمام الرب، سيتحقق لهم الطمان وحياة الاستقرار (٣:١٥-١٨، ١٦:١٤-١٥، ٢٣:٧-٨، ٢٤:١٨، ٣١:٨-١٤، ٢٧-٢٨، ٣٥-٤٠، ٣٣:٦-٢٦). إنها دعوة الرب لهم لتجديد وتطهير القلب وليس عودة للعبادة الطقسية الظاهرية، لأن الرب فاحص القلوب والكُلى (١١:٢٠، ١٦:١٧، ١٧:١٠، ٢٠:١٢، ٢٩:٢٣). والإصغاء لصوته أفضل من الذبائح والمحرقات (٦:٢٠، ٧:٢٢-٢٣، ١١:١٥). «وقد عبر النبي إرميا عن فم الرب، في كلمات سطرها عن مسرة الرب قائلاً: «هكذا قال الرب لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه، بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأن يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض. لأني بهذا أسر يقول الرب» (٩:٢٣-٢٤).

البقية ستُبنى

الكلمة التي تحدث بها الرب إلى نبيه إرميا عن البقية الأمينة المتعلقة بإلهها، رغم نار التجربة التي اجتازت فيها زمن سبيها: «ها أيام تأتي يقول الرب. وأرد سبي شعبي إسرائيل ويهوذا يقول الرب. وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم فيمتلكونها» (٣٠:١-٣). «هكذا قال الرب لإرميا قد وجد نعمة في البرية (السبي) الشعب الباقي عن السيف، إسرائيل الذي سرت لأريحه... محبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة. سأبنيك بعد فتبنين، تغرسين بعد كروماً في جبال السامرة» (٣١:١-٥) ولا يسمع بعد صوت راحيل في الرامة وهي تبكي بمرارة على أولادها وترفض التعزية عنهم لأنهم ليسوا بموجودين لأنهم يرجعون بفرح وابتهاج عوضاً عن الألم والضيق.

إنها راحيل زوجة يعقوب التي ماتت حين تعسرت في ولادة بنيامين وهي أم يوسف (تك ٣٥:١٦-٢٠، ٤٨:٧) وحدد قبرها في العصر المسيحي في الطريق ما بين أورشليم وبيت لحم (أي شمال بيت لحم بميل واحد). ويستخدم اسم راحيل هنا تعبيراً عن الحزن القومي الذي استولى على كل أم حبيبة ومحبة، كما يُسمع صوت أفرايم من الرب. وهو ينتحب ويخاطب الرب إلهه قائلاً: «أدبتني فتأدبت كعجل غير مروض توبني فأتوب». والمعنى الدقيق لهذه الكلمات توبني فأتوب أي ارجعني، وارحمني برأفتك من هذا السبي الذي سحقني. لأنك أنت الرب إلهي وتسبيحتي (٣١:١٨ مع عدد ١٩، راجع أيضاً ١٧:١٤ ومزمور ٨٠:٣ و٧ و١٩) من أجل ذلك يقول الرب عن أفرايم «حنت أحشائي إليه رحمة أرحمه» (٣١:٢٠). وستُبنى المدن الخربة (إرميا ٣١:٢٧-٣٠، حزقيال ٣٦:٩-١١، هوشع ١:١٠، ٢:٢٣) وتتحد يهوذا مع إسرائيل (٣:١٨، ٥٠:٤، إش ١١:١١-١٤، حزقيال ٣٧:١٥-٢٤، هوشع ١:١١). لأن دينونة الله وقضاءه كما أنها للقلع والهدم هي أيضاً للبناء والغرس (٣١:١٨، ١:١٠، ١٨:٧ و٩، ٢٤:٦) ولن يحمل الأبناء فيما بعد من إثم آبائهم ولن يتردد فيما بينهم المثل الشعبي القائل «الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست» (٣١:٢٩) والكلمات هنا كما يرى أحد العلماء تشير إلى الأبناء الذين ولدوا في أرض المعاناة والضيق. وكل كرب وألم في أرض سبيهم وحملوا من إثم آبائهم في هذه الأرض الغريبة بعيداً عن أرض يهوذا

التي تفيض لبناً وعسلاً (قارن حزقيال ١٤:١٣-٢٠، ١١:٨-٣٢).

العهد الجديد (٣١:٣١-٣٤)

يمثل هذا النص أهم النصوص الواردة بالسفر بل يعد ذروة تعليم النبي إرميا، وأحد الشواهق الرفيعة لتعاليم أنبياء الكتب المقدسة.

واقتبس هذا النص كاملاً في العهد الجديد (عب ٨:٨-١٢) ومتفرقاً في (عب ١٠:١٦-١٧) ويمثل خلفية كتابية لتأسيس فريضة العشاء الأخير (١كو ١١:٢٥) هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي (قارن لوقا ٢٢:٢٠).

والعهد الجديد هنا لا يشير إلى ناموس جديد، بل إلى تجديد العزم والإرادة لإتمام العهد الأول عهد سيناء والناموس الأخلاقي الذي يوثق العلاقة بين الإنسان والرب خالقه وفاديه من كل ضيق (قارن خروج ١٩:٤-٦ مع تث ٦:٤-٩) وعمل ما هو حق وجليل وعادل (٦:١٦-٢١، ٧:٥-١٠، ٢٢-٢٣، ٢٦:٤-٦).

هذا العهد «ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يقول الرب (٣١:٣٢) يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب» (إرميا ٧:٢٢-٢٣، هوشع ١١:١-٤، قض ٢:٢٠، ١مل١١:١١، ٢مل ١٨:١١-١٢) بل أجعل شريعتي (ذات الشريعة) في داخلهم وأكتبها على قلوبهم. وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً (إرميا ٢٤:٧، ٣٢:٣٩-٤٠). أنزع قلب الحجر الصلب العنيد من لحمهم وأعطيهم قلب لحم... (حزقيال ١١:١٧-٢٠) ليس هذا عن استحقاق بل هي النعمة والمحبة الإلهية (حزقيال ٣٦:٢٥-٣٢، ٣٧:١-٣٨)، ولا أحجب عنهم وجهي بعد.. يقول الرب (٣٩:٢٩، يوئيل ٢:٢٨-٣٢).

ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب

لأنهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب

لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد (٣١:٣٤).

هذا العهد الجديد مبني ومؤسس على الغفران الإلهي، المبني على معرفة صادقة للرب. والتي سبق لهوشع أن نبر عليها كثيراً (هوشع ٢:٢٠، ٤:١-٢، ٦:٧، إرميا ٩:٢٤، ٢٢:١٦). إنها معرفة اختبارية حميمة، مثلما عرفه الأنبياء، وليست معرفة سطحية، بل معرفة لها الجذور الممتدة والعميقة، التي تمحو كل كبرياء إنساني أمام إله في اتضاع، معترفاً بآثامه وعدم التزامه بالعهد الأول (٧:٢٣، ١١:٤) وعازماً على الرجوع إليه بكل القلب (٢٤:٧، ٣٠:٢٢، ٣١:١، ٣٢:٣٨).

«لأني أصفح عن أثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد يقول الرب» إنه غفران وصفح يقود إلى عودة العلاقة مع الله، التي سبق وقُطعت مع الإنسان بسبب التمرد والعصيان. والإنسان الذي يدعو الرب من قلب طاهر يجيبه الرب ويخبره بعظائم وعوائص لم يعرفها (قارن ٣٣:٨، مع ٩:١٤، ١١:٨، ١٣:١٠، ١٦:١٠-١٣)... وفي هذا يؤكد ميخا النبي الحقيقة العظمى بأنه لا يوجد مثل الرب... لا يحفظ إلى الأبد غضبه لأنه يسر بالرأفة (ميخا ٧:١٨).

والعهد الجديد هنا لا يعني عدم ارتكاب الخطأ وبلوغ الفرد أقصى درجات الكمال. بل هو تأكيد على الغفران والصفح بالإيمان الذي في المسيح يسوع.

مراثي إرميا

عنوان السفر

جاء عنوان سفر مراثي إرميا في الأصل العبري אֵיכָה بمعنى كيف؛ الكلمة الأولى من الأصحاح الأول والثاني والرابع. وتحمل أيضاً معنى التأوه.

وورد السفر في الأصل العبري للكتب المقدسة (العهد القديم) ضمن مجموعة الأسفار الخمسة (المجلوث) وهي الأسفار التي تقرأ في الأعياد والمواسم وهي نشيد الأنشاد، راعوث، مراثي إرميا، جامعة، أستير. ويقرأ سفر المراثي في المجامع اليهودية في التاسع من آب (أغسطس) ذكري هدم أورشليم بواسطة نبوخذناصر.

وهذه المجموعة من الأسفار جاءت ضمن أسفار الكتوبيم (الأدراج أو المكتوبات المقدسة) وهي المجموعة الثالثة من الكتب المقدسة.

وفي الترجمة اليونانية (السبعينية) ورد السفر ضمن أسفار الأنبياء وجاء ترتيبه بعد سفر إرميا النبي. وظهر كذلك في الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) والترجمات الأخرى وأيضاً العربية تحت عنوان مراثي (أو أغاني حزينة). وفي اليونانية جاءت التسمية Threnoi جمع الكلمة Threnos وهي من الكلمة اليونانية Threonai التي تعني «يصرخ بصوت مرتفع أو يرثي Lament»، كما وردت هذه التسمية «مراثي إرميا» في التلمود البابلي أيضاً.

ويرى أحد الباحثين أن أسلوب كتابة السفر شبيه بالكتابات السومرية القديمة، عند سقوط إحدى المدن القديمة العظيمة مثل مدينة أور (الكلدانية) وذلك لغزو قوات العدو[1] ومن هذا يتضح أن الكاتب كان على دراية بالكتابات الأدبية العريقة ذائعة الصيت.

كما أن المأساة التي أحاقت بيهود فلسطين خلال سني السبي، جاء وصفها في سلسلة القصائد هذه التي تضمنها سفر المراثي، ونسبت إلى إرميا نسبة للنغمة العميقة الحزينة التي اتسمت بها شخصيته وظهرت بوضوح في سفر إرميا فهو يشبه المدينة (أورشليم) بأرملة تجلس وحيدة وتبكي بقوله: «كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب. كيف صارت كأرملة العظيمة في الأمم. السيدة في البلدان صارت تحت الجزية، تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها. ليس لها معز من كل محبيها. كل أصحابها غدروا بها. صاروا لها أعداء» (١:١-٢) ونغمة الحزن التي اتشحت بها قصائد المراثي بسبب الهيكل المنهدم، حيث لا أعياد أو مواسم أفراح. لأن طرق صهيون نائحة لعدم الآتين إلى العيد. «كل أبوابها خربة» (١:٤). أنسى الرب في صهيون الموسم والسبت ورذل بسخط غضبه الملك والكاهن... (٢:٦-٧) انهالت حجارة القدس في رأس كل شارع، وبنو صهيون الكرماء الموزونون بالذهب النقي كيف حُسبوا أباريق خزف عمل يدي الفخاري» (٤:١-٢) وقد كف الجميع عن الغناء ومضي فرح القلب وتحول الرقص إلى نوح (٥:١٤-١٥).

أقسام ومشتملات السفر

١- مراثي على المدينة (١:١-٢٢).

أ- خزي أورشليم (١:١-١١).

ب- شكوى أورشليم (١:١٢-٢٢).

(1) ANET, PP. 455-457

٢- عقاب الله للمدينة المنجسة «صهيون» (٢: ١-٢٢).

أ- عقاب الرب (٢: ١-١٧).

ب- الرب نفسه هو المخلص الوحيد (٢: ١٨-٢٢).

٣- مرثاة شخصية وصلاة (٣: ١-٦٦).

أ- اختبار الألم (٣: ١-٢١).

ب- الرجاء (٣: ٢٢-٤٢).

ج- صلاة اعتراف وتضرع من أجل الشعب (٣: ٤٣-٦٦).

٤- حال أورشليم في الماضي وفي الحاضر (٤: ١-٢٢).

أ- سكان أورشليم (٤: ١-١١).

ب- كهنة أورشليم والأنبياء (١٢-١٦).

ج- ملك أورشليم (١٧-٢٠).

د- يهوذا وأدوم (٢١-٢٢).

الكاتب وأسلوب الكتابة

يعد إرميا النبي هو كاتب سفر المراثي كما يرى علماء الكتاب المحافظين ويرجع هذا الاعتقاد إلى ما جاء في مقدمة السفر في الترجمة اليونانية (السبعينية) حيث هذه الكلمات: وحدث بعد هذه الأمور بعد أن حملت يهوذا إلى السبي وخربت أورشليم، وجلس إرميا يبكي ويرفع مرثاة على أورشليم قائلاً: «كيف جلست المدينة وحدها»... (١: ١، قارن أيضاً ٢: ١، ٤: ١). وترددت ذات المقدمة في الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (الفولجاتا) وفي التلمود اليهودي بابا بترا Baba Bathra 15a وردت هذه الكلمات «كتب إرميا المراثي».

ويرجع أساس هذا الاعتقاد إلى ما جاء في (٢أخ ٣٥: ٢٥) «ورثي إرميا يوشيا وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا في مراثيهم إلى اليوم وجعلوها فريضة على إسرائيل وها هي مكتوبة في المراثي». بالإضافة إلى أن إرميا النبي عايش حصار أورشليم وسقوطها وكل المآسي وما أصابه من جراء شرورهم. كما أن هناك تشابهاً بين سفر المراثي وأجزاء عديدة من سفر إرميا.

ويرى بعض الباحثين النقديين أن النبي إرميا لم يكتب سفر المراثي. وفي رأيهم أن كاتب المراثي يولي اهتماماً شديداً بالملوك والأمراء والكهنة عكس ما جاء في سفر إرميا عن الملك صدقيا (٣٧: ١٧-٢٠) وبيته (٢٢: ١٣-٣٠) وعن العظماء أو النبلاء (٥: ٤-٩) والكهنة (٢: ٢٦-٢٨، ٢٠: ١-٥، قارن مع المراثي ١: ٦، ٢: ٢، ٦، ٩، ٤: ٧، ٢٠، ٥: ١٢) والحديث عن انتظار العون الباطل من مصر عكس ما جاء في إرميا (٣٧: ٥-١٠، قارن أيضاً مراثي ٥: ٧، مع إرميا ٣١: ٢٠-٣٠). وربما تشابه أسلوب الكتابة في الأصحاح الثاني والرابع من المراثي مع سفر حزقيال. والأصحاح الأول والخامس مع إشعياء (٤٠-٥٥) وكل الأصحاحات الخمسة مع سفر المزامير. ويرى النقاد أيضاً أن سفر المراثي كُتب بواسطة أكثر من كاتب واحد.

أما و.رودلف Wihelm Rudolph فيأخذ بفكرة الكاتب الواحد لسفر المراثي. ويعني بذلك إرميا النبي، بانياً كلامه على ما جاء في (مراثي ٤: ١٩)، ومطاردة شعب وملك يهوذا واختبار إرميا ذلك. وعن رفض النقاد لما جاء

في (٢أخ ٣٥:٢٥) عن مرثاة إرميا ليوشيا ملك يهوذا عند موته... والإشارة بالقول «ها هي مكتوبة في المراثي» وأنها لم ترد في سفر المراثي: فيرى بعض العلماء أن ما جاء في مراثي (٤:٢٠) عن مسيح الرب، إشارة واضحة يقصد بها يوشيا الملك. بالإضافة إلى أسلوب الكتابة والتشابه الواضح بين النصوص العديدة من سفر إرميا وسفر المراثي. وذلك فيما يلي: ضيق عذراء صهيون (مراثي ١٥:١، إرميا ٢١:٧) عينا النبي تفيض بالدموع (١٦:١، ١١:٢، مع إرميا ١:٩، ١٨، ١٧:١٣) مخاوف ورعب حوالي (٢٢:٢، مع إرميا ٢٥:٩، ٢٠: ١٠) طلب الانتقام (٦٤:٣-٦٦، مع إرميا ٢٠:١١) والتشابه أيضاً بين (مراثي ٨:١-٩، مع إرميا ٢٢:١٣-٢٦، مراثي ١١:٢، ٤٨:٣، ٤:١٠، مع إرميا ١٤:٦، ١١:٨، ٢١)، أتأكل النساء ثمرهن (٢:٢٠، ٤:١٠، مع إرميا ٩:١٩). وعن الضحك والاستهزاء (١٤:٣ مع إرميا ٧:٢٠) الأفسنتين والمرارة والعلقم (١٥:٣، ١٩، مع إرميا ١٥:٩، ١٥:٢٣). خوف ورعب وهلاك (٤٧:٣، مع إرميا ٤٣:٤٨) الاصطياد كالعصفور (٥٢:٣، مع إرميا ١٦:١٦) والكأس (٢١:٤، مع إرميا ١٥:٢٥، ١٢:٤٩) وعن سقوط الإكليل (٦:٥ قارن مع إرميا ١٨:١٣).

بالإضافة إلى ما سبق، ورد بالسفرين عن العقاب الذي سيحل بالشعوب التي ابتهجت بسقوط المدينة: أورشليم (مراثي ٢١:٤ قارنه مع إرميا ١٢:٤٩). كما جاء بالسفرين أن ما حلّ بالأمة اليهودية (يهوذا) يرجع لذات الأسباب التي وردت بالسفرين (قارن مراثي ٥:١، ٧، ١٤، ١٨، ٤٢:٣، ٦:٤، ٢٢، ٧:٥، ١٦، مع إرميا ٧:١٤، ١٦:١٠-١٢، ١:١٧-٣) إنها الخطية القومية (مراثي ١٤:٢، ١٣:٤-١٥، مع إرميا ٧:٢، ٨، ٣١:٥، ٣١:١٤، ١٣:١٤، ١١:٢٣-٤٠) وخطية الأنبياء الكذبة والكهنة (مراثي ٢:١، ١٩، ١٧:٤، قارن مع إرميا ١٨:٢، ٣٦، ١٤:٣٠، ٥:٣٧-١٠). إنها ثقة الشعب الباطلة والتحالف مع الشعوب الأخرى الغادرة.

مما سبق يتضح بأنه لا يوجد الدليل الكافي لرفض الاعتقاد أن إرميا النبي هو الكاتب لسفر المراثي، بعد فترة قصيرة من سقوط أورشليم عام ٥٨٧ ق.م بل إن روح الكتابة يتمشى مع روح وأسلوب النبي إرميا.

مضمون السفر ورسالته

يحتوي سفر المراثي على خمس قصائد (هي خمسة أصحاحات) تسرد حزن إسرائيل على سقوط أورشليم (٥٨٧ ق.م). وكل أصحاح يكون قصيدة شعرية متكاملة هي كلمات رثاء على الشعب والمدينة والهيكل. وقد جاءت الإشارة عن رثاء ومراثي في مواضع مختلفة من الكتب المقدسة (قارن إرميا ١٧:٩-٢٢) عن النساء المتخصصات في ذلك، وعن مرثاة إنسان على شخص حبيب عنده (٢صم ١٧:١-٢٧، قارن أيضاً عاموس ٥، وحزقيال ١٧:٢٦-١٨) والأصحاحات (١، ٢، ٤) تعد أصحاحات رثاء بالمعنى الدقيق للكلمة كما يرى أحد العلماء. أما الأصحاح الثالث هو رثاء شخصي وينتهي بصلاة. والأصحاح الخامس يعد صلاة بأكلمه.

والأصحاحات الأربعة الأولى كتبت حسب ترتيب الحروف الأبجدية في الأصل العبري بمعنى أن العدد الأول تبدأ الكلمة الأولى فيه بالحرف (أ) والعدد الثاني تبدأ الكلمة الأولى فيه بالحرف (ب) وهكذا إلى نهاية الأصحاح. اثنان وعشرون حرفاً لاثنين وعشرين عدداً في الأصحاح الأول، والثاني والرابع، أما الأصحاح الثالث فيحتوي على ستة وستين آية بمعنى أن الآيات من ١-٣ تبدأ بالحروف (أ) والآيات من ٤-٦ تبدأ بالحرف (ب) وهكذا... إلى نهاية الأصحاح، بمعنى ٢٢ حرف أبجدي هي مجموع الحروف في اللغة العبرية ولكل حرف ثلاث آيات هي مجموع آيات الأصحاح الثالث (٦٦ عدداً). أما الأصحاح الخامس من المراثي فإنه لا يتبع ترتيب الحروف الأبجدية إلا أنه يضم اثنين وعشرين عدداً هي مجموع الحروف العبرية.

وفي هذا يرى نورمان ك. جوتوالد N.K.Gottwald في كتابه A Light to the Nations أن نظم قصائد السفر بهذه الصورة لهو تعبير عن كمال حزن إسرائيل وكمال توبتها ورجائها في الرب خلاصها.

ويرى ب. تشيلدز B.Childs أن الأصحاح الثالث له خاصيته في المضمون والشكل عن بقية الأصحاحات وله دور هام في تفسير السفر بجملته.

يبدأ الأصحاح بمرثاة شخص يشبه في ذلك مزمور (٨٨،٦) ويصف المرنم مشكلته (٣:١-١٨) ويطلب إلى الرب من أجل النجاة والفرج من الضيق (٣:٢٢-٢٤)، ويعترف بإيمانه في رحمة الرب، وجوده، وفي هذا تشبه إقرارات الإيمان الإسرائيلي (خروج ٣٤:٦-٧، عدد ١٤:١٨).

والأعداد (٢٥-٣٠) هي كلمات اعتراف شبيهة بكلمات الحكمة في مزمور (٣٧) والأعداد (٣٧-٣٩) وصف لآلام الإنسان في لغة عبادة وتسليم لله.

ومن عدد (٤٠-٤٧) يطالب بالعودة إلى الرب «لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب». ولابد من النجاة بقوة ونعمة الله (٥٥-٥٧) ويظهر الله كعاضد له (عدد ٥٨) ضد مقاوميه (٦١-٦٣) والأعداد (٦٤-٦٦) تذكرنا بصراخ البار المضطهد من الأعداء. وذلك في سفر المزامير (قارن مزمور ٣:٧، ١٧:١٣-١٤، ٣٥:٢٦، ٥٩:١١-١٣، مع إرميا ١١:٢٠-٢٣، ١٨:٢١-٢٣). إن هذا الأصحاح يترجم بدقة تاريخ وحياة شعب الله، إلى لغة الإيمان في وعود الرب بالنجاة. وأنه يوجد رجاء (٣:٢٢-٢٥) «إنه من إحسانات الرب إننا لم نفن. لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانتك. نصيبي هو الرب قالت نفسي. من أجل ذلك أرجوه طيب هو الرب للذين يترجونه للنفس التي تطلبه».

إن سفر المراثي يمثل في رأي بعض العلماء حلقة وصل بين الموقف التاريخي للشعب (أوائل القرن ٦ ق.م.) ولغة الإيمان التي تصارع مع الدينونة الإلهية لعقاب الشعب على خطاياه وآثامه. والرجاء الواثق في العودة إلى الله.

ويرى البعض الآخر أن سفر المراثي يحمل رسالة الرجاء رغم أن أورشليم تستحق ما أصابها وأن الرب سمح لها بذلك. إنه إله العهد الذي يطلب الثقة الوطيدة غير المهتزة فيه كما طلب من شعبه ومنتظريه ولاءً وأمانة (٣:١٩-٢٦) صارت أورشليم نجسة .... «بار هو الرب لأني قد عصيت أمره» (١:٨).

لكن إحسانات الرب وفيرة ومراحمه لا تزول وما أطيب الرب للإنسان الذي يرجوه ويطلبه من القلب (٣:٢٢-٢٥).

إن السيد الرب لا يرفض إلى الأبد.

فإنه ولو أحزن يرحم حسب كثرة مراحمه.

لأنه لا يُذل من قلبه ولا يُحزن بني الإنسان (٣:٣١-٣٣).

إن سفر المراثي ليس لإحياء ذكرى خراب أورشليم وما أصابها من محن وكوارث، وذلك نتيجة شرورها وبعدها عن الرب إلهها. بل أن السفر يحمل رسالة الرجاء للتائب الصادق مع نفسه، الذي يضع ثقته في الرب إلهه في كل ما يواجهه من محن وتجارب أليمة.

إذ ليس للإنسان أن يشتكي من قصاص خطاياه (٣:٣٩).

فقط لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب (٣:٤٠).

حزقيال

أطلق هذا الاسم على السفر نسبة إلى حزقيال الشخصية الرئيسية التي تضمنها ولم يرد الاسم حزقيال في أي مكان آخر بالعهد القديم (الكتب المقدسة)، ويعني الاسم في العبرية «الرب يقوي».

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: عقاب يهوذا وأورشليم (١:١-٢٤:٢٧).

١- دعوة حزقيال وإرساليته (١:١-٣:٢٧).

٢- نهاية أورشليم والسبي (٤:١-٥:١٧).

٣- نبوة ضد الجبال مركز الوثنية (٦:١-١٤).

أ- تدمير المرتفعات (٦:١-٧).

ب- سيذكر المسببون يهوه (الرب) (٦:٨-١٠).

جـ- سوف تعرف إسرائيل يهوه أنه الله (٦:١١-١٤).

٤- نبوة بقرب النهاية (٧:١-٢٧).

٥- الزيارة للهيكل وخطية أورشليم (٨:١-١١:٢٥).

أ- رؤيا الوثنية في الهيكل (٨:١-١٨).

ب- قتل الأثيم (٩:١-١١).

جـ- رؤيا أورشليم وتدميرها بالنار (١٠:١-٢٢).

د- قضاء ورجاء (١١:١-٢٥).

٦- رموز خاصة بالسبي والغزو (١٢:١-٢٨).

٧- إعلان ضد الأنبياء والنبيات (١٣:١-٢٣).

٨- إعلان القضاء ضد الوثنية وأورشليم (١٤:١-٢٣).

٩- الكرمة (١٥:١-٨).

١٠- الزوجة الخائنة (١٦:١-٦٣).

١١- النسران الكبيران وشجرة الأرز (١٧:١-٢٤).

١٢- مسئولية الفرد (١٨:١-٣٢).

أ- جميع الأنفس هي لي (١٨:١:٤).

ب- البار سيحيا (١٨:٥-٩).

ج- الابن الشرير للرجل البار سيموت (١٨: ١٠-١٣).

د- الابن البار للرجل الشرير سيحيا (١٨: ١٤-٢٠).

هـ- الشرير الذي يتوب يتبرر ويحيا (١٨: ٢١-٢٤).

و- طريق الرب مستقيمة (١٨: ٢٥-٢٩).

ز- القلب الجديد والروح الجديد (١٨: ٣٠-٣٢).

١٣- الشبلان والكرمة (١٩: ١-١٤).

١٤- عدم أمانة إسرائيل والدعوة للعودة (٢٠: ١-٤٩).

١٥- سيف الرب المنتقم (٢١: ١-٣٢).

١٦- دعوة ضد أورشليم لخطاياها (٢٢: ١-٣١).

١٧- الأختان الخائنتان أهولة وأهوليبة (٢٣: ١-٤٩).

١٨- رموز حصار أورشليم الأخير (٢٤: ١-٢٧).

أ- القدر الذي على النار (٢٤: ١-١٤).

ب- موت زوجة النبي حزقيال (٢٤: ١٥-٢٧).

ثانياً: نبوات عن الشعوب الأجنبية (٢٥: ١-٣٢: ٣٢).

١- نبوات ضد عمون وموآب وآدوم وفلسطين (٢٥: ١-١٧).

٢- إعلان القضاء عن صور (٢٦: ١-٢١).

٣- مرثاة على صور (٢٧: ١-٣٦).

٤- نبوات خاصة بصور وصيدون (٢٨: ١-٢٦).

٥- إعلانات القضاء على مصر (٢٩: ١-٢١).

٦- ظلام وقتام على مصر (٣٠: ١-٢٦).

٧- سقوط الأرز العظيم (٣١: ١-١٨).

٨- مرثاة على فرعون ومصر (٣٢: ١-٣٢).

ثالثاً: عودة إسرائيل (٣٣: ١-٣٩: ٢٩).

١- عمل النبي : الإعداد لعصر جديد (٣٣: ١-٣٣).

٢- رعاة إسرائيل وأنانيتهم والراعي الصالح (٣٤: ١-٣١).

أ- إعلان قضاة الرب على رعاة إسرائيل (٣٤: ١-١٠).

ب- يهوه الراعي الصالح (٣٤: ١١-١٦).

ج- الحكم بين رعية ورعية (٣٤: ١٧-٢٢).

د- الملك المسياني كراعٍ جديد (٣٤: ٢٣-٢٤).

هـ- عهد سلام (٣٤: ٢٥-٣١).

٣- إعلان نبوة ضد جبل سعير (٣٥: ١-١٥).

٤- سترجع إسرائيل وتبارك (٣٦: ١-٢٨).

٥- قيامة العظام اليابسة واتحاد يهوذا وإسرائيل (٣٧: ١-٢٢٨).

٦- جوج وماجوج (٣٨: ١-٣٩: ٢٩).

أ- مقدمة (٣٨: ١-٢).

ب- جوج وجمهوره (٣٨: ٣-٩).

ج- مكيدة جوج (٣٨: ١٠-١٣).

د- جوج ضد إسرائيل (٣٨: ١٤-١٦).

هـ- تدمير قوات جوج (٣٨: ١٧-٢٤).

و- تدمير جوج ودفنه (٣٩: ١-١٦).

ز- جمهور وفرسان جوج في عيد الذبح للرب (٣٩: ١٧-٢٤).

ح- عودة أنصبة يعقوب (٣٩: ٢٥-٢٩)

رابعاً: رؤى الله عن الجماعة العائدة (٤٠: ١-٤٨: ٣٥).

١- ترتيبات الهيكل (القاعات الداخلية والخارجية) (٤٠: ١-٤٩).

٢- الهيكل وقدس الأقداس (٤١: ١-٢٦).

٣- أماكن الكهنة (٤٢: ١-٢٠).

٤- عودة الرب إلى الهيكل وتدشين البيت (٤٣: ١-٢٧).

٥- أنظمة الخدمة بالهيكل (٤٤: ١-٣١).

٦- أنظمة الهيكل (٤٥: ١-٤٦: ٢٤).

٧- النهر الذي ينبع من الهيكل (٤٧: ١-٢٣).

٨- انصبة الأسباط والكهنة والمدينة والرئيس (٤٨: ١-٣٥).

حزقيال الكاهن

جاء حزقيال من أصل كهنوتي وهو ابن بوزي (١: ٣). ولا يُعرف عن والده الكثير. وأخذ ضمن المسبيين مع يهوياكين ملك يهوذا، وبعض سكان أورشليم إلى السبي في بابل (١: ٢). والجدير بالإشارة أن نبوخذناصر ملك بابل حمل أول الأسرى من أفضل الشعب والأمراء والحكام والمهرة والصناع، تاركاً في أرض يهوذا بؤساء الشعب والكادحين منهم. وكان حزقيال من بين أول الأسرى (٢مل ٢٤: ١٤، حزقيال ١: ٢-٣) وبذلك يمكن الحكم على حزقيال بأنه كان واحداً من الطبقة الأرستقراطية بين سكان أورشليم. وربما انحدر من سلالة صادوق الكاهن الأعظم

الذي نصبه سليمان ملك إسرائيل.

واستقر حزقيال مع رفاقه على شاطيء نهر خابور، الذي ينبع من الفرات، عبر نبور، المدينة التي تقع جنوب شرق بابل، وفي قرية تل أبيب القرية المبنية على حافة نهر خابور في بابل (١٥:٣) تلقى حزقيال دعوته وهو ساكن بين المسبيين هناك في السنة الخامسة من سبي يهوياكين الملك (١:٢) أي عام ٥٩٣ ق.م. وكانت آخر نبواته المكتوبة في عام ٥٧١ ق.م. (حز ١٧:٢٩) وهذه الفترة التي تزيد على العشرين عاماً بقليل تشمل ما قبل سقوط أورشليم عام ٥٧٨ ق.م. وما بعد السقوط.

ويرى بعض العلماء أن الجو البابلي العام، كان له الأثر الكبير على فكر حزقيال، وتصوراته لعبادة البابليين للإلاهة إشتار، والإله مردوك، مما أشعل غيرته المتقدة على شعبه. وجعله يحذرهم بشدة ضد الانسياق وراء الأوثان. غير أن هذه المؤثرات الخارجية لا تحسب شيئاً بالنسبة لما ورد بالسفر، لأن النبي حزقيال كانت له شخصيته المتميزة غير العادية، فقد جاءته إعلانات القدير بأسلوب حصار إلهي حيث يقول إن «السموات انفتحت فرأيت رؤى الله» (١:١ب). «فدخل فيَّ روح لما تكلم معي وأقامني على قدمي» (٢:٢)... إلخ، كما أنه أعطى روحاً وبصيرة جديدين. هذه كلها تسلط ضوءاً على صياغة رسالته وتعطي خلفية لما تضمنته.

كان حزقيال متزوجاً من زوجة وفية مخلصة ولم يكن لهما أطفال، وله بيته الخاص (١:٨). وكان شيوخ المسبيين يأتون إليه للتشاور (١:١٤، ١:٢٠، ٢٤:٢٣). كانوا يأتون إليه في جماعات غفيرة متعطشة لسماع رسالته (٣٣: ٣٠-٣٢). وقد خدم شعبه خدمة ساهرة، خدمة نبي وراع يهتم برعيته.

وعندما ماتت زوجته أمره الرب قائلاً له: «لا تنح ولا تبك ولا تُنزل دموعك، تنهد ساكتاً» (٢٤:١٥-١٧) رمزاً وإشارة بأن الخراب الآتي على أورشليم كان غير قابل للرثاء، لأن الرب قد قضى بذلك.

وبقي حزقيال صامتاً حتى جاءته الأخبار بأن المدينة أورشليم تهدمت وسقطت (٢٧:٢٤، ٢١:٣٣-٢٢). «وكانت يد الرب عليَّ مساء قبل مجيء المنفلت، وفتحت فمي حتى جاء إليَّ صباحاً فانفتح فمي ولم أكن بعد أبكم».

وبعد سقوط أورشليم، تحولت إعلانات حزقيال من كونها رسائل حزن واكتئاب، إلى رسائل رجاء. وصف في رؤياه الهيكل المردود والشعب والأرض وقد صارت مقدسة للرب.

واستجابة لرؤية الإله السماوي القدير، صار حزقيال المتحدث باسم الرب، ورقيباً للمسبيين (أصحاح ٢-٣)، وكان مبشراً بالتوبة والدينونة (أصحاح ١-٢٤) إلى شعب عنيد وعابد للوثن، وقدم لهم التحذيرات العديدة (٣:٢-٤:٥-١١ و١٣، ١:١٤-٣، ٢:١٨ و٢٥، ١:٢٠-٣).

واهتم بتذكرة الشعب، أنهم يعيشون حياة العبث والفساد، بعيداً عن أرضهم وبعيداً عن الهيكل (١:١١-٥) ظانين أنهم بعيدون عن العقاب (٢١:١٢-٢٨).

لقد صار حزقيال لسامعيه، الذين فقدوا كل أمل في الرجاء والخلاص، طريق رجاء وخلاص، حتى يسمعوا كلمات الرجاء بالعودة إلى الهيكل إلى الأرض المفدية (٢١:٢٤-٢٣، ٣٣: ١٠ و١٧، ١١:٣٧). وأن إسرائيل المدنسة ستصير مقدسة (١١:٣٣، أصحاح ٣٤، ٢٥:٣٦-٣١، أصحاح ٣٧، الأصحاح ٤٠-٤٨). كما صور حزقيال دينونة الشعوب الأخرى المعادية بواسطة جوج وماجوج (أصحاح ٣٨-٣٩). لكن شعوباً نجت من العقاب لتوبتها وسماعها صوت النداء بالتوبة (١٦:٥٣-٥٥، ١٧:٢٢-٢٤).

كما تميز حزقيال في سفره بالأسلوب المجازي (أصحاحات ١٥-١:١٧-٢١ و١٩ و٢٣-١:٢٤-٤) والأعمال الرمزية (١:٤-٥:٤، ١:١٢-٧، ١٧-٢٠)... إلخ، كما أن بالسفر الكثير من الرؤى، وأمثلة ذلك (١:٤-٢٨،

٩:٢-٣:٣، أصحاح ٨-١١، ٣٧:١-١٠ و٤٠-٤٨). وكان لحزقيال ملاك مفسر لكثير من الرؤى (راجع أصحاح ٤٠-٤٨) ومثال ذلك (٤٠:٣-٤، ٤٣:٦-٧، ٤٧:١-٣) وامتزجت كتاباته بأسلوب الشعر والنثر أيضاً.

وتناول النبي حزقيال في سفره فكرته عن الله كمن يفتش عن خرافه الضالة (حزقيال ٣٤:١١-١٦، قارن مت ١٨:١٢-١٤ ولوقا ١٩:١٠).

ويرى علماء الكتاب أن هناك تشابهاً واضحاً بين سفر حزقيال وسفر الرؤيا، وخاصة عن أورشليم الجديدة وافتقاد يهوه لأورشليم التي تعرضت للسبي، وهدم هيكلها وسقوطها في أيدي الأعداء، والتي ستصير جبلاً مرتفعاً (حز ٤٠:٤٢ مع رؤيا ٢١:١٠) مدينة مقدسة، خيمة الله التي يستظل فيها شعبه (٣٧:٢٧، رؤيا ٢١:٣) سوف يملأها الله بمجده (٤٣:٣-٥، رؤيا ٢١:١١، ٤٨:١٦ و٣٠، رؤيا ٢١:١٢-١٣) وبها نهر الحياة (٤٧:١، رؤيا ٢٢:١) وعلى جانبي النهر أشجار وأوراقها للشفاء (٤٧:٧ و١٢، رؤيا ٢٢:٢) هذه الشواهد تعبر عن الأسلوب الرمزي الواضح بين سفري حزقيال والرؤيا في العهد الجديد.

الخلفية التاريخية

يعد يوشيا آخر ملوك يهوذا العظماء، وقد ملك ما بين عامي ٦٤٠-٦٠٩ ق.م إلا أنه ضعف أمام منافسه فرعون نخو ملك مصر في مجدو ضد الكلدانيين (٢مل ٢٣:٢٩-٣٠). ففي أيام يوشيا ملك يهوذا صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات. فصعد الملك يوشيا للقاء فرعون نخو واعترض طريقه فقتله فرعون ملك مصر في مجدو (قارن ٢أخ ٣٥:٢٠-٢٤). فأخذ شعب الأرض يهوآحاز (يوآحاز) بن يوشيا، ومسحوه وملكوه عوضاً عن أبيه. أما عن شلوم (يهوآحاز) هذا، والذي خلف والده، هكذا قال الرب عنه «الذي خرج من هذا الموضع لا يرجع إليه. بل في الموضع الذي سبوه إليه يموت. وهذه الأرض لا يراها بعد» (إرميا ٢٢:١٠-١٢). وكان يهوآحاز بن ثلاثة وعشرين سنة حين ملك. وملك ثلاثة أشهر في أورشليم وعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل آباؤه. أسره فرعون نخو حتى لا يملك في أورشليم. وملك فرعون نخو ملك مصر ألياقيم بن يوشيا عوضاً عن يوشيا أبيه وغيَّر اسمه إلى يهوياقيم وأخذ يهوآحاز إلى مصر ومات هناك. ودفع يهوياقيم الفضة والذهب لفرعون ملك مصر (قارن ٢مل ٢٣:٣١-٣٥).

وفي السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا (إرميا ٤٦:٢) لقي المصريون هزيمتهم بقيادة ملكهم فرعون نخو بواسطة نبوخذناصر في كركميش على نهر الفرات عام ٦٠٥ ق.م بذلك صار الكلدانيون سادة العالم الجديد في تلك الفترة (٢مل ٢٤:٧). «ولم يعد ملك مصر أيضاً يخرج من أرض مصر لأن ملك بابل، أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر».

كما اضطهد يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا (٦٠٨ - ٥٩٧ ق.م) أنبياء الرب (قارن إرميا ٧:١-١٥ و١٣ و١٦-٢٠، قارن حزقيال ٨). فقد كان قاسياً (إرميا ٢٢:١٣-١٥، ١٧:١٩). وثار يهوياقيم على الملك نبوخذ ناصر عام ٦٠٢ ق.م. فصار عبداً لملك بابل ثلاث سنين. ثم عاد يهوياقيم فتمرد عليه فأرسل الرب على يهوياقيم غزاة الكلدانيين، وغزاة الأراميين، وغزاة الموآبيين، وغزاة بني عمون، وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به على يد عبيده الأنبياء، حسب كلام الرب على يهوذا، لأجل خطايا منسى. حسب كل ما عمل، ولأجل الدم البريء الذي سفكه. لأنه ملأ أورشليم دماً بريئاً ولم يشأ الرب أن يغفر، لأجل غلاظة قلوبهم وقاديهم في كل شر (قارن ٢مل ٢٤:١-٢)، ومات يهوياقيم ملك يهوذا غير مأسوف عليه، وجاء عنه قول الرب: «لا يندبونه قائلين آه ياسيد أو آه يا جلاله. بل يُدفن دفن حمار، مسحوباً ومطروحاً، بعيداً عن أبواب أورشليم» (إرميا ٢٢:١٩).

وبعد موت يهوياقيم تولى يهوياكين ابنه الحكم على يهوذا، مدة ثلاثة شهور، وصعد عليه نبوخذ ناصر ملك بابل

وهو في أورشليم حيث يملك. ودخلت المدينة تحت الحصار. وأخذ ملك بابل يهوياكين ملك يهوذا، ومعه أمه وعبيده ورؤساءه، وأخذ كل خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك. وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان ملك إسرائيل في هيكل الرب. وسبي كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي. أخذهم ملك بابل جميعاً إلى بابل. وملك متنيا عمه عوضاً عنه، وغير اسمه إلى صدقيا (٢مل ٢٤:٨-١٧، إرميا ١١:٢٤-٣٠، حزقيال ١٩:٥-٩).

كان حزقيال بين هؤلاء المسبين وشريكاً لهم في ضيقتهم (حزقيال ١:١-٢، ١٦:٣، ١:٨، ١:٢٠، ١:٢٤، ١:٢٦، ١:٢٩ و١٧، ٣٠:٢٠، ١:٣١، ١٧:٣٢، ٢١:٣٣، ١:٤٠).

وفي السنة السابعة والثلاثين لسبي يهوياكين ملك يهوذا أي في عام ٥٠٦ ق.م تقريباً وفي السابع والعشرين من الشهر الثاني عشر رفع أويل مرودخ بن نبوخذنصر ملك بابل في سنة تملكه، رأس يهوياكين ملك يهوذا من السجن، وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه. وغير ثياب سجنه، ودعاه إلى مائدته، ليأكل خبزه معه كل أيام حياته، وله وظيفة دائمة تعطى له بأمر الملك كل أيام حياته (٢مل ٢٥:٢٧-٣٠، إرميا ٥٢:٣١-٣٤).

كان صدقيا آخر ملوك يهوذا، وقد ملك بعد يهوياكين من عام (٥٩٧-٥٨٨ ق.م) وهو الابن الثالث للملك يوشيا (٢مل ٢٤:١٧-٢٥:٧، حزقيال ١٩:١١-١٤). وكان ملكاً ضعيفاً ونقض عهده مع نبوخذ نصر وسار مع القوات الثائرة (حزقيال ١٧:١٣-١٥، إرميا ٢٧:١-١١) ومن ينقض عهداً ويفلت؟!.

وفي السنة التاسعة لملكه (للملك صدقيا) في الشهر العاشر، في عاشر الشهر، جاء نبوخذنصر ملك بابل وهو وكل جيشه على أورشليم. ونزل عليها وبنو عليها أبراجاً حولها. ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا في تاسع الشهر. واشتد الجوع في المدينة. ولم يكن خبز لشعب الأرض (٢مل ٢٥:١-٣). وهرب الملك صدقيا. لكن الكلدانيين أدركوه في برية أريحا، وقتلوا بنيه أمام عينيه وقلعوا عيني صدقيا، وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل كما أحرقوا بيت الرب وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم وبيوت العظماء. وهدمت أسوار أورشليم بواسطة جيوش الكلدانيين مع رئيس الشرطة (قارن ٢مل ٢٥:١-٢١).

ومن بين المسبيين اليهود في بابل، كان إلى جانب حزقيال، زربابل، وعزرا ونحميا، وقد أرسل لهم إرميا النبي رسالة هامة في السبي، يوصيهم فيها أن يبنوا بيوتاً ويثمروا ويكثروا، ويطلبوا سلام المدينة التي هم فيها مسبيون، ويصلوا لأجلها إلى الرب لأن بسلامها يكون لهم سلام. ويحذرهم إرميا أيضاً من الأنبياء الكذبة الذين في وسطهم بالسبي: «لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب. أنا لم أرسلهم يقول الرب» (إرميا ٢٩:١-٧).

وحزقيال كواحد من المسبيين كان لهم منذراً ومرشداً وباباً للرجاء لكل من امتثل ولم يعاند رؤى القدير، الذين رغم وجودهم في أرض غربتهم كانوا يواظبون على الصلاة وينبرون على أهمية الصوم وتقديس يوم السبت والختان وقراءة التوراة والعمل بها (١٥:٣ و٢٤، ١:٨، ١:١٤، ١:٢٠، ٣١:٣٣).

الكاتب وزمن الكتابة

تعرض سفر حزقيال، كما يرى علماء الكتاب المقدس، لكثير من النقد السلبي، وخاصة عن كاتب السفر، الأمر الذي ليس له أساس على الإطلاق، ولا يزيد عن كونه لغو كلام كما سنرى فيما بعد.

لقد حاول بعض المفكرين بذل الجهد في دراسة شخصية كاتب السفر حزقيال، وانتهى بعضهم وعلى رأسهم توري C.C. Torrey بأن الكاتب عاش في القرن الثالث ق.م. بل يُعد هذا السفر أحد أسفار الأبوكريفا كما تري مدرسة شاماي School of Shammai. وبذلك يرجع تاريخ كتابته إلى عام ٢٣٠ ق.م. وقد اعترض على هذا الرأي

جيمس سميث J.Smith بقوله: إن الكاتب عاش زمن الملك منسى وجاء من شمال إسرائيل.

ويرى البعض الآخر ومنهم أويسترلي وربنسون Oesterley and Robinson أن الكاتب عاش في بابل وكرز بعض الوقت في فلسطين.

ودعى بعض المحافظين حزقيال النبي كلفن العهد القديم، وأب اليهودية ونبي المسئولية الفردية (بمعنى أن كل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن نفسه).

ويرى أ. بيرسون Anton Person أن من يدرس سفر حزقيال بجدية، يستطيع أن يأخذ تعاليم نافعة وبانية، ويدرك أهمية السفر العظمى عن الكاتب الكاهن والنبي والراعي. ومن هذه النصوص حسب ترتيب أصحاحاتها (أصحاح ١-٢، ٣، ١٦:٣-٢١، قارن ٣١:١-٩، أصحاح ٨-٩، ١١:١٩-٢٠، قارن ٣١:١٨، ٢٤:٧، ٣١:٣١، ٣٢:٣٩، ٣٦:٢٦، أصحاح ١٤:١٤، أصحاح ١٥-١٧:٢٢-٢٤، أصحاح ١٨، قارن ٣٣، أصحاح ٢١:٨-٢٧، ٢٧،٢٣، ٢٨، ٣١، ٣٢:١٧-٢٢، ٣٤، ٣٦:١٦-٣٨، أصحاح ٣٧-٣٩، أصحاح ٤٧).

أما عن نصوص الرجاء (المسيانية) فهي كما يلي:

(١١:١٦-٢٠) الرب والبيت «الهيكل».

(١٧:٢٢-٢٤) الأرز العالي.

(٢١:٢٦-٢٧) الملك الأمين العادل.

(٣٤:١١-٣١) الراعي الأمين.

(٣٦:٢٥-٣٥) التطهير التام.

(٣٧:١-١٤) القيامة العظمى.

(٣٧:٢١-٢٨) الاتحاد الكامل.

(٤٧:١-١٢) النبع الخارج من البيت (الهيكل) معطي الحياة. والمياه إلى الكعبين ثم إلى الركبتين وإلى الحقوين. «ثم قاس ألفاً وإذا بنهر لم أستطع عبوره، لأن المياه طمت، مياه سباحة نهر لا يعبر».

كما وردت بالسفر تعاليم هامة وأساسية بالإضافة لما سبق عن المسئولية الفردية (١٨:٢، ٥-٩، ١٩-٢٠، قارن إرميا ٣١:٢٩-٣٠)، والوعد بالعودة والقضاء على الشعوب الأجنبية (٢٥-٣٢، ٣٩). وامتلاك الأرض الخصيبة (٣٦:٨-٩، ٢٩-٣٠، ٣٤-٣٥) وعودة الرب للشعب المتجدد (٣٧:٢٦-٢٧، ٤٣:١-١٢).

نخلص مما سبق أن الدارس المدقق والمتعمق في السفر، يلمس (كما يرى العلماء المحافظون) أن الكاتب هو حزقيال النبي الذي يحتل جزءاً كبيراً من السفر. كما أن صيغة المتكلم المفرد تملأ السفر، كما أن تشابه الفكر والترتيب تعطي انطباعاً جلياً بأن السفر بجملته هو من نتاج شخص وعقل واحد بمفرده والكثير من النبوات وردت عن مكانها وتاريخها بالتحديد.

لذلك يمكن القول بثقة بأن حزقيال النبي هو كاتب كل السفر كما يرى كوك Cooke وإدوارد يونج E. Young أما عن هـ.رولي H.Rowley فيدافع عن جوهر وحدة السفر ويشير إلى أن جميع المحاولات التي تنفي عن حزقيال كتابة السفر هي محاولات غير مجدية وليست مقنعة في أساسها[1].

والتاريخ المحدد لكتابة سفر حزقيال هو السنة السابعة والعشرين للملك يهوياكين أي عام ٥٧١ ق.م تقريباً

(1) H.H. Rowley, The Book of Ezekiel in Modern Study, 1953.

(١٧:٢٩). لذلك يمكن تحديد زمن نشاط النبي، ما بين عامي ٥٩٣-٥٧١ تقريباً. ويمكن تحديد كتابة السفر وجمعه في صورته النهائية بعد عام ٥٧١ ق.م بقليل.

أما عن السنة الثلاثين المشار عنها في العدد الأول من السفر، فيري بعض العلماء أنها السنة الثلاثين من عمر النبي حزقيال وهي التي تقابل السنة الخامسة من سبي يهوياكين (١:٢).

وبينما يصعب تأريخ الإعلانات الواردة في السفر على أساس ما ورد بالسفر نفسه (تقويم ذلك الوقت)، إلا أن هناك محاولات قام بها ر.أ. باركر ورفيقه دُوبرشتين W.H.Dubberstein ، R.A. Parker لتأريخ الإعلانات ويقترح بأن رؤى حزقيال النبي وقعت كما يلي:[١]

(١:٢) ١ يوليو ٥٩٢ ق.م، (٨:١) ٧ سبتمبر ٥٩١ ق.م، (٢٠:١) ١سبتمبر ٥٩٠ ق.م، (٢٤:١) ١٥ يناير ٥٨٨ ق.م، (٢٩:١) ٦ يناير ٥٨٧ ق.م، (١٧:٢٩) ١٦ أبريل ٥٧٠ ق.م، (٣٠:٢٠) ١٩ أبريل ٥٨٦ ق.م، (٣١:١) ١١ يونيه ٥٨٦ ق.م (٣٢:١) ٣مارس ٥٨٥ ق.م، (١٧:٣٢) ١٦ أبريل ٥٨٥ ق.م، (٣٣:٢١) ٨ يناير ٥٨٥ ق.م، (٤٠:١) ١٧ أبريل ٥٧٢ ق.م.

دعوة حزقيال ليكون آية للشعب

إن الحالة الاجتماعية ليهود السبي أيام النبي حزقيال، والتي عاشها النبي بينهم لبضعة سنين قبل دعوته، لم تكن بالدرجة السيئة، فالكثير من اليهود الذين حملوا إلى السبي عام ٥٩٧ ق.م، كانوا من المهرة والصناع الحاذقين ومتعددي المواهب، وكانت بابل أرض سبيهم في مسيس الحاجة إليهم، وكان لحزقيال بيت خاص في السبي (٢٤:٣)، يأتي إليه قادة الشعب للزيارة من وقت لآخر.

كما كان لليهود حرية ممارسة عباداتهم الدينية والمعيشة معاً في المدن البابلية، وكان لهم أن يعملوا على تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وقد عثر علماء الآثار من سنين مضت على لوحات أثرية، خاصة بحكم نبوخذناصر في مناطق الردم ببابل القديمة. جاء في هذه اللوحات معلومات عن المؤن الغذائية التي كان يحصل عليها المسبيون، من طعام (زيت وشعير) مقابل عملهم الماهر، ومن بينهم (يهوياكين) ملك يهوذا وخمس أفراد ملكيين ورجال آخرون من يهوذا[٢]. وقد جاء في اللوحات التي عثر عليها في منطقة نبور Nippor القديمة جنوب بابل، ما يؤكد أن يهود السبي عاشوا في ازدهار اقتصادي وتمتعوا بحياة ميسرة، واستطاع الكثيرون منهم أن يساهموا مادياً في إعادة بناء الهيكل، عند بدء عودتهم إلى أرض يهوذا عام ٥٣٨ ق.م (قارن عزرا ٢:٦٦-٦٩).

لذلك كم كان سهلاً على المسبين أن يتلقوا رسالة النبي إرميا بقبول واقتناع. وكان يوصيهم فيها أن يبنوا بيوتاً ويزرعوا حدائق وأن يقيموا أسرا ويظهروا ولاءهم لملك بابل وحكامه، ويعملوا جادين على خير المدينة التي يقيمون فيها، ويُصلوا من أجل سلامها حتى يكون لهم سلام (إرميا ٢٩:٤-٧، حزقيال ٢٥:٣، ٨:١، ١٤:١، ٣٣:٣٠-٣٢، عزرا ٣٩:٢، ١٧:٨). فكانت حياتهم هانئة ومريحة رغم أن الكثيرين منهم كانوا تواقين للعودة إلى وطنهم أرض يهوذا.

وجاءت دعوة حزقيال ليكون نبياً في رؤيا غير عادية، في السنة الخامسة من سبي يهوياكين (١:١)، في ذلك اليوم يقول النبي «كانت السموات مفتوحة. ورأيت رؤى الله وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السموات انفتحت». إن هذا الاختبار المؤثر والعظيم جعله يدرك، أن يد الرب كانت عليه هناك في السبي. وكان يبلغ من العمر ثلاثين عاماً. وإلى هذه الكلمات ربما يرجع سبب منع معلمي اليهود قراءة الأصحاح الأول في المجمع. وأن من يقل عمره عن

(1) R.K.Harrison, Introduction to the O.T, P.845.
R.A.Parker and W.H.Duberstein, Babylonian Chronology 626 B.C-A.D.45 PP, 25-26
(2) ANET, P.358, (CF.PP.221-223)

ثلاثين سنة لا يُصرح له بقراءة السفر بمفرده كما يذكر أحد العلماء.

وتشبه دعوة حزقيال دعوة إشعياء الذي رأى الرب جالساً على العرش السماوي، في مجد أسنى، وجلال أسمى.

لقد رأى حزقيال الرب متوجاً في قدس الأقداس في بيت الرب (الهيكل)، والوصف الوارد في الأصحاح الأول يستند على الخلفية الكهنوتية التي كان حزقيال ملماً بها من تجربته ككاهن في هيكل الرب، وتجربته الدينية البابلية التي كان لها أثرها غير المباشر في اللاشعور عنده في السبي كما يري العلماء. فقد رأى مركبة الرب السماوية تقترب إليه من الشمال في سحابة عاصفة وأنوار ساطعة (قارن مزمور ٢٩).

هذه المركبة محمولة بأربعة مخلوقات (الكروبيم) (١٠:١٨-٢٢) بنصف حيوان ونصف إنسان إنها مثل التماثيل المعروفة في الفن البابلي، وكل يتحرك في وفاق مع الآخر، لأنهم جميعاً مقودون بالروح الإلهي. وعلى الجانبين بكرة داخل بكرة (عدد ١٦) موضوعة ومرتبطة بنظام دقيق، حتى تتمكن المركبة من الحركة بسهولة في أي اتجاه كما يوجهها الروح. وفوق المخلوقات وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل (قارن خروج ٢٤:١٠) محمولة على أجنحة الكروبيم. وصوتها كصوت خرير مياه كثيرة (عدد ٢٤)، وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر العقيق الأزرق، وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق (عدد ٢٦)، هذا منظر شبه مجد الرب، الإله القدوس الذي عبدته إسرائيل في هيكل الرب. في المدينة أورشليم. وها هو يأتي إلى الشعب في السبي (قارن ١:٢٧-٢٨).

ولما رأيته يقول حزقيال، خررت على وجهي مغشياً عليّ. وسمعت صوت متكلم معي قائلاً لي يا ابن آدم (الإنسان الفاني الترابي، تعبير ورد ٩٤ مرة في السفر، بمعنى المحدود وعديم القدرة أمام الإله اللامتناهي في القدرة والمجد). قم على قدميك فأتكلم معك، فدخل فيّ روح لما تكلم معي، وأقامني على قدمي، وقال لي يا ابن آدم، أنا مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أمة متمردة. هم وآباؤهم تمردوا وعصوا عليّ. قساة الوجوه وصلاب القلوب.. لا تخف منهم ومن كلامهم، ولا تخف من وجوههم، لا ترتعب لأنهم قريس وسلاء لديك. وتتكلم معهم بكلامي قائلاً: «هكذا قال الرب... إن سمعوا أو امتنعوا...» (٢:١-٧). فقط عليه أن يتحدث إلى شعب ثائر ضد سيادة الله من البدء. وكان عليه كرقيب أن يقدم لهم التحذير، باقتراب الدينونة. وكانت أمامهم الفرصة محدودة وقصيرة حتى يستجيبوا (٣٣:١-٩).

وسواء استمع الشعب أو امتنع عن الاستماع فعلي الأقل سيدركون «أن نبياً كان بينهم» (٢:٥).

وفي رؤيا النبي، وإذا بيد ممدودة إليه. وإذا بدرج سفر فيه، مكتوب فيها مراث ونحيب. وويل من الداخل والخارج (وعليه أن يقدم درج السفر هذا للشعب). وفي هذه الرؤيا قدم الرب لحزقيال هذا الدرج، ليأكله ويهضمه. وعندما أكله وجده النبي حلواً في فمه كالعسل (٢:٩-١٠، ٣:١-٣)، بمعنى أن حزقيال كان مقتنعاً بما جاء بدرج السفر كما يرى العالم اللاهوتي جيرهارد فون راد Gerhard Von Rad الذي قال إن هناك توافقاً بين النبي ورسالته (قارن أصحاح ٢-٣). وذلك على خلاف ما جاء عن إرميا ونصيبه غير المسر الذي يُشبّه فيه بالمدينة الحصينة ضد الشعب بجملته (إرميا ١:١٧-١٩) ودعوة إشعياء غير الواعدة (إش ٦:٩-٢٧).

وهنا انتابت حزقيال حيرة، من جراء ما رآه عن مجد الرب السماوي، وكان مرتعداً وجلس بين المسبيين متحيراً سبعة أيام (٣:١٥). وعند تمام السبعة أيام زالت حيرته بإعلان كلمة الرب له وبإعطائه المسئولية الفردية (قارن ٣:١٦-٢٧).

حزقيال آية لبيت إسرائيل

قصد بالتعبير آية مثالاً أو نموذجاً كما قُصد بالكلمة ذاتها دهشاً وعجباً (قارن ٤:٤، ١٢:٦ و١١، ٢٤:٢٤

و٢٧) وكان كلام الرب إلى حزقيال قائلاً: «خذ لنفسك لبنة وضعها أمامك وارسم عليها مدينة أورشليم» (٤:١). وهذه اللبنة من فخار كالتي عُثر عليها في بابل، في الحفريات. طولها قدمان وعرضها قدم واحد، وبها بعض النقوش المسمارية كالبابلية والأشورية، وكان على حزقيال أن يرسم عليها حصاراً. وقد ارتفع عليها برج، حتى يراقب المحاصرون الشعب المحاصر (قارن إرميا ٥٢:٤). ويقيم على المدينة أيضاً مترسة، وجيوشاً ومجانق حولها. حتى يجد الكلدانيون حماهم فيها. أما عن الصاج الحديد الذي كان على النبي أن يقيمه كفاصل بينه وبين أورشليم (٤:٣). فيمثل الحائط الذي أقامه الرب بينه وبين المدينة كما يرى العلماء. بمعنى أن حزقيال النبي يُجسّد (بأمر الرب) صورة ملموسة للحصار المزمع أن يقع على المدينة أورشليم. وهذه الصورة تذكرنا بما جاء في (إرميا ٥:٢) «وأنا أحاربكم بيد ممدودة وبذراع شديدة وبغضب وحمو غيظ عظيم».

أما قول الرب : ثبت وجهك عليها (أي على المدينة) (٤:٣ب) فيعني به حتمية إتمام ما تقرر «لأن وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم» (مزمور ٣٤:١٦).

لقد كان المسبيون في بابل في حالة أفضل كثيراً، من الذين بقوا من أورشليم ووقع عليهم الحصار (قارن ٢أخ ٣٦:١٢-١٧).

وصار كلام الرب إلى حزقيال «اتكيء أنت على جنبك اليسار وضع عليه إثم بيت إسرائيل» (٤:٤). «وثلاث مئة يوم وتسعين يوماً فتحمل إثم بيت إسرائيل» (عدد ٥). وعند تمامها كان على النبي أن يتكيء على جنبه اليمين أيضاً فيحمل إثم بيت يهوذا أربعين يوماً (عدد ٦) كل يوم عوضاً عن السنة.

يرى هـ.ماي H.May أن الأربعين يوماً عن السنة تشير إلى سبي يهوذا من عام ٥٩٦ ق.م إلى وقت العودة من السبي عام ٥٣٨ق.م أما عن الثلاث مئة يوماً عن السنة والخاصة بإسرائيل فهذا غير واضح وربما تشير إلى الزمن من بداية حكم يربعام بن نباط إلى زمن العودة من السبي.

أما عن الترجمة السبعينية فجاء بها أن الفترة هي مئة وتسعين سنة. إشارة إلى بداية سبي إسرائيل بواسطة تغلث فلاسر بعد الحرب السورية الأفرايمية عام ٧٣٤ ق.م (٢مل ١٥:٢١). وقال آخرون من المفكرين النقديين ربما كانت هذه الأرقام أو الأعداد إضافة متأخرة، ربما كانت ثلاثة مئة وخمسين يوماً مضافاً إليها الأربعين يوماً الخاصة بيهوذا فتصبح ثلاث مئة وتسعين يوماً (قارن ٤:٩). وربما كانت هذه إشارة بدورها، عند بعض الشراح، إلى الوحدة والاتحاد بين إسرائيل ويهوذا تحت رئاسة ملك مسياني.

وفي العبرية الجنب اليسار هو اتجاه الشمال، واليمين هو الجنوب، والإنسان متجه نحو الشرق. والمعروف إن إسرائيل تقع في الشمال وعاصمتها السامرة ويهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم.

ويرى بعض العلماء أيضاً أن الرقم ثلاث مئة وتسعين يوماً عن السنة عن إسرائيل وأربعين يوماً عن السنة عن يهوذا مجموعها أربعمائة وثلاثين هي فترة معروفة بل ومشهورة في تاريخ شعب الرب، وقت أن كان غريباً ونزيلاً في أرض مصر (خر ١٢:٤٠ و٤١، غل ٣:١٧). وفي موضع آخر ينذرهم الرب بأنه سيعيدهم إلى مصر ثانية. الأمر الذي لا يقصد حرفياً، بل يُشير إلى العبودية المشابهة في إيلامها لعبودية مصر (قارن تث ٢٨:٦٨، هوشع ٩:٣، حزقيال ٢٠:٣٥-٣٨).

لكن الطريق مفتوح أمام الشعب للعودة إلى رب الحياة والنجاة

ويرى أحد العلماء أن الرقم أو العدد ثلاث مئة وتسعين. إشارة إلى فترة خطية إسرائيل حرفياً من وقت إقامة عجلي يربعام بن نباط (١مل ١٢:٢٠-٣٣) من عام ٩٧٥-٥٨٥ ق.م تقريباً أي إلى سنة السبي البابلي. أما عن

الرقم أربعين يوماً عن السنة الخاصة بيهوذا (٤:٦)، فكما يرى أحد علماء الكتاب، تُعد إشارة إلى حكم منسى والتي فعل خلالها الشر في عيني الرب وعبر ابنه في النار، واستخدم جاناً وتوابع وأكثر في عمل الشر لإغاظة الرب... (٢مل ٢١:٢-٧ و١٠ - ١٦، ٢٣:٢٦-٢٧).

ورغم إصلاحات الملك يوشيا فقد وقع عليهم العقاب. لأن الإصلاحات لم تكن نابعة من نفوسهم، بل كانت امتثالاً لأوامر ملكية. وعلى الرغم من التطهير الخارجي الظاهري إلا أن قلوبهم لم تكن مستقيمة أمام الرب إلههم، وصارت إصلاحاتهم بلا جدوى في ضوء النصوص العديدة (٢مل ٢١:١٢-١٦، ٢مل ١٨:١١-١٣، إرميا ١٥:٤).

كان على حزقيال أن يأكل طعامه بعيار معين، إشارة إلى الحصار القادم (٤:٩-١١) وأن يقص شعره (٥:١-١٢) والذي كان يشير إلى الحزن والألم العميق (قارن إش ١٥:٢، إرميا ٤٧:٥، ٤٨:٣٧، عاموس ٨:١٠، ميخا ١:١٦). كما أكل خبزه وشرب ماءه برعدة، إشارة إلى الخوف الرهيب مما سيجتازه الشعب من آلام وضيق شديدين (١٢:١٧-٢٠). وعندما ماتت زوجته الوفية، شهوة عينيه، مُنع حزقيال من البكاء وذرف دموعه عليها كعلامة، أو آية لشعب إسرائيل ويهوذا. إن سقوط أورشليم وتدميرها مع حرق الهيكل، سيملأهم حزناً أعمق من الدموع، وقد سأله الشعب قائلين «ألا تخبرنا مالنا وهذه التي أنت صانعها فأجابهم.. وهكذا قال الرب، هأنذا منجس مقدسي فخر عزكم، شهوة أعينكم ولذة نفوسكم. وأبناؤكم وبناتكم الذين خلفتم، يسقطون بالسيف. وتفعلون كما فعلت... لا تنوحون ولا تبكون... ويكون حزقيال لكم آية مثل كل ما صنع تصنعون...» (٢٤:١٥-٢٧).

لقد أجريت هذه الآيات أمام الذين لهم أعين لترى ولم تر، وآذان لتسمع ولم تسمع (١٢:٢) لأنهم شعب متمرد. وكان لهم حزقيال، كمن يحسن الغناء بصوت جميل على آلة جيدة (٣٣:٣٠-٣٣) «يسمعون كلامك يقول الرب ولا يعملون به لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم».

أهولة وأهوليبة

يُرمز إلى إسرائيل بأهولة ويهوذا بأهوليبة، أختان تنجستا بكل ألوان الشر والفساد (الأصحاح ٢٣)، وستجني الأختان، ثمر أفعالهما دينونة عادلة وازدراء الشعوب.

إن تاريخ كسر العهد بواسطة إسرائيل (أهولة) ويهوذا (أهوليبة)، يمتد إلى وقت صباهما. إن تمرد (شعب إسرائيل ويهوذا) يمتد إلى خطيتهم الأصلية، فلم تكن إسرائيل بلا خطية، بل يمتد تعديهم ليس إلى التيهان في البرية فقط. بل أيضاً إلى وقت تغربهم في مصر أرض العبودية (٢٠:٥-٦). لقد تنجس تاريخ إسرائيل منذ البدء، لأن الشعب استجاب للعبادة الوثنية بل وتمسك بأصنام مصر. لكن لأجل اسمه ومجده وحتى لا يتنجس اسمه القدوس أمام أعين جميع الأمم، أراد الرب شعباً مقدساً، أميناً طاهراً من كل نجاسة الأوثان. وذلك هو أسلوب حزقيال في كل السفر، ذلك الأسلوب الذي بدا واضحاً في الرؤيا الافتتاحية، حتى يدرك الجميع الفرق الشاسع بين الإله القدوس اسمه، وبين الإنسان الترابي الفاسد.

ويقدم حزقيال النبي تلخيصاً شاملاً للتاريخ المقدس من خروج الشعب من مصر إلى الاستيطان في كنعان. وهذا التلخيص يتمثل في الحديث المجازي عن مدينتين رئيسيتين أورشليم والسامرة (في الأصحاحين ١٦، ٢٣) ويُصور تاريخ إسرائيل بامرأة زانية، هذا التشبيه الذي طالما تحدث عنه سفر هوشع والنبي إرميا، ويردد حزقيال قوله عن أورشليم «أبوك أموري وأمك حثية» (١٦:٣ قارن عدد ٤٥). ويتحدث النبي هنا لاهوتياً وليس تاريخياً. إنها ابنة فاسدة وفاسقة كأمها. «ومثل الأم بنتها» (١٦:٤٤)، غير أن الرب أشفق على هذا الطفل غير الشرعي الذي رفضه الآخرون، رباها واعتنى بها وجمّلها. إنها النعمة الإلهية. لكن الابنة وثقت في جمالها ونسيت أنها مدينة بحياتها وجمالها لله. فقد كانت شهوتها متوهجة في داخلها مثل أمها الحثية. وكان الرجال كما هي العادة يدفعون أجرة

للزانية. لكن هذه المرأة الزانية السليطة كانت تُعْزي محبيها بعطاياها. لقد سلكت أكثر سوءاً من السامرة (مملكة الشمال). وتمثل ذلك في التشبيه أو الرمز المجازي أهولة (السامرة) وأهوليبة (أورشليم) (الأصحاح ٢٣) وستجني الواحدة منهما شر فعلها دينونة عادلة وازدراء الشعوب الأخرى. لأنه هكذا قال السيد الرب إني أفعل بك كما فعلت إذ ازدريت بالقسم لنكث العهد (١٦:٥٩)، ومن هنا يتجه فكر النبي حزقيال من العهد الموسوي إلى عهد النعمة مثل عهد داود العهد الأبوي.

عهد النعمة

«ولكني أذكر عهدي معك في أيام صباك وأقيم لك عهداً أبدياً» (١٦:٦٠). «فتتذكرين طرقك وتخجلين... وأنا أقيم عهدي معك فتعلمين أني أنا الرب. لكي تتذكري فتخزي ولا تفتحي فاكِ بعد بسبب خزيك حين أغفر لك كل ما فعلت يقول السيد الرب» (١٦:٦١-٦٣).

وقبل أن تختبر إسرائيل غفران الله. وتدخل في علاقة جديدة مع الرب منقذها من كل ضيقة وفي عهد أبدي كان على الشعب أن يختبر العقاب الإلهي، الدينونة العادلة (١٦:٥٩). وقد وضح ذلك في رؤيا حزقيال (أصحاحات ٨-١١) «فتعلمون أني أنا الرب»، ولابد أن تظهر سيادة الله في أعمال الدينونة، ضد شعب متمرد وعنيد وصلب الرقبة وقاسي القلب كما حدث في القديم» (٢٠:٣٣-٣٨).

وكم كان قاسياً وأليماً أن يرى النبي حزقيال مجد الرب وقد زال عن بيت الرب (الهيكل المقدس). بعد أن صار منجساً: «وخرج مجد الرب... ووقف على الكروبيم فرفعت الكروبيم أجنحتها، وصعدت عن الأرض» (١٠:١٨-٢٢). لقد كان إثم الشعب عظيماً جداً، حتى وإن كان فيها الرجال الثلاثة الأبرار نوح ودانيال وأيوب. «فإنهم إنما يُخلصون أنفسهم ببرهم يقول السيد الرب» (١٤:١٢-٢٠) ولا تنجو المدينة من الدمار.

وجاء أنبياء العامة من الشعب من تلقاء ذواتهم برسالتهم الخاصة وأضلوا الشعب بقولهم سلام حيث لا سلام، القائلون «وحي الرب والرب لم يرسلهم» (١٣:١-١٠). وقد وضحت كل أفعالهم الرجسة في الأصحاح الثاني والعشرين، من انحراف العبادة وكسر السبت، وجرائم أخلاقية، من سفك دماء، وزنى واغتصاب، وعدم إكرام الوالدين، والتعدي على حقوق اليتيم والأرملة والغريب «وطلبت من بينهم رجلاً يبني جداراً ويقف في الثغر أمامي عن الأرض لكيلا أخربها فلم أجد» (٢٢:٣٠)، «فسكبت سخطي عليهم، أفنيتهم بنار غضبي، جلبت طريقهم على رؤوسهم يقول السيد الرب» (عدد ٣١).

لكن الرب رحيم في ذات الوقت. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسر بالرأفة. فيتكلم الرب عن فم النبي حزقيال قائلاً: «لكني أذكر عهدي معك في أيام صباك وأقيم لك عهداً أبدياً... وأنا أقيم عهدي معك فتعلمين أني أنا الرب، لكي تتذكري فتخزي ولا تفتحي فاكِ بعد بسبب خزيك حين أغفر لك كل ما فعلت يقول السيد الرب» (١٦:٦٠-٦٣).

ويشبه أحدهم هذا العهد، عهد النعمة، ببزوغ الشمس من جنبات السحب القاتمة والظلمة الحالكة. فرغم تعديات إسرائيل ونسيانها لله (عددي ٢٢ و٤٣) لا زال الرب يذكرها. ويفديها دائماً بالنعمة «فتتذكرين طرقك وتخجلين» (٦١أ). ويشير المرنم إلى ذلك قائلاً «مرات كثيرة أنقذهم أما هم فعصوه بمشورتهم وانحطوا بإثمهم، فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم وذكر لهم عهده وندم (رحمهم) حسب كثرة رحمته» (مزمور ١٠٦:٤٣-٤٥).

وضح هدف الرب وقصده من رحمته هذه لهم في كلماته للنبي حزقيال: حتى تتذكر إسرائيل ولا تفتح فاها بعد بسبب خزيها «حين أغفر لكِ كل ما فعلت يقول السيد الرب» (١٦:٦٣).

إن هذا العهد الأبدي (عهد النعمة)، مبني أساساً على العهد الذي قطعه الرب مع إبراهيم قديماً. لقد أحاطها الرب بنعمته رغم تعديها المتكرر، حتى تكون بركة لأمم وشعوب كثيرة لتأتي بهذه الشعوب إلى الرب الإله خالق السموات والأرض (٢٦:٣٧، ٢صم ٥:٢٣، إش ٣:٥٥-٥) وبروح أبدي يقيم عهده (قارن إرميا ٣١:٣١-٣٧، ٤٠:٣٢-٤١، ٥٠:٤-٥، عب ٨:٨-١٣)، وليس ذلك عن استحقاق بل نتيجة محبة غنية وعطف شديد (٤٣:٢٠-٤٤)، «لأن هكذا قال السيد الرب، ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل بل لأجل اسمي القدوس».

هذه العبارة التي تكررت كثيراً «لا من أجلكم أنا صانع» (قارن أيضاً عددي ٢٢ و٣٢ من أصحاح ١٦). «فتتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم، من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم...» (حزقيال ٢٢:٣٦-٣٢). لا من أجلكم أنا صانع يقول السيد الرب فليكن معلوماً عندكم. بل لأجل اسمي القدوس فتعلم الأمم الذين حولكم أني أنا الرب بنيت المنهدمة وغرست المقفرة. «أنا الرب تكلمت وسأفعل» (العدد ٣٦).

فتأتي أمم كثيرة وتعرف الرب وتلتصق به. تلك رسالة إسرائيل الأساسية ومهمتها التي لأجلها اختارها الرب. وليس لفضل فيها بل هي نعمة الله ومحبته (قارن أيضاً إش ٢:٢-٣، ٦:٤٢، ١٠:٤٣ و١٣، ١٠:٥٤ و٥ و١٠). إنه الإله القديم يهوه اسمه الذي أعلن ذاته لموسى قائلاً «هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور». لم ولن يتغير (خروج ١٤:٣-١٥، تث ٢٧:٣٣). لأني أنا الرب لا أتغير فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا (ملاخي ٦:٣). وقد أخفقت إسرائيل في أداء مهمتها وتحقيق إرساليتها والتي اختيرت لأجلها فكان لابد أن يأتي السيد المسيح الذي تجسدت فيه المحبة والنعمة بكل الغنى والفيض. ولا شيء يذيب بل يُصهر القلب المتحجر، أكثر من المحبة الغافرة النابعة من النعمة الإلهية بعهده الأبدي. وقد تجلى ذلك في حياة رب المجد الابن الحبيب (قارن لوقا ٤٧:٧)، في كلماته «قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً»، بمعنى أن ما فعلته المرأة الخاطئة مع المسيح بسكبها قارورة الطيب وغسل قدميه بدموعها وبالطيب، ومسحهما بشعر رأسها وتقبيل قدميه، لهو برهان واضح على غفران خطاياها وليس سبباً أو عربوناً للغفران. ويؤكد أحد العلماء هذه الحقيقة من كلمات الرب نفسه في الشطر الثاني من (العدد ٤٧ب) الذي يُغفر له قليل يُحب قليلاً (قارن الأعداد ٤١-٤٣).

كل الأنفس هي لي

ينبر حزقيال النبي على حقيقة مهمة جداً وهي المسئولية الفردية (١:١٨-٤، ٢١-٢٥، ٢٩-٣٣، قارن ١٧:٣٣-٢٠، إرميا ٢٩:٣١).

«ها كل النفوس هي لي يقول الرب، نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي، النفس التي تخطىء هي تموت» (٤:١٨). «الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن» (العدد ٢٠).

تلك هي مبادئ القضاء الإلهي ودينونته العادلة حسب شريعته التي أعلنها لموسى قديماً (تث ١٦:٢٤، قارن أيضاً ٢مل ٦:١٤)، أما عن الكلمات الواردة في (خروج ٥:٢٠) بأن الرب مفتقد إثم الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي الرب، أي الأبناء المشاركين لآبائهم في شرورهم، الذين قال عنهم الرب في العهد الجديد. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم» (مت ٣٢:٢٣-٣٣).

«وإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا. لا يموت لأن الرب يسر برجوع الشرير عن طرقه فيحيا» (٢١-٢٣، قارن ٢بط ٩:٣). «أما إذا رجع البار عن بره وعمل إثماً وفعل ما يفعله الشرير فكل بره الذي عمله لا يذكر. في خيانته التي خانها وفي خطيته التي أخطأ بها يموت» (عدد ٢٤ من الأصحاح ١٨) في خطيته يموت ليس لأن الرب لم يرد خلاصه (قارن يوحنا ٤:٥). وقد أشار الرسول بطرس

في العهد الجديد عن هذه الحقيقة بالقول: «لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعد ما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة» (٢بط ٢:٢١-٢٢).

«لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل» (٢بط ٢:٢٠).

لذلك يقول السيد الرب «توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة» (١٨:٣٠). والرجوع إلى الرب كما يرى المفسرون علامة ظاهرية لتوبة داخلية ذهنية صادقة. لأن الرجاء الوحيد لكل شرير هو التوبة من القلب، والرجوع إلى الرب وعمل ما هو مسر قدامه (قارن أم ١:٢٤-٢٥، ٢٨-٣١، أيضاً سفر الرؤيا ٢:٥).

«اعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديداً. فلماذا تموتون» (١٨:٣١). ويرى أحد العلماء أن هذه الكلمات تساعد الإنسان على إدراك طبيعته وضعفه الشديد، وعجزه عن تحقيق حالة القلب الجديد والروح الجديد لذاته. لأن الرب وحده هو الذي يستطيع ذلك، وليس لإنسان أن يمنح القلب الجديد والروح الجديدة (١١:١٩، ٣٦:٢٦-٢٧، قارن مزمور ٥١:١٠-١١). وفي هذا يرى كلفن أن قوتنا هي الضعف بعينه لكنها كافية لعمل ما يُطلب منا إذا كان الرب عوننا، بمعنى أن قوة الله في الضعف تكمل.

«لأني لا أسر بموت الشرير فارجعوا واحيوا يقول السيد الرب» (١٨:٢٣ و٣٢). بل مسرة الرب برجوع الشرير عن شره فيحيا. لأنه ولو أحزن الرب فإنه يرحمه حسب كثرة مراحمه لأنه لا يذل من قلبه، ولا يحزن بني الإنسان (مراثي ٣:٣٢-٣٣). وقد صاغ الرسول بطرس هذه الكلمات قائلاً: «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣:٩). ومن طبيعة الإله جل جلاله هي التأني لأنه بطيء الغضب، وغضب الله هو عمله الغريب كما يذكر إشعياء النبي (٢٨:٢١).

يقيم الرب حياة من الموت

وكانت كلمة الرب إلى حزقيال: تنبأ وقل لهم «هكذا قال السيد الرب، هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل» (٣٧:١٢) «فتعلمون إني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي» (العدد ١٣).

إنها رسالة رجاء بعد الدينونة والعقاب (٣٣:١-١١) بداية جديدة وانبثاق فجر جديد تمثل بوضوح كامل في الرؤيا المبهجة للنبي عن قيامة العظام اليابسة (الأصحاح ٣٧).

«أخرجني روح الرب» يقول حزقيال «وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاماً» . إنها ذات المكان الذي جاء عنه في (٣:٢٢-٢٤) التي كان فيها على النبي أن يتلقى إعلان الدينونة والعقاب. لكن هذه المرة يتلقى إعلان الرجاء بقيامتهم من الأموات. إصعادهم من القبور، أي من أرض السبي، وهذه الرؤيا كما يرى علماء الكتاب لا تتحدث عن قيامة الأموات بمعنى أن الحياة عادت إليهم ثانية على الأرض (١مل ١٧:١٩-٢١، ٢مل ٤:١٨-٣٧، ١٣:٢٠-٢١)، ولا تشير إلى القيامة في الحياة الأبدية (إش ٢٦:١٩، دانيال ١٢:١-٣)، بل إلى قيامة إسرائيل من السبي والعودة إلى أرض الآباء أرض يهوذا وأورشليم حيث هيكل الرب (٣٧:١٢). آتى بكم إلى أرض إسرائيل وأجعلكم في أرضكم (العدد ١٤).

وصار أمر الرب إلى حزقيال النبي: «قل لها أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً، وأكسيكم لحماً، وأبسط عليكم جلداً. وأجعل فيكم روحاً فتحيون. وتعلمون أني أنا

الرب» (١-٦). كيف لا وهو الخالق (إشعياء ١٩:٢٦، مزمور ١٠٤: ٣٠).

وعندما نادى حزقيال على العظام اليابسة كما أمره السيد الرب، تقاربت العظام، بعد أن كانت متناثرة ومختلطة، كل عظم إلى عظمة. وإذا بالعصب واللحم كساها وبُسط الجلد عليها من فوق (٧-٨)، ولكن ليس فيها روح، فقال له الرب تنبأ يا ابن آدم، بمعنى أيها الإنسان الترابي. وقل للروح، هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى. الروح الذي يُحول الجسد المائت إلى جسد حي. إنه روح الحياة روح الرب (١٤:٣٧).

والرياح الأربع كما قال بعض العلماء، (العدد ٩) تشير إلى أركان الأرض الأربع (٢:٤٢، دانيال ٨:٨، ٤:١١)، وربما تشير أيضاً إلى أرواح السماء الأربع (قارن إرميا ٤٩: ٣٦، زك ٦:٢، ٥:٦)، وأن الشعب سيجتمع من أركان الأرض الأربعة (إش ٤٣:٥-٦، إر ٨:٣١)، وحتى وإن كانوا مشبتين في اتجاه الريح الأربعة (٥:١٠، ١٢، ١٤:١٢، ١٥، ٢١:١٧، قارن رؤيا ١:٧).

إن هذا الأصحاح (٣٧) يتحدث بأسلوب غير مباشر عن قيامة الأموات (قارن دانيال ٢:١٢، هوشع ٢:٦، ١٤:١٣) وبأسلوب مباشر عن القيامة بمعنى العودة من أرض السبي إلى أرض الآباء، أرض يهوذا وأورشليم (قارن إش ٢٥: ٨، ٢٦: ١٩).

وقال السيد الرب لحزقيال النبي هذه العظام هي كل بيت إسرائيل.

«ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا»

قل لهم هكذا قال السيد الرب «هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل» (١٢:١١). ويتحدث الرب هنا كاشفاً بنوره الساطع الوهاج عن أحوال الشعب وما وصل إليه من ظلمات السبي «ها هم يقولون يبست عظامنا» (مزمور ٧:١٤١). «هلك رجاؤنا» (إش ١٤:٤٩). تركني الرب وسيدي نسيني، ولا رجاء. رأوا أنفسهم مثل أغصان قطعت من أصل الشجر وصارت يابسة. وكيف تخضر ثانية وتعطي ثمراً.

وهنا تكلم الرب «هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي. فتعلمون أني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم» (العدد ١٣). «من يد الهاوية أفديهم. من الموت أخلصهم. أين أوباؤك ياموت أين شوكتك يا هاوية» (هوشع ١٤:١٣). «وأجعل فيكم روحي فتحيون وأجعلكم في أرضكم».

لقد رأى حزقيال العظام اليابسة في رؤياه وقد صارت جيشاً عظيماً جداً جداً (٣٧: ١٠). وقد امتلأوا جميعاً من روح الله الخالق العظيم والقادر على كل شيء، يهوه اسمه (خروج ٦:٣). وتلك رسالة الرجاء العظيم التي على نبي السبي أن يعلنها بوضوح لشعبه البائس، بأنه سيحل فيهم بروحه القدوس روح التطهير من كل نجاسة ورجاسة الأمم ويحل بملء الشجاعة والقوة. ويلبسهم روحاً جديداً وقلباً جديداً (حزقيال ٢٤:٣٦-٢٨)، «فيعلمون أني أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب» (١٤:٣٧). نعم «يعلمون إني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم ثم جمعهم إلى أرضهم. ولا أترك بعد واحداً منهم ولا أحجب وجهي عنهم بعد لأني سكبت روحي عليهم يقول السيد الرب» (قارن ٢٨:٣٩-٢٩).

تأديب السبي ليس إلى الموت

لم تكن حالة المسبيين بالدرجة السيئة في بابل أرض السبي كما سلفت الإشارة، فقد مُنح اليهود الجزء اليسير من الحرية الاجتماعية والفرص الاقتصادية، حتى كانت لهم اليد الطولى في النشاط الاقتصادي كما يرى أحد العلماء. فكان منهم أحسن حالاً من ذويهم الذين كانوا في بلادهم (قارن كلمات التوبيخ المباشرة لهم من النبي إشعياء

٥٥:١-٣). إذ يدعوهم إلى الارتواء الحقيقي، والشبع الحقيقي، وحتى يذكروا حقيقة وجودهم في أرض غريبة.

وكان حزقيال النبي راعياً ومنذراً ومعلماً، لكل يهود السبي في بابل، وداعياً لحفظ شريعة إله السماء والعمل بها.

لكن الخطر الذي واجهه اليهود في بابل تمثل في مواجهة الثقافة البابلية المتقدمة في ذلك الوقت، وأسلوب العبادة أمام أسلوب الحياة المتواضعة التي كان يحياها شعب اليهود في يهوذا. كما يتكرر ذلك في أيامنا المعاصرة مع من يأتي من بلاد نامية أو متخلفة ويصطدم بالحضارات الغربية المتقدمة.

إنها نفس المشكلة التي واجهها الإسرائيلي بعد تركه برية سيناء ودخوله أرض كنعان واختلاطه بالشعوب الأجنبية.

لقد شاهد المسبيون بابل العظيمة وحضارتها المتقدمة، وبالنسبة لهم بدت الآلهة الأخرى هي السائدة. وهل لهم أن يعبدوا الرب إلههم في أرض غريبة كهذه «وأين لهم ذلك وهم بعيدون عن الهيكل» وتذكر المكرسون منهم الفرح والابتهاج الذي كان لهم في صهيون في بيت الرب في أورشليم. وقد عبر المرنم أصدق تعبير عن هذه المشاعر الجياشة في (مزمور ١٣٧) «على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا تذكرنا صهيون... علقنا أعوادنا... معذبونا سألونا قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون... وكيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة. وكيف أنسى أورشليم، إن نسيتك يا أورشليم لتعجز يميني وتفقد مهارتها. وليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك. وإن لم أفضل أورشليم على أعظم أفراحي». ويختتم المزمور بطلب نقمة الرب على بني أدوم الذين طلبوا بل هتفوا لخرابها. وعلى البابليين الذين اقتحموا أورشليم لتدميرها (مزمور ١٣٧:٧-٩). لكن بعض اليهود المسبيين تأثروا بالثقافة والعبادة البابلية وممارساتهم الغريبة الرجسة، كما حدث مع غالبية المسبيين اليهود في مصر والذين اختلطوا بعبادات المصريين كما توضح ذلك برديات اليفنتين Elephantine Papyri خلال القرن الخامس ق.م. وبذلك فقدوا هويتهم بعبادة آلهة أخرى بجانب إلههم يهوه إله السماء والأرض.

كان لحزقيال نبي السبي دور هام في حث المسبيين في بابل بالتمسك بشريعة الرب وحفظ شرائعه وأحكامه، ومواصلة الدور الذي قام به النبي إرميا من قبله، في الرسالة التي كتبها وأرسلها لشعب اليهود في بابل، يحثهم فيها على العبادة والمواظبة على الصلاة والطلبة أمام الرب في أرضهم الغريبة، حتى وإن كانوا بعيدين عن هيكل الرب في أورشليم، فإنهم سيجدون طريقهم إلى الله. «تُصلون إليّ فأسمع لكم وتطلبونني فتجدونني بكل قلبكم فأوجد لكم يقول الرب وأرد سبيكم وأجمعكم من كل الأمم ومن كل المواضع التي طردتكم إليها يقول الرب، وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه» (إرميا ٢٩:١٢-١٤).

وتأكد الشعب من هذه الحقيقة أن الرب في وسطهم ولن يتركهم في أرض السبي، ويمكنهم عبادته في أي مكان يوجدون فيه ويسمع لهم لأنه هو نفسه يكون مسكنهم في تلك الأرض الغريبة. في هذا تراءى مجد الرب لحزقيال النبي قائلاً له: «لذلك قل هكذا قال السيد الرب وإن كنت قد أبعدتهم بين الأمم، وإن كنت قد بددتهم في الأراضي. فإني أكون لهم مقدساً (مسكناً) صغيراً في الأراضي التي يأتون إليها.... وأجمعهم ثانية وأعطيهم أرض إسرائيل. وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلهم روحاً جديداً. وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم لكي يسلكوا في فرائضي... ويعملوا بها ويكونوا لي شعباً فأنا أكون لهم إلهاً» (١١:١٤-٢٠).

إن الرب لا يرتبط بمكان معين حتى يسمع لشعبه وإن كانوا بعيداً عن الهيكل الذي في أورشليم في أرض سبيهم. ويؤكد ذلك سفر الشريعة بالقول ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عدداً قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها. «ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذ التمسته بكل قلبك وبكل نفسك» (تث ٤:٢٧ و٢٩).

وكان يهود السبي يجتمعون في شكل مجموعات صغيرة، بعد أن اعتاد شيوخهم الذهاب إلى حزقيال في بيته، للتشاور معه للعبادة والتعلم الديني حسب شريعة موسى من الرب.

ويرى بعض العلماء أن الكلمة مجمع Synagogue من كلمة يونانية تعني التجمع معاً للعبادة والتعليم والتي تأسست فكرتها خلال فترة السبي. بهذا يمكن القول إن فكرة المجامع نشأت استجابة للحاجة الملحة التي أحس بها الشعب، زمن السبي البابلي لأنهم بعيدون وغرباء عن أرضهم وعن هيكلهم في أورشليم.

لم يضعف شعور الانتماء بينهم كجماعة العهد بل ازداد رسوخاً ومتانة في داخلهم في أرض السبي حتى وإن لم يكن لهم تحالف قومي، كرسوا أنفسهم لحفظ التوراة حتى لا يحجب الله وجهه عنهم (راجع إش ١٦:٨-١٨).

وقام كثيرون من الكهنة اللاويين بجانب حزقيال، بمهمة التعليم والتفسير لشريعة الرب، والمشورة النافعة والبانية في ضوء الكلمة المقدسة للشعب في أرض غربتهم. حيث كانوا يحفظون غيباً أجزاء عديدة من شريعة الرب. لأن بعضهم أحضروا أجزاء مكتوبة من الأسفار المقدسة كما يرى بعض الباحثين (قارن ٢أخ ٣:١٥، ٩:١٧، ٣:٣٥)، معلمين ومرشدين بطرق الرب ووعده لهم وكيف يعبدونه ويخدمونه. بمعنى أن التعليم الكهنوتي استمر خلال السبي كما كان في هيكل أورشليم، الأمر الذي أصّل فيهم الرجاء، وأن وعد الرب لهم سوف يتحقق «في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة (والتي أعقبها السبي) وأحصن شقوقها، وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر» (عاموس ١١:٩). وأن ما جاء بهذه النبوة سيتحقق بعد العودة من السبي «وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً، ويشربون خمرها. ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها. وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك» (عا ١٤:٩).

غير أن هذه النبوة لا تتحدث فقط عن العودة من السبي في بابل، بل تشير أيضاً إلى الوعد والرجاء المسياني الذي يتحقق في المسيح يسوع بقوله في (العدد ١٢): لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم. إشارة إلى انضمام باقي الأمم وتمتعهم بنعمة المسيح الفادي (قارن أع ١٦:١٥-١٧). «لأن ليس عند الله محاباة ولا يقبل الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده» (أع ٣٤:١٠-٣٥).

جوج وماجوج

ورد الحديث عن جوج وماجوج بالسفر في (١:٣٨-٢٩:٣٩) بعد رؤيا حزقيال النبي عن العظام اليابسة والتي تعبر عن مشاعر الشعب اليائسة، وقد استولى عليهم الحزن والفشل القاتل الذي تمثل في القول «يبست عظامنا، هلك رجاؤنا، قد انقطعنا» (١١:٣٧). وحالما ينقشع كل هذا القتام بتفجير النور الإلهي العظيم الذي يكشف عن هذه العظام اليابسة قد صارت جيشاً عظيماً جداً جداً (٣٧: ١٠)، بعد أن اكتست بالعصب واللحم وكساها الجلد ودخل فيهم روح الرب فحيوا. ويُختتم هذا الأصحاح بوعد الرب لهم، وقد صاروا أمة واحدة: «ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين وهم يكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً. وداود عبدي يكون ملكاً عليهم». والإشارة هنا عن أيام داود المجيدة التي عاشوا فيها واتسعت في أيامه المملكة وسلمها لابنه سليمان عشرة أمثال يوم تسلمها بعد شاول (بن قيس). هذا من جهة، ومن جهة أخرى كما يرى علماء الكتاب أن الكلمات «داود عبدي يكون ملكاً عليهم» تشير إلى مجيء الرب في الجسد يسوع المسيح الابن الحبيب (إش ١:٤٢، مت ٣٧:٣، إش ٣:٤٩، ٦، ١١:٥٣ مع فيلبي ٧:٢).

وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً، وأقرهم وأكثرهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد (٢٦:٣٧). ويثير (الأصحاح ٣٧) بعض الأسئلة عند بعض العلماء. هل معنى هذا أن شعب الله سوف يحيا آمناً وفي سلام تام وليس من يقف أمامه؟ ألا يوجد أعداء يهاجمونهم ويعملون على إبعادهم عن الله لتدميرهم؟ وفي رأي

هؤلاء العلماء أن (أصحاحي ٣٨، ٣٩) الخاصين بجوج وماجوج، بهما الإجابة الوافية والكافية على كل تساؤل.

وحري بنا في هذا المقام أن نستعرض رأى العلماء فيمن هو جوج وجمهوره، وماجوج أعداء شعب الرب وعاقبتهم. ولابد أنهم مقتدرون وأقوياء وكيف لهم مقاومة شعب الرب وقد قطع معهم عهداً أبدياً (٣٧:٢٦).

الآراء المختلفة حول جوج وماجوج

تعددت الآراء حول جوج وماجوج وعما إذا كان شخصية حقيقة أو رمزية أسطورية أو شعباً أو مكاناً بعينه.

كان جوج رئيساً على ماشك وتوبال (والتي يعتقد البعض أنها في منطقة شرق آسيا الصغرى أو شرق تركيا) وربما أخذ اسم جوج من الكلمة جيجيس Gyges of Lydia كان أحد رؤساء العائلات الليدية ما بين عامي ٦٧٠-٦٥٣ ق.م. وكان يدعوه أشور بنيبال جوجو Gugu وكانت تجمع بينه وبين أشور بنيبال صداقة قوية بعد منافسات شديدة من قبل. وبعدها تحولت صداقته نحو مصر ضد الأشوريين، الأمر الذي أثار غضب ملك أشور فقام وغزا ليديا وقتل Gugu (أي جيجيس) عام ٦٥٣ ق.م تقريباً.

ويرى ألبرايت W.F. Albrught أن جوج شخصية تاريخية حادثة في مخطوطات الحثيين Hittite المرتبطة بالمنطقة الموحشة على جانب أرمينيا وكبدوكية. والكلمة جوج من الكلمة السومرية Gug التي تعني ظلمة. ولذلك كان جوج تشخيصاً ورمزاً للشر والظلمة.

أما هـ.فينكر H. Winckler فيرى أن جوج اسم مستعار ويشير إلى الإسكندر الأكبر. بينما ل. سينيكا Sei-necke فيربطه بشخصية أنطيوخس الرابع أبيفانس. أما ج.ر. بيري G.R. Berry فيرى أن جوج هو أنطيوخس الخامس.

وجاء في الترجمة السبعينية ما يوضح أن ماجوج هو شعب وليس بلداً بعينه (قارن ٣٩:٦)، الأمر الذي يؤكده ر.ك. هاريسون R.K.Harrison.

ويرى بعض العلماء أن شعب ماجوج هم سكان ماشك وتوبال (سكان شرق آسيا الصغرى) المعروفين بالقبائل السكيثية الشرسة والتي لا تعرف الرحمة. قساة وعتاة وعرفوا بالبربرية (قارن كولوسي ٣:١١)، كما عرفوا بتجارة الرقيق من أيام حزقيال النبي (٢٧:١٣) واشتهروا بالقسوة والبطش (٣٢:٢٦).

مما سبق نخلص إلى أن جوج وماجوج رمز للشر والظلمة وكل عداء لشعب الرب. لكن الرب يعرف خاصته الذين قطع معهم عهداً أبدياً لا ينقطع وسوف يحطم أعداءهم ليحفظهم من كل شر. وما يخبرنا به حزقيال النبي عن فم الرب عن جوج وماجوج يُعد رسالة تعزية لكل من يؤمن بالرب إلهه.

يتحدث حزقيال النبي هنا عن شعوب معاصرة ومعروفة لديه، مثل ماشك وتوبال. شعوب قريبة وأخرى أكثر بعداً مثل فارس والحبشة وفوط، التي ربما قُصد بها شرق أفريقيا. وجومر جبابرة ظلام وتوجرمة من أقاصي الشمال (المنطقة القديمة المتاخمة لأرمينيا) (٣٨:٥) كرمز لاتحاد القوات الشريرة المتحالفة ضد شعب الله لتدميره وهذا التحالف برئاسة جوج ممثلاً للشر والظلم والبطش. إلا أن هذه الشعوب الباغية ستُهزم لا محالة، وهزيمتها ستكون ساحقة. «لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم ياجوج» (٣٨:١٦). «ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب أن غضبي يصعد في أنفي، وفي غيرتي في نار سخطي تكلمت، أنه في ذلك اليوم.. أستدعي السيف عليه في كل جبالي يقول السيد الرب. فيكون سيف كل واحد على أخيه. وأعاقبه بالوبأ وبالدم وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيمة، وناراً وكبريتاً. فأتعظم وأتقدس وأعرف في عيون أمم كثيرة فيعلمون أني أنا الرب» (٣٨:١٨-٢٣).

«وأضرب قوسك من يدك اليسرى وسهامك من يدك اليمنى، ويسقط جيشك والشعوب الذين معك وأبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة، ولوحوش الحقل. وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أني أنا الرب، ولا أدع اسمي المقدس ينجس بعد. فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل وفاديه» (قارن ٣٩:١-٧). «وهناك يدفنون جوجاً وجمهوره كله ويسمونه وادي جمهور جوج، ويقبرهم شعب إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة شهور. ويكون يوم تمجيدي مشهوراً يقول السيد الرب» (١١-١٣). وأجعل مجدي في جميع الأمم الذين يرون حكمي وقضائي الذي أجريته (العدد ٢١).

وعن إسرائيل الذين أسلمهم الرب ليد مضايقيهم فسقطوا بالسيف، كنجاستهم ومعاصيهم فعل معهم، لأن الرب حجب وجهه عنهم (٢٣-٢٤، قارن تث ١٧:٣١، إش ٢:٥٩)، والآن أرد سبي يعقوب يقول السيد الرب، وأرحم بيت إسرائيل. ويملأهم الخزي والعار عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف من جراء أفعالهم الأثيمة. ورحمة الرب لهم الذي عمل لهم كل هذا لأجل اسمه القدوس (قارن ٢٦:٣٩-٢٧، ٣١:٣٦).

ويرى كثيرون من علماء الكتاب أن الحديث عن جوج وماجوج في (أصحاحي ٣٨، ٣٩) لا يعبر عن حدث تاريخي محدد. فالبحث عن أحداث تاريخية واقعة بعينها في التاريخ المعاصر، كما يفعل البعض، إنما يؤدي إلى تشويه الحقيقة وضياع الفكرة الرئيسية الهامة المتضمنة. هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى، فعندما تُدَرس الكلمة بعناية وتُفهَم على حقيقتها، يتمتع المرء بكل الغنى الكامن فيها ويمتلئ، تعزية وطماناً. لأن هذه النبوة تعلن لكل مؤمن في كل مكان وزمان، عن كم هو عظيم الشر الذي يحيط بشعب الله والقوات المحيطة والمتربصة به.

إلا أن هذه الحقيقة لا تسبب انزعاجاً أو قلقاً، أو تثير تخويفاً أو تثبيطاً مادامت هذه القوات (الأعداء) لاتعبر إلا عن عظم وقدرة إلهنا. لأن الله وحده له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، وصيحة كل مؤمن «إن صخرتهم ليست كصخرتنا» (٢صم ٢:٢٢-٣، مزمور ٢:١٨).

السيد الرب هو الراعي الصالح

جاءت صورة العودة من السبي مثل صورة راع وقطيعه: الصورة التي لها دلالتها الهامة والواضحة في كل من العهد القديم (مزمور ٢٣، ٣:١٠٠، إش ١١:٤٠)، وكذلك في العهد الجديد (لوقا ٣:١٥-٧، يوحنا ١:١٠-٨). وعلى النقيض تماماً من صورة الرعاة المزيفين غير الأمناء الذين يهتمون بأنفسهم أكثر من الرعية: بل هم يرعون أنفسهم (٣٤:١-٦، قارن إرميا ٢٨:٥، إش ١٦:١٠، ١٨:٣٤-١٩) على عكس ما أوصاهم به الرب (لا ٤٣:٢٥، قارن ١بط ٣:٥).

إن الرب هو الراع الصالح الذي يفتش عن المريض ليقويه والمجروح ليعصبه، والمكسور حتى يجبره والمطرود ليسترده والضال حتى يجده. لأنه هكذا قال السيد هأنذا على الرعاة وأطلب غنمي من يدهم وأكفهم عن رعي الغنم ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد فأخلص غنمي من أفواههم فلا تكون لهم مأكلاً (قارن إرميا ٥٢ : ١٠). هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها قال السيد الرب. كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه. هكذا أفتقد غنمي وأخلصها من جميع الأماكن التي تشتت إليها في يوم الغيم والضباب. وأخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي. وآتي بها إلى أرضها وأرعاها على جبال إسرائيل في الأودية (٢٥:٢٨، ٢٤:٣٦، ٢١:٣٧-٢٢، إش ٩:٦٥-١٠، إرميا ٣:٢٣)... وفي مرعى دسم يرعون على جبال إسرائيل... وأطلب الضال وأسترد المطرود، وأجبر الكسير وأعصب الجريح وأبيد السمين والقوي وأرعاها بعدل (٣٤: ١٠-١٦).

لم تكن تلك الرعاية وهذه الوعود لأن إسرائيل أفضل من سائر الشعوب (٢٢:٣٦ و٣٢)، بل لأجل اسمه القدوس (قارن تث ٧:٧-٨، ٥:٩-٧، مزمور ٦:١٠٨)«فأقدس اسمي العظيم الذي نجستموه في الأمم. فتعلم أني أنا الرب

يقول السيد الرب». لأن ما أصاب إسرائيل من عقاب ومأساتها في أرض يهوذا، والسبي إلى بابل. جعل أمم الأرض تفكر بأن إله إسرائيل صار عاجزاً عن تخليصهم، وهذا التفسير الخاطئ لهزيمة إسرائيل وانكسارها أمام بابل جعل اسم الرب القدوس منجساً. لأجل هذا أراد الرب أن يقدس اسمه بين الأمم. يقدس الاسم الذي تنجس بين الأمم بسبب إسرائيل ورجاساتها وشرورها. لذلك ينبر حزقيال النبي على أن الرب سيحدث تغييراً جذرياً وعملاً عجيباً في الأرض، حتى يكون شعبه شعباً مقدساً صورة مباركة ومجيدة للرب، ويكونون شهوداً للأمم ونوراً للشعوب. وتلك هي الرسالة الهامة والأساسية من اختيار الرب لإسرائيل ورعايته لهم (إش ٤٣:١١-١٢، ٨:٤٤). و«أعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحي في داخلكم. وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها. وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إياها. وتكونون لي شعباً وأنا أكون لكم إلهاً» (٣٦:٢٦-٢٨، قارن ١١:١٩-٢٠).

وهنا يُظهر حزقيال عمل النعمة الإلهية في رد الشعب إلى أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً، وتعود الأرض تعطي غلتها وثمارها الوافرة وتفيض ببركات عديدة. «وأجعلهم بركة» يقول السيد الرب وأنزل عليهم المطر في وقته، فتكون أمطار بركة ويكونون آمنين في أرضهم، ويعلمون أني أنا الرب عند تكسيري ربط نيرهم لأخلصهم من يد الذين استعبدوهم، فلا يكونون بعد غنيمة للأمم... بل يسكنون آمنين ولا مخيف» (٣٤:٢٦-٢٨، قارن لاويين ٢٦:٦). إنها نعمة الرب وأمانته للعهد الذي قطعه مع آبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب (تث ٩:٥). وها هو يجدده معهم الآن «أقطع معهم عهد سلام» (٣٤:٢٥)، فيسكنون مطمئنين وينامون آمنين: «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب» (إش ٥٤:١٠). وعلى إسرائيل أن تكون أمينة لعهد الرب إلهها حتى يكون لها التمتع بالسلام في حياتها (إش ١:١٩-٢٠). وبأمانة الشعب يتحقق لهم الوعد المبارك (إش ١١:٦-٩، ٣٥:٩-١٠، هوشع ٢:١٨) «لأنه هكذا يقول السيد الرب، أجعل مسكني فوقهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (٣٧:٢٦-٢٧).

وبعد أن يُرجع الرب الشعب إلى أرضهم، يعطيهم راعياً واحداً يرعاها «أقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود هو يرعاها. وهو يكون لها راعياً وأنا الرب أكون لهم إلهاً وعبدي داود رئيساً في وسطهم. أنا الرب تكلمت» (٣٤:٢٣-٢٤ قارن ٣٧:٢٣-٢٥). وفي هذا يرى علماء الكتاب إشارة إلى مجيء المسيح الرب في الجسد، راعي الرعاة الأعظم، الراعي الصالح (٢صم ٧:١٢، مز ٢:٦، قارن أيضاً أع ٢:٣٠، ١٣:٢٣).

دانيـــآل

سمي السفر بهذا الاسم نسبة إلى الشخصية الرئيسية الواردة به والتي شاركت في أحداثه ورؤاه وتفسيرها لهذه الرؤى، ويُعني بالاسم دانيال في العبرية: «الله قاضي».

وجاء ترتيب السفر في اللغة العبرية (القانونية العبرية للكتب المقدسة) بعد سفر أستير ضمن القسم الثالث «الكتب» (الكتوبيم). أما في الترجمة السبعينية واللاتينية (الفولجاتا) والترجمات الأخرى، فجاء ضمن أسفار الأنبياء بعد سفر حزقيال.

ولا يُعرف الكثير عن دانيال أكثر مما ورد عنه في السفر. ودانيال رجل إسرائيلي من عائلة عملت في البلاط الملكي. حُمل ضمن المسبيين إلى بابل، بواسطة نبوخذناصر ملك بابل، في السنة الثالثة من سبي يهوياقيم ملك يهوذا. وتدرب دانيال على خدمة البلاط الملكي (١:١-٦) وأعطي اسماً كلدانياً «بلطشاصر»، وهو اسم وثني معناه «بعل يحفظ حياته».

وكان دانيال متمسكاً بقيمه الدينية، وشريعته اليهودية مع رفاقه الثلاثة حننيا (الله يتحنن) والملقب شدرخ، وميشائيل (من مثل الله) والملقب ميشخ، وعزريا (الرب معين/ عاضد) والملقب عبد نغو. وهؤلاء الفيتان الأربعة أعطاهم الله معرفة وحكمة في كل كتابة الكلدانيين ولسانهم. وكان دانيال فهيماً بكل الرؤى والأحلام، وعند نهاية الثلاث سنين وقفوا أمام الملك نبوخذناصر، فلم يُوجد بينهم كلهم مثل دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا في الحكمة والفهم بل زاد فهمهم وحكمتهم عشرة أضعاف فوق المجوس والسحرة والعرافيين الذين في كل المملكة (١:١٧-٢١).

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: ست قصص عن دانيال ورفقائه (١:١-٦:٢٨).

١- مقدمة تاريخية (١:١-٦).

٢- تقديم دانيال وأصدقائه إلى البلاط الملكي (١:٧-٢١).

٣- حلم نبوخذنصر والتمثال الكبير (٢:١-٤٩).

٤- الثلاث فتية في أتون النار (الإيمان الوطيد) (٣:١-٣٠).

٥- رؤيا الشجرة العظيمة ودرس في الاتضاع والوداعة (٤:١-٣٧).

٦- حفل بيلشاصر (الخطية وعقابها) (٥:١-٣١).

٧- دانيال في جب الأسود (درس في الإيمان والصلاة) (٦:١-٢٨).

ثانياً: حلم وثلاث رؤى (٧:١-١٢:١٣)

١- رؤى الأربع حيوانات: قديم الأيام وابن الإنسان (٧:١-٢٨).

٢- رؤيا الكبش والتيس صاحب القرن المعتبر (ضيق إسرائيل بالشعوب المعادية) (٨:١-٢٧).

٣- نبوة السبعين أسبوعاً: مستقبل إسرائيل في الخطة الإلهية (٩:١-٢٧).

٤- رؤيا آخر الأيام: إسرائيل أمام الشعوب المعادية وبين يدي الله عبر القرون (١٠:١-١٢:١٣).

الخلفية التاريخية

كُتب سفر حزقيال وسفر دانيال في السبي بعد سقوط أورشليم وهدم الهيكل، وإجلاء اليهود من بلادهم أرض يهوذا، إلى أرض السبي وسقوط أورشليم. وقد تم هذا الخراب كما يرى علماء الكتاب على مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: وتمت عام ٦٠٥ ق.م حيث أذل نبوخذناصر ملك بابل يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا، وأخضعه عند قدميه، وأتى باليهود كرهائن ومن بينهم دانيال ورفقائه من نسل الملك، ومن الشرفاء. فتياناً لا عيب فيهم حسان المنظر حاذقين في كل حكمة وذوي فهم. كان ذلك في السنة الثالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا (١:١-٤).

والمرحلة الثانية: تمت عام ٥٩٧ ق.م بعد سلسلة من أعمال المقاومة والتمرد. وفي هذه المرة حمل نبوخذناصر من اليهود كأسرى، ما يقرب من عشرة آلاف شخص وكان من بينهم يهوياكين ملك يهوذا والنبي الشاب حزقيال (حزقيال ١:١-٣، قارن ٢أخ ٣٦:١٠، ٢مل ٢٤:٨-٢٠).

وفي المرحلة الثالثة: وبعد حصار طويل هدم نبوخذناصر ملك بابل المدينة أورشليم والهيكل عام ٥٨٧ ق.م. وعمل على إزالة كيان الأمة اليهودية (٢مل ٢٥:١-٧، إرميا ٣٤:١-٧، ٣٩:١-٧، ٥٢:٢-١١).

وبدأ اليهود عودتهم من السبي عام ٥٣٨ ق.م على يد كورش ملك فارس، بعد أن هزم مملكة بابل، حيث قضى بعودة اليهود إلى أرض آبائهم (٢أخ ٣٦:٢٢-٢٣، عزرا ١:١-٤). على أن بعض اليهود اختاروا البقاء في أرض السبي وبقوا هناك.

أما الهيكل فبقي منهدماً حتى عام ٥١٥ ق.م (قارن عزرا ٦:١٥) أي ما يقرب من سبعين عاماً. وكان قد هُدم عام ٥٨٧ ق.م. ونبوة إرميا هي لسبعين عاماً (إرميا ٥٢:١١). ومن بداية المرحلة الأولى لسبي اليهود عام ٦٠٥ ق.م إلى وقت نداء كورش والسماح لهم بالعودة إلى أرض يهوذا ٥٣٨ ق.م. هي سبعين سنة أيضاً (قارن دانيال ٩:١-٢).

وطرأت زمن السبي تغييرات ثقافية ودينية لدي اليهود، فبنوا المجامع لممارسة العبادة الدينية الطقسية بدلاً من الهيكل. وبدأوا في تعلم ودراسة اللغة الأرامية كلغة جديدة ثانية، وسميت هذه اللغة أيضاً باللغة السريانية، أو اللغة الكلدية.

وتشير بعض الدلائل (كما يرى بعض العلماء) أن لغة أبرام الأصلية كانت اللغة الأرامية (قارن تث ٢٦:٥ مع تك ٢٤:٤، ١٠) كما تجدر الإشارة هنا أن العائلة التي جاء منها إبراهيم وإسحق ويعقوب، كانت تتكلم الأرامية، والحفريات تؤكد ذلك مثل حجر موآب Moabite Stone ولوحات رأس شمرا Ras Shamra Tablets. وأوضحت هذه الحفريات أن الكنعانيين تكلموا لغة تشبه كثيراً اللغة العبرية. كما أن اليهود أنفسهم في أجيال سابقة، قبل المكوث في أرض كنعان والاستيطان فيها تبنوا اللغة الكنعانية، وأدخلوا عليها بعض التطوير والتعديل وصارت هي اللغة العبرية.

كما وُجد في بابل أن الأرامية كانت لغة التجارة كما هي لغة السياسة الدبلوماسية لفترة معينة (إش ٣٦:١١-١٢) وحاول اليهود تعلم الأرامية التي تشبه إلى حد بعيد اللغة العبرية رغم اختلاف الشكل (قارن ٢مل ١٨:٢٦) ولفترة طويلة كان اليهود يتحدثون اللغتين.

الكاتب وزمن الكتابة

يرى علماء الكتاب المقدس (يُقصد هنا الكتابيون أو المحافظون) أن دانيال هو الذي كتب سفره زمن السبي البابلي خلال القرن السادس ق.م. وجاء في التقليد اليهودي Baba Bathra 15a أن رجال السنهدريم (المجمع

العظيم) كتبوا سفر دانيال. وبهذه العبارة لم يقصد اليهود أن ينكروا على دانيال كتابة سفره، إذ أن الاعتقاد السائد عند اليهود والمسيحيين أن دانيال الذي كان يعيش في البلاط الملكي في بابل، هو الذي كتب سفر دانيال (قارن مت ١٥:٢٤ مع دانيال ٩:٢٧، ١٢:١١). وشهادة يسوع المسيح مبنية على مادة السفر نفسه. في رأي العلماء المحافظين وفي مقدمتهم أ. يونج Young حيث يتحدث دانيال بضمير المتكلم ومستقبل للإعلان الإلهي (قارن ٩:٢-٢٤، ١٠:٢-٤، ١٢:٥-٨). وفي (١٢:٤) طلب من دانيال أن يختم السفر ويحفظه، لأن كثيرين سوف يتصفحونه وتزداد المعرفة[1].

العلماء النقديون وسفر دانيال

تعرض سفر دانيال لدراسة نقدية عبر مراحل زمنية عديدة، وخاصة الثلاثة قرون الماضية والتي نجم عنها آراء مغايرة لرأي العلماء المحافظين من جهة الكاتب وزمن الكتابة وصفة السفر. وكما سلفت الإشارة أن الرأي السائد بين اليهود والمسيحيين هو أن دانيال هو كاتب للسفر أثناء السبي في القرن السادس ق.م.

ويعد بورفري Porphry فيلسوف الأفلاطونية المحدثة، خلال القرن الثالث الميلادي (٢٣٣-٣٠٤م) هو أول من نادى بأن سفر دانيال كُتب بواسطة شخص يهودي غير معروف. لتشجيع جماعة الحسيديم (الجماعة اليهودية المجاهدة ضد حكم السلوقيين) تعبيراً عن ولائهم للعهد، بمقاومة جهود أنطيوخس أبيفانس الذي عمل على تدمير اليهودية زمن المكابيين. كما يرى أيضاً بأن السفر تاريخي في طبيعته، لذلك كُتب في عصر متأخر. ويعتقد بورفري أن سفر دانيال كتب باللغة اليونانية في العصر اليوناني، وليس في اللغة العبرية كما يؤمن العلماء الكتابيون.

وعن بورفري Porphry يذكر ر.ك هاريسون R.H.Harrison أن بورفري خلال فترة معاناة أليمة في صقلية كتب خمسة عشر مجلداً بعنوان ضد المسيحيين Against Christians بهدف دحض المعتقدات المسيحية بأسلوب دقيق ومنظم. ولكن قسطنطين Constantine عمل على إخماد ثورته هذه. لكنها استمرت إلى الوقت الذي أمر فيه ثيودُسيوس الثاني Theodosius II بتدمير هذه المجلدات عام ٤٤٨ م. لكن أجزاء من كتابه الثاني عشر، والذي جاء فيه عن سفر دانيال بقيت، وأشير عنها في مجلد عن دانيال كتبه جيروم[2] معترضاً على آراء بورفري.

وتبنى العلماء النقديون آراء بورفري وأضافوا عليها ومنهم برتولد Bertholdt وفون لينجرك Von Lengerke من ألمانيا. ونادوا بالرأي أن السفر كتب زمن اضطهاد انطيوخس أبيفانس الرابع، واعترض على هذا الرأي كثيرون من ألمانيا أيضاً وفي مقدمتهم: هينجنتنبرج، وهافرنك، وكيل Hengstenberg, Havernick and Keil وفي إنجلترا نادى بوسي E.B.Pusey بالرأي الكتابي المحافظ وتركزت محاضراته حول الرأي القديم الأرثوذكسي لسفر دانيال. بل ذهب بوسي أبعد من ذلك بأن الإيمان المسيحي يرتكز على حقيقة كتابة سفر دانيال خلال القرن السادس ق.م وقال إنها مسألة مجاهرة بالإيمان أو عدم الإيمان[3]. وتبنى آراء بوسي E.B.Pusey العالم والباحث ر.د. ولسن R.D.Wilson بجامعة برنستون، وكتشن K.A.Kitchen، أ. يونج E.Young. وفي إنجلترا من رفض آراء بوسي المحافظة والمتشددة ومنهم F.W.Farrar، ودرايفر S.R.Driver الذي قصم ظهر العلماء المحافظين بآرائه. وتأثر بهذه الآراء س.س. توري C.C.Torrey الذي قال إن الجزء الأول من سفر دانيال كُتب في القرن الثالث ق.م. وبقية السفر كتبت زمن المكابيين. وتبنى هذا الرأي أيضاً كنت C.F.Kent ومونتجمري J.A. Montgomery وأيشفلد O.Eissfeldt وفريزن C.Vriezen. وينسب G.Holscher الستة أصحاحات إلى القرن الثالث ق.م. والأصحاح السابع إلى وقت متأخر بعد ذلك، أما باقي السفر فيرجعه إلى زمن المكابيين.

---

(1) E.J.Young, Introduction to the O.T, pp.360-372.
(2) R.K.Harrison, pp. 1106-1111.
(3) B.S.Child, Introduction to the O.T. as Scripture, pp.611-612.

أما ج.أندرسون G.W.Anderson فيؤرخ السفر إلى ما بعد القرن الثالث ق.م. أي أوائل القرن الثاني ق.م. ودليل أندرسون في ذلك هو العثور على أجزاء من سفر دانيال في مخطوطات قمران (البحر الميت) يرجع تاريخها إلى القرن الأول ق.م. إلا أن هذا يفيد بأن السفر كان معروفاً قبل هذا الوقت. كما أن الرسالة الدينية للسفر تناسب هذه الفترة تماماً. أما القصص الواردة عن دانيال وأصحابه فإنها تعطي حافزاً قوياً وتشجيعاً لليهود الأمناء (الحسيديم) الذين كان عليهم أن يواجهوا اضطهاد انطيوخس أبيفانس. ومادة السفر الخاصة بالرؤى تقدم تعزية ورجاء للذين كان عليهم أن يواجهوا في ذلك الوقت آلام وعذاب الاضطهاد وربما الاستشهاد أيضاً.

ويرى ج.أندرسون أن السفر كتب بالتحديد قبل موت انطيوخس في فلسطين (١٦٤ ق.م) بفترة زمنية قصيرة والذي أشير عنه في دانيال (١١: ٤٠-٤٥). أما دانيال الذي جاء عنه في حزقيال (١٤:١٤، ٢٠، ٣:٢٨) فواضح بأنه شخصية ظهرت في عصور قديمة سابقة لحزقيال، لارتباطه بنوح وأيوب. وكان مثالاً ونموذجاً رائعاً في البر والحكمة، كما كان شخصاً رحيماً وعطوفاً على اليتيم والأرملة. وربما كان هو الشخص الذي جاء عنه في مخطوطات يوجاريت Ugarit (رأس شمرا) التي تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م. بالإضافة إلى أن الاسم دانيال في سفر حزقيال تنقصه الياء في اللغة العبرية דָּנִאֵל أما دانيال موضوع السفر وردت به الياء في كتابة الاسم דָּנִיֵּאל في العبرية.

طبيعة السفر ووحدته

إن وضع السفر في القسم الثالث (الكتوبيم) في القانونية العبرية مقبول من العقيدة اليهودية قبل مجمع جامنيا، حيث لم يرد السفر بين أسفار الأنبياء: إشعياء وإرميا وحزقيال، وجاء في التلمود Baba Bathra 15a أن دانيال لم يرد في قسم الأنبياء الأولين أيضاً. بل جاء ترتيبه في القسم الثالث من الأسفار المقدسة. ومن اكتشافات قمران (مخطوطات البحر الميت) نتحقق من ذيوع وانتشار الكثير عن دانيال، باكتشاف مخطوطتين من السفر باللغة العبرية ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وهذه تعد شهادة واضحة بأن السفر سفر قانوني مقدس موحى به منذ زمن بعيد ق.م[1]

والملاحظ أن العلماء المحافظين وبعض النقدين على حد سواء يأخذون بوحدة السفر وفي مقدمتهم ر.د ولسن، وهـ.هـ. رولي H.H.Rowley, R.D.Wilson، و أ. يونج E.Young ، وج. هيكمان G.G. Hackman وروبرت فايفر R.Peiffer، س.ر. درايفر S.R.Driver.

العلماء المحافظون (الكتابيون) وسفر دانيال

يمثل السفر وحدة واحدة متكاملة عند علماء الكتاب، فإن كاتب الأصحاحات (٧-١٢) هو نفسه الذي كتب الجزء الأول (أصحاحات ١-٦) فالأصحاح الثاني مثلاً يعد تقديماً للأصحاحين السابع والثامن. ويتناول الكاتب فيهما ذات الموضوع بأكثر تفصيل. ولا يمكن فهم (الأصحاح ٧-٨) بغير دراسة الأصحاح الثاني. كما أن الأصحاح الثاني يمهد الطريق لفهم الإعلانات الواردة في أصحاح (٩-١٠). وهذه الأصحاحات مبنية على الإعلان المبكر في الأصحاح الثاني (قارن ٢٨:٢، ٤:٢، ٧، ١٠ مع ١:٧، ٢:١٥).

والدارس المدقق لأصحاحات السفر يدرك مدى الترابط الوثيق بين أجزاء السفر. والأمثلة على ذلك عديدة. فما قيل مثلاً في (١٢:٣) عن وجود رجال يهود موكلون على أعمال ولاية بابل يتجانس وينسجم مع ما ذكر في (٤٩:٢) عن طلب دانيال من الملك أن يولي أصحابه على أعمال ولاية بابل. كما أن حمل الآنية المقدسة إلى بابل المذكور في (١:١-٢) يُعد تمهيداً يوضح للقاريء ما جاء عن عيد بيلشاصر في الأصحاح الخامس.

(1) F.F.Bruce, Second Thought on Dead Sea Scrolls, P.57

إن سفر دانيال، في رأي الكثير من العلماء من مدارس مختلفة، يقدم الخلفية الهامة لدولة بابل، ودولة الفرس، كما يُقدم الخلفية الهامة لما جاء في العهد الجديد عن ابن الإنسان (مت ١٠:٢٣، ٢٧:١٦-٢٩، ١٩:٢٨-٣٥، ٢٤:٣٠، ٢٥:٣١، ٢٦:٦٤ مع دانيال ٧:١٣-١٤) «ابن الإنسان الذي أتى وجاء إلى القديم الأيام وأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض».

الرد على مشكلات لاهوتية يثيرها العلماء النقديون

١- يرى بعض الباحثين أن اللفظ (كلداني) واللفظ (الحكماء) لم ترد في غير سفر دانيال في كل العهد القديم مما يدل على أن السفر كُتب في وقت متأخر وليس كما يُعتقد أنه كتب خلال السبي في القرن السادس ق.م.

والإجابة على ذلك نجدها في كتابات هيرودت عن حروب فارس (٤٥٠ ق.م) وهو يتحدث عن الكلدانيين وخدمتهم وحكمتهم (قارن ٣:٨ مع ٢:١٠، ٤:٧، ٥:٧، ١١) والذي يرجع تاريخهم إلى عهد كورش على الأقل.

وقد وردت الإشارة عن الكلدانيين كثيراً في العهد القديم في أزمنة مبكرة تمتد إلى القرن العاشر ق.م، كما يرى هاريسون الذي استشهد بالإشارة إلى خطورة تعضيد الكلدانيين والمذكورة في (إش ٢٣:١٢). كما أن إشعياء تنبأ أيضاً عن هزيمته الكدانيين في (٤٣:١٤)، وصعود بنوبولاسر على عرش بابل عام ٦٢٦ ق.م كرجل كلداني. وتعاقب على العرش من بعده نبوخذ نصر وأويل مردوخ ثم نبونيدس وبيلشاصر ملك الكلدانيين، وهو الذي وعد دانيال أن يكون متسلطاً ثالثاً في المملكة (دا ٥:٣٠).

٢- يرى البعض أيضاً أن هناك تناقضاً واضحاً بين ما جاء في (دانيال ١:١ وإرميا ٢٥:١، ٩، ٤٦:٢). حيث يذكر دانيال أن نبوخذناصر ملك بابل حاصر أورشليم في السنة الثالثة من مُلك يهوياقيم ملك يهوذا، بينما يذكر النبي إرميا أن هذا تم في السنة الرابعة من مُلك يهوياقيم ملك يهوذا، أي في السنة الأولى لحكم نبوخذناصر ملك بابل.

وهذا الاعتقاد أو الادعاء بالتباين بين النصوص نجم عن عدم المعرفة بالتاريخ القديم أو الآثار القديمة كما يراها العلماء الآن. لأن سنة اعتلاء العرش لا تُحسب في النظام البابلي، ويبدأ احتساب السنين بعد سنة تولي ملك بابل الحكم. أما في فلسطين، فلا يوجد ما يُطلق عليه سنة تولي الحكم بل يُطلق عليها السنة الأولى. وهنا يذكر دانيال أن نبوخذ ناصر ملك بابل حاصر أورشليم في السنة الثالثة لحكم يهوياقيم ملك يهوذا (فهو يتبع النظام البابلي) أما إرميا فيحسب بالنظام الفلسطيني العادي فيقول في السنة الرابعة من حكم يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا أي السنة الأولى لحكم نبوخذناصر، وبهذا يزول غموض النقد المزعوم أو الإختلاف الظاهري بين النصوص.

٣- لم يرد أي ذكر عن دانيال في كتاب يشوع بن سيراخ (بالأبوكريفا) الذي كتب عام ١٨٠ ق.م خاصة في قائمته المعروفة (أصحاح ٤٤-٤٩) التي ذكر فيها عن إشعياء وإرميا وحزقيال. إلا أن هذا لا يبرهن على أن سفر دانيال كتب في زمن ما بعد سيراخ. ولا يعرف سبب ذلك لأن ابن سيراخ لم يذكر شيئاً عن أيوب والقضاة (عدا صموئيل). كما لم يذكر شيئاً عن الملوك آسا وويهوشافاط، أو عن مردخاي وعزرا وآخرين. غير أنه وردت الإشارة عن دانيال في (مكابيين الأول ٢:٥٩-٦١) الذي تعود كتابته إلى القرن الثاني ق.م مما يؤكد ذيوع وانتشار السفر في ذلك الوقت.

٤- من الاعتراضات أيضاً أن الكاتب جعل داريوس الأول قبل كورش، كما جعل أحشويروش والداً لداريوس الأول (٦:٢٨، ٩:١)، ويرى علماء الكتاب في هذا الاعتراض تجاهلاً للحقائق. لأن دانيال يتحدث في سفره عن داريوس المادي وليس داريوس الأول بن هستاسيس الذي جاء بعد كورش (٥٢١-٤٨٦ ق.م)، والذي في أيامه أوقف بناء الهيكل بسبب الشكاوى الكيدية من القبائل المجاورة، والمعادية لشعب الله. وعندما تحقق داريوس المادي من

أمر صدور القرار، والأمر بالبناء صدر من كورش الفارسي السابق له في الحكم، سمح لشعب اليهود بإعادة بناء الهيكل (عزرا ٥:١٧-٦:١٥).

٥- ذهب البعض إلى الاعتقاد بأن الكتابة بالأرامية في سفر دانيال، تعني أن السفر كتب في عهد متأخر أي القرن الثالث ق.م. وقد فاتهم أن اللغة الأرامية استخدمت في عهد مبكر جداً، يمتد إلى سفر التكوين. فقد جاء في تكوين (٣١:٤٧). أن لابان دعا رجمة الحجارة يجر سهدوثا وتعني بالأرامية رجمة شهادة. وأما يعقوب فدعاها جلعيد والتي تعني גַּלְעֵד بالعبرية رجمة شهادة. ويرى ف. روزنتال F.Rosenthal أن الأرامية المستخدمة في سفر دانيال، من النوع الذي نشأ واستخدم في بلاط الملوك خلال القرن السابع ق.م. وانتشر تدريجياً في الشرق الأدنى، مما يؤكد بأن السفر كتب خلال القرن السادس ق.م. بل أن هاريسون يرى بأن اللغة الأرامية المستخدمة في كتابة أجزاء من السفر، تشبه الأرامية التي كانت متداولة في القرن الخامس وفي بردي اليفنتين Elephantine وعزرا (٤:٦-٧، ٧:١٢-٢٦). واللغة العبرية المستخدمة في كتابة السفر شبيهة بتلك المستخدمة في كتابة أسفار النبي حزقيال، وحجي وعزرا والأخبار.

٦- رأى بعض الباحثين بأن ورود أو ذكر أسماء يونانية في الأصل لآلات موسيقية مثل الناي والعود والرباب (٣:٥، ٧، ١٠-١٥) لهو برهان على أن السفر كتب زمن المكابيين حيث انتشرت الثقافة الهلينية.

إلا أن هذا النقد لا يشكل مشكلة الآن على الإطلاق (كما يرى العلماء المحافظون)، لما أوضحه العالم الكبير والباحث المدقق في العلوم اللاهوتية والآثار وليم ف. البرايت W.F. Albright عن الثقافة اليونانية التي انتشرت وتغلغلت في الشرق الأدنى القديم قبل عصر الإمبراطورية البابلية المحدثة، ويمكن إدراك طبيعة وامتداد تأثير اليونانية في المنطقة من نشاط الجاليات والقوات اليونانية في منتصف القرن السابع ق.م وخدمتهم كمرتزقة في الجيوش المصرية والبابلية في معركة كركميش عام ٦٠٥ ق.م.[١].

٧- لم يكن نبوخذنصر أباً لبيلشاصر (دانيال ٥:١١، ١٣، ١٨، ٢٢). بل كان نبونيدس هو أبوه، وهل أخطأ الكاتب في الأحداث التاريخية؟ والجواب هو أن الكاتب لم يخطيء. بل كان على معرفة بما جاء في سفر (إرميا ٥٢:٢٨-٣١) وأن أويل مردوخ ابنه هو الذي تولى من بعد نبوخذنصر. ويرى أحد علماء الكتاب أن البنوية هنا نتيجة تزاوج بين أسرة بيلشاطر وأسرة نبوخذنصر أي أنه تسلسل أنساب وليس أبوه مباشرة كما ورد التعبير «داود ابن إبراهيم» (مت ١:١).

٨- ورد بالسفر تعاليم عن المسيا والملائكة والقيامة والدينونة، مما يرجح أن السفر كتب في زمن ما بعد السبي بكثير. والرد على ذلك، إن الإشارة عن المسيا وردت منذ البدء في سفر التكوين (٣:١٥) وفي المزامير (مزمور ٢، ٢٢، ١١٠). وعن الملائكة وردت الإشارات الكثيرة في الكتب المقدسة، كما نجد النصوص العديدة في الأسفار المقدسة عن القيامة مثل (إشعياء ٢٦:١٩، ٥٣:١٠، حزقيال ٣٧، أيوب ١٩:٢٥، ١مل ١٧، ٢مل٤). وعن الدينونة مثلاً (إش ٤٢:١-٤، يوئيل ٣:٩-١٧، مزمور ١:٥، ٩:٧-٨، ٦٨:١٤، ٧٦:٩). مما يؤكد أن السفر كتب في زمن مبكر وليس خلال فترة ما بعد السبي.

والسؤال الأخير الآن هو: **لماذا أدرج السفر بين أسفار الكتوبيم وليس أسفار الأنبياء؟**

جاء ترتيب السفر بين الأسفار المقدسة في القسم الثالث الكتوبيم Hagiographa لأن دانيال كان رجل سياسة، وتدرج في مناصبه حتى بلغ منصب الرجل الثاني بعد الملك. ولم يحتل مركزاً دينياً أو نبوياً كما يرى العلماء بمعنى أنه لم يعمل في وظيفة نبي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة. وكان دور النبي في القديم هو إعلان قضاء الرب ودينونته

(1) W.F.Albright, From the Stone Age to Christianity, P.337
R.K.Harrison, p.1126.

العادلة والدعوة إلى حياة البر والعدل، وسلطان كلمته يتمثل في القول: هكذا قال الرب... هكذا يقول الرب... كما كان النبي وسيطاً بين الله وشعب الرب (تث ١٨:١٨). ولم يكن دانيال هكذا، بل كان مفسراً للأحلام بالحكمة المعطاة له من إلهه. مثله مثل يوسف بن يعقوب أب الأسباط الذي كان رجل سياسة ويحتل المركز الثاني بعد فرعون (تك ٤١:١٧-٤٤). ولم يكن لدانيال أي نشاط ديني ولم يحتل غير المراكز السياسية (٢:٤٨-٤٩). ولم يحدث أن خلط يوسف بين السياسة والدين وكذلك دانيال الذي كان رجلاً تقياً صالحاً أمام إلهه متمسكاً بشريعة إله السماء وإله آبائه. رجل صلاة ممجداً إلهه (٢:١٨-٢٣، ٢٨-٣٠، ٤٦-٤٨). أما عن الإشارة الواردة في العهد الجديد (مت ٢٤:١٥، مرقس ١٣:١٤، قارن عب ١١:٣٣) بفم الرب (دانيال النبي) فالرب يشير هنا عن دانيال الذي تمتع بروح النبوة وروح الحكمة، ولا يقصد به أنه احتل مركزاً نبوياً كما يرى جيرهارد فون راد G.Von Rad وآخرون مثل أ.يونج. فقد جاء عن إبراهيم في القديم أنه نبي لأنه «رجل صلاة» (تك ٢٠:٧).

لغة السفر الأصلية (لغة الكتابة)

كتب سفر دانيال بالروح القدس كما يرى علماء الكتاب باللغة الآرامية واللغة العبرية كما يلي:

- من (١:١-٢:٤أ) جاء في اللغة العبرية.
- من (٢:٤ب-٧:٢٨) جاء في اللغة الآرامية.
- ومن (٨:١-١٢:١٣) جاء في اللغة العبرية.

هذا التباين الواضح في لغة الكتابة كما يرى أحدهم هو بإرشاد الروح القدس من زمن السبي خلال القرن السادس ق.م.

غير أن هذا التباين في الكتاب بالآرامية والعبرية أثار الجدل بين العلماء العديدين، والباحثين النقديين في زمن مبكر. وتساءلوا عما إذا كان السفر قد كتب باللغتين أم بلغة واحدة، ثم ترجم إلى الأخرى بجملته أم ترجم جزء فقط من السفر كما سنرى.

يرى العلماء النقديون ومنهم دلمان G.Dalman، ومونتجمري وتوري J.A.Montgomery and C.C.Torrey وآخرون أن الجزء الأول من السفر تُرجم من الأصل الآرامي إلى اللغة العبرية. أما عن الرؤى فقد كتبت في العبرية وترجمت إلى الآرامية. أما هولشر وايشفيلد G.Holscher and O. Eissfeldt فيرى أن الأصحاح السابع جاء في الآرامية والجزء الأول من السفر ترجم إلى العبرية. وفي دراسة تفسيرية نقدية قام بها ر.تشارلز R.H.Charles يرى أن سفر دانيال كتب بجملته في اللغة الآرامية، وأن الأصحاح الأول والأصحاحات الأربعة الأخيرة ترجمت إلى العبرية. وهذا الرأي رفضه العالم والباحث هـ.هـ. رولي H.H. Rowley الذي يرى بأن الأصحاحات من (٢-٧) كتبت بالآرامية بواسطة كاتب يهودي عاش زمن المكابيين، حتى يشجع رفقاءه في صراعهم من أجل الإستقلال. أما عن الرؤى الآخروية (الاسخاتولوجية) (أصحاحات ٨-١٢) فقد كتبت في اللغة العبرية على أساس أنها مناسبة أكثر للكتابات الرؤوية. ويتفق كثيرون من العلماء المحافظين وفي مقدمتهم أ.يونج Young مع هـ. رولي H.Rowley في ذلك عدا اعتقاد رولي بكتابة السفر زمن المكابيين. الأمر الذي يرفضه ادوارد يونج. ويُعتقد أيضاً أن كاتب السفر استخدم في كتابته اللغة الآرامية في كتابة الجزء الذي يخص شعوب العالم، واستخدم اللغة العبرية في كتابة الجزء الذي يخص شعب الله ويتحدث عن مستقبل ملكوت الله.

ويرى ر.د. كولفر R.D.Culver أن سفر دانيال يحمل رسالة العقاب والدينونة على ممالك العالم (الشعوب الأجنبية الوثنية) وهزيمتها المؤكدة. ويمثل هذه الأمم نبوخذنصر، وبيلشاطر، وداريوس المادي، وكورش الفارسي.

وكانت اللغة الأرامية هي لغة السياسة والتجارة والتخاطب (قارن إش ٣٦:١١-١٢ مع ٢مل ٢٦:١٨). والسفر يحمل أيضاً رسالة الرجاء والخلاص للشعب المتضايق، الشعب المقدس لله (٨:١-١٣:١٢). واللغة المنتشرة والذائعة بينهم هي العبرية. ولكن ليس معنى هذا أنه لم يرد ذكر الأمين في الأصحاحات من (٨-١٢).

ولعله بهذا الرأي ينجلي الغموض والحيرة عن فلسفة كتابة سفر دانيال باللغة الأرامية، واللغة العبرية معاً.

الصياغة الأدبية للسفر ومادته

يرى أحد العلماء أن سفر دانيال، هو أول وأعظم سفر رؤيوي Apocalypse واعتاد العلماء أن يطلقوا هذه التسمية على سفر دانيال في العهد القديم وسفر الرؤيا في العهد الجديد، بالإضافة إلى أجزاء من أسفار أخرى مثل (زكريا ١:٧-٨:٦). وليس سهلاً تحديد معنى محدد لهذه الكلمة لتناسب العصر الحاضر كما يرى البعض. لكن كل من يتأمل سفر دانيال وسفر الرؤيا من جهة أصالتها وصحتها يعلن تمسكه بالرأي القائل إنهما كانا يتحدثان عن أمور مستقبلية ستحدث بعد زمانهما.

ولفهم مادة السفر وصياغته الأدبية، يجدر بنا إلقاء الضوء أو شرح المعنى المقصود بالكلمة (رؤيوي Apoca-lypse) أو (سفر رؤيوي Apocalyptic) والفرق بين هذه التسمية والكلمة (نبوة Prophecy) أو (نبوية Prophet-ic) كما يرى علماء الكتاب.

ماذا يعني بالكلمة رؤيوي والكلمة نبوة؟

يطلق العلماء هذه الكلمة (رؤيوي) كما أشرنا على سفر واحد في الكتب المقدسة هو سفر دانيال وسفر الرؤيا في العهد الجديد وأجزاء صغيرة متفرقة في الكتاب المقدس، مثل (إش ٢٤-٢٧، ١كو ١٥: ٢٠-٢٨، ٢تس ٢: ١-١٢، ٢بط ٣: ١-١٣).

وفي هذا يرى بعض العلماء وفي مقدمتهم مارتن رست Martin Rist أن الكلمة (رؤيوي) مرادفة للكلمة (إسخاتولوجي). وفي مفهومهم أن العالم الحاضر هو تحت سيادة الشرير، بمعنى أنه وضع في الشرير. والكثيرون من سكان الأرض هم أتباع الشرير ويعملون كل شر. أما الأبرار التابعون لله هم تحت ضغط هذه القوة الشريرة، ومضطهدون، وتحت حكم الموت بواسطة الأشرار، ولا رجاء لهم في هذا العالم الحاضر المعوج والملتوي. والحال يسير من سيء إلى أسوأ، والأبرار عاجزون عن فعل شيء، ورجاؤهم أخروي: إسخاتولوجي، فهو (رؤيوي) ليس في هذا العالم وليس في هذا العصر الحاضر. ويطرح الشيطان (أو هذا الشرير) وبتحقيق الغلبة الإلهية يختفي كل شر وتسود هذا العالم جماعة الأبرار المضطهدين الذين نالوا غلبتهم بواسطة الله، ويسود البر العالم.

أما أسفار النبوات أو النبوة Prophecy فلا نجد فيها هذه الازدواجية الواضحة في الكتابات الرؤيوية، لأنها تُعلم بأن الله هو رب وسيد هذا العالم المعاصر، وليس الشيطان، وأن العالم في طريقه إلى الصلاح والإصلاح معاً.

ويرى جيمس كنج ويست J.K.West أن الأنبياء كانوا يخاطبون سامعيهم وجهاً لوجه من فم الرب. بقولهم «هكذا يقول الرب». والسامعون يسمعون دينونة الله العادلة على أعمالهم لعدم ولائهم لعهده.

أما الرؤيون Apocalyptists فكانوا كاتبين وليسوا متحدثين، وفي رسالتهم المكتوبة تشجيع للبار والأمين على الرجاء. وهم يؤكدون أن الدينونة ستقع على الضايقين ومضطهدي الأبرار، وسوف يتحقق النصر في النهاية لكل الأمناء المتمسكين بهذا الرجاء.

وطبقاً لمنطق التعليم الرؤيوي، سيأتي اضطهاد عظيم، وشغب واضطراب، مع حرب ونضال تسبق نهاية الزمان.

ورسالة الأنبياء في رأي جيمس ويست كانت موجهة أساساً إلى الحاضر، رغم أنها تشير إلى المستقبل، ورسالتهم تدعو الإنسان إلى أن يرجع عن طريق الضلال ويعمل لتحقيق العدل والبر هنا والآن Here and Now، وعلى الرجاء أنه بنعمة الله وعونه سيتغير المجتمع إلى الأفضل.

ويري برنارد أندرسون B.Anderson أنه رغم أن الأنبياء كانوا ينظرون باهتمام إلى المستقبل، إلا أنهم كانوا يهتمون في المقام الأول بالحاضر، لما له من قيمة ومعنى. فرسالة سفر دانيال هي أن تضرم إسرائيل إيمانها لمواجهة خطر واضطهاد السلوقيين (حكام سوريا). ويدعو السفر إلى التمسك والولاء للعهد، مع الإله القديم. الذي قادهم من أرض العبودية واجتاز بهم وسط البحر، والمياه سور لهم عن اليمين وسور عن اليسار. ويؤكد السفر أن كل التاريخ هو تحت سيادة الله الكاملة. وكاتب السفر يدعو إلى التمسك بالإيمان الشجاع، لأن الشعب عندما يؤمن أن الأمور هي في يد الله سوف يتحقق لهم النصر ويعملون بلا خوف من النتيجة. لأن نصرهم أكيد في النهاية. وقد أطلق أندرسون على سفر دانيال بأنه بيان أو ميثاق جماعة الحسيديم The Manifesto of Hasidim ليكون نبراساً لحياتهم التقوية في مواجهة الأخطار والتهديدات.

إنه السفر الذي كتب في أرض السبي، ليعلن أن السبي لن يدوم أبداً. بل أن الأمة التي استعبدت إسرائيل سوف تزول تماماً من الوجود لتقوم مكانها أمة أخرى، بل ثلاث إمبراطوريات أخرى. وفي وجود هذه الممالك سيقيم إله السماء أمة زمنية وأبدية تختلف عن هذه الممالك الأرضية، بل إن ما نأخذه من السفر، هو أننا ينبغي أن نكون متمسكين بإيماننا، رغم كل تجربة تحيط بنا ورغم كل ضيق أو اضطهاد، ولقد تدخل الله بقوته لينقذ حياة عبيده الذين لم يذعنوا لأوامر الملك بالسجود لغير إلههم، إله السماء والأرض. إنه الرب الذي حفظهم أحياء لأنهم كانوا مستعدين للاستشهاد. وتمثل ذلك في كلماتهم.... «وإلا فليكن معلوماً لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته» (٣:١٨).

ومن سفر دانيال ندرك ونتيقن أن الله بيده تاريخ البشر. ورغم أجناد الشر والقوات والسلاطين التي تعمل ضد الحق والبر فسوف يثبت الله مملكته إلى الأبد.

وعندما يتأكد الإنسان المؤمن من النصر في النهاية، فإنه يتطلع إليه في ثبات وصبر وجلد. والحقيقة الأكيدة كما عبر عنها أحدهم بأنه في خطة الله قبل انبلاج نور الفجر لابد أن تسبقه لحظة ظلام وقتام شديدين.

ويشير السفر إلى أساس الله لملكوته الأبدي «ابن الإنسان» الذي أعطى من الله سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. «سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (٧:١٤)... «ملكوته ملكوت أبدي» وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون (٧:٢٧).

ومسئولية أتقياء الرب هي أن يردوا آخرين من بني جنسهم إلى البر لأن هذا عملهم ولهم المجازاة (دانيال ١٢:٣) والرب مُسند لهم بعضدهم ويؤازرهم بملائكته (٩:٢١-٢٤، ١٠:١٠-١٤، ١٨-١٩).

كما أن رسالة السفر كما يرى أحد الباحثين رسالة تعليمية عن الحق والمجاهرة به، بل وصنعه. وإن كان شعب الرب في الأرض الوثنية مستعبدين، فإن الله نفسه هو سيدهم ومشرّع حياتهم وبيده أمورهم كأفراد وشعوب أينما وجدوا.

دانيال ورفقاء حياته الثلاثة وتمسكهم بالكلمة الإلهية

يستهل السفر حديثه في الأصحاح الأول، عن دانيال ورفقائه الذين جيء بهم إلى بلاط الملك نبوخذناصر حيث حاول المسئولون إرغامهم على تناول أطايب الملك وخمر مشروبه. إلا أن دانيال ورفقاءه لم يمتثلوا لأوامر وأنظمة الملك، بتناول هذا الطعام، وفي وداعة ولطف طلبوا من رئيس السقاة أن يجربهم عشرة أيام مكتفين في طعامهم بالخضروات

والماء. وكانت مناظرهم في نهاية العشرة أيام أكثر نضارة وحيوية وقوة من الآخرين الذين تناولوا من أطايب الملك وخمر مشروبه (دانيال ١:١٢-١٦). وقد منحهم الله أيضاً حكمة فاقت حكمة الآخرين من الحكماء والفهماء. وعندما مثلوا أمام الملك وجد حكمتهم وفهمهم «يفوق عشرة أضعاف فوق كل حكمة المجوس والسحرة الذين في كل مملكته» (أعداد ١٧:٢١).

والملاحظ أن حكمتهم هنا مرتبطة بتمسكهم بفهم وطاعة لتعاليم التوراة.

كما أن رفض دانيال ورفقائه لهذا الطعام، كما يرى أحد الباحثين، ربما لأنه لم يكن معداً حسب عادة اليهود، أو ربما كان رفضاً للحم النجس حسب ناموسهم (لاويين١١)، وتمسكهم هذا كان له أثره زمن المكابيين حيث نجد قصة استشهاد الأم وبنيها السبعة، الذين اختاروا الموت بعد تعذيبهم، واحداً بعد الآخر، أمام الأم التي كانت تحثهم على موقفهم هذا، وحتى لا يتنجسوا بأكل لحم الخنزير. وقد حدث ذلك أيام انطيوخس أبيفانس (مكابيين الثاني الأصحاح ٧، وطوبيا ١٠:١-١١، يهوديت ١:١٢-٤).

وربما كانت قصة استشهاد الأم وبنيها السبعة أسطورية أو خرافية كما يرى نورمان بورتيوس N.Porteous، إلا أن قصص الولاء هذه والتي تحتل الجزء الأول من سفر دانيال (١-٦) هي التي صاغت ديانة إسرائيل.

وفي هذا يتحدث بولس فيما بعد، بأن ليس شيء نجس في ذاته أو طاهر في ذاته، بانياً فكره هذا على تعاليم رب المجد يسوع المسيح. «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هو الذي ينجس الإنسان». ويوضح بولس الرسول أن المحبة هي التي تحدد أبعاد السلوك المسيحي للفرد لأجل الآخرين ونحوهم (رومية ١:١٤، كو ٧:٨، ١٠، ٢٧:١٠-٢٩)[1].

ويرى أحد المفكرين أن إيمان هؤلاء الشبان كان أداة في غلبة هذا التحدي الذي واجه اليهود وسبق أن تنبأ به حزقيال النبي (١٣:٤، قارن هوشع ٣:٩).

في الأصحاح الثاني: لقد تبرهن أن حكمة دانيال فاقت حكمة جميع الفهماء والحكماء في كل مملكة بابل. والتي تجلت بأجلى صورها حينما أخبر دانيال الملك نبوخذ نصر بحلمه وليس فقط تفسير الحلم للملك. عندئذ خر نبوخذنصر على وجهه وسجد لدانيال... وقال «حقاً إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك كاشف الأسرار... وعظم الملك دانيال وأعطاه عطايا كثيرة، وسلطه على كل ولاية بابل وجعله رئيساً على جميع حكماء بابل» (٤٦:٢-٤٩).

تبع هذا الحدث سلسلة من الأحداث الشهيرة، التي تظهر الأمانة ليهوه الإله العظيم رغم التهديدات المروعة.

وفي الأصحاح الثالث: نرى نبوخذ نصر وقد أصدر أمراً بأن كل مواطنيه إما أن يسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه، أو يلقوا في أتون النار المتقدة (٦:٣). وسجد الجميع لتمثال الذهب، خضوعاً لأمر الملك نبوخذ نصر، ما عدا شدرخ (حننيا) وميشخ (ميشائيل) وعبد نغو (عزريا) الذين وكلهم الملك على ولاية بابل مملكته. واشتكى الكلدانيون على اليهود وأخبروا الملك نبوخذ نصر بعصيانهم أمره (٩:٣-١٢).

وأمر الملك بغضب وغيظ أن يحضروا الثلاثة رجال ويعطيهم فرصة أخرى، حتى يسجدوا لتمثال الذهب أمامه فيرحمهم مهدداً أياهم بالقول «ومن هو الإله الذي ينقذكم من يدي» (عدد ١٥). فأجابوه قائلين: «لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر» (عدد ١٦)، «هوذا يوجد إلهنا الذي نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة. وأن ينقذنا من يدك أيها الملك. «وإلا» بمعني (وإن لم ينقذنا) فليكن معلوماً لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك، ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته» (١٧-١٨).

(1) Norman W. Porteous, Daniel, pp. 29-32

وامتلأ نبوخذنصر ملك بابل غيظاً أكثر وأمر رجاله أن يُحموا الأتون سبعة أضعاف، وأوثقوا الرجال الثلاثة جيداً وألقوهم في وسط أتون النار المتقدة «وهم موثقين» (١٩-٢٣). وأنتابت الملك حيرة ودهشة شديدة جداً، عندما رأى الثلاث رجال شدرخ (حننيا) وميشخ (ميشائيل) وعبد نغو (عزريا) محلولين، يتمشون في وسط اللهيب، وما بهم ضرر ومعهم شخص رابع شبيه بابن الآلهة (ملاك الرب) ونادي عليهم الملك قائلاً: «اخرجوا وتعالوا» ورآهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق، ولم تكن للنار قوة عليهم.

من ثم أعلن نبوخذ نصر الملك إيمانه بإله شدرخ وميشخ وعبد نغو، قائلاً: «تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذي أرسل ملاكه وأنقذ عبيده، الذين اتكلوا عليه، وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم، لكي لا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم» (عدد ٢٨). وأصدر الملك أمره قائلاً: «مني صدر أمر، بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبد نغو، فإنهم يُصيرون إرباً إرباً وتجعل بيوتهم مزبلة إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا» (عدد ٢٩)، وجعلهم الملك في مراكز أسمى وأرفع.

وفي الأصحاح الرابع: نقرأ عن إتمام الحلم الذي قصه الملك نبوخذنصر على دانيال (١٠-١٧). وفسر دانيال الحلم للملك (٢٠-٢٧). وبينما كان الملك نبوخذ ناصر يتمشى وينظر متأملاً من قصره المنيف، إلى مجد إمبراطوريته العظيمة المجيدة، قال في عجب وزهو: «إليست هذه بابل التي بنيتها بقوة اقتداري ولجلال مجدي». والكلمة بعد في فمه سمع صوتاً من السماء، قائلاً له: «إن الملك قد زال عنك ويطردونك من بين الناس، وتكون سُكناك مع حيوان البر ويطعمونك العشب كالثيران فتمضي عليك سبعة أزمنة (سبع سنين)، حتى تعلم أن العلي متسلط في مملكة الناس، وأنه يعطيها من يشاء» (٣٠-٣٢). في تلك الساعة تم له ما قيل من السماء. وعند انتهاء الأيام أعلن نبوخذ نصر تمجيده وتعظيمه لله. الذي كل أعماله حق وطرقه عدل، «ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله» (٣٣-٣٧).

في الأصحاح الخامس: أقام بيلشاصر بعد توليه الحكم في بابل، مأدبة عظيمة لألف من النبلاء والشرفاء (العظماء الألف) وطلب في هذه الوليمة أن يحضروا له أنية الذهب والفضة التي أحضرها نبوخذناصر (عدد ٢) من هيكل أورشليم، وبينما هم يشربون في هذه الآنية المقدسة ويسبحون آلهة الذهب والفضة والنحاس، وآلهة الحديد والخشب والحجر، ظهرت له أصابع يد إنسان وهي تكتب على الحائط، كلمات لم يفهم لها معنى، واضطرب الملك بيلشاصر جداً وصرخ بشدة لإدخال السحرة والكلدانيين والمنجمين، وقدم لهم عرضاً سخياً بأن من يقرأ ويفسر له هذه الكتابة يُلبس الأرجوان وقلادة من ذهب، ويتولى منصب الرجل الثالث في مملكة بابل، ولم يستطع واحد منهم أن يقرأ، حتى يفسر له هذه الكلمات التي كُتبت على حائط قصر الملك، وأحضروا إليه دانيال الذي قالت عنه الملكة إنه: «رجل فيه روح الآلهة القدوسين» (عدد ١١) وقدم الملك لدانيال عرضه السخي حتى يقرأ ويفسر له الكتابة، وأجابه دانيال «لتكن عطاياك لنفسك وهب هباتك لغيري» (١٦-١٧) وشرح له دانيال الخلفية التاريخية لهذه الكلمات المكتوبة (١٨-٢٤).

أما قراءة هذه الكلمات فكانت: «منا منا تقيل وفرسين» وتفسيرها بواسطة دانيال:

منا = أحصى الله ملكوتك وأنهاه.

تقيل = وُزنت بالموازين فوجدت ناقصاً.

وفرسين = قُسمت مملكتك وأعطيت لمادي وفارس.

ولبس دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب، وصار الرجل الثالث في مملكة بابل بأمر الملك. وتم إعلان ذلك في كل المملكة. وفي تلك الليلة قُتل بيلشاصر ملك الكلدانيين. وتولى من بعده داريوس المادي وهو ابن اثنتين وستين سنة (٥: ٢٩-٣١).

وفي الأصحاح السادس: سُرَّ داريوس المادي أن يعين دانيال أحد وزرائه الثلاث، ليشرف على أعمال مئة وعشرين مرزبانا (حاكما) في المملكة كلها، وفاق دانيال جداً على الوزراء والمرازبة (الحكام) لروحه الفاضلة وأمانته في الحياة الشخصية وعمله السياسي، وفكر الملك في أن يوليه على المملكة كلها (٦:١-٤)، ومن هنا بدأت تثور روح الحقد والكراهية بين باقي الوزراء وحكام الولايات التابعة للمملكة. ولم يجدوا علة يشتكون بها على دانيال لدى الملك حتى يتخلصوا منه واهتدوا إلى علة واحدة ضد دانيال. وهي من جهة شريعة إلهه. وبروح غادرة اتخذوا قراراً وأمضوه من الملك داريوس المادي، ليكون له قوة القانون الذي لا ينسخ كشريعة مادي وفارس. وهذا القرار هو أن «كل من يطلب طلبة حتى ثلاثين يوماً من إله أو إنسان، إلا منك أيها الملك يُطرح في جب الأسود» (٦:٧، ١٢). ولم ينتبه الملك لغدرهم هذا حتى انه اغتاظ على نفسه عندما فوجئ بقصدهم وهو التخلص نهائياً وإلى الأبد من دانيال بطرحه في جب الأسود (٦:١٤)، وفكر الملك واجتهد في التفكير لينقذ دانيال، فلم يقدر أمام تحديهم وإصرارهم لأن كل نهي أو أمر يضعه الملك لا يتغير.

وأمام محبة الملك الشديدة وتمسكه بدانيال، وشعوره باهتزاز عرش مملكته وبقوة، بسبب هذه الجماعة غير الأمينة التي أوقعته في فخ لا قدرة له للفرار منه، أعلن داريوس عن إيمانه الواثق وبوضوح في إله دانيال، الذي سوف ينجيه قائلاً لدانيال الرجل المحبوب إلى قلبه «إن إلهك الذي تعبده دائماً هو ينجيك» (عدد ١٦). ولعل الملك كان يقصد بهذه الكلمات كما يرى أحد العلماء، نجاته هو شخصياً أي تخلص داريوس الملك من هؤلاء الخائنين، ويؤكد هذا العالم والباحث في اللاهوت رأيه هذا بما صنعه الملك عند إلقاء دانيال في الجب «أتي بحجر ووضع على فم الجب وختمه الملك بخاتم عظمائه لئلا يتغير القصد في دانيال». (أي حتى لا يقتلوا دانيال بأسلوب آخر عندما يجدونه حياً) (عدد ١٧). لقد كان الملك داريوس موقناً من نجاته كما أن الملك أمضى ليلته صائماً. وعند الفجر باكراً ذهب مسرعاً إلى جب الأسود واطمأن من دانيال أن الرب إلهه أرسل له ملاكاً وسد أفواه الأسود فلم تضره (١٨-٢٢). «وأصعد دانيال من الجب ولم يُوجد فيه ضرر لأنه آمن بإلهه» (عدد ٢٣).

عندئذ أمر الملك بطرح جميع المشتكين على دانيال مع أولادهم ونسائهم، ولم يصلوا إلى أسفل الجب حتى بطشت بهم الأسود وسحقت جميع عظامهم. ونادى الملك داريوس بالإيمان بإله دانيال، لأنه هو الإله الحي الدائم إلى الأبد وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى. هو ينجي ويُنقذ ويعمل الآيات والعجائب في السموات والأرض. هو الذي نجى دانيال من يد الأسود (أعداد ٢٤-٢٨) وحقق دانيال نجاحاً فائقاً في حكم داريوس المادي وفي مُلك كورش الفارسي.

رؤى دانيال الخاصة بنهاية الزمان
(من الأصحاح السابع إلى الثاني عشر)

حاول علماء الكتاب بذل الجهد بالدراسة المتعمقة لكشف ما تضمنته هذه الرؤى من أحداث تاريخية وتعاليم دينية نسردها فيما يلي:

تمثل الأصحاحات الست الجزء الثاني من السفر الذي اشتمل على أربع رؤى تُصور حركة الأحداث التاريخية عندما يسود الرب ويطرح قوات العالم ويؤسس مملكة الله على الأرض كما في السماء. وتظهر أربع إمبراطوريات على التوالي: إمبراطورية بابل وإمبراطورية مادي -وفارس - واليونان. وكانت تسبق الواحدة الأخرى في الفساد والشر، وقد تجسدت كل الشرور في إمبراطورية واحدة وهي دولة السلوقيين بسوريا. وفي ملك واحد هو أنطيوخس أبيفانس (أو أنطيوخس الرابع).

الرؤيا الأولى

الأصحاح السابع: رأى دانيال أربعة حيوانات صاعدة من البحر الكبير... إنها القوات المعادية لخليقة الله. وآخر هذه الحيوانات كان أشرهم وأخطرهم «مرعب ومخيف ورهيب» وفسر أحدهم لدانيال بأن هذه الحيوانات الأربعة هي

الأربع إمبراطوريات المتعاقبة (١-٨، ١٥-١٧) أربعة ملوك يقومون على الأرض (عدد ١٧) الأسد وهو ملك بابل بجناحي نسر (عدد ٤) والحيوان الثاني دب وفي فمه ثلاث أضلع بين أسنانه (عدد ٥) على ملك مادي. والحيوان الثالث هو نمر وعلى ظهره أربعة أجنحة طائر (عدد ٦) عن ملك فارس، والحيوان الرابع هائل وقوي وشديد جداً (عدد ٧) وله عشرة قرون عن ملك اليونان.

أما عن القرون العشرة فهي إشارة إلى الملوك العشرة الذين سبقوا أنطيوخس أبيفانس في المملكة اليونانية كما يرى البعض، والذي أشير عنه في الرؤيا بالقرن الصغير (عدد ٨، قارن عدد٢٤) «متكلماً بعظائم... يحارب القديسين» (الحسيديم جماعة المكابيين) الذين عضدهم القديم الأيام فامتلك القديسون المملكة (٧: ٢٠-٢٢) أخبر دانيال من الملاك بهذه الأحداث قبل وقوعها بأجيال عديدة، كما أخبر أيضاً عن أعمال أنطيوخس أبيفانس وتمرده ضد الله العلي وقديسيه من شعب الرب (٧: ٢٥)، والذي كان يظن أنه يغير الأوقات والسنة. ولكن إلى حين زمان وأزمنة ونصف زمان، إشارة إلى فترة اضطهاده للشعب (١٦٨-١٦٥ ق.م.) بعدها يعطيهم الرب، القديم الأيام الغلبة والنصرة (قارن ٧: ٢٢، ٢٦-٢٧).

الرؤيا الثانية

الأصحاح الثامن: قدم جبرائيل الملاك تفسيرا لها، عن الكبش الذي له قرنان (٨: ٣-٤)، هو ملوك مادي وفارس (عدد ٢٠).

والتيس صاحب القرن المعتبر بين عينيه قد ضرب الكبش، وكسر قرنيه. ولم تكن للكبش قوة على الوقوف أمامه، وطرحه على الأرض وداسه (٨: ٥-٧) والتيس هو ملك اليونان والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الأول (الإسكندر الأكبر) (عدد ٢١) ما بين عام ٣٣٦-٣٢٣ق.م. ولما اعتز هذا الملك (تيس المعز عدد ٨) انكسر القرن العظيم وطلع عوضاً عنه أربعة قرون معتبرة، نحو رياح السماء الأربع. وهنا إشارة حسب تفسير جبرائيل الملاك عن قيام أربعة ممالك من الأمة ولكن ليس في قوته (عدد٢٢) والأربعة ممالك كما يرى العلماء هي:

١- مكدونيا وملكها كاسندروس.
٢- آسيا الصغرى وتراقيا وملكها ليسيماخوس.
٣- سوريا وما بين النهرين وملكها سلوقس.
٤- مصر وحاكمها بطليموس (وقد تم التقسيم بعد دولة ايبسوس عام ٣٠١ ق.م.).

والقرن الصغير كما أشرنا هو أنطيوخس الرابع أبيفانس الذي جاء عنه في تفسير هذه الرؤيا من الملاك: ملك جافي الوجه وفاهم الحيل، ويهلك عجباً وينجح ويفعل، ويبيد العظماء وشعب القديسين (١٦٥-١٦٣ق.م.) ويهلك كثيرين والمكر بيده، ويمتد سلطانه نحو الجنوب ونحو الشرق وبه أبطلت المحرقة الدائمة وهُدم المسكن (قارن ٨: ٩-١١ مع ٢٣-٢٥). وسمع دانيال في الرؤيا أحد القديسين يسأل آخر، إلى متى هذا الخراب (عدد ١٣) فقال إلى ألفين وثلاث مئة صباح ومساء فيتبرأ القدس (٨: ١٤). ويرى أندرسون Anderson بأن الفترة المشار عنها في (عدد ١٤) هي ثلاث سنين وشهرين. وتمثل هذه الفترة ألفين وثلاث مئة صباح ومساء من وقت تصدي أنطيوخس أبيفانس للعبادة اليهودية وتنجيس الهيكل، إلى قيام يهوذا المكابي وثورته العارمة التي فيها أعاد تطهير الهيكل (وذلك عام ١٦٥ق.م.)[1].

الرؤيا الثالثة

الأصحاح التاسع: رؤيا اقتراب نهاية السبي ورحمة الله بتأسيس مملكته (إرميا ٢٥: ١٠-١٢، ٢٩: ١٠)، ويطلب

(1) B.W.Anderson, Understanding the O.T., P.628.
C.S. Thoburn, O.T.Introduction, P.342.

دانيال في رؤياه نوراً يفهم به الغموض الذي يحيط به. ويرفع صلاته إلى الله خاشعاً ومتوسلاً رحمة إلهه في هذا (الأصحاح٩). كما فعل عزرا (نحميا٩) نفس الشيء، حيث اعترف شاكراً إلهه لأعماله الرحيمة، بدءاً من الخلاص من العبودية في مصر. وبروح الاتضاع اعترف دانيال بضعف إسرائيل وعدم ولائها للعهد، الذي ترتب عليه دينونة الله العادلة، والدمار الذي حلّ على الشعب المتمرد والعنيد. ملتمساً هنا رحمة إلهه حتى يخفف من الويلات التي ألمت به وانكسر تحت وطأتها (٩:٨-١٤) ليس لأن إسرائيل تستحق الرحمة أو الغفران بل من أجل محبته الغنية ورحمته الكثيرة والأبدية (أعداد ١٥-١٧).

ويردد دانيال في صلاته «لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة. ياسيد اسمع ياسيد اغفر ياسيد أصغ واصنع... من أجل نفسك يا إلهي لأن اسمك دُعي على مدينتك وعلى شعبك» (٩:١٨-١٩).

لا يوجد أساس لافتخار إسرائيل برفقة وتعضيد الرب لها سوى رحمته غير المحدودة، حيث يؤكد الرب هذه الحقيقة في العهد الجديد (لوقا ٨:١١).

وبينما كان دانيال يصلي معترفاً بخطيته وخطية شعبه إسرائيل، جاء جبرائيل الملاك إلى دانيال وقال له: «إني خرجت الآن لأعلمك الفهم.. وجئت لأخبرك لأنك أنت محبوب» (٩:٢٣، ١٠، ١١، ١٩)، حتى يفسر له أمر السبعين أسبوعاً سنين (٩:٢٠-٢٧).

ويرى أحد العلماء أن الرقم سبعين المشار عنه في نبوة إرميا (٢٩:١٠، ٢٥:١٢) يشير إلى ملء الحياة الإنسانية، أما عن السبعين أسبوعاً سنين (أربعمائة وتسعون سنة)، هي التي عند انتهائها ينتهي خراب أورشليم الذي حل بها مقابل خطاياها وآثامها. وتقع هذه الفترة في ثلاثة أزمنة: سبع أسابيع، واثنان وستون أسبوعاً، وأسبوع واحد (٩:٢٥-٢٧).

والسبع أسابيع (٤٩ عاماً) كما يرى بعض العلماء هي الفترة التي تمتد من حكم الملك صدقيا إلى يهوشع الكاهن العظيم (٥٨٧-٥٣٨ق.م.) أي إلى سنة تملك كورش الفارسي الذي سمح بعودة اليهود إلى ديارهم، إلى أرض يهوذا (قارن ٢أخ ٣٦:٢٢-٢٣، عزرا ١:١-٣).

كما يرى البعض الآخر أن فترة الاثنين والستين أسبوعاً تمتد من سنة العودة من السبي ٥٣٨ ق.م التي فيها أصدر كورش أمراً بإعادة بناء مدينة أورشليم (٩:٢٥)، إلى وقت اغتيال أونياس الثالث الكاهن الأعظم عام ١٧١ق.م.

أما الأسبوع الأخير (أسبوع واحد ٩:٢٧) فهو يُغطي فترة حكم أنطيوخس أبيفانس (١٧١-١٦٣ق.م.). وقد أظهر أنطيوخس بعض التساهل نحو اليهود في النصف الأول من هذا الأسبوع (أي فترة حكمه) لكنه في النصف الأخير من الأسبوع حاول أنطيوخس أبيفانس أن يمحو الديانة اليهودية بإقامة مذبح زيوس أولمبس Zeus of Olym-pus (أحد آلهة جبل أولمبس عند الإغريق والذي يقع إلى الجزء الشرقي من اليونان) وقد أقامه فوق مذبح الهيكل الأمر الذي يعد خراباً وتنجيساً لهيكل الرب (قارن ١١:٣١، ١٢:١١).

رؤيا الأيام الأخيرة

(أصحاحات ١٠-١٢) هذه الأصحاحات تغطي الفترة التاريخية من وقت حكم الإسكندر الأكبر وانقسام مملكته إلى ثلاث إمبراطوريات كما سلفت الإشارة. بالإضافة إلى حكام سوريا (السلوقيين) واضطهادهم لجماعة اليهود، حتى إلى زمن أنطيوخس أبيفانس، وانتصاره الساحق على ملك مصر (١١:٤٠-٤٣) وفي طريق عودته يموت أنطيوخس لا بيد بشرية (٨:٢٥)، بينما هو مُخيم في فلسطين ما بين أورشليم والبحر المتوسط (١١:٤٤-٤٥).

أما عن الإشارة الواردة في (٢:١١) عن ملوك فارس الأربعة فربما تشير هنا إلى الملوك المشهورين الذين كان لهم الدور الأكبر في تاريخ مملكتهم وهو كورش (٥٣٩-٥٣٠ق.م.)، قمبيس (٥٣٠-٥٢٢ق.م)، داريوس الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م)، وأخشويروش الأول (٤٨٦-٤٦٥ق.م).

وعن الملك الجبار الوارد عنه في (٣:١١) يُعد في نظر بعض العلماء إشارة عن الإسكندر الأكبر (٣٣٦-٣٢٣ق.م.) الذي هزم داريوس الثالث في موقعه ابسوس الحاسمة عام ٣٣٣ق.م. وعن الممالك الأربعة (٤:١١) (راجع الإشارات السابقة في الأصحاح الثامن).

ويتحدث دانيال عن ملك الشمال (٦:١١) ويشير إلى سلوقس الأول ملك سوريا كما يرى علماء الكتاب، وهو سلوقس نيكانور (٣١٢-٢٨٠ق.م.) الذي أسس المملكة السلوقية. وملك الجنوب (٥:١١) هو بطليموس والي مصر (بطليموس الأول سوتير Soter ٣٢٣-٢٨٣ق.م.).

وفي دانيال (٦:١١) إشارة عن الزواج المأساوي، والذي كان هدفاً لإنهاء الخلاف بين سوريا ومصر، حيث زوج بطليموس الثاني (فيلادلفوس) (٢٨٣-٢٤٦ق.م.) ابنته برنيكي لأنطيوخس الثاني (٢٦١-٢٤٧ق.م.) حاكم سوريا عام ٢٤٩ق.م. وقد رتب هذا الزواج أنطيوخس الأول بتطليق زوجة ابنه التي انتقمت لنفسها بقتل زوجها الأول (أنطيوخس الثاني) كما قتلت برنيكي المصرية وابنها[1].

والأعداد من (١١-١٥) تتحدث عن قيام ملك الجنوب (مصر) على أنطيوخس الثالث ملك الشمال (سوريا) وانتصر عليه في معركة رفح عام ٢١٧ق.م. ولكن سرعان ما ينهض ملك الشمال (سوريا) ويأخذ المدينة الحصينة (١٥:١١) ويهزم بطليموس الرابع ملك الجنوب (مصر) في تلك المدينة الحصينة جداً مدينة غزة عام (١٩٩ق.م).

أما عن سفن كتيم في (٣٠:١١) فيري البعض أنها سفن الرومان التي وصلت إلى مصر عام (١٦٨ق.م.) وتصدت لأنطيوخس أبيفانس ومنعته من السيطرة على مصر، مما ترتب عليه رحيل أنطيوخس من مصر متوجهاً إلى فلسطين. وعن العون القليل المشار إليه في (٣٤:١١) يُقصد به ثورة المكابيين الذين أطلق عليهم بالحكماء أو الفاهمون في (عدد٣٣).

وعن الأخبار التي يسمع عنها من الشرق ومن الشمال في (٤٤:١١) فهي أخبار عن ثورات ومقاومة في مقاطعات كثيرة من البلاد (قارن المكابيين الأول أصحاح ٣) وقد زحف أنطيوخس أبيفانس حتى إلى تخوم فارس، وسمع بتقدم ونجاح يهوذا المكابي، ووجه أبيفانس قلبه على تدمير أورشليم وكل يهوذا ولم يفلح في تنفيذ خطته العدائية ضد شعب الرب بل وافته المنية قبل بلوغ أمينته هذه (دانيال ٤٥:١١).

إن رسالة الكاتب من هذه الرؤي المحققة كما يرى ب. أندرسون هو أن الأحداث لا تقع مصادفة بل أن الله يعرف في علمه السابق ما سيتم، ويدع الأمور تسير على متوالها، وأعمال أنطيوخس الرابع واضطهاده لشعب اليهود هو جزء من خطة الله السابقة، ويتمثل هذا في كلمات دانيال (٣٦:١١) «ويفعل الملك كإرادته. ويرتفع ويتعظم على كل إله، ويتكلم بأمور عجيبة على إله الآلهة. وينجح في إتمام الغضب، لأن المقضي به يجري». وهذا تأكيد واضح على سيادة الله المطلقة على أعمال الناس، الذي لا يُقصد به الإستسلام كما يرى أحدهم بل على العكس يُقصد به الثقة في الله بأن التاريخ يتحرك، وبخطة معدة سابقاً نحو ملكوت الله، مما أثار وأشعل غيرة جماعة الحسيديم، الجماعة الصغيرة المؤمنة والغيورة لذلك تمكنوا من العمل، على الرجاء في الإله الحي القديم الأيام (٣٢:١١) إن الشعب الذي عرف الرب يقف ثابتاً ويعمل. وإذا كان الله معهم فالنصرة محققة.

---

(1) C.S. Thoburn, p.244 .

أحمد حسين، موسوعة مصر، الجزء الأول (القاهرة: دار الشعب)، ص ١٨٦-١٨٨.

وماذا يعني حجم الخسائر بالنسبة لهم طالما القديسون يحاربون في الجانب المنتصر، وأن الرب سيتوج كفاحهم بالغلبة الأكيدة، وعن الجماعة التي استشهدت فهي ماتت من أجل مجد الله، واستشهادهم هذا سيطهر وينقي الجماعة الباقية التي هي بذرة تحقيق وتأسيس ملكوت الله وانتشاره (١١:٣٥).

ولابد أن يتحقق النصر الإلهي ويأتي ملكوته وبقوة في الوقت المعين (قارن إش ٦٠:٢٢).

ويوضح دانيال في **الأصحاح الأخير (الثاني عشر)** بأنه سيسبق هذا الملكوت فترة ضيق لم يكن مثله قبلاً (١٢:١) والأمناء الذين أسماؤهم مكتوبة في السفر سينجون من هذا الضيق العظيم، «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (١٢:٢-٣).

ويرى بعض العلماء بأن الكلمات الواردة في (١٢:١-٣) تشير إلى قيامة شعب الرب قومياً (سياسيا) زمن المكابيين وتشير في الوقت نفسه إلى المجازاة في الحياة الأبدية والتي فيها يتم القضاء على ضد المسيح بمجيء الرب نفسه في مجده الأبدي (إش ٢٦:١٩، ٢١، ٢٧:٦، قارن إش ٢٥:٦-٩) وما يصيب شعب الرب له صداه ورد فعله في السماء.

وعن الضيق الذي لم يكن مثله، منذ قامت أمة إلى ذلك التاريخ، وهو ما تم بالفعل كما سلفت الإشارة زمن أنطيوخس أبيفانس، وقراره بإبادة شعب الرب وديانتهم بالكامل. وفي قصد الله الأزلي يسمح للشرير بفعل مالا يمكن مقارنته (إش ٢٦:٢٠-٢١، قارن مع دانيال ٨:٢٤-٢٥، ١١، ٢٦). إنه وقت ضيق على الشعب، لكن سيخلص منه (إرميا ٣٠:٧، قارن مت ٢٤:٢١). وبركة الضيق تتمثل في أنه طريق رجوع إلى الله القدير (إش ١٠:٢١).

ويتحدث النبي زكريا عن الضيق بأنه فترة تمحيص كالفضة والذهب بالنار ، «وهو يدعو باسمي يقول الرب وأنا أجيبه، أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي» (زك ١٢:٨-٩).

ويرى أحد العلماء أن ما جاء عن المكابيين في كتابهم الثاني (٧:٩، ١٤، ٢٣) يلقي الضوء على ثمرة هذه النبوة، التي ظهرت في تعضيد الأم لبنيها السبعة حتى يثبتوا في إيمانهم إلى النهاية ويواجهوا الموت ببساطة فائقة ونادرة، معلنين إيمانهم بقيامة الأموات التي جسدتها لهم هذه الكلمات (١٢:٢-٣، قارن أيضاً عب ١١:٣٥).

أما الإشارة الواردة في (عدد١١) عن الألف ومئتين وتسعين يوماً كما يرى البعض فهي الفترة التي مارس فيها أنطيوخس الرابع أبيفانس شروره بتنجيس الهيكل والرجاسات وفي نهايتها يموت، تعقبها فترة خمسة وأربعين يوماً، يتم فيها تطهير الهيكل من هذه الرجسات ويتم بعد ذلك تدشين الهيكل وتقديسه للرب بالعبادة المرضية قدامه، حسب تعاليمه الصالحة. فيبلغ عدد هذه الأيام ألف وثلاث مئة وخمسة وثلاثين يوماً (قارن عدد ١٢). ويرى البعض الآخر أن الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثين يوماً إشارة إلى نهاية الزمان وبداءة حكم البر أو بداءة الأبدية.

غير أنه في كل الأحوال تعد إشارة إلى نهاية زمان الاضطهاد والضيق الذي يواجه المؤمنين في كل زمان وكل مكان من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة «وطوبى لمن ينتظر» في صبر وإيمان واثق في الرب إلى النهاية (١٢:١٢).

الباب الرابع

الأنبياء الاثنا عشر: أنبياء آخرون

هوشع

هوشع اسم عبري معناه «خلاص»، وهو أحد الأنبياء الأربعة الذين عاشوا في القرن الثامن ق.م والذين من بينهم عاموس وإشعياء وميخا. وهو النبي الوحيد بين الأنبياء العبرانيين من المملكة الشمالية. ولا يعرف الكثير عن حياته الخاصة إلا أن والده بئيري كان من أسرة كهنوتيه مثل زكريا وربما كان هو نفسه كاهناً الأمر الذي توحي به إشارته الكثيرة إلى أعمال الكهنة غير المرضية. وجاء عن زوجته أنها جومر ابنة دبلايم وهو شخص غير معروف أيضاً وهي أم لأولاده الثلاث. ويرى بعض الباحثين أن دبلايم ربما تشير إلى مكان نشأتها في منطقة جلعاد ولكن هذا غير مؤكد أيضا.

ويبدو أن هوشع كان ينتمي إلى البيئة الريفية. نشأ محباً للطبيعة فيتحدث عن الصوف والزيت، والبذار والحصاد، والندى والمطر المبكر والمتأخر، وعن التين والزيتون والكرمة غير المثمرة وشجرة لبنان، وعن الطيور والحيوانات. وقد كان موقف النبي صعباً للغاية حيث أنه تصدى للقادة الدينيين(٥:١) كما وقف ضد الملوك والأمراء (٣:٧، ٧، ٨ ٤: - ١٠)، وربما أصبح موضع حقدهم واضطهادهم(قارن ٩ :٨) وواجه صعوبات عديدة. وهذا ثمن يدفعه النبي ليحيا حياته في نقاء وطهر.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: اختبارات هوشع الشخصية وتأثير ذلك (١:١ -٣:٥).

١- زوجة هوشع والأطفال (١:١-٩).

٢- العودة والتجديد (١ : ١٠ - ٢:١).

٣ - التوبة (٢:٢ -٢٣).

٤- فداء الزوجة الخائنة (٣ : ١-٥).

ثانياً: خيانة اسرائيل لإلهها (٤ :١ -١٣ :١٦).

١- الخيانة الزوجية (٤ : ١-٧ :٧).

٢- عدم الأمانة السياسية (الفوضى) وعدم الاستقرار(٧:٨ - ١٠ :١٥).

٣ - محبة الله (١١ : ١٠ -١١).

ثالثاً : دعوة للتوبة ووعد بالغفران والتجديد (١٤ : ١-٩).

تاريخ النبوة

ورد في الأصحاح الأول والعدد الأول أن هوشع تنبأ في أيام عزيا ٧٦٧ - ٧٤٠ ق.م ويوثام ٧٤٠- ٧٣٢ ق.م وآحاز ٧٣٢ - ٧١٦ ق.م وحزقيا ٧١٦ - ٦٨٧ ق.م ملوك يهوذا. وفي أيام يربعام بن يوآش ملك اسرائيل ٧٨٢ - ٧٥٣ ق.م وبهذا تصل نبوة هوشع إلى ما يقرب من ثمانين عاماً.

ويرى علماء آخرون أن نبوة هوشع انتهت قبل عام ٧٣٤ ق.م تقريباً لأنه لم يرد بالسفر شيء عن غزو رصين ملك

سوريا وفقح ملك اسرائيل ليهوذا (إش ٧ : ١ ، ٢ مل ١٦ : ٥) ، أو استيلاء تغلث فلاسر الثالث ملك أشور على جلعاد والجليل (٢مل ١٥ : ٢٩) عام ٧٣٤ ق.م تقريباً ولا توجد أية إشارة في هوشع عن وقوع إسرائيل تحت سيطرة أشور.

وقبل أن يبدأ هوشع خدمته بخمس سنوات تقريباً كان عاموس قد أكمل رسالته النبوية وأعلن قضاء الله على إسرائيل كلها. وربما كان النبيان هوشع وعاموس قد تقابلا كثيراً، أو أن هوشع كان يصغي إليه بعناية وهو حاضر بين مستمعيه، مما كان له أكبر الأثر على عقلية هوشع. وعلى وجه العموم يبدو واضحاً أنه تعلم الكثير من رسالة عاموس باستماعه إليه مما أيقظ في هوشع روح الغيرة نحو عمل ما هو جليل وحق أمام يهوه إلهه. وربما كان كان هذا أصل دعوة هوشع فقد تنبأ عاموس بالهلاك الذي سيصيب المملكة الشمالية، وعن موت يربعام الثاني بن يوآش الذي ازدهرت في أيامه المملكة سياسياً واقتصادياً وصلت إلى أوج مجدها في أيامه. وقد تنبأ عاموس النبي أيضاً عن سبي أشور لشعب إسرائيل (عاموس ٧ :١١)، ثم جاء هوشع وأبصر بعيني رأسه هذا الدمار. إذ يقع الجزء الأول من نبواته خلال الفترة الأخيرة من حكم يربعام حيث بدأ يخبو مجد إسرائيل ويخفت ضياؤها مما ترتب عليه حدوث فوضى سياسية بعد يربعام وبداية سلسلة من المؤامرات والاغتيالات، حيث اغتال زكريا شلوم، واغتيل زكريا نفسه بواسطة منحيم الذي طلب معونة الأشوريين ليستمر في الحكم (٢مل ١٥ :١٩) واغتيل فقحيا ابنه بواسطة فقح (قارن ٢ مل ١٧ : ١-٥) ٧٣٥ ق.م في تلك اللحظة اختفى هوشع النبي قبل المرحلة الأخيرة من سقوط المملكة الشمالية وسقوط السامرة عام ٧٢٢ ق.م تقريباً.

فمن الناحية التاريخية يعد سفر هوشع هاماً جداً، إذ يرسم صورة حية واضحة للحالة الاجتماعية في المملكة الشمالية، خلال الفترة الأخيرة من المملكة . حيث تنتشر الجرائم والفوضى، واللاأخلاقية وظلم الحكام. وبهذا يمكن القول إن النبي هوشع كان معاصراً لسقوط المملكة الشمالية، والشعب واقع في براثن الإثم والخطية وكل ظلم اجتماعي وفساد إخلاقي وفوضى في الحكم.

زواج هوشع

يرى البعض أن قصة زواج هوشع من جومر والتي تمثل ثلاثة أصحاحات من السفر أعقد المشكلات في الكتاب المقدس على الإطلاق فنقرأ الكلمات التي تكلم بها الرب إلى هوشع قائلاً «اذهب خذ لنفسك إمرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب» (١: ٢) وتزوج هوشع النبي من جومر. وولدت له ثلاثة أولاد، وأعطاهم أسماء رمزية وربما كان ابنه البكر هو ابنه الشرعي الحقيقي وبعد أن اكتشف هوشع أن امرأته غير أمينة معه رفضها، وقام بطردها فتركت البيت وسارت في طريقها، طريق الأثم وبيعت كأمة.

وكان بعد ذلك أن رآها هوشع، وأشفق عليها، واشتراها بثمن، وأعادها إلى البيت ثانية ، حيث عاشت بقية عمرها، تحت التقويم والتهذيب والتطهير، بدون هوية سواء كزوجة أو كأم.

والسؤال الآن: ماذا تعني هذه القصة؟ وإلى أي مدى يمكن أن تصل بنا ؟ وماذا يرى علماء الكتاب المقدس في ذلك؟ ولدينا الكثير من الآراء التي يمكن إيجازها فيما يلي:

١- يرى بعض العلماء، أن الرب طلب إلى النبي هوشع أن يتزوج بامرأة كان يعلم أنها ستكون زانية فيما بعد. وربما قصد الرب لهوشع من هذا الاختبار المرير والمؤلم أن يختبر النبي ماذا تعني المحبة الإلهية لشعب أثيم ومعاند. وهذا الرأي يقود إلى مشكلة وتساؤل آخر، هل هذا يعني أن اسرائيل كانت أمينة وبارة لله ثم انحرفت بعيداً عن إلهها كما هو الحال مع جومر؟

٢- إن قصة طلب الرب إلى هوشع، أن يتخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد زنى، لا تزيد عن كونها قصة غير واقعية

أو مجازية (قارن حزقيال ٤: ١-٣) وربما لا تزيد عن كونها مثلاً يهدف إلى توضيح حقيقة محبة الله لإسرائيل. كمحبة النبي لإمرأته التي سقطت في الشر والفساد، وتركت أليف صباها وحبيبها. وجرت وراء ما هو نجس ورجس بعيداً عن بيت الزوجية. وأما الشخص العادي فيقرأها كما لو كانت حقيقة تاريخية واقعة.

ويتساءل آخرون وهل من السهل على نبي أن يختلق قصة كهذه عن نفسه وزوجته ليعظ بها آخرين من أقرانه؟

٣- يرى وولف R.E.wolef أن جومر تركت البيت ولم تعد ثانية إليه. وختم مصيرها بالرجم. وهذا الرأي غير مقبول. لأنه لا يقدم تفسيرا لبقية السفر عن معنى محبة الله لشعب متقلب شرير وصلب الرقبة.

٤- ويرى فايفر R.H.Pfeiffer في كتابه «مقدمات العهد القديم»: أن جومر كانت بارة وطاهرة، عندما تزوجها هوشع، واستمرت هكذا إلى نهاية حياتها، إلا أنها دعيت زانية لما بها من نزوات وغرائز داخلية ولأنها تنتمي إلى شعب غير أمين لله، فاشتركت معهم بالتالي في عصيانهم.

أما عن المرأة التي ورد ذكرها في الأصحاح الثالث، فهي امرأة أخرى ليست جومر على الاطلاق. «وكانت كلمة الرب إلى هوشع أحبب امرأة حبيبة صاحب.. واشتريتها لنفسي...». وهنا يرى فايفر أن هوشع أخذ المرأة إذ اشتراها لنفسه بعد أن كانت مستعبدة، حيث أودعها في بيته، رمزاً لعبودية إسرائيل ومحبة الله لها. والمشكلة هنا أن القصة فقدت أيضاً المعنى الحقيقي من ورائها، ومحت معاناة هوشع، ومتاعبه النفسية، وجمال محبته لذات المرأة التي لا تستحق، كرمز لمحبة الله المتأينة ، لذات الشعب الذي سبق وافتداه لنفسه- إسرائيل يعود ويأثم هذه المرة ايضاً. إنه غير مستحق لهذه المحبة.

٥- يرى أندرسون B.W.Anderson أن هوشع النبي لم يكن مهتماً بموضوعه الشخصي، بل ذكر لنا شيئاً عن حياته الشخصية ليعطي لنا نموذجاً حياً لعلاقة الله بإسرائيل، والتي تحتل مركزاً رئيسياً في سفره. وهذا المثال الحي جاء في الأصحاح الأول بصيغة المتكلم. والسؤال الآن: هل الحديث في الأصحاحين يتناول إمرأة واحدة ؟ لأنه لم يذكر اسم المرأة في الأصحاح الثالث. وغير واضح أنها جومر. ويرى أندرسون أن عددي ١و٢ من الأصحاح الثالث ربما يعطيان انطباعا أنه سبق وورد ذكر المرأة قبلاً. والتعبير في العدد الأول «أحبب إمرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل»، يبين أن على هوشع أن يتصالح مع جومر مثل يهوه الذي يعيد إليه نفس الشعب المرفوض والمتغرب بآثامه.

ففي الأصحاح الأول يتحدث عن إسرائيل الخائنة وفي الأصحاح الثالث يتحدث عن محبة الله الثابتة غير المتغيرة مقابل عدم الأمانة.

هذه المشاعر المتدفقة بالمحبة، لم تظهر في حدث واحد. بل تمثلت في سلسلة أحداث متعاقبة، في علاقته مع جومر زوجته. لقد تزوجها هوشع في إيمان حسن. وكان له منها ثلاثة أولاد. وكما أعطى إشعياء أسماء رمزية لأولاده (إش ٧ : ٣ ، ٨ : ٣)، كذلك أعطى هوشع أسماء رمزية لأبنائه ، كعلامة تعبير لكلمة الرب لإسرائيل. فسمى الأول يزرعيل وفي وادي يزرعيل واجهت إيزابل مصيرها. «ولأنني بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل وابيد مملكة إسرائيل» (٤:١) ثم حبلت جومر وولدت بنتاً فقال الرب لهوشع أدع اسمها لورحامه، أي لا أعود أرحم بيت اسرائيل بل أنزعهم نزعاً، أما بيت يهوذا يقول الرب فأرحمهم وأخلصهم بالرب إلههم وليس بقوس وبسيف أو خيل وفرسان. ثم فطمت جومر ابنتها لورحامة، وحبلت فولدت ابناً آخر. فقال الرب لهوشع أدع اسمه لوعمي، أي ليس شعبي. لأنكم لستم شعبي يا بيت إسرائيل وأنا لا أكون لكم إلهاً. وبهذا أقطع الرباط القائم بين الشعب والرب. ومن جهة أخرى تعد مأساة حقيقية أصابت النبي، وهي خيانة زوجته له، إذ لم تعد تحبه وتعيش معه في البيت. ولقد ضلت إسرائيل طريق الرب، وفقدت سعادتها، ومجدها. ووقعت في الخزي والضلال، ثم ينتقل هوشع من الحديث عن أولاده،

في الأصحاح الأول، إلى الحديث عن خيانة زوجته في الأصحاح الثاني (هوشع ٢:٢). وربما يكون قد طلقها هوشع لخيانتها (٢ : ١-١٣). ورغم ذلك كان مستعداً أن يذهب إلى أبعد من الناموس، أن يغفر لها. وفي الأصحاح الثالث نقرأ بأن هوشع اشتراها وبعد فترة تهذيب وتطهير إعادها لنفسه ثانية كزوجة.

المحبة النازفة

لا يستطيع المرء أن يفهم سفر هوشع ورسالته، إن لم يذكر دموع رجل عظيم وقوى، على كل صفحة من صفحات سفره الذي كتبه. إنها المأساة من البداية إلى النهاية. غير أنها في ذات الوقت تعبير عن المحبة القوية والعنيفة في تسامحها وصفحها. هذه العلاقة الزوجية بينهما، إنما تعكس محبة الله للشعب وطول أناته وتضحيته.

لقد ربط الرب نفسه بهم برباط العهد، وهوشع وجومر برباط عهد الزواج، وقطع العهد. ولم تستطع جومر أن تبقى في البيت، ولا إسرائيل في أرض الموعد. وكما ذهبت جومر في طريق ضلالها وفسادها، ستحمل اسرائيل ثمرة عصيانها وعنادها، وتحمل إلى السبي.

ويتميز سفر هوشع بتقديم معنى الديانة وعبادة الرب. فهي تمثل رباطاً بين الله والإنسان مثل رباط عهد الزوجية. ومن قبل هوشع كان يخيم على الشعب- شعور الخوف والرهبة من الله، فهو الملك موضوع عبادتهم. وهو السيد وهم العبيد، ولا أكثر. والتعبير «الرب إلهكم» يعد محور هذه العبادة فهو لهم وهم له.

ويقدم هوشع الله للشعب، على أنه إله البر، إله المحبة العميقة المتألمة. وقد وصل تقديم جوهر هذه الطبيعة الإلهية، إلى قمته، بواسطة النبي إرميا. والعلاقة واضحة بين هوشع وإرميا النبي، فبالنسبة لهوشع، نجد محبة الله لكل شعب إسرائيل. أما بالنسبة لإرميا فنجد أن محبة الله تصل لكل فرد من الشعب.

وظهرت مشكلة عاموس النبي بوضوح، في كيفية التوفيق بين المحبة والناموس، بمعنى العبادة الطاهرة، العبادة من القلب، وإتمام الطقوس والذبائح، والعبادة في الهيكل التي أدانها بشدة كما سنرى في دراسة السفر الخاص به. أما بالنسبة لهوشع، فالمحبة أقوى من كل شيء، لذلك ظهرت مأساته الحقيقية، في صراعه بين العدل والنعمة وكما كان لهوشع: محبة ورحمة على جومر غير الأمينة، هكذا سيرحم الرب إسرائيل، ويخلصها من المصير المحتوم، برحمته المتألمة. وقد اختبر هوشع النبي جوهر طبيعة الله، التي تظهر ليس في العدل فقط بل في العدل والرحمة معاً.

ويبرز هوشع أيضاً في تعريفه للخطية، على أنها عصيان لكلمة الله، ومشيئته الصالحة، ينجم عنه عداوة الإنسان لله. ولا يوجد مثل هوشع في تعريفه للخطية بأنها أصل لكل الشرور، وأن أجرتها موت. لأن كلماته تخرج من قلب صهره الألم. ويرده في ذلك قوله «إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة» (٨ : ٧) والنفس التي تخطئ هي تموت. وهذا الاختبار الحي للنبي، يضفي ضياء أكثر لمحبة الله العميقة لشعبه، تلك المحبة العميقة في أبهى صورها، لكنها لا تخلو من القسوة التي نجدها في كل صفحة من سفر هوشع.

اسرائيل تكسر عهد سيناء

لم يكن الأنبياء، مثل هوشع، الذي اهتم كثيراً في نبواته لإسرائيل بالعودة دائماً إلى ناموس موسى، وإلى أحداث الخروج من مصر، والتيهان في البرية، والعهد مع الرب في حوريب، والاستطان في كنعان، لقد كانت هذه الأحداث كلها حاضرة في ذهنه كل الوقت، في تفسيره للأحداث وأحوال زمانه وربما نظر هوشع إلى نفسه على أنه خليفة موسى المفسر العظيم ووسيط العهد[1]. ويتجلى ذلك في كلماته عن اختيار النعمة الإلهية لإسرائيل، والتي ظهرت في تجربة الخروج. كما أن معرفة إسرائيل عن الله تأسست على هذا الاختبار «أنا الرب إلهك من أرض مصر» (هو ١٢ :٩)

(1) James Muilenberg, The Office of The Prophet In Ancient Isreal.

« وإلهاً سواي لست تعرف ولا مخلص غيري. أنا عرفتك في البرية في أرض العطش» (هو ١٣:٤-٥) وجده الرب «كعنب في البرية»(٩ : ١٠) .

وحدث الخروج يمثل علاقة خاصة بين الله وشعبه، فهو يشبه علاقة الأب بابنه : «لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابني» (١١ : ١) وقد ورد عن ذلك في سفر الخروج (٤ :٢٢) إلا أن هوشع هو أول نبي إسرائيلي يفسر العهد بين الرب يهوه وإسرائيل بأنها تشبه علاقة الزوج بزوجته وارتباطهما بعقد الزواج .

وفكرة الزواج المقدس، كانت معروفة زمن هوشع، كما جاء في علوم الأثار في قصص وروايات ديانة الخصوبة وعقيدة ممارسة الحب والزواج بين الآلهة والإلاهات في المعابد الكنعانية من خلال ما يطلقون عليه عنهم بالزنى المقدس كجزء من العبادة[1]. لهذا يأمر الرب شعبه بعدم الاختلاط بهم.

وحديث هوشع هنا عن زواج تاريخي، تم في البرية بين الله والشعب. فمفهوم وقيمة ومعنى هذا الزواج معروف لدى النبي تماما، فهو ليس مثل الممارسات الكنعانية، والعبادة في الهياكل الوثنية، والاعتقاد بزواج الآلهة والإلاهات، بل يفهم هوشع عمق ومعنى ارتباطه بجومر زوجته، وكما زنت جومر وضلت طريقها، هكذا إسرائيل كسرت عهد إلهها يهوه خلاصها وهذه مأساة تاريخية إذ نجمت عن هذا الفعل كل آلام ومتاعب إسرائيل التي اختارها الله لكنها صارت زانية «روح الزنى قد أضلهم وصاروا أجنبيين عن إلههم» (٤ :١٢) وساد الفساد الاجتماعي والفوضى السياسة وصارت الديانة جوفاء.

ويذهب هوشع إلى أبعد من ذلك ، فيدين ما حدث قديماً وما تأسس عليه حديثاً فيقول «من أيام جبعة أخطأت إسرائيل قالوا لا ملك لنا. كل شرهم في الجلجال ، أقاموا ملوكاً ليس مني» (٨ :٤، ٩:١٥، ٣:١٠، ٩) ضلوا فسقوا لا يرجعون إلى الرب إلههم، لا يطلبونه. مع كل هذا صار أفرايم كحمامة رعناء بلا قلب، يدعون مصر ويمضون إلى آشور (٧ :٣ -٧، ١٠، ١١) واعتمادهم الأحمق على القوات والحصون (١٤:٨): «اختلط أفرايم بالشعوب، أبتلع إسرائيل» (٨:٧، ٨،٩، ١٨:) فقاد روح الزنى هذا الشعب إلى الضلال والانغماس في الديانة الوثنية حيث اقترنت عبادة الشعب بعبادة الديانة الطقسية لآلهة الخصب، وفقدت إسرائيل العبادة الحقة والمحبة الخالصة الطاهرة لأنها فقدت أمانة العهد (خروج ٦:٣٤، مزمور ٨:١٠٣) فصارت محبتهم وأمانتهم للعهد كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكراً (٦ :٤). «إني أريد رحمة (محبة غير متقلبة.) ولاء[2] لا ذبيحة يقول الرب ومعرفة الله أكثر من محرقات» (٦:٦) وبهذا لم يكن هوشع ضد نظم العبادة الطقسية بل ضد العبادة الخالية الخاوية من الأمانة والحق والإتزار بالبر أمام إله العهد. ويسوع المسيح نفسه يطلب إلى مستمعيه أن يذهبوا ويقرأوا ثانية ما كتبه هوشع في (٦ :٦) «إني أريد رحمة أي (ولاء وأمانة) لا ذبيحة» عندما اشتكى عليه جماعة الفريسيين بأنه لا يتبع النظم والقواعد الدينية المرعية (قارن مت ١٣:٩، ١٢:٧).

لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض

يؤكد هوشع موضحاً أن أساس سقوط إسرائيل في رجسها ونجاستها هو أنها لم تعرف الرب (٤ : ١ ، ٦ ، ١١) ويقصد النبي بذلك علاقة العهد، معرفة الله التي تستجيب لاختياره للإنسان (عاموس ٣ :٤) «أياكم فقط عرفت» (اخترت) وبناء على هذا الاختيار الإلهي لشعب اسرائيل تم العهد الذي يتطلب أمانة وولاء من طرفي التعاقد ويتير هوشع بقوله « أنا الرب إلهك من أرض مصر إلهاً سواي لست تعرف ولا مخلص غيري. أنا عرفتك في البرية في أرض العطش» (١٣ : ٤ ،٥).

---

(1) B.W.Anderson, Understanding The Old Testament, pp. 184-186

(٢) وذلك حسب الأصل العبري أما الآية في الترجمة العربية فتقول «إني أريد رحمة لا ذبيحة»

لقد عانى هوشع وقاسى كثيراً من آلام عدم الفهم، فهو إنسان المشاعر الرقيقة العميقة. فلم تفهمه جومر زوجته ولا الشعب الذي أحبه هوشع والذي ترمز إليه جومر. وتظهر آلام هوشع في كتاباته، كما يظهر ألم الله من جهالة الشعب الذي أحبه وأشفق عليه، لكنه سار إلى الهلاك بسبب عدم فهمه لمحبة الله وحنانه : «هلك شعبي لعدم المعرفة» (٤ :٦).

ومعرفة الله التي ينادي بها النبي، تتطلب أمرين، أولا: المعرفة العلمية أو الكتابية أي التعرف على الله عن طريق آياته وعجائبه، أحكامه الرفيعة المجيدة ووصاياه وعهوده، حتى يتقي الإنسان الله فيكون له بر قدامه. الأمر أكد عليه موسى مشدداً «لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق، وحين تنام، وحين تقوم، واربطها علامة على يدك. ولتكن عصائب بين عينيك. واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث ٦ : ٤ -٩ قارن ٦ : ٢٠-٢٥) تلك مسئولية البيت والهيكل ليعلم من هو الله (١٣ :٤) وماذا فعل الرب لإسرائيل وماذا يطلبه الله من الشعب حتى يحفظ الشعب من الضلال. ويوجه هوشع نقده هذا إلى الكهنة لاهمالهم دورهم الأساسي وهو تعليم الشعب (٤ : ٥-٦).

وتتطلب معرفة الرب ثانياً إرادة عقلية من الإنسان، بمعنى معرفة القلب، وتعنى هنا، تجاوب الإنسان ككل لمحبة الله، أي طاعة الرب النابعة من السلوك في تقوى وخوف أمام الرب في المجتمع الذي يحيا فيه الإنسان حين يصرخ الفقير والمسكين من الظلم، الأمر الذي أوضحه إرميا قائلاً «أما أكل أبوك وشرب وأجرى حقاً وعدلاً حينئذ كان له خير قضى قضاء الفقير والمسكين حينئذ كان له خير أليس ذلك معرفتي يقول الرب» (إرميا٢٢:١٦). لكن إسرائيل صارت أجنبية عن الله. «أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم لأن روح الزنى في باطنهم. هم لا يعرفون الرب» (٤:٥) والباطن هنا يقصد به الفكر والشعور، والإرادة ، وعندما يتحقق قصد الرب يهوه، بعودة العهد تصبح اسرائيل للرب بمعرفته، والأمانة هي الطريق إلى ذلك- وكيف لإنسان أن يحيا بأمانة مع الله إلا بطلب الرب والرجوع إليه من القلب (٣ : ٥ ، ٦ :١، ٧ : ١٠ ، ١٤ :١).

افرايم موثق بالأصنام

«أفرايم موثق بالأصنام اتركوه» فبدلاً من أن يتعبد للرب ويحيا في بر أمام يهوه مخلصه، صار يقدم كل كرامة للبعل، والآلهة المزيفة الوثنية. إنها عبادة الطبيعة (ألوهية الكون) التي عبدها الشعب. اعتقاداً منهم أنها مصدر كل خير، وخصب ، ونماء، وهي ينبوع حياتهم ولم يدركوا أن كل مظاهر الخصب والنماء التي طلبوها من البعل. إنما هي من مراحم الرب المحب الذي أتي بهم من أرض مصر، أرض العبودية. ويظهر سقوط إسرائيل الموثق بالأصنام في السعي وراء محببيها ، كما فعلت جومر الخائنة وراء الآلهة الكنعانية آلهة الطبيعة بتأجير الزانية، سعياً للنجاح وطلباً للأمان، كما أوضح النبي في سفره بالأصحاح الثاني المتعلق بعبادة البعل التي ذاع صيتها على مر السنين. ولم يعد يفرق الشعب بين عبادة البعل وعبادة الرب الذي أخرجهم من العبودية. بل سعوا وراء شهوات قلوبهم «أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم» (٤:٥). لقد صاروا عبيداً للضلال وصار أفرايم (إسرائيل) موثقاً بالأصنام (٤ :١٧) وانعكس هذا على كل نواحي الحياة سياسياً واقتصادياً ودينياً . إنها إرادة مضللة وسلوك معوج، وأسلوب حياة يفتقر إلى القدرة على تغيير النفس. ولا أمل في بداية جديدة. ولابد من التدخل الإلهي لتعود للشعب قوته ونضارته من جديد (قارن ٤ : ١٣ ، ١٤ ،٥ :١١ ، ٤ : ١٢).

لقد أدرك هوشع كل هذا ، من واقع تجربته المريرة ، شديدة الألم بأن لقب ابنه الأصغر «لوعمي أي لستم شعبي وأنا لست إلهكم يقول الرب» (١ :٩).

والأصحاح الثاني من السفر يبدأ بإعلان هوشع الطلاق من زوجته الخائنة جومر بالقول : «ليست امرأتي وأنا لست

رجلها» (٢ :٢). وعقابا لاسرائيل يقول الرب : «لأني لأفرايم كالأسد ولبيت يهوذا كشبل الأسد، فإني أنا أفترس وأمضي وأخذ ولا منقذ» (٥ :١٤، ٧:١٣-٨) وأصبح لهم كالعث والسوس (١٢:٥) قد تنحى عنهم الرب (٦:٥) لا أعود أحبهم يقول الرب (١٥:٩).

هذه الإعلانات كلها إنما هي لإيقاظهم من غفلتهم وضلال طريقهم الفاسد وكل بلادة وحماقة وقعوا فيها:

«يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة» (٨ : ٧).

إن الرب يستخدم شعباً كآشور لتقويم الشعب ورده إلى صوابه وقد جاء في العهد الجديد هذا التعبير «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب ١٠:٣١). وهي كلمات تجسد سيادة الله الكاملة على الخليقة من جانب ومسئولية الإنسان الكاملة من جانب آخر، حتى يأخذ الإنسان حذره ويسير بأمانة أمام إلهه.

والنقطة الهامة المركزية، في سفر هوشع، هي أن غضب الله وإعلان قضائه، هو غضب منقذ، غضب مخلص ، وقصد الله منه ليس للدمار والهلاك، بل للبناء والغرس. فمن خلال أزماتهم التاريخية التي تهز أساسات اكتفائهم الذاتي، يتدخل الله ليحرر شعبه من عبوديتهم، ويردهم للحرية بولائهم للعهد. ومثلما فاقت محبة هوشع وصارت أعظم وأعمق من خيانة جومر زوجته، هكذا محبة الرب (يهوه) لإسرائيل، فهي محبة ثابتة، دائمة، محبة إلهية غير مغيرة، تكسر كل القيود التي أوثقتهم، للدخول بهم في حياة جديدة، وعهد جديد، وحرية جديدة. وعندما يتدخل الله ليحطم الوثن الذي وضع الشعب ثقته فيه (٢ : ٢ -١٣) يصبح إسرائيل شعبا للرب، يحيا في عرفان، واتكال على الرب، الذي فداهم من أرض العبودية، والذي يسد كل احتياجاتهم في أرض كنعان.

«لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني».

ينتقل هوشع من تشبيه العلاقة بين الرب واسرائيل بعلاقة الزوج بزوجته عهد وثيق الربط إلى علاقة أب بابنه. إن الرب الذي كان وراء وجود اسرائيل وهو العامل في التاريخ منذ البدء معطياً إياها حياة ومعنى وقيمة لهذه الحياة، ففي الجزء الأول من الأصحاح الحادي عشر من (١-٤) يقول الرب «اسرائيل ابني البكر» (قارن خروج ٢٢:٤-٢٣) والرب مثل أب احتضن الطفل وعلمه السير. في عدد ٤ ويتحدث عن ربط المحبة بالقول «مددت يدي مطعما إياه». ومن (٥-٧) نجد عناد الصبي أي إسرائيل وإصراره على البعد، وحاجة اسرائيل للتهذيب والتقويم «انقلب على قلبي اضطرمت مراحمي جميعاً» لأجل ذلك سيحل العقاب على ابني اسرائيل من مصر وأشور، البلاد التي جعلها اسرائيل متكله واعتماده في خلاصه السياسي. ومن عدد (٨-٩) نجد أن الرب لا يترك إلى النهاية ولن ينضب معين محبته ولا يريد أن يكون مصيرها كادمة وصبوييم أيام سدوم وعمورة (تك ١٩:٢٤،٢٥، تث٢٩:٢٣) لأن أساس قضاء الرب هو المحبة التي تشبه محبة الأب لابنه عند تأديبه. ويعد هذا وصفا للمعاناه الدائرة داخل هوشع مع جومر زوجته الخائنة لكن المحبة تنتصر في النهاية فلا تدع اسرائيل تمضي في طريقها هكذا «لأني الله لا إنسان، القدوس في وسطك فلا آتي بسخط للهدم أو للهلاك» وهذا لا يمثل تناقضا عند هوشع بين الغضب والمحبة، فمحبة الله لإسرائيل لها جانبان، جانب القضاء بالعدل والجانب الآخر المضيء جانب الوعد بالتجديد (١١:١٠-١١) «وراء الرب يمشون .. يسرعون كعصفور من مصر أرض العبودية. وكحمامة من أشور أرض السبي فأسكنهم في بيوتهم يقول الرب».

بالعودة إلي البرية يتجدد العهد

بالرغم من خيانة جومر كما سلفت الإشارة فإن هوشع كان يحبها. وفي هذا وجد هوشع تشابها له في العلاقة بين يهوه وإسرائيل، لأن الرب يحب الشعب بشدة رغم أنهم يتعلقون بآلهة أخرى «محبون لأقراص الزبيب» (١:٣) الطعام الذي كانوا يستخدمونه في العبادة الطقسية للبعل إله الخصب. فخلصها هوشع وأعادها لنفسه، وأجلسها في البيت للتقويم والتطهير حتى لا تذهب للنجاسة. إذ يقول لها «تقعدين أياما كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل وأنا

كذلك لك» (٣:٣) كذلك اسرائيل ستجتاز فترة تهذيبها وتقويمها فيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة أو تمثال وبلا أفود وترافيم (عدد ٤) وفي هذا إشارة إلى الظروف السياسة والدينية حين تحمل إلى السبي وتواجه هناك معاناتها وآلامها.

وفي الأصحاح الثاني يتحدث هوشع في لغة واضحة. حيث فشلت كل المحاولات لإبعاد جومر زوجته عن محبيها الذين ارتبطت بهم بشدة وزعمت أن كل ما تتمتع به هو من أفضالهم، وبإخلاصها لهم ستحصل على المزيد من السعادة. إنها ذات إسرائيل وموقفها من إلهها يهوه خلاصها الذي نسيته وتعلقت بالبعليم. ويسعى الرب لإرجاعها إليه بكل السبل رغم كل رجاستها فيقول: «هأنذا أتملقها وأذهب بها إلى البرية وألاطفها وأعطيها كرومها ووادي عخور باباً للرجاء، وهي تغني هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر» (٢ : ١٤ -١٥).

«أذهب بها إلى البرية يقول الرب» والحياة في البرية محفوفة بالمخاطر. ورجل الإيمان يتذكر أن الحياة تعتمد كلية على عناية الرب ومراحمه. وقد رأى هوشع البرية كمكان هام ومناسب لبداية جديدة، وهناك يتحدث إليها بلطفه وفي السكون حيث يعيد إليها كرومها فتعلم أن كل البركات العديدة التي تتمتع بها هي من عطايا إلهها ومن نعمته. هناك في البرية يدخل الشعب باب الرجاء الذي يقود إلى مستقبل آمن وحياة ملؤها الفيض من محبة الله. باب الرجاء هذا هو وادي عخور قديماً (وهذا الوادي يقع ربما على البحر الميت مباشرة) حيث دفنت الخيانة (يش ٢ : ٢٤ -٢٦) ولعله يصير بابا للرجاء لإسرائيل بعد أن تدفن خيانتها وترجع إلى الرب خالقها وفاديها.

وكما أن حياة إسرائيل بدأت في البرية هكذا في البرية ثانية بعيداً عن كل المغريات والتجارب تتجدد حياتها. والتاريخ الطويل الحافل بكسر عهد الرب سوف ينتهي هناك في البرية. ولعل إسرائيل تصغي إلى محبة الرب ودعوته في البرية كما استجاب الشعب قديماً في ثقة وعرفان أيام الخروج من العبودية. وهناك في البرية تعود إسرائيل إلى الرب ويتجدد عهد الارتباط مع إلهها وبواسطة محبة الله الفائقة الغالبة تعود لاسرائيل علاقتها كزوجة بالعدل والحق والإحسان والمراحم «أخطبك لنفسي إلى الأبد..أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب» (١٩:٢- ٢٠) ويكون في ذلك اليوم أني أستجيب يقول الرب أستجيب السموات وهي تستجيب الأرض، والأرض تستجيب القمح والمسطار والزيت وهي تستجيب يزرعيل وأرحم لورحامة وأقول للوعمي أنت شعبي وهو يقول أنت إلهي (٢١ - ٢٣) عندئذ تغني إسرائيل هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر (٢ : ١٥ب) وفي سعادتها هذه تتذكر عهد الرب إلهها وكلماته لهم «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ، فالآن إن سمعتم صوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خروج ١٩ : ٤-٦) ويحفظها هذه الكلمات يعلو صوتها في الغناء ويزداد ابتهاجها ويكمل فرحها.

يوئيل

يوئيل ومعناه: الرب هو الله، ولا يُعرف الكثير عن والده فثوئيل (١ :١). والاسم يوئيل تردد كثيرا في الكتب المقدسة فهناك ما يزيد عن اثنى عشرة شخصاً حملوا هذا الاسم (قارن ١صم ٨ :٢، عزرا ١٠:٤٣، ١أخ ٤:٣٥). ورغم اهتمامه بالعبادة الهيكلية إلا أنه لم يكن كاهنا، فقد ميز نفسه عنهم مخاطباً أياهم معترضاً «تنطقوا ونوحوا أيها الكهنة» ولولوا يا خدام المذبح (١٣:١) وفي (١٧:٢) يخاطبهم بالقول «ليبكِ الكهنة خدام الرب». ولهذا اعتبر يوئيل نبي الهيكل.

أقسام ومشتملات السفر

يلمس الدارس لسفر يوئيل اهتمام النبي بتقديم التعاليم الهامة التي كان لها أعظم الأثر في أسفار العهد الجديد. فهو ينادي بحياة متوازنة متسقة، بل ومتكاملة، بين شكل العبادة الظاهري والحياة الداخلية التطبيقية. كما أن الله يظهر ذاته ليس فقط في سيادته على الكون، وتسخيره للطبيعه وعمله في التاريخ، بل أيضاً من خلال روحه الاقداس العامل في الإنسان. ويمكن تقسيم السفر إلى قسمين:

أولاً: ضربة الجراد والوعد بالبركة (١ :١-٢ : ٢٧).

١- الوباء المدمر (١ :١ -١٢).

٢- دعوة إلى التوبة (١ : ١٣ -٢٠).

٣- انذار باقتراب يوم الرب (٢ : ١-١١).

٤- دعوة إلى توبة حقيقية (٢ :١٢ -١٧).

٥- وعد بالتدخل الإلهي لافتقاد الشعب بالبركات (٢ :١٨ -٢٧).

ثانياً: البركة لإسرائيل مستقبلاً وعقاب الشعوب (٢ : ٢٨ - ٣:٢١).

١- انسكاب الروح القدس (٢ : ٢٨ - ٢٩).

٢-.علامات يوم الرب والخلاص الأكيد للأمين (٢ : ٣-٣٢).

٣- المحاكمة لشعوب صور وصيدون ومدن فلسطين على خطاياهم (٣ : ٤ -١٦أ).

٤- البركة ليهوذا (٣ : ١٦ ب-٢١).

تاريخ النبوة والكاتب

لم يؤرخ سفر نبوة يوئيل، لهذا كان من الصعب على العلماء تحديد زمن كتابة السفر. ويرجح بأن السفر كتب ما بين عام ٥٠٠ -٣٥٠ق.م. والحقيقة الهامة أنه لم يرد شيء عن أشور أو بابل بالسفر في الوقت الذي كانت تمثل فيه أشور قوة عظمى عام ٧٦٠ق.م . كما أن الامبراطورية البابلية سقطت بعد عام ٥٣٧ ق.م ولم يرد عنهما شيء على الإطلاق. ويعتقد العلماء أن السفر كتب زمن ما بعد السبي بكثير، أي بعد زمن عزرا ونحميا ٤٥٨- ٤٤٣ ق.م ، ويبدو من السفر بأن السبي حدث تم في الماضي إذ يقول «أجمع كل الأمم وأنزلهم إلى وادي يهوشافاط وأحاكمهم

على شعبي وميراثي إسرائيل الذين بددوهم بين الأمم وقسموا أرضي» (٣ : ٢-٣).

والإشارات العديدة الخاصة باليونانيين واستعبادهم للسوريين (الأراميين) (٣ : ٦-٨) الذين بيعوا في اليونان خلال القرن الخامس والرابع ق.م وعدم ذكر أي ملك وإظهار دور الكهنة يشير إلى تاريخ متأخر. والتشابه بين عاموس (٢:١ ، يوئيل ٤ :١٨ ، عاموس ٩ :١٤) ربما يعني أن يوئيل اقتبس من عاموس. ولهذا يرى العلماء أن سفر يوئيل كتب بواسطة يوئيل ما بين عام ٤٥٠ - ٣٥٠ ق.م أي ما بين عزرا الكاتب والإسكندر الأكبر.

وعن وحدة السفر يرى بعض الباحثين أن الحديث الخاص بالجراد ينسب إلى يوئيل، أما ما جاء عن يوم الرب فينسبونه إلى شخص آخر. ولا يوجد ما يدعو إلى ذلك لأن هناك تطابقاً بين جزئي السفر في حديثه عن الجراد كوباً، وحديثه عن الأعداء الوثنيين في الجزء الثاني من السفر (الأصحاح الثاني والثالث).

كما ورد حديثه عن يوم الرب في كلا الجزئين (قارن الأصحاح الأول والعدد ١٥ والأصحاح الثاني عددي ١-٢ وعددي ١٠-١١).

أما عن ظروف الكتابة : فهي ضربة الجراد القاتلة التي عمت البلاد وكانت بمثابة مأساة رهيبة مفجعة لا توازيها ضربة على الإطلاق، فقد كانت مصحوبة بقحط وجفاف شديدين، رآها يوئيل أنها عقاب من الله. ويصف يوئيل هذا الجيش من الجراد الذي هجم وافترس بشراسة وقضى على الأخضر واليابس، بأنه إنذار وعلامة باقتراب يوم الرب العظيم لذلك ويحث الشعب أن يرفع مرثاة، أن ينادي بصوم وتذلل عظيم أمام الإله الرحيم.

وقد تعددت الآراء حول تفسير ضربة الجراد ويمكن إيجازها فيما يلي: يرى جورج أدم سميث وآخرون وهم من أصحاب التفسير التاريخي إذ يؤمنون بأنه تم حرفياً في التاريخ وأن ضربة الجراد كانت ضربة حقيقية وتمت بالفعل.

التفسير المجازي

ويأخذ به كثيرون وعلى رأسهم E.B.Pusey ويرجع تفسيرهم هذا إلى ما عثر عليه في مخطوطة يونانية في القرن السادس "Greek Codex Marchalianus" التي ورد بها الربط بين الكلمات الواردة عن الجراد في (٢ :٢٥) وبين الغزاة من المصريين والبابليين والأشوريين واليونان.

التفسير الرؤوي

وهو يقول إن يوئيل النبي يتحدث عن الجراد كتعبير عن غضب الله المعلن على فجور الناس وإثمهم. وسيحل عليهم العقاب في آخر الأيام بالهجوم عليهم من جيوش الأعداء المحيطة بهم. وهذا التفسير يرفضه الكثيرون لأن الحديث عن الجراد كما ورد في الأصحاح الأول (١٥-٢٠) يظهر تأوه النبي لاقتراب يوم الرب ويشبهه بالخراب إذ وقع أمامه بالفعل وهو شاهد عيان فيقول: أما أنقطع الطعام تجاه عيوننا؟ وهي لغة تشير إلى أن الأمر قد تم فعلاً انهدمت المخازن ..تئن البهائم ..النار أكلت مراعي البرية .. اللهيب أحرق جميع أشجار الحقل..جداول المياه جفت.

وضربة الجراد هذه لم يسبق أن حدث مثلها (٢:١-٤)، إذ افنت كل شيء (قضت على كل شيء) . ولم يعد شيء لمحرقات. ودعا النبي الشعب بجملته وبكل طبقاته أن ينوحوا، ويفيقوا من سكرهم، مولولين على ما أصابهم من جراء أثامهم (١٢:٥)، وهذه الكارثة تعد إنذارا باقتراب يوم الرب (١ : ١٣-١٤) إذ لا يوجد طعام أو ماء حتى أن البهائم تصرخ من جراء ذلك (١٦ - ٢٠).

ويدعو النبي كل الشعب مردداً، مرة أخرى، كلماته، بأن ما وقع وأصابهم هو من جراء خطاياهم. ويدعوهم إلى التوبة والصراخ إلى الإله الرؤوف والرحيم (٢:١-١٤) وعلى الجميع، الشيوخ والأطفال وراضعي الثدي والكهنة أن يبكوا وينادوا باعتكاف مع صوم حتى يرفع الرب عنهم هذا العقاب (١٥:٢-١٧). فيغار الرب لأرضه، ويرق لشعبه،

ويطمئنهم بوعده بأن يرسل لهم القمح والزيت، والطعام الوفير، ولا يجعلهم عاراً بين الشعوب. ويرسل بغزارة المطر فتعطي الأرض من أثمارها للإنسان والحيوان إعلاناً عن حضوره بينهم وعن محبته ولطفه عليهم (٢: ١٨-٢٧).

من هذا كله نخلص بأن ضربة الجراد كانت حدثاً تاريخياً تم بالفعل أيام يوئيل فيقول «أما انقطع الطعام تجاه عيوننا الفرح والابتهاج عن بيت إلهنا» (حيث لا طعام أو ذبائح لتقديمها كمحرقات في الهيكل) (يوئيل ١ :١٦).

رسالة السفر

من أهم التعاليم التي يقدمها السفر هو قدرة الله الفائقة في استخدام الطبيعة لبركة الإنسان، وإمداده بكل ما يطلب، وفوق ما يطلب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى عقاب الإنسان الشرير على بعده وزيغانه وعدم أمانته لله الأمين والمحب والرحيم، وذلك عن طريق الطبيعة أيضاً.

التوبة من القلب

ورد الكثير من تعاليم يوئيل النبي في أسفار أنبياء ما قبل السبي، أن الكوارث الحالة بالإنسان هي ثمرة خطيته. ولا يمكن النجاة أو الفرار من هذه الكوارث إلا بالتوبة الصادقة الخالصة، التي تحظي بمرضاة الله ومسرته، لأن غضب الله معلن على جميع فجور الناس وأثمهم وهو يدعو إلى التوبة والرجوع اليه لأنهم قد نسوه. وهذه الكوارث تتمثل في زلازل، أعاصير، جفاف، فيضان. وكثيراً ما ينسى الإنسان أن سلامه وأمانه هو في الله المخلص.

ودعوة يوئيل إلى التوبة تكررت مرتين (قارن ١:١٣-١٤)، (٢:١٢-١٧). ويحث يوئيل الشعب على الصوم والصلاة في الهيكل، بقيادة الكهنة وينبر على أهمية العبادة الطقسية، وتقديم الذبائح في الهيكل، مثل بقية أنبياء ما بعد السبي(حجي وزكريا وملاخي). ويعبر عن حزنه العميق لعدم إمكانية تقديم المحرقات والذبائح لإنعدام الخامات اللازمة لذلك فلا طعام ولا ذبائح ممكنة، فقد تلف الحقل... فلا حنطة ولا شعير ولا قمح لأنه قد تلف أيضاً كل أشجار الحقل... كل أشجار الحقل يبس... ويبست البهجة من بني البشر... انقطع الطعام... الفرح والابتهاج انقطع عن بيت إلهنا (قارن ١:٩، ١٦، ٢:١٤-١٧) ولا يمكن أن تعود للشعب بهجته وأفراحه إلا بأن يزيل الرب، ويرفع عنهم سخطه وغضبه. ويمحو كل ظلام وقتام من على كل الأرض. عندئذ يمكنهم أن يعودوا إلى تقديم ذبائحهم ومحرقاتهم ويعبدوا الرب (٢:١٤) وهل هذا يكفي لمرضاة الرب وينال الإنسان بواسطته قبولاً لدى الله؟

يؤكد النبي على ضرورة هذه العبادة الطقسية، وأهميتها واستمرارية تقديم الذبائح. وقد تحدث إشعياء النبي كثيراً وأدانها إن لم تكن مصحوبة بالطاعة والأمانة لله. فيقول: «لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب، أتخمت من محرقات كباش، وشحم مسمنات، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر ... من طلب هذا من أيديكم ... البخور هو مكرهة لي ... لست أطيق الأثم والاعتكاف، رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صارت عليّ ثقلا، مللت حملها فحين تبسطون أيديكم... أيديكم ملآنة دما (إش١:١١- ١٥ قارن أيضا الأعداد ١٦-٢٠). وفي هذا يتكلم الرب على فم عاموس بغضب «كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم» (عاموس٥:٢١) وهوشع النبي يردد قول الرب «أني أريد رحمة (محبة غير متقلبة) لا ذبيحة» (٦:٦)، قارن (١صم ١٥:٢٢-٢٣)، ومز ٥٠:١٢-١٥)، (مز٥١ :١٦-١٧).

يرى يوئيل النبي أن العبادة الطقسية الهيكلية غير كافية. ويدعو إلى التوبة من الأعماق، أي من القلب. ويتحدث عن فم الرب قائلاً «ارجعوا إلي بكل قلوبكم بالصوم والبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب لأنه رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ونادم على الشر» (٢ :١٢ -١٤). وربما تهذب يوئيل بما جاء في سفر الشريعة الذي لموسى على فم الملاك القائل له «الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف غافر الإثم والمعصية والخطية» (خروج ٣٤ :٦-٧). ونادم على الشر (يونان ٤:٢) وتتمثل

محبة الله في رأفتـه ورحمتـه نحو الإنسان كما يراها يوئيل في أنه بطيء الغضب ونادم على الشر (٢ :١٣ ب) بمعنى أن الرب يرحم ويرق للإنسـان فلا يقع عليـه شر لأنـه تراجع أمام الرب من القلب عن شر (يونان ٣:١٠) وفي موضع آخر نجد أن الله ليس من طبيعتـه الندم بمعنى أنـه يفعل ما يقول ويفي بما يتكلم لأنه أمين وصادق - قارن (عدد ٢٣ :١٩).

يوم الرب

يرى يوئيل في كارثة الجراد إنذاراً باقتراب يوم الرب «آه على اليـوم لأن يوم الرب قريب يأتي كخراب..» (١٥:١) «وليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب يوم ظلام وقتام يوم غيم وضباب» (٢:٢). «قدامه ترتعد الأرض وترجف السماء، الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها» (١٠:٢) «لأن يوم الرب عظيم ومخوف جداً فمن يطيقه» (١١:٢). وأمام هذا القضاء الرهيب يدعو يوئيل الشعب إلى التوبة (١٢:٢-١٧) بأن يرجعوا إلى الرب، بصوم وبكاء، وأن «يمزقوا لا ثيابهم بل قلوبهم». ولا شك أن يوم الرب هذا له جانب آخر فيـه تبارك إسرائيل كشعب للرب، أعلن توبته الصادقة من القلب، وفي بساطة وإخلاص لله لا في حكمة جسدية هذا يشبه ما جاء في العهد الجديد (٢كو ١:١٤ وعب ١٠:٢٥).

ويكون في ذلك اليوم نفسه أيضاً أن الجبال تقطر عصيراً، والتلال تفيض لبناً، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء. أما عن أراضي الأمم فتصير خرابا وقفراً من أجل ظلمهم لبني يهوذا اللذين سفكوا دماً برئياً في يهوذا (قارن ١٨:٣-٢٠).

وقد انطبع تأثير كلمات يوئيل عن يوم القضاء العظيم (يوم الرب) في أسفار العهد الجديد- قارن (يوئيل ١٠:٢، مت ٢٤ :٢٩، مرقس ٢٤:١٣، لوقا ٢٥:٢١، رؤيا ١٢:٦، وفكرة الحصاد يوئيل ١٣:٣، مت ٣٩:١٣، رؤيا ١٩:١٤ والحديث عن الينبوع يوئيل ٣ :١٨، ورؤيا ١:٢٢).

وللتوبة ثمرها المتكاثر فبعد أن رفع الشعب صلاته من القلب والتمس غفران وصفح الرب، معلنا توبته الخالصة صار الرب غيوراً لأرضه ورقيقاً لشعبه ويجيب الرب بقوله «هأنذا مرسل لكم قمحاً ومسطاراً وزيتاً لتشبعوا منها... ولا أجعلكم عاراً بين الأمم» (١٧:٢- ١٩) ويصبح الرب في وسطهم يسير معهم وأمامهم فيحرز لهم النجاح والنصرة (قارن ٣٢:٢، ١٦،٣) لأن التوبة يعقبها ازدهار ونجاح وتعم البركة فيأتي المطر في وقته المعين والحقول تمتلأ بالغلال. والرب يعوض عن كل السنين التي أكلها الجراد. «فتأكلون وتشبعون... وتسبحون اسم الرب إلهكم الذي صنع معكم عجباً» (٢٥:٢-٢٧) وتعلمون أني أنا في وسطكم ولا يخزى شعبي إلى الأبد. أنه تأكيد لوعد الرب بالخلاص والنجاة بعد التطهير من النجاسة، والرجوع إليـه من كل القلب والقدرة والنفس والعقل (١٢:٢-١٤). وستكون أورشليم المدينة المقدسة آمنة من كل ظلم الشعوب الأجنبية (٣ :١٧) وينابيع المياه التي تفيض من الهيكل (١٨:٣) فسرها النبي حزقيال ببركات روحية (١:٤٧-١٢) (قارن رؤيا ١:٢٢-٢) وسيسكن الرب في وسط صهيون الممجدة إلى الأبد كمصدر لهذه البركات كلها (٢١:٣). إلا أن أورشليم الجديدة التي يسكنها الله ستضم جميع المفديين والأمناء من كل أمة ولسان وليس فقط من شعب يهوذا (رؤيا ٢١ : ٢٤ -٢٧).

«لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص» (٢ :٣٢): تتجلى في هذه الكلمات الخالدة أن خلاص الإنسان يعتمد على نعمة الله العاملة في الإنسان بالإيمان، فالإنسان يدعو إلهه فيجيبه من السماء بخلاصه. ويتفق ذلك مع قول المرنم «أدعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز ٥٠:١٥) وأي ضيق أشد وأكرب من هذه المأساة التي يحيا فيها الإنسان أيام يوئيل. إنه ظلام وقتام إذ تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم (٣١:٢).

إن دعوة الإنسان لإلهه هي طريق الهروب من الضربات اللاحقة (١٧:١٢) ويستخدم بطرس الرسول في يوم

الخمسين، ذات الكلمات في دعوته لكل الشعب، أن يتوبوا ويعتمدوا لمغفرة الخطايا(أع ٢ : ٢١) وبولس الرسول أيضا يدعو الجميع للخلاص الإيمان، بغض النظر عن الجنس والزمان والمكان. لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى لأنه لا فرق... لأن ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص (رو مية ١٠ : ١٠ -١٣).

هذه الدعوة التي أعتقد أنها قاصرة على الإسرائيليين فقط صارت الآن شاملة لكل إنسان من كل لون ولغة .. «كل الذين على بعد كل من يدعوه الرب إلهنا »(أع ٣٩:٢) ، هذا الخلاص المتاح لكل من يدعو باسم الرب، لا يقتصر على النجاة من كل ضيق مادي أرضي، بل يتبعه شيء آخر أمجد وأكمل.

انسكاب الروح القدس

«ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضا وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام » (٢ : ٢٨-٢٩).

ويكون بعد ذلك؛ إنها فترة زمنية لا يعرف مداها، وماذا يقصد النبي بكلمة تلك التي يشير إليها؟ ..لعل الآيات السابقة من (٢٣ - ٢٧) تكشف عنها بعض الشيء بمعنى أن الشعب سوف ينعم ببركات مادية وبركات روحية بعد ذلك.

هذه البركات المادية تتجسد في دعوة النبي يوئيل للشعب، أن يبتهجوا ويفرحوا بالرب إلههم، لأنه يعطيهم المطر المبكر والمتأخر(عدد ٢٣) فتمتلأ البيادر حنطة، وتفيض حياض المعاصر بالخمر والزيت (عدد ٢٤)ويعلن الرب وعده للشعب قائلاً: «وأعوض لكم عن السنين التي أكلها الجراد.. الذي أرسلته عليكم فتأكلون أكلاً وتشبعون وتسبحون اسم الرب الهكم» (عدد ٢٥ -٢٦).. بعد ذلك «أسكب روحي على كل بشر» ويتحدث النبي حزقيال متنبأ عن انسكاب روح الرب على شعبه بعد جمعهم من أراضي أعدائهم، والعودة بهم إلى أرضهم، أرض يهوذا، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، ولا يترك واحد منهم - «ولا أحجب وجهي عنهم بعد لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرب» (حزقيال ٣٩ : ٢٩).

تنبأ النبي إشعياء عن الروح المنسكب من العلاء، بعد أن عم الخراب وحل الشوك والحسك ، في كل مكان فتتحول البرية إلى بستان، وسيسود الحق ويعم السلام والطمان، ويسكن الشعب في سلام، وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة. ويطوب النبي الزارعين على المياه فترعى البهائم طليقة (قارن إش ٣٢:١٥- ٢٠).

وفي هذا يرى العلماء أنه بعد أن أصبح الناس في عيش متسع وبعد اجتيازهم حالة البؤس والكرب تتم النهضة الحقيقية في حياتهم. بعد تلك الأيام يسكب الرب روحه على كل بشر. عندئذ يجد طريقه إلى قلوبهم . لأن الخطوة الأولى تجاه ديانة حقيقية هي صنع الحق والعدل. وقد عبر عن ذلك موسى النبي في موقفه من الشعب الذي لم يسمع له من صغر النفس ومن العبودية (خروج ٦ :٩).

ويتساءل العالم الكتابي ريموند كالكنز Raymond Calkins كيف يستمع الناس إلى صوت الرب وهم لا يجدون القوت الضروري، ويردد قائلاً: إنه لمن الوثن أن نتوقع من الناس أن يكونوا جوعى لله ما داموا جوعي للخبز. إنها رسالة يوئيل إلى عالم اليوم.

وفي القديم عبر النبي موسى عن أمنيته لكل شعب الرب أن يتنبأوا، إذ جعل الرب روحه عليهم(عدد ١١ : ٢٩) «أسكب روحي على كل بشر» (جسد) وربما تعني هذه الكلمات انسكاب روح الرب على كل إنسان (إش ٤٠ : ٥).

غير أن النبي يستطرد ويقول «فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى» وتلك هي

الخصـوصية لأن الشعوب الوثنية ستهلك وهذه الحقيقة تجد طريقها في كلمات الرب يسوع المسيح «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ١٥:٢٤) ولماذا يركز اهتمامه على جماعة اليهود فقط وإنجيله وكرازته إلى كل بشر وهل عند الرب محاباة؟

حاشا ..إن قصد الرب هو إعداد هذه الجماعة القليلة الضالة لتكون مستعدة أن تنتشر في كل الأرض لتعلن محبة الله وإنجيله إلى كل العالم «أنتم شهودي يقول الرب» (إشعياء ٤٣ :١٢) نور للعالم وملح للأرض (قارن متى ٥: ١٣ -١٤).

عاموس

يعد عاموس أول الأنبياء الذين سجلوا كتاباتهم في أسفار تحمل اسماءهم. وكرازاته التي تمت خلال القرن الثامن ق.م كانت لها أهمية خاصة، إذ كانت مقدمة لنجاح خدمة الأنبياء. وكان لنبوة عاموس في رأي كثير من العلماء التأثير الكبير على الفكر العبراني، وعلى تطور الديانة العبرانية. فقد أيقظ عاموس روح النبوة التي دامت من بعده ما يقرب من خمسمائة عام. ولم تكن هناك في زمانه أية كتابات نبوية تأثر بها كما لم تكن له خبرة مدارس الأنبياء، رغم أن أنبياء كثيرين سبقوه مثل إيليا وأليشع وميخا بن يملة وآخرون قاموا برسالتهم في التصدي للعبادة الوثنية وكل أنواع الخطأ أمام الرب يهوه. غير أن هؤلاء الأنبياء لم يكتبوا شيئاً من (أو عن أعمالهم).

واسم عاموس عبري يعني حامل أو محمول. وربما كان المقصود أنه محمول على أذرع رحمة الله الأبدية التي تعينه على حمل رسالة الحق والعدل.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : أقوال عاموس التي رأها ضد الشعوب (١: ١-٢ : ١٦).

١- مقدمة (١: ٢ ،٣).

٢- عقاب الشعوب المجاورة (١: ٣ - ٢ :٣).

٣- عقاب يهوذا (٢: ٤ -٥).

٤- عقاب إسرائيل (٢: ٦- ١٦).

ثانياً : ثلاثة أقوال ضد إسرائيل (٣ :١-٦ :١٤).

١- إعلان الدينونة (٣: ١-١٥).

٢- فساد إسرائيل وفجورها (٤ :١-١٣).

٣- رثاء على خطيتها وظلامها(٥ : ١-٦ :١٤).

ثالثاً: الرؤى الخمس عن حالة اسرائيل (٧ :١-٩ :١٠).

١- الجراد الملتهم (٧: ١-٣).

٢- النار المشتعلة (٧ : ٤-٦).

٣- رؤيا المذبح (٧ : ٧-٩).

٤- صراع عاموس (٧ : ١٠ -١٧).

٥- سلة الفاكهة التي للقطاف (٨: ١-١٤).

٦- دينونة رب الجنود (٩ : ١- ١٠).

رابعا : الوعد بعودة اسرائيل (٩ :١١ -١٥).

الراعي من تقوع

يعد عاموس النبي في نظر العلماء ظاهرة روحية فريدة أصيلة، ولقب بأنه أروع شخصية بلا منازع، رغم أنه

الراعي وجاني جميز(١ : ١ ،٧: ١٤).

جاء عـامـوس من الجنوب مملكة يهـوذا وعـاش في تقـوع البلدة الـكائنة حاليـا بـنفس الاسم. وتبـعـد مـا بين عـشرة وخمسة عشرة كيلو مترا جنوب بيت لحم وعشرين كيلو مترا من أورشليم. وهي منطقة غير خصيبة. وكانت تقوع أيام رحبعام منطقة حامية لأورشليم (٢ أخ ١١ :٦) وجاء عن يهوشافاط قائد قوات يهوذا أنه قاد جيوشه تجاه برية تقوع، ليصد هجمات الغزاة من مرآب وعمـون (٢ أخ ٢٠ :٢٠)وبرية تقـوع تقع إلى شرق التلال والجبال المحيطة بـالبحر الميت، وفي الأودية بين الجبال كانت ترعى مجموعات الأغنام والماعز ومن بين رعاتها عاموس (١:١). وقد أتاح له هذا العمل فرصة العيش في الخلاء في الهواء الطلق، وسماع زئير الأسد، وهجمات الحيوانات المتوحشة على الحيوان المسكين المستأنس والمستضعف لتفترسه. كما أنه اختبر لسعة حر النهار وبرودة الليل القارس. كما أن احتكاكه مع الرعاة من رفاقه، أعطاه خبرة ودقة في التعبير لتحليل المواقف، إلى جانب ارتحاله إلى الشمال، واحتكاكه بالتجار ذهابا وإيابا من وإلى مملكة إسرائيل، وهو راع متضع لا يُعرف شيء عن عائلته، فهو لم يتعلم أكثر مما حصل عليه من البادية والعالم الطبيعي. يتميز ببصيرة نافذة مفكرة فيما كان يرى من بعيد من أعمال الناس وتصرفاتهم ما يرتكبونه من شرور ومفاسد وفجور.

الخلفية التاريخية لدعوة النبي

كما سلفت الاشارة لا يُعرف الشيء الكثير عن عاموس أو عائلته. إلا أن الكلمات الواردة في عاموس (٧ : ١٢-١٥) هي كل ما ورد عنه في السفر. وهي تسلط ضوءاً وهاجاً على شخصيته في حواره مع أمصيا كاهن بيت إيل المقدس، ومقر ملك اسرائيل: المكان الذي سبق وأسسه يربعام بن نباط الذي جعل اسرائيل يخطئ، والذي أقام عجلاً من ذهب في هذا المكان ليتعبد له الشعب، قائلاً لهم هذه آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر (قارن ١مل ١٢ :٢٨) وأمصيا هذا كان كاهنا لبيت إيل أيام يربعام الثاني بن يوأش، وطلب إلى عاموس أن يذهب ويهرب من إسرائيل (مملكة الشمال) إلى يهوذا (مملكة الجنوب) مسقط رأسه، قائلاً له اهرب إلى أرض يهوذا وكل هناك خبزا، وهناك تنبأ. واعتقد أمصيا بهذه الكلمات أن عاموس يمارس خدمة النبوة كوسيلة للعيش وكسب طعامه اليومي (قارن ١صم ٩:٨، ١مل ١٤:٢،٢ مل ٨:٨) «وأما بيت إيل فلا تعد تتنبأ فيها بعد لأنها مقدس الملك وبيت الملك» فهي المكان الذي تمارس فيه كل الرجاسات والنجاسة وعبادة العجل الذهبي.

«فأجاب عاموس وقال لأمصيا كاهن بيت أيل، لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي. بل أنا راع وجاني جميز، فأخذني الرب من وراء الضأن، وقال لي الرب اذهب تنبأ لشعب إسرائيل» (١٤:٧-١٥) ويؤكد عاموس في كلماته أنه لم يكن نبيا بالمعنى الدقيق للكلمة. أي لم تتح له فرصة الانضمام إلى مدارس الأنبياء. ولم يكن ابن نبي يتقوت طعامه من عمله النبوي، بل كان إنساناً بسيطاً متضعاً راعياً وجاني جميز «لكن الرب أخذني.. وقال لي الرب..تنبأ» فسلطانه هو من الله وقوته لاتساويها قوة. لأنها من العلي مباشرة، حتى يمكن مواجهة الجبابرة والولاة وذوي البأس دون خوف من بطشهم. بل واجههم بإيمانه الواثق من النصرة والغلبة. ومن خلال الدراسة للكتب المقدسة يتبين لنا أن لله طرقا عديدة في دعوته للإنسان لخدمته المجيدة. فيدعو هوشع مثلاً باختباره الشخصي، وإشعياء يتجلى له في الخدمة بالهيكل، وحبقوق في لحظة من التأمل، أما بالنسبة لعاموس فجاءت دعوة الرب له كزمجرة الأسد(٣ : ٨).

«الأسد قد زمجر فمن لا يخاف. السيد الرب قد تكلم فمن لا يتنبأ». وربما كانت زمجرة حقيقة ساعدت على فاعلية التأثير في داخله حين دعوته. والأمر المؤكد أنه من اللحظة التي دعاه فيها الرب صار كلية لإلهه وليس لذاته. وهذا مكنه من المثول أمام الكهنة والأمراء بكل شجاعة متيقنا من معرفة إلهه ومعونته. وقد ظهر ذلك بوضوح في كلمات أمصيا الكاهن، الذي فتن عليه أمام الملك يربعام الثاني بن يوآش بالقول «لا تقدر الأرض أن تطيق كل

أقواله» (قارن عاموس ٧: ١٠، ١١).

ويجدر بنا في هذا المقام أن نلقي بعض الضوء على مملكة إسرائيل وما وصلت إليه من ظلم اجتماعي وفساد روحي أيام دعوة النبي عاموس.

لقد كانت مملكة واحدة قبل انقسامها إلى مملكتين: مملكة شمالية وتضم عشرة أسباط وعاصمتها السامرة، ومملكة جنوبية وتضم سبطين يهوذا وبنيامين وعاصمتها أورشليم. وكانت هذه المملكة المتحدة قد أتسعت أرجاؤها فامتدت شمالا وجنوبا وضمت إليها من جهة الشمال آرام (سوريا)من الجنوب وأدوم وعمون وموآب من الجنوب وذلك أيام داود الملك العظيم ثم سلمها لابنه سليمان ومساحتها عشرة أمثال مساحتها يوم توليه الحكم بعد شاول. وتعرضت مملكة إسرائيل بعد الانقسام لظروف قاسية وأليمة، من حروب وضيقات وهزائم أثناء حكم ملوك كثيرين. إلى أن جاء الملك عمري وأسرته ، خاصة ابنه أخآب الذي صارت المملكة مزدهرة وقوية في أيامه. ثم عادت المملكة الشمالية (إسرائيل) وبدأت تضعف أمام آرام (سوريا) التي انتزعت جزءاً منها (٢مل ١٠ : ٣٢ ، ٣٣) أيام يهوآحاز ملك إسرائيل وحزائيل ملك آرام الذي اقتحم أورشليم عاصمة يهوذا وصارت تحت الجزية (٢مل ١٢ : ١٧ -١٨)، وتولى يوآش بن يهوآحاز الحكم على إسرائيل وكان قد مات حزائيل ملك آرام وملك بنهدد ابنه عوضا عنه فعاد يوآش بن يهوآحاز واسترد المدن الإسرائيلية من بنهدد بن حزائيل بعد أن ضربه يواش ثلاث مرات واسترد مدن إسرائيل(٢مل ١٣ : ١٤-٢٥).

وضعفت مملكة آرام أمام مملكة إسرائيل، التي أزدهرت ونهضت أيام يوآش ، وعظمت أكثر بعد أن تولى يربعام ابن يوآش الحكم على إسرائيل في السامرة إحدى وأربعين سنة. وفي أيامه وصلت إسرائيل إلى أسمى درجات الازدهار السياسي والاقتصادي كما حدث في أيام سليمان حيث رد يربعام تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة، حسب كلام الرب إله إسرائيل، الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاي النبي الذي من جت حافر (٢مل ١٤ : ٢٥) لقد حقق الرب لهم النصرة على الأعداء لأنه رأى ضيق إسرائيل مراً جداً.. وليس معين (٢مل ١٤ : ٢٦)، ولأجل عهده مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، لم يشأ أن يستأصلهم، ولم يطرحهم عن وجهه (٢مل ١٣ : ٢٣). ولم يتكلم الرب بمحو اسم إسرائيل من تحت السماء، فخلصهم بيد يربعام بن يوآش(٢مل ١٤ :٢٧) وتحقق للشعب كل نجاح وثراء ورفاهية وتمتعوا بسلامهم القومي، ولم تعد تخيفهم قوات أشور أو آرام فيما بعد. ورغم كل هذه المراحم التي افتقدهم بها الرب بأن خلصهم، من يد أعدائهم الذين مرروا حياتهم، إلا أنهم كانوا يفعلون الشر في عيني الرب الذي خلصهم وأنتشر الفساد الروحي وعم الظلم الاجتماعي. ورأى عاموس بعيني رأسه كل هذا، وكان قلبه يتقد بنار الغيرة لمجد الرب الذي دعاه ليعلن قضاءه علي هذه الأمة الفاسدة، التي اعتقدت أن يوم الرب بالنسبة لها هو يوم انتصار شامل، على كل الأمم المحيطة بهم. لذلك خاطب الشعب بصوت مرتفع : «ويل للذين يشتهون يوم الرب، لماذا لكم يوم الرب، هو ظلام لا نور» (٥ :١٨). وفي أيامه زاد الأغنياء غنى، وبنوا بيوتا للصيف، وبيوتا للشتاء. فوجه ذات الكلمات إلى ساكني القصور العظيمة والحصينة، وقد ظنوا أنهم قد بلغوا اسمى درجات السعادة، «ويل للمستريحين في صهيون والمطمئنين في جبل السامرة» (٦: ١) لأني هأنذا أقيم عليكم يا بيت إسرائيل، يقول الرب إله الجنود، أمة فيضايقونكم من مدخل حماة إلى وادي العربة (٦: ١٤). ولم يتردد لحظة واحدة في إعلان غضب الرب على فمه، على الملك ذاته الذي سار في طريق الشر، ولم يحد عن خطايا يربعام الأول بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ (هوشع ٢٣:١٣، ١٦،١٧، ٣ :٤،٤، :١٢، ٢:١٠، ٢:١١) بقوله «يموت يربعام بالسيف ويسبى إسرائيل عن أرضه» (٧: ١١). أما عن الحياة الاجتماعية، فكانت مبنية على الظلم لليتيم والأرملة، وسحق الفقراء والبائسين، وكل فساد روحي(عاموس ٢:٦-٨ ، ٣:١٥، ٤:١، ٥:٧- ١٢، ٦:٣-٦، ٨:٤-٦، هوشع ٤:١، ٢: ١١-١٣، ٦:٨-٩، ٧:١٢ -٨).

قبل الزلزلة بسنتين

في مستهل سفر عاموس، وردت الإشارة عن الزلزلة. وأن أقواله التي رآها في نبواته لإسرائيل، رآها قبل هذه الزلزلة. وهذا لا يساعد كثيراً في تحديد زمان خدمة النبي عاموس، لأنه لا يُعرف بالتحديد متى حدثت الزلزلة، التي ربما كانت شديدة وقاسية للغاية، حتى أن النبي زكريا أشار عنها (قارن زك ١٤ :٥). وربما وقعت أيام عزيا الملك في يهوذا، والذي كان معاصراً للملك يربعام الثاني ملك إسرائيل، في عصر من عصور من عصور ازدهارها. ويربط يوسيفوس بين هذه الزلزلة وبين خطية عزيا وسلوكه ككاهن (٢ أخ ٢٦ :١٦). ويرجح بأن نبوة عاموس تمت قبل موت يربعام عام ٧٤٦ ق. م تقريباً أي أن نبوة عاموس تمت عام ٧٥٠ ق.م.

وعن كاتب السفر

فهو عاموس الراعي وجاني الجميز الذي من تقوع (١:١) دعاه الرب قائلاً اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل (قارن الحوار بين عاموس وأمصيا كاهن بيت أيل)، (٧ : ٧-١٥). غير أن بعض العلماء (مثل روبرت فايفر R. pfeiffer) يعترضون على أن عاموس هو كاتب السفر كله. وينسبون بعض أجزاء السفر إلى شخص آخر غير معروف. من هذا الأجزاء (عاموس ٩ : ٩ -١٥) وهو الجزء الخاص بالرجاء المسياني والوعد بالبركة من الرب الأمين. وربما يرجع تاريخ كتابة هذا الجزء في رأي فايفر، إلى ما بين عام ٥٠٠ - ٢٠٠ ق.م ويعتقد أن رسالة عاموس هي رسالة القضاء بالهدم والإهلاك والويلات.

لكن هذا الاعتقاد لا يستند إلى الدليل القوي. وربما يرجع لعدم إلمام هذا الباحث برسالة الأنبياء ككل والتي تظهر فيها أمانة الله لعهده مع الشعب الذي دعي اسمه عليهم (عاموس ٩ :١١ -١٥ قارن أع ١٥ : ١٦ - ١٨).

كانت الأمة كلها موضوع اهتمام النبي عاموس، تلك الأمة التي أخرجها الرب من مصر (١:٣ قارن ١٣:٧، ١:٤، ١:٦-٢، ١٤:٨).

رسالة السفر

الله سيد كل الأرض

عند دراستنا لسفر عاموس، يجب أن نذكر الموقف السياسي التاريخي في ذلك الوقت، كما رأينا في عصر يربعام بن يوآش حيث لحقت بسوريا (أرام) الهزيمة. وخَفَتَ نور المملكة الأشورية أيام عاموس وهذا بقوة الرب. لأن الرب سيد الأرض كلها. وبيده الأمر، ويعمل في الشعوب والممالك كمسرة مشيئته. ويتمثل وجوده في كل زمان ومكان (١ : ٣ - ٢ :٣). ويوجه النبي كلمات القضاء ضد الشعوب المهاجمة لشعب الرب المختار. وهذه الشعوب سوريا وفلسطين وصور وعمون وموآب. ويؤكد عاموس سيادة الله عليها جميعا وعلى قصورهم وحصونهم.

ويوجه النبي عاموس ذات الكلمات ضد إسرائيل التي تعيش في أمنها الذي حققه لها الرب مع كل ازدهار اقتصادي ونجاح سياسي (٢: ٦ - ١٢). ويتحدث مردداً ما صنعه الرب معهم في القديم (رجع تث ٢٦ : ٥-٩ مع يش ٢٤ :٢ -١٣) ويدعو الشعب أن يتذكر ماضيه. وكيف أحضرهم الرب من أرض مصر. وقادهم في البرية وعالهم أربعين سنة هناك. ولم يعوزهم شيء من الخير. وسار أمامهم في عمود سحاب نهاراً، وفي عمود نار ليلاً. وكسر أمامهم شعوب وممالك الأرض واقتحموها. بل أهلكهم الرب من أمامهم وأعطاهم الرب مدناً لم يبنوها وكروم لم يغرسوها ليأكلوا.

ويدعوهم عاموس أن يخشوا الرب ويعبدوه بكمال وأمانة (قارن يش ٢٤ : ٢ - ١٣). إن الله يتحدث إليهم في الحاضر، مذكراً إياهم كم صنع الرب بهم في الماضي- «وأنا أصعدتكم من أرض مصر وسرت بكم في البرية أربعين

سنة» (عاموس ٢ : ١٠).

غياب الشمس في الظهر

ولأن إسرائيل لم تمتثل لوصايا الرب وأحكامه، فلا مفر وأين الهروب؟ وسيعلن قضاءه وغضبه على شرورهم. على ظلمهم للفقير وسحقهم للمسكين والبائس اليتيم والأرملة، ومن أجل شهواتهم الدنسة. ولأنهم لم يقدسوا أنفسهم للرب بل لبعل (٥ : ٧ – ١٢، ١٥، ٢٤، ٢ : ٦–٨، ٥ : ٢١ –٢٣، ٣ : ١٥، ٤ :١، ٦ : ٣ –٦، ٨ : ٤ – ٦) . لقد سدوا آذانهم عن صراخ المسكين الذي باعوه لأجل نعلين. وحتى تكون لإسرائيل علاقاتها الوطيدة مع الله، عليها أن تدخل إلى نار بره الملتهبة حتى تتطهر وتمحص.

لقد اعتقد الشعب أن يوم الرب بالنسبة لهم، هو يوم فرح وانتصار وغلبة على كل ما يعيق طريق حياتهم. لأن الرب في نظرهم موجود إلى جوارهم في كل ما يعملون. لأجل ذلك أعلن لهم عاموس هذه الحقيقة المفزعة- «ويل للذين يشتهون يوم الرب، لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور له بل قتام» (٥: ١٨ – ٢٠) لقد أعلن الرب حكمه على إسرائيل قائلاً: «لن أنسى جميع أعمالهم، ألا ترتعد الأرض من جراء أفعالهم. في ذلك اليوم يقول الرب، إني أغيب الشمس في الظهر. وأقتم الأرض في يوم نور، وأحول أعيادكم نوحاً وجميع أغانيكم مراثي» (٨: ٧-١٠).

رب الطبيعة والتاريخ

تغيب الشمس في الظهر (٨: ٩) لأن الله رب الطبيعة التي هي صنعة يديه. بكل ما فيها من عجائب غير مدركة بقدرته السرمدية (٤ : ١٠ –١١) وهي طوع يديه وكأمره (٤ : ٦–٨). ويعلن عاموس ربوبية الله عليها وسموه على نظمها. هذه التعاليم التي تمتد جذورها في سفر التكوين في قصة الطوفان (تك ٨:٢٢). هذه الأمور كلها عرفتها إسرائيل، وأيقنت ذلك. لكن تصلفها وعنادها أوقعها في شرورها.

وإذا كان على الرب أن يحضر إسرائيل من أرض مصر مرّ أيضاً أن يصعد الفلسطينيين من كفتور، والآراميين من قير (٩ :٧). وقضاؤه وحكمه وسيادته هي على كل الشعوب. وامبراطورية آشور العظمى التي كانت مثار قلق وخوف لشعب إسرائيل كانت أداة في يد الرب لتحقيق مشيئته. لأنه رب الطبيعة والتاريخ (قارن تك ١١ : ١– ٩ ، قارن ٢ مل ٨ : ٧ –١٣). ولأن الرب حقق لها كل آياته، وعجائبه في الطبيعة، من شق البحر، وتفجير الماء من الصخر، والمن والعناية بهم، أربعين سنة والعبور بهم نهر الأردن وامتلاك أرض كنعان، أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً. والانتصارات التي حققها لهم الرب على الممالك والأمم المحيطة. كل هذا جعلهم يعتقدون أن الرب لهم فقط ووجوده هو لتحقيق أهدافهم الشخصية.

إياكم فقط عرفت لذلك أعاقبكم

النص الوارد في السفر (٣ : ١–٨) يعد مفتاح هذه النبوة. حيث يوجه الرب كلامه بفم عاموس إلى كل شعب إسرائيل (٣ :١). ومن هنا يتضح أن الانقسام إلى مملكتين، يهوذا وإسرائيل، لم يكن انقساماً دينياً بل انقساماً سياسياً. وإنهما أي إسرائيل ويهوذا شعب عهد واحد- «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض. لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم»- والفعل عرفت يقصد به العلاقة الحميمة بين الزوج وزوجته شريكة الحياة. وقد ورد في الأصل بذات المعنى(قارن تك ٤). والتعبير يعني العلاقة بين متعاهدين يخضعان لشروط العهد[1]. فيهوه الرب هو إله إسرائيل. وإسرائيل شعبه، هو قلب هذا العهد، عهد الإيمان. الأمر الذي جعل اسرائيل تتفاخر وتنتفخ، بروح ملؤها الكبرياء، على بقية الشعوب الأخرى، زاعمين أن الرب سيحقق لهم النجاح الأكبر، والانتصار والكرامة فهم شعبه المميز. وفسروا كل نجاح حققه لهم الرب بأنه نتيجة استحقاقهم. قائلين هذا هو يوم الرب بالنسبة لهم، وقصة التاريخ

(1) B.W.Anderson, Understanding The Old Testament, pp. 98-101

عندهم عندما يحقق الرب لهم كشعب عرفه (اختاره) من بين جميع الشعوب كل وعوده وبركات هذا العهد ويتوجهم بالمجد والكرامة.

لكن يوم الرب بالنسبة لهم، سيكون مثل إنسان هارب من وجه الأسد، فيصادفه دب، أو رجل دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية: «ويل للذين يشتهون يوم الرب لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور فيه» (٥: ١٨ - ٢٠). هذ خطأ اعتقادهم، لأنهم عاشوا عبادتهم بغير حق وفي الباطل (٤: ٤ -٥) . فكانت كلمات الرب القدوس: «بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم. إذ قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي وذبائحكم لا ألتفت إليها.. ابعد عني ضجة ترنيماتك ونغمة موسيقاك لأني أياها لا أستمع. وليجز الحق كالمياه والبر كنهر دائم»(٥: ٢١ -٢٣) . لكن أعمالهم باطلة «فكانت لهم أيضاً موازين الغش واشتروا الضعفاء بفضة والإنسان بنعلين» (٨ :٤- ٦) «أليس من أجل هذا ترتعد الأرض وينوح كل ساكن فيها» (٨:٨) ، لأن إسرائيل لم تعد تذكر شروط العهد بينها وبين الرب يهوه، الذي ذكر لهم قبلاً «وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ. فالآن أن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين الشعوب»(خروج ١٩: ٤، ٥). وعاموس هذه المرة يبذل جهده ليصحح كل فكر فاسد استولى عليهم. فبركات العهد لمن يلتزم بالعهد- إياكم فقط عرفت (اخترت) من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم (٣:٢).

إن دعوة الله لإسرائيل واختياره لها لم يكن عن فضل أو امتياز انفردت به عن سائر الشعوب بل من أجل مسئولية يجب أن تلتزم بها وتؤديها بنعمة الله (إش ٤٣: ١٠، ١١).

لأجل ذلك سيقيم الرب أمة تكون أداة لعقاب إسرائيل (٦: ١٤) وربما كان عاموس واضحاً وعنيفاً. لكنه يعلن عدل الله إذ يخاطب شعب إسرائيل قائلاً «ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل، ألم أصعد إسرائيل من مصر والفلسطينيين من كفتور والآراميين من قير» (٩:٧) ومعروف أن شعب فلسطين وآرام، كانا من ألد أعداء اسرائيل. غير أن محبته وعنايته تضم كل الشعوب وليس إسرائيل فقط- «وهوذا عينا الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض» (٩ :٨) وعلى إسرائيل أن تمثل أمام الرب للدينونة.

سقطت عذراء إسرائيل لا تعود تقوم

هكذا يرفع عاموس مرثاته على اسرائيل، لأنه لم يستطيع أن يرى بصيصاً من الأمل في شفائها «سقطت عذراء إسرائيل لا تعود تقوم.. إنطرحت على أرضها وليس من يقيمها» (٥ : ٢) لأن مرضها عديم الشفاء. لقد ساد بينهم الظلم الاجتماعي والفساد الروحي وعمت الفوضى السياسية، والجشع بين الأثرياء، ويسعون للمزيد. وقادتهم ينعمون في بيوتهم الحصينة. مستريحون مضطجعون على أسرّة من العاج. يأكلون خرافاً وعجولاً من وسط الصيرة. هادرون مع صوت الرباب الشاربون من كؤوس الخمر. ويدهنون أنفسهم بأفضل الأدهان. ولا يغتمون على انسحاق ذويهم في يوم الرب العظيم (٦:١- ٧). ويلغة الراعي يصوب غضبه الشديد على سيداتهم اللواتي يشبههن بيقرات باشان السمينة، التي تعود رؤيتها كل يوم. السيدات الظالمات المساكين الساحقات البائسين القائلات هل من مزيد، سوف يأتي يوم الرب وتؤخذون إلى السبي حيث لا نور بل ظلام وقتام (٤:١-٣).

لأجل كل هذه الشرور سقطت إسرائيل. انطرحت على الأرض، وليس من يقيمها. مرضها عديم الشفاء، صارت إسرائيل أجنبية عن الرب برذائلها، وليس من يدين أفعالها التي تمارسها في هياكل بيت إيل والجلجال ودان والسامرة، «هلم إلى بيت إيل وأذنبوا إلى الجلجال وأكثروا الذنوب وأحضروا كل صباح ذبائحكم، وكل ثلثة أيام عشوركم، وأوقدوا من الخمر تقدمه شكر» .. صارت جميع أعمالهم بليدة، ولم يعودوا يفرقون بين العبادة الباطلة والعبادة الحقة للرب (٤: ٤-٥) ويعلن الرب غضبه على إسرائيل «بغضت...كرهت... لا أرتضي بمحرقاتكم، ولا

ألتفت إليها... وليجز الحق كالمياه والبر كنهر دائم» (٥:٢١-٢٤) وكان النبي صريحاً صادقاً في حكمه على بطل هذه العبادة(٣:١٤، ٧:١٧، ٩ :١). إن مرض إسرائيل لا رجاء في علاجه ويتطلب جراحة إلهية عاجلة (٩:١).

وتجلى عقاب الرب ودينونته لإسرائيل في خمس رؤى لعاموس. ففي **الرؤيا الأولى** رأى جردا يلتهم عشب الأرض ولا يبقي منه أخضر أو يابس. ويتوسط عاموس لدى الرب قائلاً «اصفح. كيف يقوم يعقوب فإنه صغير. فندم الرب» بمعنى رحم وأشفق ، «لا يكون» قال الرب (٧ : ١-٣).

الرؤيا الثانية: (٧ : ٤-٦) رأى فيها النبي عاموس نارا أكلت الغمر العظيم، التهمت البحر، وأكلت الحقول، ومصدر حياة الإنسان. وهنا ويتوسط عاموس ثانية لدى الرب ويجد لديه رحمة وإحساناً. ويسمع صوت الرب: «لا يكون قال السيد الرب».

الرؤيا الثالثة: (٧ : ٧-٩) رأى النبي زيجا يستخدمه البناؤون في البناء وبدلاً من استخدامه في البناء يستخدم هذه المرة في القلع والهدم والإهلاك ولا أمل في إصلاح هذا الحائط المقام. «لا أعود أصفح له بعد يقول الرب».

الرؤيا الرابعة : (٨ :١-٢) رأى عاموس سلة فاكهة للقطاف. وقال الرب «قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل لا أعود أصفح له بعد».

الرؤيا الخامسة: رؤيا القدير وهو قائم على المذبح، وهو يأمر بالقضاء التام على المملكة الخاطئة، حتى يبيدها من وجه كل الأرض (٩ : ١ -٤) فلا رجاء أو مفر أو هروب من هذا القضاء، «لا يهرب منهم هارب ولا يفلت منهم ناج » (٩: ١ب). هذه الرؤيا والنهاية الحتمية تذكرنا بما فعله ياهو بأنبياء البعل، في القضاء عليهم حيث لم يفلت منهم ولا واحد (قارن ٢ مل ١٠ : ١٨ -٢٥) فلا نجاة لشعب إسرائيل التي تبدو قوية مزدهرة، وتثق في سياسة يربعام الناجحة القوية. إلا أنها مريضة من الداخل كالجسد الذي يتآكل من الداخل ومظهره الخارجي لا ينبئ بذلك.

لقد قبل الرب وساطة النبي في الرؤيا الأولى والثانية وترأف على شعبه إسرائيل، وأستجاب لطلبه. إلا أنه في الرؤيا الثالثة والرابعة والخامسة جاءت العبارة : لا أعود أصفح، لأن إسرائيل ضلت، ولم تعتبر واستفحل فيها المرض بضراوة.

تلك هي معاملة الرب منذ القديم. فهو لا يسر بموت الشرير. بل يسر بالرأفة والرحمة (ميخا ٧: ١٨، ١٩). ألم يقبل وساطة هرون وموسى لدى الله حتى يرفع الضربة تلو الأخرى، حسب طلب فرعون. وفي كل مرة عندما يرى فرعون أنه قد حصل الفرج وترفع الضربة، يعود فرعون مرة أخرى ويشتد قلبه أكثر من ذي قبل (قارن خروج ٨ : ١٥، ٣٢، ٩:٣٣-٣٥).

الرب هو إله البر

لابد لإسرائيل من المثول أمام الرب، لأن خطاياها وظلمها وفسادها لم يكن ثمرة جهل بل كان تعديا، وتمثل في كل ما أقترفته من ذنوبها الثلاثة والأربعة. والتعبير الثلاثة والأربعة يشير إلي الخطايا الكثيرة التي لا تعد من الكثرة. ويري جورج أدم سميث أن الإله القديم لإسرائيل الذي أعلن أحكامه وشرائعه لموسى، ودعا الشعب إلى الحياة في قداسة وطهر أمامه (قارن لاويين ١٩:٢، ١بط ١:١٦) هو الإله الذي نظم العلاقات الإنسانية وحقوق وواجبات كل واحد، كجزء أساسي في حياة إسرائيل كما دعاهم الرب إلى المحبة من كل القلب (تث ٦:٥، لاويين ١٩:١٨، ٣٣ -٣٤).

لأجل ذلك قام عاموس، بثورة عارمة على تصرفات إسرائيل وجرمها. وكان اعتقاده الراسخ الذي وضع أمامه، أن الرب بهوه كلي البر، (كما عرفه موسى، وأعلن ذلك لإسرائيل). وليس عنده محاباة. وحتى داود الملك لم يفلت من

العقاب بل جني ثمرة خطيته البشعة (٢ صم ١١ : ٢٧ -١٢ :١٥) كما وقع عقاب الرب (الذي أعلنه النبي إيليا) على آخآب ملك إسرائيل لقتله نابوت اليزرعيلي قارن (١مل ٢١: ١٩).

هذه الحقائق الأزلية عن الله، هي التي سيطرت على عاموس وحياته بجملتها. فالحياة بالنسبة له، تجد معناها في السلوك في البر أمام الرب يهوه كلي البر والقداسة. ولا يمكن لإنسان أن يكسب مرضاة الله بغير السلوك في البر وبالحق. وقد ارتفع ذات الصوت في أقوال رب المجد الذي دان الحياة الظاهرية التي لا تليق بالسلوك أمام إله البر(قارن مت ٢٣). «وليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم» (٥ :١٦). وأمام إله البر تنحني كل ركبة وتخفض كل هامة إذ يليق به كل سجود وعبادة «ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم» (إش ٢: ١١).

أسمى الأهداف

إن غاية الرب من إعلان قضائه على إسرائيل، ليس التدمير والإهلاك بل الرجوع إليه، بالتوبة عن كل الشرور التي نجمت عنها كل الكوارث التي حلت بهم، هكذا يقول الرب:

«وأنا أيضاً أعطيتكم نظافة الأسنان في جميع مدنكم، وعوز الخبز في جميع أماكنكم، فلم ترجعوا إليّ يقول الرب» (٤ : ٦).

«منعت عنكم المطر، إذ بقي ثلاثة أشهر للحصاد، وأمطرت على مدينة واحدة وعلى مدينة أخرى لم أمطر، ..وجالت مدينتان أو ثلاث إلى مدينة واحدة لتشرب ماء ولم تشبع فلم ترجعوا إليّ يقول الرب» (٤:٧-٨).

«ضربتكم باللفح واليرقان... ولم تعد لكم جنات كروم وتين وزيتون بسبب الجراد، لم ترجعوا إليّ يقول الرب» (عدد٩) «قتلت بالسيف فتيانكم...فلم ترجعوا إليّ يقول الرب» (عدد ١٠).

«قلبت بعضكم كما قلب الله سدوم وعمورة، فصرتم كشعلة منتشلة من الحريق، لم ترجعوا إليّ يقول الرب» (عدد١١) من أجل ذلك «استعد للقاء إلهك يا إسرائيل» (عدد ١٢).

لم يوضح عاموس متى وأين سيحدث ذلك، لكنه كان متيقناً أنه حتماً سيتم هذا اللقاء، وستكون نهاية إسرائيل محزنة حقاً، إلا أنها المسئولة بالكامل عن ذلك فهو اختيارها بمحض إرادتها.

لقد كان هدف عاموس الذي أعلنه لهم، هو أن يصلح الشعب طريقه، ويعيد تقييم حياته. لقد أعلن لهم ما سوف يحل مستقبلاً حتى يكونوا مستعدين للقاء إلههم. ويغيروا أسلوب حياتهم. إنه لوقت مناسب، وربما لا تكون لديهم فرصة للغد، حتى يرجعوا إلى الرب. للرب ووصيته لهم «اطلبوا الخير لا الشر، لكي تحيوا للرب فعلى هذا يكون الرب إله الجنود معكم. ابغضوا الشر وأحبوا الخير وثبتوا الحق في الباب لعل الرب إله الجنود يترا ف على بقية يوسف» (٥ :١٤ -١٥).

لقد أرادهم عاموس أن يفيقوا من طمانهم الكاذب، بسماعهم كلمات الدينونة الإلهية على أرجاسهم، حتى يرجعوا من أعماق قلوبهم، ورسالة الدينونة لم تكن الكلمات النهائية المعلنة على إسرائيل. بل يوجد رجاء لكل من يرجع إلى الرب ويطلبه من كل القلب والنفس ومن كل قوته (قارن ٩ :١١ - ١٥، مع رومية ١٢ : ١-٢).

عوبديا

يعد سفر عوبديا أقصر سفر في الكتب المقدسة ويتضمن اثنين وعشرين عدداً. والاسم عوبديا يعني به في العبرية عبد أو خادم الرب.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : عقاب أدوم وأسباب ذلك (١ -١٤).

١- عنوان ١ أ.

٢- إنذار بسقوط أدوم (١ب -٤).

٣- سقوط أدوم (٥-٩).

٤- أسباب عقاب أدوم (١٠ -١٤).

ثانياً : يوم الرب (١٥- ٢١).

١- قضاء عقاب شامل (١٥ -١٦).

٢- عودة إسرائيل(١٧ -٢١).

يمثل سفر عوبديا وحدة واحدة، كما يرى علماء الكتاب إلا أن هناك تشابهاً واضحاً بين أجزاء السفر، ونبوة إرميا (قارن عوبديا ١-٤ مع إرميا ٤٩ :١٤ -١٦، عوبديا ٥-٦ مع إرميا ٤٩ :٩ -١٠، عوبديا ٨-٩ مع إرميا ٤٩ :٧، ٢٢) والسؤال الآن هو: أي منهم اعتمد على الآخر في الكتابة؟

يرجح بعض العلماء أن كليهما استعان بمصدر غير معروف. ومما لاشك فيه أن ما جاء في سفر عوبديا هو من كتابته، والمؤكد كما يرى آخرون أن هذا السفر جاء بجملته في صورة رؤيا من الرب. وواضح من مضمون السفر أن عوبديا كتب بعد نبوة إرميا. فحديث النبي عن سقوط أورشليم سوف يقع مستقبلاً فهو لم يحدث بعد (إرميا ٤٩ :١٢) بينما في عوبديا جاء عن أورشليم بأنها سقطت وتم الاستيلاء عليها (عدد١١)، كما يوجد أيضاً تشابه بين سفر عوبديا وسفر يوئيل(قارن عوبديا ١٠ مع يوئيل ٣ : ١٩).

ومن أمثلة التشابه أيضاً : ألقوا قرعة (عوبديا ١١ قارن يوئيل ٣ : ٣)، أعمالك ستقع على رأسك (عوبديا ١٥ قارن يوئيل ٣: ٤-٧)، لأن يوم الرب قريب (عوبديا ١٥ قارن يوئيل ١ :١٥، ٢ :١، ٣ :١٤)، وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة (عوبديا ١٧ قارن يوئيل ٣ : ١٧)، لأن الرب تكلم (عوبديا ١٨ قارن يوئيل ٣: ٨).

وطبقاً لما ورد في (يوئيل ٢ : ٣٢) عن صهيون وأورشليم يكون «أن كل من يدعو باسم الرب ينجو لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة كما قال الرب»، فالتعبير «كما قال الرب» يؤكد أنها مقتبسة من عوبديا عدد ١٧ وبهذا يكون عوبديا سابقاً ليوئيل.

الكاتب وزمن الكتابة

يرجح العلماء أن كاتب السفر هو عوبديا، وأنه كتبه في زمن ما قبل السبي. إلا أن الإشارات الواردة في الأعداد (١١-١٤) الخاصة بسقوط أورشليم بواسطة الكلدانيين عام ٥٨٧ ق.م، تعد تأكيداً على أن السفر كتب زمن ما بعد

السبي، بعد عودة اليهود إلى يهوذا وبنيامين(١٧-٢١) أيام نحميا في منتصف القرن الخامس ق.م. ولا يُعرف شيء عن عوبديا أو والده. ومن غير المعقول أو المقبول، أن ننسب عوبديا إلى الشخصية التي ظهرت أيام أخآب (١مل ٣:١٨-١٦)، حسبما ورد في التلمود البابلي. ويتساءل البعض مثل اويسترلي وربسون Oecsterley and Robinson عما إذ كان هناك شخص بالاسم عوبديا. وربما يعني الاسم مجموعة أفراد غير معروفين قاموا بكتابة السفر، ويرى فايفر أن الأعداد من (١-١٥) يرجع تاريخ كتابتها إلى عام ٤٦٠ ق.م تقريباً وباقي الأعداد من (١٦- ٢١) ترجع إلى عام ٤٠٠ ق.م، أما أ. ويزر A.Weiser فلا يرى سببا معقولا لإنكار حقيقة أن عوبديا هو كاتب السفر بجملته.

الخلفية التاريخية للسفر

سفر عوبديا من ضمن مجموعة أسفار لم ترد عنها أية إشارات في العهد الجديد وهذه الأسفار هي: عزرا - نحميا - أستير - نشيد الأنشاد - عوبديا - الجامعة. وأول ما ورد عن أدوم في العهد القديم جاء في (تكوين ٢٥: ٣٠) وآخر إشارة وردت عنه جاءت في (ملاخي ١: ٢-٥) وبين الإشارتين يوجد سجل حافل من المآسي في العلاقة بين إسرائيل وأدوم.

والكلمة: «أدوم» تعني أحمر. وقد وردت بهذا المعنى في سفر التكوين. وقد أطلق الاسم على عيسو، لأنه خرج من بطن أمه أحمر اللون (تك ٢٥: ٢٥). وربما سميت أرض أدوم بهذا الاسم لكثرة التلال الرملية الحمراء فيها. وأرض الأدوميين هذه تقع إلى الجنوب والشرق من البحر الميت وتمتد حتى رأس خليج العقبة، وهي يطلق عليها أيضاً «جبل سعير» (تك ٣٢ : ٣). وهي غنية بالموارد الطبيعية.

ورغم أن علاقة إسرائيل بأدوم لم تكن علاقة ودية باستمرار، إلا أنه حدث في وقت من الزمان أن تحالف أدوم مع يهوذا وإسرائيل ضد المؤابيين (٢ مل ٣:٩) وفي (تث ٢ : ٤-٨) قيل للإسرائيليين أن لا يحاربوا الأدوميين أخوتهم وجاء في (تث ٢٣ : ٧) لا تكره أدوميا لأنه أخوك، وتعد هذه الكلمات بانية نحو طريق الكمال لأنه من وقت المشاجرة أو النزاع بين يعقوب وعيسو إلى نهاية تاريخ العهد القديم استمر العداء بينهما دون توقف- فقد حارب شاول ضد أدوم (١صم ١٤ :٤٧) وهزم داود أدوم... (٢صم ٨ : ١٤) ويوآش قتل أدوم (٢مل ١٤:٧) وعندما هدد نبوخذ نصر أورشليم باقتحامها، أسرعت يهوذا إلى أدوم طلباً للعون. لجأ كثيرون إلى أدوم طلباً للنجاة (عوبديا ١٤) لكن أدوم رفض ذلك ولم يصغ ليهوذا، مما ولد غضباً شديداً في قلب يهوذا ولم يغفرها لأدوم- وقد وردت إشارات عديدة من الأسفار المقدسة تصف البغضة التي كانت بين أدوم ويهوذا وإسرائيل (مزمور ١٣٧ :٧ ، مراثي ٢١:٤، إش ٣٤:٥-٦، حز ٢٥:١٢- ١٤، ٣٥:١- ١٥، يو ٣: ١٩، ملاخي ١:٣-٥).

وتركزت نشاطات أدوم في مناطق غرب الصحراء العربية الشرقية، والتي سيطر عليها في القرن السابع ق.م خلال زمن أشور بانيبال[1]. وعندما سقطت أورشليم عام ٥٨٧ ق.م استقر الأدميون وجعلوا عاصمتهم في تخوم يهوذا فرحين بسقوطها (مراثي ٤ :٢١) وعملوا على الانتقام من يهوذا في محنتهم (حز ٢٥:١٢) وعاون أدوم البابليين في هدم أورشليم واحتلوا بعض أراضيها (حز ٣٥:١-١٠).

أخيراً عرفوا باسم شعب آدوم مقاطعة أدومية (إش ٣٤ : ٥ ، ٦ ، حز ٣٥ : ١٥ ، ٣٦ : ٥ ، مر ٣ :٨) وحتى ذلك الوقت كان الأدميون تحت ضغوط القبائل العربية ، وقد عرف ذلك من الحفريات المكتشفة في تل الخليفة وعصيون جابر، ففي حين كا الحاكم أدوميا والأسماء أدومية إلى عام ٦٠٠ ق.م ، إلا أنها أصبحت عربية[2] بعد قرن

(1) Ancient Near Eastern Texts, pp.297-299
(2) W.F.Albright(ed.), O.T. Commentary, P.167

من الزمان. ولكن في زمن المكابيين ، طاردهم يهوذا المكابي من جنوب يهوذا عام ١٦٤ ق.م. تقريباً، وهزمهم يوحنا هركانس عام ١٠٩ ق.م. تقريباً وأجبرهم على التهود.

مضمون السفر ورسالته

ربما يتساءل الدارس لسفر عوبديا عن أهمية أو ضرورة وجوده في الكتاب المقدس. فهو يضم اثنين وعشرين آية خلت من تعبير المحبة أو النعمة. إلا أن السفر له مكانته الهامة في الكتاب المقدس. إنه يصف حالة شعب الله وهو يجتاز اختباراً مؤلماً وقاسياً من جيوش بابل، وفي نفس الوقت لا يجد إلا العداء والجفاء من شعب مجاور له، وهو أدوم الذي كان بالأمس أخاً له في الجسد. والحقيقة، عندما لا يفهم سفر معين في الكتاب المقدس فالمشكلة ليست كامنة في السفر، بل في الإنسان ذاته. ولنا في ذلك مثال ورد في (مت ٥ :٤٣) «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك»، وهل الله يوصي بالبغضة؟ وربما يعتقد الإنسان أن هذا حدث في العهد القديم، غير أنه لم يرد شيء من ذلك على الإطلاق في وصايا الله (قارن لاويين ١٩ : ١٨) . «تحب قريبك كنفسك». وربما كان التعبير «تبغض عدوك» كما يرى الشراح إضافة من شيوخ اليهود ورؤسائهم اضافوه في تقليدهم (راجع وصف الرب لهم في مت ٢٣). بل إن وصية الرب لشعبه في التوراه أن لا يكره أدوميا ..ولا يكره مصرياً.. (قارن تث ٢٣ :٧) ويوصيهم الرب قائلاً : «إذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم » الغريب النازل عندكم « وتحبه كنفسك، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر» (لا ١٩ : ٣٣ -٣٤).

وسفر عوبديا هو نبوة ضد أدوم ، وما اقترفه من إثم ضد يهوذا. فهي لم تعمل على عون يهوذا في محنتها ، بل أبغضتها ورفضتها كل الرفض. وعندما يتضمن السفر عقاباً لأدوم على فعلها هذا، فإنه بمثابة إنذار لكل من يبغض أخاه ولا يعمل بوصايا الرب إلهه.

والمؤلم لشعب يهوذا أن يجد جفاءً من أدوم. واستمرت العداوة بين أدوم وإسرائيل ما يقرب من ألفي عام. وقد بدأت هذه العداوة القاسية بين الأخوين يعقوب وعيسو (أدوم)، باغتصاب يعقوب للبركة من أبيه إسحق، التي كان يتوق إليها عيسو لأنه أكبر. غير أنه استهان بالبكورية ورفضها، وفي لغة اليأس قال أنا ماض إلى الموت فلماذا لي بكورية (تك ٢٥ : ٣٤).

وربما تصالح الأخوان بعد ذلك لكن لم يدم هذا الصلح بين نسليهما بعد أن انفصل الواحد عن الآخر في المنطقة القريبة من فنوئيل (تك ٣٣) (قارن تكوين ٣٦ : ١، ٦) وهكذا توالت الصراعات بين الشعبين، بل بين إسرائيل وبقية الشعوب الوثنية الأخرى المجاورة. فإسرائيل هو شعب الرب الذي منحه الرب الشريعة ليتدرب على حمل هذه الشريعة، ويجاهر بها أمام بقية الشعوب. وصار العبرانيون أداة الرب لنشر الحق الإلهي والتعليم بأحكامه. كما صاروا رمزاً لمخافة الرب يهوه. والشعوب الوثنية رمزاً لحقيقة الشر، ولا توجد علاقة أو اتحاد بينهما. وقعت حروب كثيرة بين الخير والشر، بين النور والظلام، بين الحياة والموت. وقد وضح التباين من البدء بين الأخوين يعقوب وعيسو. وهذا يعقوب القريب من قلب والديه- وخاصة أمه رفقة- والملتزم بقواعد البيت. وعيسو الشاب المتمرد الساخط، والخامل والكسول، وهذا ما تمثل في رفضه البكورية واحتقاره لها حتى يصير طليقاً غير ملتزم بقواعد الأسرة بوصفه البكر الحامل للمسئولية بلا إيمان في المستقبل «أنا ماض إلى الموت» (تك ٢٥:٣٢، ٣٤ب). ولا طاقة له على الرؤيا ولا يرى غير ما هو محسوس ومادي لإشباع شهواته (عب ١٢:١٦، ١٧).

وتتضح قيمة السفر من تعاليمه الأخلاقية والتنبير على أهمية أن يكون الإنسان متضعا، بل ومنكسراً أمام الرب إلهه لا يتفاخر ولا ينتفخ، ودوداً للآخرين لئلا يسقط في شروره الكثيرة وليس من يقيمه.

وهنا ينادي عوبديا في صرخة مدوية: «أيها الساكن في محاجئ الصخر رفعة مقعدة القائل في قلبه من يحدرني

إلى الأرض» فيأتيه الجواب: إن كنت ترتفع كالنسر وإن كان عشك موضوعاً بين النجوم فمن هناك أحدرك يقول الرب (عدد ٣) وهنا ينبر السفر على البر الاجتماعي الواجب بين الإنسان وأخيه الإنسان بين شعب وشعب.

من ثلاثة آلاف سنة كان في بابل هيكل واعتقد الناس كما يقول كالكينز R.Calkins أنه سيبقى إلى الأبد، واليوم تساوي مع الرمال.

لهذا سواء طال الزمن أم قصر فإن الرب سيقضي على الشرور في العالم، والتاريخ يؤكد ذلك. والزائر لجبل سعير، لا يجد غير الهياكل المحطمة. فماذا بقى لأدوم اليوم.

وربما يلمس الدارس، صراع النبي عوبديا، بين ابتهاجه لخلاص الرب الأكيد ليهوذا، بعد كل الآلام والتجارب القاسية التي اجتازت فيها كشعب اختاره الرب وبين ارتياحه النفسي لعقاب أدوم الشعب الخائن والقاسي الذي تخلى عن الوقوف بجانب يهوذا ليخفف من آلامه (قارن عدد ١٤) . لقد عانت إسرائيل كثيراً وقاست آلاماً مريرة خلال دخولها كنعان والاستيطان في أرض الموعد، وخلال فترة السبي. لكن الرب وعد بالنصرة للبقية الباقية المتطهرة. وعقاب أدوم ربما لا يكون لها وحدها، بل يشمل جميع الشعوب التي ستحاكم في يوم الرب. فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم (عدد ١٥) في اليوم الأخير (في المحاكمة الأخيرة).

وعندما يتحدث عوبديا عن أدوم ، فهو لا يتحدث عنه كشعب بعينه بل يتحدث عنه كرمز للشر والنجاسة. وحينما يشعر الإنسان ببغضة بل يحمل كراهية للخطية بكل شرورها، يبقى له الرجاء في وعد الرب بالخلاص. إن خلاص الإنسان الواثق في إلهه لأكيد ويقيني: «وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة» (عدد ١٧) وقد كتب ستيفنسون Stephenson يقول إن فرحتنا العظمى ليست في عدم فشلنا، بل تكمن في قيامنا كل مرة نسقط فيها. وبقدر ما نتضع ولا نتحدث كثيراً عن فضائلنا المتعددة لدى الآخرين، فنحن على الطريق السوي السليم، طريق البر والصلاح.

إن كبرياء أدوم وتصلفه هو طريق انحداره ودماره، وعوبديا يثق في أن هذا اليوم لابد آت. وربما كان سكان أدوم كثيرين، لكن الرب هو مصدر القوة والجبروت. وربما بنوا لأنفسهم أعشاشاً بين النجوم، لكن يوجد من صنع النجوم .. الرب اسمه. أو ربما ارتفعوا عليا كالنسور. لكن الرب سيحدرهم سريعاً إلى القاع. إن لغة الإيمان الواثق في انتصار الرب على أدوم، عبر عنها النبي الإنجيلي إشعياء قبل عوبديا بزمن طويل ربما يصل إلى بضعة قرون في أسلوب حوار رائع وبديع.

س- من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر، من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته؟

جـ- أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص.

س- ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة؟

جـ- قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد- فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي، فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي، لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مفديي قد أتت.

فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد، فخلصت لي ذراعي وغيظي عضدني. فدست شعوباً بغضبي وأسكرتهم بغيظي وأجريت على الأرض عصيرهم (إش ٦٣ : ١-٦).

وعن أحبائه وحافظي عهده وشرائعه وأحكامه يتحدث النبي قائلاً: في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم، بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة (إش ٦٣ : ٩).

إن تمسك عوبديا النبي بقوميته، وديانته كشخص يهودي لهو أمر طبيعي كما يرى جون طمسن. غير أنه أغفل بذلك الإشارات العديدة مثل تلك الواردة في إشعياء (٤٢ : ١ ، ٤ ، ٦) التي تتحدث عن تجديد الشعوب الأخرى (الأمم) بواسطة مختاري الرب وإرساليته لهم[1]، ويرى عوبديا أن جبل صهيون يكون مقدساً» (عدد ١٧) محفوظ للذين ينجون من الدينونة. أنه أورشليم المذكورة في سفر الرؤيا (٢: ٧، ٢٧). ويكون الملك للرب (عدد ٢١ب) ويعلن الصوت مدوياً :«قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الأبدين» (رؤيا ١١ :١٥).

إن الإنسان المؤمن الذي يواجه شروراً وضيقات في حياته يجد رساله بانية ومشجعة في سفر عوبديا، فعندما يعتريه روح الضعف والفشل لسخرية الأشرار به، يستطيع أن يرفع بصره إلى الأعالي، فيسمع قول الله لهؤلاء الأشرار: «تكبر قلبك قد خدعك أيها الساكن... في محاجئ الصخر رفعة مقعده، أيها الساكن في شقوق الصخر والمقيم في القمم العالية، القائل في قلبه من يحدرني إلى الأرض» (من يقوى عليّ). ويأتيه الجواب: «إن كنت ترتفع كالنسر وإن كان عشك موضوعاً بين النجوم فمن هناك أحدرك يقول الرب» (عدد ٤) . عندئذ يتحقق المرء أن فوق العالي عالياً والأعلى فوقهما يلاحظ. وقبل السقوط تشامخ الروح.

(1) J.A. Thompson, IB,Vol.6, pp.858-859

يونان

يأتي سفر يونان الخامس في الترتيب بين أسفار الأنبياء الاثني عشر المتأخرين. وهو يحتل مكانة هامة بين هذه الأسفار. وسرعان ما يلاحظ القارئ للسفر لأول وهلة، أنه يختلف كثيراً عن باقي الأسفار الأحدى عشر، إذ تتضمن هذه الأسفار الكثير من رسائل النبوة التي قيلت لشعوبها ولا تتضمن إلا الإشارات القليلة عن خلفية النبي التاريخية (قارن عاموس ٧ : ١ - ١٧)، أما عن سفر يونان فيسرد قصة شخصية للنبي يونان، ومغامرته. ولا تزيد نبوته التي هي مادة كرازته عن خمس كلمات(بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى)(٣ :٤) أما باقي الأنبياء فموضوع نبواتهم لإسرائيل أو الشعوب الأخرى أن يعلنوا بأمانة قضاء الرب الذي يقود الناس إلى التوبة.

أما في هذا السفر فلا نجد شيئاً من ذلك عن إسرائيل. بل نجد النبي غير راغب في إعلان قضاء الله على شعب نينوى، خوفاً من أن يتوبوا، وبذلك يخلصوا من الهلاك. مما جعل الكثيرين يتساءلون لماذا لم يُوضع سفر يونان بين أسفار الكتوبيم (الكتب) وهو القسم الثالث في التقسيم العبري للكتب المقدسة، وليس بين أسفار الأنبياء كما تتعرض لذلك بالتفصيل فيما بعد.

أقسام ومشتملات السفر

١- هروب يونان من وجه الله (١ : ١ - ١٧).

٢- مزمور (تسبيحة شكر)(٢: ١-١٠).

٣- المرسل العاند ونجاح إرساليته (٣ : ١-١٠).

٤- تهذيب يونان (٤ : ١-١١).

يونان النبي

ورد في (٢مل ١٤ :٢٥) أن يربعام بن يوأش رد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة، حسب كلام الرب إله إسرائيل الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاي الذي من جت حافر. والمعروف أن يربعام ملك ما بين ٧٨٣ - ٧٤٣ ق.م تقريبا وربما يكون يونان قد كتب نبوته بعد عودته من نينوى. وربما كانت إرساليته إلى نينوى قد تمت قبل حكم تغلث فلاسر بقليل.

ويتساءل علماء الكتاب عما اذا كان يونان هو ذات الشخص الذي ورد عنه في (٢مل ١٤ : ٢٥). وأصحاب المدرسة العصرية مثل أيشفيلد وشيني ووينكلر O. Eissfeldt ,Chcyne, Winckler ينكرون أن يونان بن أمتاي هو نفس الشخص المذكور في (٢مل ١٤ : ٢٥) لكن أليعازر أحد علماء اليهود Rabbi Eliczcr يرى أن يونان بن أمتاي هو نفس الشخص المذكور في (٢مل ١٤ : ٢٥) في أيام يربعام الثاني وأن أمه هي أرملة صرفة صيداً التي أضافت إيليا (١مل ١٧ : ٩- ١١) ويضيف قائلاً إن الحوت الذي أبتلع يونان خُلق من قبل تأسيس العالم ، لأجل هذا الغرض بالذات، على أن هذا الرأي قوبل بالرفض من حاخامات يهود كثيرين.

إرسالية يونان

ورد بالسفر (١: ٢) «صار قول الرب إلي يونان بن أمتاي قائلاً قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد

عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامي». حتى يكرز لها بالتوبة. وإن لم تتب، سوف تسقط المدينة. وتلك كانت مهمة شاقة على النبي: أن يذهب إلى أناس أمميين مضايقين لشعب إسرائيل دائماً . لذا أسرع النبي في عكس الاتجاه. فبدلاً من أن يتوجه إلى الشمال الشرقي إلى نينوى عاصمة أشور (العراق)، توجه إلى أقصى الغرب إلى ترشيش (أسبانيا). فأرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر، فحدث نوء عظيم في البحر، حتى كادت السفينة تغرق. فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه، وطرحوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر، ليخففوا حمولتها. أما يونان فكان قد نام في جوف السفينة نوماً ثقيلاً. فجاء رئيس النوتية وقال له: مالك نائماً. قم اصرخ إلى إلهك، عسى أن يفتكر الإله فينا، فلا نهلك. وألقوا قرعة ليعرفوا بسبب من وقعت هذه البلية. ووقعت القرعة على يونان. وشرح يونان للبحارة قصته وأقترح عليهم أن يلقوه في البحر، حتى يهدأ النوء ويسكن البحر. وألقي البحارة يونان في البحر فوقف البحر عن هيجانه» (١:١٥).

يونان وسيلة خلاص للملاحين– والخائف من الرب إله السماء، يصير طريقاً لإيمان الملاحين بإله البحر والبر:

بعد أن وقعت القرعة على يونان انهالت أسئلتهم عليه «ما هو عملك ومن أين أنت، ما هي أرضك ومن أي شعب أنت» (١ :٨). يرى أحدهم من الآيات الواردة في (١:٨-٩، ١٤، ١٦) أن البحارة بعد أن تعرفوا على يونان وأنه من العبرانيين، واستمعوا إليه يحدثهم عن الرب إله السموات الذي صنع البحر والبر. (وربما كان للملاحين بعض المعرفة من ترحالهم في أعمال التجارة بين البلدان المختلفة) «آمن البحارة هذه اللحظة بإله إسرائيل» (عدد ١٤)، الذي صلوا إليه حتى لا يجعل عليهم دماً بريئاً، لأنه هكذا إرادته. وبعد أن طرحوا يونان في البحر وقف البحر عن هيجانه (عدد ١٥) وخاف الرجال من الرب يهوه إله العبرانيين خالق البحر والبر رب الطبيعة وقدموا له ذبيحة ونذروا نذورا «عهوداً» (عدد ١٦) بأن يكون لهم إلهاً كل الأيام (قارن تك ٢٨ : ٢٠ -٢٢) ، يدعونه في الضيق فيستجيب لهم (مزمور ٥٠ :١٥ قارن أعداد ١١ - ١٤). أما الرب فأعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال(الأصحاح الأول) وأما الرب فأمر الحوت فقذف يونان إلى البر (٢ : ١٠).

لقد كانت إرسالية يونان، أن يكرز لنينوى المدينة العظيمة المتسعة الأرجاء، المترامية الأطراف، والتي تحتاج من يونان ثلاثة أيام لتغطيتها بالمناداة عليها، كما أمره الرب. غير أن يونان أخذ ينادي على نينوى بأنها ستنقلب إن لم تتب. ولدهشته الكبرى حققت إرساليته التي لم تأخذ إلا يوماً واحداً نجاحاً باهراً، بل فائقاً. وآمن أهل نينوى بالرب، ونادوا بصوم ، ولبسوا مسوحاً، من كبيرهم إلى صغيرهم (٣: ٥) وتذللوا أمام الرب. وصرخوا إلى الله بشدة ورجعوا كل واحد عن طريقة الرديئة، وعن الظلم الذي في أيديهم.

فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة، وعن الظلم الذي في أيديهم، تحنن الله عليهم ورحمهم، ولم يقع الشر الذي تكلم أن يصنع لهم فلم يصنعه (الأصحاح الثالث). وغضب يونان واغتم غماً شديداً. لأنه لم يحدث ما كان يتوقعه وطلب الموت لنفسه. وخرج يونان إلى خارج المدينة. وجلس ينظر من بعيد، ماذا يحدث للمدينة. وصنع له الرب يقطينة ارتفعت فوق يونان لكي يتخلص من غمه. وفرح بها فرحاً عظيما. لكن سرعان ما جفت اليقطينة، ويبست من قبل الرب. وانتزعتها ريح شرقية في اليوم التالي. وضربت الشمس رأس يونان ، فحزن وطلب لنفسه الموت للمرة الثانية. ورد قائلاً :«موتي خير من حياتي» فوبخه الرب على عدم فهمه وحمقه، إذ يغتم من أجل اليقطينة التي لم يتعب في تربيتها والتي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت وكان مشفقاً عليها (٤: ١٠). بينما لم يشفق على نينوى برجالها ونسائها وشيوخها وأطفالها وبهائمها: مدينة عظيمة تربو على مئة وعشرين ألفا هم عدد سكانها. وقد ابتهج يونان باليقطينة وفرح بها فرحاً عظيماً (٤:٦) إلا أنه لم يفرح لخلاص شعب نينوى المدينة العظيمة. لقد انقلبت عنده المعايير تماماً ولم يدرك أين الصواب (٤:٤، ٩).

الكاتب وزمن الكتابة

اختلف العلماء، وتعددت الآراء حول الكاتب وزمن كتابة السفر. وعما اذا كان يوجد شخص بالاسم يونان وأن القصة حدث تاريخي بالفعل، أم أنه مجرد مثل أو رمز. الأمر الذي سوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد.

يتساءل أيشفيلد O. Eissfeldt عما إذا كان يونان بن أمتاي هو يونان الذي ذكر في (٢مل ١٤ : ٢٥). وإذا كان هو بالفعل، ويكون السفر قد كتب خلال القرن الثامن ق.م. ولكن لا يوجد دليل واحد فقط - في نظره- يؤكد هذه الحقيقة . بل على العكس فإن ما ورد في(٣:٣) يعد إشارة إلى أن نينوى مدينة يتحدث عنها الكاتب في عداد الماضي السحيق. كما أنه من غير المألوف الحديث عن ملك أشور، بأنه ملك نينوى. ويعتقد أن سفر يونان كتب في زمن ما بعد السبي، بواسطة كاتب غير معروف، تأثر كثيراً بواسطة كتابات النبي إشعياء (٤٠ -٦٦) وتعاليمه عن الإله الذي يبسط رحمته، ومحبته على الأمم الأخرى، بواسطة كرازة إسرائيل شعبه المختار. ويرجع تاريخ كتابة السفر إلى القرن الخامس.

أما عن روبرت فايفر R.pfciffer فيشك كثيراً في إمكانية مكوث يونان في جوف الحوت، ثلاثة أيام وثلاث ليال. والاعتراض الآخر أن لغة السفر لا تشبه في شيء لغة الأنبياء الأولين (أنبياء القرن الثامن ق.م). ومن الصعب الاعتقاد أن رسالة المحبة، والعطف الإلهي، لأشد أعداء إسرائيل(أشور بلاد العراق حالياً) تُكتب في وقت مبكر من تاريخ إسرائيل، وربما كتب السفر في زمن متأخر يرجع تاريخه إلى أوائل القرن الرابع ق.م والكاتب لم يكن شاهداً على الأحداث.

هذه الآراء كلها، يرفضها العلماء المحافظون، علماء الكتاب المقدس وعلى رأسهم ازروالد أليس O.Allis وادوارد يونج E.Young وغيرهم كثيرهم . ويعتقدون أن يونان النبي هو الذي جاء عنه في (٢مل ١٤ : ٢٥) أيام يربعام الثاني بن يوآش . وربما يكون قد كتب نبوته بعد عودته من نينوى خلال النصف الأخير من القرن الثامن. وربما كانت إرساليته إلى نينوى قد تمت قبل حكم تغلث فلاسر بقليل. بمعنى أن السفر كتب في زمن مبكر جداً أي زمن ما قبل السبي. أما أنه من غير اللائق أو المألوف أن يلقب ملك أشور بأنه ملك نينوى- فهذا غير صحيح بل ومألوف جداً وتكرر ذكره في مواضع عديدة من الكتاب المقدس مثل ملك السامرة آخآب (ويقصد به ملك إسرائيل) (١مل ٢١ :١ ، ٢٠ ، ٤٣) وملك أدوم (٢مل ٣: ٩ ، ١٢) وملك دمشق ويقصد به ملك آرام سوريا(١أخ ٢٤ : ٢٣).

وعن الرأي القائل بأن لغة السفر، تختلف عن لغة الأنبياء الأولين من زمن القرن الثامن ق.م ، لما ورد به من تعبيرات لها الصبغة الآرامية وعلى رأس القائلين بهذا الرأي أيشفيلد وروبنسون، واويسترلي الذين قالوا إن أسلوب كتابة السفر يرجع إلى زمن ما بعد السبي (أي القرن الخامس ق.م). فإن العالم الكتابي إدوارد يونج ينكر هذه النظرية. قائلاً إنها غير معقولة لأن مخطوطات رأس شمرا (يوجاريت) تضمنت عبارات أرامية، يرجع تاريخها إلى ما بين ١٥٠٠ - ١٤٠٠ ق.م كما أن فايفر "Pfeiffer" يعتقد بأنه من غير المعقول أن يبقى يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وليال. والواقع أن هذا أمر يعجب له الإنسان لأن رب المجد يسوع المسيح نفسه أقر تاريخية هذا الحدث المعجزي من الله رب الطبيعة. رب البحر والبر حينما كان يشير في حديثه إلى موته وقيامته: «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام، وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض، ثلاثة أيام وثلاث ليال» (مت ٣٩:١٢ ، ٤٠). وكما يتحدث عن ملكة سبأ (التيمن) كحدث تاريخي أيام سليمان، فهو يتحدث أيضاً عن يونان كشخصية تاريخية (لوقا ١١: ٢٩ - ٣٠) والتاريخ القديم حافل بالمعجزات، كالتي تمت مع النبيين إيليا وأليشع (قارن على سبيل المثال ١مل ٩٧:٩-١١، ٢١-٢٣، ٢مل ١:٥-٣).

بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، وقالوا إن الرب يسوع المسيح استخدم قصة يونان، لا لأنها قصة تاريخية

حقيقة، إنما كان يقصد بها التأثير على سامعيه من اليهود، باقتباسه من تعاليمهم ومعتقداتهم. وهؤلاء هم أصحاب الرأي القائل، بأن سفر يونان لا يزيد عن كونه مثلاً توضيحياً أراد به الكاتب أن يظهر محبة الله للأمم الأخرى، مثل نينوى عاصمة أشور. رغم أنه شعب معاد لشعب إسرائيل. وهذا الرأي يضع السفر في عداد الأمثال مثل الابن الضال (لوقا ١٥: ١١-١٣) . ورغم أن المثل يمكن حدوثه في التاريخ ، مثل الابن الضال الذي يتكرر كل يوم. إلا أن علماء الكتاب من رجال الكنيسة، يرون فيه إغفالاً لحقيقة تاريخية تمت, وهي أن شعب نينوي صرخ إلى الرب، وتذلل قدامه وصاموا، إذ رجعوا إلى الله. «فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة ندم الله على الشر (بمعنى رحمهم إذ تحنن عليهم) ندم على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم» (٣: ١٠) الأمر الذي يؤكده شخص ربنا يسوع المسيح «رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا» (مت ١٢ :١٤).

ويتساءل العلماء أين هذه الكلمات من الحكم على سفر يونان، بأنه مجرد مثل ضمن الأمثال العديدة، سواء في العهد القديم وهي كثيرة (مثل قض ٩:٨ - ١٠، ٢ صم ١٢:١-٣) أو الأمثال الواردة في العهد الجديد، مثلما سبقت الإشارة أيضاً، مثل السامري الصالح (لوقا ١٠:٢٩) وماذا عن ملكة التيمن (ملكة سبأ) التي يشير عنها رب المجد في ذات االنص قائلاً:«ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وهوذا أعظم من سليمان ههنا» (قارن ١مل ١٠ :١ -٩). ألا تعد هذه الكلمات إشارة إلى حقيقة تاريخية أيضاً مثل يونان ورجال نينوى ؟ لا شك أن الربط واضح بين هذين الحدثين المقتبسين من الكتب المقدسة.

وعن أصحاب المدرسة الرمزية

فهم يرتكزون على تفسيرهم الرمزي لسفر يونان، ربما لأن الاسم يونان في العبرية يعني يمامة أو «حمامة»، واستخدم آساف المرنم قديماً هذا التشبيه أو الرمز عن إسرائيل ، فيرفع صلاته إلى الرب ويعدد مراحمه وإحساناته على إسرائيل قائلاً : «أذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القديم وفديتها» (مزمور ٧٤ : ٢) ويشكو إلى الرب تهديدات الأعداء، ويرجوا الإله القديم الذي شق البحر بقوته، وكسر رؤوس التنانين وفتت (طحن) رؤوس الحيات، ويستطرد القول: «جعلته طعاماً للشعب لأهل البرية»، وهذه إشارة ترمز إلى قدرة الله العظيمة الذي جعل من الآكل أكلا (أعداد ١٠-١٤) أنه الإله الذي فجر الماء من الصخر، وأقام عيوناً، وصنع سيولاً، هو ذاته الذي جعل يابسة وسط اللجج. ويبس أنهار دائمة الجريان (عدد ١٥) خالق النهار والليل والصيف والشتاء (عدد ١٦) بهذه اللغة البديعة، يخاطب آساف الرب، ذاكراً أفضاله وجوده، على الشعب قديماً. وفي النهاية يقدم مطلبه إلى صاحب الأذرع الأبدية، التي تعضد وتحفظ ، وتقيمه من السقوط- لا تسلم نفس يمامتك (إسرائيل) للوحش..- قم انهض يا الله، اذكر تعبير الجاهل (أعداد ١٩ -٢١) ويرى هاريسون R.K.Harrison في كتابه مقدمات العهد القديم O.T.Interoduction والصفحات من (٩١١ - ٩١٢) أن المرنم آساف في مزمور ٧٤ يعد أول من استخدم هذا التشبيه، أو الرمز لإسرائيل باليمامة. أما هوشع النبي (في القرن الثامن) فيتحدث عن إسرائيل بفم الرب، ويشبهها بالعصفور الذي يسرع من أرض الشقاء والعبودية من مصر ، ومثل الحمامة من أرض أشور (أرض السبي)، فأسكنهم في بيوتهم يقول الرب (هوشع ١١: ٩-١١). ويونان الذي هو في العبرية يمامة أو حمامة، يرمز- بالنسبة للمدرسة الرمزية- إلى إسرائيل ، والحوت العظيم يرمز إلى أرض السبي، ونينوى المدينة العظيمة (راجع إرميا ٥١:٣٤، ٤٤-٤٥، إش ٢٧:١، ٥١:٩) تشير إلى الأمم الوثنية. ومهمة إسرائيل من قبل الرب هي أن تكرز وتشهد لشعوب الأرض كلها بأن الإله يهوه هو إله السماء والأرض إله البحر والبر (إش ٤٠ -٦٦). إلا أنها أهملت ذلك، وعصيت على الرب إلهها، وسارت في طريق عنادها وضلالها، وأجبرت من قبل الرب على أن تحمل إلى أرض الشقاء والعناء، إلى آشور وبابل. وهناك أمكن صياغتها من جديد.

كما لم يكن السبي للعقاب فقط بل للشهادة للرب أمام أمم الأرض أيضاً. وهذا ما تم بالفعل- في رأيهم- عندما ألقى الملاحون بيونان في البحر، فقد وقف البحر عن هيجانه وصار سكون، فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً (١ : ١٥ -١٦).

هذا التفسير الرمزي يرفضه كثير من علماء الكتاب، إذ يخلق الكثير من المشاكل، بالإضافة إلى أن سفر يونان في ذاته هو حدث تاريخي أقره رب المجد يسوع في الإشارة عن موته، وقيامته، مشيراً إلى قصة تاريخية أخرى، وهي الخاصة بملكة التيمن أيام سليمان.

وماذا عن الحوت العظيم: الذي يشكك فيه كثيرون، والقائلين بعدم إمكانية أن يبقى يونان في جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال. كما يرى روبرت فايفر، وذهب كثيرون إلى الاعتقاد بأن قصة الحوت العظيم، الذي ابتلع يونان، وبعد ثلاثة أيام وثلاث ليال قذف به صحيحاً إلى البحر، تعد الموضوع الرئيسي والهام بالسفر ربما يذهب بعضهم إلى الرأي، بأن سفر يونان لا يمثل شيئاً غير قصة الحوت العظيم. علماً بأن الجزء الخاص بالحوت العظيم، لا يزيد عن ثلاثة أعداد من بين ٤٨ عدداً هي جملة أعداد سفر يونان .وكم عانى الكثيرون منهم، في بذل الجهد للبحث عن حوت هنا أمكنه ابتلاع شخص، وقذف به حيا بعد فترة من الزمن. الأمر الذي أتاح لكثيرين مثل ترمبل Trumbull أن يرفض السفر ولا يرى فيه أكثر من كونه أسطورة، ويرى بأن يونان ظهر لشعب نينوى كأحد المتناسخين للاله داجون، لأناس يعتقدون في الخرافات، أما عن كونج Konig فيعتقد أن هناك علاقة، بين الإشارة عن الحوت والمدينة نينوى، ويشير إلى العلاقة بين الإلهة نينا Nina وايشتار Eshtar بسمكة من الداخل. وهكذا تكثر الأقاويل التي تضع قصة الحوت الذي ابتلع يونان في بند الأساطير.

أما عن ايكورن Eichorn فيكتب بأن حوتاً بدأ في ابتلاع بحار ، وسرعان ما ألقى به على الشاطئ على الفور في حالة فقد الوعي. وفي عام ١٨٩١ م حدث أن حوتاً ابتلع أحد البحارة وألقى به في اليوم التالي في حالة فقد الوعي أيضا- وفي إحدى جزر فوكلاند Folkland ابتلع حوت بحاراً وقذفه على الشاطئ في اليوم الثالث بعد أن أحدث به بعض الجروح الجلدية[1].

مزمور الشكر (الأصحاح الثاني) ووحدة السفر

يرى بعض النقاد، ومنهم ايشفيلد O.Eissfelbt أن الأصحاح الثاني، لم يُكتب بواسطة يونان. بل كتبه شخص آخر، وأنه لا يمثل جزءاً من السفر لأنه يعد مزمور شكر من أجل النجاة. وكيف ليونان أن يترنم بصلاة الحمد والشكر لله في العدد الأول «فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت» وفي العدد العاشر «وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر». ولو أن العدد العاشر من الأصحاح، جاء ترتيبه بعد العدد الأول ، لا تسق المعنى وما بقيت مشكلة. ووذهب فيلهوزن J.Wellhausen إلى القول، بأن العدد الخامس - «التف عشب البحر برأسي» يبطل الاعتقاد أن يونان كان في جوف الحوت، عندما كان يردد هذه الصورة الوارد عنها في الأصحاح الثاني. لأن العشب لا يستقر في جوف الحوت حتى يلتف برأسه.

ويرى علماء الكتاب من المحافظين ومنهم يونج هذه الصلاة صلاة الشكر في الأصحاح الثاني، أساء فهمها النقديون، لأنها ليست صلاة شكر للنجاة من الغرق والهلاك في البحر. بل هي صلاة شكر لله الذي أعد حوتاً عظيماً لينجيه من الموت. وهو الإله الذي بعث في قلبه أيضاً بروح الطمان بأنه لا يصاب بسوء وهو في جوف الحوت.

ولم ترد ثمة إشارة في هذا الأصحاح ، سواء من قريب أو بعيد، عن خلاص الرب ليونان من جوف الحوت حتى يتبين التعارض أو التناقض بين العدد الأول والعدد العاشر. وبهذا يثبت الاعتقاد بوحدة السفر والترابط بين

(1) R.K.H, Introduction to the Old Testament, P 907.

أصحاحاته الأربعة. أما عن التعبيرات الواردة بهذا الأصحاح أو بهذه الصلاة مثل «تياراتك ولجك»-«أحاط بي غمر»- «التف عشب البحر برأسي».. «نزلت إلى أسافل الجبال»- مغاليق الأرض- والهاوية إنما هي عبارات مجازية، تعبر عن خلاص الله له من الموت في المياه. فلا تؤخذ حرفياً، وما أكثر هذه العبارات المجازية في العهد القديم التي تنطوي على معان رفيعة وسامية (قارن إش ٥٥:١٢ب ، إر ١٥:١٦أ) . بهذا الفعل العظيم الذي أعده الرب ليونان، أمكن خلاصه من الموت بالغرق في المياه. وبينما كان في جوف الحوت، رفع يونان تسبيحة الشكر هذه - وفي الوقت المعين أمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر.

غاية السفر

يربط كثيرون بين سفر يونان، وحدث ابتلاع الحوت ليونان، ولا شيء أكثر من هذا. رغم أنه لم يرد أكثر من ثلاثة أعداد عن قصة الحوت. وغاب عن الكثيرين، أن سفر يونان يحتوي على كنوز ولآلئ ثمينة، من المعرفة والعلم عن طبيعة الله ومحبته الفائقة الإدراك. وكان يونان يعلم ذلك جيداً، من دراسته للتوراة، الأمر الذي انزعج له النبي، حتى طلب الموت لنفسه، في القول «علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر» (يونان ٤ :٢ ، خروج ٣٤:٦-٧) كان يونان يعلم أن محبة الله متسعة وفائقة كل إدراك إنساني، بل أكثر مما يتوقع الإنسان أو يستحق وخلف عدل الله وغضبه، تكمن دائماً محبته وإحسانه[1].

والسفر يعد تحدياً ضد الفكر الضيق، والمنغلق للقومية اليهودية، نحو الشعوب الوثنية. لقد هرب يونان لأنه شعر بصلاح الله نحو أهل نينوى وحتى بعد أن قذف به الحوت إلى البر، وذهب إلى نينوى المدينة العظيمة مجبراً ، لم يكلف نفسه جهداً، أن ينادي على المدينة كلها بالتوبة بأن المدينة ستنقلب بعد أربعين يوماً. ولأن المدينة متسعة وكبيرة، وتحتاج منه ثلاثة أيام سيراً على الأقدام لتغطيتها كلها. سارها هو في يوم واحد فقط (٣:٤).

وكرازته المقتضبة هذه والموجزة، كان لها ثمرها المتكاثر والفائق. والذي لم يكن يتوقعه النبي. آمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم، وتذللوا، ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم (٣ :٥). «فلما رأى الله أعمالهم وأنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة» تحنن الله عليهم فلم يصنع بهم شراً كما تكلم به (عدد ١٠).

من أجل ذلك غضب يونان جداً، واغتم غماً شديداً. وتأوه بالقول: أليس هذا كلامي عندما كنت في أرضي، لذلك قصدت الهرب إلى ترشيش (أسبانيا)، لأنني أعلم جيداً طبيعتك الراحمة، وعطفك وكثرة مراحمك (٤:٢، خر ٣٤: ٦، ٧، ٢٢:٢٧). وأراد الله بلمسته الحانية أن يعلمه درساً في ذلك باليقطينة، والتي حزن لأجلها، عندما يبست فقال له الله: أنت أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، والتي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت، ألا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة العامرة بسكانها وثرواتها الحيوانية (٤:١٠-١١).

لم يحدث أن تحدث نبي في العهد القديم بهذه الحقيقة، أن الله خالق الأرض كلها وما فيها. وهو بالضرورة أب لكل العالم وهو في محبته وعطفه وأبوته يرى جميع البشر متساوين. وأمامه لا فرق بين شعب وشعب لأنه خالق الكل[2].

وينهي سفر يونان كل تعصب بين شعب وشعب. إنها رسالة حية لكل زمان ومكان، حتى تسود المحبة، وترفع الضغينة والحقد بين الإنسان وأخيه الإنسان. «وكانت كلمة الرب إلى يونان ثانية». إنها الكلمة الإلهية التي تأتي ثانية وربما ثالثة إلى العالم بجملته. لأنه لا سلام للعالم إن لم تكن هناك روح الأخوة المتبادلة، والمساواة في الحقوق لكل البشر والواجبات أيضاً. والسلام الوطيد هو المؤسس على العدالة. ولن يتحقق هذا السلام ما دام هناك شعور بالظلم نحو شعب آخر وطبقة ضد طبقة.

(1) Abraham J. Heschel, The Prophets, pp.486-87.
(2) Cornill, The Prophets of Israel, p.173

إن سفر يونان دعوة إلى الأخوة- العدالة- والإنسانية التي يقصد بها حقوق الإنسان الفرد.

تلك هي رسالة سفر يونان الهامة، والغاية العظمى من سلام دولي شامل، دونما تعصب للون، أو جنس، أو عقيدة- إذ يعلن السفر بكل الوضوح الكامل، أن الله رب الطبيعة ورب التاريخ، هو الخالق، وأب كل خليقة، ومحبته تضم كل البشرية في أرجاء المسكونة. والنبي الموحى بالروح القدس يقدم لنا رسالة اليوم، بأن الله لا يهتم فقط بإسرائيل بل بكل الشعوب الأخرى، ومحبته لأتحد بمكان أو زمان.

وفي نهاية السفر، نجد شعب نينوى، يعلن إيمانه بالله. نينوى المدينة الفاسدة، وأساس وتجسيد كل شر، رمز لكل ضلال وفساد. الرب يقبل تذللهم وتوبتهم، ويرفع عنهم غضبه المعلن لهم قبلا بواسطة النبي يونان، الذي كان معادياً لهم. وتاب يونان بالفعل (قارن إش ٥٥: ١٠-١١) وتعلم درساً لن ينساه.

إن سفر يونان يعلن اتساع محبة الله، ونعمته لكل إنسان من كل قبيلة ولسان، وشعب، وأمة، ورحمته بغير حدود. ويريد أن يتمتع الجميع ببركاته ويبتهجوا بخلاصه.

ميخا

ميخا اختصار للاسم العبري «ميخائيل» ويعني بالعربية «من مثل الله» جاء ميخا من قرية بسيطة لقب بها بالمورشتي، ولم يرد شيء عن عائلته. ويرجح أنه جاء من أسرة بسيطة إذ لم يذكر شيء عن والده. ولقب ميخا بالنبي الريفي، نبي الإنسان البسيط إذ تحدث عن الفلاحين والفقراء، الذين عانوا كثيراً، من الملاك العتاة الجبابرة. وفي مجالات عديدة يذكرنا بعاموس، نبي العدل الاجتماعي- ويرى البعض أن ميخا كان أحد تلاميذ إشعياء النبي، إلا أنه لا يوجد ما يبرهن تأكيد هذا الرأي. غير أنه يوجد تشابه كبير في تناولهما للموضوعات الراهنة لكل منهما، وحالة يهوذا خلال القرن الثامن ق.م.

أقسام ومشتملات السفر

يري أندرسون B.W Anderson أن سفر ميخا مثل سفر إشعياء كتب على هيئة قصائد من الشعر في أسلوب التوازي والمقابلات: دينونة ورجاء، قضاء (محاكمة) وتجديد. وهذا الأسلوب الإيقاعي والأوزان البديعة هي من بناء السفر الذي يمكن تقسيمه كما يلي:

أولاً: إعلان الدينونة على بيت إسرائيل (١: ١ - ٣ : ١٢).

١- القضاء المستعلن على بيت إسرائيل (١: ١- ١٦).

٢- العقاب وعودة إسرائيل(٢: ١-١٣).

٣- أمراء وأنبياء يحاكمون (٣ : ١-١٢).

ثانياً: إعلانات عن الخلاص (مجد المملكة العتيدة) (٤ :١ -٥ :١٥).

ثالثاً: التباين بين ديانة يهوه وديانة الشعب (٦ : ١-١٦).

رابعاً : الكشف عن الظلم الاجتماعي والوعد بالبركة الإلهية(٧ : ١-٢).

مورشته

وهي المدينة الصغيرة التي تربي فيها ميخا وعاش. ولا يعرف عنها الشيء الكثير (١: ١٤،١ - ١٥) (إرميا ٢٦ : ١٨) والمكان حالياً هو مريشه. ولم تكن لها المكانة الهامة كثيراً سوى ما ورد عنها كمنطقة حرب (٢أخ ١١ :٨، ١٤:٩- ١٠) قارن (٢ أخ ٢٠ :٣٧) وتقع هذه المدينة الصغيرة في الجنوب الغربي لفلسطين في منطقة تسمى شيفيله، على الحدود بين يهوذا وفلسطين في اتجاه مصر. وتبعد عن أورشليم بما يقرب من ٤٠ كم، إلى الجنوب الغربي، في منتصف الطريق بين أورشليم وغزة، بالقرب من قوات لاخيش أي بالقرب من المدن الفلسطينية. ويرجع لقبه بالمورشتي هذا لمحبته لسكان هذه المناطق وإندماجه معهم. وواضح أنه كان مسالماً ومحباً لأعدائه أيضاً.

ميخا أحد الأنبياء الأربعة العظماء في القرن الثامن ق.م.

من أنبياء هذا القرن عاموس- هوشع - إشعياء- ميخا، ويختلف ميخا عن الثلاثة الآخرين من الناحية الاجتماعية. فعاموس كان راعياً من تقوع بين الجبال الشاسعة. وهوشع الفلاح الناجح من شمال إسرائيل. وإشعياء رجلاً أرستقراطياً نشأ وتربى في البلاط الملكي بالعاصمة أورشليم. وعلى النقيض منه نشأ ميخا في مدينة صغيرة

بين الطبقة الكادحة الفقيرة. وربما يرجع نسب ميخا النبي إلى أليعزر دوداواهو من مريشه الذي تنبأ ضد الملك يهوشافاط لاتحاده مع أخزيا، فتكسرت السفن ولم تستطع السير إلى ترشيش (٢ أخ ٢٠ :٣٧)، وهذا غير مؤكد. إلا أن التأثير المباشر على ميخا جاء من عاموس، الذي عاش بالقرب منه بمسافة تصل إلى ٣٥ كم. وانعكس تأثير عاموس النبي على ميخا، في التعاليم الواردة بوضوح في السفرين (قارن ميخا ٢ : ٦ ، عاموس ٢ :١٢ ، ٥ : ١٠ -١١ ، ٧ : ١٠ -١١) وكان النبي على علم بصرخة عاموس من أجل العدالة.

كما تأثر بالنبي الإنجيلي إشعياء. وظهر ذلك بكل جلاء في تعاليمه (قارن أيضاً ميخا ١ :١٠-١٦، إش ١٠: ٢٧ - ٢٩، ميخا ٢ :١ -٧ ، إش ٥ :٨ - ١٠، ميخا ٥ :٩-١٤، إش ٢ :٦-٨). وفي ضوءها جاء في (إرميا ٢٦ : ١٨ - ٢٠) يبين لنا أن ميخا تكلم جهاراً، بكلام الدينونة على صهيون وأورشليم، بكل القوة في أيام حزقيا الملك، حتى أن كلماته أقتبست بعد قرن من الزمان. وهذه المناسبة العظيمة، التي ذكرت فيها كلماته، أنقذت في حقيقة الأمر، حياة النبي إرميا في وقت تعرض فيه إرميا لخطر الموت. ومن تأثيرات عاموس النبي على ميخا أنه كان ملهماً له، بأن يتوجه إلى السامرة للكرازة، حتى يجنبها خطر الصدام مع قوات الأشوريين، في الوقت الذي لم تكن لديها القوة، لردع هذه القوات الجبارة، ويوقظ الإسرائيليين بحقيقة الدمار المؤكد. موجها كلماته البانية والمرشدة لشعب يهوذا في الجنوب، حتى يتعظوا ولا يقعوا تحت طائلة العقاب المحقق لشعب الشمال (إسرئيل). وعلى خلاف إشعياء الذي كان مهتماً، بل منشغلاً بالأمور السياسية، وحياة البلاط الملكي. إن ميخا، يحمل في قلبه، اهتمام الإنسان البسيط رجل القرية برفقائه المجاهدين من الفقراء البائسين من بني جنسه (ميخا ٢ :١-٣) مثلما حدث أيام عاموس من ظلم الفقير والمسكين، والسلوك غير السوي (٢ :١١). كما أكد ميخا على جوهر البر، والتمسك بالحق، وأهمية ذلك في حياة الفرد والجماعة. وضرورة السلوك بأمانة أمام الرب، وحفظ عهده، حتى تنعكس طيبة الله في حياتهم المتميزة، كشعب أمين. الذي اختارهم من بين جميع الشعوب.

وقد عانى ميخا، مثل عاموس وهوشع النبيين العظيمين من الفساد، الذي كان يعيشه الشعب، من جراء تأثير الديانة الوثنية الكنعانية في ذلك الوقت، من الظلم المتفشي في كل مكان. موجهاً تحذيره لهم قائلاً: «أليس لكم أن تعرفوا الحق، المبغضين الخير والمحبين الشر النازعين جلودهم عنهم ولحمهم عن عظامهم والذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهمشون عظامهم ويشققون كما في القدر وكاللحم في وسط المقلي» (ميخا ٣ :١-٣) معلناً قضاء الرب على الأنبياء الكذبة الذين يضللون الشعب (ميخا ٣ : ٥-٨).

وعلى العكس من هؤلاء الأنبياء الكذبة، كان ميخا ملآناً من قوة روح الرب وحق وبأس ليخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته (٣ : ٨-٩) لذلك أعلن في دعوته الإلهية أيضاً أن هذا الفساد الروحي، والظلم الاجتماعي، مرجعه الطمأن الكاذب الذي يبثه فيهم أنبياؤهم الكذبة الذين يتنبأون عليهم بالفضة، قائلين: لا يأتي علينا شر (قارن ميخا ٣ : ١١-١٢).

الكاتب وزمن الكتابة

يُعد ميخا المورشتي كاتباً للسفر بجملته، كما يرى غالبية العلماء. أما عن المدرسة النقدية ومنهم ايشفيلد، فيرون أن الأصحاحات الثلاثة الأولى كتبها ميخا ما عدا (٢ :١٢ -١٣، ١ :١) والأعداد (٢ :١ -٨) التي تحدث بها قبل سقوط المملكة. ويضيف ايشفيلد قائلاً: بأنه غير متيقن عما إذا كان هو الكاتب للجزء من (٤ :١-٥ :٨) ويرى بأن ميخا هو الكاتب للجزء الوارد في (٦ :١-١٦)، (٦-١٦). أما النص الوارد في (٧ :٧- ٢٠) فيرى ايشفيلد بأنه ينتمي إلى عصر متأخر خلال النصف الأخير من القرن السادس ق.م : خلال فترة كتابة الجزء الثالث من إشعياء (٥٦: ٦٦).

غير أن العديد من العلماء المدققين، لا يرون سبباً مقنعاً يقدمه أيشفيلد لاعتقاده هذا ، بالرغم من وجود التشابه والترابط القوى بين أجزاء السفر. أما عن فيلهوزن فيتفق مع إيوالد الذي نسب الجزء المذكور في (ميخا ٦ : ١-٧ :٦) إلى وقت حكم منسى بعد زمن ميخا. أما عن الجزء (٧: ٧-٢٠) فأرجعه إلى زمن السبي. أما وايلدبور ويونج فلا يريان سبباً مقبولاً للاعتقاد بأن ميخا لم يكن كاتبا لهذه الأجزاء- ويتفق ميخا مع إشعياء في الإشارة عن شخص رب المجد (إش ٩: ١-٣ : ١-٣) قارنه مع (ميخا ٥ :٢-٧) مشيراً إلى محاولات الأمم الوثنية ، وهجماتها على صهيون وهزيمتهم المحققة (إش ١٠ : ٢٤ -٢٦ ، ١٧ : ١٢ -١٤، ٢٩ ،١:٢٩، ٣١ :٤-٥ قارن مزمور ٤٦ : ٥-٧).

يوضح العدد الأول (ميخا ١:١)أن ميخا بدأ خدمته في عصر ملوك يهوذا يوثام وآحاز وحزقيا (أي ما بين ٧٣٧ - ٦٨٧ ق.م تقريباً). والكلمات الواردة في (إرميا ٢٦ : ١٨-١٩) كما سلفت الإشارة توضح أن خدمة ميخا ودعوته، تمت خلال حكم حزقيا الملك أي ما بين عام ٧١٥ - ٦٨٧ ق. أما الجزء الأخير (٧ : ١٨- ٢٠) فله علاقة بالكوارث الحادثة عام ٧٠١ ق.م عندما بدأ هجوم ملك آشور وسنحاريب قائد الجيش على المدينة أورشليم ومُني فيها آشور بهزيمة ساحقة (قارن ٢مل ١٩) وكان لميخا دوره الهام في هذا الحدث الجليل خلال حكم الملك حزقيا- وكان مستعدا أن يضحي بحياته، في سبيل إصلاح هذه الأمة الخاطئة (يهوذا) ملاذه الوحيد. وكان توبيخه لحزقيا الملك آنذاك أثره الفعال (قارن إرميا ٢: ١٧ -١٩). وهنا قام حزقيا بهدم المرتفعات والأنصبة التي عبدها الشعب المختار من الرب كما عبدها كثيرون من الشعوب الأخرى. وربما يعد هذا إنجازاً عظيماً قام به ميخا بقوة الله. وبهذه المناسبة يسطر كاتب سفر الملوك الثاني، عن حزقيا الملك، «على الرب إله إسرائيل اتكل. وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا، ولا في الذين كانوا قبله. والتصق بالرب ولم يحد عنه. بل حفظ وصاياه التي أمر بها الرب موسى، وكان معه وحيثما كان يخرج كان ينجح وعصى على ملك آشور ولم يتعبد له» (٢مل ١٨:٥-٧).

رسالة السفر

الجبال والوديان تذوب كالشمع أمام النار

يبدأ النبي ميخا سفره بصرخة عطف من القلب. ورغم محبته لشعبه وموطنه، إلا أنه لا يتردد في إعلان غضب الرب عليهم، لأنه متيقن من العقاب والدمار الذي سيحل عليهم. وسيأتي الرب من العلاء، ويدين المسكونة بالعدل، وتسقط السامرة (عاصمة اسرائيل) وتدمر أنصابها. وتعقبها في ذلك يهوذا، لأن الأعداء على أبواب أورشليم (٢مل ١٨-١٩) وينادي ميخا على الشعب هوذا الرب يخرج من مكانه وينزل يمشي على شوامخ الأرض، فتذوب الجبل من تحته وتنشق الوديان كالشمع قدام النار... كل هذا ، من أجل إثم يعقوب، ومن أجل خطية بيت إسرائيل (١: ٢-٥). لذلك ينوح مولولاً يمشي حافياً ويصنع نحيباً لأن جرحهم عديم الشفاء(١:٨-٩).

ويلتفت النبي إلى وطنه، ويذكر قراها بأسمائها واحدة واحدة. الكل قريب إلى قلبه . لذلك يحزن ويكتئب. إنه يتمزق لأجل شعبه وما يصيبه - إنها المحبة الخالصة العميقة لهم، والأمانة لله في ذات الوقت، والولاء لدعوته السماوية من الرب الرحيم الأمين.

ولابد من حتمية المواجهة لكل ظلم وشر اغتصاب بينهم لأن ذلك في قدرة يدهم (أصحاح ٢-٣) كيف لا وأنبياؤهم كذبة يقولون لكل من يسلك بالحق والأمانة: لا تتنبأوا (٢: ٦، ١١). ولأن ميخا كان رجلاً بسيطاً من عامة الشعب، كان الفقير والمسكين والبائس موضوع اهتمامه، فأدان اغنياءهم لكل شرهم وإثمهم وسلوكهم غير الإنساني، واستبدادهم للفقير البائس. لذا قيل إنهم : «المبغضين الخير والمحبين الشر، النازعين جلودهم عنهم ولحمهم عن عظامهم. والذين يأكلون لحم شعبي، ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم... حينئذ يصرخون إلى الرب، فلا يجيبهم. بل يستر وجهه عنهم»(٢:٣-٤أ) «قضاتهم يرتشون ويكرهون الحق ويعوجون المستقيم» (٣:٣).

إنها رسالة حية وباقية. تدين كل ظلم واغتصاب وفساد، من إنسان ربما يحيا حياة فضلى في الظاهر، ويحمل في صدره كل ما هو مكروه أمام الرب، ويتجلى ذلك في حياته العملية.

إنها رسالة دينونة، وصرخة من أجل العدل، فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها، والبيوت ويأخذونها، ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه» (٢:٢، ٦:١١- ١٢ وقارن ١مل٢١). وبسببهم تحرث صهيون كحقل، وتصير أورشليم خرباً، وجبل الرب كمرتفعات في غابة (٣:١١، ١٢).

سيخرجني إلى النور سأنظر بره

بتلك الكلمات يتحدث المسكين والبائس الفقير، واثقاً في عدل إلهه بالصبر لأن منه وبه وفيه الخلاص «ولكنني أراقب الرب أصبر لإله خلاصي، يسمعني إلهي» ويردد بكلمات يعتصرها الألم مصحوبة بالرجاء، في الرب وحده: «لا تشمتي بي يا عدوتي إذا سقطت أقوم، إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي.. سيخرجني إلى النور، سأنظر بره - الأعداء يرون ذلك فيعتريهم الخزي، القائلين لي قبلاً أين الرب إلهك- عيناي تنظر إليهم - الآن يصيرون للدوس كطين الأزقة والطرقات» (٧: ٧ - ١٠).

ويكون في آخر الأيام

يتحدث ميخا النبي، في لغة ملؤها يقين الرجاء في الله القادر على كل شيء. «ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال. تجري إليه شعوب، يسرع إليه كثيرون. ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب. وإلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا الرب هناك من طرقه ونسلك في سبله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب..فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد. بل يجلس كل واحد تحت كرمته، وتحت تينته. لأنه لا يكون من يرعب. لأن رب الجنود تكلم. لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر والأبد» (٤ :١ - ٥، قارن إش ٢ : ٢ - ٤، ١١ : ٣ -٥، لاويين ٢٦ :٦، إش ١ : ٢٠ ، ٤٠ : ٥).

إله المحبة يسأل شعبه ماذا صنعت بك اشهد عليّ؟

يعد النص الوارد في السفر (٦ : ١- ٨)، من أهم وأعذب النصوص الموجودة في كل الكتب المقدسة. إذ يعد خلاصة رسالة أنبياء القرن الثامن حيث يقف الرب أمام شعبه، في لغة تفيض بالحنان والترفق. يا شعبي ماذا صنعت بك؟ أي شيء لم أصنعه لك؟ وبماذا أغضبتك؟ تكلم - تحدث - اشهدْ عليّ- إني أصعدتك من أرض العبودية أرض مصر. منحتك الحرية وأرسلت أمامك موسى وهرون ومريم، التي ترنمت بخلاص الشعب الذي عبر على اليابسة وسط اللجج والمياه سور عن اليمين وسور عن اليسار... الفرس وراكبه طرحهما في البحر وهي التي نادت رنموا للرب. «هل رنمتم لي يا شعبي، أم نسيتم فعلي العظيم معكم» (قارن خروج ١٥ : ١٠-١١) يا شعبي الذي افتديته كم تآمر ضدك الناس وأنا وقفت إلى جوارك عاضداً ومنقذاً.

وهل من جواب لدى الشعب ؟.. لا توجد لديهم الإجابة . بل التصقت ألسنتهم في أفواههم- إنه جواب بالتقصير الكامل المخزي- والجبال تقف شاهدة وبثبات أمام هذه الدعوى (٦ :٢).

ويطالب الرب في هذه المحاكمة بالتحقيق فيما أنجزه. ولا يطالب بالعودة إلى النواميس والشرائع والأحكام المكتوبة في كتاب. بل إلى ما هو مؤسس على أحداث تاريخية أظهرت محبته ونعمته نحو الشعب، بدءاً من الخروج إلى الاستيطان في كنعان أرض الموعد.

إن شعب إسرائيل نسى أعمال الله العظيمة التي صنعها لهم، لم يعودوا يدركون «وماذا يطلبه الرب منهم» يتساءل النبي مستنكراً(٦ : ٦-٧)« بم أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العلي، هل أتقدم بمحرقات أبناء سنة، هل يُسر الرب بألوف الكباش، بربوات أنهار زيت» (قارن ١ صم ١٥ :٢٢، مزمور ٥٠ : ١٣ -١٥ ، مزمور ٥ : ١٦ - ١٧) وهل أتقدم إلى الرب بتقديم ابني البكر كذبيحة عن خطاياي، كرجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمامكم (قارن ٢مل ١٦ : ٢ - ٣).

وكيف تجيب إسرائيل وليس لديها إلا العار والخزي. وعليها أن تعترف وبوداعة، أن أعمالها جميعها لا تتفق ومحبة الله. المحبة الدائمة غير المتغيرة، المحبة التي تفيض بكل الخير والنعم. لقد نقضت إسرائيل عهد الرب إلهها، بكل ما فعلته من آثام وشرور ورجاسات- والمحرقات وأنهار الزيت وتقديم الأبكار جميعها مرفوضة أمام الرب لأنها مكرهة قدامه، بل تعد عصياناً وشراً.

قد سبق وأخبرك الرب أيها الإنسان ما هو صالح (عدد٨) «وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق» ليس فقط أن تقول الحق بل أن تبذل كل الجهد حتى تصنعه.

الحق الذي ربما يكون قد انتفى وتلاشى، عليك أن تصنعه وتحب الرحمة، فلا تحمل ظلماً على الفقير والمحتاج- الإنسان المسكين. أن يكون لك القلب الرحيم المتعاطف نحوه، وقت الحاجة والألم- حق ورحمة نحو أخيك الإنسان، وتواضعاً مع إلهك صانعك وفاديك، حافظاً عهده، ليكون لك تمتعاً ببركات هذا العهد معه (خروج ١٩ : ٤ ب - ٦أ) قارن (دانيال ٤ :٣٧).

بهذه الكلمات في ميخا(٦ :٨) يلخص النبي كل انتظارات الرب من الإنسان. إنه الإله الذي لا يوجد مثله بين الآلهة، غافر الإثم وصافح عن الذنب..لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يسر بالرأفة (٧ : ١٨-٢٠).

ناحوم

ناحوم ويعني به في العبرية ملء التعزية. غير أن مضمون السفر يعد رسالة دينونة إلى مدينة نينوى العاصمة الآشورية الامبراطورية القديمة.

وحي على نينوى (١: ١) إنها رسالة تثقل بها النبي، رسالة قضاء معلن على المدينة العظيمة (قارن إش ١٣ :١، زكريا ٩ :١، ١٢ : ١) إعلان جاء من الله مباشرة لناحوم الألقوشي، نسبة إلى ألقوش مسقط رأسه. وأعتقد أنها في الجليل في عهد جيروم مترجم الفولجاتا (اللاتينية). وهي مدينة صغيرة. وربما كانت القرية التي سميت باسم كفر ناحوم ، ولكن هذا غير مؤكد. ويحدد البعض الآخر ألقوش في منطقة جنوب يهوذا (١ : ١٥) وربما يكون النبي ناحوم قد ولد في الجليل وكرز أخيراً في الجنوب كما يرى البعض.

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: بر الله وعدله (١: ١-١٥).

١- موضوع السفر (١:١).

٢- غضب الله (١ : ٢-٦).

٣- صلاح الله نحو شعبه الذي ظهر في هلاك مضايقيهم(١ : ٧-١٥).

ثانياً: حصار نينوى وسقوطها (٢ : ١-٣ :٧).

١- وصف المهاجمين والمدافعين عن المدينة (٢ : ١-٧).

٢- نينوى كمأوى للأسود (٢ : ٨ - ١٣) يجب أن تمحى.

٣- نينوى كأمرأة زانية يجب أن تشهر (٢ : ٨ -١٣).

ثالثاً: خطايا نينوى هي سبب سقوطها(٣ : ٨-١٩).

١- ستسقط نينوى مثل نوأمون (طيبة) (٣ : ٨-١١).

٢- سيسقط عظماء نينوى وقادتها كأشجار التين بالبواكير (الثمار الناضجة) (٣ : ١١-١٥).

٣- سيهرب أجناد نينوى كما يهرب الجراد (٣ : ١٧ -١٨).

٤- كل من يسمع بهلاك نينوى يبتهج لأن شرها شمل كل مكان (٣: ١٩).

الكاتب وزمن الكتابة

تثبت الحفريات أن سقوط نينوى تم خلال عام ٦١٢ تقريباً . وجاءت نبوة ناحوم قبل السقوط بقليل- بالإضافة إلى نوأمون (طيبة) ووقوعها في الأسر(٣ : ٨) ويرجح أن ذلك تم أيضاً ما بين ٦٦٨- ٦٦١ ق.م وعلى وجه التقريب عام ٦٦٣ ق.م أيام حكم أشوربانيبال. والجدير بالإشارة أن مدينة طيبة (نوأمون) مدينة تقع على جانبي نهر النيل وهي عاصمة مصر العليا، ومركز العبادة للإله أمون. وكان بها معبد مشهور. ودمرت هذه المدينة تماماً عام ٨١ ق.م. ولأنه قد وردت الإشارة عن سقوط نوأمون (طيبة) في السفر (٣ : ٨) والذي وقع عام ٦٦٣ ق.م تقريباً. كما

جاء عن نينوى بأنها ستسقط وقد تم بالفعل عام ٦١٢ق.م لذا يؤرخ سفر ناحوم ما بين عام ٦١٣- ٦١٢ ق.م قبل سقوط مدينة نينوى بقليل.

وموضوع حديث ناحوم هو سقوط نينوى. ويبدأ الأصحاح الأول بمقدمة مزمور، ويترنم فيه للرب، معلناً مجده. ويعلن العقاب على أعداء الرب وإحسانه لمن يثق فيه. وربما شابه هذا الأصحاح الأول قصيدة (ترنيمة) دبورة في سفر (القضاة)، ومرثاة داود عندما سمع وفاة شاول وأبنائه (قارن ٢ صم ١ : ١٩ - ٢٧) كما تميزت لغة السفر بالجمال والقوة تعبيراً عن النصرة. وربما لقب بآخر وأعظم الشعراء العبرانيين.

وفي الأصحاح الثاني يستمر في وصف حصار نينوى وهلاكها. وفي الأصحاح الثالث يوضح أسباب سقوط المدينة.

ويعد السفر وحدة كاملة ، وكاتبه ناحوم النبي كما يرى علماء الكتاب.

غير أن العلماء النقديين، يرون أن الأصحاح الأول لا يتحدث عن سقوط نينوى موضوع الأصحاحين (٢، ٣) وهنا يرى علماء الكتاب أن الأصحاح الأول يتحدث عن مجد وقوة الله العجيبة والفائقة وهو بمثابة مقدمة لرسالة النبي المدرجة في الأصحاح الثاني والثالث.

الخلفية التاريخية

لا يمكننا فهم سفر ناحوم دون التعرف على الخلفية التاريخية لمدينة نينوى وهي عاصمة الامبراطورية الأشورية العظمى على جانب نهر دجلة شمال أشور. وقد توالى عليها الحكام العظماء تلغث فلاسر الثالث، وسرجون، وسنحاريب، وأسرحدون، وأشوربانيبال.

وفي أيام تغلث فلاسر سقطت دمشق عاصمة آرام ٧٢٣ ق.م حيث حملت الأسباط العشرة (المملكة الشمالية) إلى السبي. وجاء من بعده الملك سنحاريب الذي ضعفت أمامه بابل، وفي عام ٧٠١ ق.م زحف على يهوذا وهدد حزقيا ملك يهوذا. واستولى على ٤٦ منطقة، وحمل ٢٠٠٠٠٠ سجين وحاول دخول أورشليم، والاستيلاء عليها. إلا أنه لم يتمكن من ذلك بقوة الرب (قارن ٢ مل ١٨ : ١٣ ، ١٩ : ١- ٣٦) واستولى ابنه أسرحدون على صيدون وأضعف قوة أدوم وموآب، وغزة وفلسطين، وعزم أن يقود حملة ضد مصر.

وفي أيام حكم أشور بانيبال، وصلت نينوى عاصمة أشور إلى أوج مجدها وقوتها وقامت بالهجوم على مصر وزحفت إليها (ناحوم ٣:٨-١٠).

كان الأشوريون سادة في فن الحرب ، ورجالاً عتاة وأفذاذاً. وكم من ممالك انكسرت أمامهم.

وبعد موت أشور بانيبال عام ٦٣٥ ق.م صار سقوطها سريعاً، نتيجة التمرد داخل الامبراطورية نفسها ، وتهديدات الماديين والكلدانيين. وبدأت المستعمرات الأشورية تنفض عن كاهلها نير الآشوريين، وفي عام ٦١٤ق.م عقد ملك الماديين تحالفنا مع بنو بولاسر ملك بابل، وسقطت نينوى بعد حصارها عام ٦١٢ ق.م وهو الموضوع الرئيسي والهام في سفر ناحوم النبي، الذي تنبأ عن سقوطها قبل ذلك ببضعة سنين (قارن إش ٣٠ :٣٠ -٣١، صفنيا ٢:١٣-١٤).

رسالة السفر

الرب إله غيور

عندما قامت قوات أشور (نينوى) بالهجوم على بني إسرائيل وكانت مثار تهديد وقلق لهم لسنين عديدة كان القصد من ذلك هو تطهير إسرائيل بواسطة أشور كعصا تأديب - والآن يأتي دور أشور في التأديب والتقويم لأنها

افتكرت ربما لأجل صلاحها تم ذلك، مثلما افتكرت إسرائيل ذلك (عاموس ٣ : ٢) لكن الرب يهتم بخلاص شعبه من يد مضايقيهم. والكلمة غيور يقصد بها، كما يرى الشراح، أن الله يغار على قداسته ويعمل على دوام حياة الطهر بين شعبه وحكم البر في العالم(خروج ٢٠ : ٥، عدد ٢٥ : ١١، ١٣) الرب إله غيور وأيضاً منتقم أي إله العدل هو... حافظ الغضب على أعدائه (١:٢أ) حتى يعرفوه ويحيوا حياة البر - الرب بطيء الغضب (عدد ٣) الرب في الزوبعة، في العاصفة طريقه، والسحاب غبار رجليه، ينشف البحر... يجفف الأنهار... الجبال ترجف منه والتلال تذوب... من يقف أمام سخطه ومن يقوم في حمو غضبه. غيظه كالنار والصخر تنهدم منه (قارن عاموس ١ :١٤، هوشع ١٣ : ١٥، إرميا ٢٣:١٥، ١مل ١٩ -١١، ٢مل ٢ :١، أيوب ٩ :١٧، ٣٨ :١، ٤:٦، خروج ١٩ :١٨، قض ٣ :٤، حبقوق ٣: ٦، مزمور ٩٧ :) كما إنه صالح وبار.

هذه الصفات جميعها تمثلت في الله لأنه محب، ومحبته غير مدركة. ويلقي النبي ناحوم ضوءاً يكشف لنا هذه الحقائق المبهجة للنفس البشرية ..«صالح هو الرب حصن في يوم الضيق وهو يعرف المتوكلين عليه» إنه إله غيور ومنتقم معاً، يعرف المتوكلين عليه، ويطرح أعداءه موطئاً لقدميه، هو رب الطبيعة ويسود عليها وهي طوع أمره. وهو إله الحق والبر وأيضاً إله العدل- إله المحبة المقدسة العادلة، يحب الخير ويبغض الشر. ومن يقوم في حمو غضبه (عدد٦). وفي نفس الوقت ينشد النبي قائلاً صالح هو الرب حصن هو في يوم الضيق(عدد٧). لا لبس ولا تناقض في ذلك بل طبيعته ناصعة وطاهرة أكثر من الشمس في طهرها- فالأصحاح الأول في جملته يصحح مفهوم الرحمة والمحبة عند الإنسان ويقدم بعمق شديد المعنى الخاص بطبيعة الله وصلاحه.

ويدرك المرنم حقيقة هذا الأمر. لهذا يهتف «ما أطيب الرب» ويدعو كل إنسان ليذوق، ليختبر ويدرك هذه الحقيقة بنفسه، وينظر متأملاً متفرساً في نفسه وما اختبره في يهوه الرب المخلص. «طوبى للرجل المتوكل عليه» إنها ذات الكلمات التي أعلنها ناحوم (١ : ٧ قارن مزمور ٣٤ : ٨).

أمام ذات الإله الطيب الصالح، لا يستطيع أن يقف أمامه الشرير، ولا يقوم في حمو غضبه.. أعداؤه يتبعهم الظلام (عدد٨) . ستكون نينوى عبرة لكل القوات الشريرة والسلاطين المتجبرة. وبهذه الكلمات التي تبعث في النفس سروراً وفرحاً، يختتم النبي أصحاحه الأول قائلاً: «هوذا على الجبال قدما مبشر مناد بالسلام، عيدي يا يهوذا أعيادك أوفي نذورك فإنه لا يعود يعبر فيك أيضاً المهلك، قد أنقرض كله» (تماماً) (عدد ١٥).

كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم

ومن هم الذين يسمعون هذا الخبر حتى يصفقون؟

والإجابة على هذا التساؤل نجدها في الإصحاح الثالث وعدد (١٩) إنه كل إنسان «لأنه على مَنْ لم يمر شرك على الدوام؟» يتساءل ناحوم وعنده الإجابة- لقد شمل شر نينوى كل فرد. وهل يصفق الإنسان شامتاً ؟! ولا يقصد الكاتب الشماتة ولم يرد مطلقاً بالسفر مثل هذا الأمر، بل يقصد بالتصفيق هنا تمجيد، وإعلاء اسم الرب القدير، خالق السماء والأرض الذي مجده ملء كل الأرض(إش ٦ : ٣ قارن خروج ٦ :٣).

لأن ليس غيره قادر على كل شيء ، يخضع المستعلي، ويميت ويحيي، يهبط إلى الهاوية ويصعد، يرفع الفقير الذليل من المزبلة ليجلسه مع الشرفاء النبلاء، ويملكهم كرسي المجد. لأن له أعمدة الأرض، وقد وضع عليها المسكونة. والرب يحرس أرجل أتقيائه، والأشرار في الظلام يسكنون صامتين لأنه ليس بالقوة ولا بالقدرة يغلب الإنسان(قارن ناحوم ١ : ٧ ، ١صم ٢ : ١-٩) مخاصمو الرب ينكسرون. من السماء يدعو عليهم ويدين أقاصي الأرض - يعطي عزاء لأتقيائه (عدد ١٠).

ويصفق كل من يسمع خبر نينوى متعجباً، وقد أصابه الذهول، أهذه هي المدينة العظيمة العاتية، قاهرة الممالك، الساحقة القوات دائماً، الغالبة والمنتصرة . ومن يقف أمام سخطه، ومن يقوم في حمو غضبه. غيظه ينسكب كالنار. لأنه صالح وقدوس، حصن في يوم الضيق لكل المتوكلين عليه. لأنه يعرفهم (قارن عددي ٦ -٧ من الأصحاح الأول).

«فإن الرب يرد عظمة يعقوب كعظمة إسرائيل لأن السالبين سلبوهم وأتلفوا قضبان كرومهم» (٢ :٢) أين عظمة نينوى مأوى الأسود، ومرعى أشبال الأسود، ليس من يقف أمامها مدينة الدماء. ويل لمدينة الدماء الملآنة كذباً وخطفاً لا يزول الافتراس. صوت السوط... ولهيب السيف وبريق الرمح وكثرة جرحي ووفرة قتلي... من أجل زني الزانية..(قارن ٢ :١١- ١٣ ، ٣ : ١-٤). أجعلك عبرة يقول الرب..كل من يراك يهرب منك ويقول خربت نينوى من يرثي لها. من أين أطلب لك معزين، لأنه على من لم يمر شرك على الدوام، الجميع ذاقوا مرارة الذل والهوان يا مدينة الدماء (٣ : ١٩ب ، ٦ب -٧) ليس جبر لانكسارك، جرحك عديم الشفاء كل الذين يسمعون يصفقون بأيديهم عليك (يا ملك أشور) لأنه على من يمر شرك على الدوام(١٨-١٩).

هل من ابتهاج في النقمة.. وأين مكان النعمة؟

من بين نصوص السفر أجزاء يقف عندها المتأمل في حيرة. الأمر الذي جعل الكثيرين يخطئون فهمها كما سبقت الإشارة. والكلمات الواردة في (٢:١ ب) « ...الرب منتقم من مبغضيه، وحافظ غضبه على أعدائه» أما في (ميخا ٧ : ١٨ب) «لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يسر بالرأفة». وهل من تناقض؟أليس من تناقض كما يرى العلماء، فالكلمة حافظ غضبه تعني في الأصل يراقب ما يصنع أعداؤه، ويعلم أن يومهم آت. لأنه سيد الكل، وإله قدير، رب الطبيعة وصانع التاريخ، لم ولن يعتريه ضعف. وهو نفسه لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر (ميخا ٧ : ١٨ - ٢٠، مزمور ١٠٣ : ٩) لأنه رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير الرحمة، لكل من يقبل إليه في مخافة قدامه (يونان ٣ :١٠).

ودينونة الله على نينوى كما أعلنها ناحوم بفم الرب ليس عليها كمدينة دماء ملآنة كذباً وخطفاً .. وكل فجور ومفاسد فحسب، بل لأنها أذلت الشعب الذي اختاره الرب ليكون نوراً للعالم وصارت له مصدر تهديد لأمنه واستقراره. بل إن إيمان هذا الشعب سيكون إيمان العالم بجملته. وهذا الشعب المختار مسئول عن حفظ الإيمان للأجيال القادمة (قارن سفر عوبديا). لأن اختيار الله لهم هو لهدف أسمى، ولمسئولية عظمى (قارن ناحوم ٣: ١-٧) ولأن نينوى رمز للشر نفسه وقضاء الله المعلن عليها هو بمثابة الصراع الشرس بين البر والخطيئة ، الخير والشر، الإيمان بالإله الحي خالق السموات والأرض، (يهوه اسمه، الذي عرفه موسى قديماً خروج ٣ : ١٤ -١٥) وبين السير وراء عبادة البعل والوثنية.

إنه الصراع العنيف، الذي بدا لشعب الرب في لحظة ضعف، بأن السيادة للشر في النهاية . لكن الرب حافظ غضبه، يذكر شرور أعدائه وإصرارهم على هذا الشر في عناد وتحد(١: ٢ب -٣).

هذا الإله العظيم، يهوه المقتدر، الذي طالما احتقره الأشوريون، سوف يدركون أنه حافظ غضبه على أعدائه وسوف يسحقهم سريعاً ، لأن وجه الرب ضد فاعلي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم. تلك هي رسالة ناحوم (المعزي والمملوء تعزية).

ولهذا السفر مكانة عظمى في الكتب المقدسة، لأنه إعلان عن صلاح الله ونعمته الفائقة.

«صالح هو الرب، حصن في يوم الضيق، وهو يعرف المتوكلين عليه» (١: ٧).

حبقوق

حبقوق النبي

لا يعرف الكثير عن حبقوق أكثر مما جاء عنه بالسفر (١: ١) ويوصف كنبي ليس لمجرد أن له موهبة النبوة فحسب بل لأنه ضمن جماعة الأنبياء الذين تنبأوا بالهيكل (قارن ١ أخ ٢٥ : ١) وللإشارات النبوية الموسيقية (مكتوبة بأسلوب الشعر) والواردة في مزموره : الأصحاح الثالث من السفر.

وقد جاء اسمه من أصل عبري يعني يعانق (يحتضن). ويرى چيروم(القرن الخامس الميلادي) بأن الاسم حبقوق المعانق والمحتضن يشير إلى حبه لله أو أنه تصارع مع الله. وتربط بعض التقاليد اليهودية بين الاسم وما جاء عنه في (٢مل ٤ :١٦) بأن حبقوق هو ابن المرأة الشونمية. وورد الاسم حبقوق في الأسفار غير القانونية في إنقاذ دانيال من جب الأسود للمرة الثانية. كما تذكر بعض التقاليد أيضاً بأن حبقوق هرب إلى العربية عندما سقطت أورشليم، وعاد إلى فلسطين بعد سبي بابل. وهذا غير مؤكد.

ويؤرخ العلماء نبوة حبقوق الذي عاش في يهوذا، خلال الأيام الأخيرة للملك يوشيا ٦٤٠ -٦٠٩ ق.م وأوائل حكم يهوياقيم ٦٠٩ -٥٩٧ ق.م وهذا مبني على الإشارة الواردة عن الكلدنيين في حبقوق (١: ٦) الذين كان لهم النفوذ العظيم خلال الفترة من عام ٧٢٠ - ٥٣٨ ق.م تقريباً. وعلى وجه العموم يرجح البعض تاريخ النبوة بالقرب من نهاية القرن السابع ق.م بعد معركة كركميش بقليل ٦٠٥ ق.م عندما أعلن الكلدانيون تهديدهم للمملكة الجنوبية (مملكة يهوذا).

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : شكوى النبي (١: ١-١٧).

١- مقدمة (١ : ١).

٢- شكوى النبي لتعدي الشرير وعدم افتقاده (١: ٢-٤).

٣- الجواب : الكلدانيون هم أداة عقابه لهم (١ : ٥-١١).

٤- شكوى النبي بأن الكلدانيين أكثر جوراً من يهوذا (١: ١٢ -١٧).

ثانياً : جواب الرب المعلن للنبي الواقف والمراقب من البرج الحصين : البار بإيمانه يحيا (٢: ١-٢٠).

١- الهدف واضح ومؤكد وسيكافأ البار (٢: ١-٤).

٢- وغير البار (الشرير) سواء كان يهودياً أو كلدانياً ستقع عليه الويلات (٢: ٥-٢٠).

ثالثاً: مزمور (صلاة) حبقوق (٣ : ١-١٩).

١- إعلان القضاء الإلهي (٣: ١-١٦).

٢- انتصار الإيمان (٣: ١٧ -١٩).

الكاتب وزمن الكتابة

كان لتحديد زمن كتابة السفر مثار جدل كثير من العلماء، وتفاوتت الآراء ما بين عام ٦٥٠- ٣٥٠ ق.م والتاريخ

الأول (٦٥٠ ق.م) يعد مبكراً جداً إذ كان أشور في قوته وسطوته. كما أن التاريخ الأخير (٣٥٠ق.م) لا يتناسب مع ما ورد في الأصحاح الأول الخاص بالكلدانيين. بل إن عام ٣٥٠ ق.م يشير إلى القوات اليونانية أيام حكم الإسكندر الأكبر.

والرأي الأرجح أن نبوة حبقوق، كتبت بواسطة النبي حبقوق ، بينما كان الكلدانيون أو البابليون يحاربون ضد الأشوريين وبدأوا في إظهار قوتهم على يهوذا.

والأكثر صواباً أن السفر كتب خلال نهاية حكم الملك يوشيا (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) وذلك قبل سقوط نينوى ٦١٢ ق.م بواسطة القوات المشتركة من البابليين والمديانيين- وهذا التاريخ يعد مقبولاً من علماء كثيرين لأمرين، الأمر الأول: اندهاش حبقوق النبي من أن الكلدانيين هم أداة الله لمعاقبة بني يهوذا الأمة العاصية. والأمر الثاني : هو نهوض الكلدانيين الذي تحدث عنه النبي في سفره (١: ٦-١٠) الذي له المعنى الواضح لسامعيه، لهذا يؤرخ السفر قبل عام ٦٠٥ ق.م عندما قام نبوخذ نصر بغزوه الأول على فلسطين وأخذ دانيال وآخرين معه كأسرى إلى بابل.

كما جاء بسفر حبقوق ما يشير إلى زمان إرميا النبي وما تم خلاله من أحداث مماثلة. إذ يظهر الله محبته للإنسان ويمنحه الخير الجزيل، ولا يظهر الإنسان مقابل ذلك غير الشرور(قارن الأصحاح الثاني عشر من سفر إرميا والحديث عن الكلدانيين في حبقوق)، (قارن إرميا ٤: ١٣، ٥: ٦ وعقابهم في حبقوق ٢: ٩، ١٢ والعقاب المعلن على يهوياقيم في إرميا ٢٢ : ١٣ -١٥) كما أن الإشارة الواردة في (حب ٢:١٣ -١٥) مع إرميا ٥١ : ٥٨) تؤكد أن النبوة ليست أبعد من زمن إرميا لذا يتعين تحديد زمن كتابة السفر ما بين عام ٦٠٧ - ٦٠٠ ق.م تقريباً كما يرى العلماء.

الأصحاح الثالث (صلاة حبقوق) ووحدة السفر

يرى بعض الباحثين من العلماء وعلى رأسهم برنارد شتادي Bernhard Stade من علماء المدرسة النقدية، أن الأصحاح الثالث كتب خلال فترة ما بعد السبي أي خلال القرن الرابع أو الثالث ق.م. ولا يوجد أي مبرر كتابي لهذا الرأي: الأمر الذي رفضه علماء الكتاب. لأن أسلوب الكتابة متشابه إلى حد كبير بين الأصحاح الثالث والأصحاحين الأول والثاني(قارن ١:٤ ، ١٣ مع ٣ :١٣، ٣ : ٢ مع ٢ : ٣- ٥). بالإضافة إلى ذلك يستهل الأصحاح كلماته بالقول «صلاة حبقوق». كما أنه جاءت بالأصحاح عبارات وردت في مزامير زمن ما قبل السبي .

ويرى العالم الشهير وليم فوكسل البرايت W.F.Albright بعد دراسة مدققة ومتأنية أن حبقوق هو كاتب السفر بجملته ويمثل السفر وحدة جوهرية يؤرخ ما بين ٦٠٥ - ٥٨٩ ق.م[1].

مضمون السفر ورسالته

يعد حبقوق النبي أول من عبر عن عدل الله في التاريخ، بأسلوب بسيط رائع، وبصفة خاصة في الأصحاح الأول والثاني من سفره بعد معركة كركميش عام ٦٠٥ ق.م كما يرى أندرسون. وذلك أيام تولي نبوخذنصر أشهر الملوك في العالم القديم. ونجد في هذين الأصحاحين، الحوار الدائر بين الله يهوه والنبي حبقوق (حب ١:٢-٢:٥) ويعبر فيه النبي عن مدى آلامه المبرحة بالقول : إلى متى ..«حتى متى يارب أدعو، وأنت لا تسمع. أصرخ إليك من الظلم، وأنت لا تخلص. لم تُريني إثماً وتبصر جوراً، وقدامي اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها، لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم بتة لأن الشرير يحيط بالصديق فلذلك يخرج الحكم معوجاً» (١: ٢-٤).

ويجيب الرب من عليائه : انظروا ..وابصروا، وتحيروا حيرة، لأني عامل عملاً لا تصدقونه، فهأنذا مقيم

(1) H.H.Rowley (ed.) Studies In The Old Testament, pp.1-18 The Psalm of Habakuk.

الكلدانيين الأمة المرة القاحمة (الزاحفة)(١: ٥ -١١) إعلاناً لغضبه على شعب يهوذا.

إلا أن هذا الجواب، لا يشبع قلب حبقوق لأن هذه الأمة القوة الجديدة، تمثل انتشار الظلم والشر. ويتساءل النبي عما إذا كان التاريخ سيبرر البار، أو أن الأمة الغاشمة هي التي تقرر مصير الإنسانية. ويندهش حبقوق للغاية غير مصدق ذلك. وعندما يكون الرب صانعاً للتاريخ، هل يمكن للكلدانيين أن يفنوا أو يبيدوا العالم مثل وحوش كاسرة، ويدمرون كل معنى ويعوجون القضاء، وهل لهؤلاء الغزاة العتاة أن يحددوا ماهية العدل بأنفسهم؟ «من قبل نفسها يخرج حكمها وجلالها» (١ :٧) رجال أثمة يثقون في قوتهم وليس آخر(١ :١١).

ويشير النبي شكواه (١: ١٢ - ١٧) «عيناك أطهر من أن تنظر الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور. فلم تنظر إلى الناهبين وتصمت، حين يبلع الشرير من هو أبر منه» (١ :١٣). وبالرجوع إلى ما ورد في(٢: ٦- ٢٠) يصير لسؤال حبقوق قيمة ومعنى لأنه لم يشر فقط إلى العدو الخارجي بل إلى النابع من الداخل أيضاً. ويشير إلى يهوياقيم ملك يهوذا نفسه (قارن إرميا ٢٢ :١٣ - ١٩). وفي كل الظروف والأحوال المثيرة والمزعجة، يأخذ النبي مكانه الثابت على الصخر المنيع إذ يراقب من مرصد الإيمان، الواثق الأكيد، متطلعاً إلى جواب الرب عن شكواه، الذي يشير عليه بالقول: «إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر»(٢ :٣) ولكل أمر تحت السماء ميعاد وفي النهاية «تتكلم الرؤيا ولا تكذب» وحينما يرفع حبقوق عينيه إلى آفاق المستقبل متأنياً، يدرك هدف الله بالتمام. «هوذا منتفخة غير مستقيمة روح الشرير فيه، أما البار فبإيمانه يحيا» (٢:٤) وفي الأصحاح الثالث والأخير، يرفع حبقوق صلاة شكر معبراً فيها عن إيمان خالص وثقة في الرب المخلص، من كل ما ينغص حياة الإنسان بالشر من كل جانب. لكن إيمانه ثابت ومتين، غير متزعزع في الرب القدير، مانح الغلبة والنصرة.

تتمثل رسالة السفر في تساؤل النبي، عن طرق الله ومعاملاته مع البشر. فقد تحدث الأنبياء عن الله مع إسرائيل. أما حبقوق فقد تحدث مع الله عن إسرائيل (قارن ١: ١ -١٧).

وربما تحدث إرميا النبي عن آلامه الشخصية ومعاناته بأن الله تركه وشعر بالظلم (١٢ :١) ويجرح في داخله، لأنه يعمل مع الله ولمجده ويناله هذا. أما حبقوق فهو يشير مشكلة كل إنسان بار في كل العصور... لم تريني إثماً وتبصر جوراً. الشرير يحيط بالصديق فلذلك يخرج الحكم معوجاً (١: ٣ - ٤). وتتمثل المشكلة مع المرنم (قارن مزمور ٧٣) وتصل إلى ذروتها في سفر أيوب. لقد آمن حبقوق بأنه لا سبيل للنجاة من الألم الذي يواجه البار في بريته غير الإيمان العميق ..أما البار فبإيمانه يحيا (٢ : ٤) وهذا الإيمان يبعث في النفس الرجاء والطمأنينة، ويقشع كل ظلام يخيم على عقل وفكر الإنسان. ذلك هو مركز تعليم السفر الذي هو من أقل الأسفار من حيث تفهمنا له وأكثرها تعرضاً للإهمال كما يرى يونج وكالكنز. وبينما يجب علينا أن ندرسه بعمق. وما أمس الحاجة إليه في عصرنا الحاضر.

الشرير يحيط بالصديق لذلك يخرج الحكم معوجاً

يناقش النبي حبقوق الشكوك التي تراود الإنسان المؤمن. ويصف الحالة الرهيبة التي سادت في عصره - الشر، شر معتم كالليل، وظلام كالموت لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم بغتة، لأن البار محاط بالشر من كل جهة (١: ٤).

ويعبر حبقوق عن مقاومته لهذا الاعوجاج في كلمات ملؤها العطف على الإنسان البار ممزوجاً بالألم «حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص» (١:٢).

ولصراخ حبقوق يجيب الرب (٥-١١) بأنه ليس بصامت. بل أقام أمة لتكون أداة عقابه للشعب المتمرد العاصي، وإعلان دينونته على رجاسات هذه الأمة الماجنة. وهذا الأسلوب في معالجة الشر، استراح له إرميا النبي إذ

حسب الكلدانيين أداة بحق، لعقاب أورشليم المدينة الخائنة (قارن إرميا ٣٦ : ٢٩ – ٣١ ، ٢٢ : ٢٢ -٢٦ ، ٣٨ : ١٧ -١٨). الأمر الذي أثار حبقوق وأزعجه جداً. وكيف لهؤلاء البرابرة أن يكونوا أداة يستخدمها الله القدوس للعقاب، وهم أشد ظلماً وبأساً من إسرائيل، وهم أيضاً معاندون، ورجال يهوذا قديسون وملائكة بالمقارنة بهم. وربما كان رجال يهوذا أشد بياضاً من الثلج حين يقفون إلى جوارهم. وهكذا يبدو الأمر أشد غموضاً وقتاماً بالنسبة لحبقوق. ولماذا يتألم البار وينجح الشرير؟ البار الأمين والمكرس لله يتألم ليس فقط من الشر المحيط به من الداخل، بل من الشر القادم من الخارج أيضاً «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور فلم تنظر إلى الناهبين وتصمت، حين يبلع الشرير من هو أبر منه» (١ :١٣) وتلك هي مشكلة حبقوق ومشكلة كل العصور.

والكتب المقدسة وإن كانت تطرح المشكلات العديدة إلا أنها تقدم الحلول والإجابات التي تطرد كل شكوك ومثبطات. على خلاف الكتب الأدبية الأخرى التي تثير المشكلات العديدة، وتترك الإنسان في حالة ضياع عقلي وأخلاقي، فلا تقدم إجابة تعين الفرد على الخروج من هذه المآزق.

فنجد في الأصحاح الثاني من السفر الإجابة الشافية والوافية لحيرة الإنسان وقلقه. إذ يرسم لنا النبي حبقوق طريق الأمان والاستقرار، طريق البهجة والانتصار..«على مرصدي أقف». إنه مرصد الإيمان، وعلى الحصن أنتصب فهو يقف على أرض صلبة ويقول «وأراقب لأرى ماذا يقول لي، وماذا أجيب عن شكواي» (١:٢) إذ لابد من جواب على مشكلته هذه، فهو يراقب، ينتظر بصبر، يسمع ويرى ماذا يقول الرب له. ولديه العقل المفتوح والذهن المتقد، وأيضاً الأذن المفتوحة التي تسمع حتى ينال ما يصبو إليه.

ومشكلة الإنسان كما يرى الشراح أن لهم العين المفتوحة على من حولهم وليس لهم الآذان المفتوحة لصوت السماء السامعة. إنهم يرون كل المشكلات تقريباً التي هي سبب شكوكهم. لكن هل من أذن تسمع صوت الله المجلجل في الكتب المقدسة. وحتى نحصل على إجابات لمشكلاتنا نحتاج أن ننتظر بصبر ونسمع.

وحتى يتمكن حبقوق من الاستماع، صعد على المرصد عالياً فوق مستوى الأحداث اليومية الصاخبة. في مكان الهدوء. وماذا يقول الرب لنا. وهذا وارد في العددين الثالث والرابع من الأصحاح الثاني، إنه في الميعاد، في الوقت المحدد سيأتي الجواب. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب – ويجيب الرب نبيه حبقوق قائلاً : «إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر». وعلى حبقوق أن ينقشها على الألواح حتى كل من يقرأها يسرع مخبراً بها (٢ : ٢).

هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه والبار بإيمانه يحيا

هذه الكلمات الواردة في (٢ :٤)تعد جواباً على حيرة حبقوق (١: ١٣) بأن الكبرياء البشرية في داخلها بذور هلاكها. بينما إنسان الله، الرجل البار، له وعد الحياة في نور الله ومسرته. وقد ترجم ذلك بولس الرسول في تعاليمه (قارن رومية ١:١٧ وغلاطية ٣:١١ وحب ٣: ١٠ – ١٣) إنه في الوقت المعين.

إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر، وحبقوق يستعجل قضاء الرب، غير عالم أن للرب تحديد الوقت الذي لا يتأخر عنه «أنا الرب في وقته أسرع به» كما يعبر عن ذلك بوضوح إشعياء النبي (٦٠ : ٢٢) إنها رسالة الله لحبقوق ولكل إنسان «إن توانت فانتظرها». وليس ذلك فقط، بل لحبقوق أن يدرك الأسلوب والوسيلة التي بها يغلب الإنسان البار قوات الشر المحيطة به. إنها إيمان البار الواثق في إلهه المتمثل في السلوك الأمين قدامه. وليدرك حبقوق أيضاً أن الشر الذي يبدو مقتدراً ومتعظماً هو في الأصل هزيل وإلى الإضمحلال. «هوذا منتفخة غير مستقيمة روح الشرير فيه والبار بإيمانه يحيا» بحياته الأمينة الطاهرة النابعة من خوف الرب وتقواه. يزهو، يزدهر ويثمر لمجد إلهه. وعلى حبقوق أن يحيا هذه الحياة ويترك كل شيء في عالم مليء بالمتناقضات. هذا الجواب الذي

أتاه من الرب بعد مراقبة وانتظار في صبر، يعد درساً ليس فقط لحبقوق بل لكل إنسان. ويدرك في عمق أن عليه أن ينتظر بسكوت خلاص الرب (قارن مزمور ٣٧ ، ٣٩) عالماً أن الله بيده كل أمر ومتظهر سيادة الله (قارن إش ٨ : ١٦ -١٨).

والآن حبقوق لا يخشى الكلدانيين، عالماً أن نهايتهم آتية. فيتحدث عن العقاب الرهيب الذي سيحل عليهم وعتلأ من حضور الرب وجلاله. وينادي بالقول «الرب في هيكل قدسه فاسكتي قدامه يا كل الأرض»(٢ :٢).

فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي

يعد الأصحاح الثالث (صلاة حبقوق) خاتمة السفر. وهي تمثل العلاقة الحميمة الدافئة التي ملؤها الحنان. وتشبه في نظر أحد العلماء كعلاقة الطفل بأبويه. وكثيراً ما يتمرد الطفل على أعمال أبيه معه، والتي لا يدركها بالطبع لعدم نضجه ومحدودية خبراته. ثم يردد لماذا ولماذا؟ وما يلبث أن يحتضنه الأب محاولاً أن يشرح له ما أمكن. ثم يهدأ الصبي ويطيب عقله ويقتنع بأن أبويه كانا على حق معه. ويأسف على عدم فهمه، وعدم إدراك محبتهما له طالباً صفحهما، موقنا ومتأكداً من محبتهما واهتمامهما به تماماً.

هذا ما حدث مع النبي حبقوق : تساولات كثيرة وشكوى لماذا..ولماذا..إلا أنه أدرك في النهاية، أنه لا سبيل للفهم إلا بأن يوجه بصره إلى فوق، وينتظر مراقباً بصبر حتى يشرق.عليه ضياء الرب بكلمته الحية الباقية والمحيية، حتى يتعلق به دائماً فينال نجاته ورفعته (قارن مزمور ٩١).

واختبار حبقوق لحضور الله ومحبته يشبه إلى حد بعيد اختبار أيوب في النهاية: «بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عيني» (٤٢:٥) فنجاح الشر والأشرار هو إلى الزوال، والفناء. حتى وإن بدا على حساب الصديقين فهو إلى حين. والأساس الأكيد لقوة الأبرار هي في الرب الذي يؤمنون ويتعلقون به على الدوام وانتظارهم فيه لا يخيب أبداً. والإنسان الذي وجد شركته وسعادته في الله هو غني وإن كان لا يملك شيئاً (قارن مزمور ٣٧ و٤٩).

لذلك نرى حبقوق وقد تعلق بالرب، واختفت عنه حيرته، وتهلل بكلمات الشكر والثقة في إلهه. متأكداً من تعاملات الرب مع أبنائه في كل جيل «فمع أنه لا يزهر التين، ولا يكون حمل في الكروم، يكذب عمل الزيتونة، والحقول لا تصنع طعاماً. ينقطع الغنم من الحظيرة، ولا بقر في المذاود» في هذه الظروف الصعبة والمؤلمة يقول حبقوق «فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي» «الرب السيد قوتي ويجعل قدمي كالأيائل (ظافراً منتصراً) ويمشيني على مرتفعاتي»، مذللاً كل الصعاب إذ تصير الجبال أمامي سهولاً وأودية (٣:١٦-١٩).

إنه الاختبار المجيد الذي حصل عليه حبقوق، والذي ملأه بالراحة والطمان لمواجهة تناقضات الحياة الرهيبة. وإلى كل نفس امتلأت حيرة، تجد في رسالة حبقوق إجابة عن كل تساؤل وشكوى، فقط بأن تصعد وترتفع إلى مرصد الإيمان وتراقب في صبر فيأتي الجواب الأكيد (٢: ١-٣). إنها دعوة إلى الثقة والإيمان في الرب كل حين . عندئذ تمتلأ تلك النفس بهجة، وبصلاة الحمد والتمجيد تتغنى بذات الكلمات «فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي».

صفنيا

أطلق على السفر صفنيا على اسم كاتبه. كما أطلق على ثلاثة أشخاص آخرين (قارن ١ أخ ٦ :٣٦-٣٨ ، إرميا ٢١ :١، ٣٧ : ٣ زك ٦: ١٠ ، ١٤) وعلى عكس ما ورد في بقية الأسفار فقد تضمن عنوان السفر سلسلة أنساب النبي التي تضعه في الجيل الرابع لحزقيا ملك يهوذا (١:١) الذي ملك من عام ٧١٥- ٦٨٦ ق.م تقريباً. في الوقت الذي يرى فيه بعض العلماء أن الاسم صفنيا بن كوشي يشير إلى أن أباه عبد حبشي في خدمة الهيكل، الأمر الذي يرفضه غالبية علماء الكتاب خاصة وأن الكلمة (كوشي) اسم ولا تشير إلى جنس معين لخلوه من أداة التعريف.

ويرى هؤلاء أن صفنيا قد جاء من نسل ملكي وتحدث بكلمات هذه النبوة ما بين عام ٦٣٨- ٦٠٩ ق.م تقريباً ويتضح ذلك من هجومه على نظم العبادة الباطلة، قبل الإصلاح العظيم، الذي قام به يوشيا الملك عام ٦٢١ ق.م والذي ربما يكون قد تأثر بكلمات صفنيا هذه. ويعتقد أن صفنيا النبي من مواطني أورشليم وذلك من وصفه الدقيق لضواحي المدينة (١: ٤ ، ١٠ -١١).

والاسم صفنيا يُعنى به في العبرية «الرب يُخفي أو يحمي» كما يتضمن الاسم الثقة في قوة الله بأن الرب يحمي من يعبده وقت الخطر. فقد ولد النبي أيام حكم منسي ملك يهوذا الذي حكم بقسوة شديدة لا ترحم وسفك دماء كثيرة ما بين عام ٦٨٧ - ٦٤٢ ق. م تقريباً وهو منسى الذي ملأ أورشليم بالدماء من أقصاها إلى أقصاها (٢ مل ٢١ :١٦).

أقسام ومشتملات السفر

يُكّون السفر وحدة واحدة، ويقع في ثلاثة أقسام رئيسية كما يلي:

أولاً : يوم الرب (١ : ١-٢:٣).

١- إعلان بعقاب عبدة البعل(١: ٢-٦).

٢- معنى يوم الرب (١ : ٧ -١٣).

٣- القضاء الآتي (١: ١٤ -١٨).

٤- سبل تجنب الدينونة (٢: ١-٣).

ثانياً: أحكام (دينونة) ضد الشعوب الأجنبية (٢: ٤ -١٥).

ثالثاً: ويلات وبركات (٣: ١-٢٠).

١- إعلان بعقاب أورشليم (٣: ١-٨).

٢- تأكيد ببركة البقية الأمينة للرب (٣ :٩ - ٢٠).

الخلفية التاريخية وزمن الكتابة

ارتبط تاريخ مملكة يهوذا خلال القرن السابع ق.م بالحالة الراهنة لمملكة أشور تحت قيادة أسر حدون ٦٨١- ٦٦٩ ق.م وأشوربانيبال ٦٦٩ - ٦٢٦ ق.م حيث تولى منسى الحكم على يهوذا ٦٨٧ - ٦٤٢ ق.م بسماح من سادته

الأشوريين، لأجل مصالحهم وتحقيق أهدافهم. فكان منسى رمزاً للشر والرجاسات (قارن ٢مل ٢١) إذ فعل شروراً أكثر من جميع الملوك الأشرار ليسر ويبهج الأشوريين بتبني كل عاداتهم الذميمة، ونشرها في المملكة . بل أكثر من ذلك عبر ابنه في النار (٢مل ٢١ :٦) وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل، وعمل ساريه كما عمل آخاب ملك إسرائيل. وسجد لكل جند السماء وعبدها ، وبنى مذابح في بيت الرب الذي قال عنه «في أورشليم أضع اسمي» كما بنى مذابح لكل جند السماء في دار بيت الرب (٢مل ٢١ : ٣-٥) . وملأ أورشليم بالدماء من الجانب إلى الجانب (عدد١٦) وجاء من بعده آمون ابنه، الذي سار في طريق الشر كما سلك منسى أبوه. والذي قتل بعد سنتين من ملكه على يهوذا وملك يوشيا ابنه عوضاً عنه (٢مل ٢١ : ١٩ -٢٦).

ولا يمكن مقارنة يوشيا في صلاحه وتقواه بإنسان آخر في كل تاريخ يهوذا الذي قيل عنه «لم يكن قبله ملك مثله وقد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قدرته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله» (٢مل ٢٣ :٢٥).

ويمكن التعرف على حالة يهوذا أيام النبي صفنيا من سفره، الذي يعكس صورة كاملة لثمرة أعمال منسي الشرير، وآمون ابنه، وكل الرجاسات في أيامهما (صفنيا ١: ٤-٦ ، ٩ ، ١٢ ، ٣ : ١-٣، ٧). وإذا كان صفنيا من السلالة الملكية كما وردت الإشارة في(١ :١) فيكون قد تدرب وتهذب على أيدي أناس أتقياء من اليهود كما تدرب على يديهم يوشيا نفسه الملك الصالح. وربما يكون صفنيا قد تهذب أيضاً بتعاليم إشعياء وعاموس. وكان اهتمام صفنيا عظيماً بشعبه كما كان لإشعياء وناحوم وحبقوق من الأشوريين (٢: ١٣ -١٥). وفي (١:١) نلاحظ أن صفنيا تنبأ خلال حكم يوشيا ٦٤٠ -٦٠٩ ق.م وبدأ تحذيره وإنذاره للشعب عن يوم الرب الآتي ثمرة أفعالهم الشريرة كما يرى بعض العلماء عام ٦٢٧ -٦٢٦ ق.م وبهذا يكون واضعاً لأساس الإصلاحات الدينية العظمى التي قام بها يوشيا الملك، ضد الفساد الذي ساد البلاد لفترة تزيد عن نصف قرن هي مدة حكم منسى ملك يهوذا وابنه آمون. ولم يكن يقدر أن يتصدى لهما إنسان آخر قبل يوشيا الملك العظيم، «الذي عمل كل ما هو حسن في عيني الرب إذ لم يقم مثله ملك قبله أو بعده قد رجع إلى الرب بكل قلبه حسب شريعة الرب على يد موسى».

وحدة السفر

يرى علماء نقديون أن الأصحاح الأول كتبه صفنيا . أما عن الأصحاحين الثاني والثالث فكانا موضوع تساؤل من Stade الذي نفى عن صفنيا (الأعداد ١-٣ ، ١١) من الأصحاح الثاني والأصحاح الثالث بجملته . ويتفق معه في ذلك Schwally الذي يرجع (٢: ١-١٥)إلى تاريخ السبي والأصحاح الثالث من زمن ما بعد السبي.

أما K. Budde فيقترح إعادة ترتيب بعض النصوص في الأصحاحين الثاني والثالث كما يلي:

الأصحاح الأول ثم (٢ : ١-٣) وبعده (٣ : ١-٥، ٧-٩) وتاريخ كتابتها زمن ما قبل السبي أما (٣ : ٩-٢٠) فأرجعه إلى زمن ما بعد السبي.

أما A.B.Davidson فقد دافع عن الأصحاح الثاني وصحة انتسابه إلى النبي صفنيا وأعتقد بأن (٣: ١٠ ، ١٤ ، ٢٠) كتبه شخص آخر غير صفنيا.

وعن بوديسين Baudissin فيرى صحة وسلامة نسب الأصحاحين الثاني والثالث إلى صفنيا ما عدا بعض الأعداد (٢ : ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٣ : ١٤ -٢٠).

ويرى داريفر Driver أن صفنيا (٢: ٧أ ، ١١ ،٣ : ٩- ١٠ ، ١٨ - ٢٠) أضيفت مؤخراً. ويرفض علماء الكتاب وعلى رأسهم هاريسون R.K.Harrison الاعتقاد بأن صفنيا لم يكن كاتباً للسفر بجملته. ولا يوجد سبب علمي أو مبرر لهذا الاعتقاد ، أو لماذا لا يتنبأ صفنيا عن خلاص بيت يهوذا كلية (٣: ٨- ٣) بعد أن يتطهر من كل

خطية، في يوم الرب العظيم. الأمر الذي كان موضوع اهتمام أنبياء القرن الثامن ق.م (عاموس وهوشع وأشعياء وميخا) وواضح أن صفنيا تهذب بتعاليم إشعياء النبي، الذي نشأ وتربى في البلاط الملكي. وليس من مبرر أن ننكر أي جزء من السفر على صفنيا. كما أن إعلان الدينونة أو اقتراب يوم الرب، يختتم دائماً بدعوة إلى العودة والرجوع إلى الرب، فيما يطلق عليه بالرجاء المسياني وتردد هذا في نبوات عاموس وميخا وناحوم وحبقوق، وليس لدينا ما يقنع بأن شخصاً آخر غير صفنيا كتب أي جزء من أجزاء السفر.

رسالة السفر

يتمثل هدف السفر في إنذار مملكة يهوذا من الدمار الآتي. حيث أدان النبي ما شاهده من فساد وضلال في أورشليم. وانتفت الحياة الروحية من وقت بعيد من أسلافه(من زمن حزقيا الملك الذي صنع كل ما هو مستقيم في عيني الرب). وقد تبنى صفنيا أفكاره التي تهذب بها من أنبياء سبقوه عن يوم الرب(١:٤) (قارن عاموس٥ : ١٨-٢٠، وإشعياء ٢٠ : ٧-٢١) ليصف طبيعة يوم الرب يوم الدينونة. وفكرة النبي صفنيا عن البقية الأمينة المخلصة إنما تعود إلى تعاليم النبي إشعياء (قارن ٣ : ٢،١٣ :٧ مع إش :٢٠ -٢٢، ٢:١٤ مع إش ١١:٣٤، ٢ : ١٥ مع أش ٨:٤٧، ٣:١٠ مع إش ١:١٨، ٨:٢ مع إش ٦:١٦).

وكان تأثير عاموس وهوشع واضحاً في حديث النبي صفنيا عن طبيعة القضاء الإلهي المطهرة، وكمعاصره النبي إرميا، يشير صفنيا موضحاً الصفة الخادعة للطبيعة البشرية الملآنة فساداً. منبراً بأن الاطمئنان الروحي والاجتماعي لا وجود لهما بعيداً عن الله الساكن في الإنسان (قارن إرميا ١٧ : ٩-١٤، وصفنيا ١٨:١ ، ٣:٨-١٢).

قريب هو يوم الرب العظيم

كما سلفت الإشارة، إن الإعلان عن هذا اليوم يعد مركز هذا النبوة. كما تعكس صدى تعاليم عاموس وإشعياء. إنه «يوم سخط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب، يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشرف الرفيعة» ويوم الرب هذا ليس على يهوذا وأورشليم وحدها. بل أيضاً سيشمل نينوى عاصمة أشور التي ستختبر طعم الألم الذي أسقطته على الشعوب الأخرى (١: ١٥ -١٦، ٢ : ١٣ -١٥).

ولم يهتم صفنيا النبي بالتفاصيل السياسية. إذ لم يكن الأنبياء رجال سياسة، بل كانوا يعلنون قضاء الله ودينونته العادلة من الوجهة الإيمانية في الله، على أشور المملكة التي أدان بها شعبه الساكن في أورشليم وأرض يهوذا، بدون محاباة (٢: ١٣-١٥ ، ١:١٠) «قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جداً» (١: ١٤).

لذا يخاطب النبي الشعب ويحثه على اتخاذ القرار والتوبة ما دامت لديهم الفرصة، حتى يعلنوا رفضهم للعبادات الوثنية التي سادت البلاد كلها، من أيام منسى ملك يهوذا. والتي أضرت كثيراً بيهوذا وأورشليم. ويصدر قضاء على عبادة البعل «وأمد يدي على يهوذا، وعلى كل سكان أورشليم، وأقطع من هذا المكان بقية البعل اسم الكماريم، مع الكهنة والساجدين على السطوح لجند السماء، والساجدين الحالفين بالرب والحالفين بملكوم، والمرتدين من وراء الرب والذين لم يطلبوا الرب ولا سألواعنه» (١:٤-٦).اطلبوا الرب، اطلبوا البر، اطلبوا التواضع: لعلكم تُسترون في يوم سخط الرب (٣:٢). ويصف النبي في كلمة واحدة قادة الأمة جميعها وسلوكهم غير المرضي أمام الرب، سياسين منهم وقضاة، وكهنة وأنبياء على السواء. الذين لم يقبلوا التأديب ولم يتكلوا على الرب ولم يتقربوا إلى إلههم .. إنهم أسود زائرة. ويشبه القضاء، وبذئاب المساء، لا يبقون شيئاً إلى الصباح(٣: ٣-٤). وهنا يوجه صفنيا النبي دعوته إليهم بأن يطلبوا الرب .. ويطلبوا البر والتواضع، لأن هذه مسرة الرب.. وطلب البر يتمثل في عمل مشيئته، وأن يحفظوا أحكامه وتعاليمه، وخلاصه معد لكل ودعاء الأرض ليرفعهم ، ويضع الأشرار إلى الأرض(قارن مزمور

٧٦ : ٩ ، ٤٧ : ٦ ، ١٤٩ : ٤ ، إش ١١ : ٤) والكلمة «لعلكم» تعني أن الخلاص هو من الرب فقط ولم يكن عن استحقاق بشري أو أجرة لعمل إنساني. غير أنها فرصة يجد فيها الإنسان الأمين حماه وستره في يوم غضب الرب (٢ : ٣ قارن ١ : ١٤ -١٨)ولعل بطرس الرسول اقتبس ذات التعبير في (أع ٨ : ٢٢) لأن الرب فاحص القلب ومختبر الكلى (قارن أيضاً إرميا ١٧ : ٩-١٠).

قدّس مدعويه

إن هدف الرب هو التطهير وتجديد الشعب وليس الخراب والتدمير، أسكت قدام السيد الرب.. لأن الرب قد أعد ذبيحة. قدس مدعويه (١ : ٧ قارن مزمور ٤٦ : ١٠، حب ٢ : ٢٠، زك ٢ : ١٣، ١مل ٩ : ١٣، ٢٢، ٢صم ٦ : ١٩) لهذا يعلن صفنيا أن البقية ستنجو من العقاب (الدينونة) «شعباً متواضعاً فقيراً يتوكلون على اسم الرب، لا يفعلون إثماً ولا يتكلمون بالكذب ولا يوجد في أفواههم لسان غش يعيشون آمنين ولا من يخفيهم» (٣ : ٨-١٣).

وربما صارت هذه البقية أنوارا وبركة لكل أمم الأرض والممالك لأن ملكوت الرب هو للجميع (٢ : ١١، ٣ : ٩-١٠).

حجي

جاء عن حجي في الكتب المقدسة في هذا السفر فقط وفي (عزرا ٥: ١،٦ :١٤)، ولم يذكر شيء عن أسرته. ويفهم من الإشارة في(٢ :٣)بأنه كان شخصاً متقدماً في السن، وقت قيامه برسالته الكرازية المشجعة. كما يفهم من الإشارة في (٢ : ١٠- ١٤) بأن حجي كان كاهناً. وأكثر من ذلك لا يعرف عن النبي شيء سواء من الأسفار المقدسة أو أية مصادر أخرى.

والاسم حجي يعني به في العبرية «عيد أو معيد» وربما أطلق عليه هذا الاسم من والديه، لأنه ولد في يوم من أيام الأعياد اليهودية أو أن والديه كان لهما الإيمان أن ابنهما سيكون له فرح العودة من السبي مع شعب اليهود فيكون لهم عيداً عظيماً.

أقسام ومشتملات السفر

١- دعوة لإعادة بناء الهيكل (١:١-١٤).

أ- الاعتراض والجواب (١ : ١-١١).

ب- إستجابة الشعب (١ :١٢ -١٤).

٢- مجد الهيكل الجديد(١ :١٥ -٢ :٩).

٣- القداسة والنجاسة (٢ : ١٠ -١٤).

٤- الوعد بزمن أفضل (٢ : ١٥ -١٩).

٥- زربابل عبد الرب (٢ : ٢٠ -٢٣).

الخلفية التاريخية

استطاع كورش الفارسي أن يهزم الإمبراطورية البابلية عام ٥٣٩ ق.م وأن يسود على العالم الشرقي القديم بينما لم يزل اليهود في سبي بابل. تردد الكثير عن كورش في إشعياء برجاء عظيم عن المستقبل لشعبه (قارن إش ٤٠ : ١-٢ ، ٤٤ : ٢٨ -٤٥ :٣) وعن أورشليم قال: إنها ستبنى والهيكل سيؤسس (٤٤ :٢٨).

وفي السنة الثانية أي عام ٥٣٨ ق.م أطلق كورش نداء لليهود بالعودة إلى فلسطين قائلاً: «إن الرب إله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا. من منكم من جميع شعبه إلهه معه، وليصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل» (٢أخ ٣٦ :٢٢ -٢٣ ، عزرا١ :٢-٤) وسمح لليهود بأن يحملوا معهم آنية الهيكل المقدسة التي حملها نبوخذ نصر إلى بابل (عزرا١ :٧-١١) فقام رؤوس آباء يهوذا وبنيامين، والكهنة واللاويين مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا وليبنوا بيت الرب الذي في أورشليم (١ :٥) بقيادة زربابل ويشوع رئيس الكهنة (عزرا ٢ : ٣) رجال مملوئين بروح الفرح والابتهاج، روح البشر والتكريس لله ولوطنهم أرض يهوذا. واضعين على عاتقهم مسئولية إعادة بناء الهيكل، إذ أمدهم كورش بكل الإمكانيات المتاحة (عزرا ١ : ٦ -١١) قارن (٦ : ٨ -١٢) «وقام يشوع بن يهوصادق وأخوته الكهنة وزربابل وإخوته وبنوا مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات كما هو مكتوب في شريعة موسى رجل الله» (عزرا ٣ :٢) من ذبائح يومية صباحاً

ومساءً والاحتفال بأعيادهم.

إلا أن المعوقات بدأت تعترض طريقهم، وقد نجمت عن رفض اليهود السماح للسامريين بأن يبنوا معهم هيكل الرب. حيث أجابهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء إسرائيل: ليس لكم ولنا أن تبني بيتاً لإلهنا، ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله اسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس (عزرا ٤ : ١-٣). وأهاج موقف اليهود هذا، ثورة السامريين ضدهم. فاستأجروا ضدهم مشيرين ليبطلوا مشورتهم، كل أيام كورش ملك فارس وطوال فترة حكم قمبيز الذي جاء إلى الحكم بعد أبيه كورش ملك فارس من ٥٢٩ - ٥٢٢ ق.م إلى أن تولى داريوس من بعده الحكم عام ٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م وتوقف البناء قرابة ثماني عشرة عاماً. وهنا ظهر النبيان حجي وزكريا بن عدو (عزرا ٥: ١) وبكلمات النبوة المشجعة لأصحاب القلوب الكسيرة من جماعة اليهود، والتي أنعشت فيهم روح البناء بدل الفشل.

إنه في السنة الثانية لداريوس هستاسبس الملك في الشهر السادس بالبحث عثر على أمر كورش بإعادة بناء بيت الرب.

عندئذ أصدر داريوس أمراً، بتمويل البناء، وكل ما يحتاج إليه شيوخ اليهود لتقديم محرقات لإله السماء. تُعطى لهم يوماً فيوماً لتقريب روائح لإله السماء، والصلاة لأجل حياة الملك وبيته وكل إنسان يغير هذا الكلام تُسحب خشبة من بيته ويُعلق مصلوباً عليها ويجعل بيته مزبلة... «أنا داريوس قد أمرت فليفُعل عاجلاً» (قارن عزرا ٦ : ١-١٢، حجي ١:١-١:٢).

وكان شيوخ اليهود يبنون وينجحون، حسب نبوة حجي النبي وزكريا بن عدو. فبنوا وأكملوا حسب أمر إله إسرائيل وأمر كورش وداريوس وأرتحشستا ملك فارس. وكمل هذا البيت في اليوم الثالث من شهر آذار في السنة السادسة من ملك داريوس الملك (عزرا ٦ : ١٥) أي بعد أربعة سنين من استئناف البناء ثانية أي عام ٥١٦ ق. م.

وكان كلام الرب إلى حجي النبي قائلاً : كلم زربابل بن شألتيئيل والي يهوذا.. ويهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم، وبقية الشعب قائلاً: «من الباقي منكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول وكيف تنظرونه الآن أما هو في أعينكم كلا شيء ... فالآن تشدد يا زربابل يقول الرب وتشدد يا يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم... وتشددوا يا جميع شعب الأرض يقول الرب واعملوا فإني معكم يقول رب الجنود» (٢: ٢-٤).

ومن هو زربابل : زربابل من نسل ملوكي، من بيت داود، حفيد يهوياكين الذي أخذ للسبي بواسطة نبوخذ نصر عام ٥٩٧ ق.م (قارن ٢مل ٢٤ : ١٥، ١أخ ٣ : ١٧). والاسم زربابل من أصل بابلي يعني به زرع بابل ابن فدايا ووريث عرش يهوذا (١أخ ٣ : ١٧ - ١٩) . ودعى مراراً بن شألتيئيل شقيق فدايا (عزرا ٣: ٨، نح ١٢ : ١، ١أخ ١:١، ١٢، ١٤، ٢ : ٢، ٢٣، مت ١: ١٢ -١٣، لوقا ٣ : ٢٧) والواضح أن شألتيئيل شقيق فدايا مات بغير أبناء وصار زربابل ابن أخيه فدايا وريثه الشرعي لذلك دعى زربابل ابنا لشألتيئيل .أو أن فدايا تزوج أرملة أخيه وأطلق اسم الابن الأكبر على اسم أخيه (تث ٢٥ : ٥-١٠). وبعد أن استولى كورش على بابل تبنى سياسة حكيمة، بأن سمح لليهود بالعودة إلى أرض يهوذا. كما عين شيشبصر عام ٥٣٨ ق.م أميراً على ولاية يهوذا (عزرا ١ : ٨، ١١، ٥ : ١٤).

ويرى بعض الباحثين أن شيشبصر هو اسم آخر لزربابل، وعاد كثيرون من اليهود تحت قيادة زربابل والكاهن العظيم يشوع بن يوصاداق (عزرا ٢ : ١- ٦٩، نح ٧ :٥، ١٢ : ١-٩) وواضح أن العمل بدأ بواسطة شيشبصر (عزرا ١:١، ٨-١١، ٥ : ١٣ -١٧) غير أن البناء توقف أيام كورش، واستؤنف أيام داريوس ورمم المذبح وأعيدت العبادة (عزرا ٣: ١-٩).

وقد وضع زربابل أسس الهيكل (عزرا ٣: ٨-١٣) وتم البناء بعد أربع سنوات (عزرا ٦ : ١٤ -١٥، حجي

أصحاح ٢،١ زكريا ٤) في أيام حجي وزكريا النبيين. وكان زربابل في أيامه ممثلاً لنسل داود الملوكي. واعتبر رمزاً للرجاء المسياني (المسيا المنتظر) (حجي ٢:١٥-٢٣، زك ٣: ٦،٨ :١٢ قارن إش ١١ :١، إرميا ٢٣:٥-٦، ٣٣: ١٤-١٦) وكان زربابل أيضاً ضمن سلسلة نسب رب المجد في الجسد (مت ١:١٢-١٣، لوقا ٣:٢٧).

الكاتب وزمن الكتابة

يرى بعض الباحثين، أن حجي لم يكتب السفر، بل إنه كتب بواسطة تلميذ أو مجموعة من تلاميذه. ويرى أيشفيلد O.Eissfeldt أحد الناقدين أن حجي النبي كتب السفر وأعيدت صياغته وأشار Weiser أن السفر كتب في زمن قريب من الأحداث. ويرى علماء الكتاب أن حجي النبي هو كاتب السفر ولا يوجد سبب مقنع يمنع الاعتقاد بذلك. كما يمثل السفر وحدة واحدة. ويرجح أن النبي ولد في بابل في الأيام الأولى من السبي، وعاد إلى أرض يهوذا مع المجموعة الأولى من المسبيين. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يكون قد تعرف على دانيال في بابل. ويرجح أيضاً أن السفر كتب ما بين عام ٥٢٠ – ٥١٥ ق.م تقريباً.

مضمون السفر ورسالته

لم يستغرق نشاط حجي النبي، وزمان كرازته أكثر من أربعة شهور (عام ٥٢٠ ق.م)، في السنة الثانية من حكم داريوس هيستاسبس الذي تولى الحكم ما بين عام ٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م (إذ بدأ النبي نشاطه في السنة الثانية في الشهر السادس أول يوم من الشهر)(١:١)«وصارت كلمة الرب ثانية إلى حجي في الرابع والعشرين من الشهر التاسع» (٢ : ٢٠ قارن ٢ : ١٠ ، ١٨).

اجعلوا قلبكم على طرقكم (١:٥)... وانظروا حالتكم وما وصلتم إليه.

اجعلوا قلبكم على طرقكم (١: ٧) واصعدوا إلى الجبل... (عدد ٨-١١).

لقد وصل لشعب إلى أسوأ حال روحياً واقتصادياً..قال الشعب إن الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب (١:٢) لقد تعود الشعب منظر الهيكل القديم المنهدم من كل جانب. وهم يسكنون في بيوتهم القاخرة المغشاة وبيت الرب خراب.

ومن الناحية الاقتصادية ساد القحط والفقر، إذ لم تعد تعطي الحقول ثمرها... طعام بلا شبع يشربون ولا يرتون... يكتسون بلا دفء والآخذ أجرة لكيس منقوب (عدد٦).

«انتظرتم كثيراً وإذا هو قليل.. لأجل بيتي، الذي هو خراب. وأنتم راكضون كل إنسان إلى بيته. منعت السموات من فوقكم الندى ومنعت الأرض غلتها. ودعوت بالحر على الأرض وعلى الجبال وعلى الحنطة وعلى المسطار... وعلى البهائم وعلى كل أتعاب اليدين(١:٩-١١) واستولى روح الفشل واليأس على الجميع.

لهذا جاء النبي حجي وزكريا في تلك الفترة، بكلمات التشجيع حتى يبنوا بيت الرب. ولم تكن مهمة سهلة على حجي أن يقوم بذلك، والشعب يحاول التهرب من هذه المسئولية ، بتقديم الاعتذارات والمبررات لتخاذله. ويؤكد لهم حجي النبي إذا استمروا على ذلك فلن يكون لهم خير أو مكسب. والمخرج الوحيد من أزمتهم الاقتصادية والاجتماعية، هي أن يهتموا ببناء بيت الرب، فيكون لهم خير وابتهاج عنده. وكانت كلمات النبي حجي في المقام الأول، موجهة إلى زربابل الحاكم المدني ووالي يهوذا، وإلى يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم المسئول الديني(١:١) إذ كان لهما التأثير المباشر على الشعب، وبواسطتهما بدأ الشعب العمل في إعادة البناء. وتم البناء بعد أربع سنين. بهذه الكلمات البانية والمشجعة من قبل الرب (قارن عزرا ٦: ١٤ -١٥).

على إسرائيل أن تطلب ملكوت الله وبره وأن تدرك الأولويات في حياتها

يرى فون راد G.Von Rad أن رسالة حجي هي عن اقتراب ملكوت الله، وهذا مرتبط بإعادة بناء الهيكل مباشرة،

باقتراب يوم الرب وحلول ملكوته. وعلى إسرائيل أن تواجه أزمتها بالثقة في إلهها - لقد كان الهيكل هو المكان الذي تحدث فيه الرب إليها، وحيث غفرت خطاياها. وكان لها قبولاً لديه، حيث كان يحل فيه وممتلأ من مجد الرب.

غير أن الشعب لم يكن مهتماً كثيراً بالمكان الذي صار خراباً، وفقد حماسه لإعادة البناء. واجتاز الشعب ظروفاً اقتصادية قاسية ومرة. وأبوا أن يقدموا شيئاً لإعادة بنائه، بقولهم أن الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب (١:٢) وتصوروا أن الوقت غير مناسب لذلك. واهتموا كثيراً بمالهم فشيدوا القصور المغشاة وتركوا بيت الرب خراباً ودمارا (عدد٤) وبذل النبي حجي جهده ليعرفهم بالأولويات.

ولن يكون لإسرائيل قبول لدى إلهها إن لم تطلب أولاً ملكوت الله، وتعمل لأجله. وتصنع الصلاح، وتسلك في البر. وبسعيها هذا ستحصل على كل ما تحتاج إليه، وفوق ماتحتاج. إذ تحل عليها بركات الرب مخلصها (١: ٢ - ١١ ، ٢ : ١٤ -١٩) ومطلب حجي في هذا الشأن لا يقل شأناً عن دعوة إشعياء للإيمان بالرب خلال الحرب السورية (آرام) وأفرايم (إسرائيل) ضد يهوذا أيام الملك آحاز (قارن إشعياء ٧).

إن اهتمام إسرائيل الروحي هو مركز وضمان وجودها وكيانها. وعليهم أن يعدوا أنفسهم لإنجازات الرب لهم، وأن يضعوا أنفسهم بين يديه. ويتخذ النبي حجي موضوع إعادة بناء بيت الرب، نقطة انطلاق إلى ما هو أرحب وأشمل، إلى الخلاص المزمع أن يتممه لهم الرب في المستقبل. لهذا يخاطبهم الرب قائلاً: تشددوا... واعملوا فإني معكم ... (٢:٤ -٩).

إنها كلمة تشجيع وتشديد للعمل، معلناً الرب عونه «فإني معكم يقول الرب» قالها زربابل والي يهوذا، ويهوشع رئيس الكهنة، وبقية الشعب الذين رأوا بيت الرب في مجده الأول ويرونه الآن وهو كلا شيء.

وبكلمة التشجيع هذه قاموا بتأسيس هذا البيت من جديد. وكثيرون من الكهنة واللاويين ورؤوس الآباء والشيوخ الذين رأوا البيت الأول، بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب. لأن الشعب كان يهتف هتافاً عظيماً حتى أن الصوت سمع من بعد (عزرا ٣: ١٢-١٣). «تشددوا... واعملوا فإني معكم يقول رب الجنود، حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر»، فقط أن تسمعوا لي . إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض (خروج ١٩ :٥) ووجهي يسير أمامكم فيريحكم (خر٣٣: ١٤)... لا تخافوا (٢: ٥ب).

وأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة

وأزلزل كل الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم (عدد ٦ ، ٧). هذه الزلزلة التي تشمل السموات والأرض تعبيراً عن يوم الرب، يوم سخط رب الجنود. في يوم حمو غضبه (قارن إش ١٣: ١٣) من أجل خطية إسرائيل... فيقولون للجبال غطينا وللتلال اسقطي علينا (هوشع ١٠ :٨) وهوذا الرب يخرج من مكانه، وينزل ويمشي على شوامخ الأرض. فتذوب الجبال تحته وتنشق كالشمع قدام النار..كل هذا كما يعبر ميخا النبي من أجل إثم يعقوب ومن أجل خطية إسرائيل (ميخا ١ :٤).

هذه الزلزلة ليست هدفاً في ذاته. بل وسيلة، ليدرك الشعب طريق الصلاح - طريق البر - فإنه وقت لطلب الرب، حتى يأتي ويعلمكم البر (هو ١٠ :١٢) وتسير أمم كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب (قارن ميخا ٤ : ٢-٤) لأن الرب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم (إش ١٤ :١).

وزلزلة السموات والأرض وزلزلة الأمم تعد بمثابة مقدمة لعصر مسياني

ويأتي مشتهى كل الأمم: وأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود (٢ :٧). ومشتهى كل الأمم كما يرى علماء كثيرون، وآباء الكنيسة الأولى، ومارتن لوثر يقصد به رب المجد المسيح الفادي- إلا أن العدد الثامن يلقي ضوءاً آخر على العدد السابع، وكما يرى علماء آخرون بأن مشتهى كل الأمم يقصد به كنوز هذه الأمم حيث تأتي بها هذه الشعوب إلى بيت الرب. لأن لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود (عدد ٨) ولعل النبي إشعياء يتحدث في ذلك فيقول: تنظرين وتخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم.. وسفن ترشيش تأتي بالفضة والذهب لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه مجدك. ويستطرد النبي إشعياء قائلاً: وتنفتح أبوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تغلق ليؤتى إليك بغنى الأمم (قارن إش ٦٠ : ٥، ٩، ١١).

مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود (٢ : ٩) ليس فقط بالذهب والفضة التي تأتي بها الشعوب. بل يعظم مجد هذا البيت بجلال ومجد حضوره الذي يملأ البيت (قارن حز ٤ : ٣٥ ، ١مل ٨ :١١). ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب، البيت الأول. هو الرب نفسه قديم الأيام الذي ملأ بيته بالمجد. ذات الإله الذي أعلن نفسه لموسى بالكشف عن اسمه، قائلاً : «هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور» (خروج ٣: ١٠ - ١٥ ،٦ :٣) لم ولن يتغير يقول النبي حجي فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من الأول قال رب الجنود (عدد ٧-٩) ولعل تكرار الكلمات : قال رب الجنود ..يقول رب الجنود، إشارة إلى القدرة والعظمة والسلطان الذي للرب، خالق السماء والأرض ومؤسس الجبال والبحار..مجد هذا البيت يكون أعظم، فيه جواب على المستهزئين من هذا البيت الذي صار كلا شيء أمامهم..إنها كلمات الرجاء التي تحيي فيهم العظام اليابسة وتجعل منهم أبطالاً أشداء متمرسين، قادرين على أعظم الإنجازات وأمجدها.

ويرى جيرهارد فون راد G.Von Rad إن حجي النبي(٢ : ٦- ٩) رأى بعين مخيلته أن الوقت قد حان، الذي فيه تتعبد كل الأمم وجميع شعوب الأرض للرب. ويأتوا بكنوزهم إلى بيت الرب (مشتهى كل الأمم) وتصبح العبادة ليهوه السيد الرب غير قاصرة على إسرائيل وحدها، بل كل الأمم تتعبد للرب (الإله) وبدلاً من أن تكون ربوبيته قومية تصير ممالك العالم للرب ويصبح هو سيداً وملكاً على الجميع (قارن رؤيا ١١: ١٥).

حذاري من النجاسة

اسأل الكهنة عن الشريعة (٢: ١٠-١٩) بهذه الكلمات تحدث الرب إلى حجي ليذكره بأن المُقدَّس لا يُقدِس أما المُنجَّس فهو يُنجِس (قارن لا ٢٢ : ٤ -٦ ، ٢١ :١١، عد ٩ : ٦-٧ ، ١٩ : ١١ - ١٣).

ويرى علماء الكتاب أن النبي حجي يريد أن يعلم الشعب، بأن الشر ينتقل بسرعة. أما الخير فليس كذلك. فقد أصاب الشعب خمول وتراخ عام، وساد عليه عدم الاكتراث بإهماله بناء بيت الرب وسعد لذلك واهتم بتشييد القصور العظيمة لأنفسهم. ورددوا فيما بينهم أن الوقت لم يبلغ وقت بناء الهيكل. غير أن إعادة بناء بيت الرب وذيوع هذه الرغبة بين الشعب، تحتاج إلى الجهد البطولي وروح المثابرة، والكفاح الجبار من النبي بتعضيد الوالي زربابل، ورئيس الكهنة يهوشع، ورؤساء اليهود لأن المقدس لا يقدس والمنجس ينجس. وأي نجاسة أعظم من إشاعة مشاعر المذمة سريعة الانتشار، فالتصدي لها بطيء.. بطيء الفاعلية جداً (قارن عدد ١٣ : ٣١ - ١٤ :١٠).

هكذا هذا الشعب ، وهكذا هذه الأمة قدامي، ينصاعون لكل ما هو هادم، ولا يلتفتون إلى ما هو للبناء والتشييد. ويرى بعض الباحثين أن التعبير «هكذا هذا الشعب» .. «وما يقربونه هو نجس»، الوارد في (٢ : ١٤) من السفر، لا يعني به الشعب الذي استمع إلى كلمات التشجيع والوعد بالنجاح في الأعداد من (١-٩). وربما قُصِد

به السامريون، الذي جاء عنهم في (عزرا ٤: ١-٥) عندما تقدموا إلى زربابل ورؤس الآباء، وقالوا لهم نبني معكم لأننا نظيركم، نطلب إلهكم وله قد ذبحنا من أيام أسرحدون ملك أشور، الذي أصعدنا إلى هنا. فأجابهم زربابل ويشوع (يهوشع) وبقية رؤوس آباء إسرائيل قائلين «ليس لكم ولنا أن نبني بيتاً لإلهنا. ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس». وربما كان هذا بسبب شعور العداء من جهة حجي كيهودي نحو السامريين، ورفضه لهم حتى لا يشاركوا في إعادة بناء الهيكل- أما عن الجماعة اليهودية التي جاء عنهم في الأعداد (١-٩) فلا يمكنهم نقل هذه القداسة لآخرين كالسامريين، بل على العكس فانه من السهل أن تنتقل النجاسة إليهم- لهذا لابد من رفض عرض السامريين ورغبتهم في المشاركة لإعادة البناء.

الرجاء المسياني

آخذك يا زربابل عبدي ابن شألتيئيل يقول الرب. وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك يقول رب الجنود (٢:٢٣).

تعد هذه النبوة قمة رسالة حجي للشعب، وكان قد تنبأ حزقيال زمن السبي عن المسيا الفرد المخلص. فيتحدث قائلاً فأخلص غنمي فلا يكون من بعد غنيمة، وأحكم بين شاة وشاة. وأقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود ويكون لها راعياً (٣٤ : ٢٤) وهنا يتحدث حجي عن زربابل الذي اختاره الرب وجعله كخاتم، وبه يتحقق رجاء شعب إسرائيل. وقد تمثل هذا الرجاء بالنسبة للمسيحي في السيد المسيح ابن داود ونسل زربابل(مت ١ : ١٢ ولوقا ٣: ٢٧) وعندما ترجع يهوذا إلى الرب، وتتعلق به وتجعله متكلها كما في البدء، إذا اختبرته عند خروجها من أرض العبودية (٢ :٥) عندئذ يتدخل الرب لخلاصها «أقلب كرسي الممالك وأبيد قوة ممالك وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحط الخيل وراكبوها كل منها بسيف أخيه» (٢ : ٢٢ قارن قضاة ٧ : ٢٢) هذه الشعوب الوثنية ستطرح أمام زربابل مختار العلي. تلك هي كلمة الرب إلى حجي النبي ليكلم بها زربابل... إني أزلزل السموات والأرض... وأقلب... وأبيد... وأمام زربابل تنقلب كراسي وتنقرض ممالك ومملكته تثبت إلى الأبد (قارن دانيال ٢:٣٥، ٤٤).

آخذك يا زربابل عبدي .. وأجعلك كخاتم .. زربابل عبدي الغصن (زك ٣ :٨) من نسل داود وريث العهد والوعد (حزقيال ٣٤ : ٢٣ - ٢٤ ، ٣٧ : ٢٤). وقد أطلق هذا اللقب «عبدي» على إبراهيم أب المؤمنين (تك ٢٦ :٢٤) ويعقوب أب الأسباط (حزقيال ٢٨ : ٢٥) وموسى كليم الرب ووسيط شعبه (عدد ١٢ :٧) وأيوب البار المتألم (١ :٨) وداود الملك ومرنم إسرائيل الحلو (٢صم ٣ : ١٨، حزقيال ٣٤ : ٢٣ - ٢٤ ، ٣٧ :٢٤). فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه (زك ٦ : ١٢ -١٣).

ألا تشير هذه النبوات إلى ذاك الذي يبني هيكل الرب، لا من حجارة صماء، بل من حجارة افتداها بدمه الثمين. وهو يحمل الجلال، ويجلس ويتسلط على كرسيه. ليدين أسباط إسرائيل الاثني عشر (لوقا ٢٢: ٣٠) الذي قيل عنه بإشعياء النبي، «هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج. لا يكل ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» (إش ٤٢:١-٤، مت ١٢:١٧-٢١).

زكـريــا

في الشهر الثامن في السنة الثانية لداريوس (هيستاسبس) كانت كلمة الرب الى زكريا بن برخيا بن عدو النبي (١ : ١). والأسم زكريا يعني به في العبرية الرب يذكر . إنه زكريا النبي الذي تنبأ قبل نهاية خدمة النبي حجي بشهر واحد، وقد دامت خدمة حجي أربعة شهور واختتمت في الشهر التاسع في الرابع والعشرين من الشهر في السنة الثانية لداريوس (حجي ٢ : ١٠، ١٨ ، ٢٠)، الا ان رسالة زكريا النبي استمرت عامين (زكريا ٧ : ١) . وكان في السنة الرابعة لداريوس الملك ، أن كلام الرب صار الى زكريا في الرابع من الشهر التاسع ... أي عام ٥١٨ ق.م وبذلك استغرقت نبوته فترة زمنية قصيرة ؛ لكنها أطول بالنسبة لفترة نبوة حجي النبي . وينتمي زكريا إلى الأسرة الكهنوتية فهو حفيد عدو (نحميا ١٢ : ١٢ - ١٦) . وكان قد عاد من السبي في بابل إلى أورشليم مع زربابل بن شألتيئيل مع المجموعة الأولى عام ٥٣٧ ق.م وبعد سبعة عشر عاما بدأ يتنبأ . ويرجح أن زكريا كان شاباً يانعاً مثل صفنيا ، ومع أنه كان نبيا وكاهنا إلا أن السفر لا يتحدث عن الذبائح الحيوانية . وفي حديثه عن الصوم كان ينبر على أهمية أن يعيش الانسان حياة الطهر والنقاوة ومخافة الرب بعمل ما هو مستقيم في عيني الله (قارن ٧ : ٥-٦ ، ٩-١٠، ٨ : ١٩).

أقسام ومشتملات السفر

أولا : مقدمة : « دعوة بالعودة الى الله » (١ : ١ - ٦).

ثانيا : الرؤى الثمانية (١ : ٧ - ٦ : ١٥).

١ - رؤيا الإنسان : الله يدين الشعوب (١ : ٧ - ١٧).

٢ - رؤيا القرون الأربعة والأربع صناع : أعداء الرب سوف ينهزمون (١ : ١٨ - ٢١).

٣ - رجل وحبل قياس : مساحة وأمن أورشليم (٢ : ١ - ٢٣).

٤ - تطهير رئيس الكهنة يهوشع : رمز المسيا الغصن (٣ : ١٠ - ١٠) .

٥ - المنارة الذهبية والزيتونتان : يقود الشعب والكاهن وهذان يقودهما ويقويهما الروح (٤ : ١ - ١٤).

٦- الدرج الطائر : اللعنة على الكاذب والسارق (٥ : ١ - ٤).

٧ - المرأة الجالسة وسط الإيفة : إزالة الإثم (٥ : ١ - ١٠).

٨ - الأربع مركبات : سوف يهزم الرب كل القوات المضادة (٦ : ١ - ٨).

ثالثا : تتويج يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم الذي له مشورة السلام، الرجل الغصن إسمه ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب (٦ : ٩ - ١٥).

رابعا : أسئلة عن الصوم (٧ : ١ - ٨ : ٢٣).

١ - الطاعة لله والعدل للإنسان هو الصوم الحقيقي والمقبول لدى الله (٧ : ١ - ١٤).

٢ - الوعد بالسلام والنجاح لشعب الله (٨ : ١ - ٢٣).

خامسا :

١- نبوات عن المسيا (٩ : ١ - ٤ : ٢١)

٢- نبوات تؤكد المجئ الأول للمسيا متواضعا ووديعا (٩ : ١-١٧).

٣ - الملك وملكوته (٩ : ١ - ١٧).

٤ - عودة شعب الله (١٠ : ١٠ - ١٢).

٥ - الراعي الشرير والراعي الصالح (١١ : ١ - ١٧).

٦ - إنتصار شعب الله على الأمم الوثنية (١٢ : ١ - ١٣ : ٦).

٧ - التطهير القومي (١٣ : ٧ - ٩).

٨ - خلاص اورشليم (١٤ : ١ - ٢١).

الخلفية التاريخية للسفر

ولأن حجي كان معاصرا لزكريا فإن الخلفية التاريخية (الحالة السياسية والاجتماعية) تكاد تكون واحدة - راجع ما جاء عنه في سفر حجي - كما أن إعادة بناء الهيكل هو الموضوع الرئيسي لكل من النبيين إذ لم يكن قد اكتمل بعد (زك ٤ : ٩ ، ٦ : ١٣) . وعن الأحوال المعيشية التي تحدث عنها حجي النبي نجد وصفا لها في (زكريا ٨ : ١٠) والسلام والهدوء الذي حل بعد تولي داريوس عرش الامبراطورية الفارسية وانتصاره على المصاعب التي واجهها نجد عنها في (زك ١ : ١١) ، (قارن حجي ٢ : ٦ - ٩ ، ٢٠ - ٢٣ ، قارن ايضا ٢ أخ ٣٦ : ٢٢ - ٢٣ ، عزرا ١ : ١ - ٤ ، ٣ : ١١ - ١٣ ، ٤ : ٥).

وأمام روح الضعف والفشل واليأس الذي خيم على الشعب ، لمع إيمان زكريا النبي مثل لؤلؤة وضاحة في هذا الليل المعتم ، فنجده يقدم حقيقة وجود الله وتدخله بقوة محبته في سلسلة رؤياه . رؤى الليل واعلان حلول العصر المسياني وسكنى يهوه الرب في هيكله المقدس (زك ٨ : ١٨ - ٢٢ ، ٢٣).

زكريا النبي والسفر

كان حجي النبي أحد مؤسسي اليهودية . كذلك النبي زكريا مثل حجي كان له الدور الهام في إعادة بناء الهيكل. ولم يكن مؤيداً (مثل حجي) ان يكون للسامريين دور في إعادة البناء وحث الشعب علي ضرورة إعادة البناء كما سبق الحديث في مقدمة سفر حجي - قارن أيضا (زك ١ : ١١ ، ١٣ - ١٧، ٣ : ٧ - ٨ ، ٤ : ١٤ ، ٦ : ١٣).

نشأ النبي زكريا وتربى في بابل وكان للنبي حزقيال- كما يرى كثير من العلماء- التأثير الواضح عليه، وتعلم بأن طريق الحياة يتمثل في إعتراف الإنسان بعون الله في الماضي ، والطاعة لكلمته حسب شرائعه وأحكامه ، «إفعل هذا فتحيا» وكان المسبيون في بابل حالمين فرأوا أورشليم الجديدة قائمة وناهضة ليس فقط بعمل الإنسان ، بل أيضا بقوة الله . وفي السبي شعروا بقيمة شريعة (طقوس) التطهير من الخطيئة، والذبائح والمحرقات ، والحاجة إلى من يتوسط لهم ، بين الإنسان الأثيم وبين الله العلي القدوس . وظهر دور الملاك وأهميته في الإعلانات والرؤى والتفسير ، وباعتباره وكيلا لإنجاز أعمال الله (قارن زك ١ : ٩ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢ : ٣ وحزقيال ٤٠ :١-٤) (غير ما تم مع عاموس ٧ : ٨ ، والنبي إرميا ١ : ١٣ - ١٤) وهناك اخرون فُسرت لهم الرؤى. بواسطة يهوه نفسه، وقلما اختبر الانبياء الأول اعلانات الله عن طريق الرؤى وتفسيرها بواسطة الملاك (اش ٦) . لكن في أيام

زكريا صارت الوسيلة الرسمية للإعلان الإلهي .

ودراسة سفر زكريا تشكل أهمية خاصة ليس فقط لدراسة دور الملاك بوجه عام . بل أيضا عن الشيطان الذي ظهر بصورة جلية واضحة كمقاوم في (زك ٣ : ١ -٢) مقاوما ليهوشع الكاهن العظيم ، كما أنه ظهر مشتكيا على أيوب (١ : ٦ - ١١) وكان امتحانا لقوة وأصالة إيمان أيوب في إلهه (أيوب ١ : ١٢ ، ٢ : ٦) وجاء عن الشيطان أيضا في الكتب المقدسة أنه دفع داود ليخطئ بأن يحصي الشعب (١أخ ٢١ : ١).

وكلما كان حال الشعب في الحضيض للمقاومات العنيفة والمضنية . صار الرجاء المسياني أوضح وأشد لمعاناً فهو الرجاء الذي يحتل مكانة مهمة في فكر النبي زكريا .

وحتى يمكن للشعب أن يتمتع بنعم وخيرات الله ؛ عليه أن يحيا في البر وترك كل ما هو شر - والنجاح القومي للشعب المختار مؤسس على الطاعة لشريعة إله السماء وإتمام عمله (زك ٥ : ١ - ٤ ، ٣ : ٩ ، ٧ : ٥ - ١٠ ، ٨ : ١٩ قارن مع أش ٤٢ : ١ - ٧ ، ٤٩ : ٦).

الكاتب وزمن الكتابة

يؤرخ العلماء نبوة زكريا النبي (قارن نحميا ١٢ : ١٦) بخريف عام ٥٢٠ ق.م ، بعد أن بدأ زربابل عمله في إعادة بناء الهيكل وقبل اختتام نبوة حجي بشهر من الزمان ، ويُجمع الباحثون على أن زكريا النبي هو كاتب الأصحاحات الثماني الاول (١ : ٨) . ويرى العلماء المحافظون أن زكريا النبي هو كاتب السفر بجملته الأمر الذي لم يُسلّم به العلماء النقديون ، الذين يرون أن الأصحاحات من (٩ - ١٤) كتبت بواسطة شخص آخر ربما كان تلميذاً للنبي زكريا. لهذا يجدر بنا أن نتناول هذا الأمر بشيء من التفصيل.

يبني العلماء النقديون جدلهم هذا من خلال ما جاء في (مت ٢٧ : ٩) « حينئذ تم ما قيل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل » . وهذه الكلمات جاءت في سفر (زكريا ١١ : ١٢ - ١٤) . وينسب هؤلاء العلماء الأصحاحات من (٩-١٤) إلى عصر مبكر قبل زمن كتابة الأصحاحات الثماني الأول ويرى جوزيف ميدي J. Mede عام ١٦٥٣ أن الأصحاحات (٩ - ١١) من هذا السفر تعود إلى زمن النبي إرميا ، وتبعه في هذا الرأي ريتشارد كيدر R. Kidder عام ١٧٠٠ بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث رأى أن الأصحاحات (١٢- ١٤) هي أيضا ضمن كتابات النبي إرميا ، كما أن وليم وستون W. Whiston يتفق مع Mede في هذا الرأي . ويرى رئيس الأساقفة وليم نيوكم Archbishop Newcome في كتابه الصادر عام ١٧٨٥ أن الأصحاحات (٩- ١١) كتبت قبل سقوط السامرة ، وربما زمن النبي هوشع ، غير أن الأصحاحات (١٢ - ١٤) كتبت في زمن متأخر ما بين موت يوشيا وسقوط اورشليم ، ومن الآخذين بالاعتقاد ان هذه الاصحاحات كتبت زمن ما قبل السبي «كثيرون» منهم : نوبل، أيوالد، بليك، اوريللي وشولتز

Hizig Knobel, Ewald, Bleek, Von Orelli And Schultz ومن الجانب الآخر يرى كوورودي H.Corrodi أن الأصحاحات (٩ - ١٤) من سفر زكريا يرجع تاريخ كتابتها الى زمن ما بعد النبي زكريا وتبعه في ذلك ابكورن Eichorn ويدلل على ذلك بأن (زك ٩:١-١٠:١٢) تشير الى فتوحات وأعمال الإسكندر الأكبر كما أن (زك ١٣ : ٧-١٤:٢١) تضمنت أنشودة فيها تمجيد ليهوذا المكابي في عام ١٦١ ق.م وهكذا انقسم العلماء ما بين معارض ومؤيد على وحدة السفر.

أما عن أيشفيلد O.Eissfeldt فيرى أن الأصحاحات (زك ٩ - ١٤) يرجع تاريخها الى عصر ما بعد السبي إذ أن (زك ٩ : ١-١٧ ، ١٠ : ١-٢) تتضمن نصوصا غير متداولة مثل الإشارات عن ملك غزة (٩ : ٥) ، وما جاء عن اليونان (ياوان) في عدد ١٣ . كما يرى أيشفيلد أن هذا النص يعد بمثابة تهديد ضد قوة السلوقيين في صهيون

. كما يتضمن وعدا بملك مسياني لصهيون، كما يرى أيضا أن (زك ١١ : ٤ - ١٧ ، ١٣ : ٧ - ٩) تتضمن إشارات إلى العصر اليوناني والمكابي . أما عن الأصحاح ١٤ (كما يرى أيشفيلد) فإنه يعود إلى زمن متأخر . وربما كتب بواسطة عدة أشخاص لأنه يتحدث عن أمور عسرة الفهم عن يوم الرب ، ويصعب تحديد تاريخ كتابته.

أما علماء الكتاب المحافظون فيأخذون بوحدة سفر النبي زكريا ولا يرون فيه تباينا في جزئيه (١ - ٨ ، ٩ - ١٤) بل تشابها في الأسلوب والموضوعات

إن أبلغ برهان يتخذه بعض العلماء النقديين لتأريخ السفر إلى ما بعد السبي ، هو ما جاء في (٩ : ١٣) . غير أن هذا العدد يشير كما يرى علماء الكتاب إلى هزيمة اليونانيين وليس عن انتصارهم . وفي العدد ١٢ يتحدث النبي عن عودة المسبيين إلى قوتهم ، وهذا يتناسب مع زمن النبي زكريا الذي يمتد إلى القرن السابع ق.م . وعن ياوان (اليونان) فقد ورد عنها بواسطة إشعياء النبي (٦٦ : ١٩) وحزقيال (٢٧ : ١٣ ، ١٩) كإحدى الإماكن والبلدان التي كان لها مكانتها في العالم القديم.

كما تتضح وحدة السفر أيضا من التشابه في الاسلوب والموضوعات كما يرى العلماء المحافظون . وذلك فيما يلي:

التشابه في أسلوب الكتابة

بين قسمي السفر (١ - ٨ ، ٩ - ١٤).

- الرقم المفضل عند النبي في الكتابة (٤ : ٣ ، ٥ : ٩ ، ٦ : ١ ، ١١ : ٧ ، ١٣ : ٨).

- أسلوب الدعوة (٢ : ٧ ، ١٠ ، ٣ : ٢ ، ٨ ، ٤ : ٧ ، ٩ : ٩ ، ١٣ ، ١١ : ١-٢ ، ١٣ : ٧).

- التعبير ذاهب وآئب الذي لم يرد في غير هذا السفر (٧ : ١٤ ، ٩ : ٨) .

- يقول الرب : تعبير ورد في الجزء الاول (١- ٨) ما يقرب من أربع عشرة مرة وفي الجزء الثاني (٩ - ١٤) في (١٠: ١٢ ، ١٢ : ١ ، ٤ ، ١٣ : ٢ ، ٧ : ٨) .

- أعين الله : (٤ : ١٠) أيضا في (٩ : ١) .

- رب الجنود : (١ : ٦ ، ١٢ ، ٢ : ٩) أيضا في (٩ : ١٥ ، ١٠:٣، ١٢ : ٥).

- حديث النبي عن يهوذا وإسرائيل معا كجماعة واحدة (١ : ١٩ ، ٨ : ١٣ ، ٩ : ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٠ : ٣ ، ٦ ، ٧).

وتتضح وحدة السفر أيضا في تشابه الموضوعات كما يرى روبنسون وريفن ويونج G.L.Robinson, Raven And E.Young يتمثل هذا التشابه في موضوعات عديدة منها:

١ - التوبة : (١ : ١ - ٧) قارن مع (١٢ : ١٠) .

٢ - التطهير : (٣ : ٤) قارن (١٣ : ١).

٣ - الملك المسيا : (٣ : ٨ ، ٩ ، ٦ : ١٢ ، ١٣ مع ٩ : ٩ ، ١٠ ، ١١ : ١٢ ، ١٣، ١٢ : ١٠، ١٣ : ١، ٧ - ٩) .

٤ - العبادة الجماهيرية (كل الأمم) (٨ : ٢٠ - ٢٣ قارنه مع ١٤ : ١٦ - ١٩) .

هذا التشابه في الاسلوب والموضوعات بين جزئي السفر في الأصحاحات من (١- ٨) والأصحاحات من (٩

- ١٤) يشير إلى كاتب واحد كما يرى العلماء المحافظون وليس إلى كاتبين أو أكثر كما يرى العلماء النقديون.

مضمون السفر ورسالته

إن رسالة النبي زكريا تشبه الى حد كبير رسالة حجي النبي في تعلميه الكرازي وما يتصل بالهيكل وإعادة بنائه والإشارات الخاصة بزربابل من نسل داود الذي ينظر إليه على أنه المسيا الملك الذي يتعلق عليه الرجاء المنتظر.

بدأ النبي زكريا نبوته كما سلفت الإشارة عام ٥٢٠ ق.م بعد حجي بثلاثة شهور وقبل انتهاء خدمته بشهر واحد . واستمرت خدمة زكريا قرابة سنتين كما ذُكر آنفا (راجع مقدمة سفر حجي) . عندما بدأ زكريا خدمته، كان الشعب قد بدأ في إعادة تشييد بيت الرب من قوله « إن يدي زربابل قد أسستا هذا البيت فيداه تتمانه » (٤ : ٩) وقد بناء الهيكل ببت الرب في السنة السادسة من حُكم داريوس الملك (عزرا ٦ : ١٥) ، بعد أربع سنين من بدء استئناف العمل ثانية أي عام ٥١٦ ق.م واختفى زربابل من مسرح الحياة ، ولا يعرف أين أو ماذا حدث له . وربما تخلص منه الفرس كما يرى اندرسون B.W. Anderson وآخرون ، خوفا من ثوراته المسيانية إذ كان مثار قلق بالنسبة لهم وتركزت القيادة في يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم ، ومن أتوا بعده ، لمواصلة الخدمة والرسالة في هيكل الرب لإعداد مملكة كهنة وأمة مقدسة (خروج ١٩ : ٦).

وفي الأعداد (١ : ١ - ٦) نجد النبي زكريا يعيد تأكيد دعوة الأنبياء الأولين « إرجعوا إليّ يقول رب الجنود « فأرجع إليكم يقول رب الجنود » . لا تكونوا كآبائكم الذين لم يسمعوا ولم يصغوا إليّ يقول الرب ... آباؤكم أين هم ... والانبياء هل أبداً يحيون ... إنها ذات الكلمات التي سبق أن تحدث ونادى بها ارميا النبي (قارن ٢٥ : ٤ - ٦).

إن العودة الى طريق الرب هي طريق النجاح الأكيد الممتليء بالسلام... أما العصيان وعدم الاستماع لوصايا الرب وأحكامه فهو الطريق إلى العقاب والسبي ... إرجعوا اليّ أرجع إليكم ... وأين الآباء ... وهل الأنبياء أبدا يحيون . إن كلمة الرب ثابتة إلى الدهر والأبد . يوجد رجاء وهذا الرجاء ، ومضمونه ينادي به النبي من التاريخ . ويرى أحد العلماء أن الإنتصار الأخلاقي هو انتصار الله في الانسان ولا يمكن الفصل بينهما لأنهما متلازمان بل متوازيان (قارن تك ٣٩ : ٢ ، ٩ ، ٢١ ، ٢٣) . فالرجاء يكمن في الرجوع الى الله ، ويقول كما قصد الرب أن يصنع بنا كطرقنا وكأعمالنا كذلك فعل بنا (١ : ٦) إن رجعنا إليه يرجع إلينا.

وبينما الناس نيام بالليل حيث الظلام القاتم الحالك فان انبياء الرب الراثين يتمتعون برؤى القدير ويكتشفون أن قوات إلهية تعمل لفداء الانسان ونجاته من كل ما يحدق به لإهلاكه وتدميره إنها ثماني رؤى يعلنها الرب لعبده زكريا النبي (١ : ٧ - ٦ : ٨).

الرؤيا الأولى

(١ : ٧ - ١٧) الرجل والخيل بديعه الألوان : « رأيت في الليل إذا برجل راكب على فرس أحمر ، وهو واقف بين الآس في الظل ، وخلفه فرسان وخيل بديعة الألوان ، حُمر وشُقر وشُهب ... فقال لي الملاك الذي كلمني ... هؤلاء هم الذين أرسلهم الرب للجولان في الارض . وقالوا قد جُلنا في الأرض وإذا الأرض كلها مستريحة وساكنة » .

وتساءل ملاك الرب قائلا : إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة ، قال لي الملاك الذي كلمني ناد قائلا: « هكذا قال رب الجنود غرت على أورشليم غيرة عظيمة وأنا معلن غضبي الشديد على الأمم الوثنية المطمئنة والمستريحة الساكنة » (١ : ١١ ، ١٥) لذلك هكذا قال الرب قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم فبيتي يبنى فيها يقول رب الجنود ... ناد أيضاً وقل هكذا قال رب الجنود ، إن مدني تفيض بعد

خيرا ، والرب يعزى صهيون بعد ، ويختار بعد أورشليم . لقد حان الآن وقت خلاص أورشليم ، وتعزيتها فيسودها الأمان والأزدهار . والعقاب للشعوب المتجبرة المتغطرسة - «وأنا مغضب بغضب عظيم على الأمم المطمئنين لأني غضبت قليلا وهم أعانوا الشر » (١ : ١٥) . أي أن غضبي يقول الرب متأجج على الشعوب المتنعمة لأني اغتظت قليلا من شعبي . إلا أنهم زادوا من فواجعهم.

ويجد العلماء في نبوة إشعياء ضوءا ساطعا لفهم هذه الكلمات في حديثة عن أشور قائلا : ويل لأشور قضيب غضبي ، والعصا في يدهم هي سخطي ... فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم ، أني أعاقب ثمر عظمة قلب ملك آشور ، وفخر رفعة عينيه ، لأنه قال « بقدره بدي صنعت وبحكمتي لأني فهيم ... وهل تفتخر الفاس على القاطع بها ، أو يتكبر المنشار على مردده » (قارن إشعياء ١٠ : ٥ - ١٥) إنه الوقت لتعزية أورشليم وافتقادها بالمراحم . وهي كلمات تعزية لشعب وضع في قلبه أن يستجيب لدعوة الرب له « إرجعوا إليّ ... فأرجع إليكم » يقول رب الجنود.

الرؤيا الثانية

(١ : ١٨ - ٢١) أربعة قرون وأربعة صناع : فرفعت عيني ونظرت وإذا بأربعة قرون ... وقال الملاك ... هذه هي القرون التي بددت يهوذا وإسرائيل وأورشليم - والقرون : رمز القوة في الكتب المقدسة (قارن عاموس ٦ : ١٣ ، ارميا ٤٨ : ٢٥) . ويرجح ان استخدام الرقم أربعة إشارة إلى إتجاهات الأرض الأربع (زك ٢ : ٦).

وأراني الرب أربعة صناع ... وقد جاء هؤلاء ليرعبوهم (يرعبوا القرون التي بددت يهوذا) وليطردوا قرون الأمم الرافعين على أرض يهوذا لتبديدها - سيتبدد الشر تدريجيا بواسطة هؤلاء الصناع العاملون بقوة الرب وفي ثبات . هذا الشر الذي يبدو سائدا ، وليس من مناص ، سيتحطم لا محالة . وحياة البر تفيض بملء الرجاء للخلاص من الشر. وبالصبر والانتظار الساهر يتأكد سقوط واضمحلال الشر المحيط بإنسان الله (قارن مراثي ٣ : ٢٥ - ٢٧ ، مز ٣٧ : ١ - ١١ ، ميخا ٧ : ٨).

الرؤيا الثالثة

(٢ : ١ - ١٣) المدينة بلا أسوار : مرة أخرى يرفع النبي نظره وينظر رجلا وبيده حبل قياس ، ليعرف كم عرض وطول المدينة أورشليم - لكن هذا الشاب عديم الخبرة ، وصاحب العقلية المحدودة أدرك أن عمله كان باطلا لأن مدينة الله ليس لها حدود بعينها ، والأسوار التي بناها الناس لم تكن لحمايتها لأن الله نفسه هو سور نار من حولها ، ويكون مجدا في وسطها (عدد ٥) . وبهذا أدرك النبي زكريا أن الإنسان هو بيد الله محفوظ ، ولا يقوى في حقيقة الأمر على خلاص نفسه من الشرور . والثقة في قدرة الرب المخلّصة هي السبيل إلى الأمان والطمان . لأنه لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود (٤ : ٦) . لأنه هكذا قال رب الجنود بعد المجد أرسلني إلى الأمم الذين سلبوكم ، لأنه من يمسكم يمس حدقة عينه ، وقد ورد التعبير حدقة عينه في الاصل في مخطوطات قديمة « حدقة عيني » (١) بمعنى من يمسكم يمس حدقة عين الرب (قارن تث ٣٢ : ١٠) . وفي كلا الحالين فالمعنى يُقصد به أن من يمس تقي الرب سيدفع الثمن غاليا وباهظا.

« ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبا فأسكن في وسطك » (٢ : ١٠ - ١٢).

إنه بالرجوع إلى الرب تهتف صهيون ترنما وتمتلىء فرحا وابتهاجا ، ويمكنها أداء رسالتها العظمى وهي : أن تأتي بأمم كثيرة إلى الرب لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم كلمة الرب . فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل . ولا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد (قارن أش ٢:٢ -٤ وميخا ٤ : ١ - ٣).

إنهـا الغـاية العظمـى من اختيـار الرب لإسرائيـل ، وهي أن تكون نورا للأمم (أش ٤٢ - ٦) . « أنتم شهودي يقـول الرب » (٤٣ : ١٠-١٢) نورا للأمم وطريق خلاص لأقصى الأرض (٤٩ : ٦) . وعن الغرباء يقـول الرب : آتي بهم إلى جبل قدسي ، وأفرحهم في بيت صلاتي ، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب (٥٦ : ٣ - ٧).

الرؤيا الرابعة

(٣ : ١ - ١٠) الثياب الطاهرة المزخرفة : وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب ، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه . ويهوشع رئيس الكهنة هنا في هذه الرؤيا يعد ممثلا لإسرائيل . ويظهر الشيطان (مثلما حدث مع أيوب) عن يمينه ليقاومه ، مشيرا إلى الثياب القذرة التي على يهوشع محتجا لكن الرب ينتهر الشيطان موبخا « لينتهرك الرب يا شيطان ، لينتهرك الرب الذي اختار أورشليم » . فالمقاومة هنا ليست موجهة إلى يهوشع كشخص بمفرده، بل أيضا إلى الشعب بجملته ؟ - أفليس هذا «شعلة منتشلة من النار » - فالرب هنا يوبخ الشيطان على مقاومته شعبه الذي خلّصه ، كما بنار من الهلاك في السبي البابلي (قارن ١ : ١٢) وكلم الرب ملائكته الواقفين قدامه بأن ينزعوا ثياب يهوشع القذرة، ويلبسوه ثيابا نظيفة ومزخرفة ، ويضعوا على رأسة عمامة طاهرة.

وكان كلام رب الجنود إلى يهوشع قائلا : « إن سلكتَ في طرقي وإن حفظتَ شعائري فأنت أيضا تدين بيتي وتحافظ أيضا على دياري ، وأعطيك مسالك بين هؤلاء الواقفين » (٣ : ٧) أي أعطيك مكانة بين هؤلاء الملائكة الواقفين . فبعد أن تطهر يهوشع الكاهن العظيم ؛ بأن ألبسه الرب رداء طاهرا ، أصبحت عليه مسئولية الحفاظ على هذه النعمة العظمى بالسلوك في طرقه وحفظ شعائره . انها الحياة الأخلاقية العملية (قارن تث ٨ : ٦ ، ١٠ : ١٢ ، مزمور ١٢٨ : ١) . والحياة الدينية التي على يهوشع ان يحافظ عليها (حزقيال ٤٤ : ١٥ - ١٦ ولاويين ٨ : ٣٥ قارن ايضا عدد ٣ : ٢٨ ، ٣١ - ٣٢ ، ٣٨ ، يش ١ : ٧ - ٩ ، ١مل ٢ : ٣).

فأنت أيضا تدين بيتي وتحافظ على دياري ، على خلاف ما كان سائدا زمن ما قبل السبي . حيث كان للملك السلطان القضائي على الهيكل والعبادة الطقسية . كما أن للملك سيطرة كاملة على الأحوال الدينية (قارن ١مل ٢ : ٢٧ ، ٢مل ١٦ : ١٠- ١٨) . هذه المرة يتمتع يهوشع رئيس الكهنة بهذا السلطان من الرب ، الذي ألبسه رداء البر وليس عليه فقط أن يحفظ شرائع الرب، بل عليه أن يرى ويرعى ويراقب شعب الرب ، لحفظ هذه الاحكام والشرائع ليعملوها (قارن لاويين ١٠ : ١٠ ، حزقيال ٤٤ : ٢٣ ، ملاخي ٢ : ٧ ، عدد ١٢ : ٧ ، هوشع ٨ : ١).

« فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم أنت ورفقاءك الجالسين أمامك لأنهم رجال آية » . وعلى يهوشع أن يصغي بانتباه شديد إلى إعلان الرب له ولرفقاء الخدمة المجيدة (قارن اش ٨ : ١٨ ، حزقيال ٢٤ : ٢٤ و ٢٧) لأني هأنذا: آتي بعبدي الغصن وهو لقب مسياني يشير الى زربابل (زك ٦ : ١٢ ، اش ١١ : ١، ارميا ٢٣ : ٥ - ٦ ، ٣٣ : ١٤ - ١٦) ويشير في ذات الوقت إلى مجئ المسيا الرب فادي النفوس الأعظم (اش ٤٢ : ١ ، ٤٩ : ٣ ، ٥٠ : ١٠ ، ٥٢ : ١٣، ٥٣ : ١١ ، حزقيال ٣٤ : ٢٣ - ٢٤).

فهوذا الحجر الذي وضعته قدام يهوشع ؛ على حجر واحد سبع أعين (٣ : ٩ أ) .

وعن هذا الحجر ، تعددت الآراء وبكثرة لدى العلماء . منهم من يرى بأنه حجر كريم خصص لتاج زربابل (٦ : ١٠ - ١٥) ، وربما ارتبط باسمه . إلا أن الحجر كان موضوعا أمام يهوشع الكاهن العظيم .. فرأى البعض الآخر أن هذا الحجر ربما كان هو الحجر الأخير الذي وضع عند تمام بناء الهيكل (٤ : ٧ ، ١٠) وكان بالأولى أو بالأحرى ، أن يوضع أمام زربابل الذي أتم بناء بيت الرب ، وليس أمام يهوشع الكاهن.

وربما كان الحجر (في رأي فريق آخر من العلماء) هو حجر كريم ؛ جوهرة ثمينة ضمن لباس رئيس الكهنة يهوشع

بن يهوصادق على صدره أو جبهته (قارن خروج ٢٨ : ١١ - ١٢ ، ٣٦ - ٣٨).

ويرى الكثيرون أيضا أن هذا الحجر يعد إشارة إلى رب المجد أساس الكنيسة الذي لن تقوى عليه كل الممالك المضادة (مزمور ١١٨ : ٢٢ قارن أش ٢ : ١٦ ، اي ٢ : ٤٥ ، مت ٢١ : ٤٢ ، ١كو ٣ : ١١ ، ١بط ٢ : ٦-٧).

على حجر واحد سبع أعين (عدد ٩ ب) وعن العين فهي ذات الكلمة العبرية المترجمة «وجه » في (خروج ١٠ : ١٥) وغطى وجه (عين في العبرية) كل الأرض وايضا (عدد ٢: ٥ ، ١١) ... غشى وجه (عين في العبرية) الارض وبهذا يرى بعض الباحثين أن المقصود بسبع أعين على حجر واحد هو ،أن لهذا الحجر سبعة أوجه نُقشت عليها هذه الكلمات « وأزيل إثم تلك الأرض في يوم واحد ».

ويرى آخرون أن المقصود بسبع أعين ، انما هي أعين الرب الجائلة في الارض كلها (٤ : ١٠ ب) والعين رمز للعون والتعضيد (رؤيا ٥ : ٦ ، قارن ٢أخ ١٦ : ٩ ، مزمور ٣٢ : ٨) . ويرى كلفن أن السبع أعين تمثل ملء النعمة ومواهب الروح (أش ١١ : ٢ -٣ ، يوحنا ١ : ١٦ ، ٣ : ٣٤ ، كولوسي ١ : ١٩ ، ٢ : ٩) . وعون الرب وتعضيده لشعبه في إعادة بناء هيكل الرب ولكنيسته على الدوام - هيكله الروحي- « حجر حي مرفوض من الناس ، لكن مختار من الله كريم » (١ بط ٢ : ٤).

وأزيل إثم تلك الأرض في يوم واحد: كلمات نقشها الرب على هذا الحجر ، الإثم الذي عانى منه الشعب كثيرا (حجي ١ : ٦ ، ٩ - ١١) ومحو الخطية أساس لكل بركة ، والإشارة عن اليوم الواحد هنا ربما قصد بها يوم الكفارة العظيم عند تكميل بناء الهيكل (لا ٢٣ : ٢٧) بل هو يوم الكفارة الذي صنعه الرب لكل بشر مرة واحدة وإلى الابد . ولا حاجة لتكرارها كالذبائح الموسوية (عب ١٠ : ١٠ ، ١٢ ، ١٤) وليعم السلام والخير (١مل ٤ : ٢٥ ، رومية ٥ : ١ ، ميخا ٤ : ٤).

الرؤيا الخامسة

(٤ : ١ - ١٤) المنارة والزيتونتان : يوقظ الملاك النبي زكريا من النوم بلمسة إلهية قوية . يأتي به من اللاوعي الروحي الى واقعية الحياة الروحية . ويرى الهيكل في أوج النور .كما يرى منارة بسبع سرج بكوز في الوسط وسبع أنابيب للسُرج تمدها بالزيت من الزيتونتين ، ويسأل النبي ملاك الرب ما هذه ويجيبه الملاك قائلا : هذه كلمة الرب الى زربابل قائلا: لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود (عدد ٦) وعلى زربابل ألا يفشل ... فالعمل يحتاج لروح الله ... «روحي قائم في وسطكم لا تخافوا» (حجي ٢ : ٥) وقوة الرب في ضعف الانسان تكمل (هوشع ١ : ٧ ، ٢كو ١٢ : ١٠ ، عب ١١ : ٣٤) والقدرة تعني قوة الإنسان جسديا وعقليا وتشمل الجيش والعتاد أيضا - والرب يستطيع أن يخلص بالكثير وبالقليل الضعيف (٢ اخ ١٤ : ١١ ، قارن ١صم ١٤ : ٦) كما يعمل في تجديد الخطاة أيضا (١كو ٣: ٦ و ٢ كو ١٠ : ٤).

«ومن أنت أيها الجبل العظيم أمام زربابل تصير سهلا»: على زربابل أن يختبر هذه القوة العلوية السماوية من عند رب الجنود . ليس فقط في التأسيس لإعادة بناء بيت الرب (عزرا ٦ : ١٥) بل أيضا في إتمامه إلى النهاية. وتتذلل أمام زربابل كل العوائق وجبال المصاعب والمتاعب، بل ستمحى من الوجود (أش ٤٠ : ٤ ، ٤٩ : ١١) . وسيوضع على زربابل التاج العظيم بعد اتمام العمل بنعمة وقوة رب الجنود وهكذا تزول كل العوائق طريق عمل الرب القدير (إرميا ٥١ : ٢٥ ، دانيال٢: ٣٤، ٤٤) ، فيخرج حجر الزاوية كرامة كرامةً - والتكرار هنا إشارة إلى عمل النعمة من البداءة إلى النهاية (أش ٢٦ : ٣ ، عزرا ٣ : ١١ - ١٣) . إنه عمل الله بروحه في الإنسان وبالإنسان ، من خلال حياة مقدسة طاهرة أمامة . «ومن ازدرى بيوم الأمور الصغيرة» عند التأسيس ، والبداية

المتـواضعـة زكريا ٤: ١٠، عـزرا ٣ : ٢ ، حج ٢ : ٣) سوف يتأكـد في النهـاية أن أعين الرب على زربابل وعلي العمل ، يعينه بمحبته وقوة روحه « فتفرح أولئك السبع التي هي أعين الرب الجائلة في الأرض كلها » (عدد ١٠ قارن ام ١٥ : ٣ ، ١كو ١٦ : ٩ ، ١١ - ١٢).

ما هاتان الزيتونتان عن يمين المنارة وعن يسارها ، فقال هاتان هما إبنا الزيت الواقفان عند سيد الأرض كلها (عددي ١١ ، ١٤).

تعددت آراء الباحثين في تفسير هذه الكلمات ، فمنهم من يرى بأن المقصود بالزيتونتين أو إبنا الزيت الواقفين عند سيد الأرض كلها للشهادة للرب ، هما الكتب المقدسة (أي العهدين القديم والجديد) وقال آخر هما الناموس والأنبياء، ويرى أحدهم أنهما موسى النبي معطي الشريعة وهرون رئيس الكهنة كارزا وقت حدث الخروج، بل انهما حزقيال الكاهن والنبي ودانيال الوالي ، الحاكم وهو في الأسر البابلي ، ويرى البعض الآخر أنهما موسى وإيليا اللذين ظهرا عند التجلي (قارن مت ١٧ : ٣ ، ١١ مع ملاخي ٤ : ٤ - ٥) وقد جاء في سفر الرؤيا عنهما « هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض » ... « هذان لهما السلطان أن يغلقا السماء حتى لا تمطر مطرا في أيام نبوتهما ولهما السلطان على المياه أن يحولاها إلى دم ... (رؤيا ١١ : ٤ ، ٦ قارن أعداد ٧ - ١٣ مع خروج ٣ : ١٩ ، ١مل ١٧ : ١ ، لوقا ٤ : ٢٥ ، يع ٥ : ١٦ - ١٧).

ويرى بعض العلماء أن ابنا الزيت هما يهوشع بن يهوصادق رئيس الكهنة وزربابل الوالي المدني وقد مسحا بزيت ليس زيتا مخزونا بل زيت أشجار حية (مزمور ٥٢ : ٨ ، رومية ١٢ : ١) ويشير الزيت هنا إلى الروح القدس للعمل والبناء والتهذيب والتقويم (قارن ١ يوحنا ٢ : ٢٠ ، ٢٧) .

الرؤيا السادسة

(٥ : ١ - ٤) الدرج الطائر : فعدت ورفعت عيني وإذا بدرج طائر كبير ، طوله عشرون ذراعاً وعرضه عشر أذرع ذات الحجم الذي لرواق الهيكل (سليمان) (١ مل ٦ : ٣) حيث كان يُقرأ سفر الشريعة وقد سُطر على الدرج كلمات اللعنة (عدد ٣) (قارن تث ٢٧ : ١٥ - ٢٦ ، ٢٨ : ١٥ - ٦٨) وقد شملت اللعنة الحالفين زورا والسارقين . إنه تعدي الإنسان نحو إلهه ونحو قريبه . ويربط أحد العلماء ما جاء بالدرج على جانبيه وبين لوحي الشهادة (خروج ٣٢ : ١٥) وتسقط اللعنة على من يتعدى الوصية الثالثة والوصية الثامنة، الحلف والكذب إذ هما متلازمان مترابطان كالسبب والنتيجة (ام ٣٠ : ٩ قارن نحميا ١٣ : ١٠ وملاخي ٣ : ٨ مع عدد ٥).

اني أُخْرِجها يقول رب الجنود فتدخل بيت السارق وبيت الحالف باسمي زورا وتبيت في وسط بيته وتفنيه مع خشبه وحجارته ، إذاً لا بد من التطهير الشامل لكل الارض (مثل شريعة الأبرص قارن لاويين ١٤ : ٤٥) وضرورة اعلان مجد الرب ، (١مل ١٨ : ٣٨) ولا رجاء لمجتمع كهذا ان لم تُمْحَ اللعنة ويباد الاشرار بيد الرب .

الرؤيا السابعة

(٥ : ٥ - ١١) المرأة والإيفة : هذه المرة يطلب ملاك الرب إلى زكريا النبي أن يرفع عينيه فيرى إيفه... وكانت امرأة جالسة وسط الإيفه.

وتعد الإيفة مكيال للحبوب كما جاء عنها في (تث ٢٥ : ١٤ ، لاويين ١٩ : ٣٦ ، حزقيال ٤٥: ١١ ، عاموس ٨ : ٥) إلا أنها تعني هنا إناءً كبيراً تجلس فيه امرأة ، وقال الملاك لزكريا هذه عينهم بمعنى شبههم، هذه هي الشر ؛ عن المرأة الجالسة وسط الإيفة - ويرى بعض العلماء أن استخدام لفظ المرأة (او الأنثى) إشارة إلى الشر (ام ٢ : ١٦ ، ٥ : ٣ - ٤) يتمثل في قدرتها على إعطاء الحياة (قارن الاشارة الواردة


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

بواسطة بولس الرسول عن ابن الهلاك إنسان الخطية (٢ تس ٢ : ٣ ، ٧ - ٨).

في هذه الرؤيا إعـلان عن عـقـاب جـمـاعي ، وتطهـيـر الأمـة بكاملهـا . على خـلاف مـا جـاء بالرؤيا السـابقـة (السـادسـة)، وهي عن إعلان الدينونة على أفـراد ، عـلى الحـالـفين زورا والسـارقين (قـارن ٣ : ٩ ، أش ٢٧ : ٩ ، ٥٢ : ١ ، ٦٠ : ٢١ ، ارمـيـا ٥٠ : ٢٠ صفنيا ٣ : ١٣) .

وشـاهد النبي وقـد طُرح على فم المرأة ثقل (وزنة) الرصـاص ، حتـى تكف عن شـرورها بأقـوالهـا وتجـاديفهـا ورجاساتها ، ولكن هـيهات . إلا انه رأى (عـدد ٩) إمرأتين خرجتـا ، والريح في أجنحتـهمـا . فرفعتـا الإيفة بين الأرض والسمـاء، ويشاهد كل بشر هذا الفعل العظيم فلا يكون خاف على أحد .

ومـاذا عن المرأتين ؟ يرى البـعض أنهمـا مـلاكان ويرى آخرون أنهمـا آشـور وبابل اللذان حـملاها إلى أرض شنعـار (قارن تك ١٠ : ١٠ ، ١١ : ٢) بابل العدو المميت لليهود . وتارة يسـتخدم الرب الأشرار ليبيد الشر من الأرض في شنعـار (بـابـل) التي وصفهـا الرائي ... بابـل العظيـمـة أم الزوانـي ورجاسـات الارض (رؤيا ١٧ : ٣ - ٥) . لعلها تبقى هناك فترة كافية لتطهيرها من نجاساتها (عـدد ١١) وتبنى بيوتـا في بـابـل (إرمـيـا ٢٩ : ٥ ، ٢٨) حتى يحصدوا ثمرة أفعالهم واستحقاق ما اقترفوه .

الرؤيا الثامنة

(٦ : ١ - ٨) المركبـات الأربع : فـعدتُ ورفـعت عـينيّ ونظرت وإذا بأربع مـركبـات خـارجـات مـن بين جبلين ، والجبلان من نحاس والمركبات بخيول مختلفـة الألوان : الأحمر والأسود والأبيض ، والمنمرة شقر والخيول هنا تشير إلى القوة (قض ٥ : ٢٢ ، ارميا ٨ : ١٦ ، ٤٧ : ٣).

هذه المركبات خارجات من بين جبلين . ويرى أحد العلمـاء أن الجبلين همـا المريا وجبل الزيتـون ، أي خارجـات من وادي يهوشافاط . ويرى آخر أنهما جبل صهيون والمريا (قارن ٢ : ١٠) وكونهما من نحاس فهو إشارة إلى الصلابة والمقاومـة بثبات (ارمـيـا ١ : ١٨) . والألوان في رأي البـعض لا تشكل قـيـمـة أسـاسـيـة . وفي رأي البـعض الآخـر ؛ يشير الأحمر الى قتلى الحرب، والأسود يمثل الحزن والجوع (رؤيا ٦ : ٥- ٦ قارن ١ : ٨) أما عن الأبـيض فيمـثل الفرح والانتصـار ، والمنمرة فهي خليط مـن النجاح وضيق الهزيمة ... ويجيب الملاك قـائلا للنبي في عـدد (٤) هذه هي أرواح السـمـاء الأربع خارجة من الوقوف لدى سـيد الأرض كلهـا ، مرسلة من لدنـه . بعـد أن استـمـعـت إلـى صـوت أحكـامـه إلـى أركـان الأرض الأربـع (١مـل ٢٢ : ١٩ ، أيـوب ٢ : ١ ، لـوقـا ١ : ١٩ قـارن ٢ مـل ٦ : ١٧ ، مزمور ٦٨ : ١٧ ، ١٠٤ : ٤ ، عب ١ : ٧ و ١٤) .

والخيل الدهم (السوداء) تخرج إلى أرض الشمـال إلى بابل (ارمـيـا ١ : ١٤ قارن ٢ : ٦ مع ارميا ٣ : ١٨ - ١٩)، فتعلن قضاء الرب ودينونته العـادلة على بابل ، من جراء إثمها ورجاساتها ، وما لاقـاه شعب الرب هناك من ضيق عظيم طوال السبعين سنة (زك ١ : ١٢) والشـهب (البيض) خارجة وراءها ، إشارة إلى انتصـار وفرح مملكة مادي وفارس على الإمبراطورية البابلية التي سادت عليها أيام كورش وحتى في السنة الخامسة من حكم داريوس أي بعـد هـذه النبوة كـمـا يرى هندرسـون ، والخيـل المنـمـرة تخرج نحـو أرض الجنـوب (مصـر) وهي تشـكل تهـديدا لأمن الشعب المختار في ذلك الحين ، أما الشقر (الحمر) فخرجت والتمست أن تذهب لتتمشى في الأرض (عدد ٧) . هذه هي أرواح السـمـاء خارجة من الوقوف لدى سـيد الأرض كلهـا ، مـعلنة دينونة الله العادلة ، ومنذرة وحافظة لكل من يخشى الرب ويتقيه ، ولمقاومة إبليس والتصدى له إذ لا يكف عن الجولان في الأرض ملتمسـا من يبتلعـه (أيوب ١ : ٧ ، ٢ تس ٢ : ٨ - ٩ ، ١تي ٤ : ١).

صرخة إعلان

« فصرخ عليَّ وكلمني قائلا : هوذا الخارجون إلى أرض الشمال (بابل) (٦ : ٨) قد سكّنوا روحي » (غضبي) . لقد ارتد حمو غضب الرب بعد أن نالت بابل عقابها ، واستعلنت دينونة الله فيها ، عن كل ما صنعت من آثام أمام الرب (قارن حزقيال ٣٩ ، رؤيا ١٩ : ١٧ - ١٨ ، ٢١ مع حز ٥ : ١٣). أرض الشمال التي استخدمها الرب أداة لعقاب إسرائيل ، فانتفخت وامتلأت بالكبرياء وكل ضلال ... وهل تفتخر الفأس على القاطع بها ... (أش ١٠ : ١٥).

تتويج يهوشع

(٦ : ٩ - ١٥) « وكان إليّ كلام الرب قائلا : خذ فضة وذهبا واعمل تيجانا وضعها على رأس يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وكلمه قائلا : هوذا الرجل الغصن اسمه ، ومن مكانه ينبت هيكل الرب، فهو يبني هيكل الرب ، وهو يحمل الجلال والمجد ويجلس ويتسلط على كرسيه .

ويكون كاهنا على كرسيه وتكون مشورة السلام بينهما كليهما : كلام الرب لزكريا النبي أن يأخذ فضة وذهبا من أهل السبي ، ويعمل منها تيجانا ويضعها على رأس رئيس الكهنة . ليكون ملكا - وهذا غير مألوف أو مقبول ، لأن يهوشع لم يأت من سلالة ملكية من نسل داود حتى يتوج ملكا ، إنما تتويجه هذه المرة يتم رمزا للمسيا الملك والكاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (عب ٦ : ٢٠ ، ٧ : ١ - ٢١ ، ٥ : ١٠ ، مزمور ١١٠ : ٤ قارن رؤيا ١٩ : ١٢) . هوذا الرجل الغصن اسمه (راجع ٣ : ٨ ، اش ٤ : ٢ ، ارميا ٢٣ : ٥ ، ٢٣ : ١٥) غصن البر فيُجري عدلا وبرا ، وبهاءً ومجدا في الأرض ومن مكانه ينبت ، من قوته دون تعضيد من أحد أو عون انسان (عدد ١٢ ، أش ٥٣ : ٢) . ويبني هيكل الرب لا الهيكل المادي هذه المرة بل هيكلا روحيا من حجارة حية روحية ، على صخرة حية (مت ١٦ : ١٨) ، هيكلا مقدسا (١ كو ٣ : ١٧) . يسكن فيهم الرب ويسير بينهم ، ويكون لهم إلها وهم يكونون له شعبا (٢ كو ٦ : ١٦) . مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركبا معا ، ينمو هيكلا مقدسا في الرب الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكنا لله في الروح » (افسس ٢ : ٢٠ - ٢٢).

وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه (مزمور ٢١ : ٥ ، ١٠٢ : ١٦، إش ٥٢ : ١٣) وتكون مشورة بينهما (عدد ١٣) فيظهر الوفاق والانسجام بين يهوشع الكاهن العظيم وزربابل الوالي الحاكم المدني العظيم لبناء بيت الرب مشيرا إلى الوفاق الكامل بين عدل الله كملك ، ومحبته كأب رحيم ورؤوف، وعليه عم السلام وتم السرور لكل من يؤمن (لوقا ٢ : ٤ قارن اغ ١٠ : ٣٦ ، افس ٢ : ١٣ - ١٧).

طلب ما هو أفضل

تطرح الآيات (٧ : ١ - ١٤) عدة أسئلة عن الصوم : في هذا الأصحاح ينبر النبي زكريا على ضرورة الفهم الحقيقي للصوم، وما يطلبه الرب من الانسان. وصار كلام الرب إلى زكريا: قل لجميع شعب الأرض وللكهنة: لما صممتم ونحتم.. فهل صممتم صوماً لي أنا ؟! ولما أكلتم وشربتم أفما كنتم أنتم الآكلين وأنتم الشاربين؟! ألم تكونوا أنتم المُعيدّين؟! «أليس هذا صوماً أختاره لكم الرب حل قيود الشر وفعل الخير، فك عقد النير. وأن تكسر للجائع خبزك وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك، وتكسو العريان، وتصنع رحمة لكل إنسان مع أخيه فلا تظلموا الأرملة ولا اليتيم، ولا الغريب ولا الفقير، ولا يفكر أحد منكم شراً على أخيه في قلبكم» (٧:٩-١٠) ودور النبي زكريا هنا أن يُذكر الشعب بالكلام الذي نادى به الرب عن يد الأنبياء الأولين فقد أمر الرب إشعياء قائلاً: «ناد بصوت عال ولا تُمسك، إرفع صوتك كبوق وأخبر شعبي بتعديهم هذا، وبخطاياهم حتى لا يقولوا لماذا صُمنا ولم تنظر. ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ (إش ٥٨:١-٣) فإن فهموا وعملوا أحكامي وشرائعي يقول الرب يتفجر مثل الصبح نورك، وتنبت

صحتك شريعاً ويسير برك أمامك.... حينئذ تدعو فيجيب الرب تستغيث فيقول هأنذا..» (٥٨:٨-١٤).

شعوب كثيرة وأمم قوية، تأتي ليترضوا وجه الرب، عشرة رجال يتمسكون بهدب ثوب رجل واحد قائلين: تذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم (٨:٧-٨، ٢٠-٢٣).

نفرٌ قليل وضعيف يبنون بيت الرب والمدينة، ويحدثون هذا التأثير الفعال في نفوس شعوب كثيرة وقوية - ياله من مجد بهي يقدمونه للرب بأعمالهم، وإيمانهم الملموس والظاهر، والذي يُحدث فاعلية كبرى في الشعوب المجاورة - كيف لا والرب هو خلاصهم هكذا قال رب الجنود «هأنذا أخلص شعبي من أرض المشرق، ومن أرض مغرب الشمس، وآتي بهم فيسكنون في وسط أورشليم، ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً بالحق والبر (٨:٧-٨) أجمعهم من كل مكان (قارن مزمور ٥٠:١) ومن حيث تشتتوا خارج أورشليم». وهذه العودة تشمل أيضاً عودة الشعب روحياً والذي سيتحقق لهم بالإيمان الوطيد في الرب (إش ١١:١١-١٢، ٤٣:٥-٦، حزقيال ٣:٢١-٢٣، ٣٧:٢١-٢٣) «وأصيرهم أمه واحدة في الأرض على جبال أورشليم، وملك واحد يكون ملكاً عليهم، ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين... وأطهرهم فيكونو لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً» (إرميا ٣٠:٢٢،٢١:١،٣٣،عاموس ٩:١٤-٥) ويكون الرب لهم إلهاً بالحق والبر، لأن الرب أمين في عهده يعينهم بروحه ليكونوا أمناً، وتتحقق فيهم نبوة إشعياء: «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أضاء لك. لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض، والظلام الدامس الأمم، أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يُرى. فتسير الامم في نورك والملوك في ضياء إشراقك» (٦٠:١-٣) ويتمسكون بشعب الرب قائلين نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم ليشاركونهم الحياة ببركاتهم الغنية الإلهية العميقة (قارن رؤيا ٧:٩).

دعوة للإبتهاج

«ابتهجي جداً يا ابنة صهيون إهتفي يا بنت أورشليم، هوذا ملكك يأتي إليكِ هو عادل ومنصور وديع راكب على حمار وعلى جحش إبن أتان» (٩:٩). إنها دعوة للهتاف بالابتهاج، لشعب الرب بنت صهيون بنت أورشليم لمجيء الملك المسيا العادل المنصور والوديع، بخلاف صورة الإسكندرية وجيوشه المقتحمة المحاربة، بل هو أمير السلام، يأتي ليدخل أورشليم فيعيد تأسيسها، وأمجادها الروحية (مزمور ٢:١١-١٢) ملك عادل بار ومخلص وليس سواه (إش ٤٥:٢١،٥٣:١، إرميا ٢٣:٥--٦) يأتي منصوراً رغم أنه غير محارب راكباً ليس على حصان حرب، بل حيوان بسيط يشير إلى السلام.

وربما تزيل هذه الكلمات ظلال غموض الكلمات، التي نطق بها يعقوب أب الأسباط عن يهوذا ابنه: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن آتانه غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه» (تك ٤٩:١٠-١١). وبالكلمة «منصور» تحمل في معناها الأصلي مجمل الخلاص (إش ٤٣:٣،١١) حاملاً في نفسه خلاصاً (قارن مت ١:٢١، ٢كو٥:١ . ٢١) بخلاف الملك المدني اليوناني كما أشرنا، والذي يأتي ليدمر ويخرب. بل إن مجيء المسيا بار يخلص... هو مجيء وديع راكب على حمار وعلى جحش إبن أتان، وحرف إدوار شفايزر أيضاً أن الكاتبين العبرانيين عُرفوا بأسلوب العبارة المزدحمة (الثنائية) والتي لها ذات المعنى (مزمور ٢:١-٥، ٢٣:١٠-١٢، أيضاً عدد ٢١:٢٨، تث ٣٢:١٢، ١صم ٢:٦-٧، إش ٤٧:١) ويرى آخرون أن يسوع إمتطى الاثنين الواحد تلو الآخر الاتان استخدمها حتى اقترابه إلى أورشليم «وجحش إبن أتان لم يجلس عليه أحد قط» (مرقس ١١:٢، لوقا ١٩:٣) امتطاء السيد عند وصوله للمدينة ولما كان من العسير امتطاء حيوان كهذا لم يجلس عليه أحد قط فكان لزاماً أن يتبع أمه الآتان التي كانت تتقدمه.

إنه الحجر الذي رفضه البناؤون وقد صار رأس الزاوية - ولتبتهج ابنة صهيون ولتهتف ابنة أورشليم فهذا هو اليوم

الذي صنعه الرب للبهجة والفرح، «مبارك الآتي باسم الرب» (مزمور ١١٨: ٢٢-٢٦ قارن مت ٢١: ٩) بروح ملؤها الفخار والانتصار (رؤيا ٧: ٩-١٠، إش ١٢: ٣ قارن مزمور ١١٨: ١٥ مع زك ١٤: ١٦) ويستطرد النبي زكريا الأصحاح العاشر في وصفه لديتونة الرب على أصحاب الترافيم والعرافين، والعبادات الوثنية، وطقوس السحر، معلناً أن غضب الله موجه ضد قادة الشعب الأشرار ويجعل الرب من البائسين قواداً، ابطال فرسان حرب فيغلبون الوثنية.

وفي الأصحاح الحادي عشر وصف للراعي الشرير والراعي الصالح والأصحاحات من (١٢: ١٤) يقدم النبي سلسلة من صور العقاب الآتي، دمار وهلاك للشرير، وخلاص لخائفي الرب – ويُظهر صورة إسرائيل وهي ترجع إلى الرب مستقبلاً (١٢: ١-١٣: ٦) إن العقاب هو للتطهير وإعلان عن مجد أورشليم الذي يحل عليها من الرب (١٣: ٧-١٤: ٢١).

ينبوع التطهير

(١٣: ١)«في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحاً لبيت داود، ولسكان أورشليم للتطهير من الخطية والنجاسة». إن موضوع اهتمام النبي زكريا هنا هو تقديم محبة الله، ودوره الإيجابي لعمل الخلاص العظيم، والنهوض بالشعب لتوبة خالصة وتطهيرها من كل نجاساتها. ويعتمد هذا النص كما يرى العلماء على ما جاء في سفر حزقيال، واستخدام النبي للكلمة نجاسة (٣٦: ١٧) أو ماء (ينبوع) التطهير (٣٦: ٢٥ قارن عدد ١٩: ٩). له سببه فقد كان هذا الينبوع قائماً ولبيت داود (للشعب بجملته) لكن الحاجة أن تُفتح بصائرهم ليدركوا ما هم عليه، ويفيقوا من غفلتهم ويسرعوا بالنهوض (قارن تك ٢١: ١٩) فهناك ينبوع مفتوح للإغتسال (قارن خروج ٣٠: ١٨) والتطهير إلى الأبد. «وإن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يُقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي (عب ٩: ١٣-١٤، ١كو ١، ٣، ١يو١: ٧ قارن حزقيال ٣٦: ٢٥).

ملاخي

يعد سفر ملاخي آخر أسفار الكتب المقدسة حسب ترتيب الترجمة السبعينية. وذهب بعض العلماء إلى أن ملاخي لا يعد اسماً بل وظيفة بمعنى ملاكي (قارن ٣ :١) أو رسولي. وورد في ترجوم يوناثان بن عزئيل "Targum of Jonathan Ben Uzziel هذه الإضافة إلى (١ :١) «وحي كلمة الرب لإسرائيل عن يد ملاخي الذي هو عزرا الكاتب». وقد رُفِضَ هذا الرأي من غالبية علماء الكتاب إذ لم يلقب عزرا بنبي بل لقب بالكاتب وملاخي لم يكن كاتباً بل نبياً.

والاعتقاد السائد بين الباحثين أن ملاخي هو الاسم الأصيل والكاتب لهذا السفر معلناً قرب مجيء الرسول الأعظم الكلمة المتجسد في العهد الجديد.

أقسام ومشتملات السفر

في الأصحاح الأول والثاني يصف النبي ملاخي خطايا وعناد إسرائيل.

والأصحاح الثالث والرابع يشير إلى الدينونة التي ستحل بالخاطئ الشرير والبركة لمن يرجع عن شروره.

أولاً : مقدمة (١: ١).

ثانياً : محبة الله الواضحة في اختياره ليعقوب (إسرائيل) وتركه لأدوم (عيسو)(١: ٢-٥).

ثالثاً: إهمال الكهنة واجباتهم الدينية ولذلك تعثر الشعب بعباداتهم المرفوضة (١: ٦-٢ :٩).

رابعاً : اختلاط الشعب في زواجهم بالشعوب الأخرى وحدوث الطلاق الذي هو مكرهة أمام الرب (٢: ١٠-١٧).

خامساً:

١- تساؤل : أين إله العدل (٢: ١٧ج).

٢- الرب: ملاك العهد هو يطهر الكهنة ويحاكم السحرة والفاسقين والحالفين زوراً والسالبين أجرة الأجير والأرملة واليتيم (٣: ١-٦).

سادساً: ضرورة الأمانة في الوكالة:

١- سرقة الله تقود إلى اللعنة (٣: ٧-٩).

٢- العشور تقود إلى البركة (٣: ١٠-١٢).

سابعاً: تساؤل عن مجازاة البار والجواب هو في يوم القضاء العظيم (٢: ١٣ -٤ : ٣).

ثامناً: خاتمة أسفار الأنبياء الاثني عشر: مجيء إيليا (٤: ٤-٦)، يوحنا المعمدان الشبيه له في الروح والقوة (قارن مت ١١ : ١٤، ١٧ : ١٣ ، مرقس ٩ : ١١ -١٣ ، لوقا ١ : ١٧).

الكاتب وزمن الكتابة

يمثل السفر وحدة كاملة وبيد كاتب واحد. وبالنسبة لبعض الباحثين النقديين من الصعب الاعتقاد بأن ما جاء في

(٢: ١١-١٦) كتبه النبي ملاخي لأنها لا تتفق مع ما ورد في عـددي (٩، ١٧) وإن لم تكن إضافة مؤخرة بواسطة كاتب آخر فهي في غير موضعها. كما أن الثلاثة أعداد الأخيرة من الأصحاح الرابع تعد إضافة مؤخرة أيضاً. وقد رفض هذا الرأي من علماء الكتاب لافتقاده الدليل العلمي. ولا يعرف شيء عن ملاخي كاتب السفر وربما ترجع تسميته بملاخي/ملاكي أو رسولي إلى إيمان والديه. وجاء في التقليد اليهودي أن ملاخي كان عضواً بالسنهدريم وكان لاوياً من زبولون وهذا غير مؤكد . وقد كتب السفر في ظروف إعادة بناء الهيكل بعد السبي البابلي حيث كان عزرا مسئولاً عن تعليم الشريعة لليهود (عزرا ٧: ١٠، ١٤، ٢٥ - ٢٦).

ويرجع تاريخ كتابة السفر ما بين ٤٨٠ - ٤٥٠ ق.م أي قبل تولي نحميا الحكم على اليهود في أورشليم بجيل كامل. إذا كان يتولى الحكم عليها والياً فارسياً(١ : ٨) وصار نحميا والياً على أورشليم عام ٤٤٤ ق.م لأول مرة وللمرة الثانية عام ٤٣٣ ق.م كما يرى العلماء. وقد أشار نحميا إلى حالة اليهود وضعفهم الروحي، وعدم اكتراثهم بالعبادة في الهيكل، بعد أن تم بناؤه، والذي هو موضوع سفر ملاخي (قارن نحميا ١٣: ١٠-٢٩ مع ملاخي ١: ٦ - ١٠، ٢: ١٠-١٦، ٣ : ٨-١٢).

والسفر بوجه عام يتضمن قضاء، وحكماً على الشرور التي عملها الكهنة والعلمانيون. ويعد رسالة رجاء في الوقت نفسه للبقية الأمينة، المتعلقة بإلهها في إيمان واثق ووطيد.

وملاخي هو المعلم بين الأنبياء وليس الواعظ، وواجبه تعليمي. وفي رأي أحد العلماء أنه النبي الذي له النظرة الثاقبة ورأيه الواضح في المبادئ الروحية التي تحدد نوع الحياة، حياة البر التي يجب أن يحياها الشعب. فهو يعيد التعاليم النبوية، الأولية، رسالة التوبة والإصلاح ودينونة البار والشرير(يوم الرب آت). إنه أيضاً النبي الذي يرى بوضوح الأساس الذي تنبع بل تنفجر منه كل ينابيع سعادة الإنسان بالرضى والقبول لدى الرب إلهه، وأسباب الضعف التي استولت على الشعب وأظلمت حياتهم. وعلى الشعب أن يعود إلى الله (٣ : ٧) : «ارجعوا إليَّ أرجع إليكم».

الخلفية التاريخية

ساد الفشل المرير عصر ما بعد السبي والذي انطبع على حياة إسرائيل، وبدا للكثيرين من المكرسين أن نهاية الأسر البابلي كان وعداً، وأن العصر المسياني المجيد قد قَرُب. وعلى الإنسان أن يقرأ فقط نبوات إشعياء (٤٩ : ٨-٢٦) ليلمس التفاؤل الرائع والعظيم، الذي نبع من السماح بإعادة تأسيس حياة قومية يهودية كريمة ومتميزة في فلسطين. وكانت الأمة في طريق الشفاء من زوال مجدها الذي كان لها أيام داود الملك في البر والقوة (إرميا ٢٣ : ٥-٦) والأرض ستصير مثمرة بوسيلة معجزية والمطر لا ينقطع (حزقيال ٣٤ : ٢٦- ٣٠ ، إش ٤١: ١٨ -١٩) ويتضاعف عدد السكان حتى تمتلئ الأرض (إش ٤٩ : ٢٢ ، ٢٣).

غير أن الحقيقة لم تكن كذلك حسبما كانوا ينتظرون. إذ عادت مجموعة صغيرة من الشعب إلى أرض يهوذا. كما لم تكن الحياة سهلة عليهم واستقر الذين عادوا من الشعب في مدينة أورشليم، وفي مناطق صغيرة مجاورة وهي أرض صخرية غير مثمرة. كما وعانوا الكثير جداً في إعادة بناء الهيكل، وفي أوقات عديدة ومتفرقة لم يكن مطر ، وساد الكساد وعم القحط البلاد، وانتشر الجوع (حجي ١: ١٠ -١١ وملاخي ٣: ١٠) وسنة تلو السنة والأحلام لم تتحقق . حتى الذين حاولوا أن يكونوا مخلصين لديانة آبائهم بدأوا يتساءلون - لماذا؟ «وما المنفعة من أننا حفظنا شعائر الرب، وأننا سلكنا قدام رب الجنود» (٣: ١٤) «وأين إله العدل؟» (٢: ١٧) وما هي علامة محبته لنا؟ (١: ٢).

كما تأثر الكهنة القادة الروحيون والمعينون من قبل الرب، بهذا الروح الكئيب الذي استشرى في الشعب إذ ضعفت عزيمتهم في الحفاظ على أخلاق الأمة، والتسامي بها روحياً. فأهملوا التعاليم الدينية القديمة حسب شريعة موسى عبد الرب (٢ : ٧ -٨).

وسفر ملاخي يعد انعكاساً لهذه الخلفية، التي يجب أن يتفهمها الإنسان، والتي تعد تحدياً لإنسان العصر الحديث. ويضع أحد علماء الكتاب عنواناً لسفر ملاخي «رسالة لعصر يسود فيه الفشل».

رسالة السفر

في ضوء هذه الخلفية جاء ملاخي، الرجل الذي تمتع بقوة روحية عظيمة. وإزاء شعوره بعظمة هذه المسئولية، شعر بحتمية الذهاب إلى الخلاء وإلى السوق، وفي زوايا الشوارع. ليعلن عن إيمانه بالحق، بل ليعلن الحق ذاته لشعب تميز بأسلوب الحوار للوصول إلى الحقيقة، معبراً عنها بأجلى بيان أمام معضلات التساؤل والحيرة. معلناً عدل الله ومحبته.

في ذات الوقت، لم يكن سهلاً على ملاخي النبي أن يخاطب شعبه بالقول «هكذا قال الرب». وقد استولى عليهم الروح العقلاني والجدل المنطقي كما يبدو، ولم تكن رسالته بوحي مفاجئ، بل كانت بمثابة مطرقة لتلمذة حقيقية لكل الشعب.

ويتساءل الشعب قائلاً : إذا كان الله يحبنا فلماذا لا يظهر ذلك؟ وإذا كان الله باراً ، وطيباً، فلماذا لا يمتعنا بخيراته الوفيرة؟ وعن هذا يقدم ملاخي أجوبته كما سنرى.

إن الأوقات الصعبة والظروف المؤلمة يمكن إسنادها لعصيان الناس وعدم الامتثال والخضوع للرب الإله، وإهمالهم خدمة الرب فاديهم(٢ : ١٧، ٣ :٧ -١٢، ١ : ٦ - ٢ : ٩) وتلك إجابة قديمة مستقيمة وبسيطة لسؤال صعب.

الأمر الذي يثير كل المتاعب والحيرة في جواب أصدقاء أيوب الثلاثة (قارن أيضاً مزمور ٣٧) فيثير المشكلة أكثر من أن يجد لها حلاً. لأن الأصدقاء لم يفطنوا إلى ألم أيوب كان امتحاناً. أظهر به الله إيمان أيوب لجميع من حوله إذ لم ينسب لله حماقة(أيوب ٤٢ : ١-٨) بل خرج من الامتحان ظافراً منتصراً بنعمة الله.

أما سفر ملاخي فيؤكد أن الألم هو نتيجة الخطية، والمعانة ثمرة لها، ومحوها تنهمر الأمطار بغزارة فائقة (٣ : ١٠).

ومن الجانب سينال أدوم عقابه، لما أظهره من رضى وشماتة لسقوط أورشليم بواسطة البابليين ٥٨٧ ق.م (مزمور ١٣٧: ٧) وسوف ينالون عقابهم للخيانة والتمرد (١: ٢-٥) ويوم الرب قريب، فيه يظهر بر الله وعدله الكاملين، لكل الذين اتقوا الرب، وللمفتكرين في اسمه. كما هو مسجل في سفر التذكرة «ويكونون لي قال رب الجنود في اليوم الذي أنا صانع خاصة وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمه» (٣ : ١٦ -١٨).

أحببتكم قال الرب

وقلتم بم احببتنا...(١: ٢)

رسالة المحبة: هي الرسالة الروحية التعليمية المهمة في السفر بجملته «أحببتكم قال الرب» وطبيعة وجوهر محبة الله لا تسقط ولا تفشل أبداً. كما لا تفقد قوة فاعليتها، لفداء عالم غير مستحق. فهي أقوى من كل القوات . إنها محبة رحيمة ملؤها الأناة والعطف. وهي نفسها التي تأتي وتحل بقوة للقضاء على الشر، وتمحوه بالتمام. فالدينونة الإلهية العادلة من أجل صلاح الكيان البشري عامة. إنها محبة مقتدرة ظافرة، تقضي على كل من يتصدى للعمل ويعرقل السير قدام العلي في البر وقداسة الحق بعونه وقوته.

أحببتكم قال الرب .. ويجيب الشعب قائلاً بم أحببتنا: ..جواب فظ ومقابلة مؤلمة تجاه عطف ومحبة الله، هذا العطف الذي تجسد في أجلى بيان طوال السنين الماضية. إنه الإله القدير الذي أخرجهم من بيت العبودية، من يد فرعون ملك مصر وهو الله الإله الأمين، الحافظ العهد والاحسان، للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل (تث

٧ : ١٠ -١١) فإذا كانت وعود الرب لهم (إش ٥٤ :١- ٧ ، وحجي ٢: ٦-٩) لم تتحقق، فهي من جراء شرورهم ورجاستهم.

ورغم أن عيسو أخ ليعقوب بل هما توأمان إلا أن الرب في مشيئته اختار يعقوب وأعطاه فرصته وترك عيسو (تك ٢٥ : ٢١ - ٢٦) وإذا كانت الأحوال في إسرائيل مقبضة، فعليها أن تراجع وتفحص نفسها، لترى كم هي عظيمة محبة الله لها. فهو لم يهلكها إلى التمام، كما في مأساة شعب أدوم (عيسو) (٢ : ٣-٥) لقد دمرت أدوم بواسطة الشعوب المجاورة مصر وعمون كما ذكر يوسيفوس (آثار ١٠: ٩، ٧ [1]، ارميا ٤٩ : ١٨).

لقد فقد شعب إسرائيل بهجته ونجاحه لأنه بدلاً من أن يفكر في هبات الرب له، استولى عليه الفكر في ما فقده وأخذ منه وفيما أصابهم. ولم يعترفوا بحسنات الله لهم الظاهرة في حياتهم.

إن وقوع الإنسان في الشر هو مسئولية هذا الإنسان. ومحبة الرب ليعقوب هي من فضل نعمة الله. (رومية ٩ : ١٣) ومن هو يعقوب.. ومن هو الإنسان حتى يفتقده (قارن مزمور ١٨).

أين كرامتي .. وأين هيبتي قال لكم رب الجنود «أيها الكهنة المحتقرون اسمي» (١: ٦-٩).

إن محبة الله فائقة الإدراك فأين محبة الناس. بل أين محبة الكهنة القادة المعينين ليعلموا الشعب، ويهذبوهم في طريق الحق، حسب شريعة الرب بيد موسى؟ لقد كانت خطاياهم عظيمة، لأن دعوتهم أعظم ومهمتهم أن يكونوا نموذجاً روحياً للجميع في البر ومخافة الرب.

«الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أباً» إذ دعاهم الرب قائلاً: إسرائيل ابني البكر (هوشع ١١ : ١ قارن خروج ٤ : ٢٢) فأين كرامتي كأب (إرميا ٣ : ١٩) وإن كنت سيداً فأين هيبتي أيها الكهنة المحتقرون اسمي؟ إنهم يدعون الرب سيداً لهم بشفاهم، أما قلبهم فمبتعد بعيداً . عبادتهم سطحية لا عمق فيها البتة (قارن إش ١) وقد استخدم الرسول بولس هذا التشبيه بوضوح كامل في علاقة العبد بالسيد (١كو ٧ : ٢٢) علاقة ملؤها الوقار والتقدير في هيبة كاملة نابعة من المحبة المتبادلة بالنعمة الغنية.

ويستمر الحوار ويسأل الكهنة في عدم إدراك أو مبالاة وقد طمست أذهانهم عن الفهم قائلين «بم احتقرنا اسمك؟» ورغم كل هذه الرجاسات التي يصنعونها أمام الرب (١ : ٧ - ٨ ، ١٣ - ١٤) ورفض الشريعة الإلهية بتقديم المغتصب والأعرج والسقيم (قارن مع تث ١٥ : ٢١ ولاويين ٢٢ : ١٩- ٢٥)... قربه لواليك (الأرضي الفارسي) أفيرضى عليك أو يرفع وجهك قال رب الجنود (٨:١) لا شك أن هذا الحاكم الأرضي يشعر بالمهانة ولا تلقي منه غير البطش. «أليس هذا شراً الذي تصنعونه معي يقول الرب».

والآن (يقول النبي ملاخي) «ترضوا وجه الله فيتراءف علينا» ويتحدث النبي ملاخي هنا عن أهمية تقديم الذبائح والمحرقات، حسب شريعة الرب عن يد موسى كما وردت الإشارة، وخاصة بعد إعادة بناء الهيكل.

إلا أن النبي عاموس وإشعياء تحدثا بإسهاب شديد عن عدم أهمية هذه المحرقات والذبائح (قارن إش ١:١٠-٢٠، وعاموس ٥:٢١ -٢٤) لأن الشعب في ذلك الوقت، أهمل حياة البر والطهر قدام إلهه. واعتقد أنه يستطيع أن ينال رضى الله والقبول لديه بتقديم هذه الذبائح والمحرقات. الأمر الذي أغضب الله جداً لأنهم أخطأوا المسار. فكان لابد للأنبياء التصدي لمثل هذا الانحراف الديني حتى يصنع الإنسان ما هو صالح وحق وعادل قدام الرب (ميخا ٦:٦ - ٨).

من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم

وفي كل كان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة. لأن اسمي عظيم بين الأمم (١:١١) أنا ملك عظيم قال رب

(1) Josephus, Antiquities.. 10.9,7



الجنود واسمي عظيم بين الأمم (عدد ١٤).

بهذه الكلمات أراد النبي ملاخي عن فم الرب، أن يعرف الكهنة والشعب بأنه بينما هم ينجسون اسم الرب بأفعالهم وأعمالهم الرديئة هذه. يوجد من يعلي اسم الرب، ويمجده في كل مكان حيث يقرب لاسمه القدوس بخور وتقدمه طاهرة. من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود (عدد ١١) .

إنها محبة إلهية شاملة لكل البشرية

ولعلنا نجد توضيحاً مفصلاً لهذه الكلمات في تعاليم يوحنا المعمدان ورب المجد يسوع المسيح في الأناجيل. حيث يوبخ المعمدان جماعة الفريسيين الذين جاءوا إليه، ليعتمدوا منه لكي يهربوا من الغضب الآتي عليهم قائلاً لهم: «اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (مت ٣ : ٩ ، قارن لوقا ١٩ : ٤٠). وفي هذا يقول السيد له المجد: لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تصنع أثماره لأن اسم الرب عظيم بين الأمم (قارن مت ٢١ : ٣٣ -٤٣) ويتحدث إشعياء النبي قائلاً : «ويحضرون كل إخوتكم من كل الأمم تقدمة للرب.. وأتخذ أيضاً منهم كهنة ولاويين قال الرب» وذلك لتهذيب الشعب وتقويمه في خوف الرب (إش ٦٦ : ١٩ -٢١) ولتقديم ذبائح ومحرقات مقبولة لديه أي ذبائح روحية يسر الله بها. لأن ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره (مزمور ١٧:٥١).

وقد جاء عن هذه الذبائح المرضية والمقبولة عند الرب في (عب ١٣ : ١٥ - ١٦) ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه، وفعل الخير والتوزيع الذي يسر به الله. ولأجل ذلك يقدم الرسول بطرس توجيهه الهام والحتمي: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١بط ٥:٢) والذبيحة المقدسة والمرضية عند الله هي العبادة العقلية بتجديد الذهن (رومية ١٢ : ١-٢).

أليس أب واحد لكلنا.

أليس إله واحد خلقنا فلم نغدر الرجل بأخيه...

غدر يهوذا وعمل الرجس..

لأن يهوذا قد نجس قدس الرب الذي أحبه، وتزوج بنت إله غريب (٢: ١٠- ١١).

ينبر ملاخي على نقطة هامة وأساسية، في الحياة الدينية المقبولة أمام الله والتي يجب أن يراعيها كل إنسان في خوف الرب وهي الحياة الأسرية المخلصة الأمينة بين الزوج والزوجة. ويتساءل في دهشة «أليس أب واحد لكلنا أليس إله واحد خلقنا» نحن جميعاً أزواج وزوجات لنا أب واحد وإله واحد. فلم الغدر والخيانة . ولم الرجس والنجاسة. لأن يهوذا قد نجس قدس الرب. الرب الذي أحبه وأظهر له لطفاً وتحنناً طوال السنين والأجيال. لقد تعدى العهد ورفض شريعة إلهه التي بحفظها يصبح للرب خاصة من بين جميع الشعوب. لأن له كل الأرض (خروج ١٩ :٥) وكان كلام الرب إليهم قائلاً: «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب... وتكونون قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي» (قارن لاويين ٢٠ : ٢٤ ، ٢٦) «ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ..ودفعهم الرب أمامك فإنك تحرمهم.. ولا تصاهرهم، بنتك لا تعط لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك، لأنه يرد ابنك من ورائي، فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً» (تث ٧ :١-٤، قارن عزرا ٩ :١-٩).

بهذا الاختلاط مع الشعوب الأجنبية وعدم الامتثال لشريعة الرب يؤكد النبي بأن السبب الرئيسي وراء كل الشرور

والآلام التي أصابت شعب الرب أنهم عبدوا آلهة أخرى وتركوا إلههم، الذي أحبهم منذ القديم. ليكونوا له شعباً خاصاً غيوراً، شاهداً أميناً له أمام شعوب الأرض كلها (عزرا ٩:١-٩، قارن إشعياء ٦٠:٢١، أفسس ٢:١٠).

لقد رُفِضَت تقدماتهم وصلواتهم وتذللهم، لأنها لم تكن من القلب. وللمرة الثانية يقعون في ذات الفعل وهو الغدر بامرأة العهد كما يشير النبي ملاخي (قارن نح ١٣ : ٢٣ - ٣١).

إن الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك (٢ : ١٤) ما أجل وأرهب هذه الكلمات إن الرب هو الشاهد بين الزوج والزوجة للارتباط الوثيق معاً. فاحذروا، هكذا يخاطب النبي شعبه ولا يغدر أحد بامرأة شبابه (عدد ١٥) (قارن تك ٢:٢٤، مت ١٩:٦، ١كو ٧:١٠).

«لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل وأن يغطي أحد الظلم بثوبه قال رب الجنود، فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا» (٢: ١٦) وأين الهروب من الظلم: ظلم الزوج لزوجته والغدر بها. وهل يمكن له أن يغطي الظلم بثوبه كمن يبسط قليلاً من الثوب والرماد على نيران الشرور المتوهجة. والتي سرعان ما يظهر لهيبها وقسوتها، فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا، أين إله العدل؟ يخاطب ملاخي الشعب بحقيقة هامة قائلاً: «لقد أتعبتم الرب بكلامكم. وقلتم بم أتعبناه؟ ويجيبهم النبي: بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسر بهم أو أين إله العدل» (عدد ١٧).

لقد أتعبتم الرب (إش ٤٣ : ٢٤) ولم يعد الرب يريد أن يسمع شكاوي الشعب من الظلم وهو الإله الصالح لأنقياء القلب الذي ليس عنده محاباة (قارن مزمور ٧٣ : ٣ -١٢، مزمور ٣٧).

وأعتقد الشعب أن من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب، وهو يسر بهم فتساءلوا أين إله العدل؟ لماذا نجح الأشرار وازدهروا. فلابد إذا من التدخل الإلهي (٣: ١).

إنه يأتي بغتة السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به، معتقدين أنه سيحقق لهم الانتصارات والغلبة الساحقة على باقي الشعوب ... ومن يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره.

إنه سيأتي كنار الممحص لينقي بني لاوي ويصفيهم كالفضة والذهب، ليكونوا مقبولين لديه وتقدماتهم مرضية للرب كما في أيام القدم.

إنه يأتي بغتة كقاض عادل ضد أورشليم (عاموس ٥: ١٨ -١٩، ٢٠) دون توقع من أحد يكون مهلكاً لغير المؤمنين الأشرار (٢ بط ٣: ٣-٤).

هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي..
ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه..
ملاك العهد الذي تسرون به..
ومن يحتمل يوم مجيئه.. (٣ : ١-٦).

هذه الكلمات تحمل من النور الكثير لجماعة بارة اختلط عليها الأمر. ولم تعد قادرة في لحظات الضعف هذه أن تميز بين الخير والشر وقد بدا لها لا منفعة من عبادة الله، لأن الشرير ينعم والصديق البار يحيا في آلامه، ولا يبدو في الأفق لهذه الجماعة أي أمل أو رجاء للخلاص أو النجاة من هذا الشعور المختلط بقولهم : كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسر بهم أو أين إله العدل ؟ (٢: ١٧).

ملاك الرب... ملاك العهد...

هأنذا أرسل ملاكي... ليعلن الدينونة العادلة ليعاقب الأثيم ويكافئ تقي الرب.

وكلمة ملاكي بمعنى رسولي، وفي رأي العلماء إشارة إلى يوحنا المعمدان (مت ٣:٣، ١١ : ١٠ ، مرقس ١ : ٢ ، ٣ لوقا ١ : ٦٧ ، ٣ : ٤ ، ٧ : ٢٦ ، ٢٧، يوحنا ١: ٢٣) ويستند ملاخي (٣: ١-٣) على ما ورد في (إش ٤٠ : ٣-٥) ويرى أحد العلماء أن الكلمة رسولي تشير إلى الأنبياء جميعا وإيليا مثلاً لهم (ملاخي ٤: ٥) وقد تحققت هذه النبوة في يوحنا المعمدان أعظم وآخر الأنبياء (مت ١١: ٩-١١) بل أكثر من نبي (لوقا ٧ : ٢٦).

«يأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه»

(حجي ٢ :٧ ، عب ٣ :٢ ، ٥ ، ٦) والذي تطلبونه وتسرون به إذ هو مصدر ابتهاج وسرور. (قارن لوقا٢: ٢٥، ٢٨) مع (إش ٦٣: ٩) قارن ظهور ملاك الرب لإبراهيم (تك ١٨ : ١-٢ ، ١٧ ، ٣٣) وليعقوب (تك ٣١ : ١١ ، ٤٨ : ١٥ - ١٦) ولموسى في العليقة (خروج ٣ :٢- ٦) وهذه الظهورات بمثابة إعلان كما يرى بعض العلماء عن ظهور الابن الحبيب (خروج ٢٣ : ٢٠ - ٢١ قارن عب ١١ : ٢٦ ، ١٢ : ٢٦)، الذي يأتي بالعدل (مت ٣: ١٠ -١٢، مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦).

ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره لأنه يأتي كنار الممحص ويجلس ممحصاً ومنقياً للفضة. فينقي مطهراً بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقبولين أمام الرب وتقدماتهم مرضية له كما في القديم (٣ : ٢-٤).

وهكذا الرب مع مختاريه أيضاً (أيوب ٢٣ : ١٠، مزمور ٦٦ : ١٠، أم ١٧ : ٣ ، إش ٤٨ : ١٠ ، عب ١٢ : ١٠ ، ١بط ١ :٧)، فهو يجلس ممحصاً في محبة متأنية ولطف وعدل حتى يكونوا حجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح (١بط ٢ : ٥) الذي حسب موسى عاره غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة (عب ١١ : ٢٦، ٢٤ - ٢٥).

ارجعوا إليّ أرجع إليكم (٣: ٧-١٢).

يخاطب النبي ملاخي الشعب عن فم الرب قائلاً: «من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها» ارجعوا إليّ أرجع إليكم» لقد ساروا في خطي آبائهم في العناد وصلابة الرقبة والتصلف فجلبوا على أنفسهم السبي البابلي وها هم اليوم يعاودون الكرة مرة أخرى، فيدعوهم الرب نفسه عن فم النبي «ارجعوا إليّ» في توبة «أرجع إليكم» بالبر والإحسان والمراحم قال رب الجنود.

ثم قال الشعب بماذا نرجع، وكان جواب الرب لهم: أيسلب الإنسان الله فإنكم سلبتموني، وقال الشعب بما سلبناك؟ وكان جواب الرب إليهم: سلبتموني في العشور والتقدمة، هذه العشور والتقدمة لها أهميتها لرعاية اللاويين والكهنة على الخدمة. حتى يتفرغوا للعمل في هيكل الرب، ولا يرتبكوا بأعمال الحياة. بل يتفرغ خدام الرب للخدمة وتهذيب الشعب وتقويمهم، حسب شريعة الرب عن يدي موسى(قارن لاويين ٢٧ : ٣٠ -٣٣ قارن عدد ١٨ : ٢٦ -٢٨ وتث ١٢ : ١٨ -١٩). وكان كلام الرب إلى موسى للشعب: «في آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك فيأتي اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون. لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل» (تث ١٤ : ٢٨ - ٢٩، قارن أيضاً تث ١٤ : ٢٢-٢٧) وبالمثل التقدمة (قارن تث ١٨ : ٤ ، نحميا ١٣ : ١٠ -١٣).

وعندما يصغي الشعب إلى صوت الرب لهم حسب شرائعه وأحكامه. ويظهرون تكريسهم الكامل بطاعة أمينة له، وبحياة مثمرة، سيغدق الرب عليهم بغنى ووفرة إذ يخاطبهم قائلاً: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة» (قارن ٢أخ ٣١ :٢-١٢، ١أخ ٢٦: ٢٠، نح ١٠: ٣٨، ١٣: ٥، ١٢) ليكون في بيتي طعام وجربوني بهذا قال رب الجنود إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع (٢أخ ٣١ : ١٠ ، ملاخي ٣ :٧) وأنتهر من أجلكم

الآكل، ولا يعقـر لكم الكرم في الحـقل، قـال رب الجنود (عدد ١١) سيـنزل المطر في حينه، المبكر والمتـأخر، وتأتي الحـقول أثمـارها الكروم والتين، والزيتـون حيث لا جراد أو قمص أو يرقـان (عـاموس ٤: ٩ قـارن تث ١١ : ١٣ - ١٥).

ويطوبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة قـال رب الجنود (٣ : ١٢) فخر الأراضي (دا ٨ : ٩) وتتـحقق البركـة. «طوباك يا إسرائيل من مـثلك يا شعبا منصوراً بالرب ترس عـونك وسيف عظمتـك فيتذلل لك أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم» (تث ٣٣ : ٢٩ ، زك ٨ :١٣).

ما المنفعة من عبادة الرب؟ (٣: ١٣-١٥)

أقوالكم اشتدت عليّ قـال الرب ..قلتم عـبادة الله باطلة وما المنفـعة من أننا حفظنا شعـائره. وأننا سلكنا بالحزن قـدام رب الجنود ... وتطوبون المسـتكبـرين وأيضـاً فاعلي الشر بأنهم جربوا الله ونجوا.. إنهـا أقوال وعـبارات قـاسيـة وعنيفة تفيض بكل الشرور (قارن حزقيال ٣٣ : ٢٠) ومـا المنفعة - هكذا قالوا- من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود- واضح أنهم دخلوا في مساومة مع الله ولعلهم هم الكاسبون، إذ عاشوا حياة سطحـية لا عمق فيها البتة وتقوى ظاهرية مرفوضـة من قـبل الرب، ولم تكن خدمـتهم لله نابعـة من قلوبهم. بل خدمة نفـعيـة لعلهم يربحون الكثير من ورائها. إنه ذات الخطر الذي نبر عليـه النبي إشعـيا ء. إذ كـانت أعمـالهم خاليـة من البر. بل بمثابة تعد ورفض لشريعتـه وأحكامـه ويقولون لماذا صمنا ولم تنظر، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ ..(إش ٥٨ : ٣-٨) كلها كلمات تقود إلى التشكيك وزعزعة الإيمان، وفعل كل ما هو غيـر صالح في عيني الرب. كما أنها كلمات تختلف عن تساؤلات الصديقين التي تحمل في مضمونها شفافية ودخولا نحو مـقادس العلي. وليـست شكوكاً تقـود إلى الضلال، بل تقود إلى مزيد من اليقين الراسخ في الرب (قارن إرميا ١٢: ١-٣ ، حب ١: ١٣).

وإزاء هذه التـجاديف وكل قـول وتعد «حينئذ كلم متـقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع، وكـتب أمامـه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه: ويـكونون لي قال رب الجنود .. وأشفق عليـهم كما يشـفق الإنسان على ابنـه الذي يخدمـه» (٣ : ١٦ -١٧ ، قـارن عـب ١٣:٣ ، أمل ١٩ : ١٨ ، روميـة ١١: ٤) (وقـد اهـتم ملوك فارس بسـفر التـذكرة تذكار أخبار الأيام لتدوين كـل ما هو خاص بالمملكة) (أستيـر ٦ : ١-٢ قارن أستير ٢: ٢٣ ، دانيال ٧: ١٠، رؤيا ٢٠ :١٢).

فتعودون كمـا يقول النبي ملاخي تميزون بين الصديق والشرير، وبين من يعبد الله ومن لا يعبده (عدد ١٨ ، مزمور ٥٨ : ١١) ولا يقولون فـيما بعد كل من يفعل الشر فـهو صالح في عـيني الرب وهو يسر بهم (ملاخي ٢ :١٧). بل «وسيأتي يوم الرب سريعاً جداً. يوم سخط وضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب على الأئمة الفجار، على الأشرار السحرة والفاسقين، وعلى الحالفين زورا وعلى السالبين أجرة الأجير والأرملة واليتيم ومن يصد الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود» (٣: ١-٦ قارن صفنيا ١: ١٤ -١٨).

فهوذا يأتي اليوم المتقد كـالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر، يكونون قشا يحرقـهم اليوم الآتي قـال رب الجنود. فـلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعـاً (٤: ١) وللأبرار يكون يوم الرب يوم فـرح وابتـهاج، يوم سرور وتهـليل كـأب يشفق على ابنه الذي يحبه ويخدمه (٣:٧، قارن ١:٦، ٢: ١٠). ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها فتخرجون وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم (٤: ٢-٣) وبالنسبة للأبرار هنا تشرق (شمس البر) والشفاء في جناحيها. وهذا التعبير كما يرى أحد العلماء مأخوذ من الديانة المصرية القديمة والذي أشير عنه بالأجنحة في ديانة الشرق الأدنى القديم كمصدر للعناية والبركة .

فـقط اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب ، والهجوا في كلام الرب كل حين، إذ تجدونه أحلى

من العسل وقطر الشهادة، وفي حفظها ثواب عظيم (٤:٤ ، قارن مزمور ١٩ : ٧-١١، مزمور ١١٩ : ٧٢ ، ١٢٧ ، ١٠٣) وفي كلام الرب أيضاً فرح وابتهاج قلب (إرميا ١٥: ١٦) إنها دعوة أن يتقي الإنسان إلهه بحفظ وصاياه (جامعة ١٢: ١٣ - ١٤).

إن رسالة السفر موجهة لشعب استولى عليه الفشل وكل حيرة وتخبط وعدم وضوح للرؤية أي إنه للموتى روحياً، ليبعث فيهم الرجاء، والنهوض مرة أخرى. لأن روح الله مقتدر في كل إنسان حطمه الفشل...

ولأتقياء الرب الذين يتمسكون به. تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها فيخرجون بكل قوة ويدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامهم (٤ : ٣) «فقط أذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب» (٤:٤) لأنها طريق النور طريق الفجر والخلاص من الظلام من كل وجه (قارن إش ٨ : ٢٠) عندئذ يستنير الإنسان ويتهلل بكلمات الترنيمة الخالدة «وجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي. لأن كلمة الرب إلهنا أحلى من العسل وقطر الشهادة.. وفي حفظها ثواب عظيم» (إرميا ١٥:١٦، مزمور ١٩ : ١٠ -١١).

المراجع

سلفت الاشارة إلى القليل جداً من المراجع لتأكيد أو تثبيت فكرة بعينها.

وفيما يلي قائمة بمراجع الكتاب في جملته اعترافاً بفضل مؤلفيها ومحرريها، ولعل القاريء الكريم والمتخصص يريد المزيد من البحث والدراسة الأكثر تعمقاً.

BIBLIOGRAPHY

lexicons:

A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament. by William L. Holladay, leiden: E. J. Brill, 1971.

Genesis Hebrew and Chardee Lexicon. translated by Samuel F. Tregelles. 14th printing, Grand Rapids: Eerdmans Publishing Co, 1980.

Hebrew-English Lexicon, Samuel Bagster & Sons, Ltd, 31st impression, New York: Harper and Brothers, 1962.

The Analytical Hebrew and Chaldee Lexicon, Benjamin Davidson, 8th printing. Grand Rapids: Zondervan, 1976.

Dictionaries:

Dictionary of the Bible, ed. by J. Hasting, revised by F. Grant and H Rowley, N.Y. 1963.

Harper's Bible Dictionary, ed. by Paul Archtemeier, New York: Harper & Row. 1985.

International Standard Bible Encyclopedia, 4 volumes. by B.W. Bromiley and others, Grand Rapids: William B. Eerdmans. 1979.

The Interpreters Dictionary of the Bible, 4 volumes, ed. by G. A. Butrick and G. Arthur, 16th printing, New York: Abington Press, 1986.

The New Bible Dictionary, organizing editor J.D Douglas. Grand Rapids: Inter-Varsity Press. 1976.

The New Westminster Dictionary of the Bible. edited by Henry Snyder Gehman. Philadelphia: Westminster Press, 1970.

Theological Dictionary of the Old Testament, 5 volumes, edited by G. Johannes Botterweck



and Helmer Ringgren, Vols. 1-2. translated by John T. Willis, Vol. 3. trans. by J. Willis, G.W. Bromiley and David E. Green, Vols. 4-5. translated by David Gree. Grand Rapids: Eerdman, Vol. 1-4. reprinted 1983, vol. 5. reprinted 1986.

Introductions

Anderson, G.W.A. *Critical Introduction to the Old Testament.* London:Duckworth, 1974.

Childs, Brevard S. *Introduction to the Old Testament as Scripture.* London:SCM Press Ltd. 1979.

Driver, S. R. *Introduction to the Literature of the Old Testament.* New York, 1961.

Eissfeldt, Otto. *The Old Testament. An Introduction.* New York: Harper & Row,1966.

Fohrer, George. *Introduction to the Old Testament.* translated by David E. Green. New York: Abington Press, 1968.

Gottwald, Norman K. *A Light to the Nations: An Introduction to the Old Testament.* New York: Harper & Row, 1959.

Harrison, R. K. *Introduction to the Old Testament.* Grand Rapids: William B. Eerdmans, 1973.

Hayes, J. H. *An Introduction to Old Testament Study.* New York: Abington Press, 1979.

Pfeiffer, Robert H. *Introduction to the Old Testament.* New York: Harper and Brothers, 1948.

Oesterley, W. E. and Robinson. *An Introduction to the Books of the Old Testament.* London: SPCK, 1953.

Rowley, H. *The Growth of the Old Testament.* London: Hutchinson, 1967.

Soggin, J. Alberto. *Introduction to the Old Testament.* translated from Italian by John Bowden. 3rd edition. Philadelphia: Westminster Press, 1980.

Thoburn, C. Stanley. *Old Testament Introduction.* The Christian Literature Society, 1972.

West, James King. *Introduction to the Old Testament.* 2nd Edition. New York: Macmillan, 1981.

Young, Edward J. *An Introduction to the Old Testament.* Grand Rapids: William B. Eerdmans, 1985.

One-volume Commentaries

Commentary on the Whole Bible, by R. Jamieson, A.R. Fausset and David Brown. Grand Rapids: Zondervan, 1964.

Jerome Biblical Commentary, ed. by Raymond E. Brown, Joseph Fitzmyer and Ronald E. Murphy, Englewood Cliffs. N.J.: Prentice Hall, 1968.

The Interpreter's One-Volume Commentary of the Bible. New York: Abington, 1971

The New Bible Commentary, revised edition ed. by D. Guthrie, J.A. Motyer, A. M. Stibbs and D.J. Wiseman. Downers Grove, Il: Inter-Varsity Press, 1976.

The Wycliffe Bible Commentary, ed by Charles Pfeiffer and Everett F. Harrison. Chicago: Moody Press, 1963.

Commentary. Series

The Anchor Bible, A New Translation with Introduction and Commentary, Twenty-five volumes, ed by William Foxwell Albright and David Noel Freedman, New York: Doubleday & Company, Inc.

The Interpreter's Bible, Six volumes. edited by George Arthur Buttrick, Walter R Bowie, John Knox, Paul Scherer and Samuel Terrien. Nashville: Abington Press, 1980.

The Old Testament Library, Twenty-one volumes, edited by Peter Ackroyd, James Barr, John Bright and G. Ernest Wright. Philadelphia: The Westminster Press.

Other Sources

Albright, W.F. *From the Stone Age to Christianity*. New York: Doubleday, 1957.

Alt, Albrecht. *Essays on Old Testament History and Religion*. translated by R.A. Wilson. New York: Doubleday & Company.

Anderson, B.W. *Creation versus Chaos*. New York: Association Press, 1967.

Anderson, B.W. *Rediscovering the Bible*. New York: Association Press, 1951.

Anderson, B.W. *Out of the Depths. The Psalms Speak for Us Today*. Philadelphia: Westminster Press, 1974.

Anderson, B.W. *The Unfolding Drama of the Bible*. Philadelphia: Fortress Press, 1988.

Anderson, B.W. *Understanding the Old Testament*, 4th ed, Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1986.

Barclay, William. *The Making of the Bible. Bible Guides.* edited by W. Barclay and F.F. Bruce. London: Lutterworth, 1967

Barr, James. *Holy Scripture: Canon, Authority, Criticism.* Philadelphia: Westminster Press, 1983.

Barr, James. *The Bible in the Modern World.* New York: Harper & Row, 1973.

Barth, Christopher. *Introduction to the Psalms.* New York: Scribner, 1966.

Blenkinsopp, Joseph. *A History of Prophecy in Israel.* Philadelphia: Westminster Press, 1983.

Bright, John. *The Authority of the Old Testament*, Grand Rapids: William B. Eerdmans, 1975.

Bright, John. *A History of Israel*, 3rd edition. Philadelphia: Westminster Press, 1981.

Bruce, F.F. *Second Thoughts on the Dead Sea Scrolls.* Grand Rapids :William B. Eerdmans, 1966.

Burrows, Millar. *More Light on the Dead Sea Scrolls.* New York: Viking Press, 1958.

Childs, Brevard S. *Isaiah and the Assyrian Crisis.* London: SCM Press Ltd, 1967.

S. Childs, Brevard. *Old Testament Theology in a Canonical Context.* Philadelphia: Fortress Press, 1986.

De Vaux, Ronald. *The Early History of Israel.* translated by David Smith. Philadelphia: Westminster Press, 1978.

Efird, James M. *These Things are Written: An Introduction to the Religious Ideas of the Bible.* Atlanta: John Knox Press, 1978.

Ellison, H L. *A Study of Job From Tragedy to Triumph.* Grand Rapids :Zondervan, 1975.

Filson, Floyd. *Which Books Belong to the Bible*? Philadelphia: Westminster Press, 1957.

Fakenheim, Emil. *God's Presence in History.* New York: Harper & Row, 1970.

Gordis, Robert. Koheleth, *The Man and His World: A Study of Ecclesiastes.* 3rd edition. New York: Schocken Books, 1971.

Harris, R. Laird. *Inspiration and Canonicity of the Bible.* Grand Rapids :Zondervan, 1982.

Hinson, David F. *Old Testament Introduction 3. Theology of the Old Testament, SPCK,*

1976.

Kenyon, Frederick. *Our Bible and the Ancient Manuscripts.* New York:Harper & Row, 1958.

Kenyon, Kathleen M. *Digging Up Jericho.* New York: Praeger, 1957.

Kenyan, Kathleen M. *Digging Up Jerusalem.* London, 1974.

Koch, Klaus. *The Prophets, Volume One: The Assyrian Period,* translated by Margaret Kohl. Philadelphia: Fortress Press and Printing, 1985.

Koch, Klaus. *The Prophets, Volume Two: The Babylonian and Persian Periods.* translated by Margaret Kohl. Philadelphia: Fortress Press and Printing, 1986.

Mackenzie, R. A. F. *Faith and History in the Old Testament. Minnesota:* Minnesota University Press, 1965.

Miller, Enid B. ed., *The Making of the Old Testament.* Cambridge University Press,1972.

Miller, Andrew. *Meditations on the Song of Solomon,* 4th edition. Oak Park: Bible Truth Publishers, 1975.

Pritchard, J. P. ed. *The Ancient Near East: An Anthology of Texts and Pictures,* Princeton University Press, 1965.

Pritchard, J. P. ed. *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament,* 3rd ed. Princeton University Press, 1963.

Rad, Gerhard von. *The Message of the Prophets,* translated by O.M.G. Stalker, New York: Harper and Row, 1967.

Rast, Waiter E. *Tradition, History and the Old Testament.* Philadelphia: Fortress Press, 1972.

Ringgren, Helmer. *The Faith of the Psalmists.* Philadelphia: Fortress Press, 1963.

Rhodes, Arnold B. *The Mighty Acts of God.* Atlanta: John Knox, 1985.

Rowley, H.H. *Worship in Ancient Israel: Its Forms and Meaning.* Philadelphia: Fortress Press, 1967.

Scott, R.Y. *The Relevance of the Prophets.* New York: Macmillan, 1976.

Scott, R.Y. *The Way of Wisdom in the Old Testament,* New York: Macmillan: 1971.

Thomas, D. Winton ed. *Documents from Old Testament Times*, translated with introduction and notes by members of the Society for Old Testament Study. New York: Harper and Row, revised, 1970.

Tucker, Gene M. *Form Criticism of the Old Testament*. Philadelphia: Fortress Press, 1963.

Unger, Merrill F. *Famous Archaeological Discoveries*. Grand Rapids: Zondervan, 1963.

Vermes,G. *The Dead Sea Scrolls in English*. Penguin Books, 1973.

Ward, James M. *Amos and Isaiah: Prophets of the Word of God*. New York: Abington Press, 1969.

Weiser, Artur. *The Old Testament. Its Formation and Development*. translated by D.M. Barton, New York: Association Press, 1960.

Westerman, Claus. *Genesis 1-11: A Commentary*. translated by John J. Scullion. Minneapolis: Augsburg Publishing House, 1984.

Westerman, Claus. *Genesis 12-36: A Commentary*. translated by John J. Scullion, Minneapolis: Augsburg Publishing House, 1985.

Westerman, Claus. *Genesis 37-50: A Commentary*. translated by John J. Scullion. Minneapolis: Augsburg Publishing House, 1986.

Westerman, Claus. *The Psalms: Structure, Content and Message*. translated by Ralph D. Gehrke. Minneapolis: Augsburg Publishing House, 1980.

Wilson, Robert R. *Prophecy and Society in Ancient Israel*. Philadelphia: Fortress Press, 1984.

Woolley, Sir Leonard. *Digging Up the Past*. Baltimore, MD: Penguin Books, 1972.

Wurthwein, Ernst. *The Text of the Old Testament: An Introduction to Biblia Hebraica*. translated by Erroll F. Rhodes. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1985

Zimmerli, Waiter. *The Law and the Prophets*. translated by RE. Clement. Oxford, 1965.

Zimmerli, Waiter. *Man and His Hope in the Old Testament*. translated from the German. Naperville, Ill.: Alec R. Allenson, Inc., 1968.

هذا الكتاب

هو أول كتاب يقدم لقارئ العربية دراسة شاملة لأسفار العهد القديم. فيشرح مفهوم كل سفر ويذكر كاتبه وزمن كتابته وأهم ما ورد به من أحداث، مما يساعد الدارس المتخصص وغير المتخصص على التعمق في دراسة كلمة الله.

لقد بذل الكاتب جهداً كبيراً على مدى اثنتي عشرة سنة ليقدم لنا هذه الدراسة المتميزة التي كانت تنقص - ولاشك - مكتبتنا العربية.

ونثق أنه سيكون سبب بركة للدارسين.

دار الثقافة


Bibliotheca Alexandrina
0628047

دار الثقافة
١٠١٠٠١٩٥